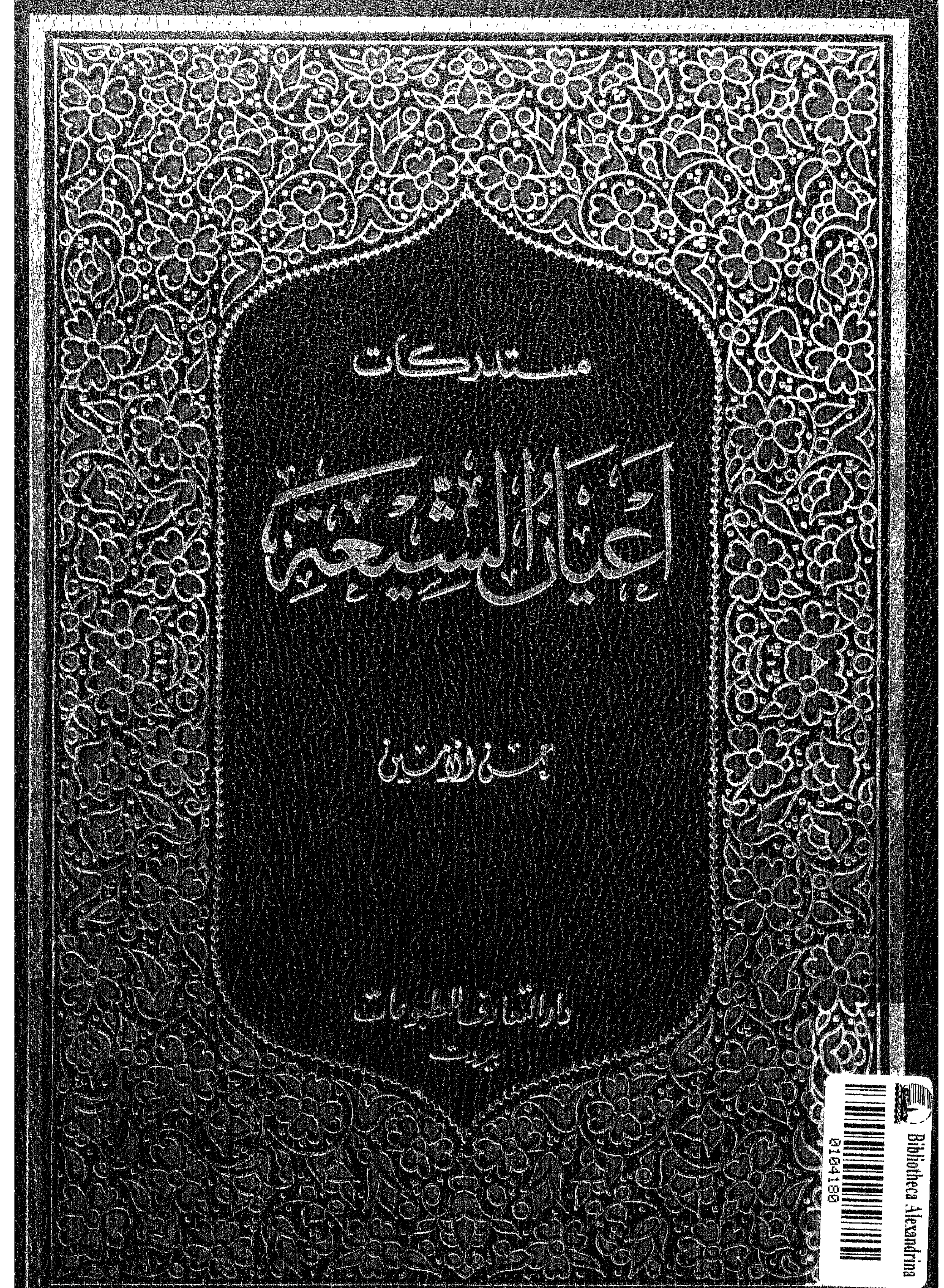
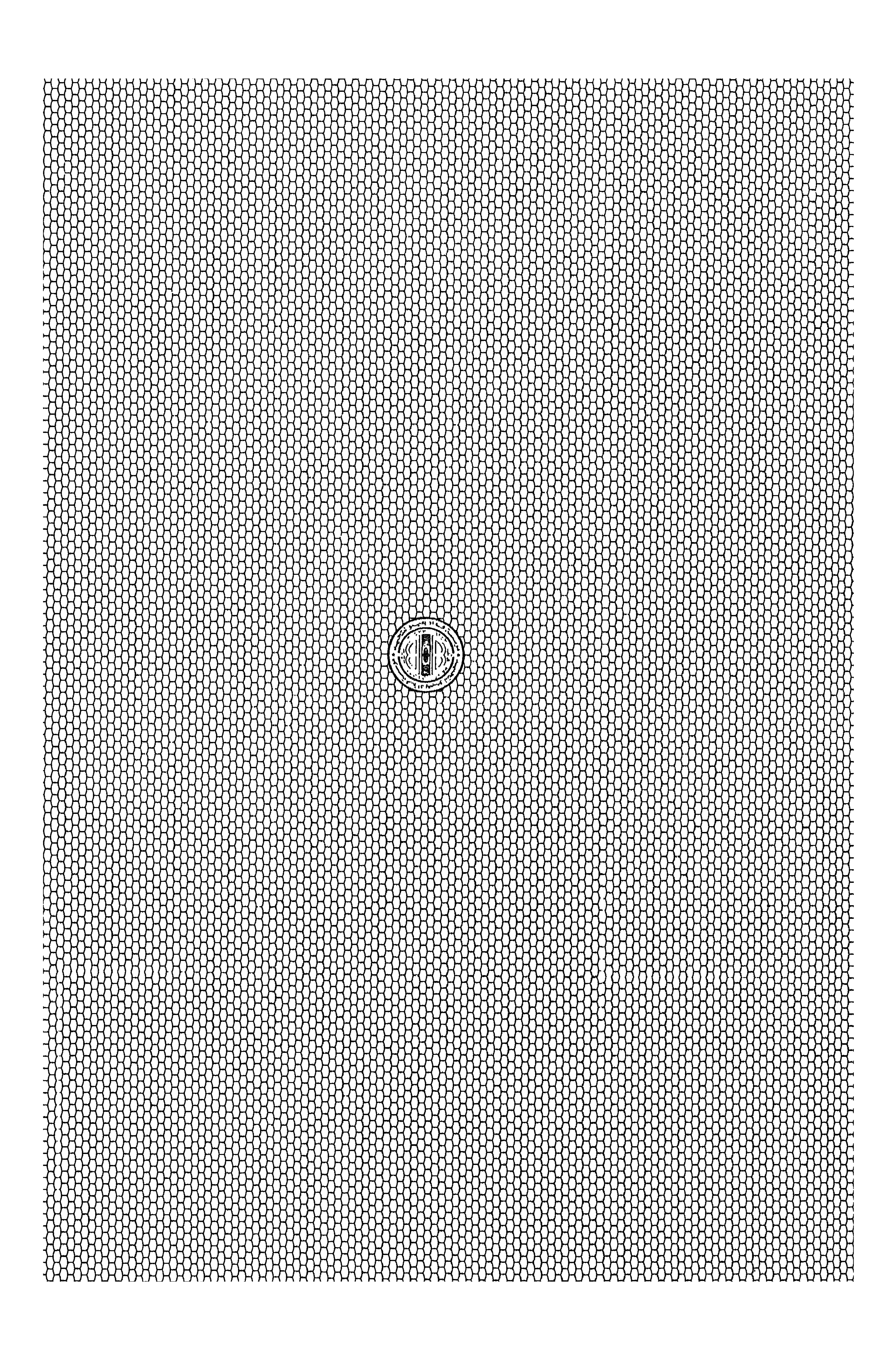
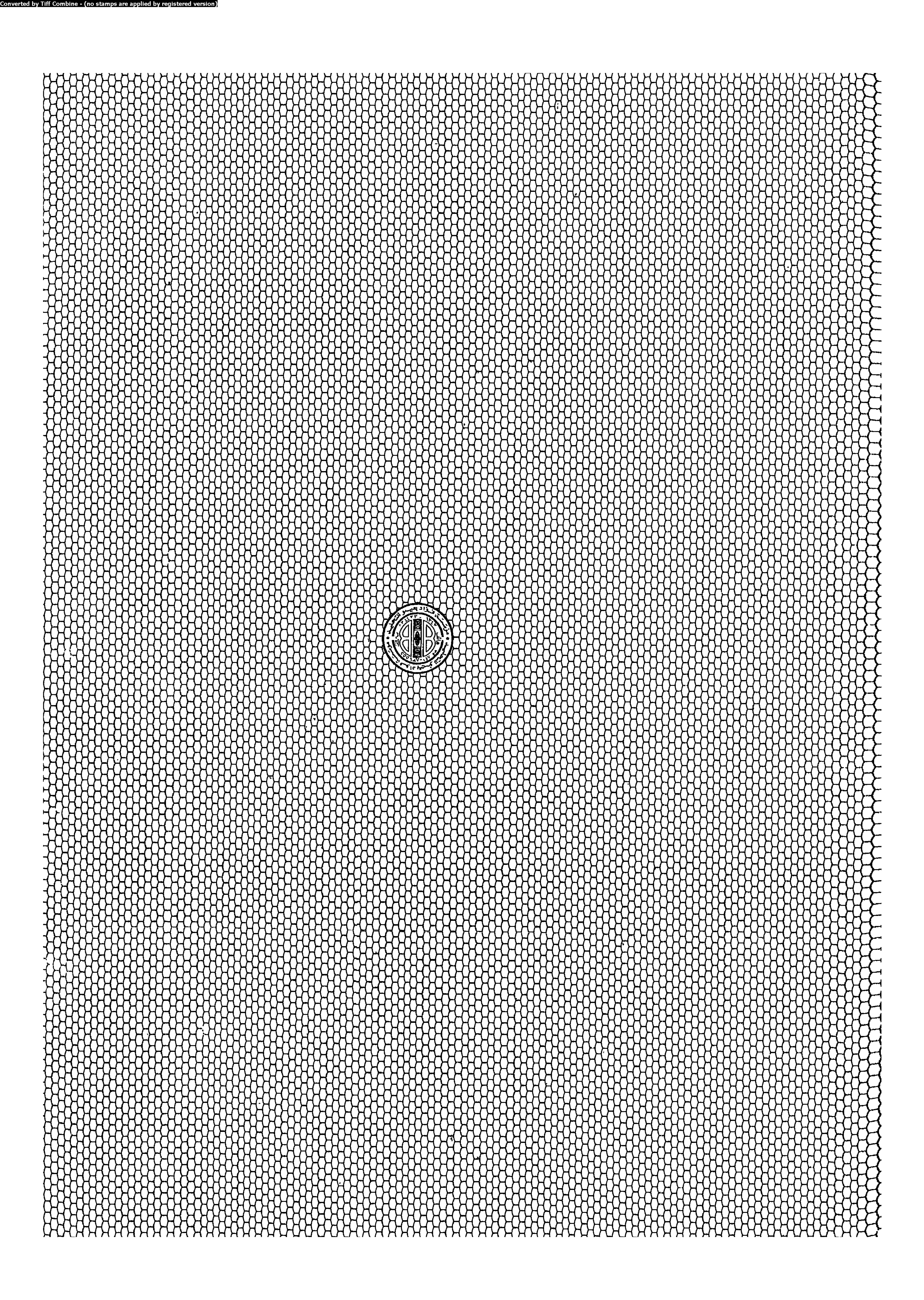

مستدركات
أعيان الشيعة
حسن الأمين
دار التعارف للمطبوعات
بيروت





مستدركات

أعيان الشيعة

مستدركات
أعيان الشيعة

حسن الأمين

دار التعارف للمطبوعات
بيروت



١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م

المكتب: شارع سوريا - بناية درويش - المستودع: حارة حريك - شارع ابو علي رحال - ☎: ٢٤٧٢٨٠ - ⊠: ٨٦٠١ - بيروت - لبنان
Off.: SYRIA Str. Darwish bldg. - Magazine: Haret Hreik Abou Ali Rahal Str. - Tel. 247280 - P. B. 8601 Beirut Lebanon

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول حسن الأمين بن السيد محسن الأمين : كان من طريقة والدي في كتابه (اعيان الشيعة) ان لا يترجم للأحياء ، وبعد وفاته سنة ١٣٧١ توفي الكثيرون من الأعيان الذين يجب ان يترجموا ، وكنت بعد وفاته قد تتبعت اسماء بعض من توفوا بعده واعددت لهم تراجم نشرت في الطبعة الأخيرة واشرت فيها إلى انهم مما استدركتهم على الكتاب ، وقد سقطت هذه الاشارة اثناء الطبع عن بعض الأسماء كأسماء الشيخ خليل مغنية والسيد محمد باقر الصدر والسيد هبة الدين الشهرستاني وغيرهم ، ويستطيع القارىء ان يدرك ذلك من ملاحظته تاريخ الوفاة ، فجميع من يكون تاريخ وفاتهم بعد تاريخ وفاة المؤلف هم بالطبع ممن استدركت تراجمهم على الكتاب .

ولم استطع تتبع اسماء جميع من يستحقون الترجمة لذلك فاتتني اسماء كثيرة وبعد انتشار الطبعة الجديدة دونت تراجم من فاتني تدوين تراجمهم في تلك الطبعة ، ثم انني اثناء مطالعاتي وجدت معلومات تتعلق بمن كانت قد نشرت تراجمهم من قبل وآثرت تدوينها كما وجدت ان بعض التراجم قد فاتت المؤلف ، فاجتمع من ذلك كله مقدار كبير مهم يجب ان يضاف الى الأصل فرأيت اخراجه في مجلد مستقل باسم (مستدركات اعيان الشيعة) وهو ما يراه القاريء في هذا المجلد .

وإذا بقيت في الحياة بقية سأظل اتابع وأدون ما استمرت الحياة ومن الله نسأل التوفيق والتسديد .

حسن الأمين

(آتش) ، حيدر علي فيض ابادي

ولد سنة ١١٩٢ وتوفي في لكنو سنة ١٢٦٣ شاعر هندي اشتهر بلقبه (آتش) لذلك ترجمناه في حرف الألف .

شاعر جرىء ، في شعره نفاسة في الخيال وقوة في الغرام ، وهو ذو منهج خاص في النسيب .

آصف الدولة

قامت في الهند ثلاث دول شيعية ، هي : العادل شاهية ، والقطب شاهية ، والنظام شاهية ، وهذه كانت في الدكن جنوب الهند .

ثم قامت بعد ذلك دولة رابعة هي دولة (أود) في شرق الهند ، ولم تكتف هذه الدولة بتبني التشيع ونشر لوائه ، بل كانت باعثاً قوياً على بث المعارف والثقافة الاسلامية وارقاء الأدب الأردوي . وكانت أول عاصمة لها مدينة فيض آباد ، وهناك كان النواب شجاع الدولة المتوفى سنة ١١٨٨ حيث التقى فيها من سائر صنوف الناس اعلاها ومن جميع الطبقات اشرفها ، وحيث ضمت اليها من كبار الأدباء امثال سودا ومير وغيرهما .

ثم قام مقامه ولده النواب ميرزا يحيى آصف الدولة فنقل عاصمة الدولة من فيض آباد الى لكنو . وكان آصف الدولة جواداً كريماً شاعراً . وهو صاحب فكرة إيصال الماء من الفرات إلى النجف الأشرف ، وبذل في هذا السبيل اموالاً طائلة حتى وصل الماء إلى أقرب مكان يمكن إيصاله إليه ، ولم يمكن إيصاله إلى النجف نفسها لعلوها .

وفي عهد آصف الدولة زخرت لكنو بالعلماء والشعراء والكتاب والمفكرين ، وامتلأت بالمدارس والمكتبات لا سيما التي تضم أمهات الكتب الشيعية ، وبرز فيها أول مجتهد هندي شيعي هو السيد دلدار علي ، ولمع فيها أكابر شعراء اللغة الآردوية أمثال سوز استاذ النواب نفسه ، وكذلك مير تقي مير وسودا من شعراء البلاط ، ومصحفي ومير حسين ومير شير علي افسوس وغيرهم من شعراء العاصمة لكنو .

وتتابع بعده الملوك واحداً بعد الآخر سالكين السبيل نفسه حتى آخرهم واجد علي شاه .

وقد كان آصف الدولة وواجد علي شاه من الشعراء المجيدين . وحتى اليوم لا يزال الأدباء يسندون اصولهم إلى عهود لكنو ، لان شعراء لكنو وفي طليعتهم ناسك ورشك هم الذين هذبوا اللغة الاردوية ونقوها من اللفظ السوقي ومن الأغلاط والكلمات الركيكة ومن رواسب السانسكريتية وشذبوا قواعدها وسووا منهجها ، أو بالأحرى اخرجوا منها لغة مستقلة كاملة تضم فيها تهم أصح الكلمات العربية والفارسية .

وهكذا ترسخت اللغة الاردوية في لكنو بالذات واصبحت لغة الدولة ولغة الثقافة ، يعبر بها العلماء والمثقفون في احاديثهم ومكتوباتهم ، فاكتسبت رقة الأسلوب ورشاقة اللفظ وعذوبة النسج ولطافة المغزى في الأمثال والاستعارة ، وكان رقيها رقياً نهائياً . (راجع ترجمة السيد مير علي الكبير في الصفحة ٣٤٩ من المجلد الثامن ففيها ذكر للمترجم) .

ابراهيم شرارة بن محمد عبدالله

ولد سنة ١٣٤١ في بنت جبيل (جبل عامل) وتوفي سنة ١٤٠٣ في بيروت

ودفن في بنت جبيل .

كانت دراسته الابتدائية في بنت جبيل واستفاد في اللغة العربية وقواعدها من صحبة الشيخ علي شرارة . هاجر في مطلع شبابه إلى افريقيا الغربية ولم تطل إقامته فيها فعاد إلى بلده وتعاطى بعض الأعمال التجارية . ثم استقر نهائياً في بيروت حتى وفاته .

هو من شعراء جبل عامل الذين واكبوا نهضته فكانوا لسانه في وطنيتهم وأدبهم . ومما وصف به بعد وفاته : ابراهيم شرارة كما تعرفه منتديات جبل عامل ومجالسه الأدبية ومهرجاناته واحتفالاته ومناسباته الأدبية والثقافية ، من رعيل الأدباء العامليين الذين كانوا يؤثرون ان يخاطبوا بنتاجهم الشعري والأدبي جمهوراً محلياً ، يعرفون نوابضه ويتواصلون معه على منابر متعددة قد يكون النشر اقلها رواجاً . وبغياب ابراهيم شرارة يغيب اسم في آخر سلسلة من الأسماء قد تكون مع اسلافها الأوائل في قلب تاريخ مطوي للثقافة العاملية ، يغدو أكثر فأكثر مستوراً ، لكن على ابراهيم وآخرين تم نقل الأدب العاملي من سلفية مفرقة الى نفحة معاصرة كانت تهب من حواضر الأدب يومذاك في مصر ولبنان والمهجر . ولعل صدى الرومانطيقية في لبنان ومصر تسلل الى أدباء جبل عامل الشبان آنذاك ليؤثر في كلامهم ونتاجهم وتؤثر الرقة الوافدة في اللغة العريقة الموروثة من شيوخ تشربوا الشعر من منابعه الأولى ، وسلكوه من اعرق مسالكه واوغلها في الزمن واشركوا فيه مشاغل اخرى تشمل المكتبة العربية القديمة بشتى فروعها . والأغلب ان شعر ابراهيم ينضم إلى تراث واسع لم يكتب له ان ينتظم في التراث اللبناني بكليته ، فقد كان هذا الأدب يتداول بين عائلات ثقافية ومنتديات ابرزها المنتدى الحسيني واماسي سمر ومجالس ادب ، وكان مكتفياً بتداوله هذا متآلفاً معه[1] .

وقال كاتب آخر متحدثاً عن مجموعته الوحيدة التي طبع فيها شيء من شعره وسماها (في قرانا) : اننا مع نصوص شاعر بقي في دائرة الريف العاملي حيث عاش وعايشه معظم اوقات حياته . ان الشاعر حين يستنطق الريف يدخل معه في خطاب رومانسي ، وينتقل به من العين الى الوجدان ، من الوصف الى العلن[2] .

وقال كاتب آخر متحدثاً عن المجموعة نفسها : في المضمون تتناول قصائده المكان القرية بفلاحيها وشجرها وحيواناتها وتبدلات الفصول مع نظم هذه العناصر في اطار الاصرار على الحياة ، كما تتناول قصائده انطباعات جمالية صادرة عن اطار ثقافي راهن ، وعن اطار ثقافي عريق ، وفي الشكل تبدو قصائد ابراهيم شرارة ناتجة عن تراث بيئته اللغوي العريق (جبل عامل) وتراث التحديث العربي في صورته اللبنانية ، شعر ما بين الحربين العالميتين .

ومن الرافدين اللغويين اتت قصائده اصيلة رقيقة في آن ونقلت افق الشعر الى الراهن بعد أن كان شعر جبل عامل محافظاً واستمرارياً[3] .

وقال كاتب آخر متحدثاً عنه بعد وفاته متطرقاً الى الشعر العاملي بعامة :

انَّ جبل عامل هو حكاية شعرائه ، تماماً كما ان شعراءه أيضاً هم حكاية جبل عامل . ولذا فإننا حينما نتحدث عن الأدب العاملي كمدخل لفهم أحد شعرائه ، فانه من غير الجائز اعتبار ذلك تطلعاً منا للفصل بين الكلمة في تلك المنطقة واختها في اي مكان من الوطن أو العالم ، ولا يجوز وصف ذلك بالانغلاق الثقافي والسياسي ، لأن ما نبتغيه هنا هو تشريح جدلية العلاقة لأرض حوت في جوفها ايحاءات ومصادر تاريخية شعرية لشعرائها ، تماماً كما رمل الخليج خبأ النفط الأسود لأهله .

انها علاقة الظل بالضوء ، والوجه بالمرأة ، والنكهة بالثمرة .

بهذا المعنى العميق والمنفتح لطبيعة سفر العاملي في رحاب ذاته فإن الشاعر الراحل ابراهيم شرارة « طائر غرد داخل سربه » العاملي . لكن هذا لم يجعله بالضرورة واحداً في جوقة كنيسية تردد نفس الكلام وذات اللحن ، لقد كان طائراً عاملياً بحق ، ولكن كان لصوته صدى مميز ولرفيف جناحيه اختلاجات لا تشبه اختلاجات قلبه .

ولعل مقدرة ابراهيم شرارة على انتزاع تمايزه الفني من دون ان يترتب على ذلك خروجه من المؤسسة العاملية الشعرية القديمة ـ لعل هذا بحد ذاته هو واحد من أهم خصائص الشاعر ومميزاته .

فالمؤسسة الشعرية العاملية ، وبشهادة النقاد والعاملين في تاريخ الأدب هي مؤسسة قديمة جداً ، وأهم ما يميزها في هذا المجال هو واقع أن سنوات عمرها المديدة لم يصبغ نتاجها بالملل والتكرار ، كما هي العادة غالباً حينما تكون المصادر الفنية لاجيال متلاحقة هي ذاتها أو قريبة التشابه .

وكثيراً ما طرح السؤال : لماذا لا يكرر الشعراء العامليون انفسهم طالما أن شروط التكرار واخطاره موجودة ؟!

ان ابراهيم شرارة هنا هو واحد من الأجوبة التي ترضح هذا الأمر للمتسائلين .

فابراهيم شرارة ظل عاملي القلب ، وحسيني الدمعة والدم ، ولم ير في غير التبغ عبقاً يجسد رائحة الانسان ، ولم يخرج في شعره عن جذوره[4] ومع ذلك كتب كلاماً جديداً وقوافي جديدة ، رغم أنها لا يمكن الا وضعها في ملف «الشعر العاملي الحسيني» ، اتسم بالصدق وتلظى حرارة الاحساس عند التعبير والنظر إلى الأشياء . وأدب كالأدب العاملي سمته الصدق في أهم اعمدته ، هو ملتزم في جوهره حتى قبل أن تأخذ هذه الكلمة تحديدها الاصطلاحي الفني . ولذا فإن احد أهم الشعارات التي سارت تحتها مظاهرات الحداثة الالتزام . . . الكلمة السيف ، كانت اصلاً في صلب الأدب العاملي الذي يغني قضيته التاريخية .

ويتجلى هذا الأمر في الأدب العاملي الى درجة ان البعض يأخذ على العامليين التزامهم هذا ، وينعته بالانغلاق والبقاء عند الاطلال . وكان يمكن لنا أن نسلم جدلاً بهذا الكلام لو أن شعراء جبل عامل اكتفوا بالماضي أو لو انهم لم يأخذوا من الماضي هوية نضالية ليعلنوا عبرها انتماءهم لقضايا الحاضر .

ان البعض ، ولأسباب غير مقدسة لا يريد أن يفهم او يقر بأهمية المصادر الفنية العاملية ، ويريد أن ينكر على الأدب العاملي مشروعية مصادره واهميتها ،

---

(١) عباس بيضون .

(٢) محمد علي شمس الدين .

(٣) محمد فرحات .

(٤) المقصود بالتبغ هنا : هو ما يزرعه منه العامليون في حقولهم ويكدون في هذا الزرع ويكدون .

ولو حتى كان يجافي بذلك احد أهم شعارات الحداثة أو أحد ابرز الحقائق الانسانية المسلم بها والتي تعترف بأن الأدب العالمي الراقي هو نتاج الحزن البشري السامي . فروسيا كتبت من الأدب اجمل ما كتبته خلال تلك الفترة التي كانت تتخلص فيها من القيصر أو تتذكر فيها بعد تضحياتها في هذه المعركة . . . والعرب ما كان الشعر فضيلتهم ، لو أن الصحراء بطبيعتها وتركيبتها الاجتماعية كانت اسمح معهم وأرق وأكثر لطفاً . وكتاب دول امريكا اللاتينية يكتبون اليوم والعالم يستمع إليهم . ويمكن لنا أن نذهب ابعد من هذا لنقول : أن حوار الشمال والجنوب المعاصر « حوار الفقراء والأغنياء » يظل حوار طرشان إذا ما أخذ من زاويته السياسية ، لكنه يظل حواراً فنياً من الدرجة الأولى ، وهو بحق يمثل واحداً من أهم المصادر الفنية الحقيقية لأدب هذا العصر .

كان هذا يقودنا إلى استنتاج مركب يخص الشاعر في جانب منه ويخص مؤسسته الشعرية العاملية التي ينتمي إليها في الجانب الآخر . فالشاعر اكتسب تمايزه بامتلاكه للموهبة ، وفيها شكل انتاجه الفني لوناً جديداً هو مزيج من الأمس واليوم في مصادره واسلوبه وتطلعاته . . . والواقع ان مثل هذه الألوان الفنية التي انتجها الشعر العاملي في غير فترة هي التي كانت دائماً تمد « المؤسسة الشعرية العاملية » بدم الاستمرار .

وإذا كنا قد سلطنا الضوء على كيفية تعامل الشاعر مع مصادر الأدب العاملي ، فإن الواقع يستلزم منا التنويه إلى أن الشاعر كان له إبداع آخر مع الحداثة في الأسلوب ، في الكلمة الشعرية كتابة وممارسة(١) .

شعره

مرت له في هذا الكتاب قصيدتان رثائيتان : الأولى في الصفحة ١١٢ من المجلد الثامن والثانية في الصفحة ٤٤٥ من المجلد العاشر ، وقد صدرت له مجموعة شعرية صغيرة سنة ١٩٦٦م بعنوان (في قرانا) وظلت بقية شعره مخطوطة لم تنشر .

وكان آخر ما نظمه أبياتاً وجدت تحت وسادته في المستشفى نظمها وهو على فراش المرض قبيل وفاته :

بيتي على الرابية الحالمة ... اشتاقه في اللحظة الحاسمة
وانثني من ذكر احجاره ... كأنني في سكرة دائمة
حين رماني الداء في كوة ... مظلمة كالليلة القاتمة
اشتاق أن انشر اخباره ... على ضفاف الموجة العائمة
اشتاق أن توقد شمس الضحى ... على جناح الشرفة النائمة
فقبلوا اذيال اذيالها ... ما قام في خاطركم قائمة

قال في أمير المؤمنين علي عليه السلام :

بيَ زهوي ، فقد حضنتُ النهارا ... واختيالاً أعانق الأنوارا
أنا في يومك التمنع والفيضُ ... عطاياي من يديّ غيارى
قبضتْ راحتي على قطرات . . ... من معانيك ، تلهمُ الأفكارا
كنتُ خليتُها لنفسي شراباً . . ... ثم اطلقتُها ، فكانتْ بحارا . .
خطرةً من سناك تلهمُ روحي . . ... خطرةً من ضحاك تهدي الحيارى !
أيّ يوميك يا عليّ ، فأدنوا . . ... منكَ زُلفى ، تباركُ الأشعارا
يومَ سميت يا عليّ ، فكان . . ... الكبرُ معناك ، والعلاءُ شعارا
كان يوماً ، ومكةٌ في ضجيج ... الشرك تُفني ايامَها استهتارا . .
وُلد الطّفلُ في حمى الكعبة الطهر . ... فبشرى تفتّقتْ في الصحارى
تزرع القفر نعمةً ، والرمالَ ... البكرَ ، عزاً ، والمكرمات فخارا
قدّر الله أنْ تكون فتاها . . ... والمروءات تنتخي والشفارا .
وعلى الكوفةِ الجريحةِ يومٌ ... صبغَ الصبحَ من دماك احمرارا
كان شهر الفرقان ، في رمضانٍ . . ... كل نفس به تُوَقّى العثارا
ليلةَ القدرِ ، والملائكُ أرواحٌ ... تنزّلنَ ، والقلوب عذارى
لم تُحرَّقْ بجمرة الدنس الغاوي ... ولا أُلبستْ هواها إزارا
في خشوع الصلاة ، في هدأة المحراب ... والنفس تُطلقُ الأسرارا
لاب أفعى ، واندسّ في المسجد ... المحزون ، وانهالَ مجرماً غدّارا
وحسام ابن مُلجَمٍ ، يلعقُ الجرمَ ... ويقتات خزيه والعارا . .
ضربةٌ ! والامام يهزأ بالسم . . ... فكانتْ صلاتُهُ استغفارا
ضربةٌ ! والشهيد يحتطبُ الخلدَ ... وعبد العبيد يحطبُ نارا . .
ضربةٌ ! وانطوت ، لتُنشرَ فينا . . ... صفحةً منكَ تملأ الأسفارا
كان عمراً ما بين يوميك ، شال ... الدهرَ كبراً ، وروّع الأقدارا
كان عمراً يطيل من أمد الدنيا ... ودنياً تطوّلُ الأعمارا
شَرُفَ المنتهى ، كما عظم البدءُ ... وعزّاً شهادةً وافتخارا ! . .
أيّ يوميكَ ، كل ما فيك مجدٌ . . ... يتعالى ، ورفعةٌ لا تُجارى
رائع فيهما ، وتزدحم الدنيا ... طوالاً دهورها لا قصارا
سَلْ بها مطلع النبوةِ والاسلام ... وادعُ الصحاب والأنصارا
يومَ بدرٍ ، وذو الفقار على ... الروع ، حتوفٌ ، يُزلزل الكفارا
ووسادَ الرسول ، ليلة كادوا . . ... بالرسول افتديته إيثارا . .
سَلْ بها خيبراً ، وقد هُزِمَ الشرُّ ... وهلّلتْ وازدهيتَ انتصارا
أين ما شدّ من عزيمتك البكر . . ... فدكُ الحصونَ ، والأسوارا
خيبرٌ تلكَ ، عند مرمى حدودِ ... زعموها وقسموها صغارا
في فلسطين . . عند مرمى ندائي ، ... واليهوديّ مجرمٌ لا يُبارى
خيبرٌ ها هنا . . وقد شوهوا القدس ... وداسوا حرماتِها استصغارا
خيبرُ دارنا . . ونحن بها العانون ... سُكنى ، والضائقون جوارا .
وأخي النازحُ الملوّح شلوٌ . . ... بين انياب حاضنٍ يتضارى
يُطعَمُ الكِسرة التي حسبوها . . ... مهرت موطناً وشادت دارا
وطني ليس سلعةً ، في يد التجار ... ذُلّوا وراوغوا تجارا
بيَ عودٌ إلى مشارف يافا . . ... ما تمادوا فلن اجلّ انتظارا
وربوع الجنوب ، أرضي كفاحي ... ينشر المستبدّ فيها الدمارا
خنجر في يد الفجور وشعبٌ ... اعزلٌ ليس يرهب الفجارا
وغداً سوف يزأر الخنجر الحر . . . ... بحقي . . ويقتل الجزّارا ! . .
يا علياً ، يا فيصلاً في يمين ... الله . . يا وثبةً تخوض غمارا
انتِ من زرع أمتي . . من عطايا ... وطني . . . تنتخي وتحمي الذمارا
هاتِ وحّدْ صفوفنا . . واجمع ... العرب سبيلاً ، وامةً وديارا ،
لا حدوداً ، لا ظلمةً ، لا سجوناً ... لا دخيلاً بها ولا استعمارا

(١) ناصر شرارة .

يا ابن عم النبي ، تقفو خطاهُ . .
قدَّر الله منذ أن بدأ الخلق
واصطفى أحمداً رسولاً اميناً . .
رفّةٌ من جناح جبريلَ ، لولاها
لقرأنا نهجاً كقرآن طه . .
غفر الله لي ، وحُبّك أوحىٰ لي
يا امام الأحرار . نوّرْ لنا الدربَ
كلَّ عام لنا ، ببابك ، طابت . .
جئت للكون مرّةً ، وهو يرجو
مرة والرجاء، يوغل في الدنيا
واحداً في الزمان . . وهو مجيءُ . .
يا امام الثوار ، تنهّدُ جباراً
كلَّ يوم لنا بدربكَ زحفٌ . .
يا علياً ! وماج في حَبّك الصبح
اعطني من لدنكَ زهوَ القوافي . .
اعطني من لدنكَ جمر المروءات . .
أجد الفيءَ من جناحيكَ يحويني
هات منكَ الرحيق . . نسكرُ صاحين
نشأ الشعر في رياض معانيكَ
خطرة من سناك تلهم روحي . .

وعلى الدرب ، حيث طه أنارا
فتوحاً ، لدينه ، وانتشارا
صَدَق الله فيه حين اختارا
تشقّ السما وتنزل غارا
وكآي ابن مريم للنصارى
غلوّي ، وزيّن الأفكارا
فأنت اصطفيتنا احرارا
وقفةٌ عنده وَطِبت مزارا
منكَ في الدهر لو أتيتَ مرارا
ولن يَبْلغَ الرجاء القرارا
واحدٌ ، ما أعيدَ دهرٌ ودارا
وفي الله تصرع الجبارا . .
للمعالي تمضي لها إعصارا . .
قريضي . . ولألأ الأنوارا
وعَجيباً إن لم تسِلْ أنهارا
فألظَى ، وقد عصرتُ النارا . .
فآوي ، وقد هدأتُ قرارا
على سكبه . . ونصحو سكارى
فأعطَى . . وأطعم الأثمارا . .
خطرةٌ من ضحاك . . تهدي الحيارى!

وقال :

عطوركِ ! وانسابَ نبعُ الشروقْ
فللخطوِ ، ترنيمةٌ كالصلاةِ
صديقُكِ نيسانُ ما لاح بَعدُ
وسابقت فينا ، ربيعَ الكروم
فمن أين فوَّحْتِ هذا العبيرَ؟
تفتّقْتِ في الدرب أكمام ورد
وغار الأقاح فالوى خجولاً
فعند الشقائق عطر الجراحَ
وضاقت دروب الضياء . . فلاذ
وانتِ وعطركِ ، لاذت به
تمنيتُ لو أنني قطرةٌ
فان هدهدتني يدٌ بضةٌ
وفيتُ النذورَ ، حرقتُ البخورَ
لأولدَ في فم قارورةٍ
وفاح العقيقُ بخاطر دربي
عقيقٌ تمثّلَهُ خاطري
ففوحي ، وخَلّي العقيقَ يفوحُ
سكرتُ من العطرِ ، في غير سكب
ورحتُ أشمّ الرحيق المذابَ

ورفَّ رفيفَ الجناح الطليقْ
وللدرب ضلعٌ ينزُّ الخفوقْ
فأين تخلّف ركب الصديقْ
وعانقتِ قبل الصباح البريقْ
وعن أيّ شمسٍ لمحتِ الشروقْ !
فقدَّستُ مجد الورود الفتيقْ
على الروض ، واحْمرَّ خد الشقيقْ
وعند الأقاحي ضلوع تتوقْ !
النهار بكوةِ فيءٍ سحيقْ
حياتي ، فما فيكِ دربٌ تضيقْ
بعطركِ ، اغفو ، ولا استفيقْ
واهرقني منكِ مسّ رفيق
وأشعلتُ زيت دمي في الحريقْ
وأفنى بمنعطفات الطريق ! .
وخاطر شعري الذي لا يطيقْ
ليكنزَهُ ، كنزَ مجدٍ عريقْ . .
فإني أحبّ اكتناز العقيقْ !
فعطرك كالسكب خمرٌ عتيقْ
بقلبي ! وكيف يُشَمّ الرحيقْ

واغرقتِ قلبي ، بجدولِ طيبٍ
كنوزكِ ، والثغرُ والمشتهىَ
وطعم الثمار ، وارجوحتان
وجفنٌ يخبىءُ أحلامَهُ

فعاش على راحتيكِ الغريقْ !
على شفتيكِ ، وقَدّ رشيقْ
تواثبتا ، في الحرير الرقيقْ
وجفنٌ يبوح بسرٍ عميق

وقال :

هادىء مثلما يسيلُ الغدير
لم أزل أعصبُ الضلوعَ عليه
خضّبَ الوحيُ بالفتونِ جناحيه
حبنا !! وارتمى الفَراش على النور
همسةُ الفيءِ للضفاف . حكتها
كدمانا التي بذرنا . . فعاشت
نحن من زرع ما أرقنا من الدمع
شفقٌ يزرع اللهيبَ على الأفق
كان مهر الهوى . . وقد بسمَ الحبّ
كنذوري ، مشاعلي وزيوتي
نحن والحب ، ظامىءٌ وكؤوسٌ
وُلد الحب خفقةً تعصر الضلعَ
يا هوىً ناشئاً على شرفاتِ الفجر
دافئاً كالسماح . . ريانَ كالأفياء
ضاق عنه المدى الفسيحُ . . وضجٌ
حلَّ أضلاعنا ، فأينع شوقاً
وطعمناه من لبان أمانينا
وحرقنا له البخور لينمو
مَهْدُهُ في اختلاجة النبضةِ الحرى
أيّ حبٍ هذا الذي زرع الدنيا
يا هوىً سائحاً على لألآتِ النجم
كملت رحلة النهار . وقرَّت
ومضى يعمر الدجى . فهو فيه
رحلةً تصنع الحياة . على الأيام
يا هوانا! وانصتَ الجدول الصاحي
وتلاقت امواجه والنسيمُ
واذا الموج والنسيم كتابٌ
كل شيء يغار في الحب منا
لو تفانى الخرير، لو عشق الصفصافُ
امنياتُ تبوح في خاطر العمر
يا هوىً يستحمّ في ضفة الحلم
يتعرّى كي ينسج الحلم ثوباً
مستراح الندى هناكَ . . مقيلٌ
ومراحٌ للشاربين ومغدىً
وافاق الربيع يهزج للحب

وقويّ كما تموجُ البحورُ . .
كي يعيشَ اللظى وتحيا الصدورُ
فغناه خاطري المفطورُ
ليفنى صبّ وينهلُ نورُ
ضفةٌ سمحةٌ ، وفيء قريرٌ !
في الحنايا . وأطعمتنا البذور
وما صَبّهُ الدم المحرور
خضيبٌ أصيله والبكور
فأعطت كما رغبنا المهور
وهجٌ . . وابتهالةٌ ونذور
سكر الحب أو صحا المخمورٌ !
وتهفو . . . [illegible] ظي . . وتثورُ
أوطانه الندى والزهور
نُعمَى غلاله وسرور
العمر فيه . . فالعمر فيه دهور
ولهيفاً وباح عنه الزفير
أمانيٌ رزقها موفور
فنما الحب وافتدانا البخور
وسكناه في الزمان الضميرُ
رجاءٌ . . فهو الرجاء النضيرُ !؟
منه طيّ وفيه نشورُ
كرة الشمس ، فهو شمس تدور
لألآتٌ وأنجمٌ وبدورُ
فهو الحياةُ حيثُ تمور
واغفى على النشيدِ الخرير
المترامي . . والشاطيءُ المعمور
عن هوانا وصفحةٌ وسطور !
لو يوافيه من هوانا اليسير !
يوماً ، ولو أحب الغديرُ
فيحلو قليلها والكثيرُ !
أباريقه المنى لا النميرُ
بعض ألوانه الشذى والعبيرُ
الظل . . مأوىً تُلَمّ فيه العطور
للنشاوى . . وساكبٌ وخمور
وغنت مع الربيع الطيور

نحن دنيا الشروق.. نحن حروف — النــور، آمالنــا ربيــع غضــيرُ
غــزلت ضوءنــا الشموس فشـدنـا — مــوئــلاً في الــذرى رجتــه النســور
واقــامــت حــدودنــا في دروب — النـور، فانـداح في ربَـانـا النـور
حبـذا منتهى الـزمـانِ فقـرّي — في مــداه ولـلزمــان ضمــير!..

وقال:

يــا دفقـة النــور صبـاحَ الغــد — أنــتِ وآمــالي عــلى مــوعــدِ
مقــامُنا عنــد احتضـار النــدى — بين الضحى، والليل، والفـرقدِ
حشــائشُ مفــروشــةٌ، هــهنــا — وههُنــا، فحيث شئتِ اقعــدي
والروض، حضنٌ دافئٌ، والهوى — وســادةٌ من مهجتي، فــارقــدي
مــا أطول الليــلَ الــذي بيننــا — أواه، مــن مــفــرقــه الأســود
لــو أنني املكُ ركـب الضحــى — ولــو تنــاولتُ الــدجى في يــدي
قــذفت بــالليــل وســاعــاتِــهِ — حتى يــوارَى من طــريــق الغــدِ
كم مـوعدٍ لي منكِ في خـاطري — يضيق، كــالسقم، بــه عــوّدي
والمــوعــد الحــلو، عــلى مُــرِّهِ — يحســدني في مــره حسّــدي
أليس بعــد الملتقــى فــرقــةٌ — وهــل يكــون الملتقى مسعــدي
كيف أروّي العمــر مـن لحـظةٍ — يـتيمــةٍ كــالأبعــد الأبعــد!
النــار في قلبي شبــوب اللظى — أنـت لهــا بــردٌ فــلا تبـعــدي
إن نبترد، فــاثنــان في بــردهــا — أو نحترق فاثنان في الموقد
فــاقبــلي فــالعمــر وقفٌ عــليّ — لقيــاكِ، يــا أحلى من المــوعــد!

وقال من قصيدة بعنوان (في قرانا) ويقصد بها قرى جبل عامل: كما جعل هذا العنوان لمجموعته الشعرية الوحيدة التي طبعت وكان منها هذه القصيدة:

في قرانا! يورق النور
اشتهاء لقرانا!
كدّسته الشمس أكواماً
على صحو ذرانا..
كعروسٍ، غرقتْ بالنّور
في جذول فضّهْ
وعلى خطوتها، تشهق في
الأضلع نبْضهْ
والفتى نيْسانُ يحتلّ
على السهلِ، مكانا.
ورجالٌ في سُفوح المجد
يبْنونَ الزّمانا
في قرانا!..
في قرانا أزْهر اللّوزُ
وفاح البيْلسانْ
واللّهيبُ الأبْيضُ، المزهوّ
عرسٌ في الجنانْ
أشعلتْهُ أنْمُل الخالق
زهراً يتلالا
والنّدى يشْربه الفجرُ
ويسقّيه حلالا!
والفتى نيسانْ!
ضيْفُنا نيسانُ بالبابِ
ربيعٌ منْ جديدِ
فافتحوا الأبْوابَ للقادمِ
في موكبِ عيدِ
إنّه يحملُ أزراراً
وشمساً، وظلالا
وقواريرَ من العطْرِ
وزرْقاً، وغِلالاً
والفتى الإنسانْ
الإلهُ المتنضي معْولَهْ
في كل تلّهْ
دمُهُ المعروقُ ينْسابُ شذى
من كلّ أفلة
إنّهُ الإنسانْ
الإلهُ المنكرُ الأصغرُ
أو شبهُ الإلهْ
يحصُدُ الموْتَ ليبقى
خالداً مجدُ الحياهْ
ذاتُهُ حقلٌ من الحب
ومنْ زرع المنى
فدعوا نيسانَ يختارُ
مقيلاً عندنا..
فالرّفيقانِ على العهدِ
أقاما مهرجانا
في قرانا!..
في قرانا! عند مرمى الصوتِ
من أرض المَعَادِ
مارقٌ يفزعُهُ أنيَ حرٌّ
في بلادي
بدْعَةُ العشرين، عار الجيل
لا يمحوه ماحي
فتعالوا نغسل العار
بمخضلِّ الجراحِ
والفتى نيسانْ!
عزمةٌ مؤمنةٌ تحرس
في صف الجنودِ
ضاحكاً يسخرُ من أسطورةٍ
خلف الحدودِ
إنه يحمل إيمانَكَ

بالأرضِ السليبةْ
وقواريرَ من الموتِ
لأعداء العُروبَةْ
والفتى الانسانْ
الشهيدُ الحيُّ يلظى
بمروءات الرجالِ
صابراً ينتظر الموتَ
فداءً عن تلالي
أنه الانسانْ
عربياً كفلسطين
سيبقى عربيّاً !..
يُنكرُ العيْشَ مع الذلةِ
أو يقضي أبياً !
فدعوا نيسان يختالُ
شباباً وفتوّةْ..
وازرعوا الإنسانَ في الخندقِ
كي ينبت قوّةْ
فالرفيقان على العهد
أقاما مهرجانا
في قرانا !..

أبو الحسن شمس آبادي بن محمد ابراهيم

ولد في اصفهان سنة ١٣٢٦ واغتيل سنة ١٣٩٦ في اطراف اصفهان .

درس المقدمات والسطوح في اصفهان . ثم سافر الى النجف ودرس على كبار علمائها ، ثم رجع إلى أصفهان فكان من مراجعها له : شرح الصحيفة السجادية ، موعظة ابراهيم ، رسالة في اصول الدين وغير ذلك .

الحاج ميرزا ابو الفضل الطهراني

نشر له ديوان باللغة العربية بتحقيق جلال الدين الارموي المحدث فكتب عنه السيد أحمد اللواساني في مجلة الدراسات الأدبية ما يلي :

هذا الديوان العربي مظهر لامتداد اهتمام الأدباء الايرانيين باللغة العربية وآدابها حتى العصر الحاضر ، فصاحبه الحاج ميرزا أبو الفضل الطهراني وهو عالم ديني مرموق توفي سنة ١٣١٦هـ . وقد تمكن من العربية وراضها قبل أن يهاجر الى العراق ـ سنة ١٣٠٠هـ ـ انتجاعاً للعلم وتكملة للمعرفة حيث بقي عشر سنوات يتتلمذ ويتفقه على مرجع عصره الامام السيد محمد حسن الشيرازي ، وبعد عودته إلى طهران فوض إليه الملك ناصر الدين شاه جميع شؤون المدرسة الناصرية الحديثة البناء ، وفي بعض القيود أنه هو الذي افتتح مدرسة سپهسالار التي هي اليوم كبرى المدارس الدينية في طهران واسكن فيها الطلاب واشتغل بالتدريس فيها . وتعد له كتب التراجم الحديثة عدة كتب ورسائل ، وتجمع كلها على ملكته الشعرية وطول باعه في العربية وحسن اطلاعه على الأدب العربي ، والغريب أنه وهو الايراني الفارسي اللغة والمنشأ والختام لم يعرف عنه في الفارسية إلّا قصيدة واحدة .

وتكثر في الديوان القصائد الطوال التي يبدو أنها من خصائص شعر الناظم ، كما أنه عامر بالمقطعات المتوسطة والصغيرة وخاصة الرباعيات والموشح والتخميس .

أما القصائد الطوال فمعظمها في المدح ، وهو مدح يكاد ينحصر بالنبي والأئمة والزهراء ثم بالسيد محمد حسن الشيرازي علامة عصره الذي تطغى شخصيته على الديوان ، فنقرأ اسمه مع مدائح الأئمة كما نقرأ اسمه مستقلاً ، وقلما تفوت ذكره والاشادة به مديحة من المدائح الطوال .

أما اسلوبه فهو الأسلوب القديم من الابتداء بالغزل أو الخمرة وما شابه ، ومن تعظيم شأن الممدوح وتشبيهه بالتشابيه المجسمة المبالغ فيها وجعله فوق مستوى الناس العاديين ، وأما تعابيره فسهلة واضحة على الغالب رغم استعماله بعض الكلمات الغريبة ، وله في أشعاره تعابير واشارات إلى قصائد شعراء آخرين أو احاديث أو وقائع تاريخية تدل كلها على سعة اطلاعه وكثير تبحره . . .

وعلى سبيل المثال ننقل قوله :

أيها المنكرُ المُكابِرُ جهلاً ... فضل أهل الزمان من غير لُبّْ
جيءْ بسيفٍ من آلِ حمدانَ يوماً ... كلَّ يوماً أجئْكَ بالمتنبي

ومن شعره كذلك :

مهلاً فما هي في الكؤوس عقار ... بل هذه مهج القلوب تدار
يا من يصول على القلوب بمرهف ... من لحظه والموت منه غرار
رفقاً واني فيك ينجع لوعتي ... وتجنني والظلم منك شعار
أفدي لواحظك التي ان تلتفت ... من لمحها ظبي الصريم تغار[1]
عجباً للثغة لفظك الغنج التي ... للقلب منها نشوة وخمار
يا من سبى عقلي واسلمني الى ... وله الصبابة طرفه السّحار
لم لا تجود بوعدة من منطق ... من لطف لثغته العقول تحار

الشيخ أحمد آل كاشف الغطاء

مرت ترجمته في موضعها ولم تذكر سنة وفاته ، توفي سنة ١٣٤٤ .

السيد أحمد الخونساري

ولد سنة ١٣٠٩ في خونساروتو في سنة ١٤٠٥ في طهران ودفن في قم درس دروسه الأولى في خونسار ثم في اصفهان ثم انتقل الى النجف الأشرف فحضر على السيد كاظم اليزدي وشيخ الشريعة الأصفهاني والشيخ حسين النائيني والشيخ ضياء العراقي ، ثم جاء إلى قم فحضر على الشيخ عبد الكريم الحائري ، ثم استقر في طهران وبقي فيها حوالي الخمس والثلاثين سنة مرجعاً من كبار مراجعها .

ترك من المؤلفات : ١ ـ جامع المدارك في الفقه ٢ ـ العقائد الحقة ٣ ـ حاشية على العروة الوثقى ٤ ـ مناسك الحج ٥ ـ رسالة عملية .

ابو العلاء المعري احمد بن عبدالله

مرت ترجمته في الصفحة ١٦ من المجلد الثالث ونزيد عليها هنا ما يلي :

مر في ترجمته شعر له يدل على تشيعه ، ونزيد هنا على ذلك الشعر هذين البيتين :

لعمرك ما أسر بيوم فطر ولا اضحى ولا بغديرهم

وكم ابدى تشيعه غوي   لاجل تنسب ببلاد قم

ومعلوم ان الشيعة يعتبرون يوم (غدير خم) ، وهو اليوم الذي خطب فيه النبي (ص) بعد عودته من حجة الوداع خطبته الشهيرة التي قال فيها : « من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » وهو اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة ـ معلوم ان الشيعة يسمون هذا اليوم (عيد الغدير) ويحتفلون به ، وابو العلاء يذكره هنا مقروناً بعيدي الفطر والأضحى ، اي يعتبره عيداً اعتبار الشيعة له ، وليس من دلالة على تشيع ابي العلاء أوضح من هذه الدلالة . (انتهى)

وبعد هذا نأخذ مما كتبه الدكتور حسين مروة في دراساته عن ابي العلاء لا سيما عن ديوانه (سقط الزند) ما هذا نصه :

هل خلا ادب « سقط » الزند من الادب القومي ؟ كان ابو العلاء مفكراً انسانياً يتأبى النزعة القومية ويرفض « التضييق » على نزعته الانسانية بأن « يحدها » اطار من النظر الخاص الى نسبته العربية ؟

لا بد أن يرد مثل هذا السؤال على اذهاننا ، ولا بد ان نقارن ابا العلاء بصاحبه ابي الطيب الذي نفح عروبته بقصائد ذات صيت معروف ، ثم نسأل : أكان لتلك الصحبة الروحية الحميمة بين ابي العلاء وشعر ابي الطيب اثر ظاهر في شيء من ادب شاعر المعرة ؟

اما في « اللزوميات » فقد يكون البحث عن هذا بحثاً لا يجدي ولا يثمر ، اذا كان القصد ان نعثر فيه على كلام مباشر يتحدث عن شأن خاص بالعرب ، من حيث علاقته بهم وعلاقتهم به ، او من حيث موقفهم السياسي او العسكري من اعدائهم والطامعين في بلادهم او في موقف اعدائهم منهم .

ولكن سنجد في « اللزوميات » افكاراً وآراء كثيرة تتسم بالطابع الفكري النظري

وهي ذات مقاصد سياسية واجتماعية متأثرة بجوهر الأوضاع السياسية والاجتماعية التي كانت تسود المجتمع العربي الاسلامي في عهده ، وكانت الدولة العربية الإسلامية ، بوجه عام ، مصدر الكثير من هذه الأوضاع . انه يتحدث هناك عن الرؤساء والأمراء اذ يراهم يَعْدون على « الرعية » ، وهم اجراؤها ، ويتحدث عن مظاهر الفساد والاضطراب في مختلف مناحي الحياة العربية يومئذ ، ويتحدث عن المظالم الاجتماعية تصيب فئات المجتمع الضعفاء ، وعن سوء توزيع الحظوظ بين الناس ، الى غير ذلك من الانعكاسات الحقيقية الصادقة عن أوضاع المجتمع والدولة في شعر « اللزوميات » كما يعرف الجميع .

ولكن ، ما إلى هذا النوع قصدت ، حين وضعت السؤال بأمر الشعر القومي في أدب أبي العلاء . بل قصدت إلى وجه آخر من هذا الأمر ، حيث يبدو الشاعر وكأن احساساً ينبع من وجدانه الشاعري فيهز ملكاته وأدواته الفنية للتعبير عن عاطفة الاعتزاز بقومه : بتقاليدهم ، بمفاخرهم ، بشمائل معينة من أخلاقهم ، بوقائع معروفة من فعالهم ، بمزايا مأثورة من مزاياهم وخصائص تاريخهم . . هل في شعر « سقط الزند » شيء من هذا ؟

نعم ، وهنا لنا فارق جديد بين « سقط الزند » و « اللزوميات » ، أو بين المعري في مرحلتيه : الأولى والثانية :

نقرأ قصيدته التي مطلعها :

هو الهجر حتى ما يلمُّ خيال

وبعض صدود الزائرين وصال

وعجيب ان المعري يخرج من المطلع هذا ، ليدخل رأساً إلى موضوع القصيدة ، دون أن يستنفد شيئاً من طاقته في ما عوَّدنا إياه من تقديم الغزل والنسيب ووصف المسير والإبل والفيافي ومشاق الاسفار وظلمات الليالي وعصف الرياح ومشاهد النجوم ووهج السيوف واكتظاظ الرماح ، إلى نهاية السلسلة . . ينتقل من المطلع رأساً ، وهو طافح العنان ، إلى حديث هذا الفتى العربي الذي « تقصر الابصار عن قسماته » وتقوم الهيبة والجلال يسترانه دون كل ستر يمنع النظر إليه ، ونحن لا نعرف من هو هذا الفتى المهيب ، ولكننا نعرف انه قائد معركة دارت في « حارم » من شمال سوريا ، وأن المعركة كانت على الثغور بين جيشه وجيش الروم الذي اعتاد أن يغزو بلاد العرب على تلك الحدود ، ويهيجنا الشاعر لأن نصغي ونرى كيف يجيش على الخيل التي يقودها الفتى العربي بحر من الكتائب ، وتخرُّ إليها الشهب وهي نصال ، وكيف يترامى إلى المعركة :

فوارس قوَّالون للخيل أقدمي

وليس على غير الرؤوس مجال

لهم أسف يزداد اثر الذي مضى

من الدهر سلما ليس فيه قتال

بأيديهم السمر العوالي كأنما

يشبُّ على اطرافهن ذبال(٣)

وبعد قليل نرى الشاعر ، في انقضّ الحماسي ، وقد انقضّ على جماعة الروم الغزاة ، حين تصورهم في غمرة الذعر وشدة المحنة عند لقاء الكتائب اليعربية ، فإذا هو يجهز عليهم بهذا الهدير :

بني الغدر ، هل ألفيتم الحرب مُرة   وهل كفُّ طعن عنكم ونضال

وهل أطلعت سحم الليالي عليكم   وما حان من شمس النهار زوال(٢)

وهل طلعت شعْث النواصي عوابسا   رعال ترامى خلفهن رعال(٣)

لها عدد كالرمل المبرّ على الحصا   ولكنها عند اللقاء جبال(٤)

فان تسلموا من سورة الحرب امرة   وتعصمكم شم الأنوف طوال(٥)

ففي كل يوم غارة مشمعلَّة   وفي كل عام غزوة ونزال (٦)

خذوا الآن ما يأتيكمُ بعد هذه   ولا تحسبوا ذا العام ، فهو مثال

ونجري سراعاً مع الشاعر ، لكي نرى خيل الكتائب العربية ، وهن :

يردن دماء الروم ، وهي غريضة   ويتركن ورد الماء ، وهو زلال(٧)

تجاوزه بالوثب كل طمرَّة   تمازج في فيها دم ورؤال(٨)

تدانت به الأقران ، حتى تجاثأت   كأن قتال الفيلقين جدال(٩)

وقد علم الرومي انك حتفه   على ان بعض الموقنين يخال

فما كبروا حتى يكونوا فريسة   ولا بلغوا ان يُقصَدوا فيُنالوا

ونجول جولة ثانية في « سقط الزند » ، فإذا بنا نقف دهشين أمام هذا المستهل يفجؤنا منه هذا الصدى المتجاوب المرنان :

---

(١) الذبال : جمع ذبالة ، وهي الفتيلة المشعلة .
(٢) السحم : السود .
(٣) رعال : جمع رعيل ، وهو قطعة من الخيل .
(٤) المبر : الزائد أبرّ : زاد .
(٥) سورة الحرب : سطوتها وشدتها . ويقصد بشم الأنوف هنا : الجبال العالية .
(٦) أشمعلّت الغارة : انتشرت في العدو .
(٧) غريضة : طريئة .
(٨) فرس طمرة : وثابة . الرؤال : اللعاب .
(٩) الضمير في البيت يرجع الى الماء . تجاثأت : أي جثت على الركب .

لقد آن أن يثني الجموحَ لجامٌ   وأن يملك الصعبَ الأبيَّ زمامُ
أيوعدنا بالروم ناس ، وإنما   هم النبت ، والبيض الرقاق مَوام ؟

أبو العلاء هنا فارس على أهبة ان ينزل المعركة ، ولكنه يبتدر العدو بالنذير الرهيب قبل النزال ، والعدو هنا هو جيش الروم كذلك أو من يواليهم ويستعديهم من الخونة الأعراب ، والمعركة دفاع عن الثغور ، وذياد عن الحمى العربي ، وانتخاء لضرب الغزاة ، واعتزاز بأمجاد الفروسية العربية :

كأنْ لم يكن بين المخاض وحارم   كتائب يُشجين الفلا وخيام (١)
ولم يجلبوها من وراء « ملطية »   تصدَّعُ أجبال بها وآكام (٢)
كتائب من شرق وغرب تألبت   فرادى أتاها الموت ، وهي تؤام
غرائب در جمّعت ، ثم ضيّعت   وقد ضمَّ سلكٌ شملَها ونظام
بيوم كأن الشمس فيه خريدة   عليها من النقع الاحمِّ لثام (٣)
كأنهم سكرى أريق عليهم   بقايا كؤوس ملؤهنَّ مدام
فأضحوا حديثاً كالمنام وما انقضى   فسيَّان منه يقظة ومنام

والظاهر من سياق القصيدة انها موجهة إلى قائد عربي امتحنته التجارب بمقاتلة الروم ، ولكن المصادر التي بأيدينا لا تعيِّن لنا هذا القائد ، غير أن لهجة أبي العلاء في هذه القصيدة ليست لهجة المادح كما نعرف طرق المدح في شعرنا القديم ، بل من الواضح أن أبا العلاء هنا يعبر عن انفعال وجداني بالقضية التي تدور عليها القصيدة ، وظاهر ان القضية ليست تعني الشاعر وحده ، ولا الممدوح وحده ، وإنما هي تعني قوماً من الناس نحس أن الشاعر عظيم الاعتزاز بهم ، عميق الثقة بسلامة قضيتهم التي تتحدث عنها القصيدة ، ونجد في ذلك حرارة لا تكون في الشعر عادة الا ان تكون هنا مشاركة وجدانية بين الموضوع والشاعر :

وردوا اليك الرسل ، والصلح ممكن ،   وقالوا على غير القتال سلام
فلا قول الا الضرب والطعن عندنا   ولا رسل الا ذابل وحسام
فإن عدت ، فالمجروح توسى جراحه ،   وان لم تعد متنا ونحن كرام
فلسنا ـ وان كان البقاء محببا ـ   بأول من أخنى عليه حِمام (٤)
وحب الفتى طولَ الحياة يذله   وان كان فيه نخوة وعرام
وكلٌّ يريد العيش ، والعيش حتفه   ويستعذب اللذات وهي سِمام (٥)
فلما تجلى الأمر ، قالوا تمنيا :   ألا ليت أنّا في التراب رمام
وراموا التي كانت لهم وإليهم   وقد صعبت حال وعزَّ مرام

وإذا كانت المصادر التي نرجع إليها الآن في سيرة أبي العلاء لا تلقي ضوءاً على موضوع هذه القصيدة أو على صاحبها الذي يخاطبه فيها أبو العلاء ، برغم الجهد الذي بذلناه في استنطاق الحوادث التي عاصرها الشاعر قبل رحلته إلى بغداد وبعد هذه الرحلة ، وفي مقارنة روح القصيدة ومضامينها بتلك الحوادث ـ نقول : إذا كانت المصادر لا توضح لنا شيئاً يطمئن إليه الباحث بهذا الشأن ، فإننا نميل إلى الحدس ـ الحدس وحسب ـ بأن أبا العلاء أنشأ هذه القصيدة خلال البرهة التي كانت الحرب فيها سجالا بين الفاطميين والبيزنطيين في بلاد الشام ، وذلك قبل ان يرحل أبو العلاء إلى بغداد ، وحين كان في المرحلة الأولى من حياته ، مرحلة الشباب .

(١) المخاض : نهر قرب المعرة .
(٢) ملطية : مدينة بأطراف الروم كان قد فتحها العرب زمن الصحابة ، ثم غلب عليها الروم سنة ثلاثمئة هجرية .
(٣) خريدة : امرأة حيية . النقع : الغبار الأحم : الأسود .
(٤) الحمام : الموت . أخنى عليه الموت أهلكه .
(٥) سمام : جمع سم .

وهذا الحدس ، إذا دعمه دليل أو شاهد تاريخي مقبول ، إنما يوجه هذه القصيدة لأن يكون صاحبها الذي قيلت فيه واحداً من قادة الجيوش الفاطمية التي حاربت البيزنطيين في بلاد الشام نحو أربع سنوات ، كما مر ، فإذا استطعنا أن نطمئن إلى هذا التوجيه ، وضعنا دليلاً جديداً بيد الباحث الكبير مارون عبود على صحة رأيه بأن أبا العلاء كان فاطمي المذهب .

غير أن هذه النتيجة ، إذا أمكن الوصول إليها من الوجهة التاريخية بالأقل ، لا تمنع ان تظل القصيدة هذه ذات وجه عربي تتلامع فيه من أبي العلاء ملامح الاعتزاز بعروبته والانتخاء لكرامة قومه وعزتهم .

وقد تزيد هذه الملامح تألقاً حين نطوف مرة اخرى في أشعار « سقط الزند » فإذا أبو العلاء يستوقفنا ايضاً عند هذه القصيدة التي مطلعها :

اليك تناهى كل فخر وسؤدد   فأبلِ الليالي والأنام وجدِّد

ولكنه يبهم علينا الأمر هنا كذلك ، فلا يزيد في عنوان القصيدة عن هذه الكلمات : « وقال أيضاً مادحاً » . . أما من هو الممدوح هنا ، فكل شيء مبهم لا يرد جواباً عن ذلك . ولا ندري أكان قصداً من أبي العلاء إلى هذا الابهام ، وهو جامع « سقط الزند » كما نعلم ، أم كان ذلك من صنع الأيدي الكثيرة التي تداولت نسخ الديوان ، ام من صنع الناشرين بعد ذلك ؟

المرجح أن ذلك من صنع أبي العلاء نفسه ، بدليل ما جاء في مقدمته لسقط الزند من اظهاره التنصل من مدائحه التي وجهها إلى الأمراء والحكام ، اذ قال : « ولم أطرق مسامع الرؤساء بالنشيد ، ولا مدحت طالباً للثواب ، وإنما كان ذلك على معنى الرياضة وامتحان السوس « الطبيعة » . ثم قال في تفسير مدائحه : « . . وما وجد لي من غلو علق في الظاهر بآدمي وكان مما يحتمله صفات الله عز وجل سلطانه ، فهو مصروف إليه ، وما صلح لمخلوق سلف من قبل ، أو غبر ، أو لم يخلق بعد ، فإنه ملحق به وما كان محضا من المين لا جهة له ، فأستقيل الله العثرة فيه » .

فانه لظاهر من هذا النص أن أبا العلاء حين جمع « سقط الزند » وهو معتكف في « محبسيه » كان حريصاً ان يتنكر لعلاقاته السابقة برجال السياسة أيام شبابه وقبل اعتكافه ، وبتأثير هذا الحرص تعمَّد ان يغفل اسماء ممدوحيه في سقط الزند ليطمس معالم العهد الذي سبق عهد عزلته . وهذا سر آخر من أسراره التي غمضت على المؤرخين له والباحثين في شأنه . ولكن هل تنصُّل ابي العلاء من مدائحه تلك في عهد عزلته يغير شيئاً من الواقع نفسه ، نعني الواقع الموضوعي الذي انشئت تلك القصائد من أجله ؟ ان رغبة ابي العلاء ذات صفة اخلاقية وفكرية مرهونة بحاله في عهد خاص ، وأما ذلك الواقع فله صفة تاريخية موضوعية لا يغيرها شيء .

ولكن مؤرخي ابي العلاء هم المقصرون ، فلم ينفقوا جهداً في كشف العلاقة بين قصائد المدح وروابطها التاريخية ، في حين ان مثل هذه المهمة تدخل في صميم التاريخ الحقيقي لرجل ذي شأن كشأن أبي العلاء . . ويقينا لو أن المؤرخين ، قدماء ومحدثين ، قد عنوا بهذه المسألة لانكشفت لنا غوامض جمة من سيرة الرجل ، ومن مذاهب الرأي فيه ، ومن أسباب عزلته وتزهده ، ومن اتجاهاته العقلية والدينية .

وكيف كان الأمر ، فإن أبا العلاء يستوقفنا الآن في « سقط الزند » عند هذه القصيدة ، فإذا نحن نعلم ـ كل ما نعلم ـ ان الممدوح بها أمير عربي محارب ، وانه من القادة الذادة عن ثغور الدولة العربية الإسلامية على حدود الروم من شمال سورية ، وذلك اذ يخاطبه أبو العلاء :

ولولاك لم تسلم « أفامية » الرَّدى   وقد أبصرت من مثلها مصرع الردي (٦)

(٦) أفامية : حصن على حدود الروم .

فـأنقـذت منهـا معقـلاً هضبـاتـه تَلفَّعُ من نسج السحـاب وتـرتـدي
وحيـداً بثغـر المسلمـين كـأنـه بفيـه مـبقًـى من نـواجـذ أدرد[١]
بـأخضر مثلِ البحـر ليس اخضراره من الماء ، لكن من حديـد مسرَّد[٢]

وقبل أن نفرغ من أمر هذه القصيـدة ، نرى من المهم أن نشير إلى بصيص من نور يلوح لنا خلال ابياتها ، ذلك اذ ترد كلمة « الشريف » في هـذه القصيدة مرتين يطلقها الشاعر على ممدوحه حين يخاطبه :

مـتى أنـا في ركـب يـؤمُّـون منـزلا توحد من شخص « الشريف » بأوحد
يذكِّـرن من نيـل « الشريف » مـواردا فـما نـلن مـنـه غـير شرب مصرَّد

فمن هـو هـذا « الشريف » المحـارب للروم في عهـد أبي العـلاء اذ ثغـور العرب قد تساقطت حصـونها إلى أيدي الـروم ، ولم يبق منها غـير واحد يسميـه الشاعر « أفامية » وقد أنقذه هذا « الشريف » نفسه ؟ . .

نرجع إلى التاريخ السياسي لذلك العهد ، نبحث فيه عن قائد عربي شغـل نفسه في محاربة الروم أيام كان أبـو العلاء يمدح الأمراء والقـواد ، ويعني بالثنـاء على ذادة الثغور ومنقذي الحصون العربية من البيـزنطيـين أنفسهم . نرجـع إلى ذلـك التاريـخ ، فلا نجـد من يصح أن يتـوجه إليـه مثل هـذا الخطاب من أبي العـلاء ، ويكـون مـع ذلـك من « الشرفـاء » ، غـير قـائـد ينتسب إلى جيـوش الفـاطميـين ، اذ ليس غـير هـذه الجيـوش كـان معنيًّـا في ذلـك الحـين بقتـال البيـزنطيـين . . فهل هـذا أيضاً يلقي ضـوءاً على رأي الاستـاذ مارون عبـود في « فاطمية » أبي العلاء ؟ . «انتهى ما ذكره الدكتور حسين مروة » .

ونحن هنا نريد ان نجلو شكوك الدكتور مروة ، ونوضح ما اعتبره غموضـاً في حقيقة المقاتلين الذين تغنى ببطولاتهم ابو العلاء ، ونؤكد له ان من تـراءى له انهم قواد الجيوش الفاطمية ، هم بالفعل ابطال تلك المعارك التي اثارت شاعرية ابي العلاء ، وانه يستطيع ان يكون على يقين بانهم هم لا غـيرهـم الذين نـظمت فيهم الأشعار العلائية . وذلك بعرض الحقائق التاريخية التالية :

استـطاع البيزنـطيون بعـد موت سيف الـدولة الحمـداني وضعف الـدولـة الحمدانية في عهد خلفائه ان يستولوا على كثير من المدن في شـمال بلاد الشـام ولما وصل الفاطميون الى مصر وركزوا دولتهم فيها وثبتوا دعائمها في عهد المعز لدين الله سنـة ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) كـان أكـبر همهم استرجـاع مـا استـولى عليـه البيزنطيون من المدن الشامية ، وحاولوا اول الأمر اجلاء البيزنطيين عن انطاكيـة ولكن القـوى البيزنـطية كـانت اكثر كثـافـة من قـواتهم الـزاحفـة اليهـا ، فـإن البيزنطيين عرفوا خطورة سقوط انطاكية لذلك حشدوا للدفـاع عنها قـوى كانت اعـظم ممـا قـدر الفـاطميـون ففشـل الجيش الفـاطمي في اسـتردادهـا ، واغتنم الامبراطور البيزنطي حنا زيمسكس هذا الفشـل وتقدم بجيـوشه سنـة ٩٧٥م من انـطاكية الى حمص ومنهـا الى بعلبك ، وخـافت دمشق مغبة مقـاومتـه فخضعت ودفعت له الجزية ، كما سلمت له طبريا وقيسارية ، وكان مصمـما على الـوصول الى القـدس ، وهكذا يسبق هـذا الامبراطـور البيزنـطي الصليبيـين في التفكـير باستعادة القدس من المسلمين .

ويبدو جليا من استعراض الاحداث ان الفاطميين ادركوا نية حنا زيمسكس وصمدوا له فتراجع عن محاولة الوصول الى القدس وغيّر هدفه واتجه الى الساحل مغتنماً فرصة حشد الجيوش الفاطمية في طريق القدس ، فاستطاع الاستيلاء على صيدا وبيروت ، ثم اتجه الى طرابلس ، واسرع الفاطميون لصـده والوقـوف في صريق زحفه اليها ، وعضدوا جيشهم الـبري المدافـع عنها بـاسطولهم الحـربي ، واستطاعوا الحاق الهزيمة بالامبراطور البيزنطي ورده عن طرابلس وملاحقتـه حتى اخلى بيروت وصيدا وكل ما استولى عليه من بلدان الساحل ، وظلت الضربات الفـاطمية تـلاحقه حتى ردتـه الى انـطاكيـة ثم عـاد من انـطاكيـة الى عـاصمتـه القسطنطينية مقهوراً حيث توفي فيها في اوائل سنة ٩٧٦ م .

وتمر السنون والفاطميون صـامدون للبيـزنطيـين يدفعـونهم عن بلاد الشـام حتى كانت السنة ٣٧٧ هـ (٩٨٧ م) فرأى الامبراطور باسيل الثاني عقم مقاتلة الفاطميين ، وان لا امل بالنصر عليهم فأرسل الى الخليفـة الفاطمي (العـزيز) في القاهرة وفداً يحمل هـدية ويـطلب انهاء الحرب ، وكـانت الهديـة فيما يـروي المؤرخـون تحتـوي عـلى ثـمان وعشرين صينيـة من الـذهب ، فلم يعـارض (العزيز) في عقد الهدنة مع البيزنطيين ما داموا قد تخلوا عن اطماعهم ، فعقدت هدنة مدتها سبع سنوات بشروط كلها في مصلحة الفاطميين .

ولكن الفاطميين ـ مع الأسف ـ كانوا لا يواجهون البيزنـطيين وحـدهم بل كـانـوا يـواجهـون الفتن التي يثـيرهـا عليهم ابنـاء قـومهم مستعينـين عليهم بالبيزنطيين ، كهذا الذي فعله امير حلب سنة ٣٨١ هـ مما اغرى بـاسيل الثـاني بنقض الهـدنة فـزحف الى بلاد الشـام فالتقى بـه الفـاطميـون عـلى ضفـاف نهر العـاصي فهزمـوه وردوه من حيث جاء ، والـذي جرى سنة ٣٨٨ حـين انجـد باسيل الثاني نفسه المستنجدين به في ثورتهم على الفاطميين بقيـادة (عِلاّقـة) في صـور ، وانتصر الفاطميـون على البيـزنطيـين والمستنجدين بهم في معـارك بريـة وبحرية والذي جرى في (افامية) (وهي التي ذكرها ابو العلاء في شعـره) حين استنجد حسان بن مفرج الطائي بالبيزنـطيين عـلى الفاطميـين حيث قامت فيهـا المعارك سجالاً .

والـواقع اننـا لا نـريـد هنـا التبسط في الحـديث عن تـاريـخ المعـارك بـين البيزنطيين والفاطميين وجهاد الفاطميين في ردهم عن بـلاد الشام وعن القـدس بخـاصـة ، فـذلـك لـه مكان آخـر ، ولكننا نـريد انْ نشـير مجرد اشـارة الى تلك المعـارك التي استثارت شـاعريـة ابي العـلاء المعـري وبعثت فيـه روح الاعـتزاز بالمناضلين الفاطميين وبطولاتهم في الدفاع عن الوطن العربي الاسلامي .

أحمد بن منير الطرابلسي

مرت ترجمته في المجلد الثالث الصفحة ١٧٩ ونزيد عليها هنا ما يأتي :

العلاقة بينه وبين القيسراني

لم يكن بدعاً أن تنتج الحروب الصليبية في أوروبا أدباً ملحمياً مستوحى مما حفلت بـه تلك الحروب من أحـداث وخـطوب ، ولم يكن عجبـاً أن نـرى في الآداب اللاتينية سواء في لغة الشمال chanson d'oil أو لغة الجنوب chanson d'oc ملاحم لامثال جفري اللومباردي ويوسف اكستر وجنتر باسل وكذلك مثل انشودة انطاكية البروفنسالية chanson d'antioche التي الفها غريغوري بشاده ، وقصيدة بودريه وانشودة غرابندور دوياي ، وغيرها .

ولكن كان العجيب أن لا تخلق تلك الحروب الملاحم العربية ، لا في حال تدفق الجيوش الفرنجية وانتصاراتها وما رافقها من فجائع وأهوال . وما عـاناه المسلمون فيها من هوان وانكسار . ولا في حال انحسار المد الفرنجي واجتماع القوى الوطنية مستخلصة الوطن منه دفعة وراء دفعة حتى انتهت بتلاشيه .

وفيها عدا قليلاً من القصائد والمقطوعات اعرب فيها اصحابها عن احزانهم

(١) الثغر هنا : هـو الحد بـين بلاد العرب وبلاد الـروم . النواجـذ : أقصى الأسنان . الأدرد : الـذي تساقطت أسنانه . ويظهر من هذا البيت ان « أفامية » كانت الحصن الوحيد الباقي من ثغور العرب في ايديهم يوم قال الشاعر هذه القصيدة ، ولذلك شبهه بالسن الباقية في فم الأدرد .

(٢) مسرد : منسوج .

(٣) نظنها يغار (بالياء) .

أيام الهزائم وافراحهم أيام الانتصارات ، فإن تلك الحروب لم تنل ما كان يجب أن تناله من الشعر العربي ، ولا أوجدت الملحمة في أدبنا ، وكانت بذلك جديرة .

على انني وأنا اقرأ وقائع عماد الدين زنكي ثم وقائع ابنه نور الدين محمود مع الصليبيين ، حين بدأ الأول مهاجمة الأفرنج ، فكانت انتفاضته أول انتفاضة في وجه المحتلين بعد نوم طويل على الضيم .

اني وأنا اقرأ ذلك وجدت شعراً عربيا يسجل تلك الوقائع ويتغنى بها معبراً عما كانت تنضح به نفوس المسلمين من الابتهاج والحبور ، وما كانت تفيض به بيئاتهم من الاستبشار والسرور .

وإذا كان مما يقلل من قيمة اصحاب ذلك الشعر في اعيننا أنهم لم ينظموا شعرهم ابتداء ، ولا كان بنتيجة تحسس بالشعور العام ، ولا تعبيرا عن حقيقة أمورهم ، بل جاء في معرض المدح والاسترزاق . فإنهم وهم يعيشون في كنف عماد الدين ونور الدين ويحيون في سلطانيهما ، كان لا بد لهم من أن يمدحوهما استدرارا للعطاء ، وسواء أكان عماد الدين ونور الدين غازيين منتصرين ، أو متخاذلين متواكلين فإنهم سيمدحونهما حتماً . إذا كان الأمر كذلك فإن حسن حظهما جعل مدحهم غير منكور ولا ممجوج ، وجعلهم دون أن يقصدوا لسان الحياة الاسلامية في تلك الفترة ، فعبروا عن مشاعر الأمة ونطقوا بلسان الأحداث فاكتسبوا بذلك خلوداً لم يكن ليتأتى لهم لو ان عماد الدين ونور الدين لم يكونا مدبري تلك الوقائع وقائدي تلك المعامع .

وأبرز شعراء تلك الفترة شاعران لقبهما معاصروهما شاعري الشام هما محمد بن نصر القيسراني واحمد بن منير الطرابلسي ، ولهما في عماد الدين ونور الدين مدائح تقليدية ككل مدائح الشعراء في الأمراء ، ليست هي التي تعنينا في حديثنا هذا ، وانما الذي يعنينا هو تلك القصائد التي نظماها في الانتصارات فكانت مظاهر للملحمة العربية جديرة بالعناية والاذاعة .

والقيسراني مولود سنة ٤٧٨ ومتوفى سنة ٥٤٨هـ وهو منسوب إلى مدينة قيسارية على الساحل الفلسطيني ، ولم يكن الشعر وحده الصفة الغالبة عليه ، بل يبدو أنه كان على مشاركة حسنة ببعض العلوم حتى أن ابن عساكر سمع منه وذكره بين من ذكرهم من شيوخه . وهو ليس من موضوع كتابنا وذكرناه لعلاقته بابن منير .

والطرابلسي مولود سنة ٤٧٣ ومتوفى سنة ٥٤٨هـ وهو منسوب إلى طرابلس على الساحل اللبناني وهي المدينة التي عرفت في التاريخ الاسلامي باسم طرابلس الشام تمييزاً لها عن طرابلس الافريقية التي عرفت باسم طرابلس الغرب .

ونحن نرى من ذلك ان الشاعرين من منطقتين نكبتا بالاحتلال الصليبي وسقطتا في قبضة الفاتحين ، فقد عانت قيسارية كما عانت طرابلس مرارة الذل ، وهوان الفتح ، ولكننا لا نرى في شعر الشاعرين ما يدل على تحسسهما بما كان يشكو منه بلداهما ، وهذا يدلنا على أن الشاعرين سيقا إلى شعر الكفاح سوقاً ، ولما لم يكن لوقائع عماد الدين ثم لوقائع نور الدين صلة لا بقيسارية ولا بطرابلس بل كانت البلدتان بعيدتين عن ميدان الصراع ، لذلك لم يذكرهما الشاعران ولا استجاشتهما همومهما ، بل اقتصر الشاعران على ما باشره القائدان من المعارك في المناطق النائية لأن فيها المادة الوافرة لموضوع المديح ، وهو الأصل في نظمهما هذا الشعر .

ولم يكن هذان الشاعران متوافقين متصافيين دائماً ، بل كثيراً ما تهاجيا وتشاتما ، وفي اثناء ذلك قد تقوم بينهما مطارحات طريفة .

وكان الوضع قبل نهوض عماد الدين وضعاً مذلاً سيطر فيه الأفرنج سيطرة كاملة على البلاد الممتدة من ماردين إلى عريش مصر . ولم يكن ناجياً من ربقة الاحتلال في هذا المدى الواسع إلاّ المدن الأربع : حلب وحماه وحمص ودمشق . على أن هذه المدن إذا كانت قد نجت من الاحتلال فإنها لم تنج من الهوان . فقد كان الفرنج يرسلون وفودهم إليها فارضة ما تشاء من الفروض ، فضلاً عما كانت عليه بقية المدن والقرى . ولعل مما يصور وضع البلاد يومذاك ما قاله صاحب كتاب (الروضتين) : « وكان الفرنج قد اتسعت بلادهم وكثرت أجنادهم وعظمت هيبتهم وزادت صولتهم وامتدت إلى بلاد المسلمين أيديهم وضعف أهلها عن كف عاديهم وتتابعت غزواتهم وساموا المسلمين سوء العذاب واستطار في البلاد شر شرهم » .

ثم يزيد في وصف الحال قائلاً : « وكانت سراياهم تبلغ من ديار بكر إلى آمد ومن الجزيرة إلى نصيبين ورأس عين ، أما أهل الرقة فقد كانوا معهم في ذل وهوان ، وانقطعت الطرق إلى دمشق إلاّ على الرحبة والبر ، ثم زاد الأمر وعظم الشر حتى جعلوا على أهل كل بلد جاورهم خراجاً واتاوة يأخذونها منهم ليكفوا أذيتهم عنهم » .

ولا يفوتنا أن نشير إلى ما كان عليه المسلمون من تشاحن وتقاتل وصراع مما كان يحول دون النهوض نهوضاً يرد للأمة كرامتها وحريتها .

هذا هو حال الوطن حين كان قد استطال امر عماد الدين زنكي ورسخ سلطانه فكان أن هب لمناجزة المحتلين ومقارعتهم ، ثم أخذ ينتصر عليهم انتصارات متتابعة ، إذا كانت في أول أمرها هينة النتائج فإنها كانت مفتاحا للوثوب ، كهذا الذي جرى حين ردهم عن حصن (شيزر) وحين فتح حصن (الأثارب) وحصن (عرقة) وحصن (بارين) ثم ضرب ضربته الكبرى بفتح مدينة (الرها) .

وكانت الرها (ايدسا القديمة) محكومة من الأرمن ، وبعد استيلاء الفرنج في حملتهم الأولى التي تلت حملة بطرس الناسك ، على مدينة (نيقيا) سنة ١٠٩٧م ثم مدينة دوريلايوم (اسكي شهر) من السلجوقيين انفصل بلدوين اللوريني عن الجيش الصليبي الرئيسي وتقدم نحو الرها واستولى عليها بالاتفاق مع حاكمها الأرمني (توروس) سنة ١٠٩٨ وانشأ فيها أولى الدويلات اللاتينية . ومنها تقدم الفرنج الى سميساط وسروج والبيرة وغيرها ، فقامت لهم امارة في حوض الفرات الأعلى من مرعش في الشمال إلى منبج في الجنوب غربي الفرات ، ثم تمضي شرقي الفرات فتشمل بهسنا والرها وسروج . وكان تمركز بلدوين في الرها مما أعاق القائد السلجوقي (كربوقا) أمير الموصل عن الوصول في الوقت المفيد لنجدة انطاكية التي كان يحاصرها الجيش الصليبي الرئيسي . ثم كان قيام هذه الامارة تهديداً متواصلاً للموصل وما يتبعها مثل نصيبين وماردين

وحران ، وكذلك لديار بكر وما إليها على أعالي نهر دجلة ، بل كان تهديداً أيضاً لشمال العراق كله .

وإذا كانت الرها أول دولة لاتينية تقوم ، فقد كانت كذلك أول دولة لاتينية تسقط . وبين قيامها وسقوطها ست واربعون سنة ، إذ كان سقوطها بيد عماد الدين ، عام ١١١٤م بعد حصار دام أربعة اسابيع .

وكان لفتح الرها وقع عظيم هز النفوس بالبهجة والغبطة ، ولم يكن اجدر من الشاعرين أن يكونا صدى لما كان يعتمل في نفوس المسلمين من السرور وما كانت تجيش به قلوبهم من الأمال العراض . لذلك رأيناهما يسجلان هذا الفتح بشعر يمكن أن نقول أن فيه ملامح الملاحم وجوهرها ، فإن القيسراني يقول فيما يقول من قصيدة طويلة :

مـدينة افـك منـذ خمسـين حجـة ... يفـل حـديـد الهنـد عنهـا حـداده
تفـوت مدى الابصـار حتى لو أنها ... تـرقت إليـه خـان طـرفـا سـواده
وجـاحـة عـز الملوك قيـادهـا ... إلى أن ثنـاهـا من يـعـز قيـاده

وكانت الرها حقيقة بهذا الوصف لأنها ظلت طـوال ما يقـرب من خمسين سنة ، منذ أن عجز كربوقا عن فتحها وهو في طريقه لانقاذ انطاكية ، فـأوقفه حصارها ثلاثة أسابيع بدون جدوى ، وكانت هذه الأسابيع كافية لوصوله الى انطاكية والقضاء على الجيش الصليبي المنهوك الجائع المحطم النفس ، لو أنه لم يتوقف عند الرها فيتيح بذلك للصليبيين استعادة معنوياتهم ودخول انطاكية فلا يصل كربوقا إلاّ بعد سقوطها ، ثم يعجز بعد ذلك عن استردادها فيكون فتحها فاتحة الشرور ومبدأ الهـزائم . ظلت الرهـا طوال تلك المدة منيعـة ومصدراً للشر ، ومن هنا أوحت للقيسراني بمـا أوحت من وصفها ثم بتصـوير الشعـور الاسلامي بالانتصار عليها .

وعن ثغر هذا النصر فلتأخذ الظبـا ... سنـاها وان فـات العيـون اتقـاده
وفتـح حديث في السمـاع حديثـه ... شـهيٌ الى يـوم المـعـاد معـاده
اراح قلوبـاً طـرن من وكنـاتـهـا ... عليهـا فـوافى كـل صـدر فؤاده
فيـا ظفـرا عم البـلاد صـلاحـه ... بمن كـان قـد عم البـلاد فسـاده

ثم بما احيا هذا النصر من الآمال البعيدة :

ولله عـزم ماء « سيـحان » ورده ... وروضـة « قسطنطينية » مستـراده

ومطلع هذه القصيدة :

هـو السيف لا يعنيك إلاّ جـلاده ... وهـل طـوق الأمـلاك إلاّ نجـاده

وهـو مطلع خـارج عن الأسلوب التقليدي الـذي كان يفتتح القصـائـد بالغزل ، وانما هو مطلع مستمد من روح الملحمة متأثر بجوهرها ، وهكذا بقية المديح في القصيدة ، فقد خرج عن كونه تعداداً لفضائل ابتذل تعدادها في كل ممدوح ، بل هو وصف لكفاح قاده الممدوح وحقق الـظفـر فيه ، وتعبير عن آمال مكبوتة ، وهذا كله يعود إلى جذور الملاحم وأصولها .

وهذا عين ما نراه عند ابن منير الذي قال من قصيدة طويلة :

والـرهـا ان لم تكن إلاّ الـرهـا ... لكفت حسـا لشـك المـمتـرين
هم « قسـطنـطين » ان يفـرعهـا ... ومضى لم يحـو منهـا قسط طـين
ولـكـم مـن مـلـك حـاولهـا ... فتحـلى الحين وشـمـاً في الجبـين

ثم ينتقل إلى الحديث عن نتائج فتحها وأثر هذا الفتح عند الفريقين :

ان حمت (مصر) فقـد قـام لهـا ... واضح البرهان ان (الصين)صين
بـرنسـت رأس « بـرنس »[١] ذلـة ... بعدما جاست حوايا « جوسلين »[٢]
« وسـروج » مـذ وعت اسـراجـه ... فـرقت جماعهـا عنهـا عضـين
تـلك اقـفـال رمـاهـا الله مـن ... عـزمـه المـاضي بخـير الفـاتحـين
سل بها « حران »كم حرى سقت ... بـردا من يـوم ردت « مـاردين »
سمـطت أمس « سميسـاط » بهـا ... نـظم جيش مبهـج للنـاظـرين
وغـدا يلقى على « القـدس » لهـا ... كلكـل يـدرسهـا درس الـدرين

ويموت عماد الدين اغتيالاً ويليه ابنه نور الدين ويستطيع السيطرة على رقعة ممتدة من أعالي دجلة شمالاً الى منابع الأردن جنوباً ، ويكون الشاعران لـه كما كانا لأبيه ، ويصطدم نور الدين بالفرنج ويفوز عليهم في معركة « أنبّ » ويقتل « البرنس » صاحب انـطاكية في المعـركة ، وتتحقق بشـارة ابن منير المتقـدمة « ويتبرنس » رأس « البرنس » لا بالذلة وحدها بل بالمنية ، وهكذا نرى كم كان ذلك الشعر صدى للوجدان العربي والضمير الاسلامي في تخيل الأمال البعيدة والتلهف على المطامـح القصية . فقـد كان « البـرنس » كما يقـول ابن الأثير : « عاتياً من عتاة الفرنج » وكان الخلاص منه احدى اكبر الأمنيات .

وقد رأينا كيف ان القيسراني كان يلوح في قصيدته الدالية لا بالخلاص في الوطن فحسب بل بالنفاذ حتى إلى القسطنطينية :

ولله عـزم مـاء سيـحـان ورده ... وروضـة قسـطنـطينيـة مستـراده

كما لوح ابن منير بالنصر على البرنس ثم بالنفاذ إلى القدس :

وغـدا يلقي عـلى القـدس لهـا ... كلكـل يـدرسهـا درس الـدرين

وتتالت بعد الرها المراحل المرجوة مرحلة مرحلة وستظل تتوالى ولكن دون ان يقدر للشاعرين أن يعيشا ليريا تواليها ، إذ انهما ماتا قبل نور الدين .

واستأثرت معركة أنب ومقتل البرنس بشاعرية الشاعرين وقفزت بالمطامح من القدس والقسطنطينية إلى روما نفسها فقـال لقيسـراني من قصيدة طويلة جرى فيها على ما جرى عليه في القصيدة الدالية من الافتتاح بالشعر العسكري لا الغزلي :

مذي العزائم لا ما تدعي القضب ... وذي المكـارم لا ما قـالت الكتب
وهـذه الهمم الـلاتي متى خـطبت ... تعثـرت خلفها الأشعـار والخطب

وفيها يقول :

اغرت سيوفـك بالأفـرنج راجفـة ... فؤاد « روميـة » الكبرى لهـا يجب
قـل للطغاة وان صمت مسـامعها ... قـولاً لصم القنـا في ذكـره أرب
اغـركم خـدعـة الآمـال ظنكم ... كم اسلم الجهل ظناً غره الكذب
أجسـادهم في ثيـاب من دمـائهم ... مسلوبـة ، وكأن القـوم ما سلبوا
انبـاء ملحمـة لـو انها ذكـرت ... فيما مضى نسيت ايـامهـا العـرب
فملكـوا سلب « الابرنس » قـاتله ... وهـل له غـير « انـطاكيـة » سلب

(١) هو أمير انطاكية يومذاك .

(٢) هو جوسلين الثاني أمير الرها .

فانهض إلى المسجد الأقصى بذي لجب   يوليك أقصى المنى فالقدس مرتقب

ونحن نلمس في هذا الشعر شيئاً فوق المدح . اننا نلمس احساساً متأججاً يثيره الذل الذي استحال عزاً والهوان الذي عاد فتحاً، اننا نسمع اهازيج النصر راعدة مدوية وهتافات الظفر صارخة متوعدة تزري بالغاصبين وتدل إلى هلعهم وتتغنى بالراجفة التي وجب لها حتى قلب (رومية الكبرى) القصية ، ويجيء ذكر روما هنا طبيعياً سائغاً ، لا نبو فيه ولا دلالة تبجح فارغ مستكره . ثم هذه الاشارة إلى الخطوة التالية المأمولة إلى (سلب الابرنس) ، هذا السلب الذي يسمو عن المادة ومغرياتها ، ان السلب في هذا الصراع الرهيب هو أغلى ما ملك (البرنس) وقوم البرنس : « هو انطاكية » التي كان سقوطها فاتحة السقوط العام وسيكون نهوضها فاتحة النهوض العام ثم الطريق إلى المسجد الأقصى بالجيش الهادر المزجر ذي اللجب ، فالقدس ترتقب أهلها وتنتظرهم .

اننا نرى في هذا الشعر ، الشعب كله ينطلق في صوت واحد وشعار واحد : إلى الأمام ، إلى انطاكية ، إلى القدس . .

ينطلق بذلك لا غروراً وغباء ، وجهلاً ، بل يقيناً وعقلاً وتفهماً .

ويقول ابن منير من قصيدة طويلة افتتحها كزميله ، لا بالغزل بل بما يناسب حالة الكفاح التي كانت فيها البلاد :

أقوى الضلال واقفرت عرصاته   وعلا الهدى وتبلجت قسماته
فتح تعممت السماء بفخره   وهفت على اغصانها عذباته
وسقى «البرنس» وقد تبرنس ذلة   بالروح ممقر ما جنت غدراته
تمشي القناة برأسه وهو الذي   نظمت مدار النيرين قناته

وتتابع الفتوح ويلي النصر النصر فينطلق ابن منير حاملاً في قصيدة واحدة قصص الأحداث متنقلا من مكان إلى مكان :

اعدت بعصرك هذا الأنيق   فتوح النبي واعصارها
فجددت اسلام « سلمانها »   وعمر جدك « عمارها »
وما يوم « انب » الا كيّـ   سك بل طال بالبوع اشبارها
ولما هبيت « ببصرى » سمكـ   ـت بأهباء خيلك ابصارها
ويوم على الجون « جون السـ   ـراة » عز فسعطها عارها
صدمت « عريمتها » صدمة   اذابت مع الماء احجارها
وفي « تل باتر » باشرتهم   بزحف تسور اسوارها
وان دالكتهم « دلوك » فقد   شددت فصدقت اخبارها

واستمر نور الدين في صراعه مع الصليبيين واستمر الشاعران في تسجيل انتصارات نور الدين مما يمكن ان يعد مجموعه ملحمة من الملاحم العربية وتاريخاً شعرياً لفترة معينة من فترات الحروب الصليبية .

الشاه إسماعيل الأول الصفوي

مرت ترجمته في الصفحة ٣٢١ من المجلد الثالث.ونضيف إليها هنا ما يلي: الشيخ قطب الدين النهروالي الحنفي الذي ورد ذكره خلال ترجمة إسماعيل الصفوي هو مؤرخ معاصر لتلك الأحداث، وبصرف النظر عما تتضمنه كتابته من التعصب المذهبي الأعمى الذميم الذي لا يتورع معه عن الاختلاق والكذب ـ بالرغم من ذلك فإننا لا يمكن أن نتجاهل بعض ما ذكره من أخبار، كان لا بد لنا من وضعها بين يدي القارىء. فقد ألف الشيخ المذكور كتاباً سماه (الإعلام بإعلام بيت الله الحرام) تطرق فيه إلى ذكر السلطان سليم العثماني والشاه إسماعيل الصفوي ومنه نأخذ ما يلي، مع العلم أن المؤلف المذكور انتهى من كتابة كتابه سنة ٩٢٢ وأن وفاة السلطان سليم كانت سنة ٩٣٦ ووفاة الشاه إسماعيل كانت سنة ٩٣٠ أي أن بين تاريخ انتهاء تأليف الكتاب ووفاة السلطان سليم أربع عشرة سنة، وبين وفاة الشاه إسماعيل ثمان سنوات.

قال النهروالي عن الشاه إسماعيل:

هو شاه إسماعيل بن الشيخ حيدر بن الشيخ جنيد بن الشيخ إبراهيم بن سلطان خواجا شيخ علي بن الشيخ صدر الدين موسى بن الشيخ صفي الدين إسحاق الاردبيلي، وإليه ينسب أولاده فيقال لهم: الصفويون. وكان الشيخ صفي الدين صاحب زاوية في اردبيل وله سلسلة من المشايخ، أخذ عن الشيخ زاهد الكيلاني وينتهي بوسايط إلى الشيخ الإمام أحمد الغزالي. وتوفي الشيخ صفي الدين في سنة ٧٣٥ وهو أول من ظهر منهم بطريق المشيخة والتصوف، وأول ما اختار سكنى أردبيل، وبعد موته جلس في مكانه ولده الشيخ صدر الدين موسى، وكانت السلاطين تعتقد فيه وتزوره، وممن زاره والتمس بركته تيمور لما عاد من الروم وسأله أن يطلب منه شيئاً، فقال له: أطلب منك أن تطلق كل من أخذته من الروم سركنا، فأجابه إلى سؤاله وأطلق السركن جيعهم، فصار أهل الروم[1] يعتقدون الشيخ صدر الدين وجميع المشايخ الأردبيليين من ذريته إلى الآن، وحج ولده سلطان خواجا علي وزار النبي ﷺ وتوجه إلى زيارة بيت المقدس وتوفي هناك وقبره معروف في بيت المقدس. وكان ممن يعتقده ميرزا شاه رخ بن تيمور ويعظمه. فلما جلس الشيخ جنيد مكان والده في الزاوية بأردبيل كثر مريدوه وأتباعه في أردبيل فتوهم منهم صاحب آذربيجان يومئذ وهو السلطان جهاشان بن قرا يوسف التركماني من طايفة (قره قوينلو) فأخرجهم من أردبيل، فتوجه الشيخ جنيد مع بعض مريديه إلى ديار بكر وتفرق عنه الباقون. وكان من أمراء ديار بكر يومئذ عثمان بيك بن قتلق بيك بن علي بيك من طائفة (آق قوينلو) جد أوزون حسن بيك البابندري وهو أول من تسلطن من طائفة آق قوينلو، وولي السلطنة منهم تسعة أنفس، ومدة ملكهم اثنتان وأربعون سنة وأخذوا ملك فارس من طائفة قره قوينلو، وأول سلاطينهم قره يوسف بن قره محمد التركماني ومدة سلطنتهم ثلاث وستون سنة. وانقرض ملكهم على يد أوزون حسن بيك المذكور في شوال سنة ٨٧٣ وكان أوزون حسن بيك ملكاً شجاعاً مقداماً مطاعاً مظفراً في حروبه ميموناً في نزوله وركوبه، إلا أنه وقع بينه وبين السلطان محمد بن السلطان مرادخان حرب عظيم في بايبرت فانكسر أوزون حسن بيك وقتل ولده زنيل بيك وهرب هو وسلم من القتل وعاد إلى أذربيجان وملك فارس والعراقين، فلما التجأ الشيخ جنيد إلى طائفة آق قوينلو صاهره أوزون حسن بيك وزوجه بنته خديجة بيكم فولدت له الشيخ حيدر، ولما استولى أوزون حسن بيك على البلاد وطرد عنها ملوك قره قوينلو وأضعفهم عاد الشيخ جنيد مع ولده الشيخ حيدر إلى أردبيل وكثر مريدوه وأتباعه وتقوى بأوزون حسن بيك لأنه صهره، فلما توفي أوزون حسن بيك ولي موضعه ولده السلطان خليل ستة أشهر ثم ولده الثاني السلطان يعقوب فزوج بنته حليمة بيكم من الشيخ حيدر فولدت له شاه إسماعيل في يوم

(١) المقصود بالروم هنا: الأتراك العثمانيون.

الثلاثاء الخامس والعشرين من رجب سنة ٨٩٢ وكان على يده هلاك ملوك العجم طايفة آق قوينلو وقره قوينلو وغيرهم من سلاطين العجم كما هو معروف مشهور. وكان الشيخ جنيد جمع طايفة من مريديه وقصد قتال كرجستان ليكون من المجاهدين في سبيل الله فتوهم منه سلطان شروان أمير خليل الله شروان شاه فخرج إلى قتاله فانكسر الشيخ جنيد وقتل وتفرق مريدوه، ثم اجتمعوا بعد مدة على الشيخ حيدر وحسنوا لـه الجهاد والغزو في حدود كرجستان وجعلوا لهم رماحاً من أعواد الشجر وركبوا في كل عود سناناً من حديد وتسلحوا بذلك وألبسهم الشيخ حيدر تاجاً أحمر من الجوخ فسماهم الناس (قـز لباش)، وهو أول من ألبس التاج الأحمر لأتباعه، واجتمع عليه خلق كثير، فأرسل شروان شاه إلى السلطان يعقوب بن أوزون حسن يخوفه من خروج الشيخ حيدر على هذه الصفة، فأرسل إليه أميراً من أمرائه اسمه سليمان بك بأربعة آلاف نفر من العسكر وأمره أن يمنعهم من هذه الجمعية فإن لم يمتنعوا أذن لـه أن يقاتلهم، فمضى إلى الشيخ حيدر ومنعه من هذه الجمعية فما أطاعه فاتفق مع شروان شاه فقاتلاه ومن معه فقتل الشيخ حيدر وأسر ولد شاه إسماعيل وهو طفل وأسر معه إخوانه وجماعته، وجاء بهم سليمان بك إلى السلطان يعقوب فأرسل بهم إلى قاسم بك الفرناك وكان حاكم شيراز من قبل السلطان يعقوب وأمره أن يحبسهم في قلعة اصطخر فحبسهم بها واستمروا محبوسين فيها إلى أن توفي السلطان يعقوب في سنة ٨٩٦ وتولى بعده السلطان رستم ونازعه في سلطنته إخوانه وتفرقت المملكة واستقل في كل قطر واحد من أولاد السلطان يعقوب، فهرب أولاد الشيخ حيدر إلى لاهيجان من بلاد كيلان وخرج من إخوان شاه إسماعيل خواجه شاه علي بن الشيخ جنيد وجمع عسكراً من مريدي والده وقاتل بهم فقتل في أيام السلطان رستم بن يعقوب. ثم توفي السلطان رستم وتولى مكانه مراد بن يعقوب وألوند بيك ابن عمه. وكان شاه إسماعيل في لاهجان في بيت صائغ يقال له نجم زركر، وبلاد لاهيجان فيها كثير من الفرق الضالة كالرافضة والحروفية والزيدية[1] وغيرهم فتعلم منهم شاه إسماعيل في صغره مذهب الرفض، فإن آباءه كان شعارهم مذهب السنة السنية وكانوا مطيعين منقادين لسنة رسول الله ﷺ ولم يظهر الرفض غير شاه إسماعيل. وتطلبه من أمراء ألوند بيك جماعة وطلبوه من سلطان لاهيجان فأبى أن يسلمه لهم فأنكر وحلف لهم أنه ما هو عندي وورّى في يمينه، وكان مختفياً في بيت نجم زركر، وكان يأتيه مريدو والده خفية ويأتونه بالنذير، ويعتقدون فيه ويطوفون بالبيت الذي هو ساكن فيه إلى أن أراد الله بما أراد وكثرت داعية الفساد واختلفت أحوال البلاد باختلاف السلاطين وكثرة العناد بين العباد، ولو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا، وحينئذ كثر أتباع شاه إسماعيل فخرج هو ومن معه من لاهيجان وأظهر الخروج لأخذ ثأر والده وجده في أواخر سنة ٩٠٥ وعمره يومئذ ثلاث عشرة سنة، وقصد مملكة الشروان لقتال شروان شاه قاتل أبيه وجده، وكلما سار منزلاً كثر عليه داعية الفساد واجتمع عليه عسكر كثير إلى أن وصل إلى بلاد شروان، فخرج لمقاتلته شروان شاه بعساكره وقاتلهم وقاتلوه فانهزم عسكر شروان وأسر شروان شاه وأتوا به إلى شاه إسماعيل أسيراً فأمر أن يضعوه في قدر كبير ويطبخوه ويأكلوه ففعلوا كما أمر وأكلوه[2] وكان ذلك أول فتوحه، ثم توجه إلى قتال ألوند بيك فقاتله وانهزم منه واستولى على خزائنه وقسمها في عسكره وصار يقتل من ظفر به قتلاً ذريعاً ولا يمسك شيئاً من الخزائن بل يفرقها في الحال، ثم قاتل مراد بيك ابن السلطان يعقوب فهزمه في الحال وأخذ خزائنه وفرقها على عسكره، ثم صار لا يتوجه إلى بلاد إلا يفتحها ويقتل جميع من فيها وينهب أموالهم ويفرقها إلى أن ملك تبريز وأذربيجان وبغداد وعراق العرب وعراق العجم وخراسان. (انتهى كلام النهروالي).

وبعد هذا الكلام يسترسل في الاختلاق الباعث له عليه تعصبه المذهبي، مما لا صلة له بموضوعنا.

والمهم في هذا القول هو ما ذكره من أن آباء الشاه إسماعيل لم يكونوا شيعة، وأنه هو المتشيع الأول فيهم، وأن شيعة لاهيجان هم الذين لقنوه التشيع. على أن هذا يناقض ما ذكره من أن أباه حيدر هو الذي ألبس أتباعه التاج الأحمر فسماهم الناس (قز لباش). ومعلوم أن هذا التاج كان مقسماً من قمته إلى أطرافه اثنتي عشرة شقة تشير إلى علي وأبنائه الاثني عشر عليهم السلام.

وقد ظل هذا الاسم (قز لباش) وقتاً طويلاً يطلق في تركيا على الشيعة، ولا يزال حتى الآن يطلق في أفغانستان على الشيعة الإيرانيي الأصل. والنهروالي نفسه يسمي الإيرانيين بهذا الإسم حين يتحدث بعد ذلك عن غزو السلطان سليمان لإيران والعراق ثم يتحدث النهروالي عن الصدام بين الشاه إسماعيل والسلطان سليم العثماني فيقول:

فلما وصلت أخباره (أي الشاه إسماعيل) إلى السلطان سليم خان تحركت فيه قوة العصبية، وأقدم على نصر السنة الشريفة السنية، وعد هذا القتال من أعظم الجهاد. ، وقصد أن يمحو من العالم هذه الفتنة وهذا الفساد، وينصر مذهب أهل السنة الحنيفية على مذهب أهل البدع والإلحاد، ويأبى الله إلا ما أراده، فتهيأ السلطان سليم بخيله ورجله وعساكره المنصورة ورحله، وسار لقتاله، وأقدم على جلاده وجداله.

ثم يتحدث بعد ذلك عن معركة جالديران وانتصار السلطان سليم ودخوله مدينة تبريز عاصمة الشاه إسماعيل، ثم عن رحيله عنها قائلاً:

وأراد أن يقيم في تبريز للإستيلاء على إقليم العجم والتمكن من تلك البلاد على الوجه الأتم، فما أمكنه ذلك لكثرة القحط واستيلاء الغلاء بحيث بيعت العليقة بمايتي درهم وبيع الرغيف الخبز بمائة درهم، وسبب ذلك أن القوافل التي كان أعدها السلطان سليم لتتبعه بالميرة والعليق والمؤن تخلفت عنه في محل الإحتياج إليها، وما وجدوا في تبريز شيئاً من المأكولات والحبوب لأن الشاه إسماعيل عند انكساره أمر بإحراق أجران الحب والشعير وغير ذلك، فاضطر السلطان سليم خان إلى العود من تبريز إلى بلاد الروم وتركها خاوية على عروشها. ثم تفحص عن سبب انقطاع القوافل عنه فأخبر أن سبب ذلك سلطان مصر قانصوه الغوري فإنه كان بينه وبين شاه إسماعيل محبة ومودة ومراسلات بحيث أن كان السلطان قانصوه الغوري يتهم بالرفض في عقيدته بسبب ذلك. فلما ظهر للسلطان سليم خان أن الغوري هو الذي أمر بقطع القوافل عنه صمم على قتل السلطان الغوري أولاً وبعد الإستيلاء عليه وعلى بلاده يتوجه إلى قتال شاه إسماعيل ثانياً. (انتهى كلام النهروالي).

ومن هذا الكلام تبدو لنا حقيقتان: أولاً ـ أن الشائع في ذلك العصر أن حرب السلطان سليم كانت حرباً مذهبية، يراد بها القضاء على الدولة الشيعية الناشئة في مهدها قبل أن تتأصل جذورها ويترکز أمرها وينتشر سلطانها.

(١) هكذا يتكلم هذا المؤرخ المتعصب.

(٢) هذا الإفتراء معطوف على ما تقدم من جملة التعصبية.

ثانياً ـ إن السلطان قانصوه الغوري قد حرم السلطان سليم من قطف ثمرة انتصاره الحاسم في جالديـران، بل أحـال ذلك النصر إلى هـزيمة اضـطر معها السلطان سليم إلى العودة إلى بلاده خائباً من القضاء على الدولة الصفوية، مما جعل تلك الدولة تعاود نشاطها، ويعود الشاه إسماعيل ملكاً مظفراً يفتح البلاد ويوسع ملكه وينشر سلطانه.

على أن اللافت للنظر هو قول هذا المؤرخ أن قانصوه الغوري كان يتهم من معاصريه بالتشيع، بسبب ما كان بينه وبين الشاه إسماعيل من قبل من محبة ومودة ومراسلات.

وبذلك نفسر حملة هذا المؤرخ على الغوري وشماتته به، حملة وشمـاتة لا تصدران إلا من قلب مملوء بالحقد المذهبي الذميم. وكذلك ابتهاجه بانتصارات السلطان سليم وإشادته به، وتغاضيه عن مجازره، ثم ترحمه عليه بعد موته.

وفي موضع آخر يصف ظهور الشاه إسماعيل وتحويله إيران إلى التشيع قائلاً: وظهر في أيامه (أي السلطان بايزيد والد السلطان سليم) الشاه إسماعيل في سنة ٩٠٥ وكان له ظهور عجيب واستيلاء على ملوك العجم يعد من الأعاجيب، فتك في البلاد وسفك دماء العباد وأظهر مذهب الرفض والإلحاد وغيّر اعتقاد العجم إلى الإنحلال والفساد بعد الصلاح والسواد وأخرب ممالك العجم وأزال من أهلها حُسن الإعتقاد والله يفعل في ملكه ما أراد. وتلك الفتنة باقية إلى الآن في جميع تلك البلاد.

أفضل الدين الكاشاني المعروف ببابا أفضل المرقي

ورد ذكـره في المجلد الثالث الصفحـة ٤٧٠ وقـد تحـدث عنـه الـدكتـور محمود محمد الخضيري بما يلي:

إني مخصص هـذا المقال لفيلسوف إسلامي إيـراني فذ. جمع إلى درايتـه بـالفلسفة وإحـاطته بـالكثير من فنـونها، النبـوغ والتفـوق في الشعـر. هـذا الفيلسوف الشاعر هو أفضل الدين محمد الكاشي أو الكاشاني، وقد يذكر بلقبه فقط، وهو بابا أفضل الدين، وينسب إلى كاشان كما ينسب أيضاً إلى مَرَق من قرى كاشان، حيث دفن هناك، ويلقب بالإمام وبـالصدر، وهـو من أعلام المائتين السادسة والسابعة.

ولست بمتعـرض لـدرس شعـره، فهـذا ليس غـرضي، ولا هـو من اختصاصي، ولكني أكتفي للتدليل على علو درجته، بإيـراد شهادة لمستشرق كبير هو الأستاذ هرمن إتيه Hermann Ethé إذ قرنـه بالشيـخ أبي سعيد بن أبي الخير، وعمر الخيـام وجعله معهما أكبـر ثلاثـة ألفـوا الـربـاعيـات في الشعـر الفارسي. وتوجد مجموعة من رباعياته الفارسية محفوظة في خزانة المخـطوطات الفارسية، بالمتحف البريطاني.

أما مكانه في الفلسفة الاسلامية، فهـذا هو الغـرض الذي نـرمي إليه، وليس هذا من الأمور الهينة، كما أنه ليس من الهين معرفّة ما يشفي الغليل عن سيرته وحياته، وأقدم ما عثرت عليه من أخباره هو ما وجدته في مخطوط صغير الحجم كبير الفائدة، عنوانـه: «مختصر في ذكر الحكـماء اليونـانيين والمليـين» وليس في المخـطوط ذكر لاسم مؤلفـه، على أني اعتقـد أنه لا يمكن أن يكـون متأخراً عن المائة الثامنة، وهذا المخطوط ضمن مجموعة في خزانة الاسكوريال بأسبانيا رقمها ٦٣٥ من الخزانة العربية، ذُكر أفضل الدين فيه مرتين، الأولى بإسم: أفضل الدين محمد بن المرقي القاشي، ووصفه صاحب المختصر بالزهد والتصوف ومداومة الرياضة، ثم قال إنه مات في حدود سنة ٦١٠ هجريـة، وفي المرة الثانية في ظهر الورقة نفسها ذكره عند ترجمة فخر المحققين نصير الدين الطوسي إذ قال عن الأخير: «نشأ بمشهد طوس واشتغل بها بـالتحصيل عـلى خاله».

أما أن أفضل الدين هو خال نصير الدين الطوسي، فهذا ما تشهد به أيضاً بعض الكتب المتـأخرة مثـل كتـاب: «ريـاض الشعـراء» لمؤلفـه عـلي قُـلي الداغستاني الملقب بالواله، فرغ من تأليفه سنة ١١٦١ هجرية، حيث ورد أن نصير الدين ابن أخت لأفضل الدين الكاشاني[1]، وكذلك قال صاحب الذريعة عند كلامه عن كتاب منسوب إلى أفضل الدين ـ: «إنه معروف بـ «بابا أفضل المَرَقي» لأنه دفن بمرق من قرى كـاشان، وإنـه كان معـاصراً لخـواجه نصـير الدين، بل قيل إنه خال المحقق الطوسي».

ولأفضل الدين عدا الرباعيات مؤلفات كثيرة العدد، وكان يكتب بالعربية والفارسية، كما أنه ترجم كتباً في الفلسفة إلى اللغة الفارسية، ونذكر من أسماء كتبه ما وقفنا عليه مع إشارة موجزة إلى موضوع كل منها:

(١) جاودان نامه: أي كتاب البقـاء، وموضـوعه معـر ' النفس والمبـدأ والمعـاد، وهـو مـرتب عـلى أربعـة أبـواب في أحـوال السد وحقـائق أمـور الصوفية.

(٢) مدارج الكمال إلى معارج الوصال، كتبه أولاً بـالعربية، ثم نقله إلى الفارسية، وهو وصية جامعة لخير الدارين، رتبه على ثمانية أبواب.

(٣) أنجـام نامـه: مختصر، ويقال لـه: «آغاز وأنجـام» أي في المبدأ والمعاد.

(٤) عرض نامه: في التفرقة بين الجواهر والأعراض.

(٥) سازو بيرايه شاهان: في حقوق الملوك وواجباتهم.

(٦) جهـار عنوان: أي العنـاوين الأربعـة، وهـو مستمـد من كتـاب: «كيمياى سعادت» لأبي حامد الغزالي، اختصر فيه كتابه إحياء علوم الدين.

(٧) انتخـاب كيميـاى سعـادت: لا يبعـد أن يكـون هـو نفس الكتـاب السابق.

(٨) رسالة ينبـوع الحياة. أو تـرجمه سيـزده فصل إدريس: وهـو ترجمـة فارسية لكتاب عربي منسوب إلى هرمس المثلث بالحكمة، وعنوانه بالعربيـة: كتاب زجر النفس، وهـو في الأصل في أربعـة عشر فصلاً، ولكنـه في ترجمـة أفضل الدين واقع في ثلاثة عشر فصلاً.

(٩) مجموعة نكات أرسطو در علم حكمت: ترجمة مقالة أرسطاطاليس، وهو ترجمة لما جرى بين أرسطو قبيل موته وبين تلاميذه من أحاديث وقد نشر عدة مـرات، آخـرهـا بتصحيح الخـوري فيليمـون الكـاتب، بيـروت سنـة ١٩٠٣، ويـلاحـظ في الترجمـة الفـارسيـة اطـلاق اسم ادريس عـلى هـرمس وموضوع الكتاب: بيان فضل الحكمة، وعندي أن هذا الكتاب هو ترجمة لما يعرف في العربية بكتاب التفـاحة، وقـد نشر الأستاذ مـرغليوث نص التـرجمة الفارسية منذ أكثر من خمسين عاماً، وبحث عن شخصية مترجمي هذا الكتاب إلى الـلاتينية والعبـرية، ولكنـه لم يعن بالبحث عن شخصيـة صـاحب الأثـر

[1] راجع فهرست المخطوطات الفارسية في المتحف البريطاني تأليف ريوج ٢ ص ٨٢٩ وج ١ ص ٣٧١

الفارسي الذي نشره . ومنذ ثلاثين سنة وبدون علم بما قدمه مرغليوث نشر أديب شرقي النص العربي لهذا الكتاب[١] .

والإسلاميون يضيفون كتاب التفاحة إلى أرسطو ، وقد ينسبون إليه ما ورد فيه من آراء، كما فعل اخوان الصفاء في رسالتهم الرابعة والأربعين[٢]. والحقيقة أن هذا الكتاب ليس من تأليف أرسطو ، وإنما هو من وضع فلاسفة « العرفان » Gnose المتأثرين بالمذهب الأفلاطوني الحديث . ويُذكر هرمس في كتاب التفاحة موصوفاً بأنه أول من علم الحكمة التي استفادها بالوحي من السماء ، ثم نشرها في الأرض بين مختلف الأجناس والملل .

(١٠) كتاب نفس ـ وهو ترجمة فارسية لكتاب أرسطو في النفس ، في ثلاث مقالات ، توجد منه نسخة بين مخطوطات ديوان الهند الفارسية . وترجمة أفضل الدين لا بد أن تكون عن العربية . وقد عثر أخيراً على مخطوط في استنبول للترجمة العربية الكاملة ، ونرجو أن تنشر عن قريب .

(١١) مطالب إلهية سبعة وهي رسالة صغيرة الحجم باللغة العربية ، نشرت في مصر مشوهة ، كثيرة التحريف ، أصاب التحريف فيها لقب المؤلف ، فجاء « الموقى » بدل « المرقى » وسماها الناسخ ، بإسم « آيات الإبداع في الصنعة » ثم غير الناشر في هذا العنوان وزاد فيه فجعله « آيات الصنعة في الكشف عن مطالب إلهية سبعة » .

ونحن نعتمد الآن على هذه الرسالة الصغيرة الحجم للتعرف بمذهب أفضل الدين وأدعو من وقف على شيء آخر من آثاره أن يتفضل بالكتابة عنه ، فإن هذا الرجل يستحق المزيد من الدرس والعناية .

يتضح في هذه الرسالة ،تأثير المذهب الأفلاطوني المحدث على نحو ما تمثله بعض المتصوفين من الإسلاميين ، لا سيما في المائتين السادسة والسابعة ، وبالرغم من صغر حجمها فإن فيها من الفوائد اللطيفة ما يكفي مادة لبحث جليل .

وأهم ما في الرسالة ، الإشارة إلى تنزيه « الهوية » عن الصفات تنزيهاً مطلقاً ، وظاهر أنه يستعمل لفظ الهوية استعمال القدماء إياه ، والشائع عند أكثر الفلاسفة الإسلاميين هو لفظ الموجود ، وإنما عدل البعض عن استعمال هذااللفظ الأخير كما قال أبو نصر الفارابي ، لأنه بشكل المشتق ، والمشتق يدل على عرض بينما يقسم الفلاسفة هذا المعنى إلى الجوهر والعرض ، وإلى ما بالفعل ، وما بالقوة . ويستعمل البعض الآخر لفظ « الإنية » وهو تعريب للكلمة اليونانية الدالة على « الموجود » .

ويتبين من سياق عبارته في هذه الرسالة ، أنه يقدس الهوية ، ولذلك نرجح أنه يعني بها ما يعني « العارفون » من الإسلاميين بإسم « المرتبة الأحدية » التي هي أعلى مراتب الوجود الكلية ، وهي حقيقة الوجود بشرط ألا يكون معها شيء .

والهوية عند أفضل الدين الكاشاني سامية جداً ، ولا يمكن أن نتصور بينها وبين العالم أي نوع من الاتصال ، إلّا إذا أخذناها موصوفة بالصفات . ومع أن الصفات تكون ذاتية إلّا أن اعتبار الهوية موصوفة بها ، فيه تقليل من تنزهها وإذا أخذت الهوية موصوفة بالعلم ، تكون مبدعة للعقل ، وإذا أخذت من حيث تقتضي أوصافاً ، كانت فاعلة ، أو خالقة لها .

ثم إن مما يستحق أن يشار إليه ، هو أن أفضل الدين ، يرى في هذه الرسالة أن العقل ، وهو الذي تبدعه الهوية العالمة بذاتها ، ليس إلّا فعل التعقل ، وليس جوهراً ولا عرضاً ، وإذن فهو ليس ممن يذهبون إلى اعتبار العقل شخصاً يسميه بعضهم ملكاً ، ويسميه الآخر ربًّا .

أما النفس فهي عنده جامعة بين الوحدة والكثرة ، وهي البرزخ بين الوجوب والإمكان ، والفعل والانفعال . وهذا رأي أصحاب القول بالصدور على اختلاف مذاهبهم .

ثم إنه يُعرف الجسم بالتعريف الذي يختاره الإشراقيون ، ولا يقبله المشاءون أي إن الجسم عنده هو القابل لفرض الأبعاد الثلاثة ، المتقاطعة على زوايا قائمة فيه بالفعل .

هذا تفسير مختصر لما في هذه الرسالة الصغيرة من المعاني الخطيرة ، وإني واثق أن الكشف عن غيرها من مؤلفات أفضل الدين كفيل بتوضيح مذهبه في الفلسفة والتصوف على نحو لا يختلف عن الاتجاه الذي سلكته في تقدير هذا الفيلسوف .

وأضيف إلى ما سبق أني وقفت على رأي له في قياس الخُلف أورده صدر الدين الشيرازي حيث قال : « ذهب الشيخ أفضل الدين المرقي القاشاني قدس سره إلى أن الخلف قياس استثنائي من متصلة مقدمها نقيض المطلوب ، ويحتاج في بيان تاليها إلى حملية مسلمة » ثم قال صدر الدين : « وهذا الطريق هو الذي ذكره الشارح » ، يعني محمود بن مسعود المشهور بقطب الدين الشيرازي وظاهر أنه لا يذهب هذا المذهب في مثل هذه المسألة الدقيقة إلّا عالم له مشاركة عظيمة في علم المنطق .

ونستطيع بعد ما قدمناه في التعرف بأفضل الدين الكاشاني أن نتصور تصوراً واضحاً شخصية أستاذ لنصير الدين الطوسي له تأثير كبير في توجيهه الروحي والعقلي ، وليس يقتصر ما بين المعلم وتلميذه على ما بينهما من صلات الرحم فحسب ، بل إنهما يشتركان في العناية بعلوم الأوائل ، والميل إلى التصوف الممزوج بمذهب « العرفان » وقد ذكر أكثر من واحد أن نصير الدين مدح أفضل الدين برباعيات أو لعله رثاه بها ، ولم نقف عليها لسوء الحظ ولكننا نحسب أنه أشار فيها إلى ما بينهما من صلة ، وقال فيها أيضاً ما معناه :

نسب أقرب في شرع الهوى بيننا من نسب أبوي

اسامة بن منقذ

مرت ترجمته في المجلد الثالث الصفحة ٢٥٢ ونزيد عليها هنا ما يلي :

قال محمد مصطفى الماحي مدير أوقاف مصر من مقال له :

غير أن الدهر أبى الا أن يعاند اسامة ، فقد أحس نبوة من صلاح الدين الايوبي لعل سببها ما انتهى إليه من أنه يرفد الشيعة ويصل فقراءهم ويظهر التقية .

---

(١) الشيخ امين ظاهر خير الله ، في مجلة المقتطف أعداد ديسمبر سنة ١٩١٩ وكانون الثاني وشباط وآذار سنة ١٩٢٠ .

(٢) رسائل إخوان الصفاء ، طبعة القاهرة سنة ١٩٢٨ ج ٤ ص ١٠٠ .

(انشا) السيد انشاء الله خان ابن السيد ماشاء الله خان النجفي :

ولد في مرشد آباد (الهند) سنة ١١٦٠ وتوفي بلكنو سنة ١٢٣٣ اشتهر باسم (انشا) وهو شاعر كبير في الهزل والهجاء وهو طويل الباع في النظم بلغات متعددة ولهجات مختلفة : بالعربية والفارسية والهندية . وله في كل نوع اشعار مطبوعة وليس له نظير في شعراء الهند ، وهو أيضاً كاتب ناشر ، وهو أول اديب اسس القواعد الاردوية وأصولها من النحو والصرف والعروض ، وضبط الكلمات والأمثال ، وكتب (درياي لطافت) فكان أول كتاب دون هذا الفن ، وقد ألف بعض أجزائه محمد حسن فتيل ، الشاعر الكاتب بالفارسية والتركية ، وكان صديقاً لانشا وشيعياً مثله .

ولانشا كتاب (راني كيتكي) وهو قصة هندية تعتبر نسيج وحدها .

(أنيس) ، ميرببر علي بن خليق مير مستحسن بن مير حسن :

ولد حوالي سنة ١٢١٦ في فيض آباد وتوفي في لكنو سنة ١٢٩١ من أكبر شعراء الهند ، اشتهر بلقبه (انيس) ولم يعرف بغيره لذلك ترجمناه في حرف الألف [1] .

اسرة انيس هي اسرة الشعراء ، فآباؤه شعراء مجيدون وابناؤه شعراء المراثي الحسينية ، مشى الشعر في بيته كابراً عن كابر ، وقد نظم (انيس) مئات الالوف من الأبيات الشعرية وكلها في مديح ائمة أهل البيت (عليهم السلام) ورثائهم ، ويطلق على أشعاره اسم (المرثية) ، والمرثية في اصطلاح ذلك العصر هي نظم سداسي يشتمل على اجزاء خاصة :

١ ـ التشبيب ، وفيه يصور انيس مظاهر الفطرة من الصبح والمساء والليل والربيع والشتاء .

٢ ـ المديح ، وفيه يصور البطل في شخص الحسين عليه السلام وانصاره صورة ملموسة ، من الرأس إلى الجبهة والعينين والأنف والعنق والصدر واليد وغير ذلك .

٣ ـ المعركة وفيها يصور الشاعر لقاء البطل لأعدائه فيضمن الصورة : الرجز والخطاب ، ثم السيف والقوس والرماية والرمح . ثم الالتحام البطولي فالاستشهاد .

٤ ـ الرثاء : يسمعك بكاء الأم على الابن ، والأب على الولد ، والشقيقة على الشقيق ، والبنت على الوالد ، وكل قريب على قريبه .

وتحتوي المرثية على عدد يتراوح ما بين عشرين سداسية إلى ثلاثمائة سداسية متسلسلة . وهذه المراثي مطبوعة في ستة مجلدات كبار ، وابطالها هم الحسين عليه السلام وانصاره في كربلا .

وأنيس هو أول من أبتكر هذا الفن الشعري ونهج هذا النهج ، وهو في مراثيه شاعر حماسي ، ففي كل مرثية حماسة وبطولة واخلاق وانسانية . ثم انه يري القارىء الصور المتحركة الناطقة ويمثل له رجال المعركة ، فيقيم الحرب ويبرز الأبطال ، فتسمع اراجيز الأحرار وتخاطب الأقران ، وترى تقدم الرجالة وجري الفرسان . ثم ترى البطل من آل محمد يصمد للأعداء ويقتحمهم ثم يخر شهيداً مثخناً بالجراح .

انك تسمع في شعره صهيل الجياد وصليل السيوف وقراع الأسنة ورنين السهام ، وتبصر بتر الرؤوس وتهاوي الأجساد ، فشعره مناظر حية متتابعة ومشاهد متحركة ناطقة ، يريك حياة الآلام : من السفر والاغتراب وقتل الآباء واستشهاد الأقرباء وذبح الأبناء ووحدة النساء وعويل الأمهات وصراخ الأخوات .

يبكي (انيس) بكاء طويلاً موجعاً ، فيبكي معه القارىء والسامع ، ويحمله على ترداد الشعر وتكراره .

وأنيس معدود في ملاحمه بين شعراء الاردوية كالفردوسي في الفارسية وشكسبير في الأنكليزية (راجع ترجمة « دبير » في هذا الكتاب) .

بدران بن سيف الدولة صدقة المزيدي :

مرت ترجمته مفصلة في المجلد الثالث الصفحة ٥٤٨ ونزيد عليها هنا ما يلي :

قال العماد الأصفهاني في الخريدة وهو يتحدث عنه : « تغرب بعد أن نكب والده وتفرقت في البلاد مقاصده ، فكان برهة بالشام يشيم بارقة السعادة من الأيام وآونة ورد بلاد مصر فأولاده كانوا بها لهذا العهد ، وعادوا بأجمعهم إلى مدينة السلام ، وظهر عليهم أثر الاعدام » .

وذكر له من الشعر قوله :

لا والـذي قصد الحجيج على بـزل ومـا يقطعن من جدد
لا كنت بـالـراضي بمنقصة يـومـاً والا لست من اسد
لاقلقلن العيس دامية الا خفاف من بلد إلى بلد
أمـا يقـال سعى فـاحـرزها أو أن يقـال مضى ولم يعد

وقوله :

وغـريـرة ونحن على منى والليـل انجمه الشوابك ميل
زعم العـواذل مللت وصالنا والصبر منك على الجفاء دليل
فـأجبتهـا ومدامعي منهلة والقلب في اسر الهوى مكبول
كـذب الوشـاة عليّ فيما شنعوا غيـري يحل وغيـرك المحلول

وقوله :

أشـرب اليوم من عقـار كميت واسقنيها على غناء الكميت
ثم اسق النديم حتى تـراه وهـو حي من الكميت كميت

البرسيين

جاء في الصفحة ٣٧٤ من المجلد الثاني خلال الكلام عن (ابو عبدالله الباقطاني) : « الق بين الفرات والبرنسيين وقل لهم لا يزوروا مقابر قريش » ، ثم جاء في تتمة الكلام : « البرنسيين نسبة إلى برنس قرية بين الكوفة والحلة » .

ثم وردت هذه الكلمة في موضع آخر من الكتاب بلفظ « البرسيين » وورد في تفسيرها : « البراسيين عائلة ثانية من عائلات الشيعة » .

أما كلمة « البرنسيين » فهي تصحيف كلمة « البرسيين » . ويبدو أن كلمة « البرسيين » محرفة عن كلمة « الاريسيين » وهم الفلاحون والاكرة

---

(١) شعراء شبه القارة الهندية الباكستانية يتخذ كل واحد منهم عادة اسما غير اسمه الحقيقي فيشتهر بهذا الاسم في شعره . ويعرف هذا الاسم في اصطلاح الأدب الاردوي بالتخلص .

والمزارعون . قال ابن الأثير في النهاية في شرح قوله ﷺ في كتابه إلى هرقل « فإن أبيت فعليك اثم الاريسيين » قال ابن الاعرابي وهم الاكارون ، وقال ابو عبيدة هم الخدم والخول . والحقيقة أنهم لا يختلفان لأن الزراع كانوا قديماً خولاً وعبيداً لأهل الأرض المالكين .

توفيق الفكيكي ابن علي

ولد في بغداد سنة ١٣٢١ وتوفي سنة ١٣٨٩ .

اديب ومؤلف ، تخرج من المدرسة الرشدية في بغداد ثم من دار المعلمين فمارس التعليم ، ثم دخل كلية الحقوق وتخرج منها فاشتغل بالمحاماة ثم انتسب إلى سلك القضاء ثم استقال منه وعمل فترة في الصحافة والسياسة فانتخب نائباً .

وكان إلى جانب دراسته السابقة يتابع على بعض الفقهاء دراسة علوم اللغة العربية وأصول الفقه .

له من المؤلفات : ١ ـ الراعي والرعية وهو أشهر مؤلفاته شرح فيه عهد أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الأشتر . طبع عدة مرات وترجم إلى الفارسية ٢ ـ سكينة بنت الحسين ٣ ـ رسالة في سياسة الامام الصادق عليه السلام ٤ ـ دراسات في الفقه المقارن ٥ ـ القومية الاسلامية أو جنسية القرآن ٦ ـ هشام بن الحكم (مخطوط) ٧ ـ أدب النخيل أو شجرة العذراء ، قال في مقدمته : « حرصت أشد الحرص على أن أجمع بين دفتي هذا الكتاب كل ما يتعلق بالنخل » .

(جرأت) ، قلندر بخش

توفي بلكنو سنة ١٢٢٥

اشتهر بلقب (جرأت) لذلك ترجمناه في حرف الجيم .

كان كفيف البصر ، وهو شاعر هندي شهير له في الغزل منهج خاص ، واشتهر أيضاً بالمراثي الحسينية . طبع المجلد الأول من كلياته سنة ١٩٧٠م .

جعفر الخليلي ابن الشيخ أسد

ولد في النجف عام ١٣٢٢هـ وتوفي في (دبي) سنة ١٤٠٥ ودفن فيها .

وقد أرخ ولادته الشيخ حسين العاملي بقوله :

عوذت مولوداً أتى لشيخنا : (الشيخ أسد)
من كيد كل كائد وحاسد إذا حسد
يا فرحة ما جاءنا بمثلها قبل أحد
ان قيل من ؟ أرخ: (أنا الشبل من ذاك الأسد)

ولد في بيت علم وأدب ودين وطب . تولى غير واحد من أسرته المرجعية الشيعية . كان منهم جده الحاج ملاعلي الخليلي ، وعم أبيه الحاج المرزا حسين الخليلي أما والده فهو الشيخ أسد الخليلي من رجال الفضل والأدب والطب القديم وكان من اساتذة علم المنطق المعروفين .

ومن مشاهير الأسرة شقيقه عباس الشاعر السياسي والأديب المتمكن من اللغتين العربية والفارسية ، والمبرز في الحركات الوطنية في النجف والذي استطاع أن ينجو من مشنقة الأنكليز في ثورة النجف المعروفة التي قامت قبل الثورة العراقية عام ١٣٣٦هـ ١٩١٨م وقد أرخ لها المؤرخون في وقتها بقولهم : (حصار وغلا) ١٣٣٦هـ فقد تخفى عباس الخليلي في الآبار وهرب إلى ايران وحكم عليه بالاعدام غيابياً في حين أعدم زملاؤه الشهداء الذين لم يستطيعوا الهرب مثله ، وكانوا أحد عشر شهيداً ولقد قال حين فرّ واخفقت الثورة النجفية من قصيدة :

رويداً رجال الانكليز ورأفة ان اليوم أسرفتم فان لنا غدا
وان قصرت اقدامنا عن خطاكمُ مددنا الى ما فوق هامكم يدا

ومنها يخاطب أهل العراق :

يحيّيكم أهل العراق على النوى فتى في سبيل المجد أمسى مشردا
تحية عانٍ كلما هبّت الصبا ينوح كما ناح الحمام مغردّا
ان اليوم اطلقت اللسان بحبكم فبالامس عنكم قد سللت المهندا
عواطف لا تنفك تغلي بمهجتي الى أن أرى فوق الصعيد موسّدا

وقد أصدر جريدة (إقدام) . . . بطهران وله عدة مؤلفات توفي في طهران عام ١٩٧٢م .

ومن افراد الأسرة الأديب الطبيب الشيخ محمد الخليلي ابن عم جعفر الخليلي وصاحب كتاب ادباء الأطباء والأديب محمد علي ابراهيم الخليلي وبين آل الخليلي عدد من ادباء الشباب والشعراء .

عمل المترجم في التعليم في الحلة والنجف وسوق الشيوخ والرميثة والكوفة في فترات ، واستقال من المعارف في السنة التي توفي فيها والده وكان آخر ما عمل في المعارف ان كان مدرساً للتاريخ والجغرافيا في ثانوية النجف مدة ثلاث سنوات تقريباً . ثم تفرغ للصحافة .

فأصدر جريدة الفجر الصادق في النجف عام ١٩٣٠ وكانت اسبوعية عاشت سنة واحدة واوقفها صاحبها لأزمة ادارية .

واصدر جريدة (الراعي) بعد ذلك اسبوعية وعاشت سنة أيضاً فأغلقتها الحكومة .

وأصدر (الهاتف) اسبوعية عام ١٩٣٥ في النجف وانتقل بها الى بغداد عام ١٩٤٨ وفي عام ١٩٥٤ اغلقت الهاتف مع الصحف الأخرى بموجب مرسوم صدر في ذلك العام وقد صدرت قبل اغلاقها يومية سياسية مدة أربع سنوات فكان مجموع عمرها عشرين سنة كاملة صدرت في النجف وبغداد دون انقطاع . وفي سنة ١٩٨٠م ترك العراق ليقيم في عمان . وفي زيارة له لمدينة دبي توفي فيها .

مؤلفاته المطبوعة

١ ـ يوميات ـ الجزء الأول ـ خواطر وأفكار ، ٢ ـ يوميات ـ الجزء الثاني ـ خواطر وأفكار ، ٣ ـ الضائع ـ قصة مطولة ، ٤ ـ عندما كنت قاضياً ـ استعراض للأحوال الشخصية ، ٥ ـ في قرى الجن ـ قصة على غرار مبادىء المدينة الفاضلة ، ٦ ـ من فوق الرابية ـ مجموعة قصص قصيرة ، ٧ ـ تسواهن ـ استعراض للغناء والرقص والموسيقى في العراق ، ٨ ـ على هامش الثورة العراقية ـ هوامش على الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ . ٩ ـ أولاد الخليلي ـ مجموعة قصص قصيرة ، ١٠ ـ مجمع المتناقضات ـ مجموعة قصص قصيرة ، ١١ ـ اعترافات ـ مجموعة قصص قصيرة على نمط الاعترافات ، ١٢ ـ مقدمة في تاريخ القصة العراقة ، ١٣ ـ هؤلاء الناس ـ مجموعة قصص قصيرة ، ١٤ ـ جغرافية البلاد العربية ،

١٥ ـ آل فتلة كما عرفتهم ـ استعراض لحياة قبيلة آل فتلة ، ١٦ ـ نفحات من خمائل الأدب الفارسي ـ شعر مترجم ، ١٧ ـ ما أخذ الشعر العربي من الفارسية والشعر الفارسي من العربية ، ١٨ ـ كنت معهم في السجن ـ استعراض لأهم الأسباب التي تستدعي وقوع الجريمة ، ١٩ ـ التمور العراقية قديماً وحديثاً ـ من أول معرفة العراق بالتمور حتى اليوم ، ٢٠ ـ القصة العراقية قديماً وحديثاً ـ تاريخ القصة العراقية القديمة وروادها المعاصرين ، ٢١ ـ هكذا عرفتهم ـ ستة اجزاء ـ تراجم عدد من الأشخاص ٢٢ ـ أ ـ حبوب الاستقلال ـ نقد للمجتمع في اسلوب قريب من القصة ، ب ـ خيال الظل ، ج ـ حديث السعلى ، د ـ السجين المطلق ، ٢٣ ـ موسوعة العتبات المقدسة وقد صدر منها ثلاثة عشر جزءاً ، أ ـ المدخل إلى موسوعة العتبات المقدسة ، ب ـ الجزء الأول من قسم مكة المكرمة ، ج ـ الجزء الأول من المدينة المنورة ، و ـ الجزء الأول من القدس الشريف ، هـ ـ الجزء الثاني من القدس الشريف ، و ـ الجزء الأول من قسم النجف الأشرف ، ز ـ الجزء الثاني من قسم النجف الأشرف ، ح ـ الجزء الأول من قسم كربلاء ط ـ الجزء الأول من قسم الكاظمين ، ي ـ الجزء الثاني من قسم الكاظمين ، ك ـ الجزء الثالث من قسم الكاظمين ل ـ الجزء الأول من خراسان ، م ـ الجزء الأول من سامراء .

والموسوعة تاريخ واسع اسهم معه في تأليفه عدد من اساتذة جامعة بغداد وبعض الفضلاء حسب اختصاص كل منهم .

٢٤ ـ ملخص تاريخ العرب واليهود .

وله كتابات ومؤلفات لم تطبع وهي ما كتبه في عمان في أيامه الأخيرة وهي :

١ ـ الوراقة والوراقون البغداديون ، ٢ ـ مما احتفظت به الذاكرة من الخواطر وهي بمثابة مذكراته ، ٣ ـ الأمثال العربية ، ٤ ـ المدن الاسلامية والتاريخية العربية الكبرى نشر بعض منها ، ٥ ـ الشعر العربي والغناء ، ٦ ـ قصة مطولة تصلح ان تتحول الى تمثيلية عنوانها رهبان بلادي ، ٧ ـ كتابات متفرقة شرع بكتابتها ولم ينهها .

جون مولى أبي ذر الغفاري .

مرت ترجمته في المجلد الرابع الصفحة ٢٩٧ ونزيد عليها هنا ما يأتي :

كرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله الإنسانية كلها فألغى الاضطهاد العنصري الغاء عملياً حين اختار لأقدس مهمة زنجياً أسود اللون ، وجعل منه مؤذنه الذي ينادي المؤمنين للصلوات في أوقاتها الخمس .

هذا الأسود هو بلال الحبشي الذي كان عبداً من عبيد قريش فلم تكد تبلغه الدعوة الاسلامية حتى كان أول الملبين لها ، وتعلم به قريش ، ويعلم به سيده (امية بن خلف) فينصحونه بالعدول عن الطريق الذي مشى فيه فلا يقبل النصيحة ويستمر مسلماً مخلصاً فيأخذون في تعذيبه العذاب الأليم ، ولكنه لا يزداد إلاّ إيماناً ، ثم يفر بنفسه إلى المدينة مع من هاجر إليها ، وهناك صار مؤذن الرسول . ولقد كانت في صوته لكنة فلا يستطيع أن يلفظ الشين لفظاً صحيحاً ، بل تخرج من فمه وكأنها سين ، فيقول الرسول صلى الله عليه وآله إن سينه عند الله شين . .

وعلى صوت بلال الحبشي كان يهرع شيوخ المسلمين وشبانهم إلى المسجد ملبين نداء الله يبعثه هذا الإنسان الأسود اللون . ولم يكن تكريم لعنصر بلال أعظم من هذا التكريم الذي خصه به رسول الله ، ولذلك فإنه لما مات النبي انقطع إلى أهل البيت مخلصاً لهم ، وفياً لذكرى أبيهم الرسول .

وتدور الأيام ويلقى أهل البيت محناً وارزاء ، ويبرز الأوفياء ملتفين حول الأسرة النبوية عازمين على الموت دونها اخلاصاً لمحمد ورسالته . ويقف الحسين في كربلاء في أقل من مائة من الرجال كانوا يمثلون في تلك الساعة انبل ما في الكون من سجايا ، وهل في الكون أنبل من أن يبذل الإنسان دمه طواعية وفاء لرجل وثباتاً على مبدأ واخلاصاً لعقيدة .

وتبارى الرجال في التضحية ومضوا يسقطون واحداً بعد الآخر . وكان في الركب الحسيني رجل بسيط ، لا يحسب إذا حسبت البطولات ، ولا يذكر إذا ذكرت التضحيات ، لا يؤبه لرأيه ولا يعد لمهمة من مهمات الأمور .

كان يؤمر فيلبي الأمر ، ويستخدم فيخدم مسرعاً ، كان اقصى ما يعرفه الرفاق عنه أنه خادم أمين وتابع مخلص . وما فوق ذلك فليس مما يرد اسمه على البال .

كان رقيقاً من أولئك الارقاء السود الذين امتلأت بهم قصور العتاة وبيوت الطغاة ، وكانت أية حشرة تلقى عناية أكثر مما يلقاه أي واحد منهم . وكان نصيبه ان وصل الى يد أبي ذر الغفاري صاحب محمد المخلص ، وسمع أبو ذر النبي صلى الله عليه وآله يوصي بالأرقاء خيراً ويحض الناس على تحريرهم ، ومن أولى من أبي ذر بتنفيذ وصايا النبي فأعتق أبو ذر العبد (جون) وأرسله حراً .

وأصابت المحنة أبا ذر وطورد واضطهد ومات منفياً في الربذة ، وظل جون فقيراً معدماً ، فتلقاه أهل البيت بالحنان والعطف ، فقد كانت فيه ذكريات من صاحب جدهم رأوها جديرة بالوفاء فاحتضنوه والحقوه بشؤونهم يقوم على رعاية بيتهم والعناية بأطفالهم وقضاء حاجات رجالهم .

ومشى الحسين إلى كربلاء ، وهذه حال جون ، لا شأن له أكثر من هذا الشأن ، ولا من يفكر بأن يكون لجون دور فوق هذا الدور . وكان في حسبان الجميع أنه سيغتنم أول فرصة للسلامة فينجو بنفسه وينشد الخدمة من جديد في بيت جديد .

ولكن جون بقي في ركب الحسين لم يفارقه مع المفارقين ، وثبت مع الرجال المائة الذين ثبتوا حتى وصلوا إلى كربلاء وظن الناس أن (جون) سينتظر الساعة الحاسمة ، ثم ينطلق بعدها في طريق النجاة ، ولكن الأيام مضت وجون في مكانه لم يبرحه ، وجاء اليوم التاسع من المحرم وجون قائم على خدمة الحسين ، فها هو يصلح له سيفه والحسين يردد تلك الأبيات الشهيرة التي لم تستطع معها اخته زينب إلاّ أن تذرف دموعها .

أما جون فلم يذكر أحد أنه انفعل أو تأثر أو بكى ، اتراه لم يفهم ما كانت تعنيه تلك الأبيات ؟ اتراه صلب العاطفة متحجر القلب إلى حد لا يهزه صوت الحسين ينعى نفسه ؟ اتراه في تلك الساعة في شاغل عن كل شيء إلاّ عن نفسه يفكر كيف يدبر وسيلة الخلاص عصر اليوم أو صباح الغد ؟

الحقيقة كانت فوق كل تصور . . لم يبك جون ولم ينفعل ولم يتأثر ، لأن ما كان فيه كان فوق البكاء والانفعال والتأثر . كان جون وهو يصلح سيف الحسين ، والحسين ينشد أبياته ، كان جون يستعرض في ذهنه كل ذلك الماضي الحافل ، كان يتذكر النبي محمداً صلى الله عليه وآله وهو يرفع الإنسان الأسود إلى أعلى مراتب الكرامة حين عهد إلى واحد منهم بوظيفة مؤذنه الخاص وكان يتذكر تلك

الألوف من السود التي انطلقت حرة تنفيذاً لوصايا محمد . كان كل ذلك يجول في ذهن (جون) مولى أبي ذر الغفاري .

وها هو سيف الحسين الآن في يده لآخر مرة يصلحه له ليقف بـه الحسين غداً على أعلى قمة في التاريخ فيهز الدنيا كلها لتشهد كيف تكون حماية الهـدى والحق والخير ، وكيف تكون البـطولات التي لا تبغي إلّا الاستشهاد ذوداً عـما تؤمن به وتعتنقه ، وكيف يرفض الأباة الحياة إذا لم تكن كما يريدون حياة الحرية والسعادة للأمة ، وحياة الكرامة والحق لهم .

غداً سيلمع هذا السيف الحديـدي في كف الحسين ثم ينثلم إلى الأبـد ، ولكن سيف الحق الذي جرده الحسين سيلمع إلى الأبـد دون أن ينثلم ، وغداً سيعلو صوت الحسين بنداء الحرية ثم يصمت إلى الأبد ، ولكن صـوت الحريـة الذي انطلق من فم الحسين سيظل مدوياً إلى الأبد .

كان جون يلجأ إلى صمت رهيب ، وظل صامتاً حتى دنا الليل ، وأصغى بكل جوارحه إلى الحوار البطولي الخارق الذي جرى بين الحسين وأنصاره ، وهو يحرضهم على تركه وحده والانطلاق في سواد الليل ، وهم يردون عليه واحـداً بعد واحد رافضين لأول مرة في حياتهم أوامره ، ويصرون على أن يلقـوا نفس المصير الذي سيلاقيه هو .

كان جون في تلك الساعة يجلس في زاوية دون أن يأبه له احد ، وكان يود من كل قلبه لو كان لصوت الزنوج صوت بين هذه الأصوات ، ولكنه فضـل الصمت المطبق .

وفي الصباح عندما تبارى الأبطال المائة متسابقـين إلى الموت ، ومشى كـل منهم يستأذن الحسين ويودعه ماضياً إلى مصيره ، تقدم (جون) ، وهو في كل خطوة من خطواته لا ينفك مصغياً إلى صوت زميله بلال الحبشي متعالياً فوق كل أصوات البيض تكريماً من محمد واعـزازاً . وربما خـطر له في تلك اللحـظات منظر بلال وهو واقف على اشرف مكان وأقدس بقعة ، على ظهر الكعبـة حين امره محمد ساعة فتح مكة أن يصعد فينادي بالأذان . الأسود الذي كان عبـداً ذليلاً قبل رسالة محمد يصعد على الكعبة ، وهو في نظر الناس أعز إنسان .

دنت سـاعة الـوفاء لمحمـد ، دنت الساعـة التي يرد فيهـا هـذا الـزنجي (جون) بعض الجميل لمحمد ، وهل أعظم في الوفاء لمحمد من أن يموت ذوداً عن أبنائه ونسائه وتعاليمه ، وتقدم جون من الحسين وقد انقلب بطلاً مغواراً ، وقد تجمعت فيه كـل فضائـل بني جنسه ، تقـدم يستأذن الحسـين في أن يكون كغيره من رفاق الحسين .

والتفت الحسين إليه وقد أخذته الرقة له والحنان عليه ، ولم يشأ أن يورطه فيما لا شأن له به ، فقال له : أنت إنما تبعتنا للعافية فلا تبتل بطريقتنا .

ولكن جون البطل أجاب الحسين : أنا في الرخاء على قصاعكم وفي الشدة أخذلكم ؟! ثم أردف هذا الجواب بكلمات لم يقصد بها الحسين ، بل أراد أن يوجهها للأجيال الماضية والأجيال الحاضرة والأجيال الآتية ، تلك الأجيال التي لم تر للزنـوج الكرامـة التي لهم ، فقال : إن ريحي لنتن ، وإن حسبي للئيم ، وإن لوني لأسود ، أفتنفس عـلي بالجنـة فيطيب ريحي ويشـرف حسبي ويبيض وجهي ؟ لا والله لا أفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود بدمائكم .

لقد كان جون يعلم أنه أكرم على الحسين من ألوف البيض ، وإن الحسين أكـرم من أن يراه لئيم الحسب نتن الـريح . لم يكن جـون في الواقـع يخاطب الحسين سبط محمد مكرم الزنوج ، بل كان يقف على ذروة من ذروات التاريخ ليقول للأدعياء المفاخرين بألوانهم وأطيابهم ، إليكم هذا الذي ترونه في نظركم لئيم الحسب نتن الريح ، إليكم به اليوم يطاولكم شرفاً وحمية وشجاعة ووفـاء فلا تصلون إلى أخمص قدميه . منكم يزيـد الأبيض اللون ، المتحدر من عبـد منـاف ، المضمخ بـالأطياب ، ومنكم عبيـدالله بن زياد ومنكم شمـر بن ذي الجوشن وحجار بن أبجـر وقيس بن الأشعث وعمـرو بن الحجاج ، منكم قبـل هؤلاء وبعد هؤلاء كثيرون ، وكلهم يشع بياضاً ويعبق طيباً ، وكلهم يجر وراءه حلقات آباء وأجداد .

أولئك غدروا بمحمـد الذي أخـرجهم من الظلمات ، فـداسوا تعـاليمه وحشدوا الحشود على بنيه ، أولئك يتهيئون الآن ليرفعوا رؤوس ابناء محمد على رماحهم . وهذا الزنجي وفى لمحمد الذي حرره وأكرم جنسه ، فتقدم ليذودكم عن بنيه وبناته وتعاليمه ، وهو يتهيأ الآن ليسفك دمه دون ذلك ، فأيكم اللئيم الحسب ، النتن الريح ، الأسود الوجه ؟ أأنتم أم هو ؟

وحقق الحسين رجاء جون فأذن له ، ومشى (جون) مزهواً ببطولته معتزاً بوفائه يود لو أن عيني بلال الحبشي تـراه في خطواتـه هذه ، وأن زنـوج الدنيـا يطلون عليه ليـروا كيف مثلهم في موكب البـطولات وتكلم بإسمهم عـلى منبر التضحيات ، وكيف شرفهم ساعة لا شرف إلّا للنفوس العظيمة .

لقد ضارب جون الحر أولئك العبيد بأعمالهم ، السود بقلوبهم ، وكان له ما أراد . فامتزج دمه الأسود مع اشرف دم : مع دم الحسين سبط محمد ومـع دماء أهل بيته .

ووفى الزنوج لمحمد الذي رفع من شأنهم وأعلى أمرهم ، وتحقق مـا أراده جون . فلم ينفس عليه الحسين بالجنة ، ولم يبخل عليه بأن يثبت بـأنه كـريم الحسب طيب الريح .

السيد حسين الخادمي ابن السيد جعفر

ولـد سنـة ١٣١٩ في أصفهـان وتـوفي سنـة ١٤٠٥ فيهـا ودفن في مشهـد الرضا .

هو سليل اسرة الصدر الشهيرة التي تفرعت في أصفهان إلى عدة فروع منها فرع (الخادمي) .

درس في أصفهان على كل من الشيخ علي اليزدي وميرزا أحمد الأصفهاني وغيرهمـا . ثم انتقـل الى النجف الأشـرف فحضر عـلى السيـد أبـو الحسن الأصفهاني والميرزا النائيني والشيخ ضياء الدين العراقي . ثم عاد إلى أصفهان فكان مرجعاً من مراجعها ، وقد قاوم الحكم الاستبدادي في عهد الشاه محمـد رضا فسجن وضيق عليه ، لـه من المؤلفات ١ ـ طـريقة السعـادة في الرد عـلى المذاهب الباطلة ٢ ـ البراءة والاستصحاب . ٣ ـ عدم ارث الزوجة من الأموال غير المنقولة وغير ذلك .

ابن سينا الحسين بن عبد الله:

مـرت ترجمتـه في الصفحة ٦٩ من المجلد السـادس. ونضيف إليهـا هنـا

الدراسات الآتية:

قال حمود غرابة:

الإسلام والفلسفة السيناوية

تختلف الأديان عن الفلسفة الأخلاقية في الوسيلة وإن اتحدت معها في الهدف. فالأنبياء والفلاسفة الأخلاقيون جميعاً يهدفون إلى غرس بذور الفضيلة في نفوس البشر حتى يتهيأ المجتمع الصالح الذي يسعد بفضيلته ويهنأ بحياته. ولكن الفلسفة تعتمد في ذلك على العقل والإقناع والأديان جميعها تعتمد في ذلك على العقيدة التي هي مزيج من الفكر والعاطفة.

هذه العقيدة لا بد لكمالها وفاعليتها من الإيمان بحقائق ثلاث:

١ ـ اليقين بوجود إله خالق يعلم العالم ويعنى بـه وبيده أن يسعـد الأخيار وأن يعاقب الأشرار.

٢ ـ الجزم بحياة أخرى أسمى من هذه الحيـاة. حياة تتـلاءم فيها السعـادة مع الفضيلة وتتكافأ فيها الآلام مع الآثام.

٣ ـ التسليم بوجود ذلك الكائن البشري الذي يستطيع بعد اتصاله بعالم القدس أن يترجم عن إرادة السماء. فهل تشتمل الفلسفة السيناوية على الإيمان بهذه الحقـائق الساميـة؟ وهل بـذل ابن سينا من عقله ومنـطقـه مـا يؤيـد تلك الدعامات الثلاث التي لا بـدّ منها لصحـة الأديان وقـداسة النبـوة وجلال الرسالة؟.

لست الآن بصدد الحديث عن منهج ابن سينا في إثبات ذلك كما أنني لست بصدد الكشف عن قوة براهينه أو ضعفها فقد حاولت ذلك كله في كتابي (ابن سينا بين الـدين والفلسفة) الـذي أرجو أن يكـون قد وصـل الآن إلى أيديكم ولكني أسجل هنا فقط ما آمن به الرجل من حقائق وما وصـل إليه من نتـائج عاش ومات وهو يقوم بتأييدها والعمل على إقرارها.

١ ـ يعتقد ابن سينا ـ كما يبدو ذلك واضحاً في فلسفته ـ بوجود إله واحد له الملك والجود ويسمو بحقيقته عن كل مـوجود. كله حق وكله خـير. منزه عن النقص وبعيد عن الشر. جدير بالحب والعشق والإجـلال لأنه عـلى أسمى ما يكون الجمال والجلال. مصدر الخير ومبعث الرحمات وهو وحـده الدليـل على غيره من الكائنات. إلى غير ذلك من الصفات التي يقصر دونها وصف المتكلمين وتترك وقدة الحب والشوق في قلوب السالكين.

وكيف يمكن في رأيه إسناد وجود الأشياء إلى الأشياء نفسها على ما فيها من نظام وغائية لا يمكن أن تكون نتيجة الاتفاق والمصادفة؟ وكيف ننكر ـ كما فعل أرسطو ـ القول بالخالقية ونقصر العلاقة بين الله والعالم على العشق والجاذبية مع أن تعدد العالم وتغيره ناطق وإمكانه ناطق بـاحتياجـه إلى مبدأ وعلتـه؟. وكيف نسلم مـع أرسطو الـذي يقـرر في «كـلام عـامي جـداً» إن الله لا يعلم العـالم وبالضرورة لا يعنى به وخصائص الله من اللطف والتجرد تقتضي هذه المعـرفة بل وتقتضي عنايته. لأن العناية معناها العلم بالكل على حسب النظام الأكمل علماً يترتب عليه صدور الكائنات عنه على أكمل ما يرجى منها وما قدر لها. فكل شيء قد أخذ مكانه في سجل الوجود وكل كائن قد ساهم في إبداع لحن الخلود. وليس في هذا الوجود على رأيه شرور وكيف يمكن أن يلحق الشر صنعة الخالق المنزه عن العيوب. فما يخيل لـلإنسان أنـه شر لا شر فيه بحسب حقيقتـه وإنما يعرض له الشر من ظروفه وبيئته. فسبحان الخـالق الذي شمـل برحمتـه جميع الكائنات وأفاض الجمال والحب على سائر الكائنات. فأي إيمان بالخالق أعمق أو أجل من إيمان ابن سينا به؟.

٢ ـ وابن سينا في سبيل تحقيق أهداف الدين يخاطب الإنسان بلغة الإنسان فيلفته في قوة إلى مـا في حياة الفكـر والفضيلة من سعادة وروعـة منددأ بحيـاة الشهوة وما فيها من انحطاط وضعة ومتخذاً من تجارب الإنسان نفسه دليله على ذلك فيخاطبه بقوله: إنك إذا تـأملت عويصـاً يهمك وعـرضت عليك شهـوة وخيـرت بين الـطرفين استخففت بـالشهـوة إن كنت كـريم النفس وكيف لا تستخف بالشهوة ومكانك في سلم الوجود وسط بـين عالم الـظلمة وعـالم النور وحياة الشهوة تهبط بك إلى هذا الوجود الأدنى وحياة الفكر والفضيلة ترتفع بك إلى المقام الأعلى فأي المقامين أجدر بك يا خليفة الخالق في الأرض؟ قد تظن أن حياة الشهوة تجلب لك من اللذة مقداراً أكبر مما تجلبه حياة الفكر والفضيلة وهذا وهم قاتل وسراب خداع فاللذة في حقيقتها هي إدراك كمال خيرى للمدرك فإذا كان الإدراك أكمل والمدركات أكثر وأشمل كانت اللذة الناتجة عن ذلك بداهة أعظم وأبهج. والجوهر العاقل أمعن في معنى الإدراك من الحواس. والمدركات العقلية أعلى كيفاً من المدركات الحسية بل وأكثر عدداً. فكيف تعرض بعد ذلك عن حياة الفكر والفضيلة مع أن هذه الحياة الفاضلة العقلية بمقتضى هذا المنطق تحقق لك سعادة أوفر وأدوم. وليس ذلك فحسب فحياة الشهوة حياة اشتهاء دائم. والإشتهاء ألم لا يهدأ حتى يشبع. ووسيلة الشبع البدن والبدن يفنى بالموت وتبقى النفس التي تعودت على هـذا النوع من الشهـوة فكيف تحصلها وقـد انعدمت وسيلتها من الأعضاء والآلات؟ وكيف لا تطلب الكمالات العقلية التي تستمد وجودها من الجوهر العاقل فتسعد أبداً لبقاء مصدرها وهو النفس الخالدة. فأكثر النـاس شقاء في الآخـرة ـ عند ابن سينـا ـ هم الجهلة الفساق الـذي نبهوا إلى كمالاتهم من الحق والخير فـأعرضـوا وأشد النـاس بهجة ونعيـماً هم العارفـون المتنزهون الذين جمعوا بين كمال العلم والعمـل. فطوبى لهم يـوم أن يفتح لهم الحق صدره ويمد إليهم يده ويشملهم بالحب ويحوطهم بالـرعايـة ويسمح لهم بالجوار. فأي منطق في الدعوة إلى الخير أقوى من منـطق ابن سينا وأي إيمـان بالترابط بين نوع الحياة في الدنيا ونوعه في الآخرة أقوى من هذا الإيمان؟.

٣ ـ بقيت بعد ذلك الدعامة الثالثة للأديان وهي النبوة والإيمـان بالمعجـزة وابن سينا في هذه المسألة بالذات استطاع أن يمنح الإسلام وغيره من الأديان ما يجعلها مقبولة لدى العقلاء والمفكرين. فهو يتساءل في وجه المنكرين لإمكـانية الإتصـال بعالم السموات والإطلاع عـلى المغيبات قـائلاً مـا الذي يمنعكم من التصديق بإمكان ذلك مع أنه واقع فليس أحد من الناس إلا وقد جرب ذلك في نفسه تجارب ألهمته التصديق فكم من مرة يرى الإنسان في نومه ما سيكون منه أو ما سيكون لـه. وإذا كان لنـا ونحن أناس عـاديون أن ننتقش بهـذه المعلومات ونحن في حالة النوم فما الذي يمنع النفوس الصافيـة أن تنتقش بذلـك في حال اليقظة والنوم معاً إذا كانت معرضة عن جانب الفناء إلى جانب البقاء؟. ويقول لهؤلاء المتشككين في المعجزة: وهل كشفت الطبيعة عن جميع أسرارها؟ وإذا كان في الكون ما يعجز الإنسان عن تفسيره أو تعليله فلماذا نتخذ من مخالفة المألوف دليلاً على عدم الوقوع والإستحالة. أليس يمسك المريض عن الطعام زمناً لـو أمسكه السليم لهلك، أو ليس يستطيع الإنسان في حالة الغضب وسورة الإنفعال أن يأتي بالغريب من الأفعال وإذا كان التفاوت بين الحالين والأثرين ـ أعني حالة

الغضب وحالة الهدوء ـ واقعاً ملموساً فيا الذي يمنع العقل من التصديق بأن النبي يستطيع أن يأتي من الأعمال ما يعتبر معجزة حقاً في حال اشتغاله بالملأ الأعلى وفرحه برؤية الحق أو عند إحساسه بعزة دينية أو حمية إلهية؟ ولم يكتف ابن سينا بذلك بل أضفى على الأنبياء أسمى صفات بشرية وحدد لهم من الخصائص ما لا يعرفه حماة العقيدة أنفسهم. فالنبي في نظره يتمتع بقوة محركة تستطيع أن تخرق العادة وتفعل المعجزة وله إلى جانب ذلك قوة قدسية بها يدرك الحق حدساً من غير أعمال فكر ولا رويّة كما يفعل الفلاسفة. وله أيضاً مخيلة قوية تصله بعالم السماء في أيّ وقت يشاء. فهو أرقى من الفيلسوف إدراكاً ووسيلةً. ومع ذلك فهو أرقى منه مهمة ووظيفة. لأنه يدرك الحق ويعلمه. ويعصم نفسه من الرذيلة ويجاهد في سبيل عصمة غيره. ومع ذلك فالثابت من تاريخ الرجل أنه رغم أعبائه وفوق أعبائه كان يقوم بواجباته الدينية وأنه قبض إلى ربه والمصحف بين يديه.

فلم يكن ابن سينا ملحداً يرمي إلى هدم الدين كما يرى ابن تيمية. ولم يكن شيطاناً يسعى لإفساد عقائد الناس كما يرى ابن الصلاح. ولم يكن إنساناً يستحق اللعنة والمقت والكراهية كما يرى الرازي وغيره من حماة العقيدة ورجال الشريعة رغم انتفاعه بمنطقه وفلسفته ولكنه كان إنساناً يخطىء ويصيب وهدفه دائماً هو الوصول إلى الحق والمعرفة وإن أخطأ بعض الأحيان في النتيجة.

فقد أنكر ابن سينا اقتران علم الله بالزمان لأنه يحتاج في رأيه إلى آلة جسمية فلجأ إلى القول بأنه يعلم الجزئيات على وجه كلي غير مقترن بالزمان لينزهه عن ذلك. وإذاً فالهدف هو تنزيه الخالق واحترام العقيدة. وابن سينا يوم أن قال بقدم العالم لم يهدف إلى أكثر من تنزيه الله عن التغير والإستحالة التي تلحق الأشياء الحادثة وإذاً فتنزيه الخالق واحترام الدين القائل بالخلق هي البواعث التي أملت عليه هذا الرأي ولا يوجد في العالم ما هو أنبل من هذه البواعث. أما مشكلة البعث والأبدية فقد كان ابن سينا في ذلك الوقت ضحية لمقررات العلم في أيامه فقد رأى العلم ـ وكم يخطىء ـ أن التغير مستحيل على عالم السموات وإذاً فلا مكان لتفسير مثل قوله تعالى ﴿**يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات**﴾ تفسيراً حقيقياً وإذاً فليبق النص رمزاً ولتؤول النصوص الأخرى الواردة في ذلك فابن سينا يوم أن قال بالرمزية كان يحترم العقل والعلم ويفسح مع ذلك مكاناً للدين في نفسه.

إن مقررات العلم اليوم في صالح الأديان وإن المكتشفات الحديثة تجعل نهاية هذا العالم ممكنة بل متوقعة وإذاً فلم يكن هناك علم صحيح ليقتضي تأويل النصوص ورمزيتها وحبّذا لو شكّ ابن سينا في معارف زمنه الكونية فإنه كان بذلك يسير بالإنسانية ما يزيد عن عشرة قرون إلى الأمام وربما كان قد احتل مكانه بين بناة النهضة العلمية الحديثة. ولكن حسبه أنه قد بذل جهده وكان نبيلاً في مقصده ولذلك كله يشارك الأزهر في عيده الألفي اعترافاً بفضله فيما أصاب فيه وتقديراً لبواعثه فيما أخطأه التوفيق في تقريره والعصمة لله وحده والله ولي السداد.

وقال الشيخ محمد رضا الشبيبي بعنوان :

جوانب متعددة من ابن سينا

كتاب المباحثات مجموعة أسئلة وأجوبة ورسائل متبادلة بين ابن سينا وبعض أصحابه تختلف نسخها وترتيب موادها وطريقة تأليفها بحيث لا يعلم على التحقيق من جمعها ولا من أطلق اسم المباحثات عليها وقد نظم تلميذه الجوزجاني فهرساً معروفاً لكتبه عدّ بينها كتاب المباحثات.

وردت في الكتاب أسماء جماعة من أصحاب الشيخ منها «بهمنيار» وهو يكثر من توجيه الأسئلة ويعني الشيخ بالإجابة عن أسئلته وليس لنا دليل قاطع على تعيين من عني بجمع الكتاب من بين هؤلاء وإن اشتهر أنه بهمنيار وإذا لاحظنا كثرة التفاوت والفروق البعيدة بين نسخ المباحثات جاز لنا أن نقول: إن جماعة من أصحابه وفي مقدمتهم بهمنيار عنوا بجمع رسائله وأجوبته المدونة في الكتاب كل على طريقته ووسائله الخاصة ولهذه الناحية اختلفت النسخ والأصول حتى لا نجد أحياناً شبهاً ما بين نسخة وأخرى والظاهر أن هذا الكتاب مؤلف من مجموع ما وجد متفرقاً في آثار بهمنيار وأستاذه من جزازات ومن أجوبة الشيخ عن رسائله إليه وبعضها بخط الشيخ وبعضها بخط بعض تلاميذه ووراقيه وفي المباحثات فوائد عن باقي كتب الشيخ مثل الإشارات والشفاء والإنصاف والفلسفة المشرقية وقد رد أبو علي في بعض أجوبته هذه على بعض معاصريه ممن كان يناقش فلسفته ولكنه تناولهم بلهجة جافة ما كنا نتوقع صدورها منه وفي الكتاب أيضاً نبذ يستفاد منها شيء لم يعرف من قبل عن أحوال الشيخ الرئيس.

مدار البحث في الأسئلة والأجوبة الواردة كلام طريف في أقسام الحكمة والفصل بين العملية منها والنظرية في المباحثات على مسائل من الفلسفة الإلهية والطبيعية وفي البحوث النفسية منها فوائد طريفة عن الفرق بين نفسي الإنسان والحيوان الأعجم وبين شعوره وشعور الحيوان. ويستفاد من دراسة المباحثات ـ فيما نرى ـ فوائد جمة أهمها الأمور الآتية :

١ ـ دلالة بعض نصوص الكتاب على ناحية طريفة من سيرة ابن سينا وأخلاقه.
٢ ـ كشف عن خطر الصراع بينه وبين فلاسفة عصره.
٣ ـ أسلوب الشيخ في ترسله.

وقال يتابع كلامه بعنوان :

معركة ابن سينا

لا نهاية لمعركة ابن سينا التي بدأت في عصره فهي مستمرة إلى الآن وما زال المعنيون بالفلسفة فريقين في موقفهم منه فريق له وفريق عليه ولا عجب فإن عصره عصر احتدام الآراء ومصادمة الأفكار طوراً بين أشياع الفلسفة وخصومها وتارة بين أصحاب المذاهب الفلسفية أنفسهم من قدماء ومحدثين طبيعيين وإلهيين.

في هذا العصر نبه ذكر الشيخ وشدت الرحال إليه لأخذ الفلسفة وفنون الطب والحكمة وكثر عدد تلامذته وكان الصراع في عصره كما هو اليوم وكما هو بعد اليوم قائماً بين معاني الحياة في ناحية الروح والمادة والشك واليقين واليأس والرجاء والحق والباطل أو دائراً على البحث في طبيعة النفس والوجود وحقائق الموجودات وغير ذلك عن مطالب الفلسفة وقد أبلى الشيخ بلاءه في هذا الصراع دفاعاً عن نفسه وعن آرائه ومعتقداته وبذل جهده في الرد على مخالفيه وتفنيد آراء المشنعين عليه.

وفي هذه الفترة تعددت الفرق والأحزاب المعنية بالفلسفة وتميزت منها فرقتان الأولى إشياع الفلسفة القديمة أو الفلسفة المادية كما يقال لها أحياناً والثانية

الفرقة المشائية أشياع أرسطو وهي فرقة مشهورة معقودة اللواء في هذا العصر لابن سينا ومركزها في أصفهان وغيرها من حواضر الدولة السامانية. أما الفرقة الأخرى فلا يعرف لها رئيس في هذا العصر على أن أشهر مراكزها بغداد وبعدها البصرة، والغالب أن جل المعنيين بالفلسفة من العراقيين والبغداديين لم يكونوا من أشياع المشائين ومن هذه الناحية شجر ما شجر من الخلاف بين الفرقتين وعنيت كل فرقة بالرد على الثانية مراسلة وكتابة كما يشهد بذلك كتاب المباحثات.

لا ينكر نشاط البغداديين المعنيين بالفلسفة في هذا العصر في الكتابة والتأليف ومناقشة آراء ابن سينا ولا ينكر وجود حركة عقلية قوية في عاصمة بني العباس مستقلة عن مدرسة الشيخ الرئيس في أصفهان وخوارزم والري متجهة غير وجهته منتحية نحو معارضته في كثير من الأحيان ولما تفاقم خبرها لدى الشيخ وتلامذته عنوا بجلب تصانيف البغداديين إلى أصفهان على مغالاة أصحاب هذه الكتب بالسوم ولكن أصحاب ابن سينا لم يضنوا بالمال مهما بلغ في هذا السبيل حتى أسهم في ذلك بعض الأذكياء من أبناء الأمراء. كل ذلك بغية الإطلاع عليها والوقوف على مدى تباين وجهات النظر ومناقشة آراء البغداديين من هذه الناحية. هذا مع أن الشيخ كان بحاجة إلى الإستجمام في هذه الآونة بعد هزيمة أصفهان التي اجتاحت كتبه على باب المدينة المذكورة.

ويعد كتاب المباحثات على إيجازه المخل أحياناً وعلى ما فيه من تعقيد بمثابة سجل لهذه الأحداث والأبحاث. ونحن ننقل بعض ما جاء في هذا الباب منه بشيء من التصرف وحذف ما لا حاجة به من العبارات قال بهمنيار «كان قد اتفق من الدواعي عام طروق ركاب السلطان الماضي رحمة الله عليه هذه البلاد ما بعثه على الإشتغال بكتاب سماه «الإنصاف» اشتمل على جميع كتب أرسطاطاليس إنما خفف على نفسه ما يحتاج أن ينقل فترك له فرجاً وعلامات وكان عدد ما تكلم فيه وجعله موضع نظر ونسب الكلام المقدم فيه إلى ظلم أو تقصير أو تحريف فوق سبعة وعشرين ألف موضع وقبل أن ينقل ذلك إلى المبيضة وقع عليه قطع في هزيمة ألمت بأسبابه وكتبه كلها على باب أصفهان فلما عاد إلى الري بهر لمعاودة ذلك التصنيف ففرّ فإن معاودة المفروغ منه متثقلة فلم يترك يحرّض ويبعث وقيل له لعلك إن استدعيت ما أحدثه المحدثون بمدينة السلام كانت الخواطر الجديدة تحرك منك نشاطاً للحكم عليها بالتصويب أو بالتخطئة وانبرى بعض أولاد الأمراء من أهل الفضل قائلاً أنه يستقبح من ماله إلى مدينة السلام لاستدعاء ما وجد للشيخين بها فامتعض وكره أن يقف موقف البخلاء ورسم لبعض أصدقائه أن يبتاع ما تجدد من كتب الشيخين فلم يظفر إلا بكتب الشيخ الباقي منها فلما تأملناها رأينا شيئاً لا عهد لأهل التحصيل به تشويشاً واختلاطاً فطال لسانه على ممرضيه وقال ألم أقل لكم أن الطبقة هذه الطبقة وأن التصرف هذا التصرف وأن أبا الخير ابن الخمار وابن السمح على ضيق مجالسهما برواية بعض الكتب كانا أحسن حالاً من غيرهما والشأن في إعظام القوم للطلبة ومقالاتهم في العين كأنهم يهذون ما لا عين رأت ولا أذن سمعت وقد كان بلغني أن ذلك الشيخ يعني «أبا الفرج ابن الطيب» قد خولط وقتاً ما في عقله للأمراض التي تصيب أهل الفكر ولعل هذا من تصنيفه ذلك الوقت وبقينا نعجب ممن يقنع بهذا القدر اليسير ثم لهذا النمط المختل من البيان. ولعمري لقد أراح هؤلاء أنفسهم. ورفضوا المنطق مطلقاً. وليس هو هذا اليوم بل منذ زمان وأما من جهة صورتها فهؤلاء خاصة أغفلوها وكلما عالجوها حادوا عن الجادة لأنهم لم يحصلوا ملكة التصرف ولم يقاسوا فمن الجزئيات عناء التحليل وأنا أسأل الشيخ أن يعرض هذه الصورة على أهل التحصيل.ليعلموا أنه لم يكن في أول الأمر إلى ثلب الكتب فاقه تحمل ذلك الاشتطاط ولا في الأمر لها بعد ذلك اقترار عين ثم قال: وسبيل هذه الكتب أن تردّ على بائعها ويترك عليه أثمانها».

وبعد أن أشار بهمنيار إلى موضوعات هذه الكتب من منطقية وفلسفية عاد إلى نقدها والتنديد بها قائلاً «فمن عرض عليه من أهل العراق هذه الأحرف واشتبه عليه الحال في صدق جماعتنا فليعين على أي موضع يشاء من المعاني التي تشتمل عليه هذه الكتب لا سيما الطبيعية والإلهية حتى يكتب بعض ما فيه من الفساد والخروج عن النظام والهذيان.

فلذا حمى وطيس المعركة في عصر ابن سينا وبعد ذلك العصر بين أنصاره وخصومه فكلما تصدى للرد على الشيخ أو التشنيع عليه أحد الخصوم نهض أنصاره للدفاع عنه فهذا ابن رشد صنف في الرد على أبي حامد الغزالي لرده على ابن سينا وغيره من الفلاسفة وإن لم يتفق ابن رشد مع الشيخ كل الإتفاق في تحرير الفلسفة القديمة وهذا نصير الدين الطوسي أشرع قلمه للذب عن ابن سينا راداً على الشهرستاني في كتابه «مصارعة الفلاسفة» وعلى فخر الدين الرازي في «المحصل» و «شرح الإشارات» وانبرى للذب عنه من الفلاسفة المتأخرين «ابن كمونة» فإنه لخص كتاباً في نقض الإشارات لنجم الدين النخشواني فقال إن أكثر هذه الإعتراضات غير واردة. هذا ولصدر الدين الشيرازي مواقفه في الرد على الرازي فخر الدين. وإياه أراد الشيرازي بقوله في تعليقاته على إلهيّات الشفاء: «كان هذا المرء المعروف بالذكاء سريع المبادرة في الإعتراض على الشيخ قبل الإمعان والتفتيش لعجلة طبعه وطيشه».

خصوم الشيخ:

هناك ثلاث طبقات ناهضت فلاسفة الإسلام وشددت النكير عليهم منذ عصر ابن سينا حتى اليوم.

١ ـ قوم خرجوا عن حدود الإعتدال في المناقشة إلى المهاترة والإسفاف شعارهم الغيرة على الفضيلة ولا شأن لنا بهؤلاء إذ كفانا أبو حامد الغزالي مؤونة الدخول في المناقشة معهم فقال «إنهم لمكان جمودهم وعجزهم أشد نكاية بالإسلام من الفلاسفة والغزالي ـ كما لا يخفى ـ أغزر المعنيين بالرد على الفلاسفة مادة وأبعدهم أثراً في هذه الناحية.

من هذا القبيل ما جاء في المختصر المسمّى: «إخبار العلماء بأخبار الحكماء» للقفطي، في هذا المختصر من إسفاف وبذاءة في التحامل على الفارابي وابن سينا لا يصدق وروده في كتاب يعنى مؤلفه بتاريخ الحكماء، ومن المفيد أن نقول في هذا الصدد: إن هذا المختصر كتاب ملفق مبتور وأن جامعه جانب الأمانة في النقل فهو يسطو على الكتب وعلى أقوال المؤلفين ويوردها في كتابه بدون أن يشير إلى ذلك كما فعل بكتاب «طبقات الأمم» لصاعد الأندلسي وغيره أيضاً، والخلاصة: إذا محصنا هذا المختصر بمنظار النقد العلمي لم نجده في الكتب الجديرة بالثقة بل نجد جامعه مجرّداً من مميزات العلماء.

٢ ـ ومن المنحرفين عن ابن سينا طبقة من أرباب القلوب والأمزجة الصوفية والشعرية الذين أضناهم السير في طلب الحقيقة ولم يزدهم النظر في

تصانيف الفلاسفة إلا بعداً عنها ومن ثم وبعد محن وتجارب صوفية قاسية أوسعوا الكتب الفلسفية ذماً فيها لهم من منظوم ومنثور نظير ما قاله علاء الدين علي بن الحسن بن الحسن الجوادي الكاتب حسبما رواه ابن الفوطي في تاريخه المسمّى «تلخيص مجمع الآداب»:

تصفحت «الشفاء» على كمال ... وطالعت «النجاة» على تمام
فلم أر في «النجاة» سوى هلاك ... ولم أر في «الشفاء» سوى سقام

وهذا أبو سعيد ابن أبي الخير من الشيوخ العارفين يقول بعد انقطاع الصحبة بينه وبين الشيخ الرئيس وما انقطعت تلك الصحبة إلا بعد محنة صوفية وأزمة نفسية عنيفة:

قطعنا المودة عن معشر ... بهم مرض من كتاب «الشفا»
فماتوا على ما يرى رسطليس ... وعشنا على ملة المصطفى

يعد ابن أبي الخير هذا من ألصق أصحاب ابن سينا به وأكثرهم أخذاً عنه ورسائل الشيخ إليه تدل على إكبار بالغ وهو يلقبه «سلطان العارفين وخاتمة المشايخ» ويلقبونه أيضاً «قطب الأولياء» على أن أبا الخير نفسه كما يبدو من بعض رسائله كان يرى في الشيخ مرشداً أو مرجعاً في حل المشكلات إلى أن شجر بينهما نوع من الخلاف في المنحى والطريقة فابن سينا يستوحي عقله في البحث عن حقائق الأشياء وابن أبي الخير يستوحي قلبه وشعوره الفياض وهو خلاف معروف بين أصحاب الحكمتين البحثية والذوقية.

تحفل خزائن الكتب برسائل نادرة متبادلة بين الشيخ أبي سعيد ابن أبي الخير وابن سينا في أحوال النفس والزهد والعزلة إلى أسئلة أخرى لا تخلو من شطحات المتصوفة وقد اشتهرت وصية أوصى بها الشيخ صاحبه المذكور وهي التي يقول في آخرها «خير العمل ما صدر عن حسن نية وخير النيات ما ينفرج عن جناب علم والحكمة أم الفضائل بمعرفة الله أول الأوائل إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه».

من هذه الوصية نسخ عدة مخطوطة ولكنها كثيرة التفاوت والاختلاف وفي الجزء الثاني من أجزاء رسائل ابن سينا التي نشرت أخيراً في السنة الماضية في الأستانة نص كامل من هذه الوصية وقد أورد ابن أبي أصيبعة جزءاً منها في عيون الأنباء ونشرت رسالة ابن أبي الخير وقسم من الوصية في أول الطبعة المصرية من كتاب «النجاة» هذا إلى أصول أخرى تختلف كل الاختلاف فهي لذلك جديرة بالمقارنة والتحقيق ويحسن أن يتناول تحقيق هذه الوصية تنافر الأساليب في بعض فقراتها فإن بعضها بأساليب المتصوفة المتأخرين أشبه من أساليب الشيخ الرئيس فليلاحظ ذلك.

هؤلاء وأمثالهم نفر من الصوفية والشعراء زجت بهم الأقدار في خضم الحياة فهم يتطلعون إلى ساحل الأمان من خلال كتب الفلسفة فلما خابت أمانيهم ولما طال عليهم التسكع في مجاهل العلق والحيرة هجروا الفلسفة وكتبها وانحوا باللائمة عليها وليس الذنب ذنب تلك الكتب في الحقيقة.

هذا ويلاحظ أن بين أرباب القلوب والأحوال من المتصوفة والشعراء طبقة أخرى نظرت نظرة الرضا إلى أسلوب ابن سينا في قصصه الرمزية الفلسفية مثل قصة «حي بن يقظان» و«رسالة الطير» و«سلامان وابسال» وفي «حي بن يقظان» يقول ابن الهبارية الشاعر العباسي المشهور المتوفى سنة ٥٠٤ بكرمان:

حي بن يقظان ما حي بن يقظانا ... سبحان موجد ذاك الشيخ سبحانا
شيخ من الولد القدسي منشؤه ... سرى إلينا وحيانا فأحيانا

عني فريق من المتصوفة والأدباء بشرح قصة حي بن يقظان كما عني بنظمها شعراء آخرون ومنهم ابن الهبارية على ما تشير إليه فهارس بعض المكتبات ولا شك أن ابن الهبارية جود نظمه لحي بن يقظان كما فعل في نظم كليلة ودمنة في ديوان سماه نتائج الفطنة وكما فعل في الصادح والباغم الذي نظمه على هذا الأسلوب هذا مع العلم بأن منظومته المذكورة لم تصل إلى أيدي الباحثين ولا يخفى أن ابن الهبارية نشأ في العصر الثاني لعصر ابن سينا متأثراً بآرائه معنياً بنظم كتب الحكم والأمثال وصلت إلينا قصة حي بن يقظان منظومة نظماً شائقاً في أكثر من أربعمائة بيت من إنشاء هبة الله بن عبد الواحد أحد شعراء القرن السادس والنسخة التي وصلت إلينا من هذه المنظومة منقولة عن خط الشيخ عبد الرحمن العتائقي من أعلام العراق في منتصف القرن الثامن وله عليها تعليقات لطيفة وفي أولها يقول الناظم المذكور:

تيسرت لي من بلادي برزه ... صحبت فيها سادة أعزه
فسرت يومين عن المدينه ... في رفقة رفيقة أمينه
فآنست عيناي في البيداء ... شيخاً يهي العقل والرواء
قد مرت السنون والأعوام ... عليه وهو حدث غلام

٣ ـ الطبقة الثالثة معاصرو الشيخ المعنيون بالفلسفة القديمة ووضع الكتب فيها وجلهم من أهل بغداد وبعضهم من المسيحيين السريان وهو يسميهم في بعض رسائله «نصارى مدينة السلام» ولم تظهر من الشيخ عناية بما يكتبه هؤلاء البغداديون إلا بعد محنته على باب أصفهان حيث أراد أصحابه التسرية عنه واستئناف نشاطه في البحث فجلبوا له مؤلفات البغداديين لدرسها والنظر في وجوه الخلاف بينهم وبينه في تحرير الفلسفة كما أشرنا إلى ذلك قريباً ومن مشايخ هؤلاء الفلاسفة البغداديين الذين ورد ذكرهم في المراسلات الدائرة بين الشيخ وأصحابه أبو الخير الحسن ابن سوار المعروف بابن الخمار شيخ من شيوخ هؤلاء البغداديين في الطب والفلسفة أقام مدة في مملكة بني سامان روى عنه ابن النديم في فهرسته فهو معاصر له ولابن الخمار على ما جاء في الفهرست وغيره كتب في الرد على أرسطو فهو من طبقة مشايخ ابن سينا بيد أن تلامذته من المعاصرين للشيخ عنوا بالرد على ابن سينا ودخلوا في النقاش معه ونقدوا آراءه في الطب وفي الفلسفتين الطبيعية والإلهية إذ أن لابن الخمار تلامذة نجباء في الفلسفة ذاع ذكرهم واشتهرت مؤلفاتهم منهم أبو الفرج ابن هندو وأبو الفرج عبدالله ابن الطيب والأخير من المعروفين بمناقشته لابن سينا ومنافسة ابن سينا له في الطب والمنطق ومن فلاسفة بغداد في هذه الفترة مسكويه صاحب «تهذيب الأخلاق» وابن السمح البغدادي له تصانيف مشهورة وغيرهم ممن اشتهروا بالإنحراف عن طريقة المشائين.

غمز ابن سينا في المراسلات التي دارت بينه وبين أصحابه وفي الأقوال المروية عنه في كتاب المباحثات أكثر هؤلاء الخصوم البغداديين المعاصرين له

وطعن في مآخذهم للفلسفة وسوء فهمهم للعلم الإلهي خاصة ـ على ما يقول ـ بل تهكم عليهم وسخر منهم سخرية لاذعة أحياناً بيد أنه كان متحفظاً في الكلام عن ابن الخمار وابن السمح وفي ذلك ما فيه من الدلالة على منزلتها العلمية والمرجح أن ابن سينا لم يبدأهم بهذا الضرب من الطعن والغمز وإنما كان يدافع عن نفسه وعن طريقته وعن مذهبه وآرائه التي نوقشت مناقشة شديدة لا تخلو من التشنيع والتشهير في كثير من الأحيان فكلما ظهر له كتاب ظهرت على أثره كتب تعارضه وتتحداه.

ولا تخلو كتب ابن سينا من التشهير بهذا النمط من الفلاسفة المعاصرين له وتنقصهم والتشنيع عليهم ونسبتهم إلى التمويه والمغالطة ولنعتبر قوله في آخر منطق الشفاء وهذا نصه: ولقد رأينا وشاهدنا في زماننا قوماً كانوا يتظاهرون بالحكمة ويقولون بها ويدعون الناس إليها ودرجتهم فيها سافلة فلما ظهر للناس أنهم مقصرون أنكروا أن يكون للحكمة حقيقة وللفلسفة فائدة. وكثير منهم لما لم يمكنه أن يدعي بطلان الفلسفة من الأصل قصد المشائين بالثلب. وصناعة المنطق والبانين عليها بالعيب فأوهم أن الفلسفة أفلاطونية وأن الحكمة سقراطية وأن الدراية ليست إلا عند القدماء من الأوائل. والفيثاغوريين من الفلاسفة، وكثير منهم قال إن الفلسفة وإن كانت حقيقية فلا جدوى في تعلمها. وأن النفس الإنسانية كالبهيمة باطلة ولا جدوى للحكمة في العاجلة. وأما الآجلة فلا أجلة ومن أحب أن يعتقد أنه حكيم وسقطت قوته عن إدراك الحكمة أو عاقه الكسل والدعة عنها لم يجد من اعتناق صناعة المغالط محيصاً ومن هذا بحث عن المغالطة» هذا ما قاله الشيخ في آخر كتاب المنطق من الشفاء ولهذا السبب صار البحث عن فن المغالطة جزءاً من أجزاء المنطق الثانية.

وكتب ابن سينا لاتني من جهة إشادة بأرسطو وكتبه وتنويهاً بالمشائين وآرائهم في المنطق والفلسفة حتى إذا ذكرهم في الشفاء وغيره قال أصحابنا «المشاؤون» ولا تخلو كتب الشيخ من جهة أخرى عن غمز أفلاطون وسقراط وأشياع الفلسفة القديمة أو الإشراقية وهو يميل فيها إلى تنزيه أرسطو عن النقص والخطأ في صناعة المنطق ولذلك يقول في آخر منطق الشفاء «أنظروا معاشر المتعلمين هل أتى بعده أحد زاد عليه أو أظهر فيه قصوراً مع طول المدة وبعد العهد بل كان ما ذكره هو التام الكامل والميزان الصحيح والحق الصريح» ولم يحجم بعد ذلك عن غمز أفلاطون وسقراط فقال «وأما أفلاطون الإلهي فإن كانت بضاعته من الحكمة ما وصل إلينا من كتبه وكلامه فلقد كانت بضاعته في العلم مزجاة» وناقش مذهبه في المثل الأفلاطونية فقال في بحثه عن المثل المذكورة «كان المعروف بأفلاطون ومعلمه سقراط يفرطان في هذا القول» وفي قوله المعروف بأفلاطون ما فيه من غميزة أما كتب الفرقة الأخرى فإنها حافلة كذلك بمناقشة المشائين والرد عليهم.

ترسل الشيخ في المباحثات:

ويلاحظ أن أسلوب الشيخ في رسائله المدرجة في المباحثات أسلوب أدبي بليغ يضاهي أساليب بلغاء المترسلين في عصره وما إليه وهم كثيرون ولهم في النثر أساليب خاصة معروفة. وتبدو لنا الفروق بعيدة إذا قارنا بين أسلوب الشيخ في رسائله الأخوانية في المباحثات وغيرها وأساليبه الأخرى المألوفة في أسفاره الفلسفية الكبرى حيث يغلب عليها جفاف الأساليب العلمية البحتة. ويبدو لنا الشيخ أيضاً رقيق الحاشية جم الأدب في مخاطبة أصحابه وتشهد هذه المراسلات شهادة قاطعة بوجود رابطة أكيدة وصلات وثيقة وإخلاص متناه بين الجانبين. هذا وقد اضطر الشيخ خلال مناقشة معارضيه إلى استخدام بعض العبارات الجافية التي لا تليق بأمثاله ويلاحظ أنه كان مع هذا سديد المنطق قوي الحجة ولذلك أسباب تقدمت إليها الإشارة.

كانت للأدب دولة راقية في عصر السامانيين كما تشهد بذلك مؤلفات الثعالبي وفي مقدمتها يتيمة الدهر وذيولها في هذا العصر حيث كثر عدد الشعراء والمترسلين والأدباء النابهين في خوارزم والري وأصفهان ونيسابور وما وراء النهر وكثير منهم من معاصري ابن سينا بيد أننا لم نجد للشيخ ذكراً في تلك الدواوين والأسفار الأدبيّة وهو أمر يدل على أن صلة الشيخ برجال الأدب لم تكن وثيقة وقلما اتصل به غير رجال الفكر والفلسفة. عني مؤرخو ابن سينا بشتى نواحي حياته ويلاحظ أنهم أغفلوا من بين ذلك ناحية لها خطرها في تاريخ الناس وهي ناحية الخلف والذرية فلم يذكر لابن سينا ولد أو نسل كأنما وجد بكتبه وأسفاره وبنات أفكاره بديلاً عن ذلك ولم يخرج ابن سينا في هذا الشأن عن كثير من الأعاظم الذين لا يعرف لهم نسل ولا تذكر لهم ذرية ترسم خطاهم وتنسج على منوالهم سنة الله في بعض خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً وهذه ناحية تستحق التوسع في البحث والدراسة.

وقال الأستاذ قدري طوقان:

أثر ابن سينا في الغرب

لقد سحرت عبقرية ابن سينا المستشرقين والعلماء في الشرق والغرب على السواء فلقبه بعضهم بأرسطو الإسلام وابقراطه، وجعله (دانتي) بين أبقراط وجالينوس. وقال (دى بور) «... وكان ابن سينا أسبق كتاب المختصرات الجامعة في العالم...» ويرى فيه مثلاً للرجل الواسع الإطلاع والمترجم الصادق عن روح عصره. وإلى هذا يرجع تأثيره العظيم وشأنه في التاريخ. كما كان يرى (مونك) في ابن سينا أنه من أهل العبقرية الفذة ومن الكتاب المنتجين. أما (اويرفيك ـ Ueberweg) فيقول أن ابن سينا اشتهر في العصور الوسطى وتردد اسمه على كل شفة ولسان «ولقد كانت قيمته قيمة مفكر ملأ عصره. وكان من أكابر عظماء الإنسانية على الإطلاق..».

ولقد أجمع علماء الشرق والغرب على تقدير ابن سينا وتمجيده، واستقوا من رشح عبقريته وفيض نتاجه فكان من الذين ساهموا مساهمة فعالة في تقدم العلوم الطبيعية والفلسفية والنفسية.

وقد ظلت الفلسفة الأرسطية المصطبغة بمذهب الأفلاطونية الحديثة معروفة عند الشرقيين في الصورة التي عرضها فيها ابن سينا. وكثيراً ما اعتمد (باكون Bacon) في توضيح آراء أرسطو على ابن سينا.

وبقيت كتب ابن سينا في الفلسفة والطب تدرس في الجامعات في أوروبا إلى القرن السابع عشر للميلاد. ويقول (دى بور) «وكان تأثير ابن سينا في الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى عظيم الشأن. واعتبر في المقام كأرسطو...».

وتأثر به اسكندر الهالي الإنكليزي وتوماس اليوركي الإنكليزي أيضاً. وتأثر بابن سينا كذلك كبار فلاسفة العصور الوسطى أمثال البرت الكبير والقديس توما الأكويني، فقد قلدوه في التأليف وتبنوا بعض نظرياته وآرائه. وقال سارطون «إن فكر ابن سينا يمثل قمة الفلسفة في القرون الوسطى».

ومما يدل على ميله إلى التجدد والتحرر قوله « . . حسبنا ما كتب من شروح المذاهب القدماء . وقد آن لنا أن نضع فلسفة خاصة بنا . . . » .

السيد حسين القزويني الحائري ابن السيد محمد باقر

ولد سنة ١٢٨٨ في كربلا وتوفي فيها سنة ١٣٦٧ .

وآل القزويني الذين ينتمي إليهم هم غير الأسرة القزوينية الشهيرة التي استوطنت النجف والحلة وطويريج وغيرها من مدن الفرات الأوسط .

هاجر الجد الثاني للمترجم السيد باقر من مدينة كرمنشاه ـ بعد أن كان انتقل إليها من قزوين ـ إلى النجف سنة ١١٨٥ لطلب العلم ثم استقر فيها ، ثم انتقل مع ولديه ابراهيم ومهدي الى كربلا واستوطنوها .

بدأ المترجم دراسته في كربلا على أبيه وغيره ثم ذهب إلى النجف فدرس على الشيخ محمد كاظم الخراساني والشيخ آقاضياء الدين العراقي والسيد أحمد القزويني والسيد أبو الحسن الأصفهاني والشيخ حسين النائيني والشيخ محمد تقي الشيرازي .

وكان من المعاونين للأخير تدبير امور الثورة العراقية ومن أعضاء المجلس العلمي المشرف على الثورة ، كما كانت داره ملتقى لزعمائها .

وبعد القضاء على الثورة اعتقل مع من اعتقلوا من قادتها وحكم عليهم المجلس العرفي الانكليزي احكاماً مختلفة بالأعدام والسجن لمدد طويلة ، ثم نقلوا جميعاً إلى مدينتي الحلة وطويريج وظلوا في السجن أكثر من ستة أشهر . وفي ٢٢ رمضان سنة ١٣٣٩ اعلن المندوب السامي البريطاني بعد عودته من مؤتمر القاهرة العفو العام عن المشتركين في الثورة ، فعاد المترجم إلى كربلا .

ترك من المؤلفات : ١ ـ المدينة الفاضلة في الإسلام جزءان مطبوعان ٢ ـ الأجوبة الحائرية على الأسئلة البغدادية ٣ ـ كتاب في تاريخ الاسلام وغير ذلك .

الشيخ حسين معتوق

توفي سنة ١٤٠١ في مطالع الشيخوخة .

درس دراسته الأولى في جبل عامل ثم اتمها في النجف الأشرف وعاد إلى لبنان فسكن في (الغبيري) من ضواحي بيروت وبنى فيها مسجداً كان يقيم فيه الجمعة والجماعة ويعظ الناس ويرشدهم ، وكان وكيلاً لأحد مراجع النجف .

له كتاب المحاضرات الدينية وله شعر أيام كان طالباً في النجف .

منه :

(أمن العدل أنهم يوم بانوا   ايقظوا جفني القريح وناموا)
روعوني وما رعوا لي ذماما   في نواهم وللمحب ذمام
تركوا مهجتي تذوب وقلبي   ملؤه لوعة بهم وغرام
لا عليهم فهم هنا بفؤادي   حيث كانوا ترحلوا أم أقاموا
وحّد الحب بيننا فغدونا   روح حب تضمها أجسام
لا نبالي بما جنته الليالي   وأتت فيه بيننا الأيام
وإذا صح في النفوس وداد   فسواء ترحل ومقام
وإذا خالط الوداد رياء   فعلى الحب والوداد السلام
خسرت صفقة المحب إذا ما   لعبت في وفائه الأوهام
تارة يحكم الولاء وأخرى   تفصم الود في يديه سهام
يا احبائي قد طوينا عتابا   ليس تستطيع نشره الأقلام
وكتمنا عن المسامع لوماً   حذراً ان تذيعه اللوّام
وحفظنا لكم حقوق الإخاء   وكذا تحفظ الحقوق الكرام

ومنه .

هيهات أن يتسلى القلب بعدكم   والبعد يقدح أزناد الأسى فيه
إن مال للصبر عنكم لحظة بعثت   ذكراكم لوعة الأشواق توريه
خط الغرام لكم فيه سطور صفا   فأنتم حيث كنتم في محانيه
دروس حب قرأناها على صغر   والحب مرآته أفكار قاريه
إذا سرى نسيم من نحوكم صعدت   أنفاس أحشائنا الحرّى تحييه
يحلو لنا ذكركم ما مر ذكركم   فألسن الحب لا تنفك ترويه
نظل فيكم حيارى لا يجف لنا   دمع ترقرقه الذكرى وتجريه
لولا تعللنا في قربكم زمناً   قضى علينا النوى ما بين أيديه
يا جيرة الحي هل بعد الفراق لقاً   يفوز كل محب في أمانيه
نسيتم حين كان الحب يجمعنا   في جانب الحي من شرقي واديه
حيث الهزار يغنينا فيطربنا   بين الأزاهير في أحلى أغانيه
وأكؤس الراح تجلى بيننا علناً   في كف أهيف يحكيها وتحكيه
ننظم الشعر في أسلاكه درراً   تجلو ظلام الأسى عنا دراريه
ما أبدع الشعر لو ألفاظه عذبت   وما أحيلاه لو رقت معانيه
يدق في القلب ناقوس السرور إذا   ما أتقنت صنعه أفكار منشيه
ما الشعر تسطير ألفاظ معقدة   ما أبعد الشعر عمن ليس يدريه
آليت ارسل أفكاري تنظمه   إلا إلى الوطن المحبوب أهديه
يا موطناً عاث فيه الجور فانبعثت   هذي الجفون بقاني الدمع تبكيه
جارت عليه الليالي في تصرفها   فأسلمته إلى أيدي أعاديه
أزهار روضاته مال الذبول بها   حزناً عليه كما جفت مجاريه
هل ينفح العدل فيه نفحة فعسى   تربو وتهتز بالبشرى مغانيه
يا أيها الوطن المحبوب نار أسى   عليك في القلب لا تنفك تذكيه

ابو نواس الحسن بن هاني

مرت ترجمته في الصفحة ٣٣١ من المجلد الخامس ونزيد عليها هنا ما يلي مكتوباً بقلم الدكتور حسين مروة :

لا ندري : من أين اندسّت في تراث الأدب العربي هذه الدسيسة التي شاعت ، أو شاعها ناس ، إن تذهب في تاريخنا الأدبي ، فتصم كل ذي شأن كبير من شخصيات هذا التاريخ المكتنز الخصيب بوصمة « الشعوبية » ، لتضعه في مكان يخرجه من مكانه الأصيل في تراثنا وتاريخنا معاً ، فإذا بنا كلما أوغلنا في هذه الكنوز الأدبية أو الفكرية التي أورثتنا إياها عصورنا الذهبية ، وجدنا « الدسيسة » الخبيثة تنتقي جواهر متألقة من هذه الكنوز ، ثم تفردها ناحية ، لتقول عنها ، واحدة واحدة :

ـ كلا . . هذه ليست جوهرة عربية . . هذه دخيلة غريبة . . هذه « شعوبية » ! . . .

من أراد هذه « الدسيسة » الخبيثة بتراثنا الأدبي والفكري ؟ . .

هل أرادها ناس عرب مخلصون لقومهم ولتراثهم الثقافي ، قصْدَ ان يظهروه عربياً خالصاً نقياً من الشوائب ، فجهلوا الوسيلة ، وأساءوا الى التراث بخدعة من الخدع اخرجت من كنوزه تلك الجواهر الثمينة ؟

أم أرادها ناس آخرون لم يكونوا مخلصين لثقافة العرب وحضارتهم ، فقصدوا الى هذه الخدعة عن وعي وعمد ، ليعطلوا جيد ثقافتنا وحضارتنا من روائع البدع الفكرية والأدبية التي صنعها العقل العربي بأداة عربية خالصة ، هي اللغة وأسلوبها وعبقرية تعبيرها ؟ . .

يغلب في ظني ، وأكاد أقول في يقيني ، ان الذي دس الدسيسة هذه ، هو الى العدو أقرب منه إلى الصديق ، وان المسألة في مصدرها التاريخي انما ترجع إلى ناس ارادوها تحريفاً لمفهوم الثقافة القومية ، ليكون ذلك سبيلاً الى تحريف تاريخنا الثقافي ذاته ، وتشويهه ، والانتقاص من قيمته ، فإذا هم يفردون عدداً من اعلامه واحداً بعد واحد ، ويفردون نتاج عبقرياتهم في معزل عن تراثنا الأصيل ، بزعم أنهم « شعوبيون » ، حتى يقفوا بنا أمام هذا التراث وهو خلو من بدائع الأدب والفكر التي أبدعها اولئك الأعلام في أزهى أيامه وأخصب عهوده . . . ثم ما لبثت الدسيسة تسري متنقلة في كتب التاريخ والسير حتى وصلت إلى أجيالنا المتأخرة وإلى جيلنا المعاصر بالذات ، فإذا بنا نأخذها أخذ المسلمات أو الحقائق الثابته ، دون مناقشة ، أو محض شك ! . .

مثلاً :

بشار بن برد . . « شعوبي » ! . . .

عبدالله ابن المقفع . . » شعوبي » ! . .

أبو نواس . . « شعوبي » ! . .

ابن الرومي . . « شعوبي » ! . .

بل . . حتى أبو عثمان الجاحظ ، وأبو الطيب المتنبي « شعوبيان » ! . .[1]

لماذا ؟ . .

كان يكفي أن يرجع النسب بأحد هؤلاء وأمثالهم إلى أصل فارسي ، مثلاً ، حتى يخرجوه بهذا الوصف من نطاق نسبه الفكري والثقافي والأدبي ، أي نسبه العربي الذي نماه فكراً وثقافة وأدباً ولغة وحياة يومية ، هي حياة اللحم والدم ، حياة الذهن والقلب . .

بل ، كان يكفي ان يجهل المؤرخون حلقة واحدة من نسب كاتب أو شاعر أو مفكر ، أو أن يشكوا مجرد الشك ، حتى يلحقوه بفصيلة « الشعوبية » ! . .

لقد كان أبو نواس « أعرق » هؤلاء الأعلام « شعوبية » في رأي مؤرخي أدبنا العربي ، وهو لا يزال هكذا في رأي الكثرة الغالبة من مثقفي جيلنا المعاصر نفسه . . فلننظر ، اذن ، في المستند الذي ركنوا إليه حين اطلقوا حكمهم ذاك على أبي نواس ، لنرى : هل يصح لمنطق العلم والتاريخ ان يركن إليه ، حتى نتبعهم واثقين ، أو أن الأمر ليس بهذه المنزلة من البداهة التي اخذته بها الأجيال منذ العصر العباسي الأول حتى اليوم . .

فإذا استطعنا ان نصل بأمر أبي نواس إلى رأي علمي مقبول ، فإن امر غيره من الموصومين بـ « الشعوبية » يصبح يسيراً لا محالة :

ولننطلق الآن ، في موضوعنا ، من هذا السؤال :

ـ هل صحيح أن أبا نواس كان شعوبياً . . بمعنى أنه كان عدواً للعرب يفضل عليهم الفرس ، كما كان معروفاً من معنى الشعوبية في العصر الذي نشأت فيه هذه النزعة العنصرية البغيضة ؟ . .

لكي نستطيع ان نستخلص الحقيقة في هذه الدعوى ، يجب أولاً ، أن نستعرض جملة الشواهد التي احتجوا بها على شعوبيته ، ثم ننظر في هذه الشواهد نظرة موضوعية ، غير متأثرين بسيطرة الفكر التقليدية المتوارثة منذ أجيال ، لنرى : هل تكفي هذه الشواهد للحكم لشعوبية أبي نواس أو هي قاصرة عن اثبات هذه الدعوى

لقد استدلوا على شعوبيته بما يلي :

أولاً ـ ما ورد في شعره من كلام وصفوه بأنه مدح للفرس وهجاء للعرب ، مثل قوله :

ولفارس الاحرار أنفس انفس … وفخارهم في عشرة معدوم

وإذا أعاشر عصبة عربية … بدرت الى ذكر الفخار تميم

وبنو الأعاجم لا احاذر منهم … شراً ، فمنطق شرهم محسوم

لا يبذخون على النديم اذا انتشوا … ولهم ، اذا العرب اعتدت ، تسليم

وجميعهم لي ، حين أقعد بينهم … بتذلل وتهيب ، موسوم

وقوله :

تراث أبي ساسان كسرى ولم تكن … مواريث ما ابقت تميم ولا بكر

ثانياً ـ ما ورد في شعره من هجوم على الشعر العربي الذي يصف البادية والاطلال وعلى حياة البادية نفسها وعلى اهلها كقوله :

لتلك أبكي ، ولا أبكي لمنزلة … كانت تحل بها هند واسماء

حاشا لدرة ان تبنى الخيام لها … وان تروح عليها الإبل والشاء

وقوله :

---

(١) مهيار الديلمي ممن اتهموا بالشعوبية . ومن المعلوم ان مهيار فارسي الأصل ، فكان من الطبيعي ان يذكر قومه الفرس بالخير ، دون ان يسيء إلى العرب ، بل انه فعل اكثر من ذلك ، حين تغنى باصله الفارسي ودينه العربي فقال فيها قال :

وجمعت المجد من اطرافه … سؤدد الفرس ودين العرب

فكان بهذا القول عند من تنطحوا لهذه الأمور شعوبياً لانه يذكر سؤدد قومه !! . فكان الأمر عند هذا الفريق من الناس هو انه لا يبرأ غير العربي من تهمة الشعوبية الا بان يتبرأ من قومه ولو كان مسلماً مفاخراً باسلامه ، وانه يحق لهم وحدهم بان يتغنوا بقومهم ، ولا يحق ذلك لغيرهم من الأمم !!

على ان باذري بذرة الشعوبية الأولى ، هم ـ مع الأسف ـ من العرب ، وقد بذرت هذه البذرة في ظل الحكم الأموي وفي رعايته . قال ابو عبيد البكري في شرح امالي القالي . كتاب مثالب العرب اصله لزياد ابن ابيه ، فانه لما ادعى ابا سفيان اباً ، علم ان العرب لا تقر له بذلك مع علمهم بنسبه ، فعمل كتاب (المثالب) وألصق بالعرب كل عيب وعار وباطل وأفك وبهت . ثم ثنى الهيثم بن عدي وكان دعياً فاراد ان يعرّ اهل الشرف تشفياً منهم ، واما كتاب المثالب والمناقب الذي بأيدي الناس اليوم فإنما هو للنضر بن شميل الحميري وخالد بن سلمة المخزومي وكانا أنسب اهل زمانهما ، امرهما هشام بن عبد الملك ان يبينا مثالب العرب ومناقبها ، وقال لهما ولمن ضم اليهما : دعوا قريشاً بما لها وعليها ، فليس لقريش ذكر في ذلك الكتاب « انتهى » .

ومثله قال ابو الفرج الأصبهاني .

على ان الأمر عند هؤلاء المتنطحين اسوأ من ذلك ، فمن كان فارسي الأصل وفاخر بأهله ، فإن هذا الفخر مغفور له ولا يعد شعوبياً ، اذا كان من اعداء اهل البيت المنابذين لهم ! .

فابن حزم مثلاً المجوسي الأصل ، الفارسي النسب ، اذا فاخر بذلك وقال :

سما بي ساسان ودارا وبعدهم … قريش العلى اعياصها والعنابس

فما اخرت حرب مراتب سؤددي … ولا قعدت بي عن ذرى المجد فارس

كان هذا القول مقبولاً منه لا اعتراض عليه ، لانه من النواصب المعادين لأهل البيت الشاتمين لاشياعهم ، مضافاً الى ذلك ان جده الأعلى خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد كان مولى يزيد بن أبي سفيان ، وهو في بيتيه المتقدمين يباهي بذلك ، لهذا فهو لا يؤاخذ بافتخاره بأصله الفارسي ولا ينسب الى الشعوبية بل يثنى عليه ويمجّد لأن معاداة اهل البيت والتهجم على اتباعهم تغفر كل سيئة .

اما مهيار الديلمي الذي يعتز بانتمائه الى الاسلام مع اعتزازه بقومه ، فهو يؤاخذ ويهاجم ويتهم بالشعوبية ، لانه اخلص الولاء لأهل البيت واحب علي بن ابي طالب ومدحه بقصائده الخالدات ، وهذا ذنب تستحل معه كل التهم ! .

ابن حزم الذي يعتز بساسان ودارا ، ويقرن اعتزازه هذا ، باعياص قريش وعنابسها الأمويين ، ليس بشعوبي ، ومهيار الديلمي الذي يعتز هو الأخر بكسرى ، ويقرن هذا

سقيـا لغـير العليـاء فـالسنـد … وغـير اطـلال مـيّ بـالجـرد

وقوله :

يـا واصف البيـد والقفـار ويـا … نـاعـت اسرابهـا ومـكـاهـا
وواصف الـربيع والـرياض وما … أشرف مـن نبـتهـا وبهـاهـا
أحسن مـن ذاك نبت صـافيـة … تـنـزو إذا مـا تـدرعت مـاهـا
أعرض عن الربيـع ان مررت بـه … واشرب من الخمـر انت اصفـاها

وقوله :

ايـا باكيّ الاطـلال غـيّرهـا البلى … بكيت بعـين لا يجف لهـا غـرب
اتنعت دارا قـد عفت وتغـيّرت … فـاني لما سالمت من نعتهـا حـرب

وقوله :

دع الاطـلال تسفيهـا الجنـوب … وتبكي عهـد جدتهـا الخطوب
وخـلِّ لـراكب الـوجناء أرضـاً … تخـث بهـا النجيبـة والنجيب
ولا تـأخـذ عن الاعـراب لهـواً … ولا عيشـاً ، فعيشهـم جـديب
ذر الالـبـان يشربهـا أنـاس … رفيق العيش عنـدهم غـريب
بـأرض نـبـتـهـا عشر وطـلح … واكـثـر صيـدهـا ضبـع وذيـب
اذا راب الحـليب فبـل عليـه … ولا تحـرج ، فـما في ذاك حـوب
فـأطيب منه صـافيـة شمـول … يـطوف بكـأسهـا سـاق أريب
فهـذا العيش ، لا خيم البـوادي … وهـذا العيش ، لا اللبن الحليب
فـأين البـدو مـن ايـوان كسرى … وأيـن من الميـاديـن الـزروب ؟

وقوله :

عَـدّ عـن رسـم وعـن كـثـب … والـهُ عنـه بـأبنـة العـنـب

وقوله :

يـا أيهـا العـاذل دع مـلحـاتي … والـوصف للمـومـاة والـغـلاة
دارسـة وغـير دارسـات … وأنـف همـوم النفس بـاللذات

ثالثاً ـ ما أخذه عليه أحمد أمين في كتابه «ضحى الاسلام» حين تعرض ـ أي أبو نواس ـ إلى أبي عبيدة والأصمعي ، قائلاً : « أما أبـو عبيدة فـإنهم إن امكنـوه قرأ عليهم أخبـار الأولين والآخـرين ، وأمـا الأصمعي فبلبـل يـطربهم بنغماته » .

فقـد رأى أحمد أمـين في هذا الكـلام تحيـزاً من أبي نـواس لأبي عبيـدة دون الأصمعي واستنتـج من ذلك أن أبـا نواس قـد انتصر لأبي عبيدة لأنـه فارسيّ ، ولأن الأصمعي عربي .

هذه خلاصة ما يمكن استخلاصه من الأدلة التي ذكروها دليلاً على شعوبيـة أبي نواس .

فهل تصلح هذه الأدلة لاثبات ذلك ؟

ـ اذا واجهنـا هذه الأدلـة بنقد مـوضوعي ، وجـدناهـا قـاصرة عن اثبـات الدعوى .

ولننظر الآن في كل دليل على حدة :

أولاً ـ اما الاستدلال على شعوبيته بما يظهر من مدح للفرس وذم للعرب في شعره فهو مردود من وجهين :

أ ـ لقد جاء في شعره أيضاً ما يناقض ذلك تماماً . . أي أنه قد مدح العرب وذم الفرس ، بل لقـد كانت مـدائحه للعـرب من الكثرة بمـا لا يقاس بـه شعره الذي يظهر منه الـذم لهم . . ومن امثلة ذلك قـوله في قصيـدة من روائع شعـره يمدح بها الفضل بن الربيع :

مـن طلل لم أشْجِـهِ وشجـاني … وهـاج الهـوى أو هـاجـه لاوان
بـلى ، فـازدهتني للصبـا اريحيـة … يمـانيـة . . ان السـماح يمـاني

وقوله في مدح القحطانيين :

. . . فافخر بقحطان غير مكتئب … فحـاتم الجـود مـن منـاقبهـا
ولا تـرى فـارسـاً كـفـارسهـا … اذا زلّت الهـام عن منـاكبهـا
عـمـرو ، وقـيس ، والاشـتران … وزيـد الخيل ، اسد لدى ملاعبهـا
بـل مل الى الصّيـد من اشاوسها … والسـادة الغـر مـن مهـالبهـا
وحمـير تـنـطق الـرجـال … بما اختارت من الفضل في مراتبهـا
احبب قـريشـاً لحب احمـدهـا … واعـرف لهـا الجـزل من مـواهبهـا
ان قـريشـاً اذا هي انتسبت … كـان لنـا الشـطر من مناسبهـا

وقوله في مدح الأمين العباسي :

فمن ذا الذي يرمي بسهميك في العلا … وعبد مناف والداك وحمير ؟

وقوله في قصيدة غزلية خمرية :

وقهـوة مثل عـين الديـك صـافيـة … من خمر عانـة أو من خمـرة السيب
كـأن احـداقهـا والماء يفـرغهـا … في ساحة الكأس احداق اليعاسيب
يسعى بها مثل قرن الشمس ذو كفل … يشفي الضجيع بذي ظلم وتشنيب
كـانـه ، كـلما حـاولـت نـائلـه … ذو نخـوة قد نشـا بـين الاعـاريب

فهـو في البيت الأخير اذ يريد ان يصف نخوة الساقي واباءه ، لا يجد تشبيهاً لنخوته يصورها احسن تصوير وأبلغه ، سوى نخوة العرب وابائهم وحميتهم . . وذلك يدل على مبلغ شعوره بفضل هذه النخوة العربية التي يظهر منه انه مفتون بها ، وليس بعائب لها .

ومقـابل ذلـك قد هجـا أبو نـواس قومـاً من علية الفـرس في رأي المجتمع يومئذ ، وهم البرامكة ، إذ قال في كبير زعمائهم جعفر بن يحيى :

لقـد غرني من جعفـر حسن بـابـه … ولم ادر ان الـلؤم حشـو اهـابـه
فلست وان اخطأت في مدح جعفر … بـأول انسان خـ . . . في ثيـابـه

وقـد هجا غـيرهم من الفرس بمثـل ذلك أيضـاً . . فهل اذن يصـح الأخذ بمدح الفرس وذم العرب في بعض شعره دليلاً على شعـوبيته ، مـا دام قد مـدح العرب وذم الفرس في بعض آخر من شعره ؟ . .

ب ـ والوجه الآخر الذي نرد به هذا الدليـل ، هو ان أبـا نواس حـين كان يمدح أو يهجو ، في مثل تلك المناسبات التي رأيناها في ما تقدم ، لم يكن يمدح أو يهجـو عن نزعـة من نزعـات التعصب لهؤلاء القوم أو اولئـك ولا ضد هؤلاء أو اولئك ، وانما كان الأمر عنده محض بدوات نفسية آنية تهيجها المناسبة الطارئة ، ليعبر حيناً عن ذلك الولع بالتحدي للمرائين من هذه الجماعة أو تلك ، وليعبر حيناً آخر عن ثورة غضب عابرة ضد شخص بعينه لأمر لـه معه ليس هـو بأكـثر من أمر عابر كذلك ، وليعبر في أكـثر الأحيان عن « مـزاجه الخمـري » إذا صح القول . . فقد كان هذا المزاج الملازم له يأبى أن يشغله عن خمره وندمـانه ولـذته جليس لا يتقيـد بـ « آداب الشراب » و « تقاليـد المنادمة » ، بـل يخـرج عليهـا ليشغل جلساءه بشؤون الجد كالتفاخر بالنسب والعنجهيات القبلية في وقت يريد أبو نواس فيه أن يستغرق بكل حواسه في متعة الشراب ودنيا « الصفاء » . . .

وأبـو نواس نفسـه يضع بـأيدينـا هذا التفسـير « لمزاجـه » ، حـين ينص في الأبيات التالية على « حقوق » الصحب والندمـان ، وهي التي سميناهـا « آداب

الاعتزاز لا (بالاعياص والعنابس) ، بل بالاسلام ويعتبر انتسابه إليه مجداً بـاذخاً هـو شعوبي ! . . لماذا ؟ لأن الأول غض من علي بن ابي طالب وتعرض له بالسوء وفضّل عليه حتى نساء النبي ، وشتم محبيه ، ولأن الثاني أحب علي بن ابي طالب ومدحه ! . . هكذا يكتب تاريخ العرب والاسلام ! . .

« حسن الأمين »

الشراب » أو « تقاليد المنادمة » :

حقوق الصحب والندمان خمس	فأولها : التزيُّن بالوقار
وثانيها : مسامحة الندامى	وكم حمت السماحة من ذمار
وثالثها : وان كنت ابن خير	البرية محتداً ، ترك الفخار
ورابعها : فللندمان حق	سوى حق القرابة والجوار
إذا حدثته فاكس الحديث	الذي حدثته ثوب اختصار
وخامسها يدل به آخره	على كرم الطبيعة والنجار
كلام الليل ينساه نهاراً	له باقالة عند العثار

فهل أصرح دلالة على كراهته للمفاخرة بالأنساب على مجلس الشراب ، من قوله : وثالثها ، وان كنت ابن خير البرية محتداً ، ترك الفخار .

ثم هو يؤكد تفسيرنا هذا « لمزاجه » بقوله أيضاً :

في الكأس مشغلة ، وفي لذاتها	فاجعل حديثك كله للكاس
صفو التعاشر في مجانبة الأذى	وعلى اللبيب تخيُّر الجلاس

وبقوله كذلك :

لمثلي من الفتيان حلتّ ، أخي الخمر	وطابت له اللذات واسترخص السكر
إذا كان شربي لا يكدر مجلسي	ولا يعتري فيه خصام ولا هجر

من هنا رأينا أبا نواس يثني على الفرس وينفر من إحدى خصال بني تميم في قوله :

ولفارس الأحرار أنفس أنفس	وفخارهم في عشرة معدوم
واذا أعاشر عصبة عربية	بدرت الى ذكر الفخار تميم
وبنو الأعاجم لا احاذر منهم	شراً ، فمنطق شرهم محسوم
لا يبذخون على النديم اذا انتشوا	ولهم اذا العرب أعتدت تسليم
وجميعهم لي ، حين اقعد بينهم :	بتذلل وتهيب موسوم

ويمكن ان نستنتج من هذه الأبيات أنه كان لأبي نواس جلساء على الشراب من الفرس يعرفون « مزاجه الخمري » هذا فيراعونه ولا ينغصونه بالتفاخر ، بينما كان له جلساء من العرب ، كالتميميين مثلاً ، يهيجون عنده « عقدة النسب » فيثيرونه . . وقد عرفنا من قبل ان نسب الشاعر كان عرضة للغمز من جانب خصومه اذ كانت نسبته للحكم بن سعد العشيرة تتردد بين الأصالة والموالاة ، وكان عصره لا يزال يعنى بالأنساب والتفاخر بها ، وكانت النزعة الشعوبية تؤلف تياراً سياسياً يقابله تيار عربي ، وكان الصراع السياسي الحاد يتخذ من هذين التيارين احد اسلحته المكشوفة المباشرة ، فليس غريباً - اذن - أن يتخذ خصوم كل شخص ذي شأن من قضية النسب ذريعة لايذائه والكيد له والتأليب عليه .

ثانياً - وأما الاستدلال على شعوبية أبي نواس بما كان من هجومه على الشعر الذي يصف البادية والاطلال وعلى حياة البادية وأهلها ، فهو استدلال ضعيف أيضاً ، لأن الشعر الذي صدر عنه بهذا الصدد لا يحتمل التفسير بأنه صادر عن كراهية للعرب ، بل يمكن تعليله بأحد أمرين :

١ - أما بأنه يرجع الى « مزاجه الخمري » الذي تحدثنا عنه في ما سبق . . أي أن الرجل كان إذا جلس إلى شرابه وندمانه واستغرق في لذاته ، وجد في دنياه تلك التي تنشئها له الخمرة دنيا عامرة بالضياء والصفاء فهي عنده أفضل من تلك الدنيوات التي يبنيها الشعراء الآخرون من أشياء البادية بخشونتها وشظفها ومشاهدها غير المؤتلفة مع أشياء الحضارة الجديدة بمتعها الحسيَّة ونضارتها وجدّتها ، فتأخذه نشوة الاعتزاز بدنياه هذه وتلذه المقارنة وتستفز خياله طرافة المفارقة والمناقضة ، ويجد في مقارنة النقيض بالنقيض ما يزيده اغرافاً في الالتذاذ بدنياه . .

٢ - وأما بأنه كان يريد من هذا الشعر ان يهزأ بالشعراء الذين يعيشون في الحاضرة بلحمهم ودمهم ، ثم يفتعلون انشاء عالم آخر في أشعارهم ليس بينهم وبينه من صلة غير صلة الألفاظ والقوالب الشعرية التقليدية المتوازنة عن شعراء سابقين كانوا يحيون حياة البادية فعلاً ، وكانت مشاهد البادية تدخل في تجاربهم الحية الحارة .

على انني أرجح ان الأمر الأول من هذين الأمرين هو التفسير الأقرب لواقع أبي نواس بالذات .

ثالثاً - واما استدلال أحمد أمين على شعوبية الشاعر بما استظهره من كلامه عن أبي عبيدة والأصمعي العربي فهو استدلال ينقضه أحمد أمين نفسه بما نقله عن أبي نواس في مكان آخر من « ضحى الاسلام » (جـ٣ ص ١١٩ - ١٢٠) قائلاً ما لفظه : « ولكن أبا نواس لا يعتد بهجوه ، فليس في هجائه مقياس الصدق ، فقد هجا أبا عبيدة ورماه باللواط الخ » . .

فكيف يعتد أحمد أمين ، اذن ، بكلام قاله أبو نواس عن أبي عبيدة والأصمعي ويجعله دليلاً على شعوبيته ، في حين ان ذاك الكلام ليس ظاهراً بالتحيز لأبي عبيدة ، بينما هو - أي أحمد أمين - لا يعتد هنا بهجاء أبي نواس بحجة أنه ليس في هجائه مقياس الصدق .

نحن مع أحمد أمين في أن هجاء أبي نواس ليس مقياس الصدق ، وكذلك مدحه . . . ولذلك قلنا سابقاً أنه لا يصح الاستنتاج من مدحه الفرس وذمه العرب أحياناً انه يؤثر الفرس على العرب ، كما لا يصح الاستنتاج من مدحه العرب وذمه الفرس احياناً اخرى انه يكره الفرس ويؤثر عليهم العرب . . فهو في مدحه وهجائه انما يصدر عن بدوات سانحة وليد اللحظة التي هو فيها ، ولا يصدر عن نزعة معينة ثابتة ولا عن فكرة أو فلسفة مقررة عنده .

اضافة إلى ما تقدم يمكن الرد على استدلال أحمد أمين بطريقة ثانية ، هي ان الجاحظ نفسه ، وهو العربي الذي لا شك بعروبته ولا مجال لاتهامه بالشعوبية قال في أبي عبيدة ما هو اصرح من كلام أبي نواس فيه . . قال أبو عثمان الجاحظ : « لم يكن في الأرض خارجي ولا إجماعي أعلم بجميع العلوم من أبي عبيدة » . . فلماذا يؤخذ كلام أبي نواس انه تحيز شعوبي لأبي عبيدة ، ولا يؤخذ كلام الجاحظ كذلك بالرغم من أن المأخذ على كليهما غير منطقي .

ولقد وجد بين النقاد المحدثين من نفى عن أبي نواس نزعة الشعوبية ، وان اختلفوا في تعليل الأشعار التي استظهر منها القدماء والمحدثون المقلدون هذه النزعة عنده .

ومن هؤلاء النقاد المحدثين العقّاد والدكتور محمد النويهي ، الأول في كتابه « أبو نواس الحسن بن هانىء - « دراسة في التحليل النفساني والنقد التاريخي » ، والثاني في كتابه « نفسية أبي نواس » . وقد علل الدكتور النويهي أشعاره التي أثارت تهمة الشعوبية بنحو من التعليل الذي أشرنا إليه سابقاً ، إي بتأثير « مزاجه الخمري » وعقب على شرحه التعليل المذكور بقوله :

« . . وكان هذا هو السبب الذي كرهه في منادمة العرب لا لأنه يتعصب عليهم تعصباً شعوبياً كما اتهمه الكثيرون ، فأبو نواس ما أحب أن يعادي فرداً أو جنساً ، وما كان يطيق نكد المعاداة ، ولكن شكا طباعهم وضراوتهم وكثرة مخاصماتهم وتنابذهم بالألقاب وتفاخرهم بالانتساب كلما ضمهم مجلس ، بقية من عنجهيتهم البدوية - كأن تعكر عليه مجالسه المنيئة الخ . . » .

وبعد ان يورد الدكتور النويهي امثلة من شعر الشاعر تدل على ذلك يورد الأبيات التي ذكرناها سابقاً :

(ولفارس الأحرار انفس انفس الخ . .)

ثم يقول : « . . . اما المهذبون المتحضرون من العرب فلم يكن لديه - إي

أبي نواس - ادنى مانع من منادمتهم ، وله قطع كثيرة في امتداح مجالسهم وحلاوة شمائلهم وقد قال على لسان الخمر هذا البيت الأريحي الطرب :

ولا الاراذل ، الا مـــن يـــوقـــرني   من السقاة ، ولكن اسقني العربا .

(انتهى) .

والترجمة المنشورة في مكانها كان المؤلف قد أصدرها في كتاب خاص باسم (ابو نواس) ، وعند صدور الكتاب سنة ١٩٤٨ كتب عنه الدكتور حسين مروة كلمة آثرنا نشرها هنا) (انتهى) .

مسكين أبو نواس! لقد افترى عليه صانعو التاريخ أو لقد افترى عليه ناس غير صانعي التاريخ لأمر ما فأشاعوا في الأجيال أن أبا نواس رجل دعابة وعربدة وشهوة ليس غير وأن خصائصه جميعاً تنتهي عند هذا «الثالوث» لا تتجاوزه إلى صفة من صفات العباقرة المرموقين في عصر من أرقى عصورنا العربية الغابرة، حتى لقد بخل عليه هؤلاء المفترون بمزيته الكبرى: الشعر، فإذا هم يلفقون عليه ألواناً من الكلام المنظوم لو كان قدر لأبي نواس أن يسمع أمثاله لغيره لاجتوت نفسه دنيا يقال فيها هذا اللون من الكلام الغث ثم يحسب هذا الكلام شعراً من الشعر فكيف له لو أنصت للأجيال بعده فإذا هو يسمع هذا الكلام منسوباً إليه مدخولاً عليه مدسوساً في أعاجيب من القصص التافه الخليع يقصونها عنه افتراء وزوراً؟!

لقد ظلم أبو نواس - إذن - فانطبعت عنه في أذهان العامة طوال الأجيال صورة شوهاء مزورة وتجاوزت هذه الصورة في الأجيال الأخيرة أذهان العامة إلى أذهان فريق كبير من المثقفين وأنصاف المثقفين، وأعجب العجب في هذا أن يكتسب هذا الانطباع المزور عن أبي نواس صفة الأمر الواقع المسلم به حتى لقد اجترأ واضعو القصص السينمائية والمسرحيات على أن يطبعوا هذا الرجل العبقري الخالد بطابعه الشائه الزائف المفترى فإذا بهم يخرجونه على «الشاشة» أو على المسرح رجلاً شأنه التهريج والإضحاك والعربدة وإذا بجمهرة الناس مثقفين وغير مثقفين يشهدون أبا نواس على هذا الطابع ويأخذونه مأخذ المسلمات والبداهة ولا يثير فيهم غير بواعث المرح واللهو والمسلاة لكأنما صار ثابتاً في الأذهان أن هذا هو أبو نواس الحق لا ذلك العالم الفقيه المحدث الفيلسوف الشاعر العبقري.

وأي دليل على هذا الذي أقول أقوى من إهمال كتابنا المحدثين شأن أبي نواس وهو أجدر أن ينال من دراساتهم التحليلية وأبحاثهم النقدية الحديثة نصيباً موفوراً لأن شخصيته الأدبية تكاد تكون أغنى شخصيات الأدب العربي العباسي من حيث وفرة العناصر التي يأتلف منها هيكل الفن العظيم ومن حيث تعدد الجوانب التي يتسق بها لصاحب الفن شخصيته الممتازة ولولا أبحاث عابرة نشرها الدكتور طه حسين في «حديث الأربعاء» عن هذا الرجل المفترى عليه لكان عصرنا الحديث ما يزال جارياً مجرى العصور السوالف في تجاهل أبي نواس الحق ولكن أيكفي لإنصاف هذا الشاعر العظيم الذي ظلمته أجيال طوال أن يكتب عنه الدكتور طه حسين أبحاثاً عابرة هي بالمقالات الصحفية الإنشائية أشبه؟

لا: إن من حق أبي نواس أن تكثر عنه في هذا العصر المستنير الدراسات الطوال والأبحاث التحليلية العميقة والمؤلفات الضخمة المشبعة وأنه لعجيب مدهش حقاً أن ينبري لإنصافه قبل الأدباء والشعراء والنقاد المتوفرين لهذا الفن، عالم كبير من علماء الدين منصرف إلى التأليف في شؤون العلم، وفي قضايا الدين وفي نواحي التاريخ الإسلامي فإذا هو يخص أبا نواس المسكين المظلوم المفترى عليه لا ببحث مستفيض فحسب، بل بكتاب ضاف، شامل مستوعب يجلو به شخصية أبي نواس العالم والشاعر والمثقف والمحدث ثم يجلو به تلك الشخصية التي انطبعت في أذهان العامة والمثقفين طوال الأجيال السابقة، فإذا هي في هذا الكتاب الجديد، شخصية جديدة، تنكشف لنا عوامل تكوينها سافرة وإذا أبو نواس يبدو لنا من وراء هذه الشخصية صاحب دعابة وعربدة حقاً ولكن لا عن زندقة، ولا ضعف ولا استهتار، ولا شهوة بل عن طبيعة نزاعة إلى الحرية تواقة إلى الخروج على القيود الموضوعة وهي طبيعة العبقري يتأبى على الأوضاع المألوفة أن تغل تفكيره أو تفرغ حياته في قالب جامد صلب لا يقبل التكييف والتجديد.

لا: بل إنه لأكثر من عجيب مدهش أن يكون عالم ديني كبير كالسيد محسن الأمين المنصرف إلى كبار الشؤون الإصلاحية في الإسلام أسبق لإنصاف الشاعر العبقري الخالد أبي نواس من ذوي الشعر والأدب والنقد من أعلام هذا العصر بل إن ذلك مما يثير الإعجاب والإكبار بهذه السماحة وهذه الرحابة في الفكر والعقلية وهما صفتان عرفنا علامتنا الأكبر السيد محسن الأمين يمتاز بهما لا بين رجال الدين حسب بل بين رائدي البحث العلمي المجرد وكاتبي التاريخ الخالص.

هذا كتاب «أبو نواس» الذي أخرجه الإمام الأمين أخيراً قد فرغت من قراءته خلال أيام أردت أن أفرغ فيها للراحة وحدها فإذا هو يستبد بي فأجد فيه راحة النفس ومتعة الذهن وحلاوة التأليف المحكم المتسلسل يحكي قصة شاعر عرف ألواناً مختلفات من الحياة في عصر عرف ألواناً متنوعة من الحضارات والعقليات والأذواق.

وفي حياة أبي نواس مشاكل وعقد كثيرة لا تزال بكراً في عالم البحث والتحقيق منها عروبة الشاعر وشعوبيته المزعومة ومنها عقيدته ودينه وزندقته ومنها سلوكه الاجتماعي الذي لون حياته وشخصيته بتلك الألوان الشائهة المزيفة المزورة، ومنها تمرده على المألوف من أوضاع أهل الأدب وعلى المصطلح من الأفكار الشائعة والتقاليد الأدبية المتبعة ومنها قصة التجديد الأدبي التي استطاعت أن تلفت الأذهان من بين ركام الزيف والتزوير والافتراء التي أحاطت بشخص الشاعر ولكن هذه القصة ظلت غامضة ذات مجاهيل كثيرة لم يتعرف إليها الرواد والباحثون، ولم يضع أحد حتى الآن حدوداً واضحة لألوان التجديد الأدبي الذي عرف به أبو نواس الشاعر.

هذه المشاكل والعقد في شخصية الرجل استطاع كتاب «أبو نواس» أن يقتحمها جميعاً ببساطة في الروح وعمق في البحث، ودقة في الاستقصاء والتحقيق والتدقيق وبأمانة في التاريخ لا نعرف لها مثيلاً. ولقد خرجت أنا من هذا الكتاب بحقائق جديدة. ولقد تجلت لي شخصية أبي نواس بأوضح ما كنت أطلب أن تنجلي لي شخصية شاعر أحيطت بذاك الركام العجيب من الباطل. وقد شفع علامتنا الأكبر بحثه النفيس هذا بمختارات نفيسة من شعر الشاعر تصلح أن تكون أمثلة صادقة لكل نوع من أنواع الشعر التي عرف بالتجويد فيها أو بالإبداع. ولم تفت المؤلف - حفظه الله - ملاحظات نقدية بارعة استدرك بها على الناقدين أو المؤرخين أو مؤلفي كتب الشعر والأدب. وإنا لنتمنى على سماحته - وقد عرفنا فيه روح الباحث المدقق الأمين - أن يضيف إلى فضله هذا فضلاً آخر بأن يحقق ديوان أبي نواس تحقيقاً علمياً على الطريقة العلمية الحديثة التي نعرف أنه من أعلامها اليوم، ثم يطبعه طبعة علمية محققة، لأن ديوان هذا الشاعر كشخصيته قد افتري عليه، ولحقه الزور والتشويه بأشنع ما يلحق الزور والتشويه أمراً من الأمور فضلاً

عن تشويه المطبعه وتزويرها.

وأخيراً: هل أراني ـ بعد الذي قلت ـ محتاجاً إلى القول إن كتاب «أبو نواس» يجب أن يشيع في طبقات المثقفين وأنصاف المثقفين لكي يرفع عن أبي نواس الشاعر العظيم تلك الأوهام الباطلة، ويجلو شخصيته الحقيقية كما كانت لا كما صوّرها المفترون؟

الشيخ حسن البحراني بن علي .

توفي سنة ١٣٤٠ كتب ترجمته بنفسه في كتابه (انوار البدرين) فقال انه: توفي والده وعمره ثماني سنوات ثم قال : كان مولدي كما أخبرني به بعض أرحامي المطلعين الثقات سنة ١٢٧٤هـ فكنت مع الوالدة المرحومة حتى وقعت الواقعة العظيمة على بلادنا البحرين سنة ١٢٨٤ هـ التي قتل فيها حاكمها (علي بن خليفة) وغيره فتفرقت أهلها في الأقطار وتشتتوا في الديار فكنت ممن رمته مناجيق الأقضية والأقدار وقذفته نون الآونة والاخطار في بلاد القطيف مع الوالدة المقدسة وقد كان الأمجد الأرشد المرحوم العلامة أعلى الله مقامه في دار المقامة[1] قد سكنها مع الأهل والأولاد وشرف تلك البلاد فصرت في حجره وتربيته فقربني وآواني وعلمني وحباني وقدمني على اولاده فضلاً عن أقراني وكان شيخي وأستاذي وجد أولادي فجزاه الله عني وعن المؤمنين خير الجزاء وحباه أفضل الحباء ، وبعد سنتين إنتقلت الوالدة المرحومة الى رضوان الله ورحمته وفسيح جنته فصرت يتيماً من الأبوين ، وكان لي (رحمه الله تعالى) بمنزلتهما وأعظم وقرأت عنده (قدس الله تربته وأعلى في عليين رتبته) في النحو والصرف والمعاني والبيان والتوحيد والفقه ، ثم سافرت الى النجف الأشرف مهاجراً لتحصيل العلوم وحضرت متطفلاً عند جملة من فضلائها وثلة من علمائها كالعلامة الأمين الشيخ محمد حسين الكاظمي اصلاً والنجفي مدفناً وأهلا والفاضل ذي المجد والشرف الشيخ محمد طه نجف وسيدنا المقدس التقي الزاهد النقي السيد مرتضى ابن السيد مهدي الكشميري النجفي والعالم التقي الشيخ محمود ذهب النجفي المقدس والشيخ حسن ابن الشيخ مطر الجزائري وغيرهم من العلماء الاتقياء (قدس الله أرواحهم وطيب مراحهم ونور اشباحهم) وفي تاريخ هذا الكتاب لم يبق أحد منهم سوى ذكرهم الجميل المستطاب فهم أحياء وان ضمهم التراب (الناس موتى وأهل العلم أحياء) :

فسبحان الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ذي الملك والملكوت والعزة والكبرياء والجبروت الذي يميت ملله ولا يموت ، ولم اطلب اجازة من أحد منهم حياء وبعداً عن الاتهام بالاغراض الدنيوية الباطلة الدنية سوى ان سيدنا الجليل التقي الزاهد الاورع النقي السيد مرتضى الكشميري ابتدأني بالاجازة وأجاز لي رواية الكتب الاربعة وكتب جميع الاصحاب بل كتب جميع علماء الاسلام من الخاص والعام في الليلة الثالثة والعشرين من شهر رمضان المكرم في الروضة الحيدرية مقابلاً لوجه امير المؤمنين وسيد المسلمين عليه آلاف الصلاة والسلام وكان السيد المذكور مجازاً من أكثر علماء العراق عرباً وعجماً وكان (قدس الله سره ونور قبره) من العلماء الأوحدين والاتقياء الزاهدين والفضلاء المحققين والكملاء المدققين .

ولي من الكتابات التي لا ينبغي ان تذكر لولا ما التزمه في تراجم الأكثر :

(١) هو الشيخ أحمد بن صالح البحراني .

منظومة في الاصول الخمسة كبيرة تقرب من اربعمائة بيت سميناها (جواهر المنظوم في معرفة المهيمن القيوم) ومنظومة ثانية سميناها (زواهرا لزواجر في معرفة الكبائر) ذكرنا فيها سبعين كبيرة تقرب من اربعمائة بيت جيدة جامعة جداً ومنظومة في مواليد النبي والائمة والزهراء ووفياتهم عليهم السلام عليهم السلام سميناها (جامعة الأبواب لمن هم لله خير باب) ومنظومة سميناها (جامعة البيان في رجعة صاحب الزمان) تقرب من اربعمائة بيت جيدة جامعة جداً وايضاً لنا حواش كثيرة على شرح ابن أبي الحديد للنهج المرتضوي ورداً عليه ولنا كتاب (رياض الاتقياء الورعين في شرح الأربعين وخاتمة الأربعين) اشتمل عنواناً على اثنين وخمسين حديثاً مشروحة مبسوطة في الأصول والفروع والمواعظ والمناقب جيد جيداً ولنا (الجوهرة العزيزة في جواب المسألة الوجيزة) في التوحيد ولنا رسالة سميناها (الحق الواضح في احوال العبد الصالح) وهو شيخنا العلامة الأسعد المرحوم ولنا بعض الحواشي المتفرقة على بعض الكتب الفقهية ولنا هذا الكتاب الذي نسأل الله تعالى اكماله بالحق والصواب ولنا كتاب سميناه (بجنات تجري من تحتها الأنهار) في المناظيم والمدائح والمراثي وسائر الاشعار (انتهى) .

هذا ما ذكره هو عن مؤلفاته . اما احسن مؤلفاته فهو كتاب (انوار البدرين في تراجم علماء القطيف والاحساء والبحرين) . وقد خدم في الكتاب تاريخ بلاده العلمي والادبي اجل خدمة .

ابو عبد الله الحسين بن ابي القاسم علي بن نما الحلي

الكاتب الشاعر ، من اسرة حلية مشهورة ، ذكره المنذري في وفيات سنة ٦١٨ قال : وفي الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول توفي الشيخ الأديب ابو عبدالله الحسين بن ابي القاسم علي بن نما الحلي الكاتب ببغداد ودفن من يومه بالمشهد ، وهو من اهل الحلة المزيدية وسكن بغداد وخدم الامراء وكان له ترسل وشعر . حدث بشيء من شعره واخبر ان مولده في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة . وقال مرة اخرى : سنة تسع وعشرين . وقال مرة اخرى : سنة اربع وثلاثين وخمسمائة «اهـ» .

وذكره ابن الدبيثي في « الحسينيين » من تاريخه لبغداد قال : الحسين بن علي بن نما أبو عبدالله بن أبي القاسم الكاتب ، قدم بغداد واستوطنها وخدم الامراء وكان ترسل وشعر . سمعنا منه قطعاً من شعره . أنشدنا أبو عبدالله بن الحسين بن علي بن نما ببغداد لنفسه من قصيدة له :

نفى وقدات الكرب عن روح قلبه
نسيم سرى من صوب رضوى وهضبه

فيا حبذا وانيه ضعفاً إذا سرى
يلاعب غصناً من أراك بقضبه

جرى روحه في روح قلبي فزاده
اشتياقاً الى ريّا الحبيب وقربه

ارى غصناً غضاً ثناه نسيمه
ثنى مارني عطفاً لصوب مهبه

فأفلت قلبي من حبائل وقده
وطوقه روحاً أريجاً بقطبه (كذا)

دعاني داعي الشوق يوم تحملوا
فلبيته يا ليتني لم ألبّه

متى حنّ قلبي أن صبري فبرده
بمعترك فيه المنايا ونصبه (كذا)
تمر خطوب الافتراق تمرداً
عنيفاً فتباً للفراق وخطبه
فوا لهفتا إذ صار سهل فراقكم
ببعدكم وعرا كقدس وشعبه

وقال ابن الدبيثي في ترجمة عرس الدين بدر الدولة من أبي الحسن علي بن أقسنقر الناصري الامير : كتب الاديب كافي الدين الحسين بن علي بن نما الحلي على لسان غرس الدولة يذكر الصنع الذي أدركه مالك رقة سنة سبع وتسعين وخمسمائة :

ملك الملوك أزلت عني صدمة
للئيتم فانحرفت مصاحبة اللقا
وبنيت لي ركني وكان مهدماً
ونظمت لي شملي وكان مفرقا
لم يبلغا أبواي فيّ أمانياً
بلغتنيها يا رفيع المرتقى

وذكره عز الدين بن جماعة قال : أنبأنا الشريف تاج الدين الغرافي عن أبي عبدالله بن محمد (ابن النجار) البغدادي قال أنشدنا أبو عبدالله بن نما الكاتب لنفسه :

أوميض برق بالابيرق أومضا
أم ثغر غانية بليل قد أضا
أسكنتم الأيام فياض الحيا
وكسوتم الاحشاء الهوب الغضا
يا جامعي الاضداد لمَ لمْ تجمعوا
سخطاً ممضا للفؤاد به الرضا
زمن الوصال تقوضت أيامه
يا ليت دهر الهجر كان تقوضا

ثم قال : له شعر ورسائل دونها والغالب عليها ركاكة الالفاظ وقلة المعاني وكان رافضياً . ولد في ذي الحجة سنة تسع وعشرين وخمسمائة وتوفي سنة ثمان عشرة ببغداد .

السيد حيدر الآملي

مرت ترجمته في المجلد السادس الصفحة ٢٧١ ونزيد عليها هنا ما يلي :

ولد في آمل من بلاد مازندران ، واشتغل من عنفوان شبابه إلى الثلاثين بالعلوم الظاهرية - المنقول منها والمعقول - على كبار الأساتذة في مسقط رأسه آمل وفي خراسان واستر آباد وأصفهان لمدة عشرين سنة ، ولما بلغ الثلاثين من سني عمره عاد من أصفهان إلى بلده آمل فاجتمع بفخر الدولة بن الشاه كيخسرو ، فقربه فخر الدولة حتى أصبح من أقرب أصحابه وأعظم نوابه وحجابه ، ثم طلبه فخر الدولة شاه غازي واخوته جلال الدولة اسكندر وشرف الدولة كستهم وسعد الدولة طوس الملك ، فحصل له منهم من الجاه والمال الشيء الكثير .

ولما اتجهت إليه الدنيا وحاز شرفاً ظاهرياً عظيماً وأموالاً طائلة ، علم ضلال هذا الطريق فترك المال والأهل والوطن ولبس دلقاً قيمته أقل من درهم ، فخرج بقصد الحج من آمل ووصل في مسيره إلى أصفهان فاتصل هناك بالشيخ نور الدين الأصفهاني الطهراني - نسبة إلى طهران (ويسميها العامة تيران أو تيرون) قرية على باب اصفهان -[1] فاشتدت الصلة بينهما حتى عقدا عقد الأخوة بالرغم من أن الصحبة بينهما كانت أقل من شهر واحد ، فلبس من يد هذا الشيخ الخرقة الصوفية واجيز منه اجازة لبس الخرقة .

ثم توجه من أصفهان إلى ايدج ، فكان هناك في صحبة شخص كامل عارف منتظراً تهيئة الوسائل للذهاب إلى بغداد ، ولكن أخفق في مهمته وعاد إلى اصفهان فتمكن من الذهاب إلى بغداد من طريق آخر، ووفق بعد عناء لزيارة ائمة العراق (عليهم السلام) وجاور المشاهد المشرفة سنة كاملة ، ثم توجه إلى حج بيت الله الحرام مجرداً فقيراً ، وبعد الحج وزيارة الرسول صلى الله عليه وآله وزيارة ائمة البقيع (عليهم السلام) بالمدينة المنورة عاد إلى العراق وسكن النجف الأشرف مشتغلاً بالعبادة والرياضة والخلوة ، وفي النجف التقى عبد الرحمن القدسي فقرأ عليه كتاب منازل السائرين وشرحه وكتاب فصوص الحكم وشرحه ورسائل فلسفية اخرى ، وطالع أكثر كتب التصوف من المطولات والمختصرات ، وكتب على كثير - منها شروحاً وحواشي ، وألف في مدة أربع وعشرين سنة أربعة وعشرين كتاباً .

واتصل في الحلة بفخر المحققين ابن العلامة الحلي ، فتتلمذ عليه واستفاد منه كثيراً ، وأجازه فخر المحققين باجازات متعددة منها الإجازة التي كتبها بالحلة في شهر رمضان المبارك سنة ٧٦١هـ[2] .

ويقول السيد أحمد الحسيني :

كان السيد حيدر الآملي من كبار الصوفية في القرن الثامن الهجري ، سعى كثيراً في تدوين آرائهم وما يتعلق بالتصوف الاسلامي ، ولكن لم يكن من المتطرفين الذين لم يعرفوا من التصوف إلّا القشور الفارغة التي لا تمت إلى روح الإسلام بصلة ، ولم يعرفوا إلّا الرقص والرهز والعربدة والبعد عن التعاليم الدينية ، بل حاول في مؤلفاته الكثيرة أن يستعرض التصوف في اطار القرآن الكريم وما أثر عن النبي العظيم والأئمة من أهل البيت (عليه وعليهم السلام) ، ولذا نراه في كتابه فص الفصوص يندد بجماعة من الصوفية في أقوالهم الباطلة ويبين معايبهم وخرافاتهم ، كما يذم بعضهم في كتابه الكشكول ، وهذا يدل على أنه كان يتعلق بالتصوف كطريق إسلامي لتهذيب النفس والرقي بها إلى مدارج الكمال .

ثم يقول السيد الحسيني عن كتابه (المحيط الاعظم) وهو في تفسير القرآن أنه يوجد منه نسختان احدهما في خزانة الروضة الحيدرية برقم (٢٢) والثانية في مكتبة السيد المرعشي العامة في مدينة (قم) ثم يصف الكتاب بما يلي :

طريقة المؤلف في كتابه أنه يبدأ بآي من القرآن يكتبها بالحمرة ، ثم التفسير ويستعرض فيه ما يتعلق بالآيات من الجانب الأدبي ووجوه القراءة وبعض الأحاديث التفسيرية وأقوال المفسرين ، ثم التأويل فيدخل في مباحث عقلية وصوفية عميقة .

---

(١) تعرف الآن باسم (تيران آهنگران) . وهي غير قرية (بلوك تيران) .

(٢) الى هنا تلخيص لما كتبه المؤلف بخطه .

والمؤلف في القسم التفسيري يختصر الكلام ما أمكنه مع استيعاب وشمول ، وفي القسم التأويلي يطول الكلام جداً مع تقسيم وتفريع وتشقيق . ففي آية البسملة مثلاً نجد القسم الأول لا يستوعب أكثر من صفحتين ، وأما القسم الثاني فيستوعب سبعاً وأربعين صفحة في ستة أبحاث : الباء وتحقيقه ، النقطة التي تحته ، السين والميم ، الله وما يتعلق به ، الرحمن الرحيم ، تطبيق حروفها بحروف العالم كلها .

ومن هنا نعرف أن الكتاب ليس فيه من التفسير - على المعنى المصطلح - إلاّ الشيء القليل ، بل هو كتاب حاول المؤلف أن يجمع فيه المباحث العميقة المتعلقة بالتصوف من كل جوانبها ، وقد وفق تمام التوفيق فيما أراد وقصد تحت عنوان تأويل القرآن الكريم .

والشيء الجديد الذي يلفت النظر في عمل المؤلف أنه يختصر كثيراً من الموضوعات والمباحث في جداول ودوائر وصور ، ولكن في النسخة التي نعرفها هنا بقي محل كثير من هذه الصور بشكل بياض لم ينقش فيه شيء .

ويستند المؤلف في معلوماته التفسيرية إلى كتاب مجمع البيان للطبرسي والكشاف للزمخشري ، وفي التأويل إلى أقوال الشيخ الكامل نجم الدين الرازي والمولى كمال الدين ، وينقل كثيراً عن شرح نهج البلاغة لابن ميثم والفتوحات المكية لابن العربي وكتاب الخطيب للجلودي ، وربما يقتبس عن بعض الكتب من دون اشارة الى المصدر كما فعل مثلاً في فصل تقدم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على غيره في العلوم والمعارف ، حيث اقتبس هذا الفصل من شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي من دون تسمية الكتاب .

يقول المؤلف في مقدمته بصدد بيان خطته في كتابه هذا « . . أن اكتب لهم كتاباً جامعاً للتأويل والتفسير بحيث يكون التأويل مطابقاً لأرباب التوحيد وأهل الحقيقة غير خارج عن قاعدة أهل البيت (عليهم السلام) ، والتفسير موافقاً لأرباب النقل وأهل الشريعة غير خارج عن قاعدة أهل البيت (عليهم السلام) بحسب الظاهر أعني يكون جامعاً للشريعة والطريقة والحقيقة لقول النبي صلى الله عليه وآله « الشريعة أقوالي والطريقة افعالي والحقيقة أحوالي » . لأن كل كتاب يكون جامعاً لهذه المراتب الثلاثة التي هي جامعة لجميع المراتب المحمدية يكون جامعاً لجميع المراتب الالهية والكونية حاوياً لمجموع الكمالات المنسوبة إلى الأنبياء والأولياء بأجمعهم لقوله عليه السلام « أوتيت جوامع الكلم وبعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

وقد جاء تاريخ الكتاب بخط المؤلف على الورقة الأولى من الجزء الثاني هكذا :

سلخ شوال بالمشهد المقدس الغروي سلام الله على مشرفه من سنة سبع وسبعين وسبعمائة هجرية نبوية .

(حيدري) حيدر بخش

توفي سنة ١٢٣٨ .

كاتب هندي نجفي الأصل دهلوي المولد والموطن . هو كاتب القصص والأساطير والتاريخ . واشهر كتبه المعدودة من اعلى كتب الأدب كتاب (توتاكهاني) (قصة الببغاء) وكتاب (آرايش محفل) وقصة (ليلى ومجنون) و (كلزاردانش) و (تاريخ نادري) وطبقات الشعر والشعراء بإسم (كلش هند) و (كل مغفرت) وهو مجالس حسينية .

الشيخ خضر بن أبي بكر المهراني

قال اليافعي في الجزء الرابع من كتابه (مرآة الجنان) وهو يتحدث عن وفيات سنة ست وسبعين وستمائة :

فيها توفي الشيخ خضر بن أبي بكر المهراني العدوي شيخ الملك الظاهر، كان له حال وكشف، قيل مع سفه فيه ومردكة ومزاح . تغير عليه السلطان الظاهر بعد شدة خضوعه له وانقياده لإرادته وعقد له مجلساً وأحضر من خافقه ونسب إليه أموراً رافضية وأشاروا فيها بقتله، والله أعلم بصحة ذلك، فقال للسلطان إن بيني وبينك في الموت شيئاً يسيراً، فوجم لها السلطان وحبسه في سنة إحدى وسبعين إلى أن توفي (انتهى اليافعي).

وهكذا فإن نسبة التشيع كافية للإفتاء بقتل من تنسب إليه، فإن لم يقتل يسجن إلى أن يموت في السجن.

الخطّاطون في العهد الصّفوي
(٩٠٦ - ١١٣٥ هـ)

هذه مجموعة تراجم ينتظمها موضوع واحد رأينا أن نضمها الى هذا الملحق وهي بقلم : حبيب الله فضائلي :

يعدُّ العهد الصفوي من ألمع العهود وأرقاها وأكملها من ناحية فن الخط ، ولا سيما الثلث والتعليق والنسخ . وقد كان عامة الملوك وأنجالهم مغرمين بهذا الفن ، بما في ذلك الأمراء الصفويون (ولا سيما الشاه إسماعيل الأول ، وعباس الكبير ، وثلاثة من أبناء الملوك : بهرام ميرزا[1] ، وسام ميرزا ، ابنا الشاه إسماعيل ، وابن بهرام ميرزا الأمير إبراهيم ميرزا) . حتى إن بعضهم أتقن كتابة الخط على أساطين هذا الفن ، وأكرموا الخطاطين ، وأحلّوهم قصورهم ، وأولوهم اعتباراً خاصاً .

فنجم عن ذلك التجشيع انتشارٌ لأنواع الفنون ، وبزوغ لعدد من نوابغ الخط ولا سيما كتّاب خط النستعليق ورسامي الثلث . ولقد كان وجود أمثال هؤلاء الأساتذة باعثاً على الافتخار بنقش أسمائهم على آثارهم لتخليد ذكرهم . ومن جملة الخطاطين المشهورين في الثلث والرقاع والنسخ والريحاني وغيرهامن نعرضهم فيما يلي :

محمد مؤمن الكرماني :

هو ابن الخواجه شهاب الدين عبدالله مرواريد ، المتخلص بالبياني(*) .

ولقد كان محمد مؤمن أيضاً أحد عددٍ من الخطاطين من ذوي الطراز الأول . وكان تحت يده عدد من خطاطي القرن العاشر بجميع أقلامهم المعروفة (أنواع الاقلام الستة والتعليق والنستعليق) ، فقد كان أستاذاً لم يكد يضارعه أحد فنه .

(١) معنى كلمة « ميرزا » ابن الأمير .

(*) كان الخواجه شهاب الدين عبدالله بن الخواجة شمس الدين محمد الكرماني من أشراف كرمان ، ووزيراً في بلاط التيموريين . اتصف بحسن السيرة ومكارم الأخلاق . عمل في أيام شبابه بخدمة السلطان حسين بايقرا ، فأجلّه وأحلّه في بلاطه ، حتى بلغ مرتبة الصدارة ، لكنه اعتزل بعد موت هذا الأمير واشتغل بالعبادة ونسخ القرآن ، واستمر الأمر على ذلك حتى تمكن الشاه إسماعيل الصفوي من هراسان ، فأمره بنظم تاريخ الملك . كان الهواجة عبدالله مطلعاً على اكثر العلوم المتداولة والفنون المعروفة . وكان طويل الباع في النظم والنثر . وكان يكتب مجموعة ن الهطوط بشكل جذاب . وقد اعترف تلميذه عبدالله طباه الهروي بمقامه الفني ، وبأن خط التعليق كان فيه تلميذاً للهواجة تاج السلماني . وقد جاء في تاريخ الرشيدي أن خط النستعليق لم يكتب به أحد بعد السلطان محمد نور ، سواء من حيث الفصاحة أو القاعدة مثل عبدالله بياني . وقد أوكل الشاه إسماعيل أمر تعليم ابنه أبي النصر سام إليه .

ودلف محمد مؤمن إلى بلاط الشاه طهماسب ، وغدا كاتبه الخاص . ورتب لـه مرقّعاً يعد من نفـائس هذا الفن النـادر في إيران ، إذ كتب بسـائـر الأقـلام المتنوعة وقد اتُّفق على أن تاريخ خط هذا المرقـع يتراوح بـين ٩٣٤ ـ ٩٤٧ ، ثم تفرّق بعد هذا التاريخ . وفيما يلي صفحات منها من ضمن مرقعـات أُخر (مثـل مرقع مالك الديلمي ، وسيد أحمد مشهدي ، وغـيرهما) . وتـوجد في مكتبـات « طـوب قابـوسراي » وجامعـة استانبـول . وقد تـرك محمد مؤمن بـلاط الشـاه طهماسب في أخريات عمره ، ورحل إلى الهند ، وتوفي هناك سنة ٩٤٨ هـ .

نصير المُنشي :

يقـول سپهر : إن الخـواجة نصـير المنشي كان يكتب التعليق بشكـل جميـل جداً . وتوفي سنة ٩٦٢ . وقد حَفظت مكتبة خزانة الأوقاف باستـانبول بثـلاث قطع من خطه من مرقّع بهرام ميرزا ، كتبت بقلم النسخ والرقـاع والنستعليق ، ورقمها في المكتبة : « تحفـة سلطنة مجلس النـواب (والمقصود بكـلامه هـو بهرام ميرزا الصفوي) خلّد الله تعالى ملكه . كتبه الفقير نصير غفر الله ذنوبه » .

الأمير عبد القادر الحسيني الشيرازي :

جاء في كتاب « راهنماي گنجينة قرآن » تأليف أحمد گلچين معـاني : « يعد الأمـير عبدالقـادر الحسيني الشيرازي من أبـرع خطاطي منتصف القـرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر الهجريين ، هاجـر إلى الهند وحط عصـا الترحـال في كلكنده الدكن عاصمة سلاطين القطب الشاهي ، وهناك شغل بنسخ القرآن ، وقـد تمكن من نسخ أربـع نسخ من القـرآن . وقد ذُكـرت هذه النسـخ الأربـع بخطه ، وأورد صفحة منها نموذجاً .

ولقد شاهدت بنفسي آثاره المعجزة ، أعني القرآن في مكتبـة العتبة المقـدسة الرضوية ، كتبت بخط ريحاني ممتاز . كما كان هذا الخطاط البارع متمكناً كذلك من الخطوط الأخرى .

علاء الدين محمد بن شمس الدين محمد الحافظ الشيرازي :

كان معروفاً بالملا علاء بك . وهو من أساتذة تبريز المعروفين ، وممن تخـرج على يديه عبدالباقي التبريزي وعلي رضا العباسي اللذين عدَّ كل واحـد منهما من أعلام الخط المشهورين .

كـان علاء بـك تلميذ شمس الـدين محمد التـبريـزي كـاتب أوامـر الشـاه طهـماسب . ومن آثاره : كتـابـات عـمارات تـبريـز ، وكتب ونسـخ قـرآنيـة ، ومرقعات وقطع خطيـة ما زال بعضهـا موجـوداً بشكل متفـرق . وجميع نمـاذجه الفنية البارعة الأثرية مؤرخة بين ٩٦٣ إلى ١٠٠١ هـ ، من ذلك : نسختـان من القـرآن بالقلم الـريحاني والـرقـاع والثلث ، ونسخـة محفـوظـة في مكتبـة إيـران السلطانية السابقة ، وقرآن بخط الثلث ، والريحاني والرقاع ، محفوظة في مكتبـة العتبـة المقـدسـة الـرضـويـة (مـر عـرضُ نمـاذج الخـطوط في فصـول سـابقــة والصفحة ٣٤٨) .

صحيفي جوهري :

من الخـطاطين الأفـذاذ في العهـد الصفـوي . ومن جملة آثـاره مـا كتبـه في مـدخل المسجـد الجامـع بتاريـخ ٩٩٢ هـ . وما زالت صـور نقشه مـاثلة . وله طريقة بنقـل « سبعة الأقـاليم » من الخط والتذهيب والتجليـد والوصـل . توفي سنة ١٠٢٢ .

عبد الباقي التبريزي :

تلميـذ علاء بـك ، ومن الأساتـذة البارزين . ومن أشهـر كتابـاته التي مـا زالت حتى اليـوم : كتابـات الإيوان الشـمالي ، وكتابـات داخل الإيـوان الكبـير لمسجـد شـاه السـابق ، والأطـراف المحيـطة تحت القبـة ، والتي كتبت بـين ١٠٣٥ ـ ١٠٣٦ هـ .

بعـد أن أتمَّ اكتساب العلوم والفضـائل وفنـون الخط تـرك تـبريـز قـاصـداً بغـداد . لكن الشاه عبـاس الكبير استدعاه منهـا وأوكل إليـه أمر الكتـابات في مسجد شاه السابق . وإضافة الى هذه الكتابات وجدت له قطع خطية .

لا نعلم سنة وفاته . يذكر بعض المؤلفين أنه كان من زمرة الحكماء والعـرفاء والشعراء ، ويذكرون أنه كان محباً عطوفاً ، وذا منحى درويشي . وقد تخلّص في شعـره بـ« باقي » . يـذكـر هـوارت في كتابـه « الخـطاطـون » و« المنيـاتـوريـون المسلمون في الشرق » ان : « عبدالباقي التبريزي الملقب بالعالم تلميذ عـلاء بك كان يقيم في تكية الدراويش ببغداد . كان الشه عباس الأول قد سمع بشهرته في خط الثلث والنسخ والتعليق ، فأرسـل حسين جلبي يـدعوه إلى إصفهـان ، لينقش كتابات المسجد الكبير هناك ، غير أنه لم يقبل العودة .

لكن الشاه عباس بعد أن فتح قندهار أمـر بإحضـاره إلى إصفهان طـوعاً أو كرهاً . ففي ذلك الوقت كانت قبة المسجد الكبرى قد تمّت ، والصفّة الثانية من طـرف القبلة ، والطاق رأس البـاب الكبير للمسجـد ، من كتابـاته التي وشّتهـا ريشته »[1] .

ولا بـد من القـول بـأن السـائـح الـروحي المشهـور محمـد رضـا الإمـامي الإصفهاني هو تلميذ عبدالباقي التبريـزي ، وكلاهمـا من الفقهاء المشهـورين في زمانهما .

علي رضا العباسي التبريزي[2] :

من ألمع خطاطي العهد الصفوي ، والذي لم يكن له نـظير في خط الثلث . فقـد كان في خط الثلث والنسـخ تلميذ المـلا علاء بـك ، وفي النستعليق تلميـذ محمد حسين التبريزي . عاش علي رضـا في بلاط الشـاه عباس الكبـير معززاً ، ودامت حيـاته حتى سنـة ١٠٣٨ هـ . من آثاره في خط الثلـث كتابـات القسم العالي لبوابة قزوين ، والتي هي اليوم إدارة الأمن والشرطة لمدينة قزوين ، وقمة باب الدخول إلى مسجد الشاه بإصفهان بتاريخ ١٠٢٥ ، وكتابة على قمـة باب دخـول مسجد الشيـخ لطف الله ، وكتـابـة حـول قبـة من الطرف الداخلـي في إصفهان ، وقطعتـان في الشرفات العبـاسية في الضلع الغـربي والشرقي لصحن العتبـة القديمـة الرضـوية بتـاريخ ١٠٢١ ، وكتابة محيطة بقبة الخـواجـة ربيـع بتاريخ ١٠٢٤ ، وكتابة داخل قبة الخـواجة ربيـع بتاريـخ ١٠٢٦ والتي ما زالت مـاثلة حتى الآن ، وتعدُّ نمـاذج لأعظم كتـابات الثلث . ولم يحفظ لنـا من خـطة النسخي إلا قـطعـة واحـدة من مجمـوعـة شخصيـة لخـوشنـويس زاده . وقـد استخرجنا منها قطعة بالتصوير الضوئي (الفوتوكوبي) ، ترى هنا ، والتي كتبها على منهج أستاذه علاء الدين وقواعده .

محمد صالح اصفهاني :

تُرى في القسم الأعلى من محـراب مسجد شـاه في إصفهان بخط ثلث ممتـاز كتابات تدل على عراقة فنيـة وظرف فـائق ، وفي ختامهـا ورد اسم محمد صـالح سنة ١٠٣٨ . وورد الاسم صريحاً وبالرقم نفسـه في كتابـة محراب القبـة الشرقية لمسجد شاه السابق : « كتبه محمد صالح الإصفهاني سنة ١٠٣٨ » .

محمد رضا الإمامي الاصفهاني :

يُعرف محمد رضا بإمام الخطاطين ، عاش عمـراً مديـداً ، وكان معـاصراً

---

(١) رسالة العتبة المقدسة الرضوية رقم : ١

(٢) راجع ترجمة مفصلة لها في هذا الكتاب .

للشاه عباس الأول والشاه صفي الدين والشاه عباس الثاني والشاه سليمان . ولقد كان له في كل حقبة كتابات وآثار على كل ما كان يُبنى للذكرى .

لم يكن خطه « الثلث » وحده رفيع المقام ، بل كان بارعاً في كتابة النسخ والنستعليق كذلك . وكان معاصراً للخطاطين المشهورين الآخرين مثل : علي رضا ومير عماد وعبدالباقي ومحمد صالح . وقد استطاع كاتب هذا المقال إحصاء ما كتبه على الأبنية التاريخية المشهورة في إصفهان ، فكانت تسعاً وعشرين كتابة ، وكلها بخط محمد رضا الإمامي . وأقدم ما كتبه كان مؤرخاً بسنة ١٠٣٨ ، وهو في مسجد شاه السابق ، في زمان الشاه عباس الأول ، وكان أحدثه مؤرخاً في سنة ١٠٨١ هـ .

محمد محسن بن محمد رضا الإمام :

تعزى إليه كتابات كثيرة على الأبنية القديمة في إصفهان ويمتد تاريخها من ١٠٩٣ - ١١٠٠ ، كما رُئيت في خزانة آثار إصفهان التاريخية . لقد كان من أبرز الخطاطين في عهد الشاه سليمان الصفوي وأوائل الشاه سلطان حسين وقد دُون اسمه بشكل صريح في بعض الكتابات : « كتبه ابن محمد رضا محسن الإمامي » ولم تكتشف له إلا كتابات بالخط الثلث حتى الآن .

ولقد أورد الدكتور بياني في كتابه « نماذج الخطوط » قطعة بخط النسخ مع الرقم : « مشقَّه العبد الأقل محمد محسن الإصفهاني ١١٥٧» وهي منسوبة إلى محمد محسن الإمامي ، ولعل لطول عمره سبباً في هذه النسبة . وليس معلوماً أنها له لأننا لم نجد كلمة « إمامي » في الرقم . كما تنسب إليه كتابة بخط النستعليق موجودة في شرفة إمام زادة إسماعيل، والتي هي في الحقيقة بخط ابنه علي نقي الإمامي .

علي نقي الإمامي بن محمد محسن الإمامي :

هو كجده وأبيه في الكتابات في المساجد والأبنية وآثاره موجودة في إصفهان ، يعدُّ من خطاطي عهد الشاه سلطان حسين الصفوي ، وله خطوط كثيرة في مدرسة الحدائق الأربع وابن الإمام إسماعيل في إصفهان . كما له كتابات موجودة بخط النستعليق .

كان علي نقي يكتب بخط النسخ والرقاع أيضاً وتتراوح كتاباته التي بخطه بين ١١١١ و ١١١٩ . ورد في رسالة العتبة المقدسة رقم «١» من المجموعة السابقة أن محمد رضا الإمامي وابنه محمد محسن وحفيده علي نقي قاموا بكتابات كثيرة لأبنية إيرانية في حدود قرن كامل من ١٠٣٩ - ١١٢٧ ، ويعدّون من أعظم الخطاطين ، كما ذكرت تلك المجلة في الصفحات ١٢٣ - ١٢٥ خطوط هؤلاء الأعلام الثلاثة في إصفهان ومشهد وقم وقزوين ، وأشارت إلى اختصاصهم ومقامهم .

عبد الرحيم الجزائري :

إن أكثر خطوط المدرسة السلطانية في إصفهان (الحدائق الأربع) من آثاره ، كتبها بخط الثلث الرفيع . كما له كتابات على باب الدخول إلى المدرسة السلطانية المشرف على شارع الحدائق الأربع ، وعلى باب آخر في سوق السلطان الطويل بجانب المدرسة مؤرخ بتاريخ ١١٢٢ ، وكتابة في مسجد واقع بشارع الشيخ البهائي بتاريخ ١١٢٥ ، تدل هذه الكتابات على مهارة وفن في عهد السلطان حسين الصفوي .

خطاطون مغمورون في القرن العاشر

لم تتيسر لنا معرفة حياة عدد من الخطاطين ، إلا أن آثارهم الماثلة تدل على مهارتهم وبراعتهم . من هؤلاء :

محمد بن سلطان شاه الهروي - معين المنشي - شمس الدين علي الشيرازي وله نسخة قرآنية بخطه في مكتبة العتبة المقدسة الرضوية - شمس الدين محمد بن أمير علي التبريزي - يوسف الغباري - أبو سعيد الإمامي - محمد بن أحمد الخليلي التبريزي ، وله نسخة قرآنية بخطه في مكتبة العتبة المقدسة الرضوية بقلم المحقق وتوقيع ممتاز ، مؤرخة بسنة ٩٨١ . وسوف نفرض نموذجاً لها في فصل المحقق - محمد بن ميرك عليقي الشيرازي - عبدالله بن سلطان محمد الهروي - فخر الدين علي الحسيني - الصيرفي ، وهو غير عبدالله الصيرفي المعروف - نظام الإصفهاني - حسن بن محمود سالم - باقر بنّا ، وأكثر كتاباته واقعة داخل مسجد الشيخ لطف الله بخط ثلث عال ممتاز .

كما أن هناك عدداً من الخطاطين من الذين عاشوا في القرن العاشر ، وأدركوا القرن الحادي عشر ، وهم : درويش مقصود التبريزي أو حاجي مقصودشريف التبريزي - ميرزا علي - سلطانية - حسن بيك التبريزي شاه محمد الأشرفي .

الخطاطون المعروفون في القرنين
الحادي عشر والثاني عشر

إبراهيم آغا القمي :

محمد إبراهيم ابن محمد نصير القمي من مشاهير الخط النسخي ، والذي كان أستاذ ميرزا أحمد التبريزي . إبراهيم آغا من الخطاطين الأعلام والأساطين المشهورين في عهد سلطنة الشاه سليمان والشاه سلطان حسين الصفوي ، فهو كان يكتب ، بالاضافة إلى الخطوط الأصولية ، التعليق والنستعليق والمكسَّر بغاية من الجودة والبراعة ، ومن افضل ما اشتهر به خط النسخ ، إذ يقال إنه كان ينسخ في كل سنة ثلاث نسخ من القرآن ويتعيَّش من أجرها عيشة مرفَّهة . وقد أمضى عمره كله عَزَباً سخياً ، وقد كان حياً سنة ١١١٧ ، إلا أن تاريخ وفاته غير معلوم .

ميرزا أحمد النيريزي :

هاجر أحمد بن شمس الدين محمد النيريزي في أيام شبابه من نيريز إلى إصفهان ، واختار دار إقامته في هذه المدينة بحدود سنة ١١٠٠ . وقد كان يحظى باحترام الشاه سلطان حسين الصفوي ، وبتقدير لدى أمراء عصره وفضلائهم وأصحاب الفن . وكانوا يُقبلون على آثاره بمال كثير ، حتى قيل إنه جنى من فنه في حياته ستين ألف تومان صفوي .

كان النيريزي ذا شمائل نفسية خاصة ، فقد نُقل أنه كان يكتفي لعيشه بمبلغ زهيد ، بينما ينفق بقية ما يجنيه . وقد قصد في أواخر عمره العتبات العاليات ، ولم يتقاعس هناك رغم كبر سنه عن الكتابة ؛ ففي مكتبة سلطنة إيران دعاء بخطه محفوظ في النجف الأشرف ، كتبه بتاريخ ١١٧٢ .

وتبعاً لاختصاص النيريزي ببلاط الشاه سلطان حسين (السلطاني) فإنه يكتب بعض الرقم والآثار ، كتبها بأمر هذا الملك . وكان قد تعلم خط النسخ في ابتداء حياته لدى إبراهيم القمي ، إلا أن منهج خطوطه كان أقرب كثيراً إلى خطوط علاء الدين النيريزي ، فقد كان واضع قواعد خاصة لخط النسخ ، بل هو الذي قعَّد أصوله في إيران . وعدّ النيريزي أشهر أساتذة النسخ في إيران وأعرفهم .

ومن آثار قلمه قاعدة باقية تعد من أندر ما قدمه أستاذ . ومن أهم آثاره : خمس نسخ من القرآن المجيد في المكتبة السلطانية ، يمتاز بعضها بأرقى فن كتابة النسخ ، مما ليس له نظير ، ومع هذه الشهرة الكبيرة فإننا قلما نعرف جزئيات حياته ، حتى سنة ولادته وسنة وفاته غير معلومتين بدقة ، إلا أن المسلَّم به أنه

عمل خطاطاً بين ١٠٩٦ ـ ١١٥٢ ، أي كان اسمه لامعاً أكثر من نصف قرن ، وأنه توفي عجوزاً .

محمد الهادي الاصفهاني :

هو ابن الملا محمد صالح المازندراني ، ويعدُّ من زمرة العلماء والزهاد ، ومن ألمع خطاطي الخط النسخي ، وقد كان من معاصري إبراهيم آغا القمي ومن أتباعه في منهجه وقواعده . أمضى حياته في إصفهان وانتهت حياته في المدينة المذكورة في أثناء فتنة الأفغان في سنة ١١٣٥ .

القرنان الثاني عشر والثالث عشر

هاشم آغا الاصفهاني :

هو محمد هاشم بن محمد صالح اللؤلئي الإصفهاني ، المعروف بزرگر (الذهبي) (والد ميرزا محمد علي محرم ، وجد عبدالوهّاب محرم اليزدي شاعر السلالة القاجارية) . وهو من أساطين خط النسخ المعهودين في القرنين الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر ، وقد حظي في زمانه بشهرة طبَّقت آفاق الأمصار الإسلامية ، حتى إن الشعراء كانوا يمدحونه بحسن خطه . وقد كان في الخط النسخي مضارعاً لعبد المجيد درويش ، وهما اللذان رسَّخا دعائم الخط المكسَّر .

لم نعرف تاريخ وفاته ، لكن المسلَّم به أنه كان حياً بين السنوات ١١٧٢و١٢١٢ ، وقد احتلت آثاره طيلة هذه المدة مقاماً جعلته من ذوي القدرة في فن الخط . وبناء على ما نقل من « دليل الخزانة القرآنية » أن مجلدين من القرآن بخط محمد هاشم لؤلئي محفوظان في مكتبة العتبة المقدسة الرضوية ، نسخا في سنة ١١٨٤ و ١١٨٥ هـ . ق .

تذكره : وإثر انقراض الدولة الصفوية سنة ١١٣٥ والحوادث المتتابعة والحروب والفتن التي انتشرت في أطراف دولة إيران وأرجائها جعلت الناس ينشغلون بأنفسهم ، فكان ذلك سبباً في انحطاط الفن ، بما في ذلك فن الخط . ومنذ بزغ فجر القرن الثالث عشر استعاد فن الخط مقامه تدريجياً ، فازداد الاهتمام بالأقلام الستة ، ولا سيما الخط النيسخي ، وازداد عدد الخطاطين بشكل ملحوظ ، فظهرت آثار نفيسة من القرآن والأدعية والكتب والمرقعات والقطع والكتابات تحمد عمل أصحابها .

الشيخ خليل مغنية

مرت ترجمته في الصفحة ٣٤٩ من المجلد السادس ، ونزيد عليها هنا هاتين القصيدتين :

قال :

خمسون عاماً قد مضت ... هل ترجعن وليتهنه
مرت كأنفاس الصباح ... تذيع من نفحاتهنه
هاتيك أزهار الربيع ... تناثرت برياضهنه
كانت عليهن الرياح ... شديدة فنثرتهنه
فبكى عليهن الكنار ... بغنة وصلت بغنه
كل الحياة هي الشباب ... فكم له بالنفس رنه
من لي يساعدني على ... أيامه برجوعهنه
ذهبت وآمال الرجوع ... كومضة من نورهنه
ودعتهن بأدمع ... مزجت دماً بجفونهنه
في عارضي طلائع ... أرجفتني بطلوعهنه
بيض ولكن الكعاب ... بغضبة لبياضهنه
نفرت بنيات الصبا ... لما بدت لوجوههنه

اوضحكن للنور المطل
وخطرن والنسمات تلعب
يمزجن من فرط
يغرين كبار العقول
والشيب حد الملتقى
عفواك لست بمغرم
مثلي تنزه المكانة
ذي لهوة من شاعر
فأتى الخيال بباقة
هيا لروضات الربى
تلك المطامع احرقت
أني نظرت ترى الشحوب
صحراء تسقيها العيون
هزتك يا جبل العلى
صور كأن وجوهها
أشكال خزي كالقرون
يا صبية الأكر التي
سدت مهازلك الطريق
أيد معودة على
جعلت زخارف صنعها
في كل ناحية أذى
إن الحوادث جمة
كم في الحمى قد زمجرت
تركت بهاتيك المروج
تلك الخمائل ما رأت
الكل في نظر
والكل قد تركوا البلاد
للناقرات على الدفوف
للضاربين بأرجل
يا للبلاد فكم
ولكم يراح ويغتدى
كشف الستار عن الأولى
جشع النفوس يثيرها
وخمول أشباه الرجال
ترك المجال لمن يروم
أين الهداة وهل لهم
أين الشباب وما
اليوم يومك يا رعاع
تلك الوعود فهرولي
ستضيء أنوار الصباح
وتزيل كل دجنة
وترى البلاد دليلها

وقد بكيت لضحكهنه
في ضعاف خصورهنه
التدلل هزلهن بجدهنه
بقاصرات عقولهنه
بين الوقور وبينهنه
نصب الشباك لصيدهنه
أن يخف لمثلهنه
أرخى لفكرته الأعنه
قد نظمت من زهرهنه
نجري الدموع لحالهنه
زهراتها في نارهنه
يلوح في أنحائهنه
سحابة من دمعهنه
أيدي الطغام بفعلهنه
للناظرين لها دجنه
السالفات وخزيهنه
تعدو لها في سوحهنه
وليس في سير مظنّه
بذر الخنوع بمقهنه
يوم الحساب لها مجنه
من دونه وخز الأسنه
والمخجلات أشدهنه
هوج ، دهته بعصفهنه
زلازلا من وقعهنه
حراً يثور لحفظهنه
الحقيقة مهملون لشأنهنه
محاطة ببلائهنه
يجدن في نقراتهنه
وجه الثرى هوساً وجنه
تبث مفاسد بربوعهنه
في كل مهزلة لهنه
يتسابقون لنهبهنه
للعبث في أوضاعهنه
عن القيام بحقهنه
وقيعة بكيانهنه
من جولة بمجالهنه
هنالك يقظة بشبابهنه
فنكلي برجالهنه
وخذي الحيّ لحربهنه
بهية بجهاتهنه
سوداء عن أبصارهنه
يمشي بها لحياتهنه

ما رمت أقصد واحداً بمقالتي من أهلهنه
إن البلاد وأهلها مثل الحمول بأرضهنه
فوضى تسود على الشؤون جميعها بجميعهنّه

وقال :

سائل الناس في الجنوب علامَ سودوا بالعيوب وجه الجنوب
أضرموا نارها بكل مكان وأتى الغر يرتمي باللهيب
ثم جاءوا وهم يقولون إنا قد ملأنا الدنا بنفح الطيوب
أيها القوم إنكم لأناسٌ نهض العيب فيكم للمعيب

إنما الناس كالنبات فهذا طيب طعمه وذلك مر
وكذا الناس في الحقيقة هذا عبد قوم وذاك في القوم حر
إن تخفيت في صفاتك يوماً سوف يبدو لثاقب الفكر سرّ
ليس يزري بصاحب الفضل زور لا ولا يبلغ الكرامة غِرّ

قد عدونا على الطريق جميعاً كلنا نبتغي بلوغ الأماني
وانتهينا إلى الحمى وأخذنا نتجارى بحلبة الميدان
ثم عدنا وفاز هذا وهذا لم ينل غير صفقة الخسران
وأرى الكل في الربوع سواءً ذاك عيبٌ في كفة الميزان

نحن أولى بأن نكون مثالا فائق الوصف في بديع المعاني
نحن أولى بأن نبث أريجاً من زهور الهدى بكل مكان
نحن أولى بأن تنظم فينا ألسن المدح رائعات البيان
نحن أولى بكل هذا فهذا أثر الدين في بني الإنسان

إن في عالم النفوس نفوساً كالدجى وحشة وكالنتن ريحا
لم يكن للجميل فيها محلّ قد أبت أن تحل إلا القبيحا
أنهكت روحها القبائح حتى لم تُبقِ لها وعينيك روحا
في مطاوي اللئيم نارٌ تلظى ليس تبقي مهشماً وصحيحا

كم ترائي . ولا يفيد رياءٌ هتك الستر عن خفايا المرائي
ميت أنت في الحقيقة لكن بقيت فيك صورة الأحياء
يسطع النور في الظلام ويبدو ما تخفى بحالك الظلماء
يا مقيم البناء فوق رماد سوف تنهار شامخات البناء

أنت في ثروة الإباء غني قد تجملت بالصفات الرضية
وهو في ثروة النقود فقير دنس الروح بالأمور الدنية
يا أخا اللؤم والنوايا مطايا سوف ترميك بالمهاوي الخفية
ظهرت منك للعيان مطاوٍ سوف تطويك طية بعد طية

لا تسلني فكم يثير سؤال في محاني الأريب نار الأذية
همج أقلقوا البلاد وزاحوا كيف شاء العمى لكل دنية
يا عصي الرعاع وعرك أضحى مصدر الفضل للأكف قوية
لا تشاء الرعاع إلاّ شذوذاً وانبعاثاً بحالك الهمجية

هذه نهضة البيان وهذا أثر الفن في وجوه الطروس
يا يراع البيان منك عرفنا كامنات تغلغلت بالنفوس
إن يوماً به ولدت عبوس ليته لم يكن بيوم عبوس
قد حسبناك بالسعود محاطاً فإذا أنت مفعم بالنحوس

الشيخ خليل ياسين ابن الشيخ ابراهيم

ولد في بلدة العباسية (جبل عامل) سنة ١٣٢٨ وتوفي سنة ١٤٠٥ . تعلم على والده القراءة والكتابة وقرأ القرآن . ثم درس على الشيخ حسين مغنية في بلدة طيردبا حتى بلغ كتاب (اللمعة) ثم سافر سنة ١٣٥٣ الى النجف فتابع هناك دراسته على علمائها ثم عاد الى جبل عامل سنة ١٣٦٥ واقام في بلدة العباسية الى ان عين في القضاء الشرعي قاضياً ثم مستشاراً في المحكمة العليا

له من المؤلفات المطبوعة : اثبات الصانع ، حل مشكلات القرآن ، محمد في نظر علماء الغرب ، الامام علي عدالة ورسالة .

وله من غير المطبوع : المفردات الاجنبية في اللغة العربية ، شرح الكفاية ، رسالة في العلم الاجمالي ، شرح على طهارة العروة الوثقى وغير ذلك .

وله ديوان شعر مخطوط ، منه غير ما نشر في ترجمته :

أرسل لوالده جواباً على رسالة منه :

تقول سوىٰ العلياء لا تتطلب وجد وكاس الصاب دونك فاشرب
واوصيك لا تنفك ربك مرضياً فذاك وايم الله أعظم مكسب
اجيبك سمعاً وامتثالاً وطاعة فلست سوى العلياء بالمتطلب
ولست ارىٰ الا رضاك وسيلة وارضاء ربي في بلوغيَ ماربي

قال يعلق على قصيدة لأحد اصدقائه المصابين بمرض السل سنة ١٣٦٦ :

عواطف قد ضاق الفسيح بها صدراً فنظمها في السلك شاعرها شعرا
ولحن آلام الكئيب مغرد فنبه بالألحان عاطفة سكرى
وراح من الآلام يبعث زفرة تلظى وأنفاساً رماها لنا حرى
وأرسلها من فيه عقداً منضداً كما صاغها من فيض فكرته درا
شكا الشاعر السل الذي اجتاح جسمه وطار به للشيب يستبق الدهرا
وودّ « بأن الموت يسرع نحوه ولكنه يأبى الدنو له حذرا »
شكا مستغيثاً من زمان رمى به إلى غمرة الأسقام فاستوقف الفكرا
ورددها شكوى تعاظم وقدها بطيّ الحشا إذ راح يقذفها جمرا
ودوى بارجاء البسيطة من أسى نداء تعالى ليت في مسمعي وقرا
فأجج نيراناً بشكواه يصطلي بها القلب وانهلت لها أدمع حمرا

لئن كان داء « السل » سلطان قوة غزاكم فرحتم منه في سجنه أسرى
وبزكم الآمال في ميعة الصبا يسومكم ضعفاً ويوسعكم قسرا
ويذوي من الروض البهيج نديه وراحت عليكم منه آلامه تترى
وباتت أمانيكم لديه صريعة وصرتم بحال لم تطيقوا لها صبرا
فهذي سلاطين النوائب جمة تهاجمنا لا نستطيع لها قهرا
أطلت على الدنيا فمدت رواقها وها كل من تلقاه يشكو لك الدهرا
فما الدهر والأيام إلا مصائب تعض على الأحرار في سيرها جهرا
تراها إذا ما امتد طرفك حلقت عقابا فتلوي الجيد منقضة صقرا

على الروضة الغنا فتنهب ما بها ... وقد تخذت غض الغصون لها وكرا
رويدك ما الإنسان إلّا بعزمه ... ينال به المجد المؤثل والفخرا
فإن هو أولاه الـذميم رمى به ... سحيقاً وإلا كان مقعده الشعرى
وما هي إلا النفس إن أنت رضتها ... تجدها على الآفاق عباقة نشرا
وإن هي طارت بالكمال إلى الذرى ... فما ضرها الجسم الذي يجرع الصبرا

وقال في السنة نفسها من قصيدة :

حيدر صنو أحمد من براه ... ربه للأنام من لألائه
من إذا هجته تلفت حذراً ... منه شخص الزمان خوف لقائه
وإذا هجته ترنح شوقاً ... للوغى والردى بحد مضائه
نشر العلم والفضيلة طراً ... في صلاح الزمان في أبنائه
سائق البغي للدمار وحامي ... بيضة الدين من أكف عدائه
فارس الكون من كشبل علي ... دوخ الدهر في عظيم بلائه
مفرداً والعراق أقبل سيلاً ... من جيوش تسد ثغر فضائه
فثنى السبط منه عزم كفاح ... يرجف الأرض في ربى صحرائه
وأثار الورى ضروساً فماجت ... بالنجيع المراق من خصمائه
طرفه الفلك واللواء شراع ... والحسام المجداف في دأمائه
صرخ السبط في الضلال فدوى ... في عمود الزمان رجع ندائه
موقف حير العقول وألوى ... بنفوس تطيش من دهيائه
بذل النفس والنفيس فماتت ... أمة البغي واهتدى كل تائه
وسرى موكب الهدى مطمئناً ... يبسم النصر في بياض سرائه
حادث أرجف البسيطة حزناً ... وترامت مصائب من جرائه
غمر الناس منه فيض دماء ... وأطاش العقول في كربلائه
كبر الكون من أسى وتهاوت ... عنه أفلاكه إلى بطحائه

وقال وأرسلها الى مرجع عصره السيد ابو الحسن الاصفهاني في النجف الأشرف :

يا درة الدنيا التي ام العلى ... عقدتك فوق جبينها اكليلا
ماذا اقول بمدح ذاتك انني ... لا استطيع لمدحها تفصيلا
يا واحد الدنيا ومن افضاله ... تركته فوق النيرين نزيلا
يامن بكل فضيلة هو احمد ... للشرع اضحى حامياً وكفيلا
ولانت قطب رحى المعارف والهدى ... واحق من في ذا الورى تفضيلا

وقال وهو في النجف الأشرف راثياً الشيخ حسين مغنية سنة ١٣٥٩ وأرسلها الى جبل عامل :

جبت لعاملة المنون سناما ... فطوت ولكن مجدها البسّاما
وهوت حصون العلم لما ان هوى ... عنها (الحسين) دعامة وقواما
يا واحد الدنيا طوتك ملمة ... فطوت بك الآمال والاحلاما
ماذا اقول مؤبناً افلست من ... خضع الزمان لقدره اعظاما
وعلوت آفاق العلا حتى علت ... قدماك من هذا الزمان الهاما
حتى اذا مد الردى لك كفه ... فرمى من الدين الحنيف دعاما
وهوى صريعاً شرع طه حينما ... صرف الزمان سقاك منه الجاما
واطار قلب المكرمات أسى وقد ... ترك الدموع دماً عليك سجاما
وانهار صرح العلم بعدك وانطفى ... مصباحه فغدا النهار ظلاما
يا مخرس الفصحاء اعظم حسرة ... في النفس انك لا تطيق كلاما
كنا برشدك نستضيء الى الهدى ... مذ كنت فينا سيداً وإماما
رحماك قد حل المصاب واصبحت ... قطع الاسى فوق النفوس ركاما
خطب له في قطر «عامل» صرخة ... هز «العراق» دويها «والشاما»
خطب دهى النجف الشريف وراح في ... اقطار يعرب يبعث الآلاما
ابكى بك الدين الحنيف وانما ... ابكى الابا والحزم والاقداما
عجباً لشخصك كيف غيّبه الثرى ... ام كيف يلثم ثغرك البساما
افلست من بلغ السماء بشأوه ... حتى وطأت من السِّماك الهاما
واروك لكن في القلوب انما ... واروا بك الايمان والاسلاما

وقال يرثي الحسين (عليه السلام) من قصيدة :

بأبي الألى في الغاضرية صرعوا ... وقضوا حقوقاً للعلى وديونا
بأبي الألى باعوا النفوس وارخصوا ... من سعرها دون الحسين ثمينا
بذلوا نفوسهم لديه وانما ... كل غدا في بذلها مفتونا
فغدا ابن حيدرة وحيداً لم يجد ... الا الصوارمَ والسنان معينا
وتدفقت كالسيل آل امية ... كي تشفين من الحسين ضغونا
وعدوا عليه فغاص في اوساطهم ... فرداً وأوقدها هناك زبونا
واثارها حرباً وادمى منهم ... قلباً ولف على اليسار يمينا
فبكفه ذات الفقار قد اغتدى ... في حده الموت الزؤام كمينا
وادار أرحية الطعان وهزها ... حرباً وحكم في الرقاب منونا
مستنصراً بهم فلم ير ناصراً ... إلا الحسام وصحبه السبعينا
فسطا بفتيته الكماة واوقدوا ... حرباً على اهل الضلال زبونا
صيد نضوا بيض الخدود فضرجوا ... بدم الطلى للمرهفات جبينا
وعدت خيولهم فخيم قسطل ... فغدا لهم يوم الكفاح عرينا
شرعوا العوامل وهي ظامية الحشا ... فهوت على مهج العداة منونا
حتى اذا حكم القضاء ترجلوا ... للموت : ثم مضرجاً وطعينا
حقنت دمّ الكفار آل امية ... ودم ابن طه لم يكن محقونا
مثل الحسين يرى شريداً خائفاً ... ويزيد ينعم في القصور امينا
واتت عقيلة خدرها ابنة فاطم ... تبكي اخاها لوعة وشجونا
وشكت فقطعت القلوب ولاسى ... وقع يهز الراسيات حنينا
أأخي يا أملي ومعتصمي ومن ... قد كان خدري في حماه مصونا
غادرتنا وذهبت عنا نائياً ... من ذا اذاً بعد النوى يحمينا
ورنت الى نحو الغري بطرفها ... والرزء فتّ فؤادها المحزونا
ودعت اباها المرتضى واستنجدت ... فيه فاعطت للصخور اللينا
يا ليت شخصك حاضر ما بيننا ... لترى بناتك للسباء ولُينا
فسروا بنا فوق المطايا حُسَّرا ... نطوي سهولاً في الفلا وحزونا
ان نبك من ذل السبا قرعوا لنا ... رأساً وان نشك العنا نهرونا
الله ما فعلته آل أمية ... في الطف كل رزية ينسينا
خطب له السبع الطباق تجاوبت ... حزناً وادمى للسماء عيونا
يا وقعة هدمت مشيداً للهدى ... وغدت سهام فصالها ترمينا
ومضت تسير مع الزمان كانما ... اضحى صداها للزمان قرينا
ذكرى نجددها اسىً ونقلها ... دمعاً وتبقى أعصراً وقرونا

وقال في أمير المؤمنين (عليه السلام) :

يا صب حنانك لا تجرِ ... رحماك فطرقي في سهرِ
يا من اخلصت له في الحب ... علام هجرت ولم تزرِ
اقسمت يا غيد ذي غنج ... يصطاد بطرف منكسر
وبمعقد تاج عسجده ... من فوق محيا كالقمر
اني اهواه على سقمي ... واهيم به طول العمر
يا زهو النفس وبغيتها ... ومؤمل قلبي المستعر
صل صباً كابد فيك جوى ... ثم اعدل فيه ولا تجر
أيليق بمثلي ان يبقى ... قلقاً ويدمع منهمر
وتعود وقلبك في جذل ... ريانا كالغصن النضر
فلئن اسرفت بهجرك لي ... وتركت فؤادي في سعر
فبحب علي قد غنى ... لي عود الانس بلا وتر
مولى الثقلين ابو الحسنين ... ودنيا الفخر لمفتخر
كشاف الكرب عن الهادي ... بمواقف تذهب بالفكر
بدر، أحد تتلو الأحزاب ... وخيبر ربات العبر
علم الاسلام بيمناه ... في الحرب يرفرف بالظفر
من احيا العدل وافنى الجهل ... بحد مهنده الذكر
من قال سلوني ما شئتم ... عن كل عصيب مستتر
في الصدر هنا علم جم ... للناس فهل من مدكر
من بات وحيداً مفتدياً ... طه بالنفس من الخطر
بمزايا فيه قد ازدحمت ... حدث من شئت من البشر
ردد بالمدح له ذكرا ... وانثر ما اسطعت من الدرر
بسمو الذات علا هام العلياء ... وطال على القمر
بحماك ابا حسن قد لذت وجئتك في كف صفر
فاعطف مولاي على عبد ... لجزيل نوالك مفتقر
واغثني يا كهف اللاجي ... من نار ترمي بالشرر
أفلست على الحوض الساقي ... من منهل كوثرك النمر
ام لست قسيم النار غداً ... فتقول خذي هذا وذري
واجعل محياي بمقعد صدق ... عند مليك مقتدر
واقبل ما استيسر من مدحي ... لعلاك بنظم مبتكر

(دبير) ، مرزا سلامت علي عليه السلام

ولد في دهلي سنة ١٢١٨ وتوفي في لكنو سنة ١٢٩٢ .

عرف بلقبه (دبير) ولم يشتهر بغيره لذلك ترجمناه في حرف الدال . هو بيز الشعراء الهنود شاعر المراثي الحسينية ، وهي المظهر الفريد لشعره ، بلغ فيه أعلى المراتب ، وبلغت على يده ذروتها ، وكان يجيد العربية والفارسية .

يتميز شعره برصانته ، وبصياغته الصياغة العالية ، فهي صياغة صائغ مبتكر تطيعه اللغة والبيان كما يريد .

وكان أنيس ودبير فرسي رهان في عصرهما ، وكان الناس فيهما منقسمين بينهما يتعصب لكل واحد منهما المتعصبون ويتحزب المتحزبون . وتدور المناقشات وتعقد الحلقات التي ينقسم فيها الناس بينهما ، كل فريق يفضل شاعره على شاعر الفريق الآخر .

وفي هذا التزاحم والتنافس برزت مراثيهما الحسينية بروزاً كبيراً ، لقد عنيا بتصوير واقعة كربلا ووصف بطولة شهدائها تصويراً ووصفا في غاية الدقة مما اثرى الأدب بالشعر القصصي الحي . ويعبر عنهما أحد الكتاب قائلاً : « يشغل مير أنيس وميرزا دبير مقاماً في طليعة شعراء المراثي في كل عصر ومصر . ومراثيها الحسينية شهيرة مقدرة بشتى مقاييس النقد ومعتبرة من أفضل القطع الأدبية التي كتبت باللغة الأردوية » .

(راجع ترجمة أنيس في محلها من هذا الكتاب) .

دبيس بن صدقة المزيدي .

مرت ترجمة مفصلة في المجلد السادس ، له ولأسرته بني مزيد . ومما لفت نظرنا ما قرأناه في دائرة المعارف الاسلامية في بحث (تفليس) أن محمود بن محمد السلجوقي (١١١٨ ـ ١١٣١ م) انفذ حملة على الكرج اغاثة لمسلمي تفليس . وقد اشترك في هذه الحملة كل من نجم الدين غازي الارتقي ودبيس بن صدقة المزيادي (كذا) (عرف باسم دربز durbez في أخبار الكرج) وأخو السلطان طغرل (صاحب أرّان ونقجوان) يصحبه اتابكة كنتفدي ، ودخل هذا الجيش ثريالث ومنجليس في الثامن عشر من اغسطس سنة ١١٢١ ولكنه مني بالهزيمة على يد داود ومن معه من القفجاق .

ولما كانت النسخة العربية من دائرة المعارف مترجمة عن لغة اجنبية فلم يفرق المترجمون بين (مزيدي) و(مزيادي) ، لأن الكلمتين تكتبان في الحروف اللاتينية كتابة واحدة على انه كان من المفروض ان يكون لدى المترجمين شيء من الالمام بتاريخ بني مزيد وان يكونوا اطلعوا ولو قليلاً من الاطلاع على تاريخ هذه الدولة العربية العريقة . ولكن تبين من ذكرهم لكلمة (مزيادي) انهم يجهلون كل الجهل انه كان في تاريخ العرب كلمة (مزيد) ، والنسبة اليها مزيدي .

على ان المهم في هذا الموضوع هو ما ذكر في الأصل من مساهمة دبيس بن صدقة في الحملة السلجوقية على تفليس

رجل من بني ليث .

حملت ميمنة أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل على ميسرة اهل البصرة ، فاقتتلوا ولاذ الناس بعائشة ، اكثرهم ضبّه والازد ، وكان قتالهم من ارتفاع النهار الى قريب من العصر ، ويقال الى أن زالت الشمس ، ثم انهزموا ، فنادى رجل من الأزد : فروا ، واستحر القتل بالأزد فنادوا : نحن على دين علي بن أبي طالب ، فقال رجل من بني ليث :

سائل بنا يوم لقينا الازدا ... والخيل تعدو أشقراً وورداً
لما قطعنا كبدهم والزندا ... سحقاً لهم في رأيهم بعداً[1]

ذو فقار الدولة نجف علي

حين تولى الحكم في دهلي (الهند)أورنك عالمكير محيي الدين سنة ١٠٦٩ حدث تطور خطير فقد هاجم هذا الملك بلاد الدكن وتغلب عليها بعد حروب دامية ، وتظاهر بعداء الشيعة وأخرج علماءهم إلى البحرين وايران والحجاز ، وهاجر بعض امراء الدكن إلى دهلي وبلاد اخرى .

ومات أورنك زيب في أورنك آباد وخلفه ابنه شاه عالم بهادر شاه سنة

(١) الطبري .

١١١٩ وكان بها درشاه على عكس أبيه شيعياً صريحاً معلناً بالتشيع ، فأمر بان يخطب في المساجد يوم الجمعة بأسماء الأئمة الاثني عشر .

وبعد زوال الضغط نشط الشيعة بالكتابة والتأليف رادين على من هاجمهم وطعن في عقائدهم .

وكانت الدولة في دهلي قد اصبحت في نهاية عهودها وبدأت الانتفاضات عليها والاستقلال عنها في المناطق والأطراف ، كما قامت المشاحنات المذهبية ، وبدأت الانقلابات في العاصمة نفسها ، ففي كل يوم أمير جديد يتولى الحكم ثم ينتزع منه .

ومن بين هذه الزعازع نهض ذو فقار الدولة نجف علي ، وكان بطلاً صنديداً ذا شخصية قوية فقضى على الفتن وأصلح الفساد وأعاد النظام ووحد البلاد ورد بعض الشيعة المشردين . وعاد إلى الشيعة اطمئنانهم لأن ذا فقار الدولة كان شيعياً ايراني الأصل ، وعاد التأليف والكتابة في الشيعة وإقامة الشعائر الحسينية ، وبقي من أثر ذلك العصر كتاب (كربل كتا) أي قصة كربلاء ،وهو الكتاب الذي يمكن القول أنه أثر أبعد الأثر في تركيز اللغة الاردوية وارساء قواعد آدابها وأيجاد نثرها الفني .

وصاحب هذا الكتاب هو (ملافضلي) ، فضل علي ، وقد كان اديباً متضلعاً ، ثم واعظاً وخطيباً على المنابر الحسينية ، وإلى جانب ذلك كان ممن يجيدون الكتابة العربية والفارسية ، وهو ممن برزوا في عصر الاطمئنان عصر ذو فقار الدولة نجف علي .

وكتاب (كربل كتا) هو كتاب في المجالس الحسينية وفيها عرف باسم (المقتل) رتبه على اثني عشر فصلاً ، وفي كل فصل مجالس ، وكل مجلس يشتمل على موضوع خاص ، وهي هكذا :

المجلس الأول يشتمل على ذكر وفاة النبي صلى الله عليه وآله ، والمجلس الثاني على وفاة الزهراء (عليها السلام) والثالث على استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام ، والرابع على شهادة الحسن عليه السلام والخامس على شهادة مسلم بن عقيل ، والسادس على شهادة أولاد مسلم بن عقيل ، والسابع على شهادة القاسم بن الحسن عليه السلام ، والتاسع على شهادة العباس بن علي عليه السلام والعاشر على ذكر علي الأكبر ، والحادي عشر على ذكر علي الأصغر ، والثاني عشر على استشهاد الحسين عليه السلام

وعلى الكتاب طابع واضح من كتاب روضة الشهداء لملا كاشفي الفارسي ، ومنهجه منهج الكاشفي .

وملا فضلي صاحب الفضل المتقدم على سائر الكتاب ، ومنهجه أقدم منهج أدبي صناعي ، ففيه السجع والمحاسن البديعية والكلمات والآيات والأحاديث العربية ، حتى أنه افتتح مجالسه بخطبة عربية ، وفي خلال الكلام يورد اشعاراً من الاردوية والفارسية .

وانتشر الكتاب وصار يقرأ ويسمع في الحسينيات ومجالس العزاء واطرد ذكره وكان تأليفه سنة ١١٤٥ (١٧٣٣م) .

الشيخ راضي آل ياسين ابن الشيخ عبد الحسين

ولد في الكاظمية سنة ١٣١٤ وتوفي في لبنان سنة ١٣٧٢ ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف فدفن في مقبرة جده .

هو سليل الأسرة العلمية الشهيرة ووارث علمها وأخلاقها وورعها .

درس على أخيه الشيخ محمد رضا والشيخ محمد كاظم الشيرازي وغيرهما ، ثم استقر في الكاظمية عالماً جليلاً وسيداً نبيلاً ، وقد كنت خلال وجودي في العراق القاه في بيته في الكاظمية فيما كان يسمي (بفضوة آل ياسين) فيروعني مجلسه بما كان يفيضه عليه من علم جم وخلق كريم وحديث ممتع ، وبموته انطوت في الكاظمية صفحة من أنقى صفحات العلم والدين والتقى .

له من المؤلفات : ١ ـ أوج البلاغة ، جمع فيه خطب الحسن والحسين (عليهما السلام) .

٢ ـ تاريخ الكاظمية مجلد كبير ، نشر بعضه في مجلة الاصلاح البغدادية .

٣ ـ صلح الحسن ، مطبوع . وله شعر غير مجموع .

اصيب في أواخر حياته بمرض عضال لم تفد فيه المعالجة في العراق ، فذهب إلى لبنان فتوفي هناك .

الحاج ميرزا رضي ذو النوري التبريزي ابن محمد حسن

ولد في تبريز سنة ١٢٩٤ وتوفي في حدود سنة ١٣٧٧ في قم .

درس في تبريز وفي سنة ١٣١٧ هاجر إلى النجف الأشرف فحضر على الشرابياني والخراساني واليزدي والأصفهاني ، ثم عاد إلى تبريز فمكث فيها عدة سنين . ثم انتقل إلى مدينة قم فكان من مدرسيها وبقي فيها حتى وفاته .

له من المؤلفات : ١ ـ شرح وتعليقة على العروة الوثقى ٢ ـ الكنى والألقاب ٣ ـ القضاء والشهادة ٤ ـ شرح نجاة العباد ٥ ـ حاشية على الاشارات .

الشيخ راغب حرب

ولد في جبشيت (جبل عامل) واستشهد فيها سنة ١٤٠٥ عن واحد وثلاثين عاماً .

تلقى دراسته الابتدائية في جبشيت ثم تابع الدراسة المتوسطة في النبطية ثم انتقل إلى بيروت حيث كانت قد تكونت في ضاحيتها (برج حمود) مدرسة تعد للدراسات الاسلامية فانتمى إليها وبعد سنوات هاجر إلى النجف الأشرف لمتابعة تلك الدراسات واستمر في دراسته حتى بلغ طغيان النظام العراقي عنفوان تسلطه واخذ بمطاردة الأحرار في كل مكان فأجبر على ترك النجف والعودة إلى جبل عامل . وكانت مدرسة برج حمود قد نمت وتوسعت في تدريسها فعاد إلى الانتماء إليها متابعاً دراسته الأصولية والفقهية ، عاملاً في الوقت نفسه على رعاية مجموعة من الشبان المؤمنين الواعين من خلال جلسات اسبوعية معهم .

وفي سنة ١٩٧٥م اختار قرية (الشرقية) للعمل فيها ، وكانت معروفة بأنها قرية صعبة ، ولم يمض سنتان على عمله في هذه القرية حتى تبدلت حالتها واستنارت بهدى الإيمان والتقى .

وفي سنة ١٩٧٨م انتقل إلى بلدته جبشيت وتولى أمور الرعاية الدينية فيها وإقامة صلاة الجمعة . وكان حريصاً على توسيع اطار نشاطه الارشادي إلى القرى المجاورة ، وقد ساعده على النجاح سمعته الطيبة وبساطته وصدقه .

وفي جبشيت عاش واحداً من الناس قريباً منهم متواضعاً عفيفاً ،

وبالاضافة إلى نشاطه اليومي من صلاة الجماعة وتدريس الفقه والقرآن والتعليم في مدارس المنطقة ، عمل على إنشاء المؤسسات ، مضافاً إلى المسجد الكبير الذي استشهد وهو قيد الانشاء .

أنشأ داراً للأيتام بإسم « مبرة السيدة زينب » ونظراً للنجاح الكبير الذي أحرزته المبرة قرر أن يوسع المشروع ليضم ثلاثة آلاف يتيم ويتيمه ، وقد انجز القسم الأول من هذا المشروع قبل أشهر من استشهاده .

وجاء الاجتياح الاسرائيلي للبنان سنة ١٩٨٢م ، فتصدى الشيخ راغب لهذا الاجتياح منذ أيامه الأولى ، فأخذت صفوف صلاة الجمعة تتسع والصحوة الاسلامية تنتشر والعداء لاسرائيل يشتد ، فأحس الأعداء بخطر الرجل المجاهد فحاولوا الاتصال به فرفض مقابلة الضباط الاسرائيليين ، ولما نقلوه إليهم رفض مصافحتهم .

شارك في المؤتمر الأول لأئمة الجمعة والجماعة الذي عقد في طهران ، ثم عاد إلى لبنان ، وبعد عودته واستئناف نشاطه قرر الأعداء أن يضعوا حداً لهذا النشاط بعد أن يئسوا من تهدئته ، فاعتقلوه ، ولكنهم فوجئوا بأن هذا الاعتقال تحول إلى هياج عارم في جبل عامل واصبح منعطفاً في تاريخ الجهاد الاسلامي في محاربة اسرائيل . لذلك عاد الأعداء إلى اطلاقه ، فعاد هو إلى نشاطه وقد زاده الاعتقال صلابة وتصميماً ، كما زاده حب الناس له وتعلقهم به اصراراً وثقة بخطه .

وقبل حوالي شهر ونصف الشهر من تاريخ استشهاده شارك في مؤتمر جرائم النظام العراقي الذي عقد في طهران ، ثم عاد إلى (جبشيت) ملؤه الحماسة والايمان ، صامداً في وجه الجبروت والطغيان ، فلم يعد الأعداء يطيقون وجوده الذي تحول إلى صاعق فجر كل شيء من حولهم ، فاغتالوه ومضى إلى جوار ربه مضرجاً بدماء الشهادة ، مكفناً بكفن البطولة .

الحاج آقارحيم أرباب

ولد سنة ١٢٩٩ في أصفهان وتوفي فيها سنة ١٣٩٦ .

درس في أصفهان ثم في النجف على الشيخ محمد حسين النائيني وشيخ الشريعة الأصفهاني والشيخ ضياء الدين العراقي وغيرهم . وفي سنة ١٣٧٣ سافر إلى (مشهد) لزيارة الرضا عليه السلام فطلب الناس إليه هناك أن يستقر في المشهد فأجاب طلبهم ، ثم عاد إلى مدينته أصفهان فكان من كبار مراجعها حتى وفاته .

له شرح على العروة الوثقى ورسائل في فروع الدين والعبادات والحكمة والكلام .

السيد سبط الحسن الجايسي

مرت ترجمته في الصفحة ١٨٣ من المجلد السابع ونزيد عليها هنا ما يلي :

ولد سنة ١٢٩٦ .

من أفاضل علماء الهند ومن المراجع فيها ، درس هناك على السيد محمد باقر اللكهنوي والسيد نجم الحسن وغيرهما . ثم تولى التدريس وبرز في الخطابة .

سعد صالح

هو عصامي من الأفذاذ الذين انجبتهم النجف ، ففي أول نشأته درس كما يدرس كل الفتيان النابهين في النجف علوم اللغة العربية ، ثم انضم وهو فتى يافع إلى صفوف الثائرين على الحكم الاستعماري الانكليزي واضطر للتخفي ثم للفرار خارج العراق خوف بطش الانكليز بعد انتصارهم على الثوار العراقيين . ولما اعلن العفو العام أثر قيام الحكم الوطني عاد إلى العراق والتحق بدار المعلمين ثم بكلية الحقوق ، وبعد تخرجه منها تنقل بين المحاماة وبعض الوظائف الادارية إلى أن عين (متصرفاً) وهو أعلى منصب اداري ، فكان حيث حل يرتفع بالوضعين الاجتماعي والعمراني إلى ما يمكن من درجات الارتفاع . ثم تخلى عن الأعمال الادارية ودخل المعترك السياسي وانتخب نائباً في المجلس النيابي ، فكان فتحاً جديداً في هذا المجلس بمعارضته وخطبه الفريدة التي لم يعهد مثلها المجلس من قبل إذ كان سعد اديباً موهوباً وخطيباً مفوهاً قبل أن يكون سياسياً ناجحاً وبدأت من ذلك الوقت تتكون زعامته الشعبية . ولما اضطرت السلطات الحاكمة في العراق إلى استرضاء الشعب لم تجد وسيلة سوى استدعاء سعد صالح لتولي الحكم ، فاشترط لذلك اطلاق الحريات وفي طليعتها تشكيل الأحزاب السياسية بعد أن كان تشكيلها ممنوعاً ، واصر على شروطه فنزلت السلطات على تلك الشروط فأبيح تشكيل الأحزاب لأول مرة بعد المنع الطويل ، فأسس مع اخوان له حزب الأحرار ، وتولى هو وزارة الداخلية التي هي في كل الوزارات عصب الحكم . ولكن السلطات ضاقت به ذرعاً بعد أن سار في تحقيق الحكم الشعبي اشواطاً بعيدة ، فأخذت تضع في طريقه العراقيل فاستقال من الحكم ، وقاد المعارضة داخل المجلس وخارجه ، فكانت مقالاته في جريدة الحزب نصوصاً من أروع نصوص الأدب العربي السياسي . وفجأة تسلط عليه مرض عضال أعيا اطباء العراق ، فقصد اطباء أوربا فعجزوا عن معالجته فعاد إلى العراق وقد أخذ يذوي يوماً بعد يوم حتى انتقل إلى رحمة الله سنة ١٩٤٨م ، وهو في عنفوان نضوجه وتألق زعامته .

الدكتور سعيد نفيسي ابن علي أكبر

ولد سنة ١٣١٤ وتوفي سنة ١٣٨٦ في طهران .

من كبار الباحثين المؤرخين الايرانيين . أتم دراسته في ايران ثم أكمل تخصصه في أوربا ، ولما عاد إلى طهران تولى تدريس الأدب والتاريخ في جامعة طهران . وفي سنة ١٣٤٩ أصدر في طهران مجلة الشرق بالفارسية فنشر فيها المقالات العلمية والأدبية والدراسات التاريخية ومن مؤلفاته : ١ ـ آخرين يادكارنادر ٢ ـ أحوال وأشعار رودكي طبع منه مجلدان ٣ ـ أحوال وأشعار خواجوى كرماني ٤ ـ أحوال وأشعار أفضل الدين كرماني ٥ ـ شرح حال خيام ٦ ـ شيخ زاهد كيلاني ٧ ـ قابس ونامة ٨ ـ يزدكر دسوم ٩ ـ فرنكيس وفرهنك فرانسه ١٠ ـ تاريخجه ادبيات ايران ١١ ـ حستجوردر احوال وآثار شيخ فريد الدين عطار . وغير ذلك . وقد صدرت مجموعة من كتبه في الاتحاد السوفياتي باللغة الروسية . واضافة إلى مؤلفاته المتقدمة فإن له كتاب (تاريخ الأدب الروسي) باللغة الفارسية ، وكان عضواً في آكاديمية العلوم في ايران . واقتنى مكتبة يزيد ما فيها على عشرين الف مجلد بينها أكثر من ألفي مجلد من المخطوطات .

الدكتور سليم حيدر ابن نجيب

ولد في بعلبك سنة ١٩١١م وتوفي سنة ١٩٨٠م في بيروت ودفن في بعلبك

تلقى الدراسة الابتدائية في بعلبك والثانوية في مدرسة الجامعة الوطنية في عاليه وانهاها في الكلية العلمانية في بيروت . سافر إلى باريس سنة ١٩٣١ والتحق بجامعة الصوربون فنال شهادة دكتوراه الدولة في الحقوق وشهادة الليسانس في الآداب وشهادة الليسانس في قانون العقوبات من معهد العلوم الجزائية .

ثم عاد إلى لبنان سنة ١٩٣٧ وفي العام التالي عين في القضاء اللبناني فظل فيه متنقلاً في عدة وظائف ما بين ١٩٣٨ و١٩٤٦ كان آخرها وظيفة نائب عام .

وفي سنة ١٩٤٦ عين وزيراً مفوضاً في ايران فتعلم هناك اللغة الفارسية وفي العام ١٩٥٢ عين وزيراً للتربية والصحة والعمل والشؤون الاجتماعية ، ثم انتخب نائباً عن منطقة بعلبك ـ الهرمل سنة ١٩٥٣ وفي سنة ١٩٥٤ عين وزيراً للزراعة والبريد والبرق والهاتف ، وفي سنة ١٩٥٨ عين سفيراً في المملكة المغربية . وفي سنة ١٩٦٣ عين سفيراً لدى الاتحاد السوفياتي ، وفي سنة ١٩٦٨ انتخب نائباً عن منطقة بعلبك ـ الهرمل . ثم عمل فترة في المحاماة إلى أن اصيب بمرض القلب فاقعده ذلك عن العمل حتى توفاه الله .

كان شاعراً كاتباً خطيباً ، طبعت بعض مجموعاته الشعرية في حياته ، وظل بعضها مخطوطاً وهو يعد الآن للطبع . فمن المطبوع : ١ ـ آفاق ، طبعت سنة ١٩٤٩ ٢ ـ ألسنة الزمن ، طبعت سنة ١٩٥١ ٣ ـ يا نافخ الثورة البيضاء ، طبعت سنة ١٩٧٠ ٤ ـ العدالة

أما غير المطبوع فهو : ٤ ـ أشواق ٥ ـ اشراق ٦ ـ الخليقة ٧ ـ ألحان ٨ ـ ألوان ٩ ـ لبنان ١٠ ـ اشجان .

أما في النثر فقد طبع له : (آراء ومواقف سياسية) ١٩٦٩ . أما غير المطبوع فهو محاضرات ألقيت في عدة ندوات . ودراسات في الأدب والشعر باللغتين العربية والفرنسية ، ومقالات ادبية وسياسية في الجرائد والمجلات .

شعره

قال عندما استقال من القضاء لينتقل إلى السلك الدبلوماسي من قصيدة جعل عنوانها : (العدالة) :

عشقناها ، وان كانت عذابا ... وأيُّ مثالة ليست غلابا
تباعد وصلها حتى تدانى ... كأنا قاصدون بها سرابا
مقنّعة المظاهر ، مبتغاة ... لجوهرها ، تُطاول أن تُحابى
لها عين مصوبّة ، نفاذ ... إذا حدجت فرند السيف ذابا
عشقناها ، فما تبعت هوانا ... ولا حسبت لما نلقى حسابا
وأعطت من تشاء على هواها ... ولم تأنف لعمرك ان تعابا
فلا حجبت عن الأعجام باباً ... ولا فتحت على الأعراب بابا
وشأن النور للسارين هديٌ ... إذا حمّ الدجى موجاً عبابا
عشقناها مجرّدة خلوقاً ... ترى الأطماع زائلة ، هبابا
فتاةٌ حلوةٌ عفاً وضاءً ... طُوالاً بضةً لدناً كعابا
محصّفةً محكّمةً جناناً ... ممنّعةً ممتّعةً شبابا
مبلورةً كأطياف الأماني ... يسوق الخيّرون لها الرغابا !
سلِ القاضي الوقور وما يعاني ... بعصمتها فقد ذاق الصعابا
ولا عجب إذا تاهت دلالاً ... وأرخت فوق طلعتها الحجابا
فكنيتها العدالة ، لا تبالي ... عروس الحق تشترع النصابا !
سلِ القاضي الذي عانى هواها ... وسدّد في رعايتها الحرابا
وذوّب نفسه فيها ولاقى ... على وخز الشكوك أسىً عجابا
وسخر عقله كدحاً وصبراً ... ليكشف عن مراميها النقابا
وأقطعها فؤاداً عجّ فيه ... دم أزكى ، بحرمتها ، وطابا
وأصلت في إطاعتها ضميراً ... على حدّ الصراط مشى وثابا
وفرّد في عبادتها حياة ... فعقّ الأهل واعتزل الصحابا
سل القاضي الكتوم لما يلاقي ... أعذباً ما يلاقي أم عذابا ؟ . .
وهل خلجت بصيرته لكسب ... وهل شربت على جاهٍ شرابا ؟
وهل نزعت مطامحه ، كراماً ... لا كثر من كرامته ثوابا ؟
عشقناها وإن كانت شقاء ... فإن الله انزلها كتابا ! . .
عروس الحق ، لا يغررك بعدي ... فلا سأماً تركت ولا ارتيابا
ولا طمعاً بغيرك في المعالي ... ولا مستمطراً سحباً خلابا
ولكني دعيت إلى جهادٍ ... ومثلي من إذا نودي أجابا !
بلادي ، يحلم الخلد ابتهالاً ... لَوَان له بدوحتها شِعابا
على الأزل السحيق بدت ملاذاً ... وتبقى في هوى البقيا مثابا
إذا عزف الهوى لحنَ التآخي ... وحرّك مهجة الكون اضطرابا
وحالت قسوة الانسان ليناً ... وأخفض جانباً فعلا جنابا
وبدّد بارق الحُسنى طماعاً ... تلبّد في سما العُقبى سحابا
عروس الحق ليس البعد هجراً ... وإنْ طوّفتُ في الدنيا اغترابا
سيبقى الحق إيماني ، صَراحاً ... أروض به مباديَّ الصلابا
فقد جهلَ السياسة من يراها ... مراوغةً واسلوبا كذابا
وداعا أيُّها القصر المفدّى ... تزاحَمُ ادمعي ، والخَلق يابى
وفي نفسي خيالاتٌ لماضٍ ... تهيل على ربى عمري ضبابا
تذكّرني أويقاتٍ عذابا ... سلافة عمريَ الماضي ذهابا
وما الماضي سوى كأس دهاق ... طفت من فوقها الذكرى حبابا!
وداعاً ، قصر عدلٍ ، كُنت فيه ... أحاول ، ما استطعت ، به اعتصابا
أرى الأقدار تطرحني سؤالا ... وآمل أن أسوق لها جوابا !

وقال من قصيدة طويلة سنة ١٩٧٥ حينما اندلعت أحداث لبنان :

لبنان ، هل زعزع الايمانَ كفرانُ
أم روضة الإنس قد حلّت بها الجان ؟
ما أبشع الشر إذ تشرى غرائزه
لا العقل عقل ولا الوجدان .وجدان !
الحقد والغدر ، من ذرّى ترابها
فالطيبون أولي الأبصار عميان
والدين ، من شاده سوراً يفرّقنا
ونحن في شرعة الدينين إخوان
كنا ، إذا قيل مَنْ لبنان ، يُطربنا
تجاوب في الذرى : الحبُّ لبنان
واليوم لبنان ـ ويل للأولى خفروا ـ
كأنه من حياض البغض ريان ! . .

* * *

يا موطناً حسدته، في تطلعه
إلى تلمس وجه الله ، أوطان
على ذراه ابتهالٌ ، والسهول رضىً
وفي السفوح الجنى المعطاء عنوان
ماذا يعكّر صفو العيش في حَرَم
خُدّامه لسوى الديّان ما دانوا ؟..
تكاد تنتحر الذكرى وتغمره
ويحتويه من التاريخ نسيان
تكاد تنتحر الذكرى وقد عصفت
بنا الشرور، وغشى الحق بهتان
من يرجم المشعل الوهاج، في غضب
من الرياح، وللديجور طغيان
لبنان، إن لم تكن روحاً فقد دثرت
مآذن ونواقيس وصلبان
همس الملائك لا يهمي على بشرٍ
إن كان في الأنفس الدكناء شيطان !

* * *

تمهَّر الحرف لا معنىً ولا شَرَفٌ
واغتيل فيه الحجى، وانحاز برهان
كأنه قَدَح من شاء يملؤه
بما يشاء ... وساقي الماء عطشان !
إذا الرصاص تعالى والقلوب قِلّ
فليس إلا لقول الزور سلطان !
تشعَّب الأمر في الغايات، واختلطت
أسبابه، ونفى التبيانَ تبيان
هيهات يجري حوار، والنفوس لظىً
وفي الطويّات أرجاس وأدران !
ما كل نطقٍ بيانٌ، ربَّ سفسطةٍ
يبين فيها خلال الجهر كتمان

* * *

لبنان مأساتك الكبرى مثلَّثة :
الدافعون الأذى هم أصله كانوا
والحاكمون الأولى تُرجى شفاعتهم
هم الذين لهم في الشر إدمان
والشعب - ما العروة الوثقى إذا انفرطت ؟ -
ألشعب من كثرة الذؤبان قطعان !
وكيف يرتدع الإجرام في بلدٍ
والمستحقُّ ظلام السجن سجّان ؟..

* * *

لبنان، يا كيد اسرائيل متَّزناً
ويا هناها إذا ما اختل ميزان

والعرب، لا رائد يزجي صفوفهُمُ
توزعتهم قيادات وأشجان
تضافروا فانثنى تشرين منتصراً
وهادنوا، فاستردَّت اهلها الحان
وراح سيناء يطوي الحرب منفرداً
وفرَّق العرب سيناء وجولان !..

* * *

لبنان، مهما أضاع الحرفُ قِبلتَه
يبقى به من أريج الروح ريحان
سكبتُ في أحرفي روحي، وأطلقها
حزينة، والرؤى غيم ودخان
وللرصاص أزيز، والأنين صدى
موتٍ بطيء، وللأشباح إرنان ...

وقال :

قولي أحِبُّكَ، لا تَمَلّي فالصمت عنوان التخلّي
قد قلتِها وأعدتِها لكنها لم تشفِ غُلّي !
لي في سماعِكِ نشوة الصوفيِّ في غمر التجلي
ولكلّ بوحٍ لذَّة بكر كفجر مستهل !

* * *

قولي أحِبُّكَ ! نغّميها في فؤادي المضمحل
فالحب في كبت العواطف زهرة من غير ظَلّ
أنا ظامىء مهما نهلتُ فاترعي الأكواب، عَلّي ...
علّ الحياة بكربها تصفو لنا حتى التملي
لي في سماعِكِ نشوة قولي أحِبّك، لا تملي !...

وقال من قصيدة طويلة بعنوان : الثورة السوداء ، وقدم لها بما يلي :

عاشرت الزنوج رفيقاً وصديقاً وزميلاً ومخدوماً . وفي كتب الدراسة وفي مطالعاتي الواسعة ، كم قرأت عن تاريخ بلادهم واستعمار البيض لها واضطهاد شعوبها تحت ستار التمدين ، وفي السنوات العشرين الأخيرة ، كم اعجبت بجهاد الافارقة من اجل استقلالهم ، وبالبطولات الحربية والفكرية التي كرست هذا الاستقلال :

عبثاً فتَّشت ، ملء الدين والدنيا وعمرَ الكون ، عن لونٍ سواهُ
عبثاً بالماء ، بالصابون ، بالثلج المفضَّضْ
بالدعاء الواله العربيد ، بالنجوى المريرة
بالتعاويذ القديرة ...
لم أجد ما يجعل الأسود أبيضْ
هو لوني ، لونيَ الأعمى ، ولا يُجلى عماه !

* * *

أنا أسودْ
لفّني الليل بجلباب الدجى

وتفشّى في إهابي وسجا

وتمرّدْ

كل جسمي ، ما عدا كفّيَّ ، فحم يلمعُ

والسنى الأسود في عينيَّ برقٌ يسطعُ

والحجى

في الأحاجي والدياجي يسكعُ

أنا في الهوّة أهوي أبداً تحت الخطايا

واصلاً آلام ناسوتي بآلام البرايا

ضارباً كالقدر الخفاش اضلاع الخفايا

في ظلام الظلم ، في ليل النهار الجهر ، في المأساة قلبي يتنهّدْ

راعش الخفق ، عنياً ، مشرئباً يتوعّد

صارخاً في دَغَش الصمت المعمّى : أنا أسود ! . .

أسود اللون أنا ، والحظّ والتاريخ ، عبْدُ

من ترى قد صنع التاريخ بهتاناً وزورا

من ترى قد صنّف الحظّ قصوراً وقبورا

وهناء مستطاباً وعذابا مستطيرا

وجسوماً في مهاوي الطمع الجاني جسورا

من ترى قد صنع التاريخ إقطاعاً عليه الحظُّ جُنْدُ ؟ . .

تلك أيدٍ خنقت روحَ المفاهيم ، الضميرا !

قيل لي ـ قيل لنا ، للسود ـ قول ماكر التزوير ، وغدُ :

في حنايا الغرفة السوداء ، حيث المبتدا

حيث لا شيء يضيء

صنعت جَدّيَ لمّاً أسودا

يد عاتٍ . . . وانتضت من صدره

ضِلَعاً سوداء صاغتها وفاقا

زوجةً مشبوبة الحِسّ هوت في خدره

تلقح الذلَّ جناساً وطباقا

واستكان الكون . . . والزنج يضجون بأصفادٍ ، رُقاقا !

* * *

هكذا قيل ، وقيل العكس ، ما لي أتوجّدْ ؟

عِلّتي أني كالزلّة أسود :

قبّلتني الشمس اجيالاً واجيالاً طِوالا

قلبتني فوق مشوى الاستواءِ

غلغلت ـ ألسنةٌ زُرقاً ـ بعزمي وابائي

فحّمت جلديَ ، عضّتني بشَعري فتجعّدْ

أترعت نفسي كلالا . .

أهْو لَيلٌ ، أهْو شمسٌ

مولدي ؟ . . ما الفرق ، والطالع نحسٌ ؟

انا منذ الدّهر في سجنٍ مؤبّدْ

أزليٌ ثوبي الغيهب في المحنة سرمد

مات بي الانسان في النسيان ، في الذلّ المعبّد

مات أو كاد ، وأمضي

والسنى يرفض رفضي

أسودَ الطلعة في رأد الضحى والليل . . . أسودْ !

* * *

أنا أسودْ . . .

أيُّ معنىً هذه الألوان تعني ؟

أنا إنسان بخلقي وبروحي وبقدري وبوزني

لن تجدّدْ

فتّح العينين ، يا أبيض ، وجداني تفتّحْ

طال نومي ، طال عمر الظلم في الدهر المرنّح

لست من كنعان ، لا أرضى بهذا الانتساب

إن أصل الجمر من لون إهابي

نَسَبي أني انسان ، فإن شئتَ . . . وإلا

فالدم القاني يروّي الليل فجراً مستهلاً

أنا من نمرود ! . . . منذ الآن من نمرود ،صياد المخاطر

هيه يا أبيضُ اني لك ناظر

إن أسناني بيضُ

وطويل حقدي المكبوت في الدهر ، عريضُ

هيه يا أبيضُ ، أقبل في عتادِكْ

نشعِل الدنيا بفحمي وبدري من زنادِكْ !

الشيخ سليمان آل عبدالجبار ابن الشيخ احمد .

توفي سنة ١٢٦٦ من علماء القطيف وكان له مقلدون في البحرين وعُمان ، وتلمذ عليه جماعة من فضلاء القطيف . ثم انتقل من القطيف وسكن بلاد عُمان .

له من المؤلفات : النجوم الزاهرة في احكام العترة الطاهرة شرح على اللمعة لم يكمله ، شرح على الباب الحادي عشر . شرح على الفصول النصيرية . شرح على الشمسية في المنطق . شرح على تهذيب المنطق للتفتزاني . شرح على كتاب إيساغوجي . منظومة في المنطق . وغير ذلك . وكلها مخطوطة .

(سودا) ميرزا محمد رفيع

ترجمناه في حرف السين لأن (سودا) هو اللقب الذي اشتهر به ولا يعرف بغيره .

ولد في دهلي (الهند) سنة ١١٢٥ وتوفي بلكنو سنة ١١٩٥

من أكبر شعراء الهند وهو عديم النظير في القصيدة ، وأكثر قصائده في مدح الأئمة وقصيدته اللامية في مدح أمير المؤمنين عليه السلام والبائية في مدح الحسين عليه السلام بلغتا أقصى حدود الشهرة . وإذا كان الشاعر (مير) سيد المتغزلين بين شعراء الهند فإن (سودا) سيد شعراء القصيد غير المنازع ، ويشبه غزله الغزل الفارسي ، وله في الرثاء الحسيني منهج خاص واسلوب بديع . وكلياته مطبوعة وفيها جميع أصناف الشعر .

شهدة بنت كمال الدين عمر بن العديم العقيلي:

قال اليافعي في الجزء الرابع من كتابه (مرآة الزمان) وهو يتحدث عن

وفيات سنة تسع وسبع مائة:

فيها ماتت بحلب المعمرة شهدة بنت الصاحب كمال الدين عمر بن العديم العقيلي. ولدت يوم عاشوراء لها حضور وإجازة من جماعة من الشيوخ وكانت تكتب وتحفظ أشياء وتتزهد وتتعبد وذكر الذهبي أنه ممن سمع منها. (راجع ترجمة عمر بن العديم في الصفحة ٣٧٧ من المجلد الثامن).

الدكتور صادق رضا زاده شفق

ولد في مدينة تبريز سنة ١٣١٤ وتوفي سنة ١٣٩١ في طهران ودفن فيها.

اتخذ كلمة (شفق) لقباً له بعد أن أصدر في صباه (أي في سن الرابعة عشرة من عمره) جريدته التي أطلق عليها اسم (شفق) في مسقط رأسه تبريز لمدة من الزمن.

التحق في تبريز بالمدرسة الابتدائية الأمريكية المساماة(برورش) وتخرج منها بعد أن أتقن فيها اللغة الإنجليزية بالإضافة إلى مبادى العلوم والآداب، وفي هذه المدرسة توثقت الصلات بينه وبين معلمه الأمريكي الشاب المدعو: (هوارد سكرويل)الذي أصبح مترجماً له فيما بعد، وقد أنشأ بمساندة معلمه هذا وبعض الأحرار من مواطنيه جمعية في تبريز ولها فروع في سائر انحاء آذربيجان تدعو إلى انقاذ الوطن من براثن الحكم الإستبدادي الغاشم عهدئذٍ في إيران وحيث أنه كان معارضاً منذ صباه للسياسة القيصرية الروسية في إيران وكان ينتقد ويهاجم هذه السياسة بعنف وبلا هوادة فقد أخذت السلطات القيصرية تطارده لا سيما بعد أن تغلغلت جيوشها في الأراضي الآذربايجانية عام ١٣٣٠هـ وكان عمره فيها ١٦ سنة، مما اضطره إلى الاختفاء لمدة ١٤ شهراً استطاع بعدها الهرب عبر الحدود الروسية إلى الأراضي القفقازية متنكراً بأن أطلق لحيته وتزيى بزي رجل دين ذي عمة سوداء ولم يبق في قفقازيه طويلاً إذ تركها وسافر إلى إسلامبول عاصمة الإمبراطورية العثمانية، وفيها التحق بكلية (برابرت كالج) الإمريكية، وحصل منها على شهادة الليسانس في الفلسفة والآداب وقد مكث في العاصمة العثمانية مدة سبع سنوات كان يقوم خلالها بمهنة التعليم في المدرسة الإيرانية وبعض المدارس الأهلية هناك بالإضافة إلى دراسته العليا ثم عاد إلى إيران التي لم يمكث فيها سوى مدة قصيرة حيث سافر إلى ألمانيا التي بقي فيها ست سنوات درس خلالها الفلسفة في جامعة برلين وحصل منها على شهادة الدكتوراه في الفلسفة والآداب كما درّس بعض الوقت العلوم الإسلامية في جامعة السوربون بباريس ثم عاد إلى مسقط رأسه تبريز ومنها وفد على طهران وبدأ فيها حياته العملية ونشاطه العلمي والأدبي والسياسي.

وفور وصوله إليها عين أستاذاً للآداب في دار المعلمين المركزية ثم استاذاً في الكلية الأمريكية بطهران واستاذ الفلسفة والآداب في كلية الآداب وفي هذه الأثناء نشط قلمه بإنتاج بنات أفكاره في التأليف والتصنيف والترجمة ونشر المقالات الممتعة على صفحات الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والشهرية والفصلية.

وفي الدورة الرابعة عشرة من دورات المجلس النيابي انتخب نائباً عن طهران مع قيامه بواجباته التعليمية في بعض كليات جامعة طهران، كما أنه انتخب عضواً في المجمع اللغوي الإيراني (فرهنكستان) منذ بدء تأسيسه وأصبح فيه رئيساً للجنة الجغرافية ولجنة المصطلحات العلمية، كل ذلك مضافاً إلى تمثيله لبلاده في كثير من المؤتمرات والندوات الداخلية والخارجية من سياسية وعلمية واجتماعية وغيرها منها عضويته في الوفد الإيراني لهيئة الأمم المتحدة وعضويته في لجنة حقوق الإنسان التابعة لتلك الهيئة من ١٩٤٧ إلى ١٩٥١ وعضويته في الوفد الذي رأسه قوام السلطنة رئيس الوزراء الإيراني إلى موسكو للبحث مع الزعماء السوفيت في قضية إخلاء محافظة آذربايجان من القوات السوفيتية وإقصاء (بيشه ورى) وحكومته منها وانهاء موضوع امتياز النفط الإيراني السوفيتي إلى غيرها من المؤتمرات كما انتخب لبعض الوقت أستاذاً في جامعات امريكا كجامعتي كلمبيا ومشيغان وجامعة مكليل في كندا يدرس فيها تاريخ التمدن الإسلامي.

وقد أعيد انتخابه عضواً في مجلس النواب في دورته الخامسة عشرة، كما انتخب بعد تأسيس مجلس الشيوخ عضواً فيه لعدة دورات منه وكان عضواً فيه حين وافته المنية، مضافاً إلى أنه كان شاغلاً لكرسيه كأستاذ ممتاز في جامعة طهران في هذه الأثناء.

وكان دوي دوره في الدورة الرابعة عشرة في المجلس النيابي وخاصة في قضية النفط الإيراني وتأميمه عظيماً جداً في الأوساط السياسية في داخل إيران وخارجها، حيث فاجأ المجلس بإقتراحه الخاص بإلغاء إتفاقية النفط التي كانت قد وقعت من قبل قوام السلطنة رئيس وزراء إيران وساد شيكف السفير السوفيتي في طهران بعد أن ألقى خطاباً ممتعاً بين فيه الأخطار التي تهدد البلاد من جراء ابرام هذه الإتفاقية التي عرضت على المجلس لإبرامها، ذلك الخطاب الذي مهد فيه السبيل لتقديم اقتراحه الذي أقره النواب بأكثرية ساحقة ولم يرفضه سوى نواب حزب توده الشيوعي وهكذا استنكر مجلس النواب تلك الإتفاقية النفطية ورفضها وفي الحقيقة أن اقتراح الدكتور شفق هذا برفض تلك الاتفاقية كان نقطة تحول عظيم في موضوع النفط الإيراني وكان الحجر الأساسي لتأميم النفط في إيران فيما بعد، وقد خدم بإقدامه الجريء هذا، بلاده وأمته أعظم الخدمات ومن جراء ذلك أطلقت عليه الصحف في حينه لقب (موفق الدولة) لنجاحاته وموفقياته في مشاريعه ونظراته وخططه التي كانت ترتكز على المنطق والعقل والإخلاص وقد وقف منذ صباه موقف المدافع عن اللغة الفارسية والمناضل عن تراثها الأدبي والعلمي والتاريخي والمعارض بكل عنف وشدة للمتطرفين من بني جلدته في أمر تبديل الحروف العربية إلى الحروف اللاتينية على غرار ما فعلته تركية أو تجريد اللغة الفارسية من الكلمات العربية وحتى قبل وفاته ببضعة أشهر ألقى آخر كلمة له عن هذين الموضوعين في مجلس الشيوخ استنكر فيها نظرية المتطرفين في ذلك.

كما أنه ألف وكتب في هذين الموضوعين الكثير من الرسائل والمقالات وألقى الوفير من الخطب والمحاضرات عنها، وكان يعتبر ما يذهب إليه البعض من الأدباء في السير على لزوم هذا التبديل باسم التجديد خيانة لتراث إيران التاريخي والعلمي والأدبي وللغة الفارسية لغة: الفردوسي، وحافظ، والشيرازي.

كان على جانب من العلم والفضل والأدب، وما مؤلفاته الوفيرة ومباحثه القيمة ومقالاته الكثيرة وتحقيقاته الدقيقة وخطبه الممتعة إلّا دليل على ما كان عليه من علم وفضل وأدب مما جعله في زمرة العلماء المتجددين والفضلاء البارزين والأدباء المعروفين والمؤرخين الباحثين في بلاده وخارجها، كل ذلك

مضافاً إلى إتقانه عدة لغات حية هي الإنجليزية والفرنسية والألمانية والتركية الاسلامبولية والآذربايجانية ومعرفته بالعربية والروسية . كما كان من الكتاب البارزين في لغته الفارسية واللغة التركية وله فيهما بعض النظم أيضاً . . ويعتبر نثره في الفارسية من النثر المشار إليه بالبنان من حيث السلاسة والدقة والبلاغة .

وكان خطيباً ينحدر الكلام من فمه كالسيل المنهمر ويستمر في إلقاء خطبه لبضع ساعات بلا تكلف وبكل حرارة وبمادة غزيرة .

مؤلفاته :

صنف في حياته كثيراً من الكتب والرسائل التي جاوزت الثلاثين مطنفاً بعضها مطبوع ، وبعضها لا زال مخطوطاً أو لم يخرج من المسودة كل هذا بالاضافة إلى مقالاته وأبحاثه التي طفحت بها الصحف والمجلات وكذا محاضراته في الإذاعة الإيرانية وغيرها .

ومن أهم مؤلفاته باللغة الفارسية هي :

١ ـ تاريخ أدبيات إيران (تاريخ الآداب الفارسية) .
٢ ـ سرود مهر (نشيد الحب) .
٣ ـ فرهنك شاهنامه (لغة الشاهنامه) .
٤ ـ إيران أز نظر خاورشناسان (إيران من وجهة نظر المستشرقين) .
٥ ـ تحقيق درفهم بشر (التحقيق في الفهم الإنساني) .
٦ ـ (كوروش كبير) (كوروش الكبير) .
٧ ـ نادرشاه أفشار (تاريخ نادر شاه أفشار) .
٨ ـ اسكندر مقدوني (تاريخ اسكندر المقدوني) .
٩ ـ يادكار مسافرت سويس (ذكريات عن الرحلة إلى سويسرة) .
١٠ ـ مبارزة باخرافات (مكافحة الخرافات) .
١١ ـ خاطرات مجلس (ذكريات المجلس) .
١٢ ـ يك روز ازندكى داريوش (يوم من حياة داريوش) .
١٣ ـ بندهاى بزركان (نصائح العظماء) .
١٤ ـ درسهائى أز تاريخ (دروس من التاريخ) .
١٥ ـ ديوان شعره باسم (كيتى نامه) وقد أطلق عليه هذا الإسم تيمناً باسم بنته الوحيدة الآنسة (كيتى) .
١٦ ـ تاريخ مختصر إيران أز أول إسلام تا انقراض زنديان .

(تاريخ إيران منذ صدر الإسلام حتى انقراض الزندية باختصار) . وهو ترجمة كتاب (باول هورن) وهو من الكتب الأوائل التي ترجمها الفقيد وطبعها منذ حوالي (٤٠) سنة . إلى غيرها من المؤلفات المشحونة بها مكتبته القيمة التي تركها لورثته .

« ملخص عن مقال للسيد صالح الشهرستاني » .

السيد صادق الفحام

مرت ترجمته في المجلد السابع الصفحة ٣٦٠ ونزيد عليها هنا ما يلي :

قيل في وصف ديوانه المخطوط : ان الاستفادة بالديوان تاريخياً لا تقل عن الاستفادة به أدبياً فإنه وثيقة تاريخية ثمينة توقفنا على تاريخ كثير من الأحداث العراقية في دور المماليك وقبله وتسمي كثيراً من اعلام ذلك العصر في العلم والأدب والادارة ممن لم نجد لهم ذكراً في غيره من الدواوين وكتب التراجم المتأخرة .

ولما كان المترجم لم ينقطع عن التردد على الحلة فقد مدح جماعة من أشرافها وكبرائها بقصائد مثبتة في الديوان كالسيد سلمان الكبير وآل النحوي وآل الحاج علي شاهين . عدا عن مراسلاته مع آل فتلة ورؤساء خزاعة ذوي السلطة والنفوذ يومئذٍ في الفرات الأوسط .

وللمترجم عقب في الحلة والنجف والشامية من ولده أحمد أما الباقون من أولاده فقد درجوا .

السيد صالح الشهرستاني ابن السيد ابراهيم

ولد سنة ١٣٢٥ في كربلاء وتوفي سنة ١٣٩٥ في طهران ونقل جثمانه إلى كربلا ودفن في المقبرة الخاصة بالأسرة الشهرستانية الواقعة في باب السدرة للروضة الحسينية المقدسة

كان كاتباً باحثاً مؤرخاً محققاً متتبعاً على جانب كبير من نبل الأخلاق وطيب الذات وحسن المعشر ، وقد استعنت به في كتابة بعض التراجم عندما بدأت باخراج (أعيان الشيعة) بعد وفاة المؤلف ، فكتب عدة تراجم كانت من أحسن ما يكتب في موضوعها يراها القارىء خلال مطالعاته للأعيان .

كانت دراسته الأولى في كربلا ثم انتقل إلى بغداد حيث التحق بجامعة آل البيت وتخرج منها . ثم أصدر سنة ١٩٢٦م في بغداد مجلة المرشد فاستمرت اربع سنوات ، وفي أواسط سنة ١٩٣٢م ترك بغداد إلى طهران وفيها تخرج من كلية الحقوق والعلوم السياسية . واستقر فيها حتى وفاته .

وكان في طهران يتابع كتابة بحوثه باللغتين العربية والفارسية في أمهات الصحف وقد استعانت به السفارة العراقية في طهران ثم السفارة الأردنية فعمل فيهما غير منصرف عن دراساته الأدبية والتاريخية والسياسية ، ومما أخرجه :

١ ـ كتاب عن السيد جمال الدين المشتهر بالأفغاني لا يزال مخطوطاً وقد نشر بعض فصوله في مجلة العرفان وفي (اعيان الشيعة) ٢ ـ دليل العتبات المقدسة باللغة الفارسية ٣ ـ تاريخ الأسرة الشهرستانية في ثلاث مجلدات باللغتين العربية والفارسية (مخطوط) ٤ ـ مجموعة الشهرستاني مذكرات باللغتين ٥ ـ (من عاصرتهم) بالعربية يتضمن تراجم من عاصرهم واتصل بهم من الرجال ٦ ـ كلمات فارسية الأصل استعربت باللغتين العربية والفارسية ، وقد نشرت كل من مجلة (ماه نو) في طهران ومجلة (ناصر) في يزد فصولاً من هذا الكتاب بقسمه الفارسي ٧ ـ رسالة بالعربية حقق فيها شخصية أحد أولاد الأئمة المعرف بإمام زده يحيى المدفون في أحد أحياء طهران (مخطوطة) ٨ ـ رسالة كبيرة في ترجمة السيد حسين البروجردي الطباطبائي (مخطوطة) ٩ ـ مجموعة أدبية تضم بين دفتيها بضعة ألوف من القصائد القصيرة والرباعيات والأبيات الشعرية والأمثال والحكم باللغتين العربية والفارسية .

وقد كانت لديه مكتبة عامرة بالكتب العربية والفارسية وفيها بعض الكتب الخطية النادرة وكتب الأنساب ، وبعض المؤلفات باللغة الانكليزية التي كان يلم بها ، وتنفيذاً لوصيته اهدى ولده السيد عباس محتويات تلك المكتبة إلى (مكتبة ملك) الأهلية في طهران التي تعتبر ملحقاً لمكتبة الإمام الرضا في (المشهد) .

السيد صدر الدين الصدر ابن السيد اسماعيل

ولد في الكاظمية سنة ١٢٩٩ وتوفي في مدينة قم سنة ١٣٧٣ ودفن فيها في

بقعة العلماء في رواق حرم فاطمة ابنة الإمام موسى الكاظم عليه السلام .

انتقل مع أبيه إلى سامراء فتلقى تعليمه الأول فيها ، ثم هاجر أبوه إلى كربلا فدرس فيها ما يعرف في الاصطلاح العلمي بالسطوح ، ثم سافر إلى النجف الأشرف فتابع دراسته هناك وكان من اساتذته فيها الشيخ محمد كاظم الخراساني . وفي سنة ١٣٣٩ بعد وفاة والده بسنة سافر إلى ايران واستقر في مدينة (مشهد) وفي سنة ١٣٤٤ عاد إلى النجف الأشرف ولازم درس الشيخ محمد حسين النائيني . وفي سنة ١٣٤٩ عاد إلى ايران وأقام في مدينة قم حيث كان الشيخ عبد الكريم الحائري قد اسس جامعتها الكبرى فكان المترجم من مدرسيها البارزين ، ولم يلبث أن سافر إلى مدينة (مشهد) وبقي فيها واخذ يقيم الجماعة في (مسجد كوهر شاد) وأقبل عليه الناس . وكانت الشيخوخة قد أدركت الشيخ عبد الكريم عميد الحوزة العلمية في قم فخشي أن ينفرط عقدها بعد وفاته ، فرأى في السيد محمد الحجة الذي كان يقيم في قم ، وفي المترجم خير من يعهد إليهم بالقيام بأمر الحوزة بعده ، فأرسل يستدعيه من مشهد فلبى دعوته ، فجعل الشيخ الحائري منه ومن السيد الحجة معاونيه الفاعلين في الاشراف على شؤون الحوزة ثم توفي الحائري . فانضم إليهما السيد محمد تقي الخونساري فتألفت منهم قيادة جماعية لحوزة قم . وكان شهرة السيد حسين البروجردي ومكانته العلمية موضع تقدير الجميع ، فاجمع الكل على توليته الأمر فاستدعي من بلدته بروجرد فأشرف بشخصه على شؤون الحوزة وتصريف أمورها فنهضت على يديه نهضتها المعروفة، وظل المترجم مقيماً في قم حتى وفاته .

مؤلفاته

المطبوع منها : ١ ـ المهدي ٢ ـ خلاصة الفصول ، وهو في علم الأصول ملخص من كتاب الفصول للشيخ محمد حسين الأصفهاني ٣ ـ الحقوق ٤ ـ التاريخ الاسلامي ، وهو كتاب مدرسي موجز . وله غير ذلك بعض الآثار التي ظلت مخطوطة .

شعره

كان شاعراً وكان له ديوان شعر لا ندري إلى أي مصير انتهى . وبقي محفوظاً من شعره القصيدة التالية التي أرسلها إلى مؤلف (اعيان الشيعة) عندما اطلع على الجزء الأول منه . وكان المؤلف قبل حل عليه ضيفاً عندما تشرف بزيارة الإمام الرضا عليه السلام . وقد ذكره في رحلته العراقية فقال فيها قال : « . . . وكان يقيم أولاً في قم حيث مدرسة الشيخ عبد الكريم ، وكان وجهها ومقدمها ، ثم انتقل إلى المشهد الرضوي فكان من مقدمي علمائه » ، ويقول عنه في مكان آخر : « وكان مضيفنا أول الأمر العلامة السيد صدر الدين الصدر الموسوي ، ولما انتقلنا من داره الى دار استأجرناها طيلة مكوثنا في المشهد ، جعل يأتي إلينا كل يوم غدوة وعشيا وذهب معنا إلى دور الجماعة الذين زارونا حين أردنا رد الزيارة لهم » .

أما القصيدة فهي :

أمولاي يا من قد أقر بفضله … محبوه طراً بل واذعن حاسده
لقد جمعت فيك الفضائل كلها … فلا فضل إلا أنت لا شك واحده
إذا ذكرت بين الورى طرق العلى … فكل طريق للعلى أنت رائده
لعمري لقد جددت ذكر معاشر … لهم طارف المجد الأثيل وتالده
واحييت في تأليفك اليوم مجدهم … وقد بليت آثاره ومعاهده
ومثلت منهم كل عين سميدع … عياناً لنا حتى كأنا نشاهده
أبوك لقد سماك من قبل « محسناً » … وفي يومنا هذا كتابك شاهده
وفي كل عصر واحد يعقد الرجا … عليه وهذا العصر إنك واحده
وأنا إلى الاصلاح في حاجة فقم … به ، رجل الاصلاح انت ، وقائده
ادامك رب العرش للعلم منهلا … مصفى نميرا يرتوي منه وارده
وحصناً منيعاً لا يضام نزيله … ويبلغ ما يرجو ويأمل وافده

ومن شعره الذي وصل إلينا أبيات يؤرخ بها وفاة الشيخ عبد الكريم اليزدي الحائري :

عبد الكريم آية الله قضى … وانحل منه سلك العلوم عقده
أجدب ربع العلم بعد خصبه … وهد أركان المعالي فقده
كان لأهل العلم خير والد … وبعده امست يتامى ولده
كوكب سعد سعد العلم به … دهراً وغاب اليوم عنه سعده
في شهر ذي القعدة غاله الردى … بسهمه يا ليت شلت يده
في حرم الأئمة الأطهار في … شهر الحرام كيف حل صيده
دعاه مولاه فقل مؤرخاً … لدى الكريم حل ضيفاً عبده

ومنه أبيات نظمها لتكتب على ضريح والده مؤرخاً فيها وفاته :

لئن يك اخفى القبر شخصك في الثرى … فهيهات ما أخفى فضائلك القبر
لقد كنت سر الله بين عباده … ومن سنن العادات أن يكتم السر
فطوبى لقبر أنت فيه مغيب … فقد غاب في أطباق تربته البدر
ولست بمستسق له القطر بعدما … غدا بثراه ينتجع القطر
تخيرت صدر الخلد مأوى فأرخوا … من الخلد (اسماعيل) طاب (له الصدر)

تاريخ وفاته شعراً

قال السيد محمد حسن الطالقاني مؤرخاً وفاته :

تبت يد الزمان من خؤون … يعبث في شمل الهدى والدين
فكم له من ضربة قاضية … تستنزف الدمع من العيون
وفعلة منكرة عادت على الاسلام … بالخسران والشجون
لهفي على الطلاب مذ نعى لهم … ناعي الردى شيخ ذوي اليقين
فقد تولى شملهم ايدى سبا … وكان قبل فاقد القرين
ومذ قضى (فرد) الزمان ارخوا … (الا مضى الدين وصدر الدين)

وفي قوله : وقد قضى فرد الخ اشارة إلى إضافة واحد إلى مجموع اعداد التاريخ .

وهو والد السيد رضا المقيم الآن في قم ، والسيد موسى الذي أقام في لبنان وسافر في إحدى سفراته إلى ليبيا فاختفت فيها آثاره .

السيد صدر الدين شرف الدين ابن السيد عبد الحسين

ولد في صور سنة ١٩١٢م . وتوفي فيها سنة ١٩٧٠م .

درس أولاً في صور ثم ذهب الى النجف الأشرف للدراسة فبقي هناك سنين ثم تجنس بالجنسية العراقية وعين مدرساً في ثانويات العراق وفي سنة ١٩٤٤م . استقال من وظيفته وأصدر في بغداد جريدة الساعة يومية سياسية فلقيت في أول عهدها رواجاً وإقبالاً لأنه كان كاتباً مجوداً في الطليعة من كتاب العرب الشبان ، فكان يغذي الجريدة بمقالاته التي ادخلت شيئاً جديداً على الصحافة العراقية ،

كما ضمت إليها بعض المحررين الاكفياء، وقد كانت تنطق بلسان كتلة سياسية نافذة في الحكم ، فساعدها كل ذلك على أن تكون من أوسع الصحف العراقية انتشاراً . ولكن تبدل بعض الظروف وتغير أوضاع من كانت لسانهم من السياسيين جعلها تتراجع ، أضف إلى ذلك ما قوبلت به من حملات طائفية غير شريفة لم تكن تتورع حتى عن البذاءة في القول ، ولكن كل ذلك كان هيناً أمام ما كان عليه طبع صاحب الجريدة من عدم الاستقرار والتطلع في كل جهة مما أدى في النهاية إلى توقف الجريدة سنة ١٩٤٦م ثم إخراج صاحبها من العراق فعاد إلى لبنان وأصدر سنة ١٩٥٠م في بيروت مجلة (الألواح) اسبوعية ادبية فكانت من أفضل ما يصدر في هذا الموضوع ومن خير مجلات العالم العربي . لكن المحيط كان أضيق من أن يعطي مجلة ذات طابع أدبي فكري بحت ما تستحقه من الذيوع والانتشار فلم تلبث المجلة أن توقفت . فاستقر المترجم في صور وأشرف على مدرسة أهلية أنشأها، وعاوده الحنين إلى الصحافة فأصدر سنة ١٩٥٥م . مجلة شهرية باسم (النهج) لم تكن ظروفه المادية تسمح له بأن يخرجها كما يجب أن تخرج ، فظلت مجلة متواضعة صغيرة الحجم قليلة الصفحات ، لا تتفق مع ما لصاحبها من موهبة أدبية فائقة . وأدركته محن وعلل حتى توفاه الله .

لقد كان السيد صدر الدين شرف الدين كاتباً مبدعاً من أكفأ كتاب العرب في عصره مادة وديباجة واسلوباً وكان جديراً بأن يترك في تراثنا الأدبي والفكري الكثير من الخالدات . ولكن القلق النفسي الدائم وتفاوت النظرات بين يوم ويوم وأشياء اخرى . . . وأدت مواهبه وحرمت الأجيال من أن تطالع ثمرات ذاك القلم الخلاق ، فلم يترك من الآثار سوى كتب صغيرة منها : حليف مخزوم ، وهو في سيرة عمار بن ياسر ، هاشم وأمية ، سحابة نور تسموت .

صدر الدين خان فائز الدهلوي

من شعراء الهند نظم الغنائيات والغزليات ورتب ديوانه سنة (١٧١٥م) . وهو من أحفاد علي مردان من أمراء شاه جهان ، وكان معاصراً لولي الدكني الملقب بآدم الشعراء . وشعر كلا الشاعرين فيما اصطلح على تسميته بلغة (دهلوي) . ويعتبر ديوانه أول ديوان بدهلوي .

(صفي) ، السيد علي نقي

ولد في لكنو سنة ١٢٧٩ .

اشتهر بلقبه (صفي) ولم يعرف بغيره ، لذلك ترجمناه في حرف الصاد .

كان (صفي) في الهند شاعر الملة ، ولقبوه بـ « لسان القوم » لأنه كان يدعو إلى الحركة والعمل والتقدم وترك القعود .

وهو شاعر خطيب مصلح في شعره ، دعا إلى اصلاح ما فسد من الأمور وتنظيم الجهود ، فقامت بدعوته المؤسسات الشيعية الكبرى في لكنو مثل : كلية الشيعة ، ودار الأيتام ، ومدرسة الصنائع ، وقاعة القومية .

وكان هو صاحب قيادة « شيعة كانغرس » وان كانت الزعامة في أيدي الأمراء والسياسيين ، ولكن الحركة والدعوة كانت بيد الصفي وحده لحرارة شعره واثره العميق في النفوس .

كان شاعراً كبيراً نظم في تاريخ البلاد وصور أوضاع الشيعة وحاجاتها الراهنة ، وهو شاعر اخلاقي اصلاحي .

الضحاك بن عبدالله المشرقي .

قال أبو مخنف : حدثني عبدالله بن عامر عن الضحاك بن عبدالله المشرقي قال : لما رأيت أصحاب الحسين قد أصيبوا وقد خُلص إليه والى أهل بيته ولم يبق معه غيرُسُوَيد بن عمرو بن أبي المطاع الخثعَميّ وبُشَير بن عمرو الحضرمي قلت له يا ابن رسول الله قد علمت ما كان بيني وبينك قلت لك أقاتل عنك ما رأيت مقاتلاً فإذا لم أر مقاتلاً فأنا في حلّ من الانصراف فقلت لي نعم قال فقال صدقت وكيف لك بالنجاء ان قدرت على ذلك فأنت في حلّ قال فأقبلت الى فرس وقد كنت حيث رأيت خيل أصحابنا تعقر أقبلت بها حتى أدخلتها فسطاطاً لأصحابنا بين البيوت وأقبلت أقاتل معهم راجلاً فقتلت يومئذ بين يدي الحسين رجلين وقطعت يد آخر وقال لي الحسين يومئذ مرار لا تشلل لا يقطع الله يدك جزاك الله خيراً عن أهل بيت نبيك فلما أذن لي استخرجت الفرس من الفسطاط ثم استويتُ على متنها ثم ضربتها حتى إذا قامت على السنابل رميت بها عُرُضَ القوم فأفر جوالي وأتبعني منهم خمسة عشر رجلاً حتى انتهيتُ الى شُفَيَّة قرية قريبة من شاطىء الفرات فلما لحقوني عطفتُ عليهم فعرفني كثير بن عبدالله الشعبي وأيوب بن مِشْرَح الخَيْواني وقيس بن عبدالله الصائدي فقالوا هذا الضحاك بن عبدالله المشرقي هذا ابن عمنا ننشدكم الله لما كففتم عنه فقال ثلاثة نفر من بني تميم كانوا معهم بلى والله لنجيبنّ أخواننا وأهلَ دعوتنا الى ما أحبوا من الكف عن صاحبهم قال فلما تابع التميميّون أصحابي كف الآخرون فنجاني الله .

الشيخ ضياء الدين الخالصي ابن الشيخ محمد صادق

اسمه عبد الحسين لكنه لم يعرف به مطلقاً بل اشتهر بلقبه ، وإن كان توقيعه في رسائله : عبد الحسين ضياء الدين .

ولد في الكاظمية سنة ١٣١٥ وتوفي فيها سنة ١٣٧٠ .

كان من أطيب الناس ذاتاً وأعفهم يداً وأكرمهم خلقاً وأصدقهم لهجة وأكثرهم وفاء . سليل البيت العلمي العريق . درس في الكاظمية ، ثم واصل التتبع والبحث والمطالعة فأخرج مجموعة نفيسة من المؤلفات .

ولكن لأنه كان أبيّ النفس بعيداً عن التملق والتزلف، عاش فقيراً مُعدماً بينما كان الجهلاء المنافقون المدجلون ينعمون بأموال الشعب . ولو قدر لهذا الرجل من يحتضنه ويقيه غائلة الجوع ويضمن له نوعاً من كفاف العيش لا أكثر ، لكان منه رجل علم وفضل وتحقيق تثرى بإنتاجه المكتبة الإسلامية . ومع ذلك ، ومع أنه كان له من فاقته شاغل أي شاغل ، فقد أخرج الكتب الآتية :

١ ـ الدروس الاعتقادية ٢ ـ تنقيح وتلخيص شروح الألفية ٣ ـ مخازي بني أمية ٤ ـ تمرين الطلاب في مشاكل مسائل في النحو والصرف واللغة والاعراب ٥ ـ خلاصة الحاشية على تهذيب المنطق ٦ ـ قواعد التجويد ٧ ـ تهذيب كتب الفقه ٨ ـ حول تقريرات الشيخ مرتضى الأنصاري ٩ ـ تحفة الحبيب ١٠ ـ الصحيفة المهدوية ١١ ـ ضياء الايمان ١٢ ـ أربعون حديثاً ، في أصول الدين والفقه والأخلاق ١٣ ـ الملاحظات ، حول كتاب (تنزيه القرآن عن المطاعن) لعبد الجبار المعتزلي ١٤ ـ النقد الجميل على تفسير أنوار التنزيل للقاضي البيضاوي ، وهو ما فات الشيخ البهائي من نقده ١٥ ـ تحفة الاخوان في نقد كتاب آلاء الرحمن في تفسير القرآن ١٦ ـ تعليقات على عدة كتب ١٧ ـ الفوائد المتفرقة ، وهو على نهج الكشكول ، وجله نقد لكتب دينية وأدبية يمكن أن يرتب وينوع إلى عدد من الكتب ، وقد تم منه ستة مجلدات كبار .

وقد كان يقرأ كل كتاب يقع في يده وشذ أن لا يعلق عليه أو يصحح ما فيه فقد كانت هوامش كتبه مملوءة بالفوائد . ولما اشتد به الضيق باع ذلك كله بثمن بخس .

وقد كنت خلال إقامتي في العراق وزيارتي للكاظمية لا أفعل شيئاً بعد زيارة الجوادين قبل أن أسعى للقيا الشيخ ضياء الخالصي فالتقي به في إحدى حجر الصحن أو في مكتبة النجاح فتمتلىء نفسي سعادة بمطالعة ذلك الوجه الذي يشع إيماناً ووداعة وإيناساً وحكمة ، واحرص على أن لا اتكلم بكلمة كي لا أقطع حديثه العذب الرائق المؤنس . وقد كنت أعلم أنه ضيق الحال ولكن لم أكن أدري أنه على تلك الدرجة من الضيق لأنه كان يحاول جهده أن لا يظهر عليه أمام أصدقائه أنه مكروب ، بل كانت الابتسامة المشعة تملأ وجهه دائماً لئلا يكدرهم .

وزرت العراق بعد انقطاع وجئت الكاظمية للزيارة ولرؤية الشيخ ضياء الخالصي ، فسألت صديقاً عنه ، فقال : لقد مات وأؤكد لك أنه مات جوعاناً بل لقد مات من الجوع .

هكذا كان مصير العالم الباحث الأديب المؤرخ ذي الشمم والأباء والنزاهة ، هكذا كان مضيره على مرأى ومسمع من الدولة البترولية ، وإلى جوار القصور الشامخة والعمائم المنتفخة التي تشكو هي واتباعها من التخمة .

الشيخ ضياء الدين العراقي

مرت ترجمته في الصفحة ٣٩٢ من المجلد السابع ونزيد هنا عليها ما يلي :

ولد في سلطان آباد (إيران) سنة ١٢٧٨ فدرس الأوليات ، ثم قرأ المقدمات على والده وغيره ثم هاجر إلى النجف الأشرف فأدرك بحث السيد محمد الفشاركي وغيره ، ثم حضر دروس الميرزا حسين الخليلي والشيخ محمد كاظم الخراساني والسيد محمد كاظم اليزدي وشيخ الشريعة الأصفهاني وغيرهم .

واستقل بالتدريس بعد وفاة الخراساني سنة ١٣٢٩ وكان لمجلس درسه اقبال ملحوظ لا سيما في علم الأصول الذي اشتهر به ، وظل متولياً التدريس أكثر من ثلاثين سنة تخرج عليه خلالها العدد الكبير من المجتهدين .

تلاميذه

من تلاميذه : السيد محمد تقي الخونساري والسيد عبد الهادي الشيرازي والسيد أبو القاسم الخوئي والسيد محسن الحكيم والسيد علي الكاشاني اليثربي والشيخ عبد النبي العراقي والشيخ محمد تقي الآملي والميرزا حسن اليزدي والشيخ محمد تقي البروجردي وغيرهم كثيرون .

مؤلفاته

طبع من مؤلفاته كتاب (القضاء) وكتاب (البيع) و (المقالات الأصولية) و (فروع العلم الاجمالي) و (حاشية العروة الوثقى) .

طاهر بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب (عليهم السلام) :

ذكر في الصفحة ٣٩٥ من المجلد السابع وذكر في ترجمته أنه ممدوح المتنبي في قصيدته البائية .

والصحيح أنه ليس هو ممدوح المتنبي . وهذه ترجمته :

هو من أمراء المدينة وعلمائها وأعيانها ، قال عنه ابن عنبة في كتابه « عمدة الطالب » : كان من جلالة القدر بحيث أن كلا من اخوته يعرف بأخي طاهر ، وفي ولده البيت والأمرة في المدينة ، وله عقب كثير (اهـ) .

وجاء في مقاتل الطالبيين : كتب إلينا أن صاحب الصلاة بالمدينة دس سماً إلى طاهر بن يحيى بن الحسن . . . فقتله ، وكان سيداً فاضلاً ، وقد روى عن أبيه وغيره وروى عنه اصحابنا (اهـ) .

وأبو طاهر هذا هو يحيى بن الحسن المعروف بالعقيقي (نسبة إلى عقيق المدينة) المتوفى سنة ٢٨٧ وهو أول من صنف من الطالبيين كتاباً في أنسابهم وألف كتاب « أخبار المدينة » رواه عنه ابنه طاهر هذا .

وكتابه عن المدينة من أهم مصادر السمهودي ، وقد وصلت إليه نسخ متعددة إحداها رواية طاهر هذا ، كما صرح بذلك السمهودي في عدة مواضع من كتابه « وفاء الوفا » .

وكان طاهر المترجم ينزل خارج المدينة في العقيق ، قال السمهودي في « وفاء الوفا » : أول الجماوات جماء تضارع التي تسيل على قصر عاصم ، وهو منزل أبي القاسم طاهر بن يحيى وولده . وقال في موضع آخر فيما نقل عن أبي علي الهجري : ووجاه ذلك في قبالة جماء تضارع منازل لعبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن عثمان ، ثم يليها منازل لعبد الله بن بكير بن عمرو بن عثمان ، وهو قصر طاهر بن يحيى وولده[1] .

الطفيل بن عامر بن واثلة .

كان مع ابيه مشاركاً في الثورة على الحجاج سنة ٨٢ فقتل في احداث تلك الثورة ، وكان شاعراً فمن شعره ما قاله وهو في صفوف الثوار :

ألا طرقتنا بالغريبين بعدما	كللنا على شحط المزار جنوب
اتوك يقودون المنايا وانما	هدتها بأولانا اليك ذُنوب
ولا خير في الدنيا لمن لم يكن له	من الله في دار القرار نصيب
ألا ابلغ الحجاج أن قد أظله	عذاب بايدي المؤمنين مصيب
متى نهبط المصريين يهرب محمد	وليس بمنجي ابن اللعين هروب

وقال عامر يرثي ابنه الطفيل ويشير الى فشل الثورة :

خلّى طفيل عليّ الهم فانشعبا	وهدّ ذلك ركني هدة عجبا
وابني سمية لا انساهما ابداً	فيمن نسيت وكل كان لي نصبا
واخطأتني المنايا لا تطالعني	حتى كبرت ولم يتركن لي نشبا
وكنت بعد طفيل كالذي نضبت	عنه المياه وغاض الماء فانقضبا
فلا بعير له في الأرض يركبه	وان سعى اثر من فاته لغبا
وسار من ارض خاقان التي غلبت	ابناء فارس في اربائها غلبا
ومن سجستان اسباب تزينها	لك المنية حينا كان مجتلبا
حتى وردتّ حياض الموت فانكشفت	عنك الكتائب لا تخفي لها عقبا
وغادروك صريعا رهن معركة	ترى النسور على القتلى بها عُصبا
تعاهدوا ثم لم يوفوا بما عهدوا	واسلموا للعدو السبي والسلبا
يا سوءة القوم اذ تسبى نساؤهم	وهم كثير يرون الخزي والحربا

(راجع ترجمة عامر بن واثلة) .

طلائع بن رزيك

مرت ترجمته في الصفحة ٣٩٦ من المجلد السابع وذكر فيها أنه كان وزير

العاضد . ولما كانت احداث خلافة العاضد من الأحداث المهمة في التاريخ وبه انتهت خلافة الفاطميين مما تتطلع لمعرفته نفوس القراء ولا يجوز الاكتفاء بمجرد ذكر (العاضد) ، رأينا أن نضيف في هذا المستدرك ذكر الأحداث التي وقعت في خلافة العاضد ، ثم ذكر ولاية صلاح الدين الأيوبي وزارة العاضد ، ثم انهائه لخلافة الفاطميين ، ثم حقيقة سيرة صلاح الدين، وهي حقيقة موهت عمداً واخفيت عن انظار قراء التاريخ بما يراه القاري في الصفحات التالية :

في المقال الذي كتبه الدكتور زكي المحاسني في العدد الممتاز من العرفان، أشاد بموقعة حطين وأشاد أي إشادة بصلاح الدين الأيوبي. ولما كنت موقناً أن صلاح الدين من رجال التاريخ الذين اعطوا ما لا يستحقون ، لذلك رأيت من واجبي خدمة للحقيقة أن أكتب هذه الكلمة متحملاً مسؤولية ما تضمنته من رأي يخالف رأي الجمهور ، وما اتفق السواد الأعظم على الاعتقاد به . فحقائق التاريخ لا يصح التسامح بها ، ولا يجوز الجبن في إظهارها مهما كان الشائع قوياً والمعتقد (بفتح القاف) منتشراً .

يقول الدكتور في بعض أوصافه لصلاح الدين (انه بطل الخلاص العميم). ويقول أيضاً : (أنه أزال من على رقعة الشرق العربي ظل الصليبية . إلى غير ذلك من الأقوال .

والدكتور المحاسني ليس وحده القائل ، بل أن كل الكتاب يقولون مثل هذا وأكثر من هذا . فقد قال مثلاً الدكتور مصطفى زيادة في مقال له أن معركة حطين كانت الفاصلة في تاريخ الحروب الصليبية في حين أنه يعلم أن الفرنج ظلوا أكثر من قرن يحتلون البلاد بعد تلك المعركة وان القدس عادت صليبية الحكم بعد فترة غير طويلة من معركة حطين .

الواقع أن حياة صلاح الدين تقسم إلى أقسام ، كان صلاح الدين في بعضها محارباً حقاً فهو الذي حقق النصر في معركة حطين .

والأقسام الأخرى من حياة صلاح الدين تناقض هذا القسم تمام المناقضة، ولقد نسي بعض الناس حقيقة صلاح الدين ، ولم يذكروا الا دوراً واحداً من أدوار حياته . وذلك لعوامل لا أحب الآن ذكرها . فما هي حقيقة صلاح الدين.

لقد انتصر صلاح الدين في حطين وحرر القدس، وكان المفروض أن يتابع الكفاح حتى تتحرر البلاد كلها ، ولكن صلاح الدين لم يفعل شيئاً من ذلك ، بل فعل العكس تماماً ، فأقدم على أمر لا أدري كيف يتجاهله كتابنا ، وكيف يسقطونه من حسابهم وهم يتحدثون عن صلاح الدين .

لقد فضل صلاح الدين في هذا الدور من حياته الراحة على الجهاد ، وآثر الاستسلام للفرنج على مقاتلتهم ، بل فعل أكثر من ذلك ، لقد سلمهم البلاد سلماً بلا قتال . نعم سلمهم البلاد والعباد سلما بلا قتال .

ففي ٢١ شعبان سنة ٥٨٨ عقد صلاح الدين هدنة مع الصليبيين سلمهم بها حيفا وقيسارية ونصف اللد ونصف الرملة وغير ذلك ، حتى لقد صار لهم من يافا إلى قيسارية إلى عكا إلى صور ولم يكن لهم ذلك من قبل .

يقول ابن شداد في كتابه (الاعلاق الخطيرة في امراء الشام والجزيرة) وهو يتحدث عن حيفا (ص ١٧٧ - ١٧٨) « لم تزل في أيدي الفرنج إلى أن فتحها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة ثلاث وثمانين ، فلم تزل في يده إلى أن نزل عنها للفرنج فيما نزل عنه لهم في المهادنة التي وقعت بينه وبينهم ، وذلك سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، ولم تزل بعد في أيديهم » .

وقال وهو يتحدث عن الرملة واللد : (ص ١٧٣ - ١٨٤) « ولم تزل (الرملة) في أيديهم (الفرنج) إلى أن ملكها وملك معها (لد) الملك الناصر صلاح الدين يوم الأربعاء ثالث شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة . ولم تزل في يده إلى أن وقعت الهدنة بينه وبين الفرنج في سنة ثمان وثمانين فنزل لهم عن البلاد ، وجعل (لد) و (الرملة) بينه وبينهم مناصفة » وقال وهو يتحدث عن يافا (ص ٢٥٦) « ولم تزل في أيديهم (الفرنج) إلى أن فتحها عنوة الملك الناصر صلاح الدين سنة ثمان وثمانين وخمسمائة على يد أخيه العادل وخربها وبقيت خراباً إلى أن تقررت الهدنة بين الملك الناصر (صلاح الدين) وبين الفرنج وشرطوا عليه ابقاءها في أيديهم » .

ويقول الدكتور حسين مؤنس في مقال له في مجلة العربي العدد ١٤٩ « تنازل (صلاح الدين) للصليبيين عن جزء من الساحل يمتد من صور إلى حيفا » .

يقول ذلك ولا يرى فيه شيئاً في حين أنه يشنع على الآخرين بالباطل .

سلم صلاح الدين كل هذه البلاد للصليبيين وهو المنتصر في معركة حطين وفاتح القدس، سلمهم ذلك وعقد معهم هدنة ضمن لهم فيها أن لا يهاجمهم ولا يزعجهم مزعج .

وأكثر من ذلك فقد كان من رأي الخليفة العباسي الناصر[1] أن يواصل صلاح الدين الكفاح حتى اجلاء الصليبيين عن آخر معقل لهم في بلاد العرب، وأبدى الناصر استعداده لامداده بما يحتاج من جيوش جديدة تكفي للقضاء على الصليبيين، ولكن صلاح الدين رفض وفضل أن يهادن الصليبيين ويسلمهم البلاد .

أما السبب في ذلك فلأن صلاح الدين كان لا يريد توحيد البلاد ، وانضواءها تحت لواء واحد يجمع شملها في حكم واحد وسيادة واحدة ، وخشي إن جاءت الجيوش من العراق لامداده وتم النصر ، أن يصر الناصر على الوحدة معتمداً على قوة الجيش فيصبح هو مرتبطاً ببغداد فآثر أن يكون انفصالياً ، وأن يستقل وحده بحكم رقعة من البلاد ، على أن يضم ما تحت يده من بلاد إلى الوحدة الكبرى ، وهكذا تحكمت فيه مطامعه الشخصية وآثرها على المطامح الوطنية ، ورفض تحرير ما لم يتحرر من البلاد ، ثم سلم البلاد للصليبيين .

ولقد خشي صلاح الدين أن يصر الناصر على إرسال الجيوش فعزم على مقاومتها ، ولأجل أن يتفرغ لذلك هادن الصليبين وسلمهم البلاد .

لسنا نحن الذين نقول ذلك ، بل يقوله رجل من أخلص رجال صلاح الدين ، جعل من نفسه مؤرخاً لذلك العصر فصحب صلاح الدين وسجل انتصاراته ووقائعه ، ولم تفته منها شاردة ، وكان صلاح الدين موضع مدحه

---

(١) أبو علي الهجري .

(١) هو الخليفة الذي اعاد للخلافة رونقها بقضائه على السلجوقيين المتحكمين بها ، ويصفه الفيلسوف عبد اللطيف البغدادي بأنه (احيا هيبة الخلافة وكانت قد ماتت بموت المعتصم ، ثم اماتت بموته) .

ولي الخلافة سنة ٥٧٥ وهو ابن ٢٣ سنة وظل في الخلافة ٤٦ سنة وعشرة أشهر و٢٨ يوماً

وثنائه ، فسجل فيما سجل من الأحداث هذه الحادثة :

هـذا المؤرخ هو عماد الدين الأصفهاني صاحب كتاب الفتح القسي في الفتح القدسي ، والذي كان بمثابة (سكرتير) شخصي لصلاح الدين[٢] .

وفوق هذا ماذا فعل صلاح الدين ؟ لقد اعتبر البلاد التي يحكمها مزرعة له فتصرف فيها تصرف المالكين للمزارع والقرى ، فلم يكتف بأن سلم قسماً منها للأعداء ، ولم يكتف بأن آثر الانفصال وخشي الوحدة ، بل أراد أن يثبت بالفعل أن ما تحت يده من اجزاء الوطن هو ملك شخصي له ، وأنه يجب أن يكون بهذه المثابة من بعده ، فقسمه بين ورثته ، واكتفي هنا بنقل عبارة صاحب كتاب (الأعلاق الخطيرة) وهو من أخلص المخلصين لصلاح الدين ، فقد قال في الصفحة ٥٨ في السطر الخامس عشر ما نصه « . . . فرق البلاد بين أولاده وأقاربه ، فاعطى الشام لولده الملك الأفضل . . » إلى آخر ما قال .

ومع أن الخطر الصليبي كان لا يزال جاثماً على صدر البلاد يهددها في كل ساعة، ومع أن هذا مما يوجب حشد القوى وتجمعها، ويوجب لا تمزيق مملكة صلاح الدين بل ضمها الى سلطة الخلافة في بغداد ، أو على الأقل الاحتفاظ بها سليمة متماسكة ، فان صلاح الدين « فرقها بين أولاده وأقاربه » معتمدا على الهدنة التي عقدها مع الصليبيين مسلما لهم البلاد مقرا لهم باحتلالهم معترفا لهم بدولتهم .

وهكذا فلم يكد يموت صلاح الدين حتى تقاسم بنوه وأقاربه ملكه واستقل كل واحد بما أوصى به صلاح الدين ،ومهدوا بذلك للصليبيين أن يحتلوا البلاد من جديد . بل اقدموا على ارتكاب الخيانات العظمى ، فإن الكامل والأشرف ولدي العادل أخي صلاح الدين سلما القدس وما حولها للملك الصليبي فريدريك الثاني وسلماه معها الناصرة وبيت لحم وطريقاً يصل القدس وعكا وذلك سنة ٦٢٥هـ ١٨ شباط سنة ١٢٢٩م . ويصف ابن الأثير وقع هذه الرزية على العالم الاسلامي بقوله :«واستعظم المسلمون ذلك. وأكبروه ووجدوا له من الوهن والتألم مالا يمكن وصفه » .

وهكذا يسقط قول الدكتور مصطفى زيادة والدكتور زكي محاسني حيث يقول الأول أن وقعة حطين كانت فاصلة في الحروب الصليبية ، وحيث يقول الثاني : (ان صلاح الدين ازال من على رقعة الشرق العربي ظل الصليبية) . . .

وكيف يكون ظل الصليبية قد زال وصلاح الدين يسلم البلاد للصليبيين يداً بيد ، والصليبية تعود لاحتلال القدس بخيانة ولدي أخيه؟! .

واقرباء صلاح الدين الذين قسم البلاد بينهم لم تكن هذه الخيانة خيانتهم الوحيدة ، ففي العام ٦٣٨ سلم الصالح اسماعيل الأيوبي صاحب دمشق للصليبيين صيدا وهونين وتبنين والشقيف فيما سلم لهم البلاد ليساعدوه على ابن أخيه الصالح أيوب صاحب مصر .

اذن فظل الصليبية لم يزله صلاح الدين ، بل ساعد على امتداده بامتناعه عن قبول دخول الجيوش العراقية إلى فلسطين لمساعدته ، وفي عقده للهدنة المشؤومة مع الصليبيين وفي تسليمه لهم البلاد سلما وبدون قتال وفي تقطيعه أوصال الوطن بتوريثه البلاد لأقربائه كما يورث الملك الشخصي وتفريقها بينهم .

(٢) الصفحة ١٧٦ طبع مطبعة الاتحاد بالقاهرة .

وهناك شيء آخر في سيرة صلاح الدين هو طريقة معاملته الشعب، وهذا الموضوع نترك الكلام عنه للدكتور حسين مؤنس حيث قال في العدد ٤٦٢ من مجلة الثقافة كما نقلت ذلك مجلة الحج في الجزء الثامن من السنة الخامسة عشرة :

« كانت مشاريعه ومطالبه متعددة لاتنتهي فكانت حاجته للمال لا تنتهي ،وكان عماله من أقسى خلق الله على الناس ، ما مر ببلدة تاجر إلاّ قصم الجباة ظهره ، وما بدت لأي إنسان علامة من علامات اليسار إلاّ أنذر بعذاب من رجال السلطان. وكان الفلاحون والضعفاء معه في جهد ، ما أينعت في حقولهم ثمرة إلاّ تلقفها الجباة ، ولا بدت سنبلة قمح إلاّ استقرت في خزائن السلطان حتى املق الناس في أيامه وخلفهم على أبواب محن ومجاعات حصدت الناس حصداً » .

هـذا مع العلم أن الدكتور حسين مؤنس من المتحمسين لصلاح الدين ولكنه لم يستطع اخفاء هذه الحقيقة .

هـذه الحقائق القاسية نرجو أن تتقبلها الصدور بصبر ، لأن التاريخ الصحيح لا يرحم ، ولأننا حين نؤمن بحقيقة نرى أن من أفظع الإجرام أن لا نعلنها مهما كان في إعلانها من مصادمة لما تواضع الناس على الأخذ به على أنه من الحق وهو من صميم الباطل .

وفي العام ٥٦٤هـ كان الفرنج الصليبيون يهددون مصر ويتحفزون للوثوب عليها بعد أن خبروا أحوالها قبل ذلك في احداث ليس هذا مكان سرد تفاصيلها ، وكانت الخلافة الفاطمية في مصر لا تبدو بالقوة الكافية إذ كانت قواها قد استنفد معظمها في مقارعة الصليبيين براً وبحراً ، وفي اخماد الفتن ، فرأى الخليفة الفاطمي (العاضد) أن لا قبل لمصر بمدافعة الفرنج فتجلت وطنيته على أبرز صورها ، فتناسى ما بينه وبين الآخرين من أوتار وتجاهل ما يحملونه له من عداوة وشنآن ، وأغضى على ما طالما بيتوه له ولأسرته من تآمر وصمم على الاستنجاد بالقوى الاسلامية خارج مصر مهما كان في هذا الاستنجاد من مخاطر عليه وعلى أسرته ، ورأى أن أقرب القوى إليه في الشام وفيها نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي . .

وكان الفرنج قد زحفوا على عسقلان حتى وصلوا إلى بلبيس فاحتلوها وفتكوا بأهلها ، ثم مشوا إلى القاهرة وحاصروها ، فتقرر احراق المدينة[١] خوفاً عليها من الأفرنج فاحرقت وظلت النار تعمل فيها أربعة وخمسين يوماً ، فكرر العاضد الاستنجاد بنور الدين وأرسل في الكتب شعور نسائه وقال : هذه شعور نسائي من قصري يستغثن بك لتنقذهن من الفرنج[٢] .

وكان قد سبق لنور الدين أن أرسل إلى مصر في نوبتين كلا من أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين لأسباب لا مجال لذكرها الآن ، فطلب العاضد أن يعود أسد الدين نفسه بحملة على مصر وأعلن أنه يتنازل سلفاً لنور الدين ولأسد الدين عن كثير مما تحت يده . فقرر نور الدين تلبية الطلب فأرسل حملة

(١) هي التي عرفت بالفسطاط وتوابعها .

(٢) كتاب الروضتين (الجزء الأول ـ القسم الثاني) الفحة ٣٩١ من طبعة ١٩٦٢ وصاحب هذا الكتاب مملوء تعصباً ولؤماً على الفاطميين ولكنه لم يستطع انكار هذه الحقيقة . والفضل ما شهدت به الأعداء .

مؤلفة من ثمانية الآف فارس بقيادة أسد الدين شيركوه ومعه ابن أخيه صلاح الدين .

وكان الفرنج في خلال ذلك قد فكوا الحصار عن القاهرة وعادوا من حيث اتوا ، فلم تلق الحملة القادمة حرباً ثم تسلسلت الأحداث فتولى أسد الدين الوزارة للعاضد وساد أمره وأمر ابن أخيه صلاح الدين ولكنه لم يلبث في الوزارة إلا شهرين وخمسة أيام ثم توفي فجأة .

وتطلع إلى منصب الوزارة بضعة رجال من قواد الجيش الذي قدم مع أسد الدين وكان التزاحم بينهم شديداً ، ولكن العاضد آثر عليهم جميعاً صلاح الدين . يقول صاحب كتاب الروضتين : فأرسل الخليفة العاضد إلى صلاح الدين فأمره بالحضور في قصره ليخلع عليه الوزارة ويوليه بعد عمه .

وقد صرح ابن شداد[1] في كتاب النوادر السلطانية أن صلاح الدين كان منهمكاً بالشهوات عاكفاً على الخمر . وقد ذكر عبارته هكذا : وشكر نعمة الله فتاب عن الخمر وأعرض عن أسباب اللهو أي فعل ذلك بعد توليه الوزارة . وكذلك قال كمال الدين ابن العديم في كتابه زبدة الحلب في تاريخ حلب (الجزء الثاني) : فأرسل العاضد إلى صلاح الدين واحضره عنده وولاه الوزارة بعد عمه وخلع عليه ولقبه بالملك الناصر فاستتبت احواله وبذل المال وتاب عن شرب الخمر . وإذا كان انصار صلاح الدين قد اعترفوا بأنه كان سكيراً قبل توليه الوزارة ، فالله وحده يعلم ما اذا كان قد تاب أم لا ، فالذي يبدو أنه كان متجاهراً بالسكر قبل توليه الوزارة ثم صار يتستر بعد ذلك[2] .

على أن أسد الدين ومن بعده صلاح الدين كانا مع توليهما الوزارة يعتبران تابعين لنور الدين يقول ابن أبي شامة : وثبت قدم صلاح الدين ورسخ ملكه وهو نائب الملك العادل نور الدين والخطبة لنور الدين في البلاد كلها .

ولما ارسل نور الدين اخوة صلاح الدين إليه إلى مصر وفيهم توران شاه وهو أكبر من صلاح الدين . قال له نور الدين : ان كنت تسير الى مصر وتنظر اخيك أنه يوسف الذي كان يقوم في خدمتك وأنت قاعد فلا تسر فإنك تفسد البلاد واحضر حينئذ واعاقبك بما تستحقه ، وإن كنت تنظر إليه أنه صاحب مصر وقائم فيها مقامي وتخدمه بنفسك كما تخدمني فسر إليه واشدد من ازره[3] وهذا يدل على شدة عناية نور الدين بتثبيت أمر صلاح الدين .

وفي المنشور الذي أرسله الخليفة العاضد إلى صلاح الدين يقول العاضد فيها يقول : « وظهور الخيل مواطنك وظلال الخيام مساكنك ، وفي ظلمات الليل قساطل الجهاد تجلى محاسنك وفي اعقاب نوازله تتلى مناقبك فشمر له عن ساق من القنا وخض فيه بحراً من الظبا واحلل في عقد كلمة الله وثيقات الحبا ، واسل الوهاد بدم العدا . وارفع برؤوسهم الربا ، حتى يأتي الله بالفتح الذي يرجو امير المؤمنين أن يكون مذخوراً لأيامك . . . »[4] .

وهذا يدل على أن العاضد لم يستكن الى الدعة بعد رحيل الفرنج : بل كان يأمل أن يغزوهم في الأرض المحتلة ، وانه كان يعد صلاح الدين لهذه المهمة ، وان قتال الفرنج وتخليص البلاد من حكمهم كان الهدف الوحيد للعاضد ، وأنه

(١) ابن شداد من المؤلفين الذين كتبوا للاشادة بصلاح الدين .

(٢) كذلك ذكر أبو الفداء في تاريخه عكوف صلاح الدين على الخمر ثم توبته .

(٣) الروضتين ج ٢ ص ٤٠٨ .

(٤) نفس المصدر .

في سبيل ذلك لم يبال بأن يولي حتى خصومه حكم البلاد ويعهد اليهم بمعونته على الدفاع عنها ، بالرغم من أن ماضي هؤلاء الخصوم كان معروفا ، وحقدهم على من يخالفهم في الرأي كان صريحاً ، فإن ما فعله نور الدين في حلب كان معروفاً مشهوراً وكان العاضد يعلمه حق العلم بالرغم من ذلك تغلبت وطنية العاضد على عصبيته ، وحرصه على دينه فاق حرصه على مذهبه ، فضرب بذلك اعلى الأمثال لكل الحكام . وقد كان يجب أن يكون هذا الموقف شافعاً له عند من سلمهم البلاد ، ولكن لم يشفع له عندهم شيء .

يقول العماد الأصفهاني عن منشور الخليفة العاضد هذا : « وهذا آخر منشور طويت به تلك الدولة وختمت ، وتبددت عقودها وما انتظمت » .

وبدلاً من ان يكبر العماد هذا المنشور كل الاكبار ويثني عليه كل الثناء لما احتواه من حمية اسلامية وغيرة وطنية ، ولما يدل على ما انطوت عليه نفس العاضد من اخلاص وتفان في سبيل الاسلام . وبدلا من ان يثير هذا المنشور مدح العماد للعاضد اثار شماتته وهكذا يكون اللؤم في ابشع صوره وانكر اشكاله . لا لؤم العماد وحده ، بل لؤم من عاصرهم ومن اتى بعدهم حتى اليوم . ان منشور العاضد هذا صفحة من انضر صفحات تاريخنا ، كان يجب أن تلقن للناشئة في كل عصر لتتعلم منها الاخلاص والتفاني في حب الأوطان كذلك ارسال العاضد شعور نسائه مستنجداً مضحياً .

ولكن . . . ولا نقول أكثر من (ولكن) ونقول للعماد الاصفهاني : انه ليشرف الدولة الفاطمية أن يكون هذا آخر منشور لها .

وما قاله العاضد لصلاح الدين في منشوره كان قد قال مثله لعمه أسد الدين شيركوه حين ولاه الوزارة قبل صلاح الدين ، فقد قال العاضد مخاطباً أسد الدين : . . . واستنهضهم في الجهاد فهذا المضمار وأنت السابق ، وقم في الله تعالى أنت ومن معك فقد رفعت الموانع والعوائق .

ثم يقول :

فاطلب اعداء الله براً وبحراً واجلب عليهم سهلاً ووعراً وقسم بينهم الفتكات قتلاً واسراً وغارة وحصراً .

ثم يقول :

والله سبحانه وتعالى يحقق لأمير المؤمنين فيك افضل المخايل ويفتح على يديك مستغلق البلاد والمعاقل ويصيب بها لك من الأعداء النحور والمقاتل ويأخذ للاسلام بك ما له عند الشرك من الثارات والطوائل .

وللتدليل على ما أولى العاضد من ثقته وتشجيعه وتعضيده لصلاح الدين ننقل عبارة يحيى ابن أبي طي الحلبي في كتابه الذي الفه في سيرة صلاح الدين ، قال : أقبل العاضد على السلطان الملك الناصر[3] واحبه محبة عظيمة ، وبلغ من محبته له أنه كان يدخل إليه القصر راكباً فإذا حصل عنده أقام معه في قصره اليوم والعشرة لا يعلم أين مقره .

وقال أيضاً : . . . « ولما استولى الملك الناصر على الوزارة ومال إليه العاضد ، وحكمه في ماله وبلاده حسده من كان معه بالديار المصرية من الأمراء الشامية » ، ثم أنهم فارقوه وصاروا إلى الشام .

(٣) اي صلاح الدين الذي لقب بهذه الألقاب .

لسنا نحن الذين نروي هذا القول ، بل ان الذي يرويه هو ابن الأثير ، وينقله عنه صاحب الروضتين ولا يرى فيه شيئاً . وهو الذي تكلم من قبل ، وأبدى ما أبدى من القحة واللؤم على البريئين والشرفاء . ويروي ابن العديم في الجزء الثاني من كتابه هذا الأمر بهذا النص : سار الملك الناصر (صلاح الدين) من مصر غازياً فنازل حصن الشوبك وحصره ، فطلبوا الأمان واستمهلوه عشرة أيام فلما سمع نور الدين بذلك سار من دمشق فدخل بلاد الافرنج من الجهة الأخرى ، فقيل للملك الناصر (صلاح الدين) : « إن دخل نور الدين من جانب وأنت من هذا الجانب ملك بلاد الافرنج ، فلا يبقى لك معه بديار مصر مقام ، وان جاء وأنت ها هنا فلا بد من الاجتماع به ويبقى هو المتحكم فيك بما يشاء والمصلحة الرجوع إلى مصر فرحل عن الشوبك إلى مصر وكرر ابن العديم الرواية في مقام آخر قائلاً : واتفق نور الدين وصلاح الدين على أن يصل كل منهما من جهته وتواعدا على يوم معلوم أن يتفقا على قتال الفرنج وأيهما سبق أقام للآخر منتظراً الى أن يقدم عليه فسبق صلاح الدين ووصل الكرك وحصره . وسار نور الدين فوصل الرقيم وبينه وبين الكرك مرحلتان ، فخاف صلاح الدين واتفق رأيه ورأي أهله على العودة إلى مصر لعلمهم بأنهما متى اجتمعا كان نور الدين قادراً على أخذ مصر منه . فعاد إلى مصر . (وكتب إلى نور الدين يعتذر . . . .)

ونعتقد أن هذا الكلام الذي رواه ابن الأثير وابن أبي طي غني عن أي تعليق وأنه مضافاً لما ذكرناه فيما نقدم يضع حداً لأسطورة صلاح الدين الأيوبي . . . .

ولدا أخي صلاح الدين

وأكمالاً لما تقدم ننشر ما يأتي لتعلقه بأسرة صلاح الدين واقرب الناس اليه ، ولدي أخيه العادل :

اصدر الدكتور محمد علي الضناوي كتاباً سماه « قراءة اسلامية في تاريخ لبنان والمنطقة » .

ـ وقد ناقش هذا الكتاب في احدى الصحف ناقد لبناني ، ونقل فيما نقل عنه هذه الجملة : « ان الحملة شملت فيما شملت أيضاً بعض الفرق الاسلامية المنحرفة والتي تعاونت مع الأعداء كالاسماعيليين والنصيرية وبعض الشيعة » . والمقصود بكلمة (الحملة) حملة المماليك .

وقد رددت على هذه الجملة في نفس الصحيفة بكلمة يراها القارىء فيما يلي :

يقول الدكتور ضناوي عن حملة المماليك : « أن الحملة شملت ايضاً بعض الفرق الاسلامية المنحرفة والتي تعاونت أيضاً مع الأعداء كالاسماعيليين والنصيرية وبعض الشيعة » .

لا ندري ما يعني الدكتور بقوله : (بعض الشيعة) ، هل يعني بقوله هذا انهم داخلون في من اسماهم ببعض الفرق الاسلامية المنحرفة ؟ أم هم داخلون فقط في المتعاونين مع الأعداء ؟

نريد أن نفترض حسن النية ونأخذ بالقول الثاني ، لذلك سنكتفي بأن نحدثه بعض الحديث عن المتعاونين مع الأعداء مكتفين من القصص التي عندنا بقصتين فقط :

١ ـ الكامل والأشرف ولدا العادل أخي صلاح الدين الأيوبي ترددت الرسل بينهما وبين الملك الصليبي فريدريك الثاني أمبراطور الألمان ليساعدهما على اقربائهما لقاء ثمن باهظ ، فتمت الصفقة وسلما إليه القدس (نعم القدس) وما حولها ، ومعها الناصرة وبيت لحم وطريقاً يصل بين القدس وعكا وذلك سنة ٦٢٥هـ ١٨ شباط ١٢٢٩م ويصف ابن الأثير وقع هذه الصفقة على المسلمين قائلاً : « وتسلم الفرنج البيت المقدس واستعظم المسلمون ذلك وأكبروه ووجدوا له من الوهن والتألم ما لا يمكن وصفه » .

والكامل والأشرف ـ كما يعلم الدكتور ضناوي ـ ليسا من (بعض الشيعة) .

٢ ـ في السنة ٦٣٨هـ سلم الصالح اسماعيل الأيوبي صاحب دمشق إلى الصليبيين . صيدا وهونين وتبنين والشقيف فيما سلم لهم من البلاد ليساعدوه على ابن أخيه الصالح أيوب صاحب مصر .

وكذلك فإن الصالح اسماعيل ـ كما يعلم الدكتور ضناوي ـ ليس من (بعض الشيعة) .

ونحب هنا أن نذكر موقف (بعض الشيعة) من هذا الحادث ، وهم من أهل جبل عامل ومن أجداد الذين يقارعون اليوم ببطولاتهم قوى الصهاينة . فإن صاحب كتاب (الأعلاق الخطيرة) يسمي منهم (الحاج موسى) و (أحمد الشقيفي) ويقول أن الحاج موسى حين طلب إليه أن يساهم في عملية تسليم قلعة الشقيف ابى ذلك وقال : « والله لا جعلته في صحيفتي » ولكن الملك الأيوبي ظل يضربه حتى قتله ، ثم صادر أمواله .

وبالرغم مما أصاب الحاج موسى فإن الآخرين اصروا على رفض المعاونة على تسليم القلعة وقرروا مقاومة التسليم وتحصنوا في القلعة للدفاع عنها ، وكاتبوا صاحب الكرك لانجادهم ، فجاءتهم منه نجدة لم تغن شيئاً لأن الملك الأيوبي جمع جموعه وخرج من دمشق وحاصرهم بنفسه وضيق عليهم حتى اضطرهم للاستسلام ، فقالوا له : « نحن لا يحل لنا أن نسلمه إلى الافرنج ونحن نسلمه إليك وأنت تفعل فيه ما تختاره » .

فسلمه الصالح اسماعيل إلى الصليبيين .

لو سلم القدس ملك شيعي

اننا نسأل الدكتور ضناوي وغيره ، ماذا كنتم تفعلون لو أن الذي سلم القدس إلى الصليبيين ملك شيعي .

ان فرية افتراها مفتر على ابن العلقمي تكذبها كل نصوص التاريخ الصحيح وتدحضها جميع أقوال المؤرخين الصادقين . ان هذه الفرية الكاذبة اتخذتم منها منذ أكثر من سبعمائة سنة شعاراً لكم لا تزالون ترددونه في كل يوم ، ولا تزال اقلامكم طوال تلك القرون حتى هذا القرن ، وستظل في كل قرن تنضح ببذيء القول ولئيم الكلام وأوضع الشتائم[1] واخزى الفتاوى وتكفي فتاوى ابن تيمية . اننا نسأل ابن تيمية في اشخاص الممثلين له اليوم ، الناشرين لكتبه والمذيعين لفتاواه ، اننا نسأله لماذا لم تقل كلمة واحدة في الملوك الذين سلموا القدس إلى الصليبيين ، أنت الذي ابحت بفتاواك المجرمة دماء

(١) كانت آخر الشتائم ما نشر في احدى المجلات قبل شهرين من تسطير هذه الكلمات .

عشرات الوف المسلمين المؤمنين الأبرياء المتقين ، وبررت للسفاحين الذين سفكوها جزائمهم الشنعاء ، وحرضتهم على أن يسفكوا أمثالها في كل مكان .

اننا نتوجه إليكم جميعاً اينما كنتم واينما ستكونون ، اننا نتوجه إلى اللذين سبقوكم وإلى اللذين سيأتون بعدكم . ماذا كنتم تفعلون لو أن ملكاً شيعياً هو الذي سلم القدس إلى الصليبيين .

الشيعة يدافعون خمس سنين عن طرابلس

والدكتور ضناوي الذي يزعم أن (بعض الشيعة) بين المتعاونين مع الأعداء - وهو لا يستطيع أن يثبت ذلك - ان الدكتور ضناوي وهو يزعم هذا الزعم لا يشير ابداً إلى أن (كل الشيعة) هم الذين دافعوا عن بلدته طرابلس وقاوموا الحملة الصليبية التي غزتها وظلوا يقاومونها خمس سنين ، وانهم حين ضاقت بهم الأمور وتكاثر عليهم الصليبيون أرسلوا وفداً إلى الخلافة في بغداد وإلى السلاجقة فيها يستنجدون الجميع لحماية طرابلس (مدينة الدكتور ضناوي) ولكن لم ينجدهم أحد .

والدكتور محمد علي الضناوي الذي يتحدث في مقاله ، وربما في كتابه أيضاً عن الحضارة الاسلامية التي شملت فيما شملت لبنان ، يعلم أن من أبرز مظاهر تلك الحضارة حضارة (بني عمار) الذين كانت عاصمتهم مدينته طرابلس والتي قيل عنها في عهدهم ، وعهد الحسن بن عمار بالذات « ازدهرت واصبحت مركزاً للحياة الفكرية في بلاد الشام » .

بنو عمار هؤلاء كان لهم في طرابلس اساطيل قيل فيها : « كانت تتنقل في انحاء البحر المتوسط بعيدة إلى الأذهان ذكرى اساطيل الفينيقيين ودورهم التجاري والحضاري في العالم القديم » . هذه الأساطيل الذي تحدث عنها ابن الأثير فقال : « ان حملة ميرة بحرية خرجت من اللاذقية لانجاد الفرنج المحاصرين لطرابلس فأخرج إليها فخر الملك (من بني عمار) اسطولاً فجرى بينه وبين القادمين قتال شديد ظفر فيه اسطول طرابلس بقطعة من اسطول اعدائهم فأخذوها واسروا من فيها » .

وبنو عمار اشتهرت طرابلس في عهدهم بصناعة الورق الذي كان يفوق ورق سمرقند الشهير .

وبنو عمار انشأوا في طرابلس جامعة (دار العلم) ، وكان بين روادها أبو العلاء المعري ، وانشأوا فيها جامعة (دار الحكمة) وانشأوا فيها مكتبتهم الكبرى التي قدر بعض المؤرخين عدد ما كانت تحويه من الكتب بثلاثة ملايين كتاب .

بنو عمار هؤلاء هم الذين دفعوا الصليبيين عن طرابلس خمس سنين ، بماذا تذكرهم طرابلس ؟ انها بخلت عليهم حتى باسم شارع من شوارعها . وحين قيل أن في النية انشاء معهد عال في طرابلس لم يفكر اصحابه بأن يكون اسمه (دار العلم) أو (دار الحكمة) بل جعلوا اسمه (دار المنار) ، لأن في الاسمين الأولين إحياء لذكرى بني عمار ! .

والأستاذ رضوان مولوي ابن طرابلس عز عليه منذ سنين وهو يكتب في مجلة « السياحة » عن طرابلس ، عز عليه أن ينسب المكتبة الكبرى الى بني عمار فقال : « يقال أن آل عمار الشيعة هم الذين أسسوها » .

وباستثناء ابن طرابلس البار الدكتور عمر تدمري الذي نقب ودرس حتى كتب تاريخاً لمكتبة طرابلس العظيمة ، باستثناء الدكتور عمر تدمري تتجاهل مدينة طرابلس بني عمار ، ان لم نقل تتنكر لهم ! .

وهذا المنشور هنا كان رداً على ما ورد في بعض المجلات :

ليت الدكتور حسين مؤنس كان أكثر تثبتاً وأقل عصبية في مقاله عن العدوان الصليبي ، فالبحوث التاريخية لا تعالج بمثل هذه الروح والاتهامات لا تلقى هكذا إلقاء اعتباطياً .

يقول الدكتور : كان الفاطميون يرحبون بهذا الغزو الأجنبي ، يقول ذلك وهو يعلم أن هذا الغزو إنما كان يستهدف أول ما يستهدف إزالة ملك الفاطميين والقضاء على سلطانهم فيما يحكمونه من بلاد !! . ، ولا نرد عليه نحن بل لنترك لابن القلانسي صاحب ذيل تاريخ دمشق أن يرد عليه بفقرات نأخذها بدون تتبع ولا استقصاء بل كيفما اتفق من صفحات تقع عليها عينانا مصادفة :

يقول ابن القلانسي في الصفحة ١٤٠ من طبعة سنة ١٩٠٨ : في هذه السنة « ٤٩٤ » خرج من مصر عسكر كثيف مع الأمير سعد الدولة المعروف بالقوامسي ووصل إلى عسقلان لجهاد الافرنج إلى أن يقول : ونهض إليه من الافرنج الف فارس وعشرة آلاف راجل . ثم يفصل المؤرخ المعركة التي استشهد فيها القائد الفاطمي ثم يختم كلامه بهذه الفقرة : وعاد المسلمون على الافرنج وتذامروا عليهم وبذلوا النفس في الكرة إليهم فهزموهم إلى يافا . . . » إلى آخر ما قال .

ويقول في الصفحة ١٤١ وفي هذه السنة « ٤٩٥ » خرجت العساكر المصرية من مصر لانجاد ولاة الساحل من الثغور الباقية في أيديهم منها على منازلهم عن أحزاب الفرنج . (وانتهت هذه الحملة بالنصر الفاطمي أيضاً) .

ويقول في الصفحة ١٤٢ وهو يتكلم عن سنة ٤٩٦ : في أول رمضان خرجت العساكر المصرية من مصر إلى البر والأصطول في البحر مع شرف ولد الأفضل . إلى أن يقول : وتفرق الأصطول والعساكر إلى الساحل وكانت الأسعار بها قد ارتفعت والأقوات قد قلت فصلحت بما وصل مع الأصطول من الغلة ورخص الأسعار إلى آخر ما قال .

ويمضي ابن القلانسي في ذكر هذا وأشباهه في معظم الصفحات إلى أن يصل إلى سنة « ٥٠١ » فيقول : وفي هذه السنة نهض بغدوين في عسكره المخذول من الأفرنج نحو ثغر صيدا فنزل عليه في البحر والبر ونصب البرج الخشب ووصل الأصطول المصري للدفع عنه والحماية له فظهروا على مراكب الجنوية وعسكر البر . . .

وفي أحداث سنة ٥٠٢ يصف حصار الفرنج لطرابلس وسير الأصطول الفاطمي لانجادها فيقول : فأيقنوا (أهل طرابلس) بالهلاك وذلت نفوسهم لاشتمال اليأس من تأخر وصول الأصطول المصري في البحر والبر والنجدة وقد كانت غلة الأصطول أزيحت وسير الريح ترده لما يريد الله تعالى من نفاذ الأمر المقضي . إلى آخر ما قال .

وإذا كان القدر أقوى من قوة الفاطميين الذين ردت الريح أسطولهم فلم يستطع الوصول في الوقت المناسب لانجاد طرابلس .

وإذا كان القدر أعتا من كل حماسة واخلاص ونضال فتغلب الفرنج على قوى الفاطميين كما تغلبوا على قوى السلجوقيين ، فالفاطميون عند الدكتور

حسين مؤنس مسؤولون عن قوة القدر وعن عتوه . وغيرهم غير مسؤول .

وفي أحداث سنة ٥١٧ يقول ابن القلانسي : وفيها ورد الخبر بأن أصطول مصرلقي أسطول البنادقة في البحر فتحاربا فظفر به أسطول البنادقة وأخذ منه عدة قطع .

كيف ينهزم الأصطول الفاطمي ؟ هذه مسؤولية الفاطميين !.

وتظل الحروب سجالاً ويظل الفاطميون على سلاحهم يلاحقون الفرنج في البر والبحر حتى تأتي سنة ٥٤٦ فيقول ابن القلانسي :

وفي هذه الأيام ورد الخبر بوصول الأصطول المصري إلى ثغور الساحل في غاية من القوة وكثرة العُدّة والعِدّة وذكر أن عدة مراكبه سبعون مركباً حربية مشحونة بالرجال . ولم يخرج مثله في السنين الخالية وقد أنفق عليه قرب ثلثمائة الف دينار وقرب من يافا من ثغور الافرنج فقتلوا وأسروا وأحرقوا ما ظفروا به واستولى على عدة وافرة من مراكب الروم والافرنج ثم قصدوا ثغر عكا وفعلوا فيه مثل ذلك وحصل في أيديهم عدة وافرة من المراكب الحربية الافرنجية وقتلوا من الحجاج وغيرهم خلقاً عظيماً وانفذوا ما أمكن إلى ناحية مصر وقصدوا ثغر صيدا وبيروت وطرابلس وفعلوا فيها مثل ذلك إلى آخر ما قال .

هذه شذرات قليلة من كثير مأخوذة من كتاب واحد ومن صفحات محدودة تشير إلى بعض جهاد الدولة التي يقول عنها الدكتور حسين مؤنس أنها رحبت بهذا الغزو الأجنبي . ثم لا يتورع عن القول عنها أنها كانت بلاء على الإسلام والمسلمين . ولعل من هذا البلاء أنها أورثتنا القاهرة والأزهر .

والدكتور حسين الذي لم يستطع إلا أن يعترف في مقاله بأن صلاح الدين الأيوبي قد عقد اتفاق هدنة مع الصليبيين سلمهم بسببه سلماً بلا قتال ، الساحل الممتد من صور إلى حيفا .

الدكتور حسين مؤنس الذي اعترف بذلك ، لم يجد فيه مأخذاً !!! فليت عفوه وتسامحه اللذين شملا هذه المهادنة وهذا التسليم ، قد شملا ما ادعاه زوراً على غير صلاح الدين من مثل ذلك .

ونزيد الدكتور مؤنس أن صلاح الدين لم يسلم الصليبيين الساحل فقط ، بل سلمهم أيضاً قسماً من الداخل بما فيه نصف اللد ونصف الرملة وغير ذلك . سلمهم هذا وهو المنتصر في وقعة حطين ! . . .

ونزيد الدكتور أيضاً أن صلاح الدين رفض ما عرضه عليه الخليفة الناصر بأن يمده بجيوش العراق ليواصل قتال الصليبيين والقضاء عليهم في فلسطين كلها ، لقد رفض ذلك وآثر الهدنة والتسليم . وإذا كان الدكتور مؤنس وغير الدكتور مؤنس في شك من ذلك فليرجع إلى ما كتبه عماد الدين الأصفهاني صاحب كتاب الفتح القسي في الفتح القدسي والذي كان بمثابة سكرتير شخصي لصلاح الدين وشهد كل هذه الأحداث بنفسه .

ونزيد الدكتور أيضاً وأيضاً بأن نور الدين أراد قبل ذلك الزحف على الصليبيين من الشام وطلب من صلاح الدين الزحف عليهم من مصر ولكن صلاح الدين رفض ذلك وتمرد على متبوعه نور الدين . أما لماذا فعل ذلك فان ابن الأثير يكفينا الجواب ، يقول ابن الأثير : وكان المانع لصلاح الدين من غزو الإفرنج الخوف من نور الدين ، فانه كان يعتقد ان نور الدين متى زال عن طريقه الافرنج أخذ البلاد منه فكان يحتمي بهم عليه ولا يؤثر استئصالهم ، وكان نور الدين لا يرى إلا الجد في غزوهم بجهده وطاقته ، فلما رأى إخلال صلاح الدين بالغزو وعلم غرضه تجهز للمسير إليه فأتاه أمر الله الذي لا يرد .

فليت عفو الدكتور حسين مؤنس وتسامحه اللذين شملا كل هذا شملا أيضاً وهماً علق في ذهنه .

ولو كان الدكتور مؤنس أكثر تثبتاً وأقل عصبية لما كان قال : (كان أصحاب السلطان هناك (في القدس) رجال الفاطميين انسحبت قواتهم دون قتال إلى عسقلان) .

وكذلك فنحن هنا لا نرد عليه بأنفسنا ونترك للأستاذ حسن حبشي صاحب كتاب الحروب الصليبية ولكل المؤرخين أن يردوا عليه . قال الأستاذ حبشي مستنداً إلى ابن الأثير وغير ابن الأثير من مؤرخي العرب والفرنج : (فوجىء افتخار الدولة - حاكم مصر على القدس - بمقدم هذه الجموع اللجبة وأدرك ضعفه عن مقاومتها فعمد إلى تسميم الآبار وطم القنوات وأخرج النصارى من المدينة وعهد بحراسة الأسواق إلى جماعة من العرب والسودان) .

وقلة التثبت وكثرة العصبية تجعل الدكتور مؤنس يسمي الفاطميين باسمهم حين يحسب أنه وجد موطن ضعف . أما غير الفاطميين فلا يذكرهم أصلاً بل يمر بهم مسرعاً مجملاً الكلام : كما في قوله : في نفس المقال : (بهذا ويدون مقاومة من أهل الدول التي كانت قائمة إذ ذاك وجنودها الكثيرين وضع الصليبيون قدماً ثابته في أرض الشام) فاذا صح هذا فلماذا هذه العناية بذكر الفاطميين وتخصيصهم وحدهم ما دامت الدول القائمة كلها وجنودها الكثيرون لم يقاوموا باعتراف الدكتور المؤرخ ؟!

جواب الدكتور مؤنس :

كان كل ما أجاب به الدكتور مؤنس على ردنا عليه أن استشهد بقول لكاتب أوروبي .

وكنا قد قرأنا من قبل للدكتور مؤنس مقالاً في المجلة نفسها ينعي فيه على من يستندون فيما يكتبون عن تاريخ العرب والمسلمين على كتّاب أوروبيين ، جاءت فيه هذه الجملة في معرض الإنكار والتأنيب : « . . . كلام ينقلونه من كتب أوروبية وننقل عنهم دون تفكير أو احساس !! . . » .

صدق الدكتور مؤنس . . . « ننقل عنهم دون تفكير أو إحساس ! » والدكتور يقول في هذا المقال مدافعاً عن المسلمين المنهزمين امام المغول : « . . . فإذا كان المغول قد انتصروا عليهم فلهم عذرهم » .

للمنهزمين امام القوى المغولية الطاغية عذرهم ، لانهم غير فاطميين ، اما المنهزمون امام القوى الصليبية الجارفة فلا عذر لهم ، لانهم فاطميون !!!

واليك نص ما أجاب به الدكتور مؤنس على ردّنا عليه :

« ينكر السيد حسن الامين ما ذهبت اليه من اتجاه الفاطميين الى التعاون مع الصليبيين أول ما نزلوا ارض الشام » .

ونعلق نحن على هذه الفقرة من رد الدكتور مؤنس بما يلي :

١ - لقد تراجع عن اتهامه السابق بعد ان قرأ ردنا عليه وما واجهناه به من حجج دامغة . فبعد أن كان في مقاله السابق يتهم الفاطميين اتهاماً صريحاً

بالتعاون مع الصليبيين اصبح الآن يسمي ذلك : (اتجاه الفاطميين الى التعاون) .

٢ ـ ان دولة الفاطميين استمرت اكثر من مئتين وخمسين سنة ، فان صح ـ وليس ذلك بصحيح ـ نقول : إن صح أن واحداً من رجالها قد تعاون مع الصليبيين ، فقد كان على الدكتور مؤنس ان يسمي ذلك الرجل باسمه ، لا ان يقول (الفاطميون) .

ثم يسترسل الدكتور مؤنس في القول : ذاكراً ما خلاصته انه عندما دخل الصليبيون أرض الشام وبدأوا حصار انطاكية ، توهم رجال الدولة الفاطمية ان أولئك الصليبيين إن هم إلا جند مرتزقة أرسلهم امبراطور الدولة البيزنطية لكي يعاونوه على السلاجقة وان الافضل وزير المستعلي ارسل اليهم سفارة ثم عادت هذه السفارة بدون نتيجة .

ثم يعترف الدكتور مؤنس بانه لم يجد هذا القول في أي مصدر عربي وان مصدره الوحيد في ذلك مصدر أوربي .

ونرد على قوله هذا بما يلي:

١ ـ بفرض اصحة كل ذلك ـ وهو كما قلنا غير صحيح ـ نقول بفرض صحته فهو يعترف بان رجال الدولة الفاطمية لم يكونوا يعرفون بان هناك غزواً صليبياً يستهدف البلاد وانهم ظنوا بان القادمين جند مرتزقة . ومن الطبيعي في هذه الحال ان ترسل الدولة من يستطلع حال هؤلاء المرتزقة القادمين ويكلمهم ليعلم مقاصدهم .

ثم انه يعترف بان الذين ذهبوا للقاء هؤلاء المرتزقة عادوا دون ان يكون للقائهم معهم أية نتيجة ، وان اي اتفاق معهم لم يحصل ، وان الدولة الفاطمية قد قاومت زحفهم وقاتلتهم وصمدت لهم ما استطاعت الصمود ، ولكنهم كانوا اقوى منها ، وكما انتصر المغول على المسلمين (غير الفاطميين) لانهم اقوى منهم ـ باعتراف الدكتور مؤنس نفسه ـ كذلك انتصر الصليبيون على المسلمين (الفاطميين) لأنهم اقوى منهم . ولكن بما ان الأولين (غير فاطميين) فان لهم عذرهم في هزيمتهم ، وبما ان الآخرين (فاطميون) فليس لهم عذرهم في ذلك ! . هذا هو منطق الدكتور حسين مؤنس ومنطق غيره من امثاله أيضاً . . .

٢ ـ إنا نرد على الدكتور مؤنس في استشهاده على مزاعمه باقوال الكتّاب الغربيين بما رد به هو نفسه على من يستشهدون بهم حين يبحثون شؤون التاريخ الاسلامي حين قال ـ كما ذكرنا من قبل ـ : (. . . كلام ينقلونه من كتب أوروبية . . . وننقل عنهم دون تفكير أو إحساس » .

. . . والفاطميون أيضاً :

نشرتم في العدد الأخير من مجلة « السياحة » مقالاً عن كتاب « صيدا في العصر الإسلامي » لمؤلفه الدكتور سيد عبد العزيز سالم كله ثناء على الكتاب في حين أنه مليء بالمغالطات التاريخية والافتراءات المدسوسة .

فالروح التي كتب بها الكتاب بعيدة عن الروح العلمية التي يفترض أن يتحلى بها من يتصدى لكتابة التاريخ لا سيما إذا كان قد وضع نفسه موضع الأستاذ الجامعي الموجه . هذا فضلاً عمّا فيه من أغلاط تاريخية هي في واقعها جهل لأبسط أحداث التاريخ .

لقد جعل المؤلف همّه النيل من الدولة الفاطمية وكانت هذه هي غايته الأولى في الكتاب . فهو مثلاً يتحدى الحقيقة ويتجرأ على الحق فيما يرويه من أحداث وذلك من أجل الوصول إلى هدفه التخريبي . فهو مثلاً يزعم أن الدولة الفاطمية هي مسؤولة عن احتلال الصليبيين لصيدا . وهو في هذا القول إما جاهل وإما منحرف عن الحق والحقيقة .

ويبلغ الدكتور ذروة التعصب الأعمى حين يميز بين الأسطول المصري والأسطول الفاطمي ، فهو حين يضطر لأن يشير إلى كفاح الأسطول الفاطمي يسميه الأسطول المصري ، وحين يظن أنه وجد مغمزاً في هذا الأسطول ، يعود عند ذلك فيسميه أسطولاً فاطمياً ، وفي ذلك العهد هل كان هناك أسطولان لمصر أحدهما مصري والآخر فاطمي ؟؟

وقد ردّ الدكتور سالم على ردنا فاجبناه بما يلي :

١ ـ يقول الدكتور سالم أنه لم يسع قط إلى النيل من الفاطميين إلى آخر ما قال :

ونحن نسأله ألم يقل في الصفحة ٩٧ من كتابه هذا القول : « . . . السلطات الفاطمية في مصر قد أسهمت في ضياع مدن الساحل السوري كله . . . » .

وإذا لم يكن هذا القول الظالم المخالف لأبسط حقائق التاريخ نيلاً من الفاطميين فكيف يكون النيل منهم ؟ . .

يقتل قائد أسطول الفاطميين وهو يقاتل دفاعاً عن الساحل السوري . ويخوض هذا الأسطول أعنف المعارك وأشدها لحماية هذا الساحل ، ويمد الثغور المحصورة بالاقوات والسلاح لتصمد وتقاتل . ومع ذلك فهو مسهم في ضياع هذا الساحل ؟ . ومع ذلك فالدكتور سالم يقول : انه لم يسع للنيل من الفاطميين .

٢ ـ يقول الدكتور أنه لم يفرق بين أسطول مصري وأسطول فاطمي وانه اعتبرهما شيئاً واحداً ، وأنه خلاف ما نزعم نحن ، لم يذكر الاسطول المصري في وقت انتصاراته والأسطول الفاطمي عندما يجد مغمزاً فيه .

قد لا يكون الدكتور سالم قد تعمد ذلك ، ولكن هذا ما جاء في كتابه فهو في بحث واحد وفي سطور متتابعة صفحة ٩٦ ـ ٩٧ يقول مثلاً عن صيدا أنه لحسن حظها وصل الأسطول المصري في تلك الآونة للذب عنها ومدافعة الصليبيين .

وفي نفس الصفحة يتحدث عن اضطرار هذا الأسطول للتأخر في الوصول لإنجاد طرابلس فيسميه : « السفن الفاطمية » . . . ثم يكمل الحديث في الصفحة التالية وكيف وصل الأسطول متأخراً فيسميه الأسطول الفاطمي .

وعن طلائع بن رزيك قالوا :

نقل العماد عن خطبة ديوان المترجم: «فقد نشرت أيامه مطوي الهمم، وأنشرت رفات الجود والكرم، ونفقت بدولته سوق الآداب بعدما كسدت، وهبت ريح الفضل بعدما ركدت. إذا لها الملوك بالقيان والمعازف كان لهوه بالعلوم والمعارف، وإن عمروا أوقاتهم بالخمر والقمر كانت أوقاته معمورة بالنهي والأمر[1].

(١) الخريدة ورقة ٣٢ ب.

ويقول عنه الدكتور محمد كامل حسين في كتابه (من أدب مصر الفاطمية) :

«ومن عجب أن يجتمع في بلاطه أكبر أعيان أهل الأدب مثل : الجليس والموفق بن الخلال وابن قادوس والمهذب بن الزبير والرشيد بن الزبير وغيرهم الذين وصفهم عمارة اليمني بقوله : وما من هذه الحلبة أحد إلا ويضرب في الفضائل النفسانية والرياسة الإنسانية بأوفر نصيب، وما زلت أحذو على طرائفهم وأعرض جذعي في سوابقهم حتى أثبتوني في جرائدهم.

فهؤلاء الأعلام كانوا يجتمعون في مجلس الملك الصالح طلائع بن رزيك يتناشدون الشعر ويتناظرون في بعض المسائل العلمية والأدبية ويستمعون إلى شعره».

ويقول المقريزي: أن له قصيدة سماها الجوهرة في الرد على القدرية، وأنه صنف كتاباً سماه (الإعتماد في الرد على أهل العناد) جمع له الفقهاء وناظرهم عليه، وهو كتاب يبحث في إمامة علي بن أبي طالب والأحاديث النبوية التي وردت فيه.

ظالم بن عمرو ابو الأسود الدؤلي

مرت ترجمته في الصفحة ٤٠٣ من المجلد السابع ونزيد عليها هنا ما يأتي :

قال الدكتور عبد المجيد زراقط :

كان أبو الأسود الدؤلي « من وجوه التابعين وفقهائهم ومحدثيهم وهو كان الأصل في بناء النحو وعقد أصوله »[١] . وعنه يقول الجاحظ : « أبو الأسود الدؤلي معدود في طبقات من الناس، وهو في كلها مقدم، مأثور عنه الفضل في جميعها ، كان معدوداً في التابعين والفقهاء والشعراء والمحدثين والأشراف والفرسان والأمراء الدهاة والنحويين والحاضري الجواب والبخل والصلع الأشراف والبخر الأشراف »[٢] . ونرى في أبي الأسود أيضاً صفات تدعو إلى الإكبار والإجلال . يتعلق بالله عن عميق إيمان :

وإذا طلبت من الحوائج حاجة ... فادع الإله واحسن الأعمالا
فليعطينك ما تشاء بقدرة ... فهو اللطيف لما أراد فعالا
إن العباد وشأنهم وأمورهم ... بيد الإله يقلب الأحوالا
فدع العباد ولا تكن بطلابهم ... لهجاً تضعضع للعباد سؤالا[٣]

هذا الترفع ينتج عن إيمان وعن اعزاز للنفس يتدبره عقل واع ، فهو حين شاخ لم يكن يقعد في البيت وإنما كان يخرج كي يبقى مهاباً محترماً في منزله وكي يبقى على صلة بالحياة . وما كان يرضى الهبة ، قال يوماً لصديق أراده أن يهبه فروة :

بعني نسيب ولا تشبني إنني ... لا أستثيب ولا أثيب الواثبا

ولم يكن ميسور الحال باستمرار[٤] ، ولعل هذا ما يفسر اتهام الناس إياه بالبخل ، والحقيقة أنه كان مقتصداً يتدبر أمره مما يدره عليه رزق كان له ، إذ يتحدث عنه صاحب الأغاني كمقتني إبل يساوم في أثمانها . والملاحظ أن أبا الأسود لم يحترف الشعر ولم يمدح لأجل أن يُعطى ، كما أنه لم يهج برغم أن له من الأجوبة اللاذعة ما يسجل ، وبرغم ما يقول عن لسانه :

فإن لساني ليس أهون وقعة ... وأصغر آثاراً من النحت بالفاس

وإن تعرض لأحد بهجاء ، فإنَّ ما يقوله مقبول لدرجة أن المهجو يتمثل به . قال أبو الأسود للحصين ، في نهاية أبيات عرض فيها رفض الأخير شفاعته :

يصيب وما يدري ويخطي وما يدري ... وكيف يكون النوك إلّا كذلكا

وكان الحصين يتمثل بهذا الشعر عندما يقضي بين الناس[٥] .

الحق أنه من النادر أن نلتقي بشاعر في العصر الأموي وفي العراق هذه صفاته . ولنقرأ هذا الشعر قاله لصديق له ، كان قد حكم عليه بالحق :

ولا تدعني للجور واصبر على التي ... بها كنت أقضي للبعيد على أبي
وإني امرؤ أخشى إلهي وأتقي ... معادي وقد جربت ما لم تجرّب

هذا هو أبو الأسود الإنسان ، رجل مؤمن تقي عالم ، يتدبر أموره بعقل وروية ، ويترفع بنفسه عن كل ما يؤذيها . وكان هكذا في شعره ، لم يتكسب به ، ولم يتسلط به أيضاً برغم أنه كان محتاجاً لدرجة أن يُكسى ثوباً أو ليُسدد عنه دين وبرغم أن لسانه ما كان كليلاً إنه طراز من الشعراء نادر وإن لم يُعرف ، في المقام الأول ، كشاعر .

ما كان أبو الأسود يمدح وما كان يهجو ، وهذه مواضيع في الشعر العربي رئيسية حتى أنها كانت تحدد منزلة الشاعر ، وهذا ما لم يأبه له . ولو كان محباً للمال ، كما يقولون ، لاهتم باستغلال شعره . وما كان ليفعل ، وهو الإنسان العالم الذي كان العقل رائده في مجمل تصرفاته ، إضافة إلى أنه كان يسترشد الإله وحده في سلوكه .

إذاً فيم كان يقول الشعر ؟ الواقع أن اطلاعاً سريعاً على شعر أبي الأسود يفيد أنه كان ينظم الشعر في الأمور اليومية التي كانت تعرض له ؛ وهذا أمر جديد على الشعراء ، وفي تأييد مذهبه .

كان يتناول ، في شعره ، أمور حياته ، حتى الصغيرة جداً منها . أراد جاره خداعه في شراء ناقة منه ، فقال له : بئست الخلتان فيك : الحرص والخداع وأنشد[٦] :

يريد وثاق ناقتي ويعيبها ... يخادعني عنها وثاق بن جابر
فقلت : تعلم يا وثاق بأنها ... عليك حمى أخرى الليالي الغوابر
بصرت بها كوماء حوساء جلدة ... من الموليات الهام حدّ الظواهر
فحاولت خدعي والظنون كواذب ... وكم طامع في خدعتي غير ظافر

ولم يكن تناوله لهذه الامور العادية عادياً ، بل كان تناول الإنسان المفكر المتبصر الذي يصل ، من خلال معالجة القضية اليومية ، إلى تعميم يهم الناس جميعاً . كان يعرض القضيّة ويستوفي تفصيلاتها ثم ينتهي بحكم عام يصح أن يتخذ حكمة أو مثلاً :

بلغه أن زياداً يوقع به ، فقال فيه كثيراً . ومما قاله هذه الأبيات[٧] :

نبّئت زياداً ظل يشتمني ... والقول يكتب عند الله والعمل

(١) الأغاني ، ١٢ /٢٩٧ .
(٢) المصدر نفسه ، ١٢/ ٣٠٠ .
(٣) المصدر نفسه ، ١٢/ ٣٠١
(٤) المصدر نفسه ، ١٢ /٣٢١ و٣٣١ .
(٥) المصدر نفسه ، ١٢/ ٣٠٧ النوك : الحمق .
(٦) المصدر نفسه ، ١٢/ ٣١٥ .
(٧) المصدر نفسه ، ١٢/ ٣١٢ .

وقـد لـقيـت زيـاداً ثـم قـلت لـه   وقبـل ذلـك مـنا خبّت بـه الـرسـل
حـتى م تسرقـني في كـل مجـمـعـة   عـرضي ، وأنت إذا ما شئت منتفـل
كـل امـرىء صـائـر يـومـاً لشيمتـه   في كـل منـزلـة يبلى بهـا الـرجـل

أبو الأسود ، في هـذه الأبيات ، إنسـان مؤمن بالله ، يستـوحي تعاليمـه في سلوكه وفهمه للأسور ، وينظر بعقل لما يجري معه ، فيخلص إلى حكمة إنسانية عامة تتحول بالقضية الصغيرة الفردية إلى قضية كبيرة عامة .

ويقـول ابن طي .

ـ « خطب أبو الأسود إمرأة من عبد القيس يقال لها أسماء ، فأسر أمرها إلى صديق ، فحدث به ابن عم لها كان يخطبها ـ وكان لها مال عند أهلها ـ فمشى ابن عمهـا الخاطب لهـا إلى أهلها الـذين مالهـا عندهم ، فـأخبـرهم خبـر أبي الأسود ، وسألهم أن يمنعوها من نكاحه ومن مالها الذي في أيديهم ففعلوا ذلك ، فضاروها حتى تزوجت بابن عمها ، فقال أبو الأسود الدؤلي[١]

لعمري لقد أفشيت يـوماً فخـانني   إلى بعض من لم أخش سرّاً ممّنعاً
فمـزّقه مـزق العمى وهـو غـافـل   ونـادى بمـا أخفيت منه فـأسمعـا
فقلت ولم أفحش لعـلك عـاثـر   وقد يعثر الساعي إذا كان مسرعا
ولست بجـازيـك المـلامـة إنني   أرى العفـو أدنى للرشاد وأوسعـا
ولكن تـعلم أنـه عـهـد بيننـا   فبن غـير مـذموم ولكن مـودعـا
حـديث أضعناه كـلانـا فـلا أرى   وأنت نجيـاً آخـر الـدهـر أجمعـا
وكنت اذا ضيّعت سـرّك لم تجـد   سـواك لـه إلاّ أشت وأضيعـا »

ويتنـاول القضية ذاتهـا مشبهاً إذاعـة السرّ بالنـار الموقـدة عاليـاً مكثفاً من حكمه :

« أمنت أمرأ في السرّ لم يك حازماً   ولكنـه في النصح غـير مـريب
أذاع بـه في النـاس حتى كـأنـه   بـعليـاء نـار أوقـدت بـثقـوب
فما كل ذي نصح يؤتيك نصحه   ومـا كـل مؤت نصحـه بلبيب
ولكن إذا ما استجمعا عنـد واحد   فحق لـه من طـاعـة بنصيب »

وأحياناً يأتي تناوله للقضية مركزاً في موقف ، ومنذ البداية . وذلك عندما تكون القضيّة عنده بالغة الشأن : حكم على صديقه ، فقال له : والله ما بارك الله لي في صداقتك ، ولا نفعني بعلمك وفقهك . . . فقال أبو الأسود :[٢]

إذا كنت مظلوماً فـلا تلف راضياً   عن القوم حتى تأخذ النصف واغضب

أرادت ابنته نهيه عن الذهاب إلى فارس فقال :[١]

إذا كنت معنيـاً بـأمـر تـريـده   فـما للمضـاء والتوكـل من مثـل
تـوكـل وحمـل أمـرك الله إن مـا   تراد به آتيك فاقنـع بذي الفضـل

لـزم ابنه منـزله قـائـلاً : « إن كـان لي رزق فسيـأتيني » ، فقـال لـه أبـو الأسود :[٢]

وما طلب المعيشة بـالتمـني   ولـكـن ألـق دلـوك في الـدّلاء
تجئـك بملئهـا يـومـاً ويـومـاً   تجئـك بحـمـأة وقـليـل مـاء

وهذا الموقف من أبي الأسود يتناسب ونظره العقلي إلى الأمور . ولعل « وما طلب المعيشة بالتمني . . . » يذكر بـ « وما نيل المطالب بالتمني » لشوقي . وأبو الأسود ، في الشطر الثاني ، دعا إلى الصراع ولكن على شكل صورة منتزعة من الحياة اليومية في حين أطلق شوقي « ولكن تؤخذ الدنيا غلابا » الحكم . وأحياناً كان يتناول القضيّة بطريقة سردية مشوقة ينتهي بتساؤل هـو أقرب إلى التـأكيد وكأنه يريد مشاركة الآخرين في إطلاق الحكم .

خدعته[٣] امرأة فتزوجها وكانت على عكس ما ادّعت ، فجمع أقاربها وقال لهم :

أريـت أمـرأ كـنـت لم أبـلـه   أتـاني فـقـال اتخـذني خـليـلا
فـخـالـلتـه ثـم أكـرمـتـه   فلم استفـد من لـدنـه فـتيـلا
وألـفـيـتـه حـين جـرّبـتـه   كـذوب الحـديث سـروقـا بخيـلا
فـذكـرتـه ثـم عـاتـبـتـه   عـتـابـا رفيـقـا وقـولا جميـلا
فـألـفيـتـه غـير مستـعـتـب   ولا ذاكـر الله إلاّ قـليـلا
ألـست حـقيـقـا بتـوديـعـه   واتباع ذلك صرمـا طـويـلا ؟

بـلى أنت حقيق بـذلـك ! وحقيق أيضاً بمـزيـد من الانتبـاه ، لهذه النظرات العقلية إلى شؤون الحياة ، وهي ، وان كـانت عقلية ، تنبض بـالحياة لأنها منتزعة منها . فهي حوادث معيشة تُعمم وتجرّد ، دون أن تكتسب بـرودة التجريد ودون أن تفقد حرارة الحياة ،وهذا ما يميّز الجديد الأصيل في الشعـر العربي عن الجديد المفتعل الذي أتى في عصور لاحقة . وهذا ما يجعلنا نقول : إن أبا الأسود أتى بجديد مهم جدير بالدرس المفصل .

وأبـو الأسـود تلميـذ الإمـام عـلي في علمـه وسلوكـه ، وهـو من الـذين استوعبوا الاتجاه الاسلامي للإمام ، وكان من الأوفياء له وبقي كذلك حتى آخر حياته . وهو ، في شعره ، يصدر عن هذا الوفاء النابع عن إيمان بالله واقتناع بأن المذهب الشيعي إنما يمثل الاتجاه الاسلامي الصحيح . « كان بنو قشير يؤذون أبا الأسود لحبه علياً عليه السلام ويرمونه بالليل فإذا أصبح قال لهم : يا بني قشير ، أيّ جوار هذا ؟ فيقولون له : لم نرمك ، إنما رماك الله لسوء مذهبك وقبح دينك ! فقال في ذلك :

يـقـول الأرذلـون بـنـو قـشـير   طـوال الـدهـر لا تنسى عليـاً !
فقلت لهم وكيف يكـون تـركي   من الأعـمـال مفـروضـاً عليـا ؟
أحـب محـمداً حبـاً شـديـداً   وعـبـاسـا وحمـزة والـوصيـا
هـوى أعطيتـه لمـا استـدارت   رحى الإسـلام لم يعـدل سـويـا
أحـبـهـم لحـب الله حـتى   أجيء إذا بعثت عـلى هـويـا
رأيـت الله خـالـق كـل شيء   هـداهم واجتبى منهم نـبيّـا[١]

الشاعر ، في هذه القطعة ، يبين لنـا مذهبـه ويبرر اختيـاره . وهي نظرة عقلية هذه التي أطل بها . يرى حبهم واجباً ومنذ استدارت رحى الإسـلام ،

(١) المصدر نفسه ، ١٢/٣٠٥ .
(٢) المصدر نفسه ، ١٢/٣٠٦ .
(١) المصدر نفسه ، ١٢/٣٠٨ .
(٢) المصدر نفسه ، ١٢/٣٣٠ .
(٣) المصدر نفسه ،١٢/٣١٠ .
(١) المصدر نفسه ١٢/٣٢١ .

وهو يحبهم انطلاقاً من حبه لله الذي اصطفاهم واختار منهم نبيّه . والشاعر لم يكن متخذاً موقفه لهذا السبب وحده وإنما لأسباب تتضح في هذه القطعة ، كما يتضح فيها موقفه إزاء استشهاد الإمام الذي لم يصبه باليأس ولا بالارتماء في أحضان الحزن وإنما بالدعوة إلى استئناف العمل بقيادة : « ابن نبيّنا وأخينا . . »[1]

ألا أبلغ معاوية بن حرب ... فلا قرت عيون الشامتينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا ... بخير الناس طرّا أجمعينا
وكنا قبل مقتله بخير ... نرى مولى رسول الله فينا
يقيم الدين لا يرتاب فيه ... ويقضي بالفرائض مستبينا
فلا تشمت معاوية بن حرب ... فإن بقية الخلفاء فينا
وأجمعنا الامارة عن تراض ... إلى ابن نبينا وإلى أخينا

ينطلق الشاعر من المبدأين الأساسيين للشيعة واللذين ذكرناهما قبلا وهما : القرابة من النبي والنهج في الحكم المبني على العدل وإقامة الحدود . في وقوفه إلى جانب آل البيت :

سأجعل نفسي لهم جنة ... فلا تكثري لي من اللائمه
أرجي بذلك حوض الرسول ... والفوز بالنعمة الدائمه
لتهلك إن هلكت برّة ... وتخلص إن خلصت غانمه

وهو يتخذ موقفاً له دلالته البالغة على التزامه الكامل لمذهبه . « قال الحارث بن خليد (وكان في شرف من العطاء) لأبي الأسود : ما يمنعك من طلب الديوان فإن فيه غنى وخيراً ؟ فقال له أبو الأسود : قد أغناني الله عنه بالقناعة والتجمل ! فقال : كلا ولكنك تتركه إقامة على محبة ابن أبي طالب وبغض هؤلاء القوم » .

ظالم بن شراق

في رجال ابن داود : يكنى أبا الصُّفرة ، والد المهلب ، كان شيعياً ، وقدم بعد الجمل فقال لعلي (عليه السلام) : أما والله لو شهدتك ما قاتلك ازدي ، فمات بالبصرة فصلى عليه أمير المؤمنين (عليه السلام) .

عابس بن أبي شبيب الشاكري .

جاء عابس بن أبي شبيب الشاكري يوم كربلاء ومعه شَوْذَب مولى شاكر فقال يا شوذب ما في نفسك ان تصنع قال ما أصنع أقاتل معك دون ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أقتل قال ذلك الظن بك إمّا لا فتقدّم بين يدي أبي عبدالله حتى يحتسبك كما احتسب غيرك من أصحابه وحتى أحتسبك أنا فإنه لو كان معي الساعة أحدٌ أنا أولى به مني بك لسرّني أن يتقدّم بين يدي حتى أحتسبه فإن هذا يوم ينبغي لنا ان نطلب الأجر فيه بكل ما قدرنا عليه فإنه لا عملَ بعد اليوم وانما هو الحساب قال فتقدم فسلم على الحسين ثم مضى فقاتل حتى قُتل قال ثم قال عابس بن أبي شبيب يا أبا عبدالله اما والله ما أمسى على ظهر الأرض قريبٌ ولا بعيدٌ أعزُّ عليّ ولا أحبُّ إليّ منك ولو قدرتُ على أن أدفع عنك الضيم والقتل بشيء أعزّ عليّ من نفسي ودمي لفعلتُه السلام عليك يا أبا عبدالله اشهد الله أني على هديك وهدى أبيك ثم مشى بالسيف مصلتا نحوهم وبه ضربة على جبينه (قال أبو مخنف) حدثني نُمير بن وعلة عن رجل من بني عبد من همدان يقال له ربيع بن تميم شهد ذلك اليوم قال لما رأيته مقبلاً عرفته وقد شاهدته في المغازي وكان أشجع الناس فقلت ايها الناس هذا الأسد هذا الأسود هذا ابن أبي شبيب لا يخرجن اليه احد منكم فأخذ ينادي ألا رجلٌ لرجل فقال عمر بن سعد ارضخوه بالحجارة قال فرُمي بالحجارة من كل جانب فلما رأى ذلك ألقى درّعه ومغفرة ثم شد على الناس فوالله لرأيته يكرُدُ أكثرَ من مائتين من الناس ثم انهم تعطفوا عليه من كل جانب فقُتل قال فرأيت رأسه في أيدي رجال ذوي عدّة هذا يقول أنا قتلته وهذا يقول أنا قتلته فأتوا عمر بن سعد فقال لا تختصموا هذا لم يقتله سنانٌ واحد ففرّق بينهم بهذا القول .

العباسيون وعلاقاتهم الشيعية .

هذا بحث عام يتعلق بعدد وافر من رجال (اعيان الشيعة) وردت تراجمهم خلال مجلدات الكتاب نعدد منهم : الامام جعفر بن محمد الصادق ، والامام موسى بن جعفر ، ومحمد ، وابراهيم ولدا عبدالله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي ، والحسن بن زيد الملقب بالداعي الى الحق ، وإدريس بن عبدالله بن الحسن ، وزيد بن علي ، وعبدالله بن الحسن ، والحسن بن زيد بن الحسن ، وعلي بن عبدالله بن العباس ، وأبو سلمة الخلال ، لذلك فهو من صميم موضوعات (اعيان الشيعة) لارتباطه بالرجال الذين مرت اسماؤهم ، ولا بد لمن يدرس ترجمة واحد منهم في (الاعيان) من أن يعود الى هذا البحث وهو مكتوب بقلم الشيخ محمد رضا الشبيبي :

أبو العباس السفاح

بويع أول الخلفاء العباسيين أبو العباس السفاح فكانت بيعته اجماعية ، أجمع عليها أهل بيته وانصارهم ، وبهذا الاجماع امتازت بيعته على بيعة غيره ممن جاء بعده أو خلفه في هذا المنصب ، أي أن عصر السفاح امتاز بعدم ظهور منافس له أو ثائر عليه ، ومع أن أخاه وخلفه من بعده المنصور أكبر منه سناً الا انه كان في مقدمة من بايعه .

لم يحدث في خلافة السفاح حدث على أهل بيته أو ابناء عمومته . خلافا لما وقع في خلافة المنصور ؛ لأن السفاح كان معنياً باستئصال الامويين في هذا الدور ، وهو دور التأسيس والبناء .

بطش العباسيون الأول بطشة جبارة ببني أمية ، قتلوهم أينما وجدوا ، حتى توارى عن الانظار كل متصل بنسب الى بني أمية ، بيد أن كثيراً من أهل الشام حاضرهم وباديهم وكثيراً من عرب الجزيرة وديار بكر ، وهم من ربيعة ومضر وتغلب وبكر بن وائل ، ظلوا ناقمين على الهاشميين أو العباسيين ؛ لاسباب شتى ، وهم يستظلون بظل الراية العباسية ، بل أجهد العباسيين بعد ذلك استئصال شأفة كثير من الناقمين عليهم في حواضر الشام والجزيرة وبواديها ، فانطوى هؤلاء على كثير من الغل وفساد النيات .

أصبح هؤلاء الناقمون عونا لكل ثائر على العباسيين ، ولو لم يكن ذلك الثائر من بني أمية فكثرت الفتن في الشام والجزيرة وفي ديار بكر وربيعة وفي ديار مضر وتعدد خروج الخوارج في هذه البلاد ، ولا يخلو تأريخ بلد قديم غلب أهله على أمرهم من محاولة للثورة والانتقاض على الغالب . فقد ثار الحجاز وثار العراق وثار غيرهما من الاقطار على حكم بني أمية ، فلماذا لا تثور الشام ؟ ولماذا لا تثور الجزيرة على حكم بني العباس وقد تعددت الفرص السانحة لمناهضة الدولة الجديدة ومناهضة خلفائها ، ولم تعدم هذه الفرص

(١) الأغاني ، ١٢/٣٢٩ تكمل من مروج الذهب ، ٢/٢٨٦ .

من ينتهزها من ذوي المطامع والاغراض البعيدة ، وفي البلاد المذكورة - وهي الجزيرة والشام - بقية باقية من أنصار بني أمية ومن مواليهم الضالعين معهم ، ولنا ان نقول : ان القطر الشامي وما اليه قد استحال بسبب سخط الساخطين وبسبب وجود عدد لا يستهان به من موالي الامويين وأنصارهم الى بيئة صالحة للخروج على بني العباس وللدعوة الى مناهضتهم وخصومتهم من أية ناحية جاءت هذه الخصومة .

أبو جعفر المنصور

وما أن وافى السفاح أجله ليخلفه أخوه الاكبر أبو جعفر المنصور حتى كشّرت الفتن عن انيابها ، وحتى توالت القلاقل في دولته ولكنه - أي المنصور - واجهها بما عرف عنه من صرامة وفطنة ودهاء ، وقد تخلص - بموجب خطة رسمها - من خصومه واحداً بعد الآخر . تخلص من عمه عبدالله بن علي الثائر عليه بأبي مسلم الخراساني صاحب الدولة ، ثم تخلص من أبي مسلم كما تخلص من زعماء آخرين توسم في بقائهم خطراً على دولته ، وخلع ابن أخيه عيسى بن موسى من ولاية العهد - وكان السفاح عهد اليه من بعد المنصور - وعيسى هو الذي حارب له الأخوين محمدا وابراهيم من ابناء العالم الامام فظفر بهما ، فكوفىء بخلعه من قبل المنصور ، وعهد بولاية عهده الى ولده المهدي ثم الى عيسى بن موسى هذا ، والاقربون أولى بالمعروف ، فكان من يبايعه يقبل يده ويد المهدي ثم يمسح على عيسى ولا يقبلها ، نقل ذلك ابن تغرى بردي واعقبه بقوله : « ان البلاء والرياء قديمان » ، ثم أن المهدي خلع ابن عمه المذكور من ولاية العهد وعقدها لولده الهادي ، وكانت اول ثورة على المنصور ثورة الامير عبدالله بن علي عم الخليفة .

عبدالله بن علي

يعد عبدالله بن علي بن عبدالله بن العباس بين أنبه الامراء العباسيين . وابوه علي - وهو الذي انتشر الخلفاء العباسيون من نسله - ، من اوائل الهاشميين الذين رشحوا للخلافة بعد أن نضجت فكرة الثورة على الامويين واحلال الهاشميين محلهم في هذا الشأن ، وقد اعقب أكثر من عشرين ولدا ذكرا ، من أشهرهم : عبدالله هذا ، وأخواه محمد وصالح ابناء علي ، وكان لكثير من أولاده شأن في تأريخ الدولتين الاموية والعباسية ، الا أن الخلافة العباسية كانت من نصيب أولاد محمد بن علي وهو أكبر من أخيه عبدالله ، ولم يبايع بالخلافة أحد من ولد عبدالله بن علي المذكور ، ثم هو الامير الذي ندبه السفاح لقتال مروان الجعدي فظفر به وبغيره من أمراء بني مروان في واقعة الزاب وعلى يده انقرضت دولتهم ، من ثم استخلص الشام ومصر ، وكان ساعده الايمن في ذلك أخاه صالح بن علي الذي جهزه السفاح على طريق السماوة فطارد مروان وفلول الجيش الاموي الى مصر وقتله في (أبي صير) ، وهو - أعنى عبدالله بن علي - بعد ذلك عم السفاح ، لذلك كان يحدث نفسه بالخلافة ، بل كان يرى أنه أحق العباسيين بعد السفاح بأن يكون خليفة . أحق من المنصور وأحق من سائر أمراء بني العباس ، وكان يظن أن ابن أخيه - أي السفاح - لا يعدوه في الوصية بولاية عهده لانه نائبه في الجهاد وقيادة الجيوش وغزو الروم ، ولكن السفاح عهد في مرض موته بولاية العهد الى أخيه المنصور ثم الى ابن أخيه عيسى بن موسى وما أن علم عبدالله بن علي ببيعة المنصور في العراق وكان - كما قلنا - يتحين الفرص للمطالبة بحقه في الخلافة ، حتى جاهر بالدعوة الى نفسه وعدل بجيشه الى العراق ، ولكن خانه الحظ وأخفق في الوصول الى بغيته ، وانتهت حياة بطل الزاب بالموت في سجن ابن أخيه المنصور بعد هزيمته في واقعه « نصيبين » على يد أبي مسلم الخراساني ، وهكذا أخفق عبدالله بن علي في الوصول الى غايته المنشودة ، ومرد اخفاقه فيما نراه الى قصر نظره وافتقاره الى شيء كثير من الدربة والحنكة السياسية ، وكان دون أخيه محمد بن علي ربان الدعوة العباسية في كل شيء . كان دونه في عقله الراجح وكان دونه في حزمه وخبرته الواسعة ، وقد ارتكب في دعوته الى نفسه اغلاطاً فظيعة أمر بقتل عدد كبير من الخراسانيين كانوا في جيشه لتوهمه بميلهم الى أبي مسلم الذي ندب لقتاله . وهم ايضاً أن يفتك ببعض القحاطبة وهم من أشهر القواد في جيشه . وكان جل جيشه الباقي مؤلفاً من أهل الشام الذين غلبوا على أمرهم في واقعة الزاب ولا بد لنا من القول : أن المنصور اضطرب الاضطراب كله في بدء هذه الحركة التي قام بها عمه حتى انه هم بالخروج الى مناجزته بنفسه ، وكان لا يرى من بعده أهلا للقيام بحرب عبدالله الا ابا مسلم الخراساني ، ولذلك قال له : « ليس لهذا الامر الا أنا أو أنت فأمتثل أبو مسلم أمر المنصور في قمع هذه الثورة ، ولم تقمع الا بعد أن مضت عليها أشهر غير قليلة ، وهي أول حرب تقع في صدر الخلافة العباسية بين أهل خراسان بقيادة أبي مسلم وأهل الشام في الجزيرة بقيادة عبدالله بن علي المذكور .

دور الطالبيين

ومن أهم الاحداث في خلافة المنصور ، أن لم يكن أهمها ، تلك الثورات التي قام بها فريق من زعماء الطالبيين . وقد بدأت في خلافة المنصور ، ولم يكن لها أثر في ايام السفاح ، بل لم يحدث في خلافته حدث على الطالبيين كما لم يحدث من الطالبيين حدث عليه . وقد أقضت هذه الاحداث مضاجع الخلفاء العباسيين الاولين ، خصوصاً وهم يعلمون أن النفوس في كثير من الاقطار الى خصومهم أميل ، وأن الرأي العام فيها يجنح الى تفضيل آل أبي طالب على بني العباس ، وكان المنصور يعرف أن لآل أبي طالب مكانة مكينة في نفوس الجمهور لا يحلم بها أكثر العباسيين ، فكان يخشى - لذلك - جانبهم ومطالبتهم بحقوقهم التي يعضدهم كثير من الناس في المطالبة بها ، ومن هنا جاء حقد المنصور على الطالبيين وقتل من قتل منهم من ساداتهم واشياخهم الثائرين وعاملهم بقسوة منقطعة النظير . جاء في تاريخ الخلفاء للسيوطي ما نصه : « وفي سنة ٤٥ كان خروج الاخوين محمد وابراهيم أبني عبدالله بن حسن بن الحسن بن علي ، فظفر بهما المنصور فقتلهما وجماعة كثيرة من أهل البيت ، فانا لله وانا اليه راجعون . وكان المنصور أول من أوقع الفتنة بين العباسيين والعلويين ، وكانوا قبل ذلك شيئاً واحداً » . وقال أيضاً : « وممن أفتى بجواز الخروج مع محمد على المنصور مالك بن أنس ، وقيل له : ان في اعناقنا بيعة للمنصور ، فقال : انما بايعتهم مكرهين ، وليس على مكره يمين .

كانت ثورات الطالبيين مصدر قلق للطبقة الاولى من خلفاء بني العباس ، وقد الحقت بهم ما ألحقت من الأضرار البليغة بالارواح والاموال ، وقد حاول قوم من المحدثين المعنيين بالتأريخ أن يعدوا ثورات الطالبيين المتوالية على أبناء عمومتهم من بني العباس من جملة العوامل الفعالة في زوال الدولة

العباسية ، وفي هذا الرأي ما فيه من التكلف والمبالغة ؛ لأن أخطر تلك الاحداث والبثوق التي انبثقت من ناحية الطالبيين انما وقعت في صدر الدولة العباسية وفي خلافة خلفائها الاول كالمنصور والمهدي والهادي وآخرين من القوم ، وقد تمكن العباسيون الاولون من قمعها بشيء غير قليل من الغدو والقسوة والغلظة المتناهية على بني العمومة المذكورين ، على اننا نرى أن شيوخ هذين البيتين من طالبين وعباسيين عاشوا في صفاء تام في معظم عصور الدولة العباسية الاخيرة ، وهي العصور التي منيت فيها الدولة المذكورة بالضعف الشديد . وفي هذه العصور أحدث منصب نقابة الطالبيين ، وهو من المناصب الجليلة ، وقد تولاه كثير من أشياخ الطالبيين ووجوه العلويين في العصور العباسية المذكورة ، لذلك لا يصح القول اطلاقاً بوجود علاقة أكيدة أو صلة مباشرة بين الثورات الطالبية المشار اليها وبين انحلال الدولة العباسية .

وقد خصص أبو الفرج الاصفهاني الشطر الاكبر من كتابه المسمى : « مقاتل الطالبيين » بذكر زعماء آل أبي طالب الذين قتلوا في عصور الدولة العباسية عصراً عصراً ، وقد ابتدأ بمن قتل منهم في خلافة المنصور الذي بز جميع العباسيين في ذلك ، وقد حفلت عصورهم بهذه الاحداث إذا استثنينا عدداً قليلاً من خلفائهم كالسفاح والامين والواثق بن المعتصم والمنتصر مالوا الى محاسنة الطالبيين ، وكان المتوكل شديد الوطأة على آل أبي طالب . قال أبو الفرج الاصفهاني : « بلغ منهم ما لم يبلغ أحد من الخلفاء قبله الى أن قتل ، فعطف عليهم ابنه المنتصر . كان يرى مخالفة أبيه المتوكل ، ويظهر ذلك العطف على أهل البيت ، فلم يجر عليهم مكروه في خلافته » .

كانت غلظة المتوكل في هذا الباب من الاسباب التي استحل بها ولده المنتصر هدر دمه كما هو معروف وكان المتوكل يكره كل عباسي قبله ظهر منه شيء من الميل الى آل أبي طالب ، وقد روى بعض المؤرخين أن الفقهاء أشاروا على المنتصر بقتل أبيه بعد أن حكي لهم عنه أموراً قبيحة .

ومن الخلفاء العباسيين الذين اقترن تاريخهم بشدة الوطأة على الطالبيين ـ كما جاء في كتاب المقاتل ـ المهدي والهادي والرشيد والمستعين والمعتز والمهتدي وهكذا إلى خلافة المقتدر (٢٩٥ ـ ٣٢٠) ، وحسبك أن مصارع الطالبيين في عصور الخلافة العباسية استوعبت جل كتاب المقاتل على ضخامة حجم الكتاب المذكور.

هذا ويحسن بالمؤرخ في هذا المكان الالمام بتاريخ هذا الخلاف أو النزاع بين اعيان هذين البيتين الهاشميين والوقوف على علله وأسبابه ، وذلك على الصورة الآتية .

أصل الدعوة وصبغتها العامة

كانت الدعوة الى انتزاع السلطان من بني أمية هاشمية عامة في اصلها شارك فيها الهاشميون : الطالبيون منهم والعباسيون ، وكانت الجمعيات السرية القائمة بها في أواخر عصور الدولة الاموية تتألف من وجوه العلويين والعباسيين ، وممن حضرها السفاح والمنصور ، وكانت الدعوة تبث أو تعلن بشكل يتناول الهاشميين جميعاً ، أي ان الدعوة كانت تعلن بالاضافة الى (آل محمد أو أهل البيت) . وقد بويع من وجوه الفاطميين بالخلافة سراً ، بايعه العباسيون انفسهم ومنهم السفاح والمنصور ، فكانت الدعوة الهاشمية في أخريات عصور الدولة الاموية على جانب عظيم من التنظيم والقوة . وقد امتاز الدعاة الهاشميون بدهائهم وخبرتهم الواسعة .

اتجه الدعاة في أول الامر بعد سبر أحوال بني العباس والمقارنة بينهم وبين الطالبيين الى تفضيل الطالبيين ، ولكن سادات أهل البيت من الطالبيين كانوا على جانب كبير من الورع فلم يعبأوا بالامر ، وقد رفض بعضهم مقترحات الدعاة بشأن البيعة ، وكان الأمويون على وشك الاستفادة من انقسام الهاشميين لولا أن الدعوة نمت نمواً هائلاً وسرت سرى النار في الهشيم ، وذلك لملاءمة البيئة اليها ، وهي بيئة مشبعة بالسخط والثورة النفسية على سياسة الأمويين ، وهكذا كانت الدولة من نصيب بني العباس .

هذا على أن بعض المؤرخين ، واكثرهم من الفرنجة المستشرقين يغمزون العلويين بالعجز عن انتهاز الفرص ، وأن العباسيين فاقوهم بالحزم والمضاء وبعد النظر في هذه الناحية .

والواقع : ان الطالبيين أكرهوا على الثورة في كثير من الاحيان لشدة طلب العباسيين لهم ، إلى أن صارت الثورة على حكم العباسيين شعاراً لهم كما كانت من قبل على حكم الامويين . وقد انتهز بعض الطالبيين والعلويين طغيان الموالي والاتراك في الدولة العباسية واضطراب الامور فيها بعد ذلك فقاموا بثورات عدة وحاولوا الاستقلال بجزء من البلاد الخاضعة للدولة العباسية ، وقد نجح بعض زعمائهم في انشاء دولة لهم بطبرستان ، وهي الدولة الزيدية العلوية عاشت أكثر من مئة سنة .

عيسى ولي عهد السفاح

عقد السفاح ولاية العهد قبيل وفاته سنة ١٣٦ لاثنين من العباسيين . أولهما أخوه المنصور وثانيهما ولد أخيه عيسى بن موسى المشار إليه ، وقد أخذت البيعة للثاني وهو أمير على الكوفة ، ويبدو لنا من التأمل في تاريخ الطبقة الأولى من بني العباس أن صلة عيسى بن موسى بأعمامه كانت صلة وثيقة منذ فجر شبابه . فانه ترعرع في كنف أعمامه وهو يتيم في الحميمة . وصحبهم بعد ذلك في حلهم وترحالهم . وشاركهم في سرائهم وضرائهم صحب أعمامه في رحلتهم من الحميمة الى الكوفة وفيهم السفاح والمنصور ـ بعد حبس ابراهيم الامام في « حران » ـ ، وهي رحلة اهتز لها كيان الدولة الأموية . لأن القوم خرجوا متكتمين خائفين الى أوليائهم وأنصار دعوتهم في الكوفة . حيث ظهر أمرهم وخطب السفاح في الكوفيين وأخذت البيعة له في يوم مشهود .

يغامرون في طلب الحرية

وتعد هذه الحركة أو الرحلة ـ ومردها الى طغيان الأمويين واضطهادهم للهاشميين ـ من اشهر المغامرات الجريئة في التاريخ ، اذ ما عسى أن تصنع شرذمة عدتها أقل من عشرين في قطر تسيطر عليه جيوش جراره للامويين يقودها رؤساؤهم وكبار رجالهم ، فهذا مروان بن محمد يطل على العراق من « حران » ، وهذا ابن هبيرة أمير العراقين من قبله يدافع عن واسط قلب العراق ، ولكنها الحرية يعشقها الحوام ، ومن عشق شيئاً غامر في سبيله ، ولكنه طلب السؤدد لا مناص من المخاطرة فيه ، ومن طلب الحسناء لم يغله المهر .

غرابة المغامرة

كانت حركة القوم من الحميمة يريدون الكوفة مدعاة للاستغراب ، استغرب القيام بها فريق من مشيخة بني العباس انفسهم ، وفي مقدمتهم داود بن علي عم السفاح ، وفي هذا الباب يقول هذا الشيخ العباسي الكبير للسفاح : « يا أبا العباس تأتي الكوفة وشيخ بني أمية مروان بن محمد بحران مطل على العراق في أهل الشام والجزيرة ، وشيخ العرب ابن هبيرة بالعراق » .

الزعيم أبو سلمة

اوقفتاك - فيما مر - على رأي داود بن علي عم السفاح في رحلة ابن أخيه ، ولننظر الآن الى رأي الزعيم الكوفي المسؤول عن القيام بالدعوة الهاشمية في المشرق ، وهذا الزعيم هو أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال أول وزير للسفاح في الكوفة ويقال له « وزير آل محمد » فإنه لم يكتم خوفه ولا وجله على هؤلاء النفر المغامرين ، وقد جاهر بأن رحلتهم مبتسرة أو سابقة لأوانها ، وعبثا حاول أبو سلمة ابقاءهم في البادية ولكن من يضمن لهم الأمن فيها ، ومن يمنع جيوش الأمويين منهم إذا قصدتهم في الصحراء ! وأخيراً لم يسعه إلا الأذن لهم في الدخول الى الكوفة على كره منه فإن جيش العدو منهم غير بعيد ، وهذا الجيش مرابط بهيت ، وكتم أبو سلمة أمر القوم شهرين في الكوفة محتجاً بالخوف ، ولا خوف يعتد به في تلك الأيام .

نقل البيعة الى العلويين

لم يكن ذلك رأيا من أبي سلمة وإنما كان يتعلل بعلل مختلفة وينتحل أعذارا شتى قائلاً للعباسيين إن امركم لم يتم بعد وإن بني أمية قادرون على الحرب ، الى معاذير أخرى لا غنى له عن كسب الوقت فيها ، وكان أبو سلمة في هذه الفترة العصيبة يسبر غور العباسيين ويوازن بينهم وبين العلويين إذ كانت في عنقه بيعة لإبراهيم بن محمد الإمام ولكنه في حل منها الآن لأن إبراهيم بن محمد قد مات ، فهو يريد أن يخلص الى رأي قاطع بعقد البيعة من بعد إبراهيم كما خلص قبل ذلك الى رأي قاطع بشأن الدعوة فجعلها للهاشميين عامة لا للعباسيين خاصة ، والظاهر أن أبا سلمة خلص الى ذلك الرأي فهو يريد نقل البيعة الى العلويين وهو يبعث الى ساداتهم المقيمين في المدينة بكتبه يعرض عليهم ذلك ، ولكن هذا الانحراف جاء متأخراً عن وقته فإن البيعة عقدت للسفاح في الكوفة بإشراف أهل بيته وذويه وأنصاره ، وفي مقدمتهم عمه داود بن علي ، وكان أبو سلمة آخر من بايع نزولاً على حكم الأمر الواقع واعتذر من أبي العباس .

لم تخف محاولات أبي سلمة على أبي العباس وأخيه أبي جعفر فقتل في الكوفة ، ولم يقتل إلا بعد استشارة أبي مسلم الخراساني ، فأبو مسلم شريك في مقتل أبي سلمة وزير السفاح بلا شك ، وقد شارك بمقتله وكان رأيه من رأي داود بن علي - وهو من أهل الرأي والمشورة - ويروي ابن قتيبة أن السفاح أمر بصلب أبي سلمة بعد ذلك وهكذا قتل أول وزير لأول خليفة من العباسيين .

نجاح المغامرة

وعلى كل حال فإن مغامرة العباسيين في الوصول الى الكوفة عبر بادية الشام تمت بنجاح ووصلت القافلة المخاطرة اليها بين مظاهر الحماس البالغ الذي غلب على شباب بني العباس وأنصار دعوتهم ، فكان عيسى بن موسى إذا ذكر خروجهم من الحميمة يريدون الكوفة قال : « ان نفراً أربعة عشر رجلاً خرجوا من ديارهم يطلبون ما طلبنا لعظيمة همتهم كبيرة نفوسهم شديدة قلوبهم » .

مباشرة العمل

وعني أبو العباس أول ما عني به فور أخذ البيعة له وانفراده بالسلطة في الكوفة بعد مقتل أبي سلمة بتنظيم معسكره وتوزيع رفاقه على ميادين الحرب والثورة ، وكانت واسط محاصرة يدافع عنها يزيد بن عمر بن هبيرة أمير العراقين من قبل مروان بن محمد ، ويشدد الحصار عليها الحسن بن قحطبة من أشهر قواد السفاح ، فانضم الأمير عيسى بن موسى الى هذا القائد بأمر السفاح ، وشارك في حصار واسط ، وهو أول عمل يقول به عيسى بن موسى بعد أعلان الثورة على الأمويين في العراق ، ومما هو جدير بالذكر أن ابن هبيره سلم واسطا لإبن قحطبة بعد قتال دام سنة تقريباً ، وسلم معه قواد جيشه ، وقدم على المنصور بأمان منه ثم قتل هو وقواد جيشه بعد ذلك ، وهو عمل يلام عليه السفاح وقد عده محمد بن عبدالله المعروف بالنفس الزكية وصمة في تاريخ الدولة العباسية وولي عيسى بن موسى الكوفة بعد الفراغ من أمر واسط فحل محل داود بن علي الذي نقل الى ولاية المدينة في السنة الأولى من خلافة السفاح .

عيسى سند المنصور

كان عيسى وهو في عنفوان شبابه مستودع أسرار أبي العباس السفاح ، وقد ائتمنه على وثيقة سجل فيها عقد الولاية لمن بعده ، وبموجب هذه الوثيقة أخذت البيعة للمنصور ، أخذها له في الحجاز حاجبه الربيع بن يونس وأخذها - وكان حاجاً - في العراق عيسى بن أخيه هذا ، وكتب بذلك الى الأمصار وقام بأمر الناس ، ثم شرع في ضبط الدواوين وحفظ الخزائن والأموال حتى تسلمها المنصور ، ولنا أن نقول : أن أبا جعفر المنصور مدين - الى حد ما - ببيعته واستقراره في دست الخلافة خلال هذه الفترة لإبن أخيه عيسى بن موسى ، وكان أميراً على الكوفة من عهد السفاح الى أيام المنصور ولا تقل مدة امارته عليها عن ثلاث عشرة سنة ، ثم صار والياً على المدينة ، وتتضارب الروايات بشأن موقف عيسى بن موسى هذا بعد موت أبي العباس السفاح في الأنبار وقبل مجيء ولي عهده المنصور من مكة ، ومرد هذا الاضطراب في الروايات الى سقم الأصول وكثرة الأغلاط فيها .

مات السفاح وبويع أخوه المنصور وعيسى بن موسى ابن أخيهما على ولاية الكوفة ، وقد كثرت الفتوق والأحداث في السنوات العشر الأولى من خلافة المنصور ، ومن اشهرها خروج محمد بن عبدالله بن الحسن المعروف بالنفس الزكية في الحجاز ، ثم خروج أخيه إبراهيم في العراق ، وقد عظمت شوكة إبراهيم هذا ، وأنضم اليه وهو يطلب بثأر أخيه جل أهل العراق ، وأرجف المرجفون بمصير الدولة العباسية الناشئة في العراق ، وضويق المنصور - وهو في معسكره بالكوفة - مضايقة شديدة ، وكان هذا المعسكر محاطاً بما لا يقل عن مائة ألف من أنصار العلويين يتربصون الدائرة بالمنصور حتى تحدث المتحدثون بخروجه من العراق الى بلاد فارس ، وقد حفظت لنا كتب التاريخ مراسلات دارت بينه - أي بين أبي جعفر المنصور - وبين العلوي الثائر في الحجاز ، وتعد من عيون الرسائل ، ومن محاسن الكتب في معناها وهو لا يخرج عن الأدب والتاريخ والأنساب والواقع أن ثورة محمد بن عبدالله من أخطر الثورات التي واجهها المنصور ، وقد اضطرب لها جداً ، ولم يبق أحد من أهل الرأي إلا استشاره في كيفية التغلب على الثائرين .

في هذه الفتوق وما إليها ندب المنصور ابن أخيه هذا الى قتال العلويين الثائرين في الحجاز وفي العراق بعد ذلك ، وقدر لعيسى ان يتغلب على الأخوين محمد وإبراهيم بعد معارك طاحنة تجلى فيها اخلاص هذا الأمير لعمه وللدولة العباسية .

كم الأفواه ومناهضة المعارضة

وركن عمال بني العباس وولاتهم ـ وفي مقدمتهم عيسى هذا والي الكوفة ، وجعفر بن سليمان بن علي والي المدينة ـ الى الشدة المتناهية في مناهضة المعارضين لأساليبهم في قمع تلك الثورات فحاول الأول أن يفتك بأبي حنيفة في الكوفة لمجاهرته بآرائه في الخلاف ثم اشخصه منها الى بغداد ، وفعل الثاني ما فعل بفريق من فقهاء المدينة ، وفي مقدمتهم مالك بن أنس ، بيد أن اخلاص هذين الأميرين كان وخيم العاقبة عليهما فعزلا واوذيا إيذاء شديداً بعد ذلك ، حرم جعفر بن سليمان من مال طائل جاءه عن طريق الأرث وخلع الثاني من ولاية العهد ، قال السيوطي وهو يذكر المنصور « كان عيسى هو الذي حارب الأخوين فظفر بهما فكافأة بأن خلعه مكرهاً وعهد الى ولده المهدي » .

اثارت سياسة المنصور في شدتها وصرامتها ، وأثار إسراف قادته وعماله في سفك الدماء سخط جمهرة من اعلام عصره ما في ذلك من شك حتى تعرض من تعرض منهم الى صنوف من الأذى والمحن ، ويقول لنا السيوطي في هذا الصدد « آذى المنصور خلقا من العلماء ممن خرج معهما ـ أي محمد وإبراهيم ـ أو أمر بالخروج قتلا وضربا وغير ذلك ، منهم أبو حنيفة وعبد الحميد بن جعفر وابن عجلان » .

أجمعت كلمة المؤرخين على أن عهد المنصور كان عهد محنة لهؤلاء العلويين ولأنصارهم من أهل الفقه والعلم على اختلاف مذاهبهم ـ كما رأيت في قول السيوطي ـ، ولكن هؤلاء المؤرخين وبعض المحدثين والمؤلفين اختلفوا في ماهية الأسباب ، منهم من يجعلها أسباباً سياسية ومنهم من يردها الى غير ذلك .

معركة بين النظار

ودارت معركة حامية الوطيس بين النظار في هذا الشأن تضاربت فيها وجهات النظر فمنهم من ينفى عنهم الخوض في السياسة وينفى الروايات والأخبار المشعرة بصدور فتوى صريحة أفتاها هؤلاء الفقهاء بجواز الخروج على المنصور مع من خرج عليه من العلويين والسادات أو في جواز التحلل من بيعته ، لما في الخروج على السلطان من المفاسد ـ وإن كان السلطان جائراً ـ فهو الذي يحمي الثغور ويحفظ السبل ويقيم الشعائر ، والخروج عليه ينافي أصولاً معروفة في العقائد على ما يدعون ، فهؤلاء يقولون : « أن مالكاً ما كان يخوض في السياسة ولا كان يحرض على السلطان ، وأنه لزم بيته في النزاع بين المنصور والعلويين ، أي أنه كان على الحياد ، ولم يقصد بفتواه في يمين المكره وفي طلاق المكره الدعوة الى التحلل من بيعة المنصور ، وإن حملت هذه الدعوى على ذلك واحتج بها عامل المدينة على ضربه في محنته المعروفة ، أما أبو حنيفة فإنه ـ على أصح الأقوال ـ أشد وأعنف من صاحبه لم يتردد في الجهر بالخلاف ، كما ستقف عليه مفصلاً بعد قليل .

العامل السياسي في النزاع

لا يجوز فيما نرى اغفال العامل السياسي قط فيما نحن فيه ، ولا يصح تجاهل روح العصر الذي عاش فيه اولئك الفقهاء الأعيان من حجازيين وعراقيين ، وهذا العصر العصيب عبارة عن الفترة الواقعة بين أواخر الدولة الأموية وأوائل العباسية ، وفيها ساءت الأحوال السياسية وتتابعت الفتن واستشرى الشقاق ، وهي بعد ذلك فترة يتناقل المحدثون من ابنائها عن آبائهم أو يروون عن اجدادهم وقائع الطف ، والحرة واستباحة الحرمين ، وفتنة ابن الزبير والثورات القبلية بين عرب الشمال وعرب الجنوب وغير ذلك من الوقائع التي استبيحت فيها كثير من المحارم ، وانتهكت الحرمات ، وفي هذه العصور انقلبت الخلافة الراشدة الى ملك عضوض ، تقطعت بسببه الأرحام وسفك الدم الحرام ، فلا غرو إذا رأينا كثيراً من فقهاء هذا العصر وأئمته ناقمين على الدولة ، ساخطين على الساسة والحكام ، نافرين من تقلد الأعمال العامة في تلك الأيام .

جعفر بن محمد ، وأبو جعفر

تروى أخبار الإمام الصادق جعفر بن محمد مع أبي جعفر المنصور بكثرة في كتب الحديث وفي الكتب المعنية بسيرة أهل البيت ، ويلاحظ أن كتب التاريخ المشهورة كتاريخ الطبري ومروج الذهب والكامل وتواريخ الخلفاء العباسيين خلت من الإشارة الى اخباره في هذه المحنة إلا نادراً مع أنه أنبه السلالة العلوية ذكراً في عصره بالمدينة ، عاصر المنصور في السنوات العشر الأولى من ملكه ، وقد أجمعت كلمة المؤرخين والمحدثين على رواية مالك وأبي حنيفة وتحملهما عنه ، عاش أبو حنيفة من بعده مدة وعاش مالك أكثر من عشرين سنة ، وكلاهما تحمل عنه في المدينة فأما أبو حنيفة فإنه كان نزيل المدينة هاجر إليها من العراق مضطهداً من قبل ابن هبيرة عامل بني أمية على الكوفة ، وأما مالك فأنه ـ كما لا يخفى ـ من أهل المدينة .

لم يقل لنا أحد من المؤرخين أن جعفر بن محمد حبس أو أوذي في المحنة كما ضرب أو حبس غيره بأمر من المنصور أو من عامله على المدينة ـ، وليس معنى هذا السكوت من المؤرخين في الغالب أن الإمام سلم من المحنة مطلقاً ، والحق أن موقفه كان غاية في الدقة بين العلويين الذين يطالبون بحقهم ويحاولون درأ المظالم عنهم وبين الذين انقادت لهم الأمور في العراق وخراسان ، أي أن محنته كانت من نوع آخر فإنه عاش عيشة مشوبة بالكدر منغصة بالوعيد والتهديد محاطة بالعيون والجواسيس في عصر أبي العباس السفاح وعصر أخيه أبي جعفر المنصور ، وقد عانى من بعض الولاة والأمراء العباسيين في عصر السفاح ما عانى من الأذى والكيد ، لأن الوشايات إليه كانت أسرع من السيل الى المنحدر ، وستطلع على أسباب ذلك .

أمير المدينة في دولة السفاح

بالغ الأمير داود بن علي عم السفاح وواليه على المدينة في اضطهاد الطالبيين المقيمين فيها ، ومرد هذا الاضطهاد الى شعوره بأن هناك وثبة لا بد من قيام الطالبيين بها على الدولة العباسية ، فكان يلاحق أتباع العلويين وأنصارهم ويضايقهم ، وفي أيامه وبأمر منه قتل « المعلى بن خنيس » من أتباع جعفر بن محمد وصودرت أمواله ، وفي سبب قتله أقوال منها : أن المعلى المذكور امتنع من رفع قائمة باسماء شركائه في رأيه فقتله « السيرافي » صاحب شرطة الأمير والي المدينة في قصة تدل على تفاني المعلى في طاعة الإمام المذكور وفي اخلاصه له وورد بعضهم قتله لقيامه بالدعوة لمحمد بن عبدالله النفس الزكية .

كان لهذه الحادثة أسوأ الأثر في نفس جعفر بن محمد ، وقد رأى في هذا الاعتداء اعتداء على حقه وحربا معلنة عليه ، يدل على ذلك عنف الاحتجاج الذي احتج به على الأمير والتهديد الذي هدده به ، فقد أجمعت روايات الباحثين في سيرته أنه مشى الى ديوان الأمير وهو محنق على خلاف عادته وألقى خطاباً موجزاً قال فيه : « قتلت مولاى وأخذت مالي أما علمت أن الرجل ينام على الثكل ولا ينام على الحرب !» ، وقد جرى اثر الخطاب أخذ ورد ـ بين الإمام والأمير ـ لا يخلوان من العنف ، ولكن الأمير حاول التنصل وإحالة التقصير على صاحب شرطته فكانت الحجة واهية ولم يكن للأمير مهرب من القود ، فأمر بقتل « السيرافي » ولما أخذ ليقتل صرخ قائلاً « يأمرونني بقتل الناس فأقتلهم لهم ثم يأمرون بقتلي » ، وهي كلمة تدل على أن القاتل كان مأموراً بإزهاق روح « المعلى بن خنيس » وأنه امتثل أمر الأمير داود

بذلك ، فيالها من كلمة تدل على منتهى الشعور بسوء المنقلب وبأنه ـ اعنى السيراقي ـ اطاع المخلوق بمعصية الخالق ويا له من إسراف في سفك الدماء واستخفاف بحرمة الأرواح .

هذا وفي كتب أصحاب السير أقوال مضطربة في تاريخ هذه الحادثة ، قيل : أنها وقعت في خلافة المنصور ـ وهذا مستحيل ـ ، والصحيح أنها وقعت في عصر سلفه أبي العباس السفاح ، فقد أجمعت كلمة المؤرخين على أن داود بن علي مات في خلافة ابن أخيه السفاح بعد الحادثة المذكورة بقليل ، ومرد هذه الأوهام في كتب أصحاب السير والمؤرخين الى سقم الأصول ، وقد تكون من أوهام المؤلفين المتأخرين .

المنهج المرسوم

عانى جعفر بن محمد كثيراً في سبيل ازالة المخاوف والأوهام التي ساورت السلطان بشأن خطته أو منهجه المرسوم ، فهو زعيم بيت ناهض دولا وناهضته دول وأقلق حكاماً وفني من فني من رجاله وشبابه في ميادين القراع ، فإذا قيل : أن جعفر بن محمد موتور وجد من يقبل ذلك ، وإذا قيل : انه يهم بالانتقام والخلاف لم يستكثر ذلك عليه فكان هدفاً للسعاة والوشاة غير أنه ـ والحق يقال ـ ما كان في هذا الدور من أدوار حياته معنياً بطلب الثأر ولا منطوياً على الانتقام ولم يكن له منهج مرسوم غير أحياء السنن ونشر المعارف والآثار .

لذلك عني بحسم مادة تلك المخاوف الأوهام التي ساورت أمراء بني العباس وخامرتهم بشأنه ، فقاطع فريقاً من خصومهم المنابذين لهم سواء أكانوا خصوماً في السياسة أم في غيرها ، قاطع طبقة معروفة من الأعلام في الحديث والرواية لأنها طبقة غير مرغوب فيها من قبل السلطان ، ويلاحظ أن الجفاء كان شايعاً جداً بين امراء الدولة العباسية وهذه الطبقة من النساك بل كان يتبرم بإتصال من يتصل به منهم وينهاهم عن غشيان مجلسه لعلمه بأن ذلك يزعج الحكام ويثير هواجسهم وهو يريد اتقاء شرهم على كل حال ، تدلنا على ذلك قصته المعروفة مع سفيان الثوري ـ ولا تخفى منزلة سفيان في الحديث والرواية ـ فإنه دخل على جعفر بن محمد فقال له : « أنت رجل يطلبك السلطان وأنا رجل أتقي السلطان قم فأخرج غير مطرود » .

اتصال الوشايات

هذا ولم تنقطع السعايات والوشايات بجعفر بن محمد ، وأكثرها يدور على اتصاله بأنصاره واوليائه في الحجاز وفي العراق وخراسان وأنهم كانوا يحملون زكاة أموالهم اليه ، وقد وضعت على لسانه كتب الى هؤلاء الأنصار يدعون فيها الى خلع الخلفاء العباسيين ، بيد أن المنصور لم يعبأ بكثير من هذه السعايات ، وهكذا سلم أبو عبدالله من القتل ونجا من الحبس ولم يرتكب منه ما ارتكب من بعض أعلام المدينة والعراق في عصر المنصور .

ويميل بعضهم الى تعليل هذه البادرة بادرة المحاسنة والرفق من قبل المنصور وقلة اكتراثه بتلك السعايات بعلل لا يخلو بعضها من المبالغة ، وقد يستندون في ذلك الى روايات لا يصبر أكثرها على النقد والتمحيص .

كان الخطر محدقاً بجعفر بن محمد ـ ما في ذلك شك ـ ولكنه سلم على كل حال ، وكانت سلامته في الواقع وسلامة كثير من أهل بيته وأصحابه اعجوبة في المحنة المذكورة ، ولم يسلم إلا بشق النفس وبتوطينها على كثير من التحرز والتوقي ، يدل على ذلك حديثه المشهور بل كلمته الحكيمة البليغة : « عزت السلامة حتى لقد خفي مطالبها ، فإن تكن في شيء فيوشك أن تكون في الخمول ، فإن طلبت في الخمول فلم توجد فيوشك أن تكون في التخلي ـ وليس كالخمول ـ فإن طلبت في التخلي فلم توجد فيوشك أن تكون في الصمت ـ وليس كالتخلي ـ فإن طلبت في الصمت فلم توجد فيوشك أن تكون في كلام السلف الصالح ، والسعيد من وجد في نفسه خلوة يشتغل بها ، وقوله : « أقلل من معرفة الناس وأنكر من عرفت منهم وإن كان لك مائة صديق فاطرح منهم تسعة وتسعين وكن من الواحد على حذر » ، ومن أقواله في العزلة : « إذا امكنك ألا تُعرف فافعل » ، ومرد سلامته ـ فيما نرى ـ الى منهجه السلمي البحث البعيد عن العنف في معارضة المنصور والى أخذ نفسه بالقصد والحذر الشديد والاحتياط التام ، يدل على ذلك رده للأموال ورفضه للرسائل التي أمر المنصور بكتابتها اليه والى غيره من العلويين على لسان أنصارهم وأوليائهم في العراق وخراسان لتكون حجة بيد المنصور عليهم ، وهو من هذه الناحية منقطع النظير بين العلويين .

كان المنصور أخبر العباسيين قاطبة بموقف جعفر بن محمد وأكثرهم إطلاعاً على منهجه السياسي ، وتروى له مع المنصور أخبار غير قليلة ، وفي رواية لإبن طاووس أن المنصور استدعاه سبع مرات ، ولا تخلو بعض . . الأخبار من التناقض فبينما نرى المنصور في منتهى العنف والشدة مع أبي عبد . . إذ نراه في غاية اللطف والرقة ، بيد أنه على كل حال كان يدافع عن سكان دار الهجرة ـ بلده ومسقط رأسه ـ وعن كرامة أبنائها ومصالحهم العامة كلما رأى ما يدعو الى ذلك في ديوان المنصور وفي اندية امراء الدولة ، يظهر ذلك من احتجاجه على الربيع بن يونس حاجب المنصور لما قدم الوافدين من أهل مكة على الوافدين من أهل المدينة زاعماً أن مكة هي « العش » فأجابه جعفر بن محمد قائلاً : « أجل ولكنه عش طار خياره وبقي شراره » .

لقي المنصور جعفر بن محمد وأتصل به مراراً ، بعضها في عصر بني أمية وبعضها في عصر بني العباس ، وضمتهما محافل عدة عني الهاشميون بعقدها للمداولة في كيفية التخلص من حكم بني أمية ، وفي بعض هذه المحافل كان الإمام يجاهر بآرائه في انتقال الدولة وصيرورتها الى بني العباس ويخالف المتطلعين إليها من بني عمه الحسن وينهاهم عنها بمحضر من بني العباس ، ومن الواضح أن لعبدالله ولولديه محمد وإبراهيم آراءهم في الإمامة وفي الخلافة وما الى ذلك ، وهي تختلف عن المتعالم المعروف من آراء جعفر بن محمد ، ولا تخلو بعض كتب الحديث والسير من الاشارة الى هذا الاختلاف والى أنه بلغ حد المشادة في بعض الأحيان .

الرياسة بين الهاشميين

عني بنو هاشم في أواخر الدولة المروانية بالمداولة فيما يعانونه من عسف امراء الدولة المذكورة وفي سأم الناس من سياستهم وإنحرافهم عنهم في اجتماعات عدة عقدها الهاشميون سراً في الحجاز ، وشهدها أعيان القوم علويوهم وعباسيوهم ، شهدها جعفر بن محمد وعبدالله بن الحسن وابناه محمد وإبراهيم من العلويين ، وشهدها أبو العباس السفاح وأخوه أبو جعفر المنصور وعماهما صالح وعبد الصمد ابنا علي وغيرهم من العباسيين ، وكان نصب الرئيس واختيار الإمام من أهم الموضوعات التي دار عليها البحث في المحافل المذكورة ، واختير للرياسة فيها محمد بن عبدالله بن الحسن المعروف بالنفس الزكية .

بايع الهاشميون محمد بن عبدالله إلا الإمام جعفر بن محمد فإنه اعترض على

هذه البيعة معلناً أنها سابقة لأوانها وأن الدنيا مواتية لبني العباس دون غيرهم من الهاشميين ، فلا فائدة من منازعتهم في ذلك ، وكان الأمر كما قال .

تكافؤ القوى

نهى جعفر بن محمد قومه عن عقد هذه البيعة ، فهو يعلم أن هؤلاء العلويين متفرقون ، وأكثرهم في الحجاز ، والحجاز يومئذ من توابع العراق ، وليس في العراق - حيث استخلصه العباسيون المغامرون ، وحيث بويع أبو العباس السفاح - عدد يعتد به من العلويين المذكورين ، ثم أن هؤلاء العلويين من بني الحسن لم يشاركوا في حرب مروان بن محمد وفي الظفر به ولم يساهموا في انتزاع الجزيرة والشام وفلسطين ولا في انتزاع مصر والمغرب من الأمويين ، هذا في الغرب ، ويقال مثل هذا عن الشرق ، أي أن الدولة العباسية هي الدولة القائمة الغالبة في الشرق والغرب وإن قامت بإسم بني هاشم وبإسم آل محمد ، ومن ذلك نعلم أن توازن القوى في هذا الكفاح المرير بين بني الحسن وبني العباس مفقود بالمرة .

الى هذه الناحية من نواحي الضعف الظاهر في بني الحسن كان يشير الإمام جعفر بن محمد في نصائحه لبعض أبناء عمه والى ذلك - فيما نرى - مرد مناهضته لرأي من يرى الخروج منهم بالسيف على دولة بني العباس ، والى ذلك أيضاً مرد معارضته لبيعة محمد بن عبدالله النفس الزكية .

ليست هذه أول مرة ينصح فيها الإمام أبناء عمه الحسن ويشفق عليهم من التطلع الى الملك ويريدهم على العدول عن تلك الأماني ، فإنه لم يأل العلويين نصحاً في التجافي من شؤون الدولة في عصره والأعراض عن سفك الدماء في سبيلها ، ففي طلب العلم والأحكام وفي تحصيل الأثر وبثها في الدنيا ما يشغلهم عن ذلك ، ثم أن دنيا بني العباس ودولتهم مقبلتان فأي جدوى في مقارعة العباسيين .

صحيفة الدولة

كان جعفر بن محمد بحدسه الصائب ونظره الثاقب يستشف احداث المستقبل ولذلك كان أسد الهاشميين رأياً بمعارضته لبيعة النفس الزكية .

لا يخامرنا أدنى شك بما كان لهذا المنهج الذي يدعو إليه جعفر بن محمد وبما كان لسياسته السلمية البحتة من أثر بالغ في نفس أبي جعفر المنصور ، فأعرض عن كثير من السعايات وضرب صفحاً عن الكتب المزورة عنه الى انصاره في العراق وخراسان ، وأية قيمة للدس والتزوير المفضوح بعد ما رآه وسمعه المنصور بنفسه مما أقنعه بأن هذا الإمام بريء الساحة مأمون الناحية بعيد عن التهم المنسوبة إليه فلا عجب إذا كان لوفاته سنة ١٤٨ وقع أليم في نفس أبي جعفر المنصور على ما رواه فريق من المؤرخين وقلما ابنه بكلمات تدل على مبلغ أكباره له .

لم يجنح بنو الحسن الى رأي جعفر بن محمد ، وكان لفريق منهم في وعظه ونصائحه مذهب آخر فهم يحملونه على الحسد ، وهم يغلظون له القول أو يسمعونه خشن الكلام ، وهم بعد ذلك لا يشكون بأن انتزاع الأمر من يد العباسيين سهل يسير وأن الأمة تشد أزرهم في ذلك ، فهذه الرسل والرسائل تترى عليهم من الأقطار ولا شك أن رسائل كثيرة وافتهم من مختلف الأقطار بيد أن شطراً من تلك الرسائل مصطنع بأمر أبي جعفر المنصور إذا استثنينا رسائل بعض الزعماء في الكوفة وفي مقدمتها رسالة أبي سلمة الخلال نقيب الدعوة في المشرق والعراق .

دعوة الكوفة وحركتها الجديدة

جد لأبي سلمة الخلال زعيم الكوفة ونقيب الدعوة الهاشمية بعد استقرار العباسيين القادمين من الشراة الى العراق رأي خطير في البيعة[1] فاجابه علويي الحجاز ، ووافت الحجاز رسل الزعيم المذكور ورسائله على عجل لجس نبض العلويين واحداً واحداً وقد رسم الخلال لذلك - أي لتحويل البيعة الى العلويين من العباسيين - خطة دقيقة لا يرسمها إلا الدهاة من اصحاب الدعوة بيد أن آراء أهل المدينة تضاربت في قبول الدعوة وهو أمر لا مناص منه بعد هذه المفاجأة الجديدة .

كانت دعوة أبي سلمة هذه محكاً للعلويين المقيمين في المدينة فقد انقسموا الى فريقين فريق هش للدعوة واستبشر برسل أبي سلمة ورسالته ورأوا فيها فرصة سانحة لمناهضة بني العباس وأحقاق حقهم في الخلافة وعلى رأس هذا الفريق وجوه بني الحسن عبدالله وابناؤه محمد وإبراهيم وموسى وعدد غير قليل من شباب آل أبي طالب وجمهور من أهل المدينة وفريق آخر قابل هذه الدعوة الكوفية الجديدة بأعراض تام ، وأمامهم في ذلك جعفر بن محمد فإنه امتنع من فض الكتاب المرسل إليه وأمر بأحراقه على مرأى من رسول الزعيم أبي سلمة الخلال ، ولما طالبه بالجواب قال : الجواب ما رأيت ، ثم شفع هذا الجواب بالأنكار على عبدالله بن الحسن ثقته واطمئنانه الى مصدر هذه الدعوة ونصحه إلا يندفع وراء الخيال فإن الأمر قد تم لبني العباس في العراق .

عصر بني الحسن ، أو عصر الزيدية

يصح أن يحدد عصر بني الحسن المذكورين بالفترة التاريخية الواقعة بين أواخر الدولة الأموية واوائل العباسية ، ففي هذه الفترة ظهرت دعوتهم الى الخلافة في الشرق والغرب وأنهم أولى الهاشميين قاطبة - فضلاً عن غيرهم بالإمامة - وإنها - أعنى الإمامة - إليهم انتقلت من بعد الإمام الحسين ، وإن محمد بن عبدالله بن الحسن المثنى هو الإمام ، إذ كان أهله يسمونه المهدي ويقدرون أنه الذي جاءت به الروايات ، كما كان بعض الطالبيين يرون أنه النفس الزكية ، وإنما قيل له النفس الزكية لزهده ونسكه .

كان عبدالله بن الحسن أبو محمد المذكور - وهو وجه من وجوه الهاشميين في ذلك العصر - يعتقد اعتقاداً جازماً بإمامة ابنه كما كان من أنشط القائمين بالدعوة الى بيعته ، أعانه على ذلك أنه زعيم هاشمي موهوب معسول الكلام حلو البيان حتى كان أمراء الدولتين الأموية والعباسية يحسبون حساباً لبلاغته وأثرها في النفوس ، فهذا ابن عبد العزيز لم يشأ أن يبيت عبدالله بن الحسن ليلة واحدة في الشام [في رحلته إليها وافداً على ابن عبدالعزيز] قائلاً : « الحق بأهلك فإنك لم تبغهم شيئاً أنفس منك ولا أرد عليهم من حياتك أخاف عليك طواعين الشام » ، قال الجاحظ : « كره أن يروه وأن يسمعوا كلامه لعله يبذر في قلوبهم بذراً ويغرس في نفوسهم غرساً » ، وكان أبو جعفر المنصور يصف كلام عبدالله بن الحسن بالسحر ، ويقال ما ساير عبدالله بن الحسن احداً إلا فتله عن رأيه ، ولذلك استجاب لدعوته التي قام بها لإبنه من استجاب من أهل الحجاز .

كثر أنصار بني الحسن وأتباعهم في هذا العصر من العلويين والطالبيين ومن غيرهم وبايعتهم فرق الزيدية ، وخرج غير واحد منهم بالسيف على العباسيين شرقاً وغرباً ، خرج محمد بن عبدالله المذكور في الحجاز وتلاه أخوه إبراهيم الثائر على المنصور في العراق وثار أخوهما يحيى بن عبدالله في المشرق أو في بلاد الديلم وثار أخوهم الرابع إدريس على الرشيد في المغرب الأقصى أو في مراكش وفي أقاليم

البربر المجاورة للجزيرة الاندلسية الخضراء ، وكان إدريس أكثر اخوته نجاحاً في خروجه على الدولة العباسية ـ كما سنراه عن قريب ـ بيد أن عبدالله بن الحسن كان معنياً أشد العناية بحمل أبي عبدالله جعفر بن محمد على التآزر مع بني الحسن وقصده غير مرة من أجل الدخول معهم في البيعة لإبنه إلا أنه عجز عن إقناعه ولم يخرج من محاورته ومداورته بشيء .

كانت حجة جعفر بن محمد أبلغ ورأيه أسد وأصوب ، ولهذا لجأ بعض الطالبيين وأنصارهم من الزيدية الى الشدة مع الإمام المذكور ، تولى ذلك ـ في رواية مشهورة ـ عيسى بن زيد بن علي المعروف بمؤتم الأشبال ، وكان عيسى هذا في أوائل من استجاب لدعوة بني الحسن مع أنه ابن عم جعفر بن محمد ومن أقرب العلويين نسباً إليه .

عيسى بن زيد أو الظليم النافر

تروى لعيسى بن زيد مؤتم الأشبال في عنفه وشدته وفي جرأته ومحاولاته لإكراه ابن عمه على البيعة أخبار كثيرة وإن غمزها بعض المعنيين في معالجة هذا الموضوع ، هذا وفي الحكم على عيسى مدحاً وذماً وجرحاً وتعديلاً أقوال عدة فهو في قول مشهور لم يحجم عن إيذاء جعفر بن محمد وتهديده وإرادته على البيعة للنفس الزكية وعلى المساهمة في الحرب فامتنع امتناعاً شديداً وامتنع معه أصحابه وطال الأخذ والرد بين الفريقين وتغالظا الكلام ، وكيف لا يمتنع الإمام وهو يرى أن محمد بن عبدالله هالك لا محالة وكيف يستجيب لدعوة القوم وهو يخبرهم بأن صاحبهم مقتول في حال مضيعة ، وكانت له كلمات موجعة جابه بها عيسى في بعض المواقف المذكورة رواها أصحاب الأخبار في حديث طويل منها قوله « يا اكشف يا ازرق لكأني بك تطلب جحراً تدخل فيه وما أنت من المذكورين في اللقاء وإني أظنك إذا صفق خلفك طرت مثل الهيق النافر » .

هذا ما قاله أبو عبدالله جعفر بن محمد لإبن عمه عيسى وهو يعيبه ويغمزه بالضعف وينذره بوخامة العقبى ، وكان الأمر كما قال إذ أن عيسى ـ كما جاء في سيرته ـ عاش في البقية الباقية من عمره متنكراً في الكوفة على حالة يرثى لها ومات متوارياً في بيوت أنصاره وأنصار أبيه من الزيدية ، ولا بد لنا من القول في هذا الصدد أن جعفر بن محمد فادى في سبيل اعتراضه على هذه البيعة كما فادى من قبل بمال كثير له وأكثر منه لإصحابه صادره العلويون الثائرون ، وكان له في المدينة عدد كبير من الأصحاب .

ومما لا شك فيه أن أصحابه المذكورين محصوا في هذه المحنة الثانية كما محصوا في محنتهم الأولى في أواخر العصر الأموي طبقاً لحديث قال فيه : « لا بد للناس أن يمحصوا أو يميزوا أو يغربلوا » .

هذا ولعيسى المذكور اخوته ، ومنهم الحسين ذو الدمعة ويحيى بن زيد الثائر في خراسان ، وكان موقف الحسين ذي الدمعة لا يشبه موقف أخيه عيسى فيما يراه أكثر المحدثين بل كان جعفر بن محمد يعنى به ويعطف عليه ولا عجب فإنه نشأ في حجره ، ويلاحظ أنه ممن تضاربت في حالة أقوال القوم فعده بعضهم من الضعفاء ، وخرج له آخرون أحاديث متفرقة في بعض المسائل الفقهية .

أبناء زيد والزيدية في صفوف بني الحسن

كان في طليعة من بايع النفس الزكية اثنان من أشهر أولاد زيد بن علي وهما عيسى مؤتم الأشبال والحسين ذو العبرة كما أنهما انضما بعد مقتل محمد الى أخيه إبراهيم الثائر في العراق ، ولذلك قال أبو جعفر المنصور : « مالي ولإبني زيد وما ينقمان علينا ألم نقتل قتلة أبيهما ونطلب بثأرهما ونشف صدورهما ! » ، والأغرب من أن اثنين من أولاد الإمام جعفر بن محمد نفسه مالا الى الزيدية وهما عبدالله ومحمد خرج الأول مع النفس الزكية وكان متهما بالخلاف على أبيه ودعا الى نفسه من بعده وخالط الحشوية فيما يقال وله أتباع يعرفون بالفطحيه ، وخرج الثاني على المأمون بمكة سنة ١٩٩ وأيدته الزيدية الجارودية ولكن المأمون ظفر به في قصة مشهورة .

تناسى هؤلاء الزيدية من العلويين ما كان بينهم من خلاف في العصر الأموي ذلك أن عدداً من وجوه بني الحسن لم يخرجوا مع زيد ولم يشهدوا الحرب التي دارت في الكوفة بينه وبين عمال الأمويين عليها بل كان هؤلاء الوجوه على صفاء ـ ولو في الظاهر ـ مع هشام بن عبد الملك ومع الوليد من بعده ، ويحكى أن عبدالله بن الحسن خطب في المدينة منددا بحركة زيد في العراق متبرأ منها ، والأرجح أنه كان مكرهاً على ذلك ، ومهما كان الباعث على عمله هذا فإن فيه دليلاً قاطعاً على حيدة بني الحسن في الثورة المذكورة .

تناسى القوم ذلك لأن ركن الإمامة في عقيدة الزيدية هو الجهاد والخروج أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر مضافاً الى شرائط اخرى ، وقد خرج محمد بن عبدالله ودعا الى نفسه فهو الإمام ، ويقال أن محمداً هذا أوصى الى عيسى بن زيد بعد أخيه إبراهيم وسرعان ما أصبح عيسى من ثقاة محمد بن عبدالله صاحب شرطته في المدينة .

التمييز بين زيد والزيدية

ظهرت الزيدية في الفترة الواقعة بين عصر الإمام أبي جعفر محمد بن علي وعصر ابنه أبي عبدالله جعفر بن محمد منشقة عن الإمامية ، والزيدية تفترق عن الإمامية بأنها تعد الدعوة والجهاد ركناً من أركان الإمامة ، هذا الى فوارق اخرى ذكرها المعنيون بتاريخ الفرق الإسلامية ، وبناء على أصول المذهب الزيدي المذكور بايع الزيدية كل علوي ثائر إذا توفرت فيه شروط الإمامة ، بايعوا غير واحد من بني الحسن كالنفس الزكية وأخويه إبراهيم ويحيى ثم غيرهم من العلويين الثائرين من أبناء الحسن والحسين .

يعنى المحدثون والمؤلفون في سيرة أئمة أهل البيت بسيرة زيد وبأخباره في خروجه ومقتله عناية فائقة لا يعهد مثلها فيما يكتبونه عن بني الحسن وعن خروج من خرج ومقتل من قتل منهم في الحجاز والعراق وخراسان ، ومن ذلك يستنتج أن اصحاب الإمام جعفر بن محمد يفرقون بين زيد والزيدية فكان زيد معذوراً في خروجه على هشام بن عبد الملك وإن لم يخرج معه إبن أخيه ولا أوصى أحداً من أصحابه بالخروج معه ولم يكن بنو الحسن بهذه المثابة فإن خروجهم لم يكن مستساغاً لدى الإمام المذكور كما يتجلى ذلك واضحاً في جوامع حديثهم وأخبارهم وفي بعض الكتب المؤلفة في الأنساب . ومن المسلم عند كثير منهم انحراف بني الحسن عن الائمة من ابناء عمهم المذكورين .

خيف على زيد بن علي من الخروج وحذره أخوه الإمام محمد بن علي وأخبره أنه مقتول إذا خرج وإنه لا يملك أكثر من حيطان المدينة ولذلك لم يخرج في عصر أخيه وإنما خرج في عصر ابن أخيه .

كان لمقتل زيد أثر بالغ في نفس ابن أخيه جعفر بن محمد وبان عليه حزن شديد يدل على ذلك أنه ابنه بكلمات مؤثرة وواسى أهله وذويه وأهل من قتل معهم

وذويهم ويلاحظ أنه لم يبد عليه مثل هذا الحزن البالغ في مقتل من قتل من بني الحسن في حربهم بالمدينة ، ومما يدل على ذلك أنه خرج قبل وقوع الحرب الى خارج البلد ولم يعد إلا بعد مقتل النفس الزكية وبعد أن عاد الهدوء الى المدينة المذكورة .

كان هذا المظهر من مظاهر الحياد معروفاً عن الإمامين المذكورين في العصر المذكور ولذلك كانا معنيين بأسداء النصح وإتمام الحجة على بني العمومة من علويين وطالبيين وغيرهم من سكان دار الهجرة فإن سكانها ضعفاء لا يقاوون الدول الناشئة في العصر المذكور .

تخليط وأوهام في معاجم الرواة

هذا ويلاحظ شيء غير قليل من التخليط والاوهام فيما يكتب عن بني الحسن وعن أعيان الزيدية وعن رؤساء بعض الفرق وأصحاب المقالات المختلفة في الامامة ممن عاصروا أبا عبدالله جعفر بن محمد ، تارة يحسبونهم في أصحابه وطوراً يعدونهم في خصومه المنحرفين عنه ، وهذا التخليط في أقوال المؤلفين وأصحاب معاجم الرواة محمول على اضطراب علاقات بني الحسن أعيان الزيدية ورؤساء الفرق وأصحاب المقالات المتضاربة المختلفة بالامام جعفر بن محمد تبعاً لأختلاف الاحوال والازمنة ، والامثلة على ذلك كثيرة ، ومنها انك ترى جل وجوه بني الحسن المذكورين معدودين في بعض هذه الكتب والمعاجم في أصحاب الامامين محمد بن علي الباقر وابنه جعفر بن محمد الصادق المتحملين عنهما مثل عبدالله بن الحسن ، وأخيه زيد بن الحسن ، ومحمد المدعو بالنفس الزكية وأخويه ابراهيم وموسى ابناء عبدالله بن الحسن ، ويحتج القائلون باستقامتهم وصحبتهم برسالة بعث بها الامام المذكور الى عبدالله بن الحسن مصدرة بقوله : « إلى الخلف الصالح والذرية الطيبة من ولد أخيه وابن عمه » وليس هذا الاحتجاج بشيء ـ فيما نرى ـ لأنها رسالة تعزية بنكبة المنصور لبني الحسن عند حملهم من المدينة الى العراق وسجنهم في الهاشمية ، هذا اذا صحت رواية هذه الرسالة ، ونحن لا نميل الى صحة هذه الرواية .

ومن هذا القبيل اضطراب رواياتهم وأقوالهم في عيسى بن زيد ـ المار ذكره فقد عد في أصحاب جعفر بن محمد المتحملين عنه وقد غمزه وأهمله آخرون ـ وممن اضطربت أقوالهم فيه الحسن بن زيد بن الحسن والي المدينة للمنصور تارة يعدونه في أصحاب جعفر بن محمد ويصفونه بالصدق والفضل ومرة يشيرون الى خصومته وشدة وطأته على الامام المذكور . ومما لا شك فيه وشايته ببني عمه الحسن عند المنصور .

ومن واجب المؤرخ الباحث عن الحق في هذا الباب أن يقارن ما جاء في بعض معاجم الرواة للشيخ الطوسي والكشي والنجاشي وما ورد في غيرها من كتب المؤرخين مثل تاريخ بغداد للخطيب ـ وقد ترجم لغير واحد من بني الحسن ـ ، وتاريخ دمشق لابن عساكر ـ وقد ترجم كذلك لعدد منهم ومن غيرهم من الهاشميين ، وكتاب التقريب لابن حجر ـ وغيرها من كتب التاريخ ففي هذه التواريخ ـ تواريخ الخطيب وابن عساكر وابن حجر ـ ما فيها من الاعاجيب والروايات الغريبة المدهشة المروية عن بني الحسن وقد اعتبر بعضهم هذه الروايات مفتعلة موضوعة على القوم أو صادرة عن الهوى والغرض وليس من السهل ـ فيما نرى ـ تكذيب كل ما ورد في كتب التاريخ عن هؤلاء الهاشميين وأن كانت كتب التاريخ والحديث مشحونة بالاحاديث الموضوعة ، وفي وسعك أن تعرف من ايراد هذه الروايات على ما هي عليه من التناقض والتباين في كتب اولائك المحدثين والمؤرخين الى أي حد بلغت القطيعة والجفاء والسخائم بين فرق هذه الامة .

ملاحظات الباحثين

لاحظ الباحثون في نقد الرواة هذا الاضطراب فحاولوا وضع بعض القواعد والاصول للتوفيق بين هذه الأقوال المضطربة قائلين أن روايات المتهمين والمضعفين والغلاة تنقسم الى قسمين فان كان لهؤلاء الرواة حال استقامة وحال غلو أو ضلال اعمل بما ورد في حال الاستقامة وترك ما رووه في حال الخطأ ، وهو موضوع يستدعي كثيراً من التمحيص والاستقصاء ودقة النظر في تاريخ الاعلام وسير الرواة .

وقد توسع آخرون في هذا الاصل قائلين ان المهم في الاصل المذكور أن يكون الراوي صادقاً غير كاذب وأن كان مخطئاً في أصول اعتقاده عندهم ، ومن أجل ذلك لم يردوا كثيراً من روايات الرواة المنسوبين الى الفطحية والناووسية والواقفة وغيرها ، ومن أجل ذلك أيضاً ذهبوا الى تصحيح ما يصح عن بعض الجارودية وغيرهم من فرق الزيدية . **ومجمل القول : يعتبر هذا العصر عصر بلبلة ونزاع واختلاف بين رؤساء الفرق وأرباب المقالات في الامامة وفي الاخفة ، وهو نزاع له علله وأسبابه ـ بلا شك ـ ومن المفيد تحرير هذا النزاع وعلله المذكورة وتقريبها على الصورة الآتية :**

نزاع في الأصول

لهذا الاختلاف بين بطون الاسر العلوية ثم بين اتباعها في العصر المذكور الوان وعلل شتى ، منها ما يدخل في الاصول ومنها ما يدخل في الفروع ، ومن النوع الأول اختلافهم في نظام الامامة وفي كيفية عقدها ، فمنهم من الجهاد والخروج أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر ، ركناً من أركان الامامة ، وهؤلاء هم الزيدية على اختلاف فرقهم ، ولما لم يكن هذا النوع من الخروج من منهج جعفر بن محمد في هذا العصر ـ كما رأينا ـ لم تثبت امامته عند هؤلاء فعدلوا الى القول بامامة من خرج من العلويين على الاطلاق .

ويفهم من كثير من الروايات أن جعفر بن محمد واصحابه نظروا الى زيد نظرة تختلف عن نظرتهم الى الزيدية المعروفين في العصر المذكور ، وقد أجمعت كلمتهم تقريباً على أن عقيدة زيد في الامامة لا تختلف عن عقيدتهم وإن كان كثير من الزيدية لا يسلمون لهم ذلك ، وإذا ما قال أصحاب جعفر بن محمد بأن زيداً امام فانهم يعنون انه امام في العلم والورع والامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

من هذه الناحية كانت بين بواعث ثورة بني الحسن على العباسيين وثورة زيد بن علي على الامويين فروق ظاهرة فإن ثورة بني الحسن كانت ـ فيما نرى ـ هجومية مسبوقة بمطالبهم المعروفة في الخلافة مستندة الى القول بان محمد بن عبدالله هو المهدي الذي بشرت فيه الاحاديث ، وكانت ثورة زيد بن علي من نوع آخر كانت ضربا من ضروب الدفاع عن النفس وعن الكرامات والاحساب ، ولا يخفى أن زيداً سيم خطة من الذل والخسف لا تطاق في مجلس هشام بن عبد الملك وعانى اثناء اقامته في الشام ما عانى من امراء الدولة الاموية واستخفافهم به ، ولم يتمالك بعد أن أقيم من مجلس هشام بامره أن يقول : « لم يكره قوم حد السيوف الا ذلوا » ، ويلاحظ أن أحداً من بني الحسن لم يساهم في الثورة ، وقد يكون مرد ذلك الى بعد المدينة عن الكوفة وفي المدينة يقيم جل بني الحسن ، وبعض اشياخهم يكثر من التردد بينها وبين الشام فهم بعيدون عن العراق لا سيما اذا علمنا أن الثورة الزيدية من الحوادث التي فوجىء بها العلويون في كل مكان ، هذا

ومن رأي بعض المؤرخين أن زيداً كان يحدث نفسه بالخلافة دائماً ويرى أنه أهل لذلك .

من هم بنو الحسن ؟

يعنينا من ذكر هؤلاء الطالبيين والعلويين حسنيين وحسينيين في هذه الفصول ، انهم ممن سنوا للعرب وللناس كافة ، سنة الانفة والاباء ، وعلموهم معنى الصبر والنجدة واختيار الموت على الحياة الدنية ، وتقبل مذاهب الاجداد في اباء الضيم والعزوف عن الذل ، فمنهم القائل : « ذل من أحب الحياة » ومنهم من قال : « لا اعطيكم اعطاء الذليل »كرهوا الدنية وفضلوا عليها المنية ، الى غير ذلك من محاسن الشيم والاخلاق .

يعرف كثير من العلويين ـ في الكتب المؤلفة في أنسابهم خاصة ـ بالقاب لا تعرف في كتب التاريخ العامة ، ومن ذلك عبدالله بن الحسن أبو الاخوين محمد النفس الزكية وابراهيم قتيل باخمرى ، فهو في كتب الانساب « عبدالله المحض » وفي كتب التاريخ عبدالله بن الحسن ، ويعرف أبوه الحسن « بالحسن المثنى » في كتب الانساب لمطابقة اسمه لاسم أبيه ، ويعرف أخوه الحسن بن الحسن « بالحسن المثلث » في كتب الانساب ولا يعرف بذلك في كتب التاريخ ، ومن ألقابهم « مؤتم الاشبال » و « ذو الدمعة » و « الاطروش » و « الغمر » و « الجون » و « الديباج » و « الأعرج » و « الافطح » وهي ألقاب لا تعرف في كتب التاريخ الكبرى حيث تجد أسماءهم مجردة من هذه الألقاب ، اما في كتب الانساب فانها ألقاب معروفة مقرونة بذكر اسبابها .

أعيان بني الحسن وأشهر مشاهيرهم في صدر الدولة العباسية ـ عبدالله المحض وأبناؤه وأخوته وأبناؤهم ـ كانوا على جانب كبير من الوجاهة والرياسة ونفاذ الكلمة بويع بعضهم بالخلافة .

امتاز هذا الفرع من العلويين بمناوأة العباسيين وخروج من خرج منهم واحداً بعد الآخر في الدولة العباسية طلباً للخلافة .

كابد بنو الحسن ما كابدوا في سبيل تضامنهم ازاء العباسيين وبقاء رابطة العشيرة قائمة وثيقة فيهم مهما تحملوا في سبيلها ، فقد كانوا مثلاً في التضامن اذا استثنينا بعض من شذ منهم وما لأ المنصور على بني عمه ، ومن أجل ذلك حاول رجال المنصور في المدينة التفريق بين العلويين من حسنيين وحسينيين ، وميزوا بعضهم على بعض في المعاملات ، ومن أجل ذلك نكل المنصور بهم ذلك التنكيل الشديد حتى مات كثير منهم في السجون وقتل باقيهم بعد خروج محمد بالمدينة .

كان ولاة المدينة من قبل العباسيين يتهيبون بني الحسن في الحجاز ويخشون بأسهم ويلاحظون منزلتهم وفي مقدمتهم عميدهم عبدالله بن الحسن فيعجزون عن ملاحقة أولاده ، وهم يعدون العدة للخلاف والخروج على المنصور ، بل كان محمد النفس الزكية وأخوه ابراهيم يترددان على المدينة بدون حرج وعلى مرأى ومسمع من الولاة المذكورين اذ كان لوجاهة أبيهم ونفاذ كلمته شأن يذكر في دفع غوائل السلطان عنهم في المدينة وقد أحفظ ذلك المنصور وراح يحرق الارم عليه ، ومما زاد في الطين بلة وأزعج المنصور جداً تحزب جمهور كبير من أهل المدينة لبني حسن عليه وكثرة المؤامرات فيها ومحاولة الفتك به في بعض مواسم الحج حتى لم يعرج على هذا البلد في موس سنة ١٤٤ وهو الموسم الذي كان التنكيل ببني الحسن احدى الغايات من شهوده ، ومما يؤكد كون المدينة موالية لمحمد بن عبدالله بن الحسن معادية للمنصور دخول محمد لها من حين إلى آخر ـ كما مر ذلك آنفاً ـ واجتماعه بأصحابه وأنصاره وذويه فيها مع شدة الطلب والملاحقة له .

نشأت من بني الحسن دويلات في الشرق والغرب ، ولهم في افريقية ومصر وبعض بلاد الروم والفرنج فتوح يحتاج شرحها الى تاريخ منفرد ، نشأ منهم أئمة الزيدية في بعض الاقطار العربية والاسلامية كالادارسة مؤسسي الدولة المشهورة في مراكش والمغرب الاقصى وائمة الزيدية في اليمن وبلاد الديلم والاقطار الفارسية .

هذا ويحسن بنا ايراد فذلكة عن أشهر مشاهير بني الحسن على الصوره الآتية :

عبدالله بن الحسن

يعرف في كتب الانساب بعبدالله المحض وأنه أول من اجتمعت له ولادة السبطين ومن هذا لقب « المحض » وكان المقدم بين بني الحسن علماً وسخاء ومن المنعوتين بأوصاف حسنة منها العلم والبيان والخطابة ، ومما يشهد بذلك أنه أحد الثلاثة الذين حاول أبو سلمة عقد الامر لهم من العلويين ، وقد استجاب عبدالله بن الحسن لدعوة أبي سلمة ولم يلتفت الى تحذير جعفر بن محمد اذ أعلمه أن أهل خراسان ليسوا من أنصاره وأن أبا سلمة مخدوع مقتول ، والقصة مشهورة ، قبل عبدالله بن الحسن بعض الالطاف والكتب التي كتبها اليه بعض جواسيس المنصور على لسان انصاره فكانت حجة للمنصور عليه وأمر بحبسه ، وخلاصة القول وقع في فخ نصبه له المنصور وقامت عليه حجة حسب روايات بعض المؤرخين . وقد روى عنه فريق من الاعلام منهم أبناؤه ، ويقول أبو الفرج الاصفهاني أن مالك بن أنس احتج برأى عبدالله بن الحسن في بعض المسائل الفقهية ، ويعده الجاحظ من خطباء بني هاشم وقد روى له كلمة بليغة وسيرته وأخباره في عصور الامويين والعباسيين معروفة في كتب التاريخ والانساب ومن أشهرها وفوده على عمر بن عبد العزيز وهشام في الدولة الأموية ثم وفادته على أبي العباس السفاح في الهاشمية بعد بيعته ، وقد صحبه في وفوده على السفاح اخوه الحسن المثلث وهو ممن مات في سجن المنصور بعد ذلك وكانت حفاوة السفاح بهما بالغة وأن لم تخل من العتاب والسؤال والجواب بسبب تغيب محمد وابراهيم وقد اعتذر الحسن المثلث عن ولدي أخيه بما يدل على علو منزلته ، قال صاحب غاية الاختصار : « كان الحسن المثلث جليلاً نبيلاً ولو لم يستدل على شرفه إلا بالجواب الذي قاله لأبي العباس السفاح في قصة محمد وابراهيم ابني أخيه لكفى » .

كان لهذا الزعيم الحسني ـ اعني عبدالله بن الحسن ـ رأيه الخاص في الخطة التي رسمها العباسيون لابادة بني أمية واستئصالهم اينما وجدوا في عصر أبي العباس السفاح وهو ـ أي عبدالله ـ القائل لداود بن علي عم السفاح ـ وقد أمعن في قتل الامويين في الحجاز ـ : « يا ابن عمي إذا فرطت في قتل أكفائك فمن تباهي بسلطانك ؟ ، أوما يكفيك منهم أن يروك غاديا رائحاً فيما يسرك ويسؤوهم » ، وهو في هذا القول يرى رأي سياسي بعيد الغور .

قلما عانى أحد من وجوه بني الحسن ما عاناه عبدالله هذا من الخليفة أبي جعفر المنصور فانه حبسه حبساً شديداً في المدينة ثم حمله وافراد اسرته الى العراق على حالة يرثى لها ، وحبسهم في الهاشمية حتى الموت ، وقد أذاقهم من الأذى في حبوسهم ما تقشعر له الابدان مما نعلم منه مبلغ حقد أبي جعفر المنصور على

عبدالله بن الحسن وابنائه .

لم يفعل المنصور ما فعله من هذا القبيل ولم يرتكب ما ارتكبه الا بعد أن لمس في عبدالله بن الحسن لدداً في الخصومة وصلابة في العقيدة وتصميماً على المعارضة ، فقد أخفق المنصور في حمله على تسليم أبنائه أو الايماء الى الجهات التي يقيمون فيها ، وطالما طلب اليه احضار ابنيه بالتهديد والوعيد وطالما جرى بينهما كلام غليظ فما أجدى ذلك كله وحاول أن يقتله قبل حبسه ثم عدل عن ذلك .

كان تخلف محمد وابراهيم ولدي عبدالله بن الحسن عن القدوم على أبي جعفر المنصور ـ بعد مبايعته بالخلافة في الكوفة وتشجيع عبدالله لابنية المذكورين على الخلاف والثورة حتى قال لهما فيما قال : « أن منعكما أبو جعفر أن تعيشا كريمين فلا يمنعكما أن تموتا كريمين » ـ في اولى البوادر التي أثارت شك المنصور وريبته في نيات بني الحسن ، ثم توالت عليه أخبار وأنباء بعث بها اليه عيونه وأرصاده اكدت له خلاف بني الحسن وأن محمد بن عبدالله عازم على الثورة ، وكان بعض بني الحسن أنفسهم ـ وهو الحسن بن زيد بن الحسن ـ يؤكد لأبي جعفر المنصور أن بني الحسن ثائرون عليه لا محالة فايقظ الحسن منه عينا لا تنام ، وفي الحسن هذا يقول موسى بن عبدالله بن الحسن ـ ثالث الاخوين محمد وابراهيم ـ : « اللهم أطلب حسن بن زيد بدمائنا» .

ولا شك انه كان عينا للمنصور يرفع اليه أخبار بني الحسن ، وللحسن هذا ابن مشهور اسمه القاسم ورث عنه هذه الخصومة لابناء عمه وهو الذي حمل البشارة بمقتل النفس الزكية الى المنصور . .

والواقع ان للحسن بن زيد أولاداً آخرين لم يتبعوا طريقة والدهم في مجافاة بني الحسن بل انهم التحقوا بثوار المدينة وكانت لهم صلة وثيقة بالنفس الزكية والحق أن المنصور كان بالغ القسوة شديد العقوبة والمؤاخذة لا يستطيع ضبط نفسه إذا رأى زعيماً من زعماء بني الحسن وخصوصاً ابا محمد هذا ، بل كان لا يتردد من ضربهم واهانتهم وتعذيبهم وزجهم في السجون المطبقة في الحجاز والعراق ، وقد عبر عما يكن من حنق وحقد غالب عليه بقوله ـ والسياط تنهال بأمره على أحد بني الحسن في الربذة ـ : « هذا فيض فاض مني فافرغت منه سجلاً لم استطع رده .

النفس الزكية

أنجب عبدالله بن الحسن هذه السلالة التي قادت الجيوش وكانت شجى في حلق الطبقة الاولى من بني العباس ، ولا شك أن المنصور قمع ثورة غير واحد من بني الحسن ـ وفي مقدمتهم النفس الزكية « قتيل أحجار الزيت » ، واخوه ابراهيم قتيل « باخمرى » الا انه قد استطاع غير واحد منهم أن ينشيء ملكا عريضاً في غير ناحية من نواحي العالم الاسلامي شرقاً وغرباً ، فكانت لبعضهم دولة في المشرق وكانت لآخرين منهم دولة أخرى تعرف بدولة الادارسة في المغرب ، وكان لبعضهم ملك كبير في جهات اخرى لا شك أن أبعد بني عبدالله شهرة وأبقاهم ذكراً هو محمد المعروف بالنفس الزكية الذي ناضل نضال الابطال ـ حتى مات ـ في طلب الامامة .

ولدت مع مولد محمد بن عبدالله هذا فكرة الدعوة بالامامة وقدر أهله ـ وفي مقدمتهم أبوه عبدالله الذي كان يطوف به على الاحياء ـ انه المهدي الموعود ، وتقبل كثير من الحجازيين وأهل المدينة خاصة هذه الدعوة ووقعت من نفوسهم موقعاً حسناً وصادفت هوى من قلوب المدنيين .

لقن محمد هذا وهو ناشيء أنه المهدي وألقي في روعة وهو حدث الى أن شب وترعرع انه الذي تحدثت بظهوره الروايات فلا سبيل الى مناقشته في هذا الأمر ، بل كان من السهل وصم من يشك في امامته بالمروق عند كثير من أهل الحجاز والمدينة ، ومن شأن كل ناشيء على هذا النمط من التربية والتلقين أن يكون راسخ العقيدة شديد الإيمان بحقه ، وهكذا كان محمد بن عبدالله بن الحسن نشأ وهو واثق انه خليفة زمانه لم يتطرق اليه شك في ذلك وفي أن له حقاً مغصوباً وأن غاصبه هو المنصور ، فلا مناص له من الخروج في سبيل الحق ، اضف الى ذلك أنه كان في الواقع على قسط لا يستهان به من العلم والنسك والدين ، ومن ذلك لقبه النفس الزكية ، وحسبك أن تتصفح الرسائل القيمة المتبادلة بينه وبين أبي جعفر المنصور قبل خروجه لتجزم بأنه غزير العلم قوي الحجة بصير بالاخبار والانساب ، لذلك مال الهاشميون المؤتمرون في الحجاز في ذيل الدولة الاموية الى ترشيحه للخلافة وبايعه من بايعه منهم ، وفي مقدمتهم أبو جعفر المنصور نفسه .

كان محمد بن عبدالله موقنا بان بيعة المنصور له لا يمكن نقضها شأنه في ذلك شأن ذوي العقائد أو المبادىء الراسخة والمثل العالية وانها عقد لا يصح ابطاله وأن الخلافة أصبحت حقاً له لا ينازع فيه ، والحق فوق القوة ، وكان المنصور على نقيض ذلك من الزعماء أو الساسة الواقعيين الذين يرون أن الحق للقوة وأن العهود والمواثيق لا تعدو قصاصة ورق من السهل تمزيقها ، وهكذا كان ، فما أبعد الفرق بين المزاجين والخلقين !

من ذلك عني أبو جعفر بملاحقة عبدالله بن الحسن وأبنائه أشد العناية ـ على ما رأيت ـ ، وكان بينه وبين سلفه أبي العباس السفاح بون بعيد في هذا الشأن .

بنو الحسن في خلافة السفاح

كان أبو العباس لين العريكة إذا قورن بأبي جعفر المنصور لم يسرف كأخيه في سفك الدماء ـ إذا استثنينا وقايعهم مع الأمويين ـ، والحق أن المنصور يختلف عن سلفه اختلافاً ظاهراً من هذه الناحية ونحن نرى السفاح لا يعمل بكثير من آراء أخيه المنصور ولا يوافقه على صرامته وشدته ، أراده المنصور على قتل أبي مسلم الخراساني فنهاه عن ذلك قائلاً : « يمنعني عن قتله سابقته في الدعوة وجهاده في قيام الدولة » ، ولم ينزل أبو العباس السفاح كذلك على رأي أخيه في قتل وزيره ابي سلمة الخلال ـ وهو الذي حاول نقل البيعة الى العلويين ـ على أن السفاح لم يكن مصراً على ذلك ولهذا تولى قتله بعض العباسيين غيلة ـ بعد استشارة أبي مسلم الخراساني في الكوفة ، ولا شك أن المنصور حاول الفتك بمن لقيه من بني الحسن في ولاية عهده للسفاح ولكن كان يحسب لغضب أخيه حسابه .

لما استخلف أبو العباس السفاح وفدت عليه ـ وهو في الانبار قاعدة ملكه الجديدة ـ وفود العرب من كل فج وكان في طليعتها وفد كبير من الطالبيين والعلويين وكلهم من أهل المدينة يتقدمهم عميد بني الحسن عبدالله بن الحسن وأخوه الحسن ويلاحظ أن الوفد اقتصر على فريق من مشيخة الطالبيين وآل الحسن ـ اما معظم الشبان وفي مقدمتهم ابناء عبدالله وابناء أخيه فانهم تخلفوا عن المجيء الى العراق وأن السفاح احتفى بالوفد المذكور حفاوة بالغة وكان يتفضل أمام عبدالله بن الحسن ويستقبله بمباذله محاولاً ازالة الجفاء والوحشة بين البيتين ومن ذلك أنه احتمل أثناء هذه الحفاوة بضيوفه في الانبار أقوالاً لا معنى لصدورها منهم الا التعريض بالدولة العباسية، وقد أسمعه الضيفان الكبيران ما يوهم نزول العباسيين عن ملكهم الى غيرهم في مستقبل الايام ، ويلاحظ ايضاً أن الحديث

على تشعبه بين هؤلاء الهاشميين في مدينة الانبار لم يتناول موضوع « البيعة » وان المؤرخين الذين عنوا برواية أخبار عبدالله بن الحسن وأخبار من معه من الطالبيين في وفادتهم هذه لم يشيروا الى البيعة ولا شيء أهم من الدخول فيها اذ ذاك ، ومن رأينا أن هؤلاء العلويين والطالبيين اشترطوا في هذه الوفادة عدم التعرض للبيعة كما أن السفاح لم يكن ملحاً عليهم في ذلك ، ولذلك اعتبرت هذه الزيارة « أخوية بحتة » أو « شخصية » ولو كان المنصور مكان السفاح في ذلك الحين لأصر على الدخول في البيعة ولضرب أعناق القوم ـ لو امتنعوا ـ فوراً أو ألقاهم في السجون المطبقة والمطامير ليموتوا فيها أبشع ميتة كما قام بعد استخلافه بذلك .

كان زعماء العرب لا يرون في وفادتهم على أقرانهم وأندادهم وقبول الرفد والهدايا منهم شيئاً من الغضاضة لذلك نرى أبا العباس السفاح رضخ للوفد بمبالغ طائلة من المال ، ومن أهم العوامل في هذا السخاء أن المال كان ينفق في الحجاز وهو بلد قاحل جل سكانه من ذوي الفقر والخصاصة ولكنه مهبط الوحي ومبعث الرسالة .

هذا ولا بد لنا من القول : أن السفاح أظهر قلقاً ووجلاً عظيمين من تخلف المتخلفين من شباب بني الحسن وفي مقدمتهم الأخوان محمد وابراهيم ابنا عبدالله فألحف في الاستفسار عنهما وعن أسباب تخلفهما ، ومن حق السفاح ان يساوره القلق فانهما تخلفا لأمر عظيم اذ كان محمد بن عبدالله مشغولاً ببث الدعوة لنفسه في الحجاز والعراق وفي الأهواز وفارس وفي أقطار أخرى ـ وكان له ولأنصاره نشاط ملحوظ في هذه الأقطار يجري أكثره في الخفاء وان لم يخف على عيون بني العباس ـ كما كان معنياً باعداد عدته للخروج ، ولم يكن الغرض من ذلك الالحاف تفقداً أو حباً وانما هو الإطمئنان والوقوف على مذهب الأخوين أو نيتهما في طلب الخلافة ، وفي وسعك أن تحكم على سياسة السفاح ومبلغ مجاملته لبني الحسن من تظاهره بقبول المعاذير عن الأخوين الغائبين على مضض فإن الحسن المثلث أفهم السفاح بان محاولاته في الوقوف على أمرهما من العبث[٣] ، ولذلك أراح السفاح نفسه باليأس من الظفر بالأخوين بعد الحديث المذكور مع أضيافه فأعرض عن طلبهم الى أن فرق بينهم الموت ، وتعزى مجاملته لبني الحسن الى خبرته بدخائل بني عمه الهاشميين والمامه بما يخالج نفوسهم من الشعور بالأنفة ، ولذلك نرى كثيراً من هؤلاء الطالبيين والهاشميين يخاطبون خلفاء بني العباس مخاطبة النظراء الأكفاء أو مخاطبة الأنداد ، وقد يرون في آل عباس أتباعاً لا متبوعين ومرؤسين لا رؤساء فيما مضى من خلافة الإمام علي وبعض الأئمة من أبنائه ، فمن أشق الأمور على وجوه العلويين أو الطالبيين أن يروا أنفسهم تابعين مرؤوسين للعباسيين بعد ذلك ، وقد تعزى المجاملة المذكورة فيما تعزى اليه الى تأثير عبدالله بن الحسن نفسه فقد اشتهر ـ كما مر بك أن لحديثه تأثيراً كتأثير السحر في النفوس حتى كان الأمويون والعباسيون يحسبون لبلاغته وعارضته وملاحة أحاديثه حساباً .

بنو الحسن في عصر المنصور

كان استخلاف المنصور بعد أخيه السفاح ايذاناً بالانتقال الى عصر جديد يمتاز بشدته المتناهية واجتناب سياسة اللين والتهدئة وتفضيل الحلول الحاسمة على انصاف الحلول ، والواقع أن المنصور واجه في مستهل خلافته اخطاراً شتى منها القريب ومنها البعيد عني بدفعها عن الدولة ، فهذا عمه الأمير الظافر عميد العباسيين بعد السفاح وقائد جيشهم وقاتل مروان الجعدي يمتنع من بيعة المنصور ويزحف على العراق مدعياً أن السفاح عهد بولاية العهد لمن يظفر بالأمويين وهو الظافر بهم غير مدافع ولذلك فهو أولى العباسيين بهذه الولاية ، وهؤلاء بنو الحسن وأنصارهم في كل مكان لا يرون في بني العباس أهلاً للبيعة بل يرون فيهم غاصبين ناكثين بالعهود والمواثيق ولا بد لهم من وثبة على هؤلاء الناكثين الغاصبين ، ثم هذه الفتن الناجمة والخوارج الخارجون في شتى الأقاليم .

لا شك ان المنصور واجه هذه الاحاديث والفتوق في مستهل خلافته بجأش رابط وعزيمة ماضية فتغلب على عمه بأبي مسلم الخراساني ثم ثنى بأبي مسلم ففتك به وبأنصاره ثم قمع فتناً شتى في الشرق والغرب تفرغ بعدها لمناجزة بني الحسن وقد كونت حركتهم خطراً من أعظم الأخطار على الدولة ، وكان هذا الخليفة في كل هذه الأحداث ثابت الجنان يعتمد على القوة ولا محل عنده للعفو والرحمة[١] .

ومن رأي أبي جعفر المنصور ان الأساس الذي قامت عليه دولة بني العباس وأخذت بموجبه البيعة لخلفائهم لم يزل مهدداً بالانهيار إذا أصر بنو الحسن على المطالبة بحقهم في البيعة ـ وانهم لمصرون فعلاً ـ طبقاً لذلك الميثاق الذي اتخذه الهاشميون في أيام بني أمية والى هذا الميثاق يستند بنو الحسن ومحمد بن عبدالله في طلب البيعة وانها لبيعة يعرفها العرب والهاشميون بأسرهم في ذلك الحين ، وأول من عقدها للنفس الزكية هو السفاح ، ويقال أن المنصور بايعه مرتين احداهما بمكة في المسجد الحرام فلما خرج أمسك له بالركاب ثم قال : « اما انه أن أفضى إليك أمر نسيت لي هذا الموقف » ، ومن هذا نعلم أن مناط السياسة ومحورها الذي تدور عليه في مذهب المنصور هو المصلحة لا غير ، فهو يساوم ويماكس ولا يقيم وزناً لغير هذا النوع من السياسة سياسة المنفعة لا سياسة العاطفة .

كان خبر هذه البيعة ـ بيعة المنصور للنفس الزكية ـ من جملة الأخبار المشهورة المتعالمة في ذلك العصر ، ومن الأدلة على ذلك حديث عثمان بن محمد بن الزبير مع أبي جعفر المنصور ، وهو حديث يدل على ثبات نادر وجرأة بالغة ، كان عثمان هذا من وجوه أصحاب محمد وولي الشرطة له وله ذكر في بعض كتب الأخبار ، وقد هرب الى البصرة بعد مقتل صاحبه فحمل منها الى المنصور فقال لـه « هيه يـا عثمان » أنت الخارج علي مع محمد ؟ » قال : « بايعته أنا وأنت بمكة فوفيت ببيعتي وغدرت ببيعتك » قال : يا ابن اللخناء ، قال : ذلك من قامت عنه الاماء ـ يعني المنصور ـ فأمر له فقتل ، وهذا الحديث يدل على أثر العقيدة في هذا الضرب من أصحابه محمد بن عبدالله وعلى تفانيهم في ولائه والاخلاص له .

أضف إلى ما تقدم ما تناهي إلى علم المنصور من أن للعلويين أو لبني الحسن في كثير من الأقطار أنصاراً يدينون لهم بالولاء ويبعثون لهم بزكاة الاموال ومختلف الألطاف ويعنون كثيراً باخبارهم ويتحدثون باحاديثهم ، ومن هؤلاء من يرى رأي الزيدية في الخروج ، ومنهم من يرى موالاة هؤلاء العلويين على كل حال ، وكانت للقوم هيبة ومكانة في صدور الناس ، وإلى تلك المكانة الرفيعة والبيعة القائمة لبني الحسن في أعناق الأول من بني العباس مرد هذا الحرص من المنصور على الظفر بمحمد وبأخيه ابراهيم ليطمئن على ملكه الجديـد ويقيمه عـلى الأساس الـذي يريد ، وقد تذرع الى تحقيق بغيته بشتى الوسائل ونصب مختلف الحبائل .

يدهش المتأمل في سيرة المنصور لعنائه البالغ بعد استخـلافه ـ وقبـل ذلك ايضاً ـ بالتضييق على وجوه بني الحسن ، كان ذلك شغله الشاغل أينما حل ، ملأ الجزيرة بالعيون والأرصاد وبذل الأموال الطائلة وفرق الأعراب يفتشون عنهم في البوادي وكان أولئك العيون والأرصاد يتلقون تعاليم دقيقة من المنصور .

والحقيقـة أن بني الحسن من ناحيتهم ـ وقـد عقـدوا النيـة وصمـمـوا عـلى

الخروج - أذكوا لهم عيوناً وجواسيس يوافونهم بأخبار المنصور بل كان ابراهيم بن عبدالله نفسه يتغلغل في مملكة المنصور وفي قواعده العسكرية في الشام والعراق ، ويروى انه تناول الطعام على مائدة المنصور مرة وحضر مجلسه متنكراً ، وقد بلغ المنصور بذلك إلا انه عجز عن الظفر به ، ويلاحظ أن عامة الناس في العراق كانوا يساعدون ابراهيم على الافلات والنجاة ، وكان المنصور يقول : « غمض علي أمر ابراهيم لما اشتملت عليه طفوف البصرة » .

عزل المنصور ولاة المدنية واحداً بعد آخر لفتورهم في طلب القوم ونسب هؤلاء الولاة الى الغش والمداهنة ، والواقع أنهم دهشوا وأخذتهم الحيرة من هذا الولاء البالغ الذي ينعم به هؤلاء العلويون في الحجاز وتفضيل القوم لهم على العباسيين فلم يجد الحكام مساغاً لاراقة الدماء نزولاً على هوى المنصور ، والغالب أن لعبدالله بن الحسن والد الأخوين المتواريين دخلاً قوياً في ضعف هؤلاء الولاة عن الاهتداء إلى مكان ابنائه وعجز المنصور عن الظفر بهما ، ومرد ذلك الى منزلة عبدالله هذا وحرمته الكبيرة في المدينة ولدهاء وعقل فيه ، فكان الولاة المذكورون يسمعون عنه ويطيعون .

المنصور يلح

ما زال المنصور يلح وعبدالله يدافع ، وقد نجح المنصور أو كاد في اشاعة الاضطراب والارتباك في نفوس بعض بني الحسن ، وكانت بين عبدالله بن الحسن وسليمان بن علي - عم المنصور وعامله على البصرة - قرابة قريبة ومصاهرة فاستشاره في اظهار ابنيه على شرط أن يعفى عنهما فقال سليمان : لو كان المنصور من أهل لعفى عن عمه عبدالله بن علي - وهو أخو سليمان هذا - فلم يسع عبدالله بن الحسن إلا قبول هذا الرأي الذي ارتاه صهره وقريبه سليمان ، ومن ثم أمعن في تشجيع أولاده على الثبات والمضي في الخلاف وهان عليه السجن في هذا السبيل وطال لبثه فيه على وجه أثار اشفاق أولاده ورثاءهم لحالته ، وكان محمد ابنه يزوره في سجنه بالمدينة وخطر له أن يسلم نفسه للمنصور ليخلص والده ولكن الوالد الجلد الصابر ظل وهو رهين السجن يحث أولاده على الثبات والمقاومة حتى الموت وقد اشتهر له في هذا الشأن كلمته التي خاطب بها ابنيه قائلاً « أن منعكما أبو جعفر أن تعيشا كريمين فلا يمنعكما أن تموتا كريمين » .

وكان عبدالله أول من بث الدعوة لابنه وبايعه ، ولذلك كان المنصور يكنيه « أبا قحافة » تشبيهاً له بعثمان بن عامر التيمي لأن أبا بكر ابنه بويع وهو حي كما بويع النفس الزكية وأبوه على قيد الحياة .

طلائع الثورة

أجمع المؤرخون على أن طلائع الثورة الحسنية على الدولة العباسية بدأت بتضييق أبي جعفر المنصور على عبدالله بن الحسن وأهله وزجهم في سجنهم الأول بالمدينة - بعد استخلافه بنحو سبع سنين - متهماً اياهم بتهم مختلفة ناسباً اليهم انهم يكيدون للدولة العباسية ويبغونها الغوائل ، ولم يأمر المنصور بسجن عبدالله - بعد أن حاول قتله - إلا بعد أن أراده على احضار ابنيه وهدده وطالما تكاشفا وتغالظا في الكلام وقد أراد المنصور بالتضييق عليه في سجن المدينة أن يضطره الى تسليم ابنيه ولما امتنع أشد امتناع أمر باشخاص بني الحسن الى العراق وأشرف بنفسه على وضع الأغلال في أعناقهم والقيود في أيديهم وسامهم في الطريق من الحجاز الى العراق ألواناً من العذاب والتنكيل والقتل الى أن أودع من بقي على قيد الحياة منهم سجنه في قصر ابن هبيرة أو الهاشمية ، وكان ذلك سنة ١٤٤ هـ .

بقي عبدالله بن الحسن في سجن المنصور ثلاث سنين ، وكان ينتحل لغياب ابنيه شتى الأعذار ، مرة يقول : انهما منهومان بالصيد وطلبه وانهما هجرا لذلك الأهل والديار ، وتارة يقول : انه لا يعلم من أمرهما شيئاً ، وطوراً يدعي أن خوف المنصور اكرههما على الغياب وعلى الخروج الى اليمن والى السند والى العراق وإلى اقطار أخرى .

كان محمد خبيراً بالتنكر والاختفاء جوابة للبوادي ورادا على المياه الأواجن وقد تزيا بشتى الأزياء ، تزيا بزي الأعراب والعمال وغيرهم ولم يزل يتنقل من موضع إلى موضع الى حين خروجه بالمدينة .

ظهور محمد بالمدينة

ألح أمير المدينة في طلب محمد وضيق عليه وأرهقه الطلب طبقاً للأوامر التي تلقاها من أبي جعفر المنصور بعد قفوله الى العراق بمن حملهم من بني الحسن فلم يسع محمداً إلا الخروج والثورة بعد أن بعث بأخيه ابراهيم يجوس خلال مملكة المنصور في العراق ، وهي الثورة التي قمعت على يد الأمير عيسى بن موسى - بعد ثلاثة أشهر - طبقاً لما توقعه الامام جعفر بن محمد - وقد مر شرح ذلك - .

تتضارب أقوال المؤرخين في أسباب نجاح المنصور في قمع ثورة بني الحسن بمثل هذه السرعة فيقال : أن محمداً خرج قبل وقته الذي واعد أخاه ابراهيم على الخروج فيه وقيل خرج بميعاده وكان التأخير من أخيه ، ويبدو لنا أن أهل المدينة برموا من القلق والاضطراب وسئموا من الانتظار على وجه اضطر معه محمد الى الخروج ، ويقال أيضاً أن أهل المدينة لم يكونوا أهل حرب كأهل العراق وكانت ذخائرهم ومؤنهم قليلة ، وقد اتصل ذلك ببني العباس من جواسيسهم في الحجاز ، ومن أجل ذلك هان على المنصور اخماد الثورة فيها ، وفي كتب التاريخ روايات تدل على ان المنصور كان بارعاً في نصب المكايد والخدع للثائرين فكانوا يتلقون رسائل مذيلة بتوقيع قواد الجيش العباسي وأمرائه يحثون فيها بني الحسن على الظهور ويخبرونهم أنهم من أنصارهم ، إلى ذلك ونحوه مما جعل محمد بن عبدالله يعتقد بانحياز قادة الجيش العباسي الى جانبه إذا ثار، وما كتبت تلك الكتب والرسائل إليه إلا بأمر أبي جعفر المنصور .

عنى المنصور باستشارة أصحابه في كيفية التغلب على محمد بن عبدالله فكانت لهم آراؤهم في هذا الشأن ، وكثير منهم هون على المنصور أمر الثورة قائلين أن أهل المدينة ليس معهم آلة الحرب ولا قدرة لهم على الزحف ، وقد يستطيعون الدفاع مدة قليلة ، ومما يدل على ذلك أن عالماً كثيراً من سكان المدينة تركوها الى البادية والجبال لما دنا منها جيش المنصور يقوده ابن أخيه الأمير عيسى بن موسى ، ولم يبق مع محمد بن عبدالله عدد يؤبه له وتفرق عنه جل أصحابه في أحرج لحظة .

أضف إلى ذلك أن أصحاب محمد اختلفوا في كيفية ادارة رحى الحرب داخل المدينة بيد أن محمدا مع ذلك كله ثبت ثبات المؤمن بحقه وقاتل قتال الابطال حتى قتل وقتل معه من أهل المدينة قوم لم يسع المنصور إلا الاعتراف ببسالتهم ونجدتهم البالغة .

بعض مميزات الثورة

امتازت ثورة النفس الزكية ببعض المميزات الخطيرة وفي مقدمتها مشاركة عدد غير قليل من وجوه الدولة العباسية بالدعوة والبيعة له في الشرق والعراق والحجاز ومنهم عدد من احفاد الصحابة والتابعين وعدد من النساك والقراء والفقهاء ونقلة الحديث والأثر .

وكان أعيان معتزلة البصرة من واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد من دعاته وأنصاره ويقول بعض المؤرخين : بايعه الأئمة من أهل عصره كمالك وأبي حنيفة ومن في طبقتهما .

خرج مع محمد جماعة من آل أبي طالب من أبناء الامام علي ومن أولاد جعفر الطيار وخرج معه اثنان من أولاد زيد بن علي عيسى وحسين وخرج معه جماعة آخرون اعتقدوا امامته وقتلوا على ذلك ، ومنهم بعض من آل الزبير كعثمان بن محمد بن خالد بن الزبير المتقدم ذكره ، وقد خرج أكثر من خرج معه على أنه المهدي الموعود .

ومن السهل تعليل هذا التأييد الذي لقيه محمد بن عبدالله من العلويين والطالبيين وغيرهم وكذلك الانحراف الذي مني به المنصور والعباسيون فإن مردهما الى الاعتقاد أو إلى القول بالإمامة فاننا نعرف عن أولئك الفقهاء ونقلة الأثر والحديث في ذلك العصر وأمثال هؤلاء - ممن أعتزل الحكم وتجرد للتفقه والنسك والعبادة - أنهم يرون أن مناصب السياسة أهون من أن تراق في سبيلها ملء محجمة من الدم ، ولما كان الامويون ومن بعدهم العباسيون على النقيض من ذلك في عدم التحرج من سفك الدماء في سبيل الملك والسلطان لم يسع أولئك إلا المجاهرة بالخلاف والخصومة العنيفة ، وعقد غير واحد من المؤرخين فصولاً خاصة سموا فيها من أجاب دعوة محمد بن عبدالله أو خرج معه من أعيان ذلك العصر وأئمته في عدة من الأقطار ، وهي فصول تصلح للاحتجاج على متانة مركز بني الحسن من الناحية المعنوية في العصر المذكور وأن اضطربت آراء فريق من وجوه الطالبيين في خروجه وامتنع من امتنع منهم عن تأييده .

عمال محمد بن عبدالله

أرسل محمد قبل ثورته وبعدها عماله ودعاته الى مكة والى الشام واليمن والعراق ، ومن أشهر هؤلاء العمال والدعاة أخواه إبراهيم بن عبدالله وجه به الى العراق قبيل ثورته وموسى ويعرف « بموسى الجون » في كتب الأنساب ، وقد استعلمه على الشام ، ومنهم محمد بن الحسن بن معاوية من أحفاد جعفر بن أبي طالب استعمله على مكة ويظهر من قوائم المؤرخين التي وردت فيها أسماء عماله أنه اختارهم من ذوي قرباه ولم يكتب لأكثر هؤلاء العمال نجاح يذكر في الأقطار المذكورة ، فهذا عامله على مكة لم يقم إلا يسيراً فيها حتى استدعاه محمد لما خرج إليه عيسى بن موسى ولكن محمداً قتل وعامله هذا في طريقه الى المدينة فهرب الى العراق ولحق بإبراهيم بن عبدالله وأقام عنده حتى قتل ، وقد مني موسى أخو محمد وعامله على الشام بالفشل أكثر من غيره ، تجهمه أهل الشام واستقبلوه استقبالاً رديأ وكان أثر الرعب والوجوم بادياً على القوم منذ زوال الدولة الأموية واستئصال امرائها وأبادتهم . تدلنا على ذلك رسالته التي بعث بها الى أخيه من دمشق وقد جاء فيها : « اخبرك أني لقيت الشام وأهله فكان أحسنهم قولاً الذي قال : والله لقد مللنا البلاء وضعفنا حتى ما فينا لهذا الأمر موضع ولا لنا به حاجة ، ومنهم طائفة تحلف لئن أصبحنا من ليلتنا وأمسينا من غد ليرفعن أمرنا ، فكتبت إليك وقد غيبت وجهي وخفت على نفسي » وقد ترك موسى الشام بعد رسالته هذه الى المدينة وقيل الى البصرة - وهو الأصح فيما نرى - والمرجح أنه ترك الشام بعد أن حوصر أخوه في المدينة وذهب رأسا الى البصرة ملتجئاً الى قريبه محمد بن سليمان العباسي في البصرة ولكن هذا وبخه توبيخاً شديداً وجبهه بكلمات نابية تدل على اضطراب ورعب من المنصور ، وقد أشار المؤرخون الى مصير موسى بعد وصوله الى العراق وسجنه في أيام المنصور والأفراج عنه في عصر ابنه المهدي وذكروا أنه عاش الى أيام هارون الرشيد وله معه أحاديث لطيفة هذا ولم يغفل المؤرخون أسماء ولاة محمد بن عبدالله وقضاته على المدينة ووزرائه في إدارة الشؤون الحربية والمالية والقضائية .

إبراهيم يثار لأخيه في العراق

هرب عدد من أقرب المقربين الى محمد بن عبدالله - بعد مقتله سنة ١٤٥ - وعدد من ولاته وعماله الى البصرة ، وقد اشتملت باديتها على كثير من أنصار بني الحسن عقدوا البيعة لأخيه إبراهيم بن عبدالله ونادوا وأعلنوا الخلاف على الدولة العباسية .

يعد إبراهيم بن عبدالله - أخو النفس الزكية - من أشهر رجال بني الحسن علماً وفقها لم يملأ عين المنصور بعد أبيه وأخيه غيره من بني الحسن ، وله ضلع في الأدب ويروى له شعر ، ومن رأى بعض المؤلفين في الأدب والتاريخ أن « المفضليات » من جمع إبراهيم بن عبدالله جمعها من دواوين العرب لما كان مختفياً في منزل « المفضل الضبي » فلما قتل إبراهيم نسبت المفضليات الى المفضل المذكور ، وكان المفضل زيدياً ومن رواة حديثه وشعره كما كان إبراهيم يكثر من الإقامة عنده .

كثر المادحون من الشعراء لإبراهيم ، ومن مداحه بشار بن برد ، وحسبنا من شعره في إبراهيم قصيدته السائرة التي تعد من عيون الشعر العربي وفيها يقول :

أقول لبسام عليه جلالة	غدا أريحيا عاشقا للمكارم
من الفاطميين الدعاة الى الهدى	سراج لعين أو سرور لعادم

أتى إبراهيم نعي أخيه فخرج وأخبر الناس في البصرة ، وكانت البصرة موالية له جدا كما كان البصريون من أكثر أنصاره وأشدهم انقياداً وطاعة له ، ولإبراهيم كلمة بليغة في الثناء على البصريين لايوائهم إياه مع أصحابه وقد أتخذ أصحابه من هذه الكلمة شعاراً لهم وأنشودة ينشدونها ، وقد جاء في ختام الكلمة قوله : « إن أملك فلكم الجزاء وإن أهلك فعلى الله الوفاء » .

توالت على المنصور الفتوق - بعد خروج إبراهيم - من البصرة والأهواز وفارس وواسط والمدائن والسواد الى جانب كثير من أهل الكوفة ، ويبدو لنا أن كثيراً من زعماء العراق في الكوفة وفي الموصل وغيرهما مالوا الى إبراهيم وبايعوه وقد أجمع المؤرخون على أن إبراهيم وجم واغتم بخروج أخيه وأمره أياه بالخروج فلعله كان يرى خروجه مبتسراً أي قبل أوانه ، ويفهم أن المنصور أكثر من استشارة رجال دولته في أمر إبراهيم وخروجه ، وقد أخذ برأي من ارتأى منهم بأن يقاتله بجند من أهل الشام لأنهم لا يميلون الى آل أبي طالب بخلاف العراقيين .

استولى إبراهيم على واسط والقسم الجنوبي من العراق وأرسل الى تلك الجهات عماله ، بايعه أهل واسط بعد البصريين وبايعه الزعماء والفقهاء ولم يبق أحد إلا تبعه وقد سمى أبو الفرج جميع من خرج معه من الفقهاء والمحدثين ونقلة الآثار وكانت وجهته الكوفة وفيها المنصور ، ويلاحظ أن كثيراً من أصحابه لا بصر لهم بفنون الحرب ولكنهم شجعان وقد وقعوا في هفوات حربية إليها مرد ظفر الجيش العباسي ، وبعض هذه الغلطات الحربية في واقعة « باخمرى » أدت الى مقتله وتشجيع جيش أبي جعفر المنصور على الثبات بعد الهزيمة ، وعلى كل حال كانت ثورة إبراهيم في العراق أخطر من ثورة أخيه في المدينة ، وبين الثورتين فروق أخصها أن ثورة إبراهيم الحقت بالدولة العباسية خسائر كبيرة في الأموال والأرواح وهي أضعاف ما الحقته ثورة أخيه المذكورة وكانت وقعة باخمرى قريبة من الكوفة وفيها سرير المنصور .

نقلة الآثار يؤيدون الثوار

خرج مع إبراهيم عدد غير قليل من أهل العلم والفقه ونقلة الآثار سماهم وترجم لهم أبو الفرج الأصفهاني ، كما أفتى بالخروج معه فقهاء آخرون سماهم غير واحد من المؤرخين كابن سعد والطبري ، وقد عللنا فيما مر تأييد أهل الفقه والنسك في صدر الدولة العباسية للثائرين عليها من العلويين ، ومرد ذلك الى هوان السياسة وطلب الملك والدولة على هذا الفريق من الفقهاء والنساك وإن ذلك فيما يرون أقل شأنا من أن تراق في سبيله الدماء وأحرى أن يركن بسببه الى العزلة والإنزواء فقد صح أن أبا حنيفة كان يجهر بآرائه في نقد سياسة المنصور وأصحابه نقداً لاذعاً يعلن عن مناوأته للخليفة ولعماله في شدة وطأتهم على العلويين على رؤوس الأشهاد ، حتى قال له بعض أصحابه : « والله ما أنت بمنته حتى توضع الحبال في أعناقنا » ، والواقع أن أبا حنيفة عارض سياسة الأمويين المجافية للدين والمبنية على اضطهاد العلويين قبل معارضته لسياسة العباسيين فرفض ولاية القضاء في أيام مروان بن محمد ، وضرب وحبس في هذا السبيل ، وفي هذا الامتناع الشديد عن ولاية القضاء في العصرين الأموي والعباسي بعد ذلك ما فيه من الدلالة على تبرمه بالسياسة وعلى مجافاته للحكام من أمويين وعباسيين ، ويعده المؤرخون كافة من الموالين لآل علي ، وكان لخروج زيد بن علي وقتله على الصورة التي قتل فيها ـ في أيام هشام بن عبد الملك ـ أثر عميق في نفسه ومشت بين زيد الشهيد وأبي حنيفة رسل وبعث إليه بمال وأطلعه على بعض الموانع التي منعته من الخروج .

ومما لا شك فيه أن اغتباط أبي حنيفة كان عظيماً بزوال دولة بني أمية وانتقال الأمر الى العباسيين ، وتروى له خطبة في الكوفة عند بيعة السفاح استقبل فيها الدولة الناجمة استقبال الولي الناصر ، ولم تعرف عنه خصومة لهذه الدولة في أيام السفاح وفي شطر غير قليل من أيام المنصور ، ولما خرج محمد بن عبدالله النفس الزكية بعد مضي عشر سنوات على بيعة المنصور ـ وكانت تربط أبا حنيفة بالنفس الزكية رابطة قديمة إذ كان أبوه عبدالله بن الحسن من أجل أشياخه ـ ظهرت الخصومة بينه وبين أمراء الدولة العباسية ولم يسعه إلا المجاهرة بآرائه في مناصرة العلويين ، لذلك نرى كتب التاريخ حافلة بأخبار سخطه على بني العباس بعد هذه الثورة وبعد مقتل العلويين الثائرين .

آراؤهم في الخروج على السلطان

وقد عقد الخطيب فصلاً عنوانه « ذكر ما حكي عن أبي حنيفة من رأيه في الخروج على السلطان » ، وهذا الفصل عبارة عن أحاديث يستنتج منها أن أبا حنيفة يرى الخروج بالسيف على سلطان زمانه الجائر ، وقد ناقش هذه الروايات فريق من المؤلفين والمحدثين زاعمين أنها روايات واهية الأسناد ، وقال آخرون : أنها كذب وافتراء على أبي حنيفة ودليلهم على ذلك أن فقهاء الحنفية مجمعون على القول بعدم جواز الخروج على السلطان وإن طاعته واجبة ما لم يأمر بمعصية ، ويفهم مما قالوه أن ما نقله الخطيب في هذا الشأن لا أصل له في مذهب أبي حنيفة .

وممن ناقش الخطيب البغدادي فيما حكاه عن أبي حنيفة وأسند إليه والى أصحابه أقوالاً تنافي الأقوال الواردة في تاريخه وأنكر تلك الأقوال المنسوبة إليه في جواز الخروج على ولاة الأمور الملك عيسى بن العادل الأيوبي في كتابه : « السهم المصيب » وقد نقل عن أبي حنيفة قوله « ولا نرى الخروج على أئمتنا وأولياء أمورنا وأن جاروا علينا وندعو لهم » ثم قال : « واجماع أصحاب أبي حنيفة على ذلك » .

ومن رأي بعض المؤرخين أن هذا القول مرجوح وإن في اجماعهم على محنته ما يكفي لترجيح قول القائلين بخلاف ذلك ، فالمنصور اعقل من أن يؤذي أبا حنيفة لمجرد امتناعه عن القضاء وإنما اتخذ من هذا الإضراب ومن مواقف أخرى عارض أبو حنيفة رغبات المنصور ذريعة يتذرع بها لإيقاع هذه المحنة ، وقد ثبت أن في أعوان المنصور ووزرائه من يحرض على أبي حنيفة ويثير الخصومة بينه وبين الخليفة ومنهم الربيع بن يونس وأبو العباس الطوسي والأمير عيسى بن موسى أمير الكوفة الآنف ذكره وغير هؤلاء .

كان أبو حنيفة وهو في الكوفة يحث الناس على الخروج مع إبراهيم بن عبدالله ويأمرهم بإتباعه ويشجع إبراهيم على الطلب بدم أخيه ويدعوه الى نزول الكوفة مهوناً عليه أمر عيسى وعمه المنصور ، وقد أفتاه ـ على ما يقول هذا الفريق ـ أن يسير معهم سيرة جده مع أهل الشام ، وكان بقاؤه في الكوفة ـ وهي علوية في دعوتها ـ خطراً على القوم ، ولذلك هم واليها الأمير عيسى بهدر دمه ثم اكتفى بأن أشخصه من الكوفة الى بغداد بأمر من المنصور ، وتوفي أبو حنيفة سنة (١٥١) على أصح القولين أي بعد مقتل إبراهيم بن عبدالله بست سنوات ، ويجب أن تكون إقامته هذه المدة ببغداد أو أنه كان يتنقل بينها وبين الكوفة ، وفي كيفية وفاته ببغداد أقوال بيد أن المؤرخين مجمعون على وفاته وهو في المحنة .

هذا ويلاحظ أن مذهب أبي حنيفة في الفقه أصبح مذهب الدولة العباسية في عصر الهادي والرشيد بعد أن نوهض صاحب المذهب في عصر المنصور ، وقد اختير جل القضاة من بين المنتمين الى المذهب المذكور ، وكان لأبي يوسف صاحب أبي حنيفة شأن يذكر في ذلك حتى قيل : مذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرياسة والسلطان الحنفي في الشرق والمالكي في الغرب ، وكان مرد رغبة كثير من الطلاب بعد ذلك بدرس الفقه الحنفي الى تولي المناصب القضائية أو مناصب التدريس .

محنة اخرى

كان المنصور يلاحق من خرج مع محمد وأخيه إبراهيم أو افتى بجواز الخروج معهما ، وقد أجمعت كلمة المؤرخين على محنة امتحن بها مالك بن أنس المدني صاحب الموطأ فضرب بالسياط ومدت يداه حتى انخلعت كتفاه وقيل : ضرب سبعين سوطاً في المدينة هذا ما أجمع عليه المؤرخون وأصحاب السير ، وفي أسباب هذه المحنة المتفق عليها أقوال أشهرها فتوى مالك المعروفة في « يمين المكره » ، وفي « طلاق المكره » إذا استفاض في كثير من كتب المؤرخين أن مالكاً افتى بجواز الخروج مع محمد بن عبدالله وبصحة البيعة له : فقيل له : أن في اعناقنا بيعة للمنصور فقال إنما بايعتم مكرهين أو قال : ليس على مكره يمين ، وقد احتج من احتج بهذا الحكم على بطلان بيعة أبي جعفر المنصور وبايع أهل المدينة النفس الزكية ، وعلى هذا فإن التحلل من بيعة أبي جعفر المنصور هو المقصود من هذه الفتوى ونفى آخرون عن مالك الخوض في السياسة والتحريض على السلطان ذاهبين الى أن هذه الفتوى عامة لم تقصد بها نازلة أو حادثة بعينها ، وهذا الفريق من المحدثين والمؤلفين يذهبون الى أن مالكاً التزم الحيدة في حرب المدينة بين الأمير عيسى بن موسى مقدم جيش المنصور والعلويين ومقدمهم النفس الزكية ، بيد أن بعض حساد مالك ومثيري الخصومة بينه وبين المنصور استندوا الى هذه الفتوى فيما جرى بين مالك ووالي المدينة .

دولة لبني الحسن في المغرب

لم يكون بنو عبدالله بن الحسن الذين خرجوا على بني العباس في صدر دولتهم أو في خلافة خلفائهم الأول دولة تذكر في المشرق ولا أمهلتهم الأيام أن يقوموا بذلك وإن قامت لأعقابهم وأحفادهم امارات ودويلات بعد ذلك في بعض ديار العجم

كبلاد الديلم وفي بعض بلاد العرب كاليمن ، وإنما قلنا دولة في المشرق لأن بني الحسن كونوا لهم ـ والحق يقال ـ أكثر من دولة واحدة في المغرب الأقصى وفي بلاد الأندلس ، عرفت الدولة الأولى في كتب التاريخ بدولة الأدارسة وعرفت الثانية بدولة بني حمود من أعقابهم ، وقد استندت هاتان الدولتان في قيامها على حزب لا يستهان بقوته وشدة مراسه قوامه البربر والمغاربة المراكشيون ، وقد نسبت دولة الأدارسة الى إدريس بن عبدالله بن الحسن والى ابنه الذي خلفه في المغرب وسمي بإسمه ، ويقال لإدريس ابن عبدالله « إدريس الأكبر » تمييزاً له عن ابنه الذي يقال له « إدريس الأصغر » كما يقال لكل منهما « صاحب البربر » لأن جل من استجاب لدعوتهما وشد أزرهما من قبائل البربر ـ وكان ذلك في عصر هارون الرشيد ـ وإدريس الأكبر أو الأول ثاني اثنين من أولاد عبدالله بن الحسن المثنى افلت من وقعه « فخ » المشهورة ، أما أخوه وهو يحيى بن عبدالله الذي افلت معه من هذه الواقعة فيقال له « صاحب الديلم » خروجه على الرشيد في بلاد الديالمة[٣] وإن خاب يحيى في حركته بخلاف أخيه إدريس وابنائه الذين حالفهم التوفيق في تكوين الدولة الإدريسية .

خيبة صاحب الديلم

تيسر للرشيد احباط حركة يحيى لوقوعها في إقليم غير بعيد عن العراق ، وشتان بين البلاد التي ظهر فيها إدريس ـ وهي مراكش ـ وبين بلاد الديلم من هذه الناحية ، لذلك لم يستطيع أن ينشأ ملكاً أو دولة كالتي انشأها الأدارسة .

كان ساعد الرشيد في احباط حركة صاحب الديلم الناجمة في المشرق وزيره الفضل بن يحيى ، وهو وزير عرف بحنكته وكياسته واجتنابه سفك الدماء وميله الى حل المعضلات سلمياً ، فلما ندب الرشيد وزيره المذكور الى قتال هذا العلوي الثائر استماله وأقنعة بالتسليم بشروط ، منها أخذ الأمان له بخط الرشيد في حادثة مشهورة يظهر منها أن يحيى عاش في عاصمة الرشيد بعد تسليمه عيشة امرائها المرفهين مدة ثم مات مسموماً ، وفي رواية ابن الأثير حبسه فمات في الحبس بعد أن أفتاه بعض فقهائه بأن أمانه منقوض ، هذا وليحيى بعد ذلك ضلع في التاريخ والعلم بالأنساب والأيام ، ومناظراته مع بعض خصومه في مجلس الرشيد تدل على ذلك .

ولصاحب الديلم حديث مع الإمام موسى بن جعفر في الموقف الذي يجب أن يقفه العلويون من الدولة العباسية في هذا العصر ، وقد تبودلت بينهما رسائل طريفة وهذه الرسائل صريحة جداً في الخلاف الناشب بين هذين البطنين من العلويين في هذا الباب ، وقد نهاه فيها الإمام موسى بن جعفر عن الخروج على هارون الرشيد وأوصاه بالأخلاد الى السكينة ، ويقول أحد شراح أصول الكافي : يكثر الزيدية من الثناء على يحيى ويروون أنه فيمن أوصى إليه جعفر بن محمد بعد ابنه موسى الكاظم ، وليحيى ذكر في بعض معاجم الرجال وأصحاب الحديث .

ورثة الحضارة الأندلسية

بدأت دعوة الأدارسة في مراكش أو المغرب الأقصى سنة ١٧٠ ، وفي قول بعد ذلك بقليل ، وجل انصارها من البربر الذين استجابوا لدعوة إدريس الأكبر ثم بايع البربر إبنه إدريس الأصغر ، وهو أول من بويع بالخلافة من بني إدريس بيعة عامة في البلاد المذكورة ، وقد خلفه من خلفه من ابناء إدريس الأكبر وأحفاده ، والخلاصة : عبثاً حاول الرشيد وأد هذه الحركة الإدريسية بدس السم لإدريس الأكبر فان أولاده خلفوا أباهم في تلك البلاد فعاشت هذه الدولة رغم إرادة بني العباس ، ويقول ابن بسام ـ (٥٤٢) ـ في معرض ذكره لبني الحسن وأسباب خروجهم الى المغرب ما هذا نصه ـ « بلغني أن عقبهمْ الى اليوم هنالك » .

وإمارة الأدارسة المعروفة أخيراً في عسير شرقي اليمن انشأها بعض ذراري الأدارسة المعروفين في البلاد المغربية وكانت بين بني الحسن في المغرب وبني الحسن في المشرق ـ وهم ائمة الزيدية في اليمن ـ مراسلات .

مقارنة بين الدولتين الفاطمية والإدريسية

عاشت دولة الأدارسة مدة تناهز مائة وثمانين سنة ، وقد ناوءت الدولة الفاطمية الإسماعيلية هؤلاء الأدارسة في أواخر أيامهم واستولى القائد جوهر على عاصمتهم فاس سنة ٣٤٧ ، وكان الفاطميون انبه ذكراً وأبعد مغاداً حتى أن دولة الأدارسة التي استولت على المغرب كانت خاملة الذكر بالنسبة اليهم ، ومرد ذلك الى انزواء الأدارسة في المغرب الأقصى واقتصارهم على الدفاع عن انفسهم ومملكتهم وخوفهم من بني العباس بخلاف دولة الفاطميين التي غزت المشرق وهددت بني العباس في عقر دارهم وأزالت دولتهم من مصر والشام ، الى غير ذلك مما لم يحلم به الأدارسة ، ومع ذلك لا ينكر فضل هؤلاء الأدارسة على المغرب الأقصى أو مراكش ، ففي عهدهم قطعت هذه البلاد شوطاً بعيداً في مراحل الحضارة ، ومن مظاهرها تأسيس المدن الكبيرة .

لا شك أن المدن الكبرى في المغرب الأقصى ـ وفي مقدمتها « فاس » وهي مدينة الأدارسة ، « ومكناس » و « سلا » و « تطوان » وغيرها من آثارهم أو ملحقات مملكتهم ـ تعد وارثة الحضارة الإسلامية في الأندلس ، وأهلها ـ أعني أهل هذه المدن المغربية ـ يمثلون مسلمي الأندلس في عاداتهم وأطوارهم وثقافتهم ، وتعد مدينة فاس معقل الثقافة الإسلامية في المغرب وبها جامع القرويين المشهور يؤمه طلاب العلم من سائر انحاء البلاد .

عارف الحر

ولد في جباع (جبل عامل) سنة ١٩١٠م وتوفي فيها سنة ١٩٧١م درس دراسته الأولى في جباع ثم انتسب في بيروت إلى مدرسة الشيخ أحمد عباس ، ثم اشترك في دورة لتدريب المعلمين تخرج منها سنة ١٩٣٠ فعين معلماً فتنقل في وظيفته في عدة قرى إلى أن استقر سنة ١٩٦٠ في صيدا . وساهم مع فريق من أدباء جبل عامل في انشاء (الرابطة الأدبية العاملية) .

ومن شعره قوله :

هذي فلسطين قد عاث اللئام بها ... وجرعوها من الارزاء الوانا

لا متع الله طرفا بالرقاد إذا ... لم يكحل الفوز بالآمال اجفانا

ولا تمتع قلب بالحياة اذا ... لم يقطف النصر يوم الثأر ريانا

وقوله في ثوار المغرب العربي :

دم في السفوح دم في الربى ... تبارك عطراً وما أطيبا

وما ذاك عن شهوة للدماء ... تلون حلماً لها مرعبا

وليس انتشاء ولكنني ... تنسمت في عطره يعربا

تنسمت ريح الجلاد الأبي ... ونار الكفاح ومن ألهبا

دم لون الأفق من زهوه ... وروى البطاح فما اخصبا

فقل للعتاة وللغاصبين ... دماء التحرر لن تنضبا

وقوله في أحد حكام العرب :

يا حاكماً بك يلعب الدولار ... اضرمتها فعدت عليك النار

رق بطبعك لا يرى حرية ... لبلاده يحيا بها الأحرار

فاملأ كؤوسك من نجيع شبابنا ... واطرب فأنات الورى مزمار
وارقص على جثث الضحايا نشوة ... فكأن ناعية القبور هزار
يا محرق الأوطان يرضي طبعه ... « نيرون » قبلك اطربته النار

وقال :

يا ذكي المسك في انفاسه ... وشبيه الغصن في ميّاسه
صورة الوجه أرتنا سورة ... جمعت جرته مع آسه

غارت النجمات من سحر العيون ... واطل السحر من بين الجفون
وعيوني نبعت منها عيون ... صب منها الشوق صهبا كأسه

حدثت عنك ورود زاهرة ... وروت عشك بدور باهرة
بهوانا والمزايا طاهرة ... رفع الزنبق عالي رأسه

كم روى عنا نسيم السحر ... من حديث كان عطر الزهر
اطرب العشاق صدق الخبر ... عن هوى يقرع في أجراسه

وقال شاعر في بلدة جباع وأهلها :

يا بلدة ضحكت فيها اقاحيها ... خلت السماء لها اهدت دراريها
جميلة هي لولا قبح أهليها ... شرطي لأدخلها اخراج من فيها

فرد عليه المترجم قائلاً :

(يا بلدة ضحكت فيها أقاحيها) ... كأن قطعة فردوس زواهيها
بحسن آياتها غنت شواديها ... (خلت السماء لها أهدت دراريها)
ما ضرها قول غر خابط تيها ... (جميلة هي لولا قبح أهليها)
كهجو ابليس خلداً قول هاجيها ... (شرطي لأدخلها اخراج أهليها)

وقال :

يا صادحا فوق عود ... أحييت ميت وعودي
ردّد فنون نشيدي ... وهز أوتار عودي
وانشر حديث هوانا ... وانفح بعطر ورودي
وردت عذب الأماني ... فطاب اهنى ورودي

أحلامنا زاهيات ... ألوانها بالخلود
ماست عروسة شعري ... تهز قلب الوجود
قل للحبيبة عني ... عودي لعهدك عودي
أيام كان نعيمي ... يطيب بين النهود

قل للتي عاهدتني ... ولم توفي عهودي
صوني فراشة صدري ... هامت بنار الخدود
أطلت ليلي وصبحي ... أراه تحت الجعود
حتى مَ تكوين قلبي ... بميسم من صدود

وقال في بعض الأحداث التي تفاعل فيها بجمع شمل العرب :

كادت لهاة اللسن تنكر ضادها ... وقلوبهم لا تستبين رشادها
هي أسرةٌ لعب الزمان بمجدها ... فسعى ليلطم في السباق جوادها
نسب العروبة فيه أعرق « نجدها » ... « مصراً » وحيّت « شامها » « بغدادها »
فالأم روّعها الزمان بشملها ... في نكبة قد شتتت أولادها
وأباح منعتها لصولة فاتح ... بعد السيادة أحكم استعبادها
مما عاسفت حكم القضاء وما ونت ... عن رد ما تحيي به أمجادها
وأعانها طبع الليالي أنها ... غيّر فكم جلى البياض سوادها
أما القلوب فلم تزل خفّاقةً ... بهوى مفاخر تبتغي استردادها
بحمية الأنساف باقٍ عرقها ... فيها العرائن أيقظت آسادها
ومشاعر الأشواق سعّرها الجوى ... حال الشتات فحرّكت أكبادها
وتقاربت تلك العواطف كتلة ... خفّاقةً هزّ الشعور فؤادها
فغدت سويداء (الجزيرة) (مصرها) ... والشام من عين العراق سوادها
آمنت في بعث الحياة أما ترى ... هذي العروبة آذنت ميعادها
قومية العرب الكرام تآزرت ... عضداً يحطم عزمه أصفادها
طُويت حناياها على الشوق الذي ... فتح العيون فلا تملّ سهادها
لمَ لا يهيج حنينهم وقلوبهم ... شُطرتْ فلم تطق الضلوع بعادها
ذاك الشتات كسا الأعزة ذلة ... فسقتهمُ نوب الزمان حدادها
وتجمّع الاخوان بعد تفرق ... حالت مآتمهم به أعيادها
فإذا فرقت الناي عن اخوانه ... لم يصرِ ساحر فنها إنشادها
ورأيت جامعة الأزاهر جنة ... فيحاء هزّ هزارها ميادها
والناس ما فاقوا الخلائق غير في ... جمع الحواس فأصبحوا أسيادها
تلك « الثريا » ما تنظم عقدها ... إلا لتسبيح الثرى عقّادها
لا تحسبوا ان العروبة أسلمت ... أبداً إلى حكم الزمان قيادها
لا تنكروا وعي العقول فإنها ... عافت على نور الصباح رقادها
فلأسرة الضاد الكريمة مجمع ... أحيت به أمم العروبة ضادها
ووشائج القربى تشدّ قلوبهم ... نسباً به توفي القلوب ودادها
تترقّب الدنيا رسالة مجدهم ... نوراً لترفع للسماك عمادها

عباس اقبال الاشتياني

ولد في مدينة آشتيان (ايران) سنة ١٣١٤ وتوفي في روما سنة ١٣٧٤ ودفن في طهران .

ولد من أبوين كادحين ، فقد كان أبوه نجاراً في مدينته وقد فرض على ابنه الاشتغال معه في مهنة النجارة ، ولكن تلهف الولد للعلم وهوايته للأدب شجعاه على الإقبال على تلقي مبادىء القراءة والكتابة أثناء فرصة فراغه وتعطيل العمل . وبعد أن أتم دراسته الأولية على هذا المنوال في كتاتيب « آشتيان » انتقل إلى طهران والتحق بمدرسة (دار الفنون) . فنال منها شهادة الدراسة الثانوية ثم عين معاوناً لمدير مكتبة المعارف التي كانت ملحقة بهذه المدرسة بالإضافة إلى توليه تدريس الأدب الفارسي في المدرسة نفسها ، ثم عين استاذاً للأدب الفارسي في (دار المعلمين العالية) واستاذاً للتاريخ والجغرافيا في كل من كلية الحقوق والعلوم السياسية والكلية العسكرية .

وفي عام ١٣٤٥ انتخب سكرتيراً للبعثة العسكرية التي أوفدت من قبل حكومة إيران إلى باريس ، فاستطاع فيها أن يلتحق بكلية الآداب في جامعة (السوربون) وأن يثابر على تحصيل العلم خلال مدة أدائه واجبات السكرتارية للبعثة المذكورة ، فحصل منها على شهادة الليسانس في الأدب واللغة كما اتقن أيضاً اللغة الفرنسية في باريس التي أخذ يراسل منها بعض المجلات الإيرانية في طهران كمجلة (دانشكده) ومجلة « فروغ تربيت » وغيرهما التي صارت تنشر له المقالات الاجتماعية والتربوية .

ولما عاد إلى طهران عين استاذاً في جامعتها وعضواً في مجمع اللغة الإيرانية (فرهنكستان) كما أشرف على شئون مجلة « يادكار » التاريخية الأدبية الشهرية . التي كانت تنشرها (دار اطلاعات) للطباعة والنشر ذلك اعتباراً من أول عدد صدر منها سنة ١٣٦٥ حيث استمر صدورها مدة خمس سنوات كاملات وبعد احتجاب مجلته هذه انتخبته الحكومة الإيرانية ملحقاً ثقافياً لها في كل من تركيا وإيطاليا فغادر طهران وبقي يشغل هذه الوظيفة حتى وافته المنية في مدينة (رومة) بإيطاليا .

إن إكباب عباس اقبال آشتياني على التحقيق العلمي والتتبع الأدبي والدراسة المعارفية حتى آخر لحظة من حياته كان معروفاً لدى عارفي فضله والمقربين منه وكان لا يألو جهداً ولا يترك فرصة تمر به دون أن يستغلها لتحقيق موضوع أو تأليف كتاب أو تصنيف رسالة .

هوايته الكتب والبحث علمياً وأدبياً وتاريخياً وكانت داره مفتوحة الأبواب لأصحابه ورفاقه من رجال الفضل فيستقبلهم في مكتبته الحافلة بأنفس الكتب من خطية ومطبوعة ، عربية وفارسية وبعض المؤلفات الفرنسية ، وداره كانت في الحقيقة ندوة يلتقي فيها رجال الفضل والعلم والأدب ، وكان هو قطب الرحى في هذه الاجتماعات العلمية واللقاءات الأدبية .

لقد ترك المترجم مجموعة قيمة من المؤلفات وكثيراً من الكتب والرسائل التي طبع معظمها إما في إيران أو في خارجها وبعضها لا زال مخطوطاً ، كل ذلك بالإضافة إلى مقالاته الأدبية والتاريخية والاجتماعية التي ملأت صفحات المجلات والصحف .

ومن تآليفه المطبوعة وكلها باللغة الفارسية هي :

١ ـ وزارت در عهد سلاطين بزرك سلجوقي . ٢ ـ شرح حال عبدالله بن المقفع . ٣ ـ قابوس وشمكير زيارى . ٤ ـ تاريخ مفصل إيران أزاستيلاى مغول تامشروطيت. ٥ ـ كليات در علم جغرافي. ٦ ـ تاريخ اكتشافات جغرافيائي وتاريخ علم جغرافيا. ٧ ـ كليات جغرافياى اقتصادى . ٨ ـ مطالعاتي دربارة بحرين وسواحل خليج فارس . ٩ ـ تاريخ إيران (في ثلاثة مجلدات للمدارس) ١٠ ـ تاريخ عمومى (في ثلاثة مجلدات للمدارس أيضاً) ١١ ـ جغرافياى عالم (في ثلاثة مجلدات كذلك للمدارس) ١٢ ـ جغرافياى اقتصادى (مجلد واحد مختص بالمدارس الثانوية) ١٣ ـ خاندان نوبختي (وهو من أهم كتبه التاريخية) .

هذا مضافاً إلى الكتب العربية والفارسية التي حققها وأشرف على طبعها وكتب لها المقدمات المستفيضة وأضاف عليها الشروح والتعليقات الوافية وهي :

١ ـ حدائق السحر في دقائق الشعر ـ بالعربية ، لمؤلفه الوطواط

٢ ـ بيان الأديان ـ بالعربية ، لأبي المعالي محمد الحسيني العلوي .

٣ ـ بيست مقالة ـ بالفارسية ، للعلامة محمد القزويني .

٤ ـ معالم العلماء ـ بالعربية ، لابن شهر اشوب .

٥ ـ تبصرة العوام في معرفة مقالات الأنام ـ بالعربية، للسيد المرتضى ابن الداعي الحسين الرازي .

٦ ـ تجارب السلف ـ بالعربية ، لهندو شاه بن سنجر النخجواني الصاحبي .

٧ ـ تتمة اليتيمة ـ بالعربية ، لأبي المنصور الثعالبي .

٨ ـ الشاهنامة ـ بالفارسية ، للفردوسي .

٩ ـ طبقات الشعراء في مدح الخلفاء والوزراء ـ بالعربية ، لابن المعتز .

١٠ ـ ديوان أمير معزى ـ بالفارسية .

١١ ـ لغت فرس ـ بالفارسية ، للأسدى الطوسي.

١٢ ـ تاريخ طبرستان ـ بالعربية ، لبهاء الدين محمد بن الحسن ابن اسفنديار الكاتب .

١٣ ـ سياست نامة ـ بالفارسية للخواجة نظام الملك .

١٤ ـ كليات عبيد زاكاني ـ بالفارسية .

١٥ رجال حبيب السير ـ بالفارسية .

١٦ ـ انيس العشاق ـ لشرف الدين الرامي .

١٧ ـ تاريخ نو ـ بالفارسية ،لجهانكير ميرزا .

١٨ ـ روزنامة ميرزا محمد كلانتر فارس ـ بالفارسية .

١٩ ـ جنك إيران وانكليس ـ بالفارسية تأليف الكابتن هيت وترجمة حسين سعادت نوري .

٢٠ ـ شدّ الأزار في حط الأوزار عن زوار المزار ـ بالعربية لمعين الدين الجنيد الشيرازي .

٢١ ـ سمط العلى للحضرة العليا ـ بالعربية ، لمؤلفه ناصر الدين منشى الكرماني .

٢٢ ـ مجمع التواريخ . . بالفارسية ، لميرزا محمد خليل المرعشي الصفوي .

٢٣ ـ ترجمة محاسن أصفهان ـ بالفارسية ، للسيد حسين بن محمد ابن أبي الرضا آوى .

٢٤ ـ مجموعة مراسلات ديوان السلطان سنجر ، لمنتخب الدين أتابك الجويني .

٢٥ ـ المضاف إلى بدايع الأزمان في وقائع كرمان ، تأليف حميد الدين الملقب بأفضل كرمان .

٢٦ ـ فضائل الأنام من رسائل حجة الإسلام الغزالي ـ بالفارسية .

٢٧ ـ شرح حال عبدالله ميرزا ملك آرا ـ بالفارسية ، لعبد الحسين نوائي .

وإضافة لهذا كله فقد قام بترجمة الكتب التالية وطبعها ونشرها :

١ ـ مذكرات الجنرال تره زل مبعوث نابليون إلى الهند .

٢ ـ مهمة الجنرال « غاردان في إيران » .

٣ ـ طبقات سلاطين الإسلام ـ تأليف استانلي لين بول .

٤ ـ (سيرت فلسفي رازي) وهو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي .

٥ ـ سه سال در دربار إيران للدكتور فوريه .

وأول كتاب أصدرته له المطابع هو كتاب (قابوس وشمكير زياري) الذي طبع في برلين سنة ١٣٤٢ وآخر أثر طبع له هو : (فضائل الأنام من رسائل حجة الإسلام الغزالي) ، وقد طبع في طهران سنة ١٣٧٤ هجرية أي قبل وفاته بأشهر .

« ملخص عن مقال للسيد صالح الشهرستاني » .

السيد عباس أبو الحسن ابن السيد مهدي

ولد سنة ١٣٣١ في بلدة معركة وتوفي سنة ١٣٩٢ في بلدة الغازية (جبل عامل) ودفن فيها قرأ في جبل عامل على بعض فضلائه ثم انتقل إلى النجف الأشرف سنة ١٣٥٣ وكان معظم دراسته فيها على الشيخ محمد رضا آل ياسين ثم عاد سنة ١٣٦٩ إلى جبل عامل فأقام في بلدته معركة بضع سنين ثم انتقل إلى بلدة الغازية وبقي فيها حتى وفاته وكان قد عين قبل سنتين من وفاته مفتياً لمنطقة بنت جبيل .

كان خطيباً جريئاً صداعاً بالحق مناصراً لكل عامل مخلص اوله من المؤلفات كتاب الإمامة والأئمة (مطبوع) وثلاثة كتب لا تزال مخطوطة . وله شعر منه :

قوله في مدح أمير المؤمنين عليه السلام من قصيدة :

بسرك صنو المصطفى يدفع الضر ... وفيك لنا السلوى اذا استفحل الأمر
وفي آلك الغر الميامين عصمة ... اذا ما دهانا معضل وطغى عسر
ففيكم لمن يبغي الوقاية جنة ... من الغم والعاني له الغوث والذخر
وانتم لمن يشكو الخصاصة وفره ... وانتم لذي كسر اذا مسه جبر
وانتم لوراد الشريعة منهل ... ترقرق من حافاته النور والتبر
ابا حسن يا خير من وطىء الثرى ... وخير بدور حلقت فيهم فهر
لئن كان غيري يكتم الحب خشية ... فديني باثراء المديح لك الجهر
وان كان يوماً قد أعد ذخيرة ... فأنت لي المأوى وأنت لي الذخر
فأنى، تبارى بالفضائل والعلى ... وللمصطفى قد شد في بأسك الأزر
وانت لواء الله في كل موقف ... يرفرف فوق المسلمين به النصر

ومن قصيدة في رثاء الشيخ حسين مغنية المتوفى سنة ١٣٥٩ :

تقوض للهدى منه البناء ... أم احتجبت عن الدنيا ذكاء
أم الندب الحسين قضى فعجت ... لعظم الخطب بالندب السماء
لك الصدر الرحيب بكل ناد ... لك الرأي المصيب لك العلاء
فمن للدين بعدك مستغاث ... ومن للمجد بعدك مستضاء

ومن قصيدة في رثاء الشيخ محمد رضا آل ياسين المتوفى في النجف سنة ١٣٧٠ :

هزرت كيان الشرع يا ناعي الهدى ... رويداً فأرواح الأنام له الفدا
اتنعى عماداً يأمن الحق عنده ... وعنه حديث الفضل يرويه مسندا
وكم فاضل غمت عليه اصوله ... يؤوب اذا ما آب منه على هدى
وناشد حق لم يجد غيره حمى ... يلوذ بمغناه وان بعد المدى
فان ارثه ارث الفضائل والنهى ... وان ابكه ابك الإمامة والهدى
وابك نصوحاً كان يمنحي العلى ... وينشئني فضلا وخلقا وسؤددا

ومن قصيدة في رثاء السيد أبو الحسن الأصفهاني المتوفى سنة ١٣٦٥ :

في ذمة الدهر ان يقضي أبو حسن ... ويثكل الشرع والاسلام والجود
وهو المدير رحى العليا بهمته ... والعلم في يمنه والعطف مرصود

ومن قصيدة أرسلها إلى رفيقه في الدراسة في النجف السيد علي مهدي الأمين حين عاد السيد علي إلى جبل عامل سنة ١٣٥٨ :

لقد غبت يا ابن الأكرمين ولم يغب ... مثالك عنا بل ولا خلقك العذب
وسرت عزيزاً فالفضائل جمة ... تزينك والآداب والراجح اللب
ثوان خلسناها من الدهر فانقضت ... كما ينقضي للواله الأمل الخصب
اترجع يوماً يا علي زواهيا ... وعيش لنا رغد ونـاديكم رحب
حنانيك يا ابن الأكرمين ترفقاً ... بقلب أخ اضناه من نأيك الكرب
ولا غرو ان اضحيت فينا مميزاً ... فقد عرقت فيك الغطارفة النجب

الشيخ عباس القمي ابن محمد رضا

ولد في قم حوالي ١٢٩٠ وتوفي في النجف الأشرف سنة ١٣٥٩ .

قرأ مقدمات العلوم وسطوح الفقه والأصول على عدد من علماء قم . وفي سنة ١٣١٦ هاجر إلى النجف فأخذ عن علمائها لا سيما الميرزا حسين النوري . وفي خلال اقامته في النجف ذهب الى الحج ومن هناك عاد إلى قم فأقام فترة ثم عاد إلى النجف . وفي سنة ١٣٢٢ عاد إلى ايران وأقام في قم وانصرف إلى البحث والتأليف . وفي سنة ١٣٣١ نزل مدينة مشهد الرضا واتخذها مقراً دائماً له . ولما أقام الشيخ عبدالكريم اليزدي الحائري في قم وأنشأ فيها الحوزة العلمية كان المترجم من مناصريه والملتفين حوله . وفي أواخر حياته انتقل إلى النجف واقام فيها حتى وفاته ، وكان قد كف بصره .

مؤلفاته

من مؤلفاته : ١ ـ الكنى والألقاب في ثلاثة اجزاء ٢ ـ وقائع الأيام ٣ ـ مقاليد الفلاح في اعمال اليوم والليلة ٤ ـ تحفة الأحباب في نوادر آثار الأصحاب ٥ ـ الفوائد الرضوية في احوال علماء الجعفرية ٦ ـ طبقات العلماء قرنا قرنا . لم يتم ٧ ـ شرح الوجيزة للشيخ البهائي ٨ ـ تتمة المنتهى في وقائع أيام الخلفاء ٩ مفاتيح الجنان في الأدعية والزيارات وهو أشهر مؤلفاته ١٠ ـ سفينة البحار وغير ذلك .

السيد عباس الهمذاني الشيرواني

مرت ترجمته في الصفحة ٤٣٢ من المجلد السابع باسم السيد عباس الهمذاني الشيرواني . ولكننا وجدنا آغابزرك يسميه : الشيخ محمد عباس الشيرواني . وكذلك جاء في (الأعيان) تاريخ وفاته سنة ١٢٥٦ ولم يذكر تاريخ مولده . وآغابزرك يقول ان آخر تاريخ لطبع كتبه في حياته كان سنة ١٣٠٩ فوفاته بعد هذا التاريخ ، وأن مولده سنة ١٢٤١ . ونحن لا نستطيع الحكم على أحد الرأيين بما بينهما من التباين البعيد ولكن كان لا بد لنا من وضع هذا الرأي أمام القارىء تحرياً للحقيقة .

وقد وردت التفاصيل الآتية عن حياته :

كان جده الميرزا ابراهيم وزيراً للسلطان نادر شاه ولما عزله سكن النجف وكان والده محمد علي خان مستوفي الممالك فقتله نادر شاه ففر ولده محمد تقي إلى شيروان وابدل اسمه فسمى نفسه (الشيخ محمد الشيرواني) ثم سافر إلى الهند فهبط بنارس أولاً ثم لكنو ، ثم هبط اليمن فولد له فيها ابنه الشيخ أحمد ولذلك يعرف باليماني وسكن الشيخ أحمد مدينة كلكته من بلاد الهند سنة ١٢٢٠ ثم هبط لكهنو فولد فيها المترجم سنة ١٢٤١ .

السيد عبد الحسين دست غيب

ولد سنة ١٣٣٢ في شيراز واغتيل فيها سنة ١٤٠٢ وهو في طريقه بالسيارة إلى اقامة صلاة الجمعة بتفجير عبوة ناسفة قضى على اثرها هو وجماعة من مرافقيه .

كانت دراسته الأولى في شيراز ثم في النجف الأشرف فحضر على كبار

علمائها ثم عاد للاقامة في شيراز .

كان له موقف مقاوم للسلطات الحاكمة وفي العام ١٣٩٨ حوصر في منزله وعطل المسجد الجامع الذي كان يقيم صلاة الجماعة فيه واعتقل هو وسجن ونفي .

وبعد نجاح الثورة الاسلامية كان من اعضاء مجلس الخبراء الذي وضع الدستور الايراني الجديد .

له من المؤلفات : حقائق من القرآن ، شهر الله ، الصديقة الكبرى ، سيد الشهداء ، اثنان وثمانون مسألة ، شرح الرسائل ، شرح الكناية وغيرها .

الشيخ عبد الحسين الأميني ابن أحمد

ولد سنة ١٣٢٠ في تبريز وتوفي سنة ١٣٩٠ في طهران ودفن في النجف بدأ دراسته في تبريز ثم انتقل إلى النجف الأشرف حيث حضر على السيد محمد الفيروز آبادي والسيد ابو تراب الخونساري وميرزا علي الشيرازي وغيرهم .

له من المؤلفات : كتاب (الغدير) في عدة مجلدات جمع فيه كل ما يتعلق بيوم غدير خم من حديث وشعر وترجم فيه لشعراء الغدير وكتاب شهداء الفضيلة ترجم فيه لمن استشهدوا من علماء الشيعة ، وقد نقل الكتابان إلى اللغة الفارسية .

من مآثره انشاؤه المكتبة الكبرى في النجف الأشرف التي سماها مكتبة أمير المؤمنين جمع فيها ما يقرب من أربعين ألف كتاب بينها مئات المخطوطات وجعلها مكتبة عامة . وقد صادرها النظام العراقي فيما صادر من دماء الناس وحرياتهم وكراماتهم ومكتباتهم وأموالهم .

الشيخ عبد الحسين الحلي بن قاسم

ولد في الحلة سنة ١٨٨٣ م ثم هاجر إلى النجف سنة ١٨٩٦ م فدرس على علمائها واستقر فيها عالماً شاعراً مبرزاً.

اختير قاضٍ شرعياً للبحرين فانتقل إليها وفيها توفي سنة ١٩٥٥ م. له من المؤلفات المطبوعة كتاب (حياة الشريف الرضي).

مرت له في الصفحات ٢٨٦ـ٢٨٨ من المجلد الرابع من (الأعيان) ثلاث قصائد رثائية. ومن شعره ما نظمه سنة ١٩٤٨ سنة النكبة في فلسطين:

هَزّ قرار تقسيم فلسطين، وقيام إسرائيل في الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨ م شعور الشاعر من الأعماق، فانبعث يصوّر المأساة، ويجسد الأمر الواقع، ويستنهض أبناء قومه من العرب الأقحاح، في ثلاث قصائد نظمها تباعاً عام النكبة ١٩٤٨ م.

أما قصيدته الأولى فعنوانها «الجامعة العربية وفلسطين» نَظَمها عام ١٩٤٨ م، يقول فيها:

حيِّ العروبةَ أنى كانت العربُ   فهم على البعد إخوانٌ قد اقتربوا
قد وحّدتْ لغةُ القرآن بينَهم   أشدّ ما وحّد الأبناء فيه أبُ
وألفت بينهم آياتُه فغدوا   بعد التباغض أحباباً قد اصطحبوا
رامت تخادعهم عن حقهم عصبٌ   يشتدّ للبغي منها العظم والعصبُ
جدت بهم لعباً كيما تفرقهم   فكانَ ـ لا كان ـ جداً ذلك اللعبُ
بَنَتْ حدوداً من الأوهامِ بينهم
كي يبعد البعض عن بعضٍ وإن قربوا
وسنّتِ النُظُم الخرقاء ترهقهم   يا ليت لم يعدها الإرهاق والنصبُ
نُظمُ الطبيعة أولى أن يفوز بها   شعبٌ تحامي حماه الغدرُ والشغبُ
خل السياسة للمرّاق تعصبها   إن السياسةَ جسمٌ روحه الكذبُ
سَنّوا نظاماً لهم يقوى الضعيف به   وفيه يدفع عنه الهلك والعطبُ
لو طالبوا النجمَ يوماً أن يدين به   لهم لنالوا به أضعافَ ما طلبوا
ووَحّدوا أمرهم في نظمٍ جامعةٍ   كُبرى، ليعتصموا فيها إذا اغتصبوا
فشَيّدوها بلا خوفٍ ولا وجلٍ
والأرضُ حربٌ، وحبل الأمن مضطربُ
وأحكموها بإيمانٍ وأنظمةٍ
لا الغدر والرعب يبليها... ولا الرهبُ
كانت ولم تكُ إلا فكرة خفيتْ   كالسّرِ وهو بصدر الغيبِ محتجبُ
فأصبحتْ دوحةً لا تستمالُ ولا   تهوي بأغصانها الأهواءُ والريَبُ
إنْ أثمرتْ طيباً في راحةٍ فكفى   أولا... فما فات هذْراً ذلك التعبُ
يا رافعي عَلَمَ العرب إنصبوه لنا   إنّ الدليل على الإمارات ينتصبُ
قوموا بأمركم ننهضْ بطاعتهِ   كيما نقوم كما نهتم بما يجبُ
كنّا نؤمّل أن نحيا بلا سَبَبِ   فكيفَ نهلكُ لَمّا امكن السبَبُ
وكان قومٌ يرونا أمّة نجحَتْ   قرناً، وعفتْ على آثارها الحقَبُ
فأيْقَنوا اليوم أن العرب ما برحوا   شعباً كريماً يساوي بدءه العقبُ
هدَمْتم كلّ حدٍّ كان يفصلنا   حتى انمحت تلكم الأستار والحجبُ
شدتم لنا فوقها منحى ومعتصماً   يرسو إذا خفتِ الأعلام والهضبُ
بنيتموه وشخص الموت مقتربٌ   منه ومعْوَله الهدام مرتقبُ
وصنتم حرمة العرب الكرام به   أنّى أراحوا من الآفاقِ أو ذهبوا
يا قومُ عطفاً على أوطانكم فلقدْ   تَتابعَتْ من أعاديكم بها النوَبُ
دَبّ البلاءُ لها من كلِّ ناحيةٍ   واليوم حتى رأوها فرصة وَثَبوا
أضْحَتْ فلسطينُ أوصالاً مقسّمةً   كما تُقَسّم في أرْبابِهِ السلَبُ
بعضٌ لهم، ولنا بعضٌ بزعمهم   والسيفُ يأبى ويأبى الله والعربُ
قومٌ إذا غضبوا خفت حلومهم   وأرضوا السيفَ كيما يهدأ الغضبُ
لقد عجبتُ لهم أن يُسْتَباح لهم   سرحٌ، وليس غريباً ذلك العجبُ
قَوْمي الألى لا يحلّ الضيم ساحتهم   ولا يمدّ على ذلٍّ لهم طنبُ
ولا يحلّ حُبا أنْدائِهم فَرَقٌ   ولا يدرّ على غصبٍ لهم حلبُ
وليس تجتازِ إرغاماً ثنيتهم   ولا تُشاد على خزيٍ لهم قُبَبُ
ما بالهم لا سَمَتْ فيهم مراتبهم   أغفوا، وقد أقنعتْهم تلكمُ الرتبُ
فاتَتْهم الفرصُ الأولى التي ذَهَبتْ   وكان أولى لهم لو أنهم ذَهَبوا
عذرتهم إن كيد القوم دَبّ لهم   يسري إليهم رويداً.. وهو منتقبُ
أعطوا بكفٍّ وبالأخرى رموا شَرَراً   لاقاه منا ومن أعدائنا حَطَبُ
كانوا ولم يملكوا غير انتدابهم   فلا تَسَلْ كيفَ ما لَمْ يملكوا وهبوا
إذا تصارعَ ذو حَقٍّ ومقدرةٍ   لا شك يغدو لرب القدرة الغلبُ
يا شائدي العصبة الكبرى بجدهم   ندبتكم لو تقيم القاعدَ الندبُ
دَعوا التكتّل بالآراءِ جامدةً   تصونها وتعيها الصحف والكتبُ
فليسَ تنفع آراء ولا كتب   حتى تنفّذها الهندية القضبُ

وأما قصيدته الثانية فعنوانها «مجلس الأمن وفلسطين»، نَظمها عام ١٩٤٨ م، يقول فيها:

يا (مجلس الأمن) لا حيّتك أيمانُ … ولا رسَتْ لك في الأنداء أركانُ
ما فيكَ مأوى لذي خوفٍ فتؤمنه … وكلّما بكَ فهو إسمٌ وعنوانُ
ما للضعيفِ الذي يأتيكَ مهتضماً … إلّا اعتلال فإرهاقٌ فحرمانُ
(تعطي وتمنع لا بُخْلاً ولا كرماً) … لكنْ هوى، والهوى ظلمٌ وكفرانُ
كأنما أنتَ سوقٌ يُشْتَسام به … ما فيه، و(الأمن) فوق الباب إعلان
تجمّعتْ فيك أقوامٌ مفرقةٌ … أهواؤها، ولكل منهم شانُ
يزينهم حسنٌ سمتٍ في مراتبهم … عداه لطف على العاتي وإحسانُ
للحقّ شكلٌ ولونٌ واحدٌ، ولهم … حول المطامع أشكال وألوانُ
تنكبوا المُثُل العليا، وما امتثلوا … غير الذي سنّه فيهم (ترومانُ)
كأنّه حين ينهاهم ويأمرهم … مسخّرون لهم يوحي (سليمانُ)
لهم عيونٌ ولكن ما لأكرمهم … ـ إذا الضعيف اشتكى ـ قلبٌ وآذانُ
لا الحقّ حقّ، ولا البرهان متّبعٌ … وإنما القوة الورهاء برهانُ
أينَ العروبة ليت العرب قد عدموا … حياتهم فهي إذلالٌ وخسران
لقد عجبت لهم أن يُسْتَهان بهم … وأنْ يدينوا لأقوامٍ لهم دانوا
هذي اليهود تنزّى في مواطنهم … وكيف يسكن أرض القدس شيطان
عهدي بهم أنهم عند اللقا صبر … وأنهم قطّ ما ذلوا ولا هانوا
يستعذبونَ الردى من دون عزتهم … كما استلذّ بشربِ الماءِ عطشانُ
كم موقفٍ أصحروا للموت فيه وقد … أضلّهم وهو بادِ الناب عريانُ
وموقف وقفوا من دونِ عزتهِ … سوراً له وهو أطنابٌ وعيدانُ
يأبى لهم شرفُ الأحساب أن يدعوا … عدوّهم فيه يسري وهو عجلانُ
يا قوم عطفاً على أوطانكم فلقد … حلّتْ بها محنٌ جلّت وأشجانُ
تفجّرتْ فتناً من كلِّ ناحيةٍ … كما تفجّر يرمي النار بركانُ
أنّتْ (دمشق) من البلوى فشايعها … يواكب الدمع والبرحاء (لبنانُ)
و (تونسٌ) و (طرابلسٌ) وجارتها … تشكو فيرثي لها أهلٌ وجيران
قالوا احصلوا بيننا في أمره حكماً … وهل تحاكم أسياد وعبدانُ
إذا اليهود اغتدوا شعباً بلا وطنٍ … فأين كانوا إذنْ يا ليت لا كانُوا
في الحقّ أن يَدّعوا للعربِ موطنهم … ويطلبوا وطناً ما فيه سكّانُ
لو كان للحقّ سلطانٌ لما طمعوا … يوماً بأرضٍ بها للعرب سلطانُ
قد غرّهم أنهم في بغيهم وَجَدوا … عَوْناً، وذو البغي للباغين معوانُ
لاذوا بقوةِ قومٍ لا ينازلها … حتى إذا طمعت فيه وأيمانُ
قومٌ رأوا أن يخونوا عهدهم وبغوا … بوعدِ من أفكوا قولاً ومَن خانُوا
لو كان للقومِ وجدانٌ لعنّفهم … عن نصرةِ البغي والعدوان وجدانُ
يا قومُ عن نَصْرِهم كُفّوا فقد كرهتْ … أرواحهم أرؤسٌ منهم وأبدانُ
لقد نَسوا فدّعونا كي نذكّرهم … بنا، فَداءُ مراضى القوم نسيانُ
لا تخشونّ على البلدان إن هدمت … فسوف تُبنى من الهاماتِ بلدانُ
القومُ للقومِ أندادٌ لو التحموا … وضمّ أبطالهم للحرب ميدانُ
فحكّموا السيفَ فيما بينهم، ودعوا … مواعداً، ملؤها زورٌ وبهتانُ
فالسيفُ أقطع حكماً وهو منصلتٌ … مما يلفّق طمّاعٌ وفتّانُ
به تردّ وتستصفى بمنطقه … لا بالتهاويل أوطار وأوطانُ
خلّوا التهاليل عنكم جانباً ودَعوا … مَزاعماً وعهوداً ما لها شأنُ
هيهات تغدو فلسطينٌ موزعةً … ما دام للعرب فوق الأرض سلطانُ
ولم يشأ مبدع الأكوان أن يقفا … في موقف واحد ذئبٌ وإنسانُ

أما قصيدة الشيخ الحلي الثالثة فعنوانها «تنظيم الرياحين»، نَظَمها في عام ١٩٤٨ م أيضاً ومطلعها:

بالروضِ تعبث من حينٍ إلى حينِ … أموكَلٌ أنت تنظيم الرياحينِ

يقول فيها:

وارحمتا لفلسطين وما لقيت … قومي وما هي تلقى في «فلسطين»
لقد رمتها رجال الغرب لا سلمت … من النوائب بالأبكار والعُونِ
توزعوها كما يهوَون فامتلكوا … شطراً، وشطرٌ غدا ملكاً لصهيونِ
وأنزلوا أهلها في كلّ قاحلةٍ … قفرٍ، فبئس مناخ الذل والهونِ
من كل أبلج ميمون نقيبته … يُنمى لأبلج يوم الفخر ميمونَ
سيموا على الضيمِ نوماً في ديارهم … والضيم تأنفه شمُّ العرانينِ
إنْ طاعنوا دون أقصى أرضهم فهم … بقية من مطاعيمٍ مطاعينِ
في كل مطرحِ جنبٍ من بلادهم … دمٌ لمنتحر منهم ومطعونِ
أضحوا قرابينها والنفس إنْ كرمت … من دون أوطانها أدنى القرابينِ
عتوا على (وعد بلفور) وهل خضعت … فيما مضى (يعربٌ) طوعاً لمأفونِ
سَلْ عنهم (الروم) في (اليرموك) ما صنعوا … فيه وفي (القدس) الأعلى و(جيرونِ)
وسَلْ (فروق)، و(قسطنطين) منكمش … فيها بجيشٍ على الأسوارِ مرصونِ
داسوا بأرجلهم رأس الرجا فغدت … تخطو، وتسحق في (الإسبان) و(الصينِ)

السيد عبد الرؤوف الأمين بن علي بن محمود

ولد سنة ١٣١٨ في شقرا(جبل عامل) وتوفي سنة ١٣٩٠ في بيروت ونقل جثمانه الى (الصوانة) فدفن فيها.

كان من الأوائل الذين أخذوا يجددون في الشعر العاملي سواء في موضوعاته أو اسلوبه أو اهدافه فنظم في الأمور الاجتماعية والسياسية والوطنية وغير ذلك.

تولى التدريس في ثانوية مدينة الناصرية في العراق ثم كان مفتشاً في وزارة التربية الوطنية في لبنان ثم في وزارة الشؤون الاجتماعية حتى احالته على التقاعد طبع في أواخر عشر العشرين ديواناً صغيراً باسم (العواطف الثائرة) ولا يَزال ديوانه مخطوطاً وهو يعد للطبع.

شعره

قال :

يوم ساروا أتبعتهم نظراتي
من مهاة تقتص إثر مهاةِ
أكبر الصحب مذ رأوني مُعيراً
لِفتاتي يومَ النوى لَفتاتي
عَجبوا من دمي المراق وعيني
نثرته طلاً على وجناتي
ليس هذا المحمرّ إلاّ دموعاً
صعدتها من الجوى زفراتي
عدَّدَتْ في الهوى ذنوبي وقالت
إن وجدي بها من السيئات
وعدتني وما وفتْ بوصال
هل تفي بالوصال قبل وفاتي
لست أنسى وقد تثنت دلالاً
بين خمس من صحبها خَفِراتِ
هي بدر الدجى سناً وسناءً
قد تبدت وهنّ كالنيرات
نفحات من النسيم اتتني
فعرفت الديار بالنسمات
وامتطيت الظلام سراً وحقاً
إن سر الهوى لفي الظلمات
أوقفتني هنا هواجس فكر
من وراء الظنون والشبهات
سائراً والغرام رائد نفسي
شاكياً والحنين بعض شكاتي

وقال يرثي عمه السيد حسن محمود الأمين :

وافاكِ منهل السحابِ فغدوت زاهية الجنابِ
تشقى وتسعد تربة كالناس وهي من اليباب
يا بقعة لي في ترابك خير من فوق التراب
ضرحوا بأرضك لزكيّ فأنزليه على الزحاب
تيهي فخاراً بالنزيل وطاولي شمّ الهضاب

* * *

قل للألى هجروا الحمى أبعدتم أمد الغياب
ومُروَّع الف الأسى قلق كقادمتيّ غراب
أتبعته ركب الأحبّة فاقتفى أثر الركاب
وبقيت بعد الراحلين اسير دمع واكتئاب
ما أدمع المحزون غير عصارة القلب المذاب
ذهب الذين أحبهم متعاقبين على الذهاب
وأمضّ ما يشجي الفتى وقع المصاب على المصاب
من كل أبلَجَ كالشهاب انقض في أثر الشهاب
كانوا مصابيح الدجى في قومهم وأسود غاب
عمّاهُ قد عمّ الأسى افقي وقد ضاقت رحابي
عمّاه أوقفني المصاب على شفير من عذاب
فتجهمت واستوحشت هذي البقية من شبابي
عماهُ آب الغائبون فهل لركبك من اياب
ستطول بعدك لوعتي ويدوم حزني وانتحابي
هيهات لو كُشف الغطا ما زاد في الدنيا ارتيابي
ظمآن اغراه السراب فكيف يروى بالسراب
ساروا بنعشك خاشعين كسيرهم يوم الحساب
يتهافتون عليه كالظامي على برد الشراب
ساروا حيارى والهين وطأطأوا غلب الرقاب
من للبيان السمح ينطق فيه عن فصل الخطاب
من للقوافي الغرّ بنظمها كأزهار الروابي
من للنديّ يزينه بروائع الأدب اللباب
من للشباب يرد جامحه إلى اسمى مآب
من للصلاة وللخشوع وللدعاء المستجاب
من للقضاء العدل يتبع فيه نهج أبي تراب
يقضي ويفصل في الأمور فلا يميل ولا يحابي

* * *

يا ابن الألى فقهوا الحديث واوضحوا سنن الكتاب
وابن الهداة الطيبين تنزهوا عن كل عاب
الداخلين إلى المكارم والعلى من كل باب
من كل مرموق السنا كالسيف اسلط من قراب
وصلوا الى الحق الصراح وكان أمنع من عُقاب
سارو بسيرة جدهم وكذا الشكير من الزغاب

وقال يرثي شجرة له أحرقتها الصاعقة :

يا سرحة الحي ما للطائر الغردِ غنى على غصنك الزاهي ولم يعد
غناك أجمل ما جادت قريحته من كل عذراء في أثوابها الجدد
غرستها بيدي حتى إذا ورفت بعدت عنها وهذا لم يكن بيدي
فيّأت اظلالها صحبي فهل ذكروا أيام لهو لهم في ظلّها ودد
طوى الزمان احبائي على عجل فقد بقيت ولا زندي ولا عضدي
يا سرحة الحي لا أهلي ولا ولدي كما عهدت ولا صحبي ولا بلدي
تفرق القوم لا غرّ بمبتعد عن الضلال ولا شيخ بمتئد
إرادة الله شاءت وهي قاهرة أن ينزل القرد منا منزل الأسد
فهل نعود إلى أحسابنا فارى ما شاده والدي يأوي له ولدي .

وقال :

أما آن للفجر المهيض طلوع فتشرق أوطان لنا وربوعُ
حدبنا عليه وارتقبنا بزوغه كما حدبت فوق القلوب ضلوع
هي «الوحدة الكبرى» التي طالما ثوى شهيد على ثوراتها وصريع
مشينا اليها خطوة بعد خطوة وقد يجشم الليلَ البهيمَ سريع
نَحِنّ اليها من قرون بعيدة كما حنّ للأم الرؤوم رضيع

وكم أزهقت منّا نفوس أبيّة ... وسال على حدّ الشفار نجيع
نثرناهم نثر الأزاهير في الربى ... وروّى الثرى منا دم ودموع
ثرى طبّق الآفاق نشر عبيره ... وما زال كالمسك الفتيت يضوع
غياهب في آفاقنا قد تلبدت ... تساوى لديها مغرب وطلوع
« تَسَرْمَد » هذا الليل فينا وكلما ... توارى هزيع يقتفيه هزيع
وكم هامة منّا انحنت عند ظالم ... ودرّت على الباغي الأثيم ضروع
وكم خائن منّا مشى في ركابه ... وندّ عن النهج القويم قطيع
وكم احرقت للغاصبين مباخر ... وكم أوقدت للحاكمين شموع
وضاق على احرارنا رحب ارضنا ... ولكنه للأجنبي وسيع
فكيف تباعدنا ونحن أقارب ... وكيف تفرقنا ونحن جميع
وفينا كفاءات وفينا مواهب ... وجانبنا في الحالتين منيع
وإن تذكر الأنساب يوماً فاننا ... لنا نسب بين الأنام رفيع
أرومتنا في مغرس المجد قد نمت ... ومُدّت لها في المشرقين فروع
« وكنا لماء المزن ما في نصابنا ... كهام. ولا فينا يُعدّ » وضيع
وكنا إذا ما استنفرتنا مصيبة ... تهاوت على صوت النفير جموع
نسجنا من الإيمان درعاً مفاضة ... تقينا وإيمان الشعوب دروع
ولما تنازعنا على أخذ حقنا ... أضعناه والحق المشاع يضيع
كفرنا وخالفنا مبادىء قومنا ... ولم يرض عنا « أحمد » و « يسوع »
متى تشرق الأرض اليباب بنورها ... ويزهو خريف عندها وربيع
هل «الثورة الكبرى» على الظلم لم يزل ... بساحاتها من يشتري ويبيع
رسا قبل في دنيا « العروبة » اصلها ... وقامت على تلك الأصول فروع
تهاووا عليها كالنسور وكلهم ... صبور على بلوائها ومطيع
وهل لم يزل في «الرافدين» و« جلق» ... مجيب إذا استنجدته وسميع
تبدلت الدنيا فغلت جموعنا ... وران عليها رهبة وخنوع
وها هي قد سلت علينا سيوفنا ... ونادى بها في الخافقين « مذيع »
طلعنا على الدنيا بدوراً واشرقت ... بنا الأرض واجتاح الظلام سطوع
وعدنا وقد كاد الظلام يلفنا ... وما آن للفجر المهيض طلوع

وقال :

وطني هذا اراه جنّة ... عبثت فيه اكف النوب
كيف لا أبذل نفسي دونه ... خائضاً فيها غمار الرهب
وحسامي ولساني وانا ... عربيّ عربيّ عربي

وقال في الزهراء عليها السلام :

أطلت على الدنيا بطلعتها الغرا ... وليدة بيت الوحي فاطمة الزهرا
كاطلالة الفجر المدل بنوره ... وكم ساهر في الحيّ يرتقب الفجرا
وبشر فيها الوحي عند نزوله ... وباهى بها جبريل مذ جاء بالبشرى
فاشرق بالنورين بيت خديجة ... فنورٌ من الكبرى ونور من الصغرى
وقد نشأت بنت النبي محمد ... مباركة اسماً معطرة ذكرا
ومن كان يدعوها البتول طهارة ... كما دعيت من قبلها مريم العذرا
وزوجها من صنوه وابن عمه ... فأعظم بها زوجاً واعظم به صهرا
عليّ أبو السبطين افصح من رقا ... ذرى منبر أو خط في صفحة سطرا
وامضى سيوف الله في كل موقف ... به الفارس المغوار من هلع فرّا
فسل عنه أحداً والنضير وخيبراً ... وإن شئت ادراك اليقين فسل بدرا
وسل عنه عمرواً والوليد وعتبة ... ومن صرعوا في سيفه فهم أدرى
ومن حضن الاسلام بعد نبيّه ... كما تحضن الطير التي تسكن الوكرا
حماه كما تحمي الأسود عرينها ... من الكفر بل قد كان من أسد أضرى
شرى في سبيل الله نفساً أبية ... وعاهدها أن لا تباع ولا تشرى
فيا لدة الاسلام والبضعة التي ... بها أودع الله القداسة والطهرا
وأم الإمامين الشهيدين من هما ... أجل وأعلى الناس في نسب قدرا
« لك الله من مفجوعة بحبيبها » ... تشمّ تراب القبر من لهفة عطرا
هلمّ الى التاريخ نسبر غوره ... ونوسعه بحثاً ونعلنه جهرا
أما روّعت في بيتها يوم حزنها ... أما حرمت إرثاً أما دفنت سرّا
وما ورثته عن أبيها وامها ... سمت وتعالت فيه عن « فدك » قدرا
« لسرّ من الأسرار لا تجهلونه » ... أسيء لها لا بل اريد بها شرّا
وقد نسبوا القربى إلى غير أهلها ... ومن ولد «الزهراء» لم يلد «الحمرا»
ومن أغضب الحوراء بنت نبيه ... فليس بمعذور وإن حاول العذرا
عليّ لأهل البيت عهد وذمة ... سأذكرهم ما دمت استلهم الشعرا
سأدفع عنهم في لساني وليس لي ... سلاح سواه عنهم يدفع الضرّا
ومن عمر الايمان بالله قلبه ... يرى حبهم ديناً وبغضهم كفرا
بني البضعة الزهراء تهفو اليكم ... جوارحنا اليقظى واكبادنا الحرى
وكل شهيد من ذؤابة هاشم ... شققنا له في كل جارحة قبرا
مشى تحت ظل الموت يطلب ثاره ... وماذا على الموتور أن يطلب الثأرا
كفاني فخراً انني من سلالة ... تمتّ الى الزهراء في نسب فخرا
متى يرجع الاسلام سالف عهده ... وتخفق في اجوائه الراية الخضرا
تطل على الدنيا كتائب يعرب ... وتحشد في ساحتها مرة أخرى
أصبراً وثاني القبلتين تسودها ... يهودية حمقاء تستسهل الوعرا
سنظفر بالفتح المبين تزينه ... شريعتنا السمحا وافعالنا الغرا
عدلنا فداست خيلنا تاج قيصر ... وأورثنا امجاده مرغماً كسرى .
وسدنا فكان العدل رائد حكمنا ... فلم نجترح اثماً ولم نقترف وزرا
وما عرف التاريخ في الدهر فاتحاً ... سوانا تحاشى الظلم واستنكر الغدرا

وقال :

تطلعت عبر الدهر ابحث عن صحبي ... فلم ترهم عيني ومنزلهم قلبي
وسار بهم ركب المنون تتابعاً ... وما زال قلبي يقتفي أثر الركب
تقطّعت الأسباب بيني وبينهم ... فلا شرقهم شرقي ولا غربهم غربي
أناديهم والترب بيني وبينهم ... وهل يملك الاصغاء من كان في الترب
واصبحت كالطير المشتت سربه ... فقد خانني دهري وضيعني سربي
« مضوا لا يبالون الحشى وتروحوا » ... خليّين من همّي بعيدين عن دربي
وقد كنت أروي غلتي من لقائهم ... كما يرتوي الظمآن من منهل عذب
وعايشتهم ليل الصبا ونهاره ... فخدن الى خدن وترب إلى ترب
أشاطرهم حلو الزمان ومرّه ... فسلمهم سلمي وحربهم حربي
وشائج حب عذبة ذكرياتها ... تطيب لها نفسي ويذكو بها حبي
وجشّمني دهري مصاعب جمة ... ويحملني قسراً على مركب صعب
وكم قطب علم من سراة عشيرتي ... ترفع واستعلى الى هامة القطب
هوى مثلما يهوي الشهاب الى الثرى ... ويا طول تحناني الى مسقط الشهب

تهيج بي الذكرى ولولا بقية ... من الصحب في الجلى أراهم الى جنبي
لضقت بهذا العيش ذرعاً وربما ... تضيق حياة المرء في المرتع الخصب
ذكرت شبابي والهوى ولياليا ... صبوت بها والحب من شأنه يُصبي
تماديت في حبي وقد ذقت عذبه ... وقد يحلو مرّ الحب للعاشق الصب
أحن الى بيت تفيأت ظله ... الى العين في شقرا الى المرج والهضب
الى الربوات الخضر يزهو ربيعها ... الى الزهر فواحاً الى الماء والعشب
الى العين يملأن الجرار أوانس ... ويمشين وهناً في دلال وفي عجب
يرددن الحان الهوى وفنونه ... على مسمع الفتيان في زحمة الدرب
الى ندوات الأنس والشعر والندى ... الى ملتقى الضيفان في المنزل الرحب
الى القبة البيضا وما ضم تربها ... من العلماء الصيد والسادة النجب
هنا قد ثوى جدي وأمي ووالدي ... وثمّ اخي والعم جنباً الى جنب
هنا تربة قد فاق نشر عبيرها ... شذا العنبر الريان والمندل الرطب
أحبك يا شقراء من أجل حبهم ... ومن أجله اهواك في البعد والقرب
أولئك حزب الله في العلم والتقى ... وقد رفعت أيديهم راية الحزب
فيا مغرس الأمجاد من آل هاشم ... سقت تربك الظمآن هطالة السحب
وعند ضريح الطهر «زينب» قد ثوى ... منير سبيل الرشد في عتمة الحجب
تفرق شمل الطيبين وبدلت ... معالم ذاك الخصب فيه الى الجدب
فذلك عهد قد تقضى ولم يعد ... سوى ذكريات أو صحائف في كتب
ومالي غير الشعر من متنفس ... أداوي به همي ويكشف لي كربي
فكان رفيقي عبر خمسين حجة ... فما خانني يوماً وكان الى جنبي
وكم جولة لي فيه تشهد انني ... وقفت قوافيه على نصرة العرب
تصفح دواويني تراها مليئة ... بما يدفع النكس الجبان الى الحرب
أناشيد في بغداد والشام لم يزل ... يرن صداها العذب في مسمع الحقب
ومحنة أولى القبلتين تحولت ... لها ادمعي شعراً فاسرفت في السكب
وقفت على اليرموك استاف تربها ... فمن مهبط الوادي الى مرتقى الكثب
افتش عن آثار قومي عن اللوا ... لوا الفتح معقوداً على العسكر اللجب

سمعت الصدى المكبوت من الف حجة
صدى الزحف والتكبير من صرخة الغُلْب
تصورت ذاك الفاتح الفذ والذي
مشى لسبيل الله كالصارم العضب
وكان له في « الشرق » و « الغرب » دولة
انارت سبيل العدل في « الشرق » و « الغرب »
ويا قوم اذنبتم بتفريق شملكم
فهل يهتدي للحق مرتكب الذنب
فعودوا الى ماضيكم وتعلموا
بأن سبيل النصر للسيف ذي الشطب

وقال في هجاء الوظيفة :

بليت بها عجفاء درت ضروعها ... عليّ سموماً مثل سم الاراقم
وظيفة سوء قد تجرعت صابها ... وإن كنت من جرائها غير آثم
لحا الله دهراً انزلتني صروفه ... على مثل من لا يرعوي مثل كاظم
وإن انس لا أنس زكياً وما وعى ... من القول إلا لفظة المتشائم
يبادرني في كل صبح بقوله ... غدا حالنا ! والويل ! ضربة لازم
ويا رب جار ما حمدت جواره ... يجادلني في عبد شمس وهاشم
كأن « يزيداً » جده لا لأمه ... تناسل منه أو قريب « لقاسم »
ومثل « زهير » وهو في ضدّ اسمه ... زهير ولكن فعله جدّ قاتم
وقل عن سواهم ما تشاء فانهم ... عمالقة لكن بغير قوائم
كمثل ابن حرب وابن دبس وخالد ... طوال جسوم أو ضخام جماجم
وكلهم في ساحة الأكل فارس ... يصول بضرس لا برمح وصارم
وفي عكسهم موسى وحسني ومصطفى ... واشباههم من نسل حوا وآدم
وكلٌ لهم في آخر الشهر غاية ... هي الراتب المقبوض من كف « سالم »
إذا طير لبنان يرف جناحه ... فلا في الخوافي هم ولا في القوادم
فمن مثل هؤلاء جاءت ظلامتي ... (وما ظالم إلا سيبلى بظالم)
ومن نكد الأيام أن تلق جاهلاً ... يصول ويستعلي بمنطق عالم

عبد العزيز بن البراج

مرت له ترجمة موجزة في المجلد الثامن الصفحة ١٨ وهي من الترجمات التي توفي المؤلف قبل أن يكملها . وقد نشر له الشيخ جعفر السبحاني ترجمة مفصلة في نشرة (تراثنا) التي تصدر في مدينة (قم) نأخذها فيمايلي :

سعد الدين أبو القاسم عبد العزيز بن نحرير بن عبد العزيز بن برّاج الطرابلسي ، تلميذ السيد المرتضى ، وزميل الشيخ الطوسي أو تلميذه المعروف بالقاضي تارة ، وبابن البرّاج أخرى ، فقيه عصره ، وقاضي زمانه ، وخليفة الشيخ في بلاد الشام .

وهو أحد الفقهاء الكبار في القرن الخامس بعد شيخيه : المرتضى والطوسي ، صاحب كتاب « المهذّب » في الفقه وغيره من الآثار الفقهية فهو اقتفى خطوات شيخ الطائفة من حيث التبويب والتفريع ، ويعدّ هذا الكتاب من الموسوعات الفقهية البديعة في عصره .

ونورد هنا بعض أقوال العلماء في حق المترجم :

١ ـ يقول الشيخ منتجب الدين في الفهرس عنه : القاضي سعد الدين أبو القاسم عبد العزيز بن نحرير بن عبد العزيز بن برّاج ، وجه الأصحاب ، وفقيههم ، وكان قاضياً بطرابلس ، وله مصنّفات ، منها : « المهذب » و « المعتمد » و« الروضة » و« المقرّب » و « عماد المحتاج في مناسك الحاج » أخبرنا بها الوالد ، عن والده ، عنه .

٢ ـ ويقول ابن شهر اشوب في « معالم العلماء » : أبو القاسم عبد العزيز بن نحرير بن عبد العزيز ، المعروف بابن البرّاج ، من غلمان[1] المرتضى رضي الله عنه ، له كتب في الأصول والفروع ، فمن الفروع : الجواهر ، المعالم ، المنهاج ، الكامل ، روضة النفس في أحكام العبادات الخمس ، المقرّب ، المهذب ، التعريف ، شرح جمل العلم والعمل للمرتضى رحمه الله .

٣ ـ وقال الشهيد في بعض مجاميعه ، في بيان تلامذة السيد المرتضى ـ : ومنهم أبو القاسم عبد العزيز بن نحرير بن برّاج ، وكان قاضي طرابلس ، ولاه القاضي جلال الملك رحمه الله .

وكان أستاذ أبي الفتح الصيداوي ، وابن رزح [كذا] ، من أصحابنا .

وقال الشيخ علي الكركي في إجازته للشيخ برهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن علي ـ في حقّ ابن البرّاج ـ: الشيخ السعيد ، خليفة الشيخ الإمام أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي بالبلاد الشامية ، عزّ الدين عبد العزيز بن

(١) المراد من الغلمان في مصطلح الرجاليّين هو الخصّيص بالشيخ ، حيث أنّه تلمذ عليه وصار من بطانة علومه .

نحرير بن البرّاج قدّس سرّه .

٤ ـ وقال بعض تلامذة الشيخ علي الكركي ، في رسالته المعمولة في ذكر أسامي مشائخ الأصحاب : ومنهم الشيخ عبد العزيز بن البرّاج الطرابلسي ، صنّف كتباً نفيسة منها : المهذّب ، والكامل ، والموجز ، والإشراق ، والجواهر ، وهو تلميذ الشيخ محمد بن الطوسي .

٥ ـ وقال الأفندي في الرياض : وقد وجدت منقولاً عن خط الشيخ البهائي ، عن خط الشهيد أنّه تولّى ابن البّراج قضاء طرابلس عشرين سنة أو ثلاثين سنة ، وكان للشيخ أبي جعفر الطوسي أيام قراءته على السيد المرتضى كلّ شهر إثنا عشر ديناراً ولابن البّراج كلّ شهر ثمانية دنانير ، وكان السيد المرتضى يجري على تلامذته جميعاً .

٦ ـ ونقل عن بعض الفضلاء أنّ ابن البرّاج قرأ على السيد المرتضى في شهور سنة تسع وعشرين وأربعمائة إلى أن مات المرتضى ، وأكمل قراءته على الشيخ الطوسي ، وعاد إلى طرابلس في سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة ، وأقام بها إلى أن مات ليلة الجمعة لتسع خلون من شعبان سنة إحدى وثمانين وأربعمائة وقد نيف على الثمانين[٢] .

٧ ـ ونقل صاحب الروضات عن « أربعين الشهيد » ، نقلاً عن خطّ صفي الدين المعد الموسوي : إنّ سيدنا المرتضى ـ رضي الله عنه ـ كان يجري على تلامذته رزقاً ، فكان للشيخ أبي جعفر الطوسي رحمه الله أيام قراءته عليه كل شهر إثنا عشر ديناراً وللقاضي كلّ شهر ثمانية دنانير ، وكان وقف قرية على كاغذ الفقهاء .

٨ ـ وقال عنه التفريشي في رجاله : فقيه الشيعة الملقّب بالقاضي ، وكان قاضياً بطرابلس .

٩ ـ وقال المولى نظام الدين القرشي في نظام الأقوال عبد العزيز ابن البرّاج ، ابو القاسم ، شيخ من أصحابنا ، قرأ على المرتضى في شهور سنة تسع وعشرين وأربعمائة وكمل قراءته على الشيخ الطوسي وعبر عنه بعض ـ كالشهيد في الدروس وغيره ـ بالقاضي ، لأنّه وليَ قضاء طرابلس عشرين سنة أو ثلاثين ، مات ليلة الجمعة لتسع خلون من شعبان سنة إحدى وثمانين وأربعمائة .

١٠ ـ وقال الشيخ الحرّ العاملي في أمل الآمل : . . . وجه الأصحاب وفقيههم وكان قاضياً بطرابلس ، وله مصنّفات ، ثمّ ذكر نفس ما ذكره منتجب الدين في فهرسه ، ابن شهر آشوب في معالمه ، والتفريشي في رجاله .

١١ ـ وقال المجلسي في أوّل البحار : وكتاب المهذّب وكتاب الكامل وكتاب جواهر الفقه للشيخ الحسن المنهاج ، عبد العزيز بن البرّاج ، وكتب الشيخ الجليل ابن البرّاج كمؤلّفها في غاية الإعتبار .

١٢ ـ وقال التستري في مقابيس الأنوار : الفاضل الكامل ، المحقّق المدقق ، الحائز للمفاخر والمكارم ومحاسن المراسم ، الشيخ سعد الدين وعزّ المؤمنين ، أبو القاسم عبد العزيز بن نحرير بن البرّاج الطرابلسي الشامي نوّرالله مرقده السامي ، وهو من غلمان المرتضى ، وكان خصّيصاً بالشيخ وتلمذ عليه وصار خليفته في البلاد الشامية ، وروى عنه وعن الحلبي ، وربما استظهر تلمذته على الكراجكي وروايته عنه أيضاً[٣] .

وصنّف الشيخ له ـ بعد سؤاله ـ جملة من كتبه معبّراً عنه في أوائلها بالشيخ الفاضل ، وهو المقصود به والمعهود ، كما صرّح به الراوندي في « حلّ المعقود » ، وكتب الشيخ أجوبة مسائل له أيضاً ، وكان من مشائخ ابن أبي كامل ، والشيخ حسكا ، والشيخ عبد الجبّار ، والشيخ محمّد بن علي بن محسن الحلبي ، وروى عنه ابناه الأستاذان أبو القاسم وأبوجعفر اللذان يروي عنهما القطب الراوندي وابن شهر اشوب والسروي وغيرهم ، وله كتب منها : المهذّب ، والجواهر ، وشرح جمل المرتضى ، والكامل ، وروضة النفس ، والمعالم ، والمقرّب ، والمعتمد ، والمنهاج وعماد المحتاج في مناسك الحاجّ ، والموجز ، وغيرها ، ولم أقف إلاّ على الثلاثة الأول ، ويعبّر عنه كثيراً بابن البرّاج .

١٣ ـ وقال المتتبع النوري : . . . الفقيه العالم الجليل ، القاضي في طرابلس الشام في مدّة عشرين سنة تلميذ علم الهدى وشيخ الطائفة ، وكان يجري السيد عليه في كل شهر دينار (الصحيح ثمانية دنانير) ، وهو المراد بالقاضي على الإطلاق في لسان الفقهاء ، وهو صاحب المهذّب والكامل والجواهر وشرح الجمل للسيد والموجز وغيرها . . . توفّي ـ رحمه الله ـ ليلة الجمعة لتسع خلون من شعبان سنة ٤٨١هـ ، وكان مولده ومنشأه بمصر .

إلى غير ذلك من الكلمات المشابهة والمترادفة الواردة في كتب التراجم والرجال التي تعرف مكانة الرجل ومرتبته في الفقه وكونه أحد أعيان الطائفة في عصره ، وقاضياً من قضاتهم في طرابلس .

ميلاده وموطنه

ميلاده : لم نقف على مصدر يعيّن تاريخ ميلاد المترجم له على وجه دقيق ، غير أنّ كلمة الرجاليّين والمترجمين له اتّفقت على أنّه توفّي عام ٤٨١هـ وقد نيف على الثمانين ، فعلى هذا فإنّ أغلب الظنّ أنّه ـ رحمه الله ـ ولد عام ٤٠٠هـ أو قبل هذا التاريخ بقليل .

وأمّا موطنه فقد نقل صاحب « رياض العلماء » عن بعض الفضلاء أنّه كان مولده بمصر ، وبها منشأه وأخذ منه صاحب « المقابيس » كما عرفت ، ولكن الظاهر أنّه شاميّ لا مصريّ .

الرزق بحسب الدرجة العلمية

قد وقفت في غضون كلمات الرجاليّين والمترجمين أن السيد المرتضى كان يجري الرزق على الشيخ الطوسي اثني عشر ديناراً وعلى المؤلّف ثمانية دنانير ، وهذا يفيد أنّ المؤلف كان التلميذ الثاني من حيث المرتبة والبراعة بعد الشيخ الطوسي في مجلس درس السيد المرتضى ، كيف وقد اشتغل الشيخ بالدراسة والتعلّم قبله بخمسة عشر عاماً ، لأنّه تولّد عام ٤٠٠هـ أو قبله بقليل وولد الشيخ الطوسى عام ٤٨٥ هـ .

---

(٢) رياض العلماء ج ٣ ص ١٤١ ـ ١٤٢ .

(٣) سيوافيك من صاحب رياض العلماء خلافة وأنّ الذي تتلمذ عليه هو تلميذ القاضي لا نفسه ، وأنّ الاشتباه حصل من الوحدة في الاسم واللقب .

وحتى لو فرض أنّهما كانا متساويين في العمر ومدّة الدراسة ولكنّ براعة الشيخ وتضلّعه ونبوغه ممّا لا يكاد ينكر، وعلى كل تقدير فالظاهر أنّ هذا السلوك من السيد بالنسبة لتلميذيه كان بحسب الدرجة العلمية.

هو الزميل الأصغر للشيخ

لقد حضر المؤلف درس السيد المرتضى عام ٤٢٩هـ، وهو ابن ثلاثين سنة أو ما يقاربه، فقد استفاد من بحر علمه وحوزة درسه قرابة ثمان سنين، حيث أنّ المرتضى لبّى دعوة ربّه لخمس بقين من شهر ربيع الأول سنة ٤٣٦هـ.

فعند ما لبّى الاستاذ دعوة ربّه، حضر درس الشيخ إلى أن نصب قاضياً في طرابلس عام ٤٣٨، وعلى ذلك فقد استفاد من شيخه الثاني قرابة ثلاث سنوات، ومع ذلك كلّه فالحقّ أنّ القاضي ابن برّاج زميل الشيخ في الحقيقة، وشريكه في التلمّذ على السيد المرتضى.

ويدلّ على أنّ ابن البرّاج كان زميلاً للشيخ لا تلميذاً له أمور:

١ ـ عند ما توفّي أستاذه السيد المرتضى رحمه الله، كان القاضي ابن برّاج قد بلغ مبلغاً كبيراً من العمر، يبلغ الطالب ـ في مثله ـ مرتبة الإجتهاد، وهو قرابة الأربعين، فيبعد أن يكون حضوره في درس الشيخ الطوسي من باب التلمذ.

٢ ـ إنّ السيد المرتضى عمل كتاباً باسم « جمل العلم والعمل » في الكلام والفقه على وجه موجز، ملقياً فيها الأصول والقواعد في فنّ الكلام والفقه.

وقد تولّى شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي شرح القسم الكلامي منه، وهو ما عبّر عنه بـ « تمهيد الأصول » وقد طبع الكتاب بهذا الاسم وانتشر.

بينما تولّى القاضي ابن برّاج ـ المترجم له ـ شرح القسم الفقهي.

ومن هذا يظهر زمالة هذين العلمين، بعضهما لبعض في المجالات العلمية، فكل واحد يشرح قسماً خاصّاً من كتاب أستاذهما.

٣ ـ إنّ شيخنا المؤلف ينقل في كتابه « شرح جمل العلم والعمل » عند البحث عن جواز إخراج القيمة من الأجناس الزكوية ما هذا عبارته: « وقد ذكر في ذلك ما أشار إليه صاحب الكتاب رضي الله عنه، من الرواية الواردة، من الدرهم أو الثلثين، والأحوط إخراجها بقيمة الوقت، وهذا الذي استقرّ تحريرنا له مع شيخنا أبي جعفر الطوسي، ورأيت من علمائنا من يميل إلى ذلك ».

وهذه العبارة تفيد زمالتها في البحث والتحرير. هذا فضلاً عن أن المترجم عندما يطرح في كتابه (المهذب) آراء الشيخ يعقبه بنقد بناء ومناقشة جريئة، وهذا يعطي كونه زميلاً للشيخ لا تلميذاً آخذاً عنه.

٤ ـ إنّ الناظر في ثنايا كتاب « المهذّب » يرى بأنّ المؤلف ـ المترجم له ـ يعبّر عن أستاذه السيد المرتضى بلفظة « شيخنا » بينما يعبّر عن الشيخ الطوسي بلفظة « الشيخ أبو جعفر الطوسي » لا بـ « شيخنا » والفارق بين التعبيرين واضح وبيّن.

وهذا وإن لم يكن قاعدة مطّردة في هذا الكتاب إلّا أنّها قاعدة غالبية. نعم عبّر في « شرح جمل العلم والعمل » عنه بـ « شيخنا » كما نقلناه.

٥ ـ ينقل هو رأي الشيخ الطوسي ـ بلفظ « ذُكر » أي قيل، وقد وجدنا موارده في مبسوط الشيخ ونهايته.

ولا شكّ أنّ هذا التعبير يناسب تعبير الزميل عن الزميل لا حكاية التلميذ عن أستاذه.

استمرار الإجتهاد والمناقشة في آراء الشيخ

لقد نقل صاحب المعالم عن والده ـ الشهيد الثاني ـ رحمه الله بأنّ أكثر الفقهاء الّذين نشأوا بعد الشيخ كانوا يتبعونه في الفتوى تقليداً له لكثرة اعتقادهم فيه وحسن ظنّهم به، فلمّا جاء المتأخّرون وجدوا أحكاماً مشهورة قد عمل بها الشيخ ومتابعوه فحسبوها شهرة بين العلماء، وما دروا أنّ مرجعها إلى الشيخ وأنّ الشهرة إنّما حصلت بمتابعته.

قال الوالد ـ قدس الله نفسه ـ: وممّن اطلع على هذا الذي تبيّنته وتحقّقته من غير تقليد: الشيخ الفاضل المحقّق سديد الدين محمود الحمصي، والسيد رضيّ الدين بن طاووس، وجماعة.

وقال السيد في كتابه المسمّى بـ « البهجة لثمرة المهجة »: أخبرني جدّي الصالح ـ قدس الله روحه ـ ورّام بن أبي فراس ـ قدس الله روحه ـ أنّ الحمصي حدّثه أنّه لم يبق مفتٍ للإمامية على التحقيق بل كلّهم حاكٍ. وقال السيد عقيب ذلك: والآن فقد ظهر لي أنّ الذي يُفتىٰ به ويُجاب على سبيل ما حفظ من كلام المتقدّمين.

ولكن هذا الكلام على إطلاقه غير تام، لما نرى من أنّ ابن البرّاج قد عاش بعد الشيخ أزيد من عشرين سنة، وألّف بعض كتبه كالمهذّب بعد وفاة الشيخ وناقش آراءه بوضوح، فعند ذلك لا يستقيم هذا القول على إطلاقه: « لم يبق مفت للإمامية على التحقيق بل كلهم حاك ».

وخلاصة القول أنّ في الكلام المذكور نوع مبالغة، لوجود مثل هذا الفقيه البارع.

مدى صلته بالشيخ الطوسي

قد عرفت مكانة الشيخ ومنزلته العلمية، فقد كان الشيخ الطوسي ينظر إليه بنظر الإكبار والإجلال، ولأجل ذلك نرى أنّ الشيخ ألّف بعض كتبه لأجل التماسه فهنا هو الشيخ الطوسي يصرح في كتابه « المفصح في إمامة أمير المؤمنين » بأنّه ألّف هذا الكتاب لأجل سؤال الشيخ ابن البرّاج منه، فيقول:

سألت أيها الشيخ الفاضل ـ أطال الله بقاءك وأدام تأييدك ـ إملاء كلام في صحة إمامة أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب، صلوات الله عليه[1].

كما أنّه ألّف كتابه « الجمل والعقود » بسؤاله أيضاً حيث قال:

أمّا بعد فأنا مجيب إلى ما سأل الشيخ الفاضل ـ أدام الله بقاءه، من إملاء مختصر يشتمل على ذكر كتب العبادات[2].

ونرى أنه ألّف كتابه الثالث « الإيجاز في الفرائض والمواريث » بسؤال الشيخ أيضاً فيقول:

(١) الرسائل العشر ص ١١٧.

(٢) الرسائل العشر ص ١٥٥.

سألت أيّدك الله إملاء مختصر في الفرائض والمواريث[١] .

ولم يكتف الشيخ بذلك ، فألّف رجاله بالتماس هذا الشيخ أيضاً إذ يقول :

أمّا بعد فإنّي قد أجبت إلى ما تكرر سؤال الشيخ الفاضل فيه ، من جمع كتاب يشتمل على أسماء الرجال الذين رووا عن النبي صلى الله عليه وآله ، وعن الأئمة من بعده إلى زمن القائم ـ عليهم السلام ـ ، ثم أذكر من تأخّر زمانه عن الأئمة من رواة الحديث[٢] .

ويقول المحقّق الطهراني في مقدمته على « التبيان » ، عند البحث عن « الجمل والعقود » :

قد رأيت منه عدّة نسخ في النجف الأشرف ، وفي طهران ، ألّفه بطلب من خليفته في البلاد الشامية ، وهو القاضي ابن البرّاج ، وقد صرّح في هامش بعض الكتب القديمة بأنّ القاضي المذكور هو المراد بالشيخ ، كما ذكرناه في الذريعة ج ٥ ص ١٤٥ .

ويقول المحقق الشيخ محمد واعظ زاده في تقديمه على كتاب « الرسائل العشر » .

وفي هامش النسخة من كتاب « الجمل والعقود » التي كانت بأيدينا ، قد قيد أنّ الشيخ هو ابن البرّاج .

وعلى ذلك يحتمل أن يكون المراد من الشيخ الفاضل في هذه الكتب الثلاثة هو الشيخ القاضي ابن البرّاج ، كما يحتمل أن يكون هو المراد في ما ذكره في أول كتاب الفهرس حيث قال :

ولمّا تكرر من الشيخ الفاضل ـ أدام الله تأييده ـ الرغبة في ما يجري هذا المجرى ، وتوالى منه الحثّ على ذلك ، ورأيته حريصاً عليه ، عمدت إلى كتاب يشتمل على ذكر المصنفات والأصول ولم أفرد أحدهما عن الآخر . . . ، وألتمس بذلك القربة إلى الله تعالى ، وجزيل ثوابه ، ووجوب حق الشيخ الفاضل ـ ادام الله تأييده ـ ، وأرجو أن يقع ذلك موافقاً لما طلبه إن شاء الله تعالى[٣] .

ونرى نظير ذلك في كتابه الخامس أعني « الغيبة » حيث يقول :

فإنّي مجيب إلى ما رسمه الشيخ الجليل ـ أطال الله بقاه ـ ، من إملاء كلام في غيبة صاحب الزمان[٤] .

وربما يحتمل أن يكون المراد من الشيخ في الكتاب الخامس ، هو الشيخ المفيد ، ولكّنه غير تام لوجهين .

أولاً : أنّه قد عيّن تاريخ تأليف الكتاب عند البحث عن طول عمره حيث قال :

فإن قيل ادّعاؤكم طول عمر صاحبكم أمر خارق للعادات ، مع بقائه ـ على قولكم ـ كامل العقل تامّ القوة والشباب ، لأنّه على قولكم في هذا الوقت الذي هو سنة سبع وأربعين وأربعمائة . . .

ومن المعلوم أنّ الشيخ المفيد قد توفي قبل هذه السنة بـ ٣٤ عاماً .

(١) الرسائل العشر ص ٢٦٩ .

(٢) رجال الشيخ ص ٢ .

(٣) فهرس الشيخ ص ٢٤ .

(٤) الغيبة ص ٧٨ .

أضف إلى ذلك أنّه يصرح في أول كتاب الغيبة بأنّه « رسمه مع ضيق الوقت ، وشعث الفكر ، وعوائق الزمان ، وطوارق الحدثان » ، وهو يناسب أخريات إقامة الشيخ في بغداد ، حيث حاقت به كثير من الحوادث المؤسفة المؤلمة ، حتى ألجأت الشيخ إلى مغادرة بغداد مهاجراً إلى النجف الأشرف ، حيث دخل طغرل بك السلجوقي بغداد عام ٤٤٧ ، واتّفق خروج الشيخ منها بعد ذلك عام ٤٤٨ ، فقد أحرق ذلك الحاكم الجائر مكتبة الشيخ والكرسي الذي يجلس عليه في الدرس ، وكان ذلك في شهر صفر عام ٤٤٩[٥] .

أضف إلى ذلك أنّ شيخ الطائفة ألّف كتاباً خاصاً باسم « مسائل ابن البرّاج » . نقله شيخنا الطهراني في مقدمة « التبيان » عن فهرس الشيخ .

أساتذته

لا شكّ أنّ ابن البرّاج أخذ أكثر علومه عن أستاذه السيد المرتضى ، وتخرّج على يديه ، وحضر بحث شيخ الطائفة على النحو الذي سمعت ، غير أنّنا لم نقف على أنّه عمّن أخذ أوليات دراساته في الأدب وغيره .

وربما يقال أنّه تتلمذ على المفيد ، كما في « رياض العلماء » وهو بعيد جداً ، لأنّ المفيد توفّي عام ٤١٣هـ ، والقاضي بعد لم يبلغ الحلم لأنّه من مواليد٤٠٠ أو بعام قبله ، ومثله لا يقدر على الاستفادة من بحث عالم نحرير كالمفيد .

وقد ذكر التستري صاحب المقابيس أنّه تلمذ على الشيخ أبي الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراجكي ، أحد تلاميذ المفيد ثم السيد ، ومؤلف كتاب « كنز الفوائد » وغيره من المؤلفات البالغة ثلاثين تأليفاً[٦] .

وقال في الرياض ناقلاً عن المجلسي في فهرس بحاره : إنّ عبد العزيز بن البرّاج الطرابلسي من تلاميذ أبي الفتح الكراجكي ، ثم استدرك على المجلسي بأنّ تلميذه هو القاضي عبد العزيز بن أبي كامل الطرابلسي ، لا عبد العزيز بن نحرير .

غير أنّ التستري لم يذكر على ما قاله مصدراً نعم بحسب طبع الحال فقد أخذ عن مثله .

وربما يقال بتلمذه على أبي يعلى محمد بن الحسن بن حمزة الجعفري ، صهر الشيخ المفيد وخليفته ، والجالس محلّه الذي وصفه النجاشي في رجاله بقوله : بأنّه متكلّم فقيه قيم بالأمرين جميعاً .

ولم نقف على مصدر لهذا القول ، سوى ما ذكره الفاضل المعاصر الشيخ كاظم مدير شانه جي في مقدمة كتابه لشرح « جمل العلم والعمل » للقاضي ابن برّاج .

وربما عدّ من مشايخه أبو الصلاح تقيّ الدين بن نجم الدين المولود عام ٣٤٧ والمتوفى عام ٤٤٧ ، عن عمر يناهز المائة ، وهو خليفة الشيخ في الديار الحلبية ، كما كان القاضي خليفته في ناحية طرابلس .

كما يحتمل تلمذه على حمزة بن عبد العزيز الملقب بسلار المتوفّى عام٤٦٣ ، المدفون بقرية خسروشاه من ضواحي تبريز ، صاحب المراسم ولم نجد لذلك

(٥) لاحظ المنتظم لابن الجوزي ج ٨ ص ١٧٣ ، والكامل لابن الأثير ج ٨ ص ٨١ .

(٦) ريحانة الأدب ج ٥ ص ٤٠ .

مصدراً وإنّما هو وما قبله ظنون واحتمالات ، وتقريبات من الشيخ الفاضل المعاصر « مدير شانه جي » ، وعلى ذلك فقد تلمذ المترجم له على الشيخ أبي عبدالله جعفر بن محمد الدويريستي ، ثقة عين ، عدل ، قرأ على شيخنا المفيد ، والمرتضى علم الهدى[1] .

وقد ذكر الفاضل المعاصر من مشايخه عبد الرحمان الرازي ، والشيخ المقرىء ابن خشاب ، ونقله عن فهرس منتجب الدين ، غير أنّا لم نقف على ذلك في فهرس منتجب الدين وإنّما الوارد فيه غير ذلك .

فقد قال الشيخ منتجب الدين : الشيخ المفيد أبو محمد عبد الرحمان بن أحمد الحسين النيسابوري الخزاعي ، شيخ الأصحاب بالريّ ، حافظ ، ثقة واعظ ، سافر في البلاد شرقاً وغرباً ، وسمع الأحاديث عن المؤالف والمخالف ، وقد قرأ على السيدين علم الهدى المرتضى ، وأخيه الرضي ، والشيخ أبي جعفر الطوسي ، والمشايخ سالار ، وابن البرّاج ، والكراجكي .

وقال أيضاً : الشيخ المفيد عبد الجبار بن عبدالله بن علي المقرىء الرازي فقيه الأصحاب بالريّ ، قرأ عليه في زمانه قاطبة المتعلّمين من السادة والعلماء ، وقد قرأ على الشيخ أبي جعفر الطوسي جميع تصانيفه وقرأ على الشيخين سالار وابن البرّاج[2] .

عام تأليفه كتاب « المهذب »

قد ذكر القاضي في كتاب الإجارة تاريخ اشتغاله بكتابه باب الإجارة وهو عام ٤٦٧ .

فالكتاب حصيلة ممارسة فقهية ، ومزاولة طويلة شغلت عمر المؤلف مدة لا يستهان بها ، وعلى ذلك فهو ألّف الكتاب بعد تخلّيه عن القضاء لأنّه اشتغل بالقضاء عام ٤٣٨ ، ومارسه بين عشرين وثلاثين عاماً ، فعلى الأول كتبها بعد التخلي عنه ، وعلى الثاني اشتغل بالكتابة في أُخريات ممارسته للقضاء .

وعلى ذلك فالكتاب يتمتع بأهمّية كبرى ، لأنّه وقف في أيام تولّيه للقضاء على موضوعات ومسائل مطروحة على صعيد القضاء ، فتناولها بالبحث في الكتاب ، وأوضح أحكامها ، فكم فرق بين كتاب فقهي يؤلّف في زوايا المدرسة من غير ممارسة عملية للقضاء ، وكتاب ألّف بعد الممارسة لها أو خلالها .

ولأجل ذلك يعتبر الكتاب الحاضر « المهذّب » من محاسن عصره .

تلاميذه

كان المترجم له يجاهد على صعيد القضاء بينما هو يؤلف في موضوعات فقهية وكلامية ، وفي نفس الوقت كان مفيداً ومدرساً ، فقد تخرج على يديه عدّة من الأعلام نشير إلى بعضهم :

١ ـ الحسن بن عبد العزيز بن المحسن الجبهاني (الجهاني) المعدل بالقاهرة ، فقيه ، ثقة ، قرأ على الشيخ أبي جعفر الطوسي ، والشيخ ابن البرّاج ، رحمهم الله جميعاً .

٢ ـ الداعي بن زيد بن علي بن الحسين بن الحسين الأفطسي الحسيني الآوي ، الذي عمّر عمراً طويلاً كما ذكره صاحب المعالم في إجازته الكبيرة ، وهو يروي عن المرتضى ، والطوسي ، وسلار ، وابن البرّاج ، والتقيّ الحلبي جميع كتبهم وتصانيفهم وجميع ما رووه وأُجيز لهم روايته .

٣ ـ الشيخ الإمام شمس الإسلام الحسن بن حسين بن بابويه القمي ، نزيل الري ، المدعو حسكا ، جدّ الشيخ منتجب الدين الذي يقول نجله في حقّه : فقيه ، ثقة ، قرأ على شيخنا الموفق أبي جعفر جميع تصانيفه بالغريّ ـ على ساكنه السلام ـ ، وقرأ على الشيخين : سلار بن عبد العزيز ، وابن البرّاج جميع تصانيفهما .

٤ ـ الشيخ المفيد أبو محمد عبد الرحمان بن أحمد بن الحسين النيسابوري الخزاعي .

٥ ـ الشيخ المفيد عبد الجبار بن عبدالله بن علي المقري الرازي .

وقد توفّي بطرابلس ، ودفن في حجرة القاضي ، كما حكي عن خط جدّ صاحب المدارك ، عن خط الشهيد وكان حياً إلى عام ٥٠٣ .

وقد عرفت نصّ الشيخ منتجب الدين في حقّ الرجلين .

٦ ـ الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن المحسن الحلبي ، فقيه ، صالح ، أدرك الشيخ أبا جعفر الطوسي .

وقال في « الرياض » : إنّه يظهر من إجازة الشيخ علي الكركي للشيخ علي الميسي وغيرها من المواضع ، أنّه يروي عن القاضي عبدالعزيز بن البرّاج الشيخ أبو جعفر محمد بن محسن الحلّي[3] وينقل عنه .

وقال في تلك الإجازة في مدح ابن البرّاج هكذا : الشيخ السعيد الفقيه ، الحبر ، العلاّمة ، عزّالدين ، عبد العزيز بن البرّاج ـ قدّس الله سُرّه ـ .

٧ ـ عبد العزيز بن أبي كامل القاضي عزّ الدين الطرابلسي ، سميّ شيخنا المترجم له ، يروي عن المترجم له ، والشيخ الطوسي ، وسلار ، ويروي عنه عبدالله بن عمر الطرابلسي كما في « حجّة الذاهب » .

٨ ـ الشيخ كميح والد أبي جعفر ، يروي عن ابن البرّاج .

٩و ١٠ ـ الشيخان الفاضلان الأُستاذان ابنا المؤلف : ابو القاسم[4] وأبو جعفر اللذان يروي عنهما الراوندي والسروي وغيرهم .

١١ و١٢ ـ أبو الفتح الصيداوي وابن رزح ، من أصحابنا .

هؤلاء من مشاهير تلاميذ القاضي وقفنا عليهم في غضون المعاجم ، وليست تنحصر فيمن عددناهم .

تنبيه

١ ـ إنّه كثيراً ما يشتبه الأُستاذ بالتلميذ لأجل المشاركة في الاسم واللقب ، فتعدّ بعض تصانيف الأُستاذ من تآليف التلميذ .

قال في « رياض العلماء » : وعندي أنّ بعض أحوال القاضي سعد الدين عبد العزيز ابن البرّاج هذا ، قد اشتبه بأحوال القاضي عز الدين عبد العزيز بن أبي كامل الطرابلسي .

---

(١) فهرس منتجب الدين ص ٢١٥ ـ ٢١٦ .

(٢) بحار الأنوار ج ١٠٢ ـ فهرس الشيخ منتجب الدين ـ ص ٢٤٢ .

(٣) ووصفه الشيخ منتجب الدين : بالحلبي كما نقلناه آنفاً .

(٤) وبما أنّ كنية القاضي هو ابو القاسم ، ملازم ذلك أن يكون اسم ابنه القاسم لا أبو القاسم ، ومن جانب آخر فإن التسمية بنفس القاسم وحده بلا ضمّ كلمة الأب إليه قليل في البيئات العربية ، فيحتمل وحدة الكنية في الوالد والولد .

ويظهر من الشهيد الأول في كتابه « الأربعين » ، في سند الحديث الثاني والثلاثين ، وسند الحديث الثالث والثلاثين مغايرة الرجلين .

قال الشهيد الأول في سند الحديث الثاني والثلاثين : . . . القطب الراوندي ، عن الشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن المحسن الحلّي[١] ، قال : حدّثنا الشيخ الفقيه الإمام سعد الدين أبو القاسم عبد العزيز بن نحرير بن البرّاج الطرابلسي ، قال : حدثنا السيد الشريف المرتضى علم الهدى أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي ، إلى آخره ، وفي سند الحديث الثالث والثلاثين . . . الشيخ أبو محمّد عبدالله بن عمر الطرابلسي ، عن القاضي عبد العزيز بن أبي كامل الطرابلسي ، عن الشيخ الفقيه المحقّق أبي الصلاح تقي بن نجم الدين الحلبي ، عن السيد الإمام المرتضى علم الهدى . . . إلى آخره .

ولاحظ الذريعة ج ٢٣ ص ٢٩٤ فلا شكّ ـ كما ذكرنا ـ فإنّ القاضي ابن أبي كامل تلميذ القاضي بن نحرير .

٢ ـ يظهر من غضون المعاجم أنّ بعض ما ألّفه القاضي في مجالات الفقه كان مركزاً للدراسة ، ومحوراً للتدريس ، حيث أنّ الشيخ سعيد بن هبة الله بن الحسن الراوندي ـ الشهير بالقطب الراوندي ـ كتب بخطّه إجازة لولده على كتاب « الجواهر في الفقه » لابن البرّاج عبد العزيز وهذه صورتها :

قرأه على ولدي نصير الدين أبو عبدالله الحسين ـ أبقاه الله ومتّعني به ـ ، قراءة اتقان ، وأجزت له أن يرويه عن الشيخ أبي جعفر محمد بن المحسن الحلبي عن المصنّف[٢] .

ولم تكن الدراسة لتقتصر على كتاب « الجواهر » ، بل كان كتابه الآخر وهو « الكامل » كتاباً دراسيّاً أيضاً .

ولذلك نرى أنّ الشيخ أبا محمد عبد الواحد الحبشي ، من تلاميذ القاضي عبد العزيز بن أبي كامل الطرابلسي ، قرأ الكامل عليه .

والكامل من مولفات المترجم له .

٣ ـ نقل صاحب الرياض أنّه تولّى القضاء في طرابلس ، لدفع الضرر عن نفسه بل عن غيره أيضاً ، والتمكّن من التصنيف ، وقد عمل أكثر الخلق ببركته بطريق الشيعة ، وقد نصّبه على القضاء جلال الملك عام ٤٣٨هـ .

٤ ـ وقد عبّر العلاّمة الطباطبائي في منظومته عن القاضي بالحافي ، ولم نجد له مصدراً قبله .

قال في منظومته :

وسنّ رفع اليد بالتكبير والمكث حتى الرفع للسرير
والخلع للحذاء دون الاحتفاء وسنّ في قضائه الحافي الحفاء[٣]

تآليفه

خلّف المترجم له ثروة علمية غنية في الفقه والكلام ، تنبيء عن سعة باعه في هذا المجال ، وتضلّعه في هذا الفن .

وإليك ما وقفنا عليه من أسمائها في المعاجم :

١ ـ الجواهر : قال في رياض العلماء : رأيت نسخة منه في بلدة ساري ، من بلاد مازندران ، وهو كتاب لطيف ، وقد رأيت نسخة أخرى منه بإصفهان عند الفاضل الهندي ، وقد أورد فيه المسائل المستحسنة المستغربة والأجوبة الموجزة المنتخبة .

٢ ـ شرح جمل العلم والعمل .

٣ ـ المهذّب .

٤ ـ روضة النفس .

٥ ـ المقرّب في الفقه .

٦ ـ المعالم في الفروع .

٧ ـ المنهاج في الفروع .

٨ ـ الكامل في الفقه ، وينقل عنه المجلسي في بحاره .

٩ ـ المعتمد في الفقه .

١٠ ـ الموجز في الفقه ، وربما ينسب إلى تلميذه ابن أبي كامل الطرابلسي .

١١ ـ عماد المحتاج في مناسك الحاج .

ويظهر من الشيخ ابن شهر اشوب في « معالم العلماء » أنّ كتبه تدور بين الأصول والفروع كما أنّ له كتاباً في علم الكلام .

ولكنّه مع الأسف قد ضاعت تلك الثروة العلمية ، ولم يبق إلاّ الكتب الثلاثة : الجواهر ، المهذّب ، شرح جمل العلم والعمل .

ويظهر من ابن شهر اشوب أنّه كان معروفاً في القرن السادس بابن البرّاج ، وهذا يفيد بأنّ البرّاج كان شخصية من الشخصيات ، حتى أنّه نسب القاضي إلى هذا البيت .

هذه هي كتبه وقد طبع منها « الجواهر » ضمن « الجوامع الفقهية » على وجه غير نقيّ عن الغلط ، فينبغي لروّاد العلم إخراجه وتحقيق متنه على نحو يلائم العصر .

كما أنّه طبع من مؤلفاته « شرح جمل العلم والعمل » بتحقيق الأستاذ كاظم مدير شانه جي .

السيد عبد الصاحب الحكيم ابن السيد محسن

ولد سنة ١٩٤٢م في النجف الأشرف واستشهد في ٥ آذار سنة ١٩٨٥م درس في النجف وكان من اساتذته السيد محمد الروحاني والسيد محمد باقر الحكيم والشهيد السيد محمد باقر الصدر ، هذا فضلاً عن تلقيه دروس (الخارج) على السيد الخوئي . وبلغ درجة الاجتهاد وهو في الثلاثين من عمره تولى تدريس الفقه والأصول واهتم بتدريس الأخلاق ، كما كان له في أواخر ايامه بحث في التفسير .

وله كتابات في الفقه والأصول ، وشرح الكفاية في الأصول .

استشهد على ايدي الطغاة البرابرة جلادي الشعوب جماعة النظام العراقي التكريتي مع ستة من أهل بيته في مذبحة من اشجى مذابح العالم الإسلامي . وكان قد سبقهم إلى الاستشهاد السيد محمد باقر الصدر والالوف من ابناء الشعب العراقي المسلم ، كما لحقهم بعد ذلك الالوف ، قتلوا صبراً برصاص البغي والعصبية اللئيمة بلا جرم سوى انهم مؤمنون .

أما الشهداء أهل بيت الشهيد فهم :

(١) وقد عرفت أنّ الصحيح هو « الحلبي » .

(٢) قد مضى أنّه من تلاميذ القاضي .

(٣) روضات الجنّات ج ٤ ص ٢٠٥ والظاهر أنّ الحافي تصحيف القاضي .

١ ـ اخوه السيد عبد الهادي المولود في النجف سنة ١٩٤٠م الذي درس أولاً في النجف ثم اتجه إلى الدراسات الجامعية حيث نال شهادة الماجستير في الشريعة الاسلامية من جامعة بغداد . وكان موضوع رسالته (حول العقد الفضولي في الفقه الاسلامي) . ثم أكمل الدراسة في القاهرة حيث نال شهادة الدكتوراه في الشريعة الاسلامية في حدود سنة ١٩٧٧م . وكان موضوع الرسالة (حول المعاطاة في الفقه الاسلامي) .

وتولى التدريس في كلية اصول الدين في بغداد وفي كلية الفقه في النجف .

٢ ـ اخوه السيد علاء الدين . ولد في النجف سنة ١٣٦٥هـ وأكمل دراسته فيها ، ثم كان من مدرسي حوزتها في (السطوح والمقدمات) ثم اشترك في ادارة مدرسة دار الحكمة لطلاب العلوم الدينية في النجف التي اسسها والده السيد محسن .

٣ ـ اخوه السيد محمد حسين . ولد في النجف سنة ١٣٦٧هـ ودرس فيها ثم كان من مدرسي حوزتها العلمية على مستوى السطوح والمقدمات .

٤ ـ ابن اخيه السيد كمال ابن السيد يوسف . ولد في النجف الأشرف سنة ١٣٦٢هـ درس في النجف ، وكان من تلامذة السيد الخوئي في بحث (الخارج) . ثم كان من مدرسي الحوزة العلمية ، وله محاضرات وشروح وتعليقات في الفقه والعلوم الدينية .

٥ ـ ابن اخيه السيد عبد الوهاب ولد في النجف سنة ١٣٦٤هـ ودرس فيها .

٦ ـ ابن اخيه السيد أحمد ابن السيد محمد رضا . ولد سنة ١٣٦٤هـ في النجف الأشرف وانهى الدروس الابتدائية والمتوسطة والثانوية في المدارس الحكومية . ثم حاز على شهادة البكلوريوس من جامعة القاهرة في العلوم الانسانية .

عبد الكريم الخليل

مرت ترجمته في الصفحة ٣٢ من المجلد الثامن ونزيد عليها هنا ما يلي :

قال أحمد عزت الأعظمي في كتابه (القضية العربية) في الصفحة الخامسة :

كان عبد الكريم افندي قاسم الخليل من اخلص شباب العرب للقضية القومية وكان ذا مبدأ قويم رضع افاويقه منذ الصغر فشب على حب العروبة وتمسك باهدافها ، فتراه وهو لا ينفك عن السعي دائماً لتحقيق اماني الأمة العربية حيث لم تكن أمانيها الا الاستقلال الذي تعتز به الأمم .

ولا نغالي إذا قلنا ونحن نسجل قضايا تاريخ النهضة العربية ـ ان ما نراه اليوم من هذه النهضة يعود الأوفر منه الى سعي ذلك الشاب النبيل .

إلى أن يقول الأعظمي :

نعم فان لعبد الكريم قاسم الخليل فضلاً كبيراً على الأمة العربية لأنه كان من أخلص خدامها الأمناء الأبرار .

ثم يقول في مكان آخر :

« كان العرب والترك من جملة العناصر التي اخذت في تشكيل جمعيات بعد اعلان الدستور وقد اندفعت مختلف الأقوام إلى تشكيلها وكأنها انطلقت من عقال . وباعتبار أن قانون ١٩٠٩/٧/٧ بخصوص الجمعيات كان يحظر قيام جمعيات واحزاب ذات اهداف سياسية بتسمية قومية ، فإن العناصر المختلفة قد لجأت الى تشكيل هذا النوع من الجمعيات بصورة سرية ، لأنه لم يكن بالإمكان وضع السدود أمام العواطف القومية التي بدأت تغزو الشعور العام ، خاصة بعد أن رأت عناصر الدولة المختلفة أن الاتحاديين لا يتقيدون بروح القوانين التي يصدرونها هم أنفسهم ، فيوجهون دفة السياسة الداخلية في مصلحة العنصر التركي . أما العرب فكانت جمعياتهم أما علنية وأما سرية . فما كان منها بتسميات قومية كان سرياً . وأما الأخرى التي لا تحمل تسمية قومية فبعضها كان سرياً ، والجمعيات السرية الشهيرة هي التالية : الجمعية القحطانية ، جمعية العلم الأخضر ، جمعية اليد السوداء ، جمعية العهد ، جمعية العربية الفتاة . .

« وأما الجمعيات والأحزاب والنوادي العلنية فهي التالية :

« المنتدى الأدبي ، حزب اللامركزية العثماني بمصر ، الجمعية الاصلاحية في بيروت ، وجمعية البصرة الاصلاحية وغيرها من الجمعيات الصغيرة وقد عقد مؤتمر من الشبيبة العربية في باريس لبحث حقوق العرب اطلق عليه اسم (المؤتمر العربي الأول) .

« وهنا لا بد من الإشارة إلى أن الجمعية السرية المسماة « اليد السوداء » ، والتي كان طالب الطب في الاستانة (داوود يوسف الدبوني) من الموصل من أبرز مؤسسيها ، وكانت الغاية من تأسيسها اغتيال كل من يناوىء الفكرة العربية من رجال العرب خدمة منهم للاتحاديين لقاء منافع ومطامع شخصية ، لم تتمكن من الحيلة فانحلت قبل أن تمضي سنة واحدة على تأسيسها واندمج اعضاؤها في الجمعيات الكبرى » .

المنتدى الأدبي

« وأما ابقى هذه الجمعيات واخلدها ذكراً واعظمها أثراً وفائدة للعنصر العربي فكان هو المنتدى الأدبي ذو الأهداف العلمية الأدبية الاجتماعية .

« بعد أن الغى الاتحاديون جمعية الآخاء العربي العثماني . في اعقاب ثورة ١٣ ابريل المضادة ، رأى فريق من شباب العرب النبهاء في الاستانة وفي مقدمتهم طالب الحقوق عبد الكريم قاسم الخليل من ابناء جبل عامل في لبنان ضرورة تشكيل ناد علمي يجمع شبان العرب . إذ كان عبد الكريم ، عند تأسيس جمعية الآخاء العربي ـ العثماني من الذين نشطوا في الدعاية لها ، فكان يبث فكرة التآخي بين شبان العرب ، ويدعوهم بين آونة واخرى إلى بناية الجمعية فيعرف بعضهم ببعض ويشرح لهم فوائد الاتحاد والوفاق ، ويذكرهم بماضي أجدادهم وتاريخهم المجيد فلما حل الاتحاديون الجمعية مع كافة فروعها والغوا جريدتها « الآخاء العثماني » بدعوى وقوع بعض ما لا يناسب في سورية عند حدوث ثورة ١٣ نيسان وظهور الأفكار الرجعية في تشكيلاتها واعضائها شعر شبان العرب بالفراغ فألفوا المنتدى الأدبي في ١٦ محرم ١٣٢٧ ، الموافق ٨ شباط ١٩١٠ ، وكان القصد من إيجاده أن يجمع شبان العرب وطلابهم تحت سقفه وبين جدرانه بدلاً من أن ينتشروا في المقاهي ، أو يمضوا أوقاتهم بالبطالة متجولين من مكان إلى مكان آخر ، فيؤمن لهم مبيتاً نظيفاً وحياة طيبة .

أما الذين اشتركوا مع عبد الكريم الخليل في تأسيسه فكانوا نخبة من

طلاب العرب في الاستانة من أبرزهم يوسف مخيبر ، سليمان حيدر من بعلبك ، ورفيق رزق سلوم من حمص ، سيف الدين الخطيب من دمشق ، أحمد خليل الحسيني من القدس ، وكان يضم بين جدرانه شباناً من جميع الأقطار العربية ، فترى السوري والعراقي واليماني والحجازي والبرقاوي والطرابلسي والفلسطيني جنباً إلى جنب يترنمون بذكر أمجاد العرب .

ثم يتحدث باطناب عن المنتدى الأدبي قائلاً :

« هو الجمعية التي أحيت الروح القومي وبثت المبادىء السامية بين طبقات الشبيبة العربية في الاستانة وخارجها ، وكانت خطته الوحيدة نشر الدعوة للقضية القومية الوطنية) . وقال الأستاذ مصطفى الشهابي الذي عاصر الحوادث وعاش في جوها « ان هذا النادي كان مباءة العروبة في عاصمة الدولة . ففيه كان الطلاب الجدد يتلقون ممن تقدمهم في الدراسة مبادىء القومية العربية ومراميها وفيه كانت تدرس وتناقش خطط الأتراك الاتحاديين الرامية إلى تسييد القومية التركية والقضاء على القوميات السائدة في الدولة . وكانت أهداف النادي القومية تبرز على الملأ فيما كان يلقى فيه من محاضرات وخطب وما كان يقام فيه من حفلات ، وما كان ينشر في مجلته من بحوث وقصائد ومقالات وأناشيد وطنية ، وما كان يدور فيه من أحاديث ومناقشات في الشؤون العربية سواء بين بعض أعضائه وبعض ، أو بينهم وبين زوار النادي الكثيرين من نواب وساسة وموظفين وجالية عربية مقيمة في العاصمة » .

لم يكن نشاط شبان العرب في تأسيسه مقتصراً عليهم فقط انما لقوا مؤازرة كبيرة من رجالات العرب السياسين في الاستانة وفي مقدمتهم خليل حمادة باشا وزير الأوقاف ، وعبد الحميد الزهراوي ، وشفيق المؤيد ، ورضا الصلح ، ورشيد رضا ، وحقي العظم ، ورفيق العظم ، والطبيب حسين حيدر وطالب النقيب وعزيز علي المصري ، وندرة مطران ، ونخلة مطران ، ورشدي الشمعة الذين كانوا يلقون الخطب احياناً في احتفالاته .

كانت الفكرة التي وجهت عبد الكريم هي أن تكون قواعد المنتدى الأدبي مبنية على التربية الأساسية ورفع المستوى العلمي والأدبي والاجتماعي لخدمة الفكرة القومية العربية ، فوضع له منهاجاً مفصلاً عرضه على الشيخ رشيد رضا ، وكان يومئذٍ في الاستانة ، لاصلاح لغته ، ثم على وزير الأوقاف خليل حمادة باشا بغية تنقيح بنوده لاشتغاله في مثل هذه المؤسسات ولسعة اطلاعه وخبرته الكاملة . فرحب الوزير بهذا العمل الجليل وشجع القائمين به . وبعد أن درس المنهاج ونقح ما نقح منه وضع للنادي اسمه المعروف ، ووعد أن يخصص له سنوياً معونة قدرها خمسمائة ليرة عثمانية من الأوقاف على أن يكون كمعهد علمي للشباب العربي تلقى فيه المحاضرات العلمية في الليل وتؤسس فيه مكتبة قيمة ، مع اتخاذ البعض من غرفه مأوى لأبناء العرب الذين لا تساعدهم حالتهم المالية على السكن في الفنادق وما ان اطلع المخلصون من رجالات العرب على تأسيس المنتدى حتى اندفعوا في مساعدته وتشجيعه فوضع شكري بك الحسيني محاسب وزارة المعارف ، وأحد أعضاء هيئة ادارة جمعية الأخاء العربي ـ العثماني المنحلة ، تحت تصرف النادي ستين ليرة عثمانية كانت باقية لديه من صندوق تلك الجمعية ، ثم سلمه كل ما كان للجمعية من أثاث ورياش وتلقى النادي عدا ذلك مساعدات مالية كبيرة من طالب النقيب ، وزميله أحمد الزهير من مبعوثي البصرة هذا فضلاً عن كونه قد قام بتمثيل روايتي صلاح الدين الأيوبي ، وامرىء القيس ، وجمع من ريعهما مبالغ كبيرة أضيفت إلى المبالغ السابقة فتوفرت لديه القوة المالية للسير إلى الأمام .

لم يكن للمنتدى الأدبي صحيفة تخدم أغراضه في الفترة الأولى من تأسيسه ، إنما كان عبد الكريم الخليل يكتب هو وبعض زملائه في الجرائد العربية التي كانت تصدر في الاستانة كجريدة (الحضارة) لعبد الحميد الزهراوي والجرائد التي تصدر في سوريا والقاهرة واراد أن ينشىء له مجلة خاصة به غير أنه عندما رأى أنه قد صدرت مجلة باسم (لسان العرب) من قبل جمعية العلم الأخضر[1] ، بادارة وتحرير أحمد عزت الأعظمي سعى عبد الكريم الخليل أن تكون هذه المجلة ناطقة باسم المنتدى . وان يكون اسمها « المنتدى الأدبي » ، فكاد ان ينشب خلاف شديد وخطير بين الجمعيتين لولا تدخل ذوي الرأي من الحكماء مثل الدكتور حسين حيدر ، وكان وطنياً غيوراً جواداً كثير البذل ساعد المنتدى بمال وفير[2] ، وعبد الحميد الزهراوي ، وحلت المسألة في مصلحة المنتدى الأدبي .

لم يمض زمن على تأسيس المنتدى الأدبي حتى بلغ عدد من انضوى تحت لوائه ما يزيد عن ٢٨٠ شاباً وأديباً من أبناء العرب المقيمين في الاستانة ، وما يقرب من ٥٠٠ شاب من طلاب المدارس العالية فيها ، من مختلف الأقطار ومختلف الأديان والمذاهب وفتحت له فروع في شتى انحاء البلاد العربية وانتمى إليها آلاف من ابنائها . فقد كان له صدى قوي فيها ، كما كان رئيسه على اتصال بالحركات الوطنية وببوادر اليقظة القومية التي تعهدها النابهون من ابناء العرب في كل مكان ، وبالجمعيات الاصلاحية العربية في بيروت والبصرة وبحزب اللامركزية في مصر . وكان له أيضاً باع طويل في عقد المؤتمر العربي الأول في باريس ، وباقطاب المعارضة العربية في مجلس المبعوثان وخاصة بممثليها من أمثال شفيق المؤيد ، وشكري العسلي ، وعبد الوهاب الانكليزي ، وعبد الحميد الزهراوي وغيرهم . وعلى قول الأمير مصطفى الشهابي : « كان المنتدى يطوي في جنبات اعضائه نزوعاً إلى الأهداف القومية وراء الأهداف الأدبية الاجتماعية الظاهرية ».

على أن الذي لمسته من كل مطالعاتي المتعلقة بهذا البحث أن المسؤولين في هذا المنتدى وخاصة منهم رئيسه عبد الكريم الخليل الذي أحرز رئاسته بالانتخاب من قبل الأعضاء المنتسبين اليه ، كانوا حريصين على الرابطة العثمانية والوفاق مع العنصر التركي . وان الفكرة التي كانت تسيطر على ابناء العرب المثقفين ثقافة عالية هي ضرورة احتفاظ كل قومية من القوميات العثمانية بطابعها المميز ولغتها وتقاليدها واحياء أمجادها وتنمية الشعور القومي فيها ضمن رابطة جامعة هي الرابطة العثمانية التي يجب أن يرفرف علمها على الجميع ، وان تنضوي القوميات تحت جناحيها في نظام ديمقراطي حر . وفي جو من الأخاء والمساواة الذي يهيء لجميع العناصر والأديان العيش الهنيء الرغيد ،

(١) تأسست هذه الجمعية وكانت سرية في الاستانة بتاريخ أيلول ١٩١٢ من قبل الدكاترة اسماعيل الصفار وداود الديوني وعدد من الشبان والضباط العراقيين والدمشقيين والفلسطينيين كمسلم بك العطار وأحمد عزت الأعظمي ومصطفى الحسيني وكثير من الطلبة بالمدارس العليا وكان القصد من تأسيسها تقوية الرابطة بين طلبة المدارس العليا وتوجيه جهودهم إلى انتشال أمتهم من الدرك المهين الذي وصلت إليه وكان اسم الجمعية يرمز إلى العلم النجدي الأخضر لان أفكار العرب ـ حسب قول الأعظمي ـ كانت متجهة الى ابن السعود والامام يحيى .

(٢) حكم عليه جمال باشا فيما بعد بالنفي ٧ سنوات الى الاناضول حيث توفي هناك .

والحياة الاقتصادية والاجتماعية الرافهة . ان أكبر دليل على ذلك أن الاجتماعات العامة وحفلات الخطابة والاحتفالات في شتى المناسبات ، وخاصة منها ذكرى المولد النبوي السنوية التي كان يقيمها المنتدى ، كان يدعى إليها ابناء الترك من رجالات السياسة والأدب والاجتماع[1] وكان يتخلل الخطب المتبادلة بين الطرفين عواطف الود والاخاء والولاء للرابطة العثمانية كما كان يتخللها استعراض لماضي العرب الزاهر ومجدهم الوضاء[2] وبيان السبل المؤدية إلى تسهيل أمر التعليم الصحيح والثقافة القديمة للناشئة العربية ، ومن الأدلة أيضاً المقالات الصحافية التي كان ينشرها كبار كتاب هذا المنتدى وفي مقدمتهم الدكتور عزت الجندي ، عضو هيئة الادارة فيه في الجرائد العربية ومنها المؤيد ، والأهرام . فالدكتور عزت الجندي ، حتى في أشد حملاته على الاتحاديين وفي وقت وصلت فيه الأفكار القومية بعد حرب البلقان إلى آخر انطلاق لها في نطاق الفترة التي أبحث فيها ، ليس عند العرب فقط بل عند العرب والترك على السواء ، لم يخرج عن الرابطة العثمانية ، وكل ما وصل إليه هو وكل من لف لفه من القوميين المتطرفين أنه قدم العروبة على كل شيء آخر قال : اننا عرب قبل كل شيء ، المسلم عربي ، والمسيحي عربي . . . و . . . أجل اننا عرب قبل أن نكون مسلمين ، والمسيحي عربي قبل أن يكون مسيحياً . . و . . . . و . . . وقد تركنا مسألة الديانات والعبادات إلى الجوامع والكنائس . فإذا كنا عرباً قبل أن نكون مسلمين أو مسيحيين فأولى أن نكون عرباً قبل أن نكون عثمانيين . . ولكنه لم يقل أننا عرب ولسنا عثمانيين ، فإذا كان عزت الجندي قال هذا في الشهر الرابع من عام ١٩١٣ فالأحرى به أن تكون لهجته أخف وارتباطه بالعثمانية أكثر قبل هذا التاريخ .

« كان عبد الكريم الخليل لولب المنتدى الأدبي والمع شخصية فيه ، كان شعلة من النشاط والذكاء نال شهادة الحقوق من مدرسة الحقوق بالاستانة في عام ١٩١٠ بدرجة التفوق . وقد وصفه جمال باشا في مذكراته عندما جرت مفاوضات عام ١٩١٣ بين الطرفين لبحث مطالب العرب بقوله : « . . . فبرز لنا شخص قصير القامة يزيد عمره على الثلاثين ربيعاً اسمر اللون ذو عينين واسعتين براقتين تدلان على الذكاء والاقدام هذا هو عبد الكريم الخليل . . . » . لقد اخلص عبد الكريم للقضية العربية وشب على حب العروبة وتمسك باهدافها وعرف السبيل الصحيح لاعلاء مجدها ، سبيل التعليم الصحيح والتربية القومية للناشئة العربية إذ كان يفضل سلوك البناء الاجتماعي إلى جانب البناء السياسي . تباحث عبد الكريم مع النواب العرب حول خطة مثلى تتعلق باصلاح المدارس الابتدائية في دوائرهم فدعاهم الى حفلة أقامها لهم في حزيران يونيه سنة ١٩١١ واقترح عليهم برنامجاً يرمي إلى انهاض البلاد العربية على دعامتين .

١ ـ توثيق عرى الأخاء بين العرب على اختلاف أجناسهم وأديانهم وعناصرهم وطوائفهم حتى لا يذكر الواحد منهم في السياسة والوطنية غير عربيته الشريفة .

٢ ـ توحيد طرق التعليم في البلاد العربية حتى تتربى النفوس تربية واحدة ليسير جميع العرب في طريق واحدة وإلى غرض واحد .

فاستصوب النواب البرنامج الذي عرضه عليهم عبد الكريم وتعهدوا بتنفيذه بالتآزر مع المنتدى الأدبي بعد أن حفل الاجتماع بالخطب الحماسية الرنانة من الحاضرين . ولم يتوان رئيس المنتدى لحظة في العمل وسرعان ما شد رحال السفر إلى مصر وسائر الأقطار العربية يحمل المشروع الذي تضمن ما يلي بالتلخيص :

« ان يقسم كل نائب دائرة انتخابية إلى اقسام تؤلف في كل منها لجنة لتعميم التعليم الابتدائي . واخرى اختصاصية لترتيب برنامج لاصلاح هذه المدارس على أن تسلك خطة التوحيد ، وان يعقد النواب مؤتمراً عاماً يجددون زمانه خلال السنة ذاتها١٩١١ يحضره مندوبون عن هذه اللجان لدراسة جميع البرامج الموضوعة واستخلاص برنامج واحد منها يكون دستوراً للعمل في سائر البلاد العربية ، وان يبحث المؤتمر مسألة توحيد الكتب والتربية لايجاد شعور واحد في نفوس طلاب جميع البلاد العربية وانشاء مدرسة لتخريج المعلمين ـ دار للمعلمين بطريق الاعانات وقد تعهد المنتدى بتضحيات مادية وأدبية في سبيل تهيئة المعلمين لهذه الدار وبتطوع اعضاء المنتدى المثقفين للتدريس في المدارس علاوة على وظائفهم أو أعمالهم العادية .

« ولقد قوبل هذا البرنامج بالترحيب والارتياح في البلاد العربية وخاصة في مصر التي كانت أول من رحّب به ونهض لمساعدته فتألفت لجنة فيها ضمت سبع عشرة شخصية كبرى من ابرزهم : احمد تيمور باشا ، محمد باشا الشريعي ، رفيق بك العظم ، الدكتور شبلي شميل ، الخ ، للقيام به والعمل بموجبه .

« في الواقع كان اهتمام المنتدى الأدبي منصباً إلى الناحية الاجتماعية والاصلاح الأساسي للنهوض بالأمة العربية من حيث الثقافة قبل كل شيء لتتبوأ مكانها اللائق في السلطنة العثمانية فكان بهذا الوصف عبارة عن معهد علمي وناد أدبي في آن واحد ، حيث كانت تعطى فيه الدروس الليلية وتعلم الطلاب اللغة التركية واللغات الأجنبية ويستفيدون من مكتبته الحافلة بالكتب العلمية في سائر فروع الثقافة إنما لم يقتصر الطلاب والمنتسبون إليه على هذا الأمر بل كانوا يتناقشون في المسائل الاجتماعية والوطنية التي تجري على مسرح السياسة في الاستانة وفي تقدير قيم الرجال وتفضيلهم بعضهم على بعض وانتقاد اقوال الجرائد والتنديد بأعمال رجال السياسة ويبحثون في الأحزاب السياسية في مجلس الأمة وحقوق العرب ، ويعللون العلائق السياسية بين الدولة العثمانية ودول الغرب ، وفي ميزانية الدولة وغير ذلك من المواضيع .

فالمنتدى الأدبي كان أول مؤسسة تعهدت فكرة القومية العربية بعنايتها ورعتها منذ أول نشوئها وظهرت هذه الفكرة بنوع من الوضوح في أذهان أعضائها وفي أحاديثهم ومناقشاتهم ، ولكن في اطارها العثماني العام ، وتلمست طريقها الصحيح طريق العلم والمعرفة والثقافة ، ففي الخطاب الذي القاه عبد الكريم الخليل في الحفلة التي دعا إليها نواب العرب ، ترددت على

---

(١) كان ذلك بعد سنة ١٩١٢ بصورة خاصة إذ كان رجالات الاتحاديين كطلعت وجمال يحضرون الحفلات بعد أن جرى الاتفاق على حقوق العرب .

(٢) كان من أروع هذه الحفلات حفلة افتتاح المنتدى في ٨ ـ ٢ ـ ١٩١٠ حيث حضرها رجالات العرب السياسيون في الاستانة وخطب بعضهم فيها ثم ألقى أحدى الشعراء العرب قصيدة رائعة جاء فيها :

وان تكن عربي الأصل لا كذبا ... قمت لا حياء مجد كان للعرب

دع المجامع في لهو وفي طرب ... واجعل مقرك هذا المنتدى الأدبي

واختتم الحفلة الموسيقي البارع وديع صبرا العربي اللبناني يعزف النشيد العربي الوطني على البيانو وكان قد لحنه بالاشتراك مع بعض طلبة العرب ثم ترنموا بنشيد وطني من تأليف الشاعر اللبناني حليم دموس .

لسانه كثيراً عبارة الأمة العربية وتوحيد قوى الأمة ، وحدد فيه معالم وأركان القومية وروابطها مثل وحدة اللسان ، وحدة التاريخ ، ووحدة الوطن ، ووحدة المنفعة ، وبين أن هذه الروابط موجودة في الأمة العربية ، لكنه قال : ان هذه الروابط غير كافية ما لم ترتكز على أساس متين من الثقافة الموحدة والعلم الراسخ » ، فكان بذلك من أوائل الذين دعوا إلى الوحدة العربية ، أو الجامعة العربية وعرفوا الطريق الصحيح إليها وشرع فعلاً في العمل نحو تحقيقها عن طريق المشروع الذي تحدثت عنه .

« وقد بقي المنتدى الأدبي حتى عام ١٩١٥ ، وقت أن شنق جمال باشا رئيسه أثر محاكمات ديوان الحرب العرفي في عاليه مع شهداء العرب .

عبد الكريم بن جمال الدين أحمد بن طاووس

مرت ترجمته في المجلد الثامن الصفحة ٤٢ ونضيف إليها ما يلي :

درس على عمه رضي الدين وعلى المحقق الحلي وعلى الخواجة نصير الدين الطوسي ويحيى بن سعيد والمفيد بن الجهم الحلي والسيد عبد الحميد بن فخار الموسوي والشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي العلوي العمري النسابة مؤلف كتاب المجدي في انساب الطالبيين والشيخ حسين بن اياد النحوي .

وتلمذ عليه جماعة منهم أحمد بن داود الحلي والشيخ عبد الصمد بن أبي الجيش الحنبلي والشيخ علي بن الحسين بن حماد الليثي .

له من المؤلفات : الشمل المنظوم في مصنفي العلوم ، فرحة الغري[1] وجاء في كتاب تاريخ الحلة أن قبره مشهور لدى أهل الحلة واقع بالقرب من قبر السيد علي بن طاووس في جهة الجنوب .

ونقول : كيف يتفق هذا مع ما ذكر في كتاب (الحوادث الجامعة) ونقله صاحب تاريخ الحلة نفسه من أنه توفي في مشهد موسى بن جعفر وحمل إلى جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام . ومع ما ذكر كذلك في الترجمة المنشورة في المجلد الثامن .

ويقول في « روضات الجنات » : حائري المولد ، حلي المنشأ بغدادي التحصيل كاظمي الخاتمة . اهـ ولم يذكر موضع قبره .

السيد عبدالله الجزائري

مرت له ترجمة في المجلد الثامن الصفحة ٨٧ ونزيد عليها هنا ما يلي :

ولد في سابع شعبان سنة ١١١٢ ، تعلّم القراءة والكتابة ثم بدأ بقراءة العلوم الدينيّة عند أبيه وعلماء آخرين ، وفي سنة ١١٢٨ ذهب إلى اصفهان ثم شيراز ومنها إلى خراسان وآذربايجان ، وأكمل دراسته واهتمّ بتعلّم الرياضة والحكمة والنجوم ، وبعد ذلك عاد إلى موطنه تستر وأخذ يدرس تلك العلوم ، واختصّ بتدريس النجوم والهيئة والرياضة .

له مناظرات مع علماء المذاهب الأربعة عند سفره الى الحجّ ، وكان ينظم الشعر باللغتين العربيّة والفارسيّة .

توفي في سنة ١١٧٣ بمدينة تستر ودفن في مقبرة والده الملاصقة للمسجد الجامع .

(١) تاريخ الحلة .

الشيخ عبدالله الستري البحراني

مرت ترجمته في الصفحة ٥٧ من المجلد الثامن وذكر فيها أن وفاته سنة ١٢٧٠ ولكن ذكر في (أنوار البدرين) ان وفاته كانت سنة ١٢٨١ ويقول عنه : كان من بقايا علماء البحرين الأتقياء الورعين المصطفين الزاهدين العابدين ، وكان مشتغلاً بالتدريس في قريته الخارجية من جزيرة ستر يحضر عنده جملة من الطلبة والعلماء ، كثير المواظبة على البحث والتصنيف متواضع النفس .

ثم يصف حياته قائلاً : قبل اشتغاله بالدرس كان هو والحاضرون من العلماء المستقلّون يشتغلون في فتل الحبال وتمييلها لأجل صنعة الفرش المسماة بـ (المداد) ، وكانت معايشهم منها ، وله ولأولاده من بعده دكاكين لصنعتها بالأجرة ، فإذا أكمل الطلبة والعلماء الذين يدرسون عنده أخذ مما صنعوه من الميال والحبال واشتغل بالدرس .

توفي عما يقارب ثمانين سنة ودفن في جانب مسجده من الجنوب في قرية الخارجية ، ودفن أولاده بعده معه .

من تلاميذه الشيخ صالح الستري البحراني والشيخ عبدالله بن أحمد الستري والشيخ عبدالله بن علي الستري .

عبدالله بن عمير الكلبي

قال أبو مخنف حدّثني أبو جناب قال كان منا رجل يدعى عبدالله بن عُمير من بني عُلَيم كان قد نزل الكوفة واتخذ عند بئر الجَعْد من همدان دارا وكانت معه امرأة له من النَمِر بن قاسط يقال لها أم وهب بنت عبد فرأى القوم بالنُّخيلة يُعرَضون ليُسرَحوا الى الحسين قال فسأل عنهم فقيل له يسرحون الى حسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فقال والله لقد كنتُ على جهاد أهل الشرك حريصاً وإني لأرجو ألا يكون جهاد هؤلاء الذين يغزون ابن بنت نبيّهم أيسر ثواباً عند الله من ثوابه ايّاي في جهاد المشركين فدخل الى امرأته فأخبرها بما سمع وأعلمها بما يريد فقالت أصبت أصاب الله بك أرشد أمورك افعل واخرجني معك قال فخرج بها ليلاً حتى إني حسينا فأقام معه فلمّا دنا منه عمر بن سعد ورمى بسهم ارتمى الناس فلما ارتموا فخرج مولى زياد وسالم مولى عبيدالله بن زياد فقالا من يبارز ليخرج الينا بعضكم قال فوثب حبيب بن مظاهر وبُرَيْر بن حُضَيْر فقال لهما حسين اجلسا فقام عبدالله بن عمير فقال أبا عبدالله رحمك الله ائذن لي فلأخرج إليهما فرأى حسين رجلاً آدم طويلاً شديد الساعدين بعيد ما بين المنكبين فقال حسين إني لأحسبه للأقران قتّالا اخرج ان شئت قال فخرج إليهما فقالا له من أنت فأنتسب لهما فقالا لا نعرفك ليخرج إلينا زهير بن القين أو حبيب بن مُظاهر أو برير بن حضير ويسار مستنتل امام سالم فقال له عبدالله بن عمير الكلبي يا ابن الزانية وبك رغبة عن مبارزة أحد من الناس ويخرج اليك أحد من الناس إلا وهو خير منك ثم شدّ عليه فضربه بسيفه حتى برد فإنه لمشتغل به يضر به بسيفه إذ شد عليه سالم فصاحوا به قد رهقك العبد قال فلم يأبه له حتى غشية فبدره الضربة فأتقاه عبدالله بيده اليسرى فأطار أصابع كفه اليسرى ثم مال عليه عبدالله الكلبيّ فضربه حتى قتله وأقبل مرتجزاً وهو يقول وقد قتلهما جميعاً :

إنْ تنكروني فأنا ابنُ كلب ... حَسْبِي بَيْتِي في عُلَيمٍ حسبي
إني امرؤٌ ذو مرَّةٍ وعَصب ... ولستُ بالخوّارِ عند النَّكْبِ
إني زعيمٌ لكِ أمّ وهب ... بالطعنِ فيهمْ مُقْدِماً والضربِ
ضَرْبِ غُلامٍ مؤمنٍ بالرَبِّ .

فأخذت أم وهب امرأته عمود اثم أقبلت نحو زوجها تقول له فداك أبي وأمي قاتل دون الطيبين ذرية محمد فأقبل اليها يردها نحو النساء فأخذت تجاذب ثوبه ثم

قالت إني لن أدعك دون أن أموت معك فناداها حسين فقال جزيتم من أهل بيت خيراً ارجعي رحمك الله الى النساء فأجلسي معهن فإنه ليس على النساء قتال فانصرفت اليهن ولما قتل زوجها خرجت تمشي إليه حتى جلست عند رأسه تمسح عنه التراب وتقول : هنيئاً لك الجنة ، فقال شمر بن ذي الجوشن لغلام يسمى رستم : اضرب رأسها بالعمود ، فضرب رأسها ، فماتت مكانها(١) .

عبدالله بن خليفة الطائي

واثب عائذ بن قيس الحرمزي في صفين عدي بن حاتم الطائي في الراية ، وكانت حزمر اكثر من بني عدي رهط حاتم ، فوثب عليهم عبد الله بن خليفة الطائي البولاني عند علي عليه السلام فقال يا بني حزمر ، على عدي تتوثبون ، وهل فيكم مثل عدي ؟ او في لآبائكم مثل أبي عدي ؟ أليس بحامي القرية ومانع الماء يوم روية ؟ أليس بابن ذي المرباع وابن جواد العرب ؟ أليس بأبن المنهب ماله ومانع جاره ؟ أليس من لم يغدر ولم يفجر ولم يجهل ولم يبخل ولم يمنن ولم يجبن ؟ هاتوا في لآبائكم مثل أبيه ، أو هاتوا فيكم مثله ، أو ليس افضلكم في الإسلام ، أليس وافدكم الى رسل الله ﷺ أليس برأسكم يوم النخيلة ويوم القادسية ويوم المدائن ويوم جلولاء الوقيعة ويوم نهاوند ويوم تستر ؟ فما لكم وله ؟ والله ما من قومكم أحد يطلب مثل الذي تطلبون .

فقال له علي بن أبي طالب : حسبك يا ابن خليفة ، هلم أيها القوم إليّ وعلي بجماعة طيء ، فأتوه جميعاً ، فقال علي من رأسكم في هذه المواطن ؟ قالت طيء : عدي ، فقال ابن خليفة : فسلهم يا أمير المؤمنين أليسوا راضين مسلمين لعدي بالرئاسة ، ففعل ، فقالوا : نعم فقال لهم : عدي احقكم بالراية . فسلموهل له ، فقال علي ـ وضجت بنو الحزمر ـ إني أراه رأسكم قبل اليوم ولا أرى قومه كلهم إلا مسلمين له ، غيركم ، فأتبع في ذلك الكثرة ، فأخذها عدي .

وكان عبدالله بعد ذلك من أصحاب حجر بن عدي (راجع ترجمة حجر) فطلبه زياد بن سمية فتوارى فبعث إليه الشرط وهم أهل الحمراء يومئذ فأخذوه فخرجت اخته النوار فقالت يا معشر طيء أتسلمون سنانكم ولسانكم عبد الله بن خليفة ؟ فشد الطائيون على الشرط فضربوهم وانتزعوا منهم عبد الله بن خليفة فرجعوا الى زياد فأخبروه ، فوثب على عدي حاتم وهو في المسجد فقال ائتني بعبدالله بن خليفة . قال وماله ؟ فأخبره قال : فهذا شيء كان في الحي لا علم لي به قال : والله لتأتيني به . قال لا والله لا آتيك به أبداً أجيئك بابن عمي تقتله والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه . قال فأمر به الى السجن ، قال فلم يبق بالكوفة يمانيٌ ولا ربعيٌ ألا أتاه وكلمه وقالوا تفعل هذا بعدي بن حاتم صاحب رسل الله ﷺ قال فإني أخرجه على شرط قالوا ما هو ؟ قال يخرج ابن عمه عني فلا يدخل الكوفة ما دام لي بها سلطان . . . فأتى عدي فأخبر بذلك فقال نعم فبعث عدي الى عبدالله بن خليفة فقال ين ابن أخي أن هذا قد لجّ في أمرك وقد أبى إلا اخراجك عن مصرك ما دام له سلطان فالحق بالجبلين فخرج فجعل عبد الله بن خليفة يكتب الى عدي وجعل عدي يمنيه فكتب إليه :

يمنيه فكتب إليه :

تذكرت ليلى والشبيبة أعصرا — وذكر الصبا برح على من تذكرا
وولى الشباب فافتقدت غضونه — فيالك من وجد به حين أدبرا
فدع عنك تذكار الشباب وفقده — وآساره إذ بان منك فأقصرا
وبك على الخلان لما تخرموا — ولم يجدوا عن منهل الموت مصدرا
دعتهم منایاهم ومن حان يومه — من الناس فأعلم أنه لن يؤخرا
أولئك كانوا شيعة لي وموئلاً — إذا اليوم ألفي ذا احتدام مذكراً
وما كنت أهوى بعدهم متعللاً — بشيء من الدنيا ولا أن اعمرا
أقول ولا والله أنسى ادّ كارهم — سجيس الليالي أو أموت فأقبرا
على أهل (عذراء)(٢) السلام مضاعفاً — من الله وليسق الغمام الكنهورا
ولاقى بها (حجر) من الله رحمة — فقد كان أرضى الله حجر وأعذرا
ولا زال تهطال ملث وديمة — على قبر حجر أو ينادى فيحشرا
فيا حجر من للخيل تدمى نحورها — وللملك المغزى إذا ما تغشمرا
ومن صادع بالحق بعدك ناطق — بتقوى ومن أن قيل بالجور غيرا
فنعم أخو الإسلام كنت وإنني — لأطمع أن تؤتى الخلود وتحبرا
وقد كنت تعطي السيف في الحرب حقه — وتعرف معروفاً وتنكر منكرا
فيا أخوينا من هميم عصمتما — وبشرتما للصالحات فأبشرا
ويا أخويَّ الخندفيَّين أبشرا — فقد كنتما حييتما أن تبشرا
ويا اخوتا من حضرموت وغالب — وشيبان لقيتم حسابا ميسرا
سعدتم فلم أسمع بأصوب منكم — حجاجا لدى الموت الجليل وأصبرا
سأبكيكم ما لاح نجم وغرد الـ — حمام ببطن الواديين وقرقرا
فقلت ولم أظلم أغوث بن طيء — متى كنت أخشى بينكم أن أسيرا
هبلتم ألا قاتلتم عن أخيكم — وقد ذب حتى مال ثم تجورا
ففرجتم عني فغودرت مسلماً — كأني غريب في إياد وأعصرا
فمن لكم مثلي لدى كل غارة — ومن لكم مثلي إذا البأس أصحرا
ومن لكم مثلي إذا الحرب قلصت — وأوضع فيها المستميت وشمرا
فها أنا ذا داري بأجبال طيء — طريدا ولو شاء الإله لغيرا
نفاني عدوي ظالما عن مهاجري — رضيت بما شاء الإله وقدرا
وأسلمني قومي لغير جناية — كأن لم يكونوا لي قبيلاً ومعشرا
فإن ألف في دار بأجبال طيء — وكان معاناً من عصير ومحضرا
فما كنت أخشى أن أرى متغربا — لحا الله من لاحى عليه وكثرا
لحا الله قتل الحضرميين وائلا — ولاقى الفناء من السنان الموفرا
ولاقى الردى القوم الذين تحزبوا — علينا وقالوا قول زور ومنكرا
فلا يدعني قوم لغوث بن طيء — لأن دهرهم أشقى بهم وتغيرا
فلم اغزهم في المعلمين ولم أثر — عليهم عجاجا بالكويفة أكدرا
فبلغ خليلي أن رحلت مشرقا — جديلة والحيين معناً وبحترا
ونبهان والأفناء من جذم طيء — ألم أك فيكم ذا الغناء العشنزرا
ألم تذكروا يوم العذيب أليتي — أمامكم أن لا أرى الدهر مدبرا
وكري على مهران والجمع حاسر — وقتلي الهمام المستميت انقسورا
ويوم جلولاء الوقيعة لم ألم — ويوم نهاوند الفتوح وتسترا
وتنسونني يوم الشريعة والقنا — بصفين في أكتافهم قد تكسرا
جزى ربه عني عدي بن حاتم — برفضي وخذلاني جزاء موفرا
أتنسى بلائي سادراً با ابن حاتم — عشية ما أغنت عديك حذمرا

(١) الطبري .

(٢) عذراء : المكان الذي قتل فيه حجر بن عدي خارج دمشق .

فدافعت عنك القوم حتى تخاذلوا ... وكنت أنا الخصم الألد العذورا
فولوا وما قاموا مقامي كأنما ... رأوني ليثاً بالأباءة مخدرا
نصرتكم اذ خام القريب وأبعظ الـ ... بعيد وقد أفردت نصراً مؤزرا
فكان جزائي أن أجرد بينكم ... سجيناً وأن اولى الهوان وأوسرا
وكم عدة لي منك أنك راجعي ... فلم تغن بالميعاد عني حبترا
فأصبحت أرعى النيب طوراً وتارة ... أهرهران راعي الشويهات هرهرا
كأني لم أركب جواداً لغارة ... ولم أترك القرن الكمي مقطرا
ولم اعترض بالسيف خيلاً مغيرة ... إذ النكس مشى القهقري ثم جرجرا
ولم أستحث الركض في اثر عصبة ... ميممة عليا سجاس وأبهرا
ولم أذعر الأبلام مني بغارة ... كورد القطا ثم انحدرت مظفرا
ولم أر في خيل تطاعن بالقنا ... بقزوين أو شروين أو اعز كندرا
فذلك دهر زال عني حميده ... وأصبح لي معروفه قد تنكرا
فلا يبعدن قومي وإن كنت غائبا ... وكنت المضاع فيهم والمكفرا
ولا خير في الدنيا ولا العيش بعدهم ... وإن كنت عنهم نائي الدار محصرا

٤ فمات بالجبلين قبل موت زياد وقد مضى بعض هذه القصيدة في ترجمة حجر .

عبدالله وعبد الرحمن إبنا عزرة الغفاريان

جاء الى الحسين يوم كربلاء فقالا يا أبا عبدالله عليك السلام ، حازنا العدو إليك فأحببنا أن نقتل بين يديك نمنعك وندفع عنك . قال : مرحباً بكما ، ادنوا مني فدنوا منه فجعلا يقاتلان قريباً منه وأحدهما يقول :

قد علمت حقا بنو غفار ... وخندف بعد بني نزار
لنضربن معشر الفجار ... بكل غضب صارم بتار
يا قوم ذودوا عن بني الأحرار ... بالمشرقي والقنا الخطار

حتى قتلا .

الدكتور عبدالله أحمديه بن محمد حسن

ولد في آمل بمازندران (ايران) سنة ١٣٠٣ وكان أبوه من كبار الملاكين فيها . وفيها بدأ دراسته في أحد الكتاتيب القديمة . ثم تابع دراسته إلى أن التحق بمعهد (دار الفنون) في طهران وكان هو المعهد الوحيد ذا الدراسات العالية في ايران ، وكان قد انشىء سنة ١٢٦٨ . وفيه أنضم إلى القسم الطبي الذي كان يشرف عليه الطبيب الفرنسي (جورج غاله) فنال شهادة الدكتوراه في الطب سنة ١٣٣٣ فتنقل في عدة وظائف طبية ومنها رئاسة مستشفى (أحمدية) سنة ١٣٥٤ ثم أوفدته الحكومة الى الكليات الطبية في كل من فرنسا والمانيا وبلجيكا للاستفادة من تجاربها الطبية ، ولدى عودته عين مديراً للصحة العامة في مقاطعة خراسان ، ثم ترك العمل الحكومي وفتح عيادة طبية خاصة في مدينة (مشهد) كان يعالج فيها مرضاه لا بحسب دراسته الطب الحديث ، بل مستنداً إلى الطب القديم لاعتقاده بأن العقاقير الطبية القديمة بحشائشها ونباتاتها هي أكبر ملائمة للبيئة الطبيعية التي يعيش فيها الشرقي . واصبح الاقبال عليه كبيراً لا سيما من الأسر العريقة والعائلات المحافظة ، وكان يتلقى الرسائل من الأوساط الطبية في الشرق والغرب مستعينة باختباراته في هذا الموضوع .

ترك من المؤلفات ١ ـ رازدرمان ، باللغة الفارسية ، أي (سر العلاج)

٢ ـ درمان روماتيسم ونقرص وسياتيك ، باللغة الفارسية . اي (علاج المفاصل والنقرس وعرق النسا) ويعرض لمداواة هذه الأمراض بالحشائش والأعشاب ٣ ـ الجزء الثاني من (رازدرمان) مخطوط ٤ ـ بيماريهاي عصبي بالفارسية . أي (الأمراض العصبية) مخطوط .

توفي في طهران سنة ١٣٧٩ .

السيد عبدالله الشيرازي ابن السيد محمد طاهر

ولد سنة ١٣١٩ وتوفي في مشهد الرضا سنة ١٤٠٥ .

درس في النجف الأشرف على السيد ابو الحسن الأصفهاني والشيخ حسين النائيني والشيخ ضياء الدين العراقي . ثم استقر في النجف .

وبعد طغيان النظام العراقي سافر إلى مشهد الرضا وأقام هناك مرجعاً من مراجعها حتى وفاته .

له من المؤلفات : ١ ـ عمدة الوسائل في شرح الرسائل ٢ ـ ذخيرة العباد في المعاد ٣ ـ ذخيرة الصالحين وانيس المقلدين ٤ ـ كتاب القضاء ٥ ـ حاشية على العروة الوثقى ٦ ـ الاحتجاجات وغير ذلك .

الشيخ عبد الله بن علي بن عبدالله الوايل الاحسائي المعروف بالصائغ

قال الشيخ جعفر الهلالي في العدد الرابع من السنة الأولى (ربيع ١٤٠٦) من نشرة (تراثنا) الفصلية ما يلي :

إنّ ممّا يؤسف له حقاً : أنّ هذه الرقعة من الأرض والتي عرفت بـ (الأحساء) اليوم ، وقد كانت تعرف قديماً بـ (هجر) ، أو (هجر البحرين) ، والتي إليها يشير المثل المشهور « كناقل التمر إلى هجر » قد أغفلها الدارسون والمتصدّون لكتابة التاريخ والآداب بالخصوص .

يقول أحد أبناء تلك المنطقة : « فأنت إذا جئت تبحث في صفحات التاريخ فلا تجد ما يبرّد ظماك ولا ما يبلّ صداك ، وليس حظّك من كتب التراجم والآداب بأحسن من حظّك من صفحات التاريخ »[1] .

وقد صدر قبل فترة ديوان باسم « ديوان هجر » ، جمع فيه صاحبه أشعار جماعة من شعراء الأحساء ، وهي خطوة حسنة ، وكنت أظنّ أنّ هذا الديوان سيحتضن بين دفّتيه قصائد وأشعاراً لبعض هؤلاء الشعراء المنسيّين ضمن من تصدّى لنشر شعرهم في هذا الديوان ، ولكن يظهر أنّ العامل المذهبي عند جامع الديوان كان قد أثّر عليه فأسقط من حسابه أن يعنى بنشر شعر هؤلاء الشعراء ، أو ذكرهم ولو ببعض ما يدلّ على وجودهم كشعراء يعيشون في هذه المنطقة .

وهذا العامل في إغفال هذا النوع من الشعراء كان قد تأثّر به غير واحدٍ من كتّاب الأدب وأصحاب المعاجم ، فالمعروف عن صاحب كتاب « نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب » أنّه أهمل الكثير من الشعراء الّذين عرفوا بموالاتهم لأهل البيت (عليهم السلام) ، وهكذا الحال بالنسبة لصاحب « الذخيرة » العماد الاصفهاني ، فقد أسقط هو الآخر من حسابه مجموعة من هؤلاء الشعراء ، وعلى هذه الوتيرة مضى الثعالبي في « اليتيمة » ، والميداني في « معجم الأدباء » .

(١) ونقول نحن جواباً على ما كتبه هذا الكاتب المخلص: لقد سددنا فراغاً كبيراً مما يشكو منه فيما نشرناه في دائرة المعارف الاسلامية الشيعية في بحث الاحساء ، ويبدو أن الكاتب لم يطلع على ما نشرناه .

والذي نحن بصدده الآن هو ضياع هذا الأدب لمدينة الأحساء ، ونسيانه . وتتلخّص الأسباب بما يلي :

١ ـ عدم تصدّي الدارسين للتأريخ والأدب ، وعدم التوجّه منهم ، وإغفالهم هذه المنطقة إلّا القليل النادر .

٢ ـ التأثّر بالعامل المذهبي لدى بعض من تصدّى لجمع شعر شعراء هذا القطر كما بيّنّا ذلك .

٣ ـ عامل الخوف الذي ساد رجال العلم والأدب في تلك البلاد ، وهذا ناتج عن الحملة الوهّابية في أول مجيئها ، فقد تعرّض الناس وأهل العلم والأدب ـ بالخصوص ـ إلى الإمتهان والقتل أحياناً ، ممّا دعا البعض من رجال العلم والأدب أن يغادروا وطنهم ويهاجروا إلى سائر البلدان كإيران والعراق والبحرين وغيرها ، واضطرّ الباقون إلى إخفاء مالديهم من تآليف علميّة أو دواوين شعريّة ، وذلك بدفنها في الأرض . .

وأما ما سلم من هذا التراث وانتقل إلى يد الورثة من أبناء العلماء والأدباء ، فقد قام هؤلاء بسبب العامل نفسه بإتلاف ما ورثوه من تلك المأثورات العلميّة والأدبيّة وخصوصاً الشعر منها ، وإذا أحسنوا رموها بين سفوح الجبال أو وضعوها في المساجد مع نسخ القرآن الممزّقة .

٤ ـ جهل من انتقل إليهم ذلك التراث ، وحرص بعضهم حتى تلف كثير من تلك الكتب والدواوين ، ولعلّ الجهل والحرص لم يختصّا ببلاد دون أخرى ، فهناك الكثير من التراث العلمي والأدبي قد ضاع في كثير من البلدان لهذا السبب أيضاً .

وبالرغم من كلّ هذا فقد وقفت في إحدى سفراتي إلى بلاد الأحساء على مجموعة لا بأس بها من الآثار الأدبيّة والدواوين الشعريّة لبعض الشعراء هناك ، وقد نقلت كثيراً من القصائد والمقاطيع الشعريّة وبعض البنود ، وقد استنسخت بعض الدواوين بكاملها ، من ذلك ديوان الشيخ محمد البغلي من شعراء القرن الثالث عشر . . . وكثير من شعراء هذا القرن والقرن الذي قبله ، وممّن نقلت كثيراً من قصائده وتخاميسه وتشطيره الشيخ عبدالله الصايغ ، كما نقلت له ملحمة مطوّلة في المعصومين الأربعة عشر ، تبلغ ١٥٢٦ بيتاً حسب تعداد الشاعر لأبيات تلك الملحمة ، وإن كان الذي وقفت عليه من أبيات تلك الملحمة يربو على هذا العدد بمائة بيت تقريباً .

وقد جارى فيها الشاعر قصيدة الملّا كاظم الأزري ، وقد أشار إلى الشاعر المذكور وأشاد بأفضليّة السبق له عليه ، وقد نقلتها عن نسختين مخطوطتين موجودتين لدى بعض المؤمنين في الأحساء ، وها أنا أقدّم للنشر جانباً من هذه القصيدة ، عسى أن تتهيّأ فرصة أكبر لنشرها بكاملها .

الشاعر

هو الشيخ عبدالله بن علي بن عبدالله الوايل الأحسائي المعروف بـ « الصائغ » .

ولد الشاعر في الهفوف عاصمة الأحساء ، في حدود النصف الأول أو بعده بقليل من القرن الثالث عشر ، ولم يحدّد بالضبط تاريخ ولادته ، غير أنّه كان حيّاً عام ١٢٨١هـ ، وهو تاريخ الفراغ من نظم ملحمته الشعرية ، كما أرّخها هو في آخر أبياتها .

والشاعر ، بالإضافة إلى ملكته الشعريّة ، كان أحد العلماء المحصلين ، أخذ دراسته العلميّة في مدينة الأحساء على يد علمائها آنذاك ، ومنهم الشيخ محمد أبو خمسين[1] فقد أخذ عنه الفقه والحكمة ، ولا يدرى هل سافر إلى النجف أم لا ؟

آثاره

للشاعر المذكور من الآثار المخطوطة ما وقفت عليه في الأحساء عند بعض المعنيّين بجمع تراث الأحساء ـ وخصوصاً الأدبي منه ـ وهي كما يلي :

١ ـ ديوان شعر كبير يتألّف من ثلاثة أجزاء في مختلف الأغراض والمواضيع .

٢ ـ كشكول كبير في مجلّدين سقطت أكثر أوراقه أو تلفت .

٣ ـ نهج الأزريّة ، وهي الملحمة التي سنقدم جزءاً منها للقارىء : تشتمل على أكثر من (١٥٠٠) بيت من الشعر ، كما توجد له ثلاثة بنود ، في التوحيد ، والنبوّة ، والإمامة .

وفاته

توفّي الشاعر في قرية « سيهات » إحدى قرى مدينة القطيف ، وكانت وفاته سنة ١٣٠٥هـ .

قصيدة نهج الأُزرية

هـذه رامـةٌ وهـذي ربـاهـا　　فـاحبسا الـركب ثمّةً في حماها

وأنـيخابهـا الـمطايـا ومـيـلا　　للثـرى وانشقـا أريـج شـذاهـا

وقـفـا بي ولـو كـلوث إزار　　عـلَّ نفسي تنال منهـا منـاهـا

وأسـائِـلْ طلولَهـا عن ظعـونٍ　　سـار قلبي لسيـرهـا وتـلاهـا

وأؤدّي لهـا يـسـيرَ حـقـوقٍ　　مـن كـثـير وأيـن مـنّي أداهـا

بـغـان حـوت لحسـنِ غـوانٍ　　تتوارى الشمـوس تحت ضيـاهـا

مـن ظبـاءٍ كـوانسٍ بـخـدورٍ　　حجبتهـا لـيـوثهـا بظبـاهـا

يـا خـليـليّ لا تلومـا خـليعـاً　　خلعتْ نفسـهُ غـرام سـواهـا

واسعـداني ـ سُعدتما ـ في غرامي　　إنّ خير الصحاب صحب صفاها

أو دعـاني بهـا أبُـثُّ شجـونـاً　　كَلّمت مـهجتي كـلوم مُـداهـا

أنـافـيهـا مـتـيـمٌ وغـرامـي　　شـاهـد أنّني قتيـل هـواهـا

كيف تهـوى الـملامَ نفسُ معنّىً　　كثـرة اللوم في الهوى أغـواهـا

مـا لِـنـفسي ولـلسـلوّ وهـذا　　دمعُهـا أهـرقتـه سرب دمـاهـا

صـيّـرتـه خـضـابهـا لا كُـفٌّ　　وخـدود قـد صرت من قتلاهـا

لست أنسي ـ وكيف أنسي ـ زمـاناً　　قـد تجلّت أيّـامـه بصفـاهـا

وليالٍ قد أقمـرت بوصـالِ العينِ　　مـن غـيـدِهـا وشطَّ نـواهـا

زمـن اينـعـت ثـمـارُ الأمـاني　　ليَ فـيـه وأتحفـتـني جـنـاهـا

حيث لم نـلف واشيـاً ورقيبـاً　　نتّقي منهـا وقـوع جـفـاهـا

فـتـولّى كـأنّـه ومضـةٌ مـن　　بـرقـةٍ أو كخفقـةٍ من كـراهـا

يـا رعى الله تلك أوقـات أُنسي　　تمَّ حسنُ الـزمـان من حسنـاهـا

كم بـه من لبـانـةٍ أنعشتْـنـا　　بـاجتنا صفـوهـا بـوصـل مَهـاهـا

فقضينـا بـه مـنـاسـكَ عشقٍ　　حيث إحـرامنا بلبس هـواهـا

[1] أسرة آل أبي خمسين من الأسر العلميّة المعروفة في مدينة الهفوف بالأحساء ، أشهرهم الشيخ موسى أبو خمسين .

ثم قد ضمّنا معرّسُ وصلٍ   فأفضنا به لورد لَماها

ثم حلّت نفوسنا مشعر الأمن ونالت من بعد ذاك مُناها

فنحرنا هديّ الجوى وحَلقنا   من وشاةٍ لنا شعور رجاها

وقذفناهم برمي جمار البعدِ عنّا فأحرقتهم لظاها

ثم طفنا بكعبةِ الحسنِ منها   واعتكفنا بها بهجر سواها

واستلمنا لأسودِ الخالِ منها   وشِفاه قد أنعشتنا شِفاها

وسعينا بصفو عيشٍ هَنيٍّ   مَرِءٍ لا بمروةٍ وصفاها

فأراشت لنا الليالي سهاما   من صروف النوى فجدَّ جفاها

فتداعت إلى الفراق رفاقُ الأنسِ منّا ونوّهت بدعاها

وجرى ما جرى ولا تسألا عن   حال أهل الهوى غداة نواها

فلكم ثَمَّ من قلوب تهاوت   مصعقات لفرط روعٍ عراها

وقلوب تطايرت لو شيك البَين منّا كأنَّ نافٍ نفاها

لست أنسى على النقى وقفةَ التوديع والعينُ لا يكف بكاها

ثم سارت مطيُّهم تذرع البيدَ ولكن قلوبنا تلقاها

وانثنينا بصفقةِ الغُبْنِ ظُمياً   لِلقاها وأين منّا لقاها

وكذا عادة الزمان بأهلِ الفضلِ لا زال مولعاً بجفاها

فاسألاني به فإنّي خبير   ذقتُ أحوالَهُ على استقصاها

برقةُ خُلَّبٌ وسُحبُ أياديه جهامٌ لمن يروم استقاها

لم يَهَبْ نعمةً بلا سلب أخرى   لبنيه ولا يدوم بقاها

من عذيري له وفي كلّ آنٍ   تنتحيني صروفُه بعناها

مستطيلاً بخفض قدري ولم يدرِ بأني من المعالي فتاها

موقفي فوقهن ناشٍ وطفلاً   قد غذتني بَدرها ثديَاها

ولئن نابني بخفض مقامي   بعيونٍ داعي الغوى أغواها

لا يعاب الإكسير يوماً إذا ما   جهلته من الورى جهلاها

كيف لا تملك المعاليَ نفسٌ   حبُّ طهَ بنوره زكّاها

احمد المصطفى أجلّ نبيٍّ   بعث الله للورى لهداها

علّة النشأتين فيمن برى الله   ومولى وجودها وفناها

ذات قدسٍ تذوقت كلُّ ذاتٍ   من هيولى هياكل حلاّها

هو في الكائنات أوّل نفسٍ   برأ الله كنهها فاجتباها

وحباه من فضله بمعالٍ   عرك النيّراتِ أدنى علاها

ما اصطفى في العباد شخصاً سواه   للعبوديّة التي يرضاها

ثم آتاه ما يشا من علوم الملكوتيّة التي أبداها

بل وأنهى اليه خيرَ مزايا   كبرت رفعةً بأن تتناها

عالمٌ عالِمُ السرائرِ أسرى   سرُّه في عوالمٍ أنشاها

جاء للانبياءِ منها يسيرٌ   فيه قد فُضِّلَتْ على من سواها

جمع الله فيه كلَّ كمالٍ   أخذت عنه كلُّ نفسٍ هداها

أوّل السابقين في حلبةِ الفضلِ ومصباحُ أرضِها وسماها

نَيِّرٌ أشرق الوجودُ بإشراقاتِ أنوار عزّةٍ جلاّها

وبه قرّتِ القوابلُ طرّاً   بقبُولِ الوجودِ عند دعاها

واستقامت به السمواتُ والأرضُ ومن فيهما بحسنِ استواها

مَلِكٌ مُلكُه الممالكُ لا بل   هو قيّومُها الذي يرعاها

وهو ناموسُها العليمُ بما قد   عملتهُ بجهرها وخفاها

وهو الكلِمَةُ التي انزجر العمقُ لها واستقام من جدواها

عيلمٌ فاض للعوالمِ منه   خيرُ فيضٍ حَوَتْ به نعماها

كلُّ ما في الوجود من كائناتٍ   ذو المعالي لأجله سوّاها

وكفاه على الخلائق طُرّاً   أنّه كان في العُلى مصطفاها

وله اشتقَّ ذو الجلالة من أسمائِهِ اسماً سمت به حسناها

فهو في خلقه الحميدُ وهذا   (أحمد) يا له عُلىً لا يُضاها

سرّ فضلٍ لمّا يطق كتمهُ الغيبُ   لأسرار حكمةٍ قد حواها

لم يزل في عوالمٍ منه يجري   في بحورٍ به أفيضَ نداها

فأتى عالَمَ الشهادةِ هادٍ   أُمماً قادها دواعي غَواها

فبدا في سما الرسالةِ شمساً   مشرقاً فوقَ كلِّ شيءٍ ضِياها

جاء منه لها ولم تَبْدُ آياتٌ عظامٌ بَهَرْنَ مَن قَدْ رآها

كتهاوي شُهبِ السَّما وهي تنبي   أنّه للعدى شهابُ رداها

وانشقاق الإيوانِ يُنبيءُ عنه   أنّه بالهدى يشقُّ عصاها

وانطفا نارِ فارسٍ عنه مُنْبٍ   أنّه آن من لظاها انطفاها

واغتدت بأسمه الهواتف تدعو   معلناتٍ وفوّهت بنداها

وأتتْ أُمَّهُ البشائرُ منها   أنّه في الورى بشيرُ هداها

ورأتْ من كرامةِ الله منه   ما أقرّتْ بنيلِهِ عيناها

وتهاوى لدى ولادته عن   كعبةِ الله كلُّ جبتٍ علاها

وسرى منه في فلاسفةِ الكهّان حتفٌ أبادها فاختلاها

وبه الماردون نالت دحوراً   وثبوراً به تحسّت رداها

ومن الحجب بالبشارةِ جبرائيلُ بأملاكِها الغُرِّ فاها

وبه الأرض أشرقت واستطالت   - إذ أتاها - على علوِ سماها

وبه مكّةٌ على كلِّ شيءٍ   فخرتْ إذ حواه منها فناها

وحقيقٌ بها إذا افتخرت بالمصطفى أحمدٍ على من سواها

قد حوت سؤدداً تودُّ دراري الشهبِ منه تكون من حصباها

إذ حوت سيّدَ السمواتِ والأرضِ ومختارَ خالقٍ سوّاها

كعبة الفاضلين في كلِّ فضلٍ   بل وناموسها الذي ربّاها

إن يكن جاء للنبيّين ختماً   فلقد كان في الوجودِ أباها

ما أتى آخراً سوى لمزايا   فيه ذو العرش حكمة أخفاها

إذ هو العالِمُ المفيضُ عليها   كلُّ علمٍ أتى به أنبياها

فهي عنه بكلِّ عصرٍ تؤدّي   ما من الرشد للبرايا عناها

فلذا ما حوته من مكرماتٍ   وجلالٍ إليه يُعزى انتهاها

سَلْ به آدماً فكم من أيادٍ   من جلالٍ إليه قد أسداها

وبه تاب ذو الجلالِ عليه   إذ جنى من خطيئةٍ حوباها

وله أسجدَ الملائك والأسماء طراً لحفظِهِ أملاها

وله نال بالسفينة نوحٌ   خيرَ عقبى وفلكه نجّاها

والخليلُ اغتدتْ له النارُ برداً   وسلاماً به وأطفى لظاها

وهو سرُّ العصا لموسى فألقتْ   عنده الساحرون سِلماً عصاها

ولعيسى أعار سرّاً فأحيا   من قبور دوارسٍ موتاها

كم له في العلى سوابقُ فضلٍ   مستحيلٌ على العِدادِ انتهاها

يعجز العَدُّ عن مناقبِ نفسٍ   ذو المعالي لأجله سوّاها

فهي صنعٌ له وكلُّ البرايا   احكمتْ صنعَها البديعَ يداها
ظهرت باسمِه العظيم فكلٌّ   خاضعٌ تحت مُجتلى كبرياها
أنبأ الخلقَ سورةُ النور عنه   نبأً كالشموس رادَ ضحاها
تاه في وصفِه الخلائقُ طرّاً   وحقيقٌ بوصفه أن يتاها
صاغه الله جوهراً وهيَ منه   عرضاً منه كونُها قد أتاها
سيّدٌ واجبُ الوجودِ إليه   كلُّ فضلٍ وحكمةٍ أنهاها
ظهرت منه حكمةُ الله للخلق عياناً لأنّه مجتلاها
مَن دعا البدرَ لانشقاقٍ فأهوى   عن سماهُ وخرَّ في بطحاها
كيف يعصيه وهو منه تحلّى   حليةَ النورِ واكتسى أسناها
فهو لو يدعُ جملةَ الشهبِ طرّاً   من سماها لحطّها عن سماها
أوَ تعصيهِ وهي منه استنارت   واستقامت به على مجراها
حيث قد كان للوجوداتِ قطباً   وعلى جدِه استدارت رحاها
ومن الوحش كلّمته أسود   ثم طُلّسٌ وأعربت عن ثناها
والظبا سلّمت عليه ولا غروَ بأن سلّمتْ عليه ظِباها
ولِتلقى هواه حنّت نياقٌ   وعلى مثلِهِ حقيقٌ هواها
والنّباتاتُ كلّمته وأحيا   باسقاتٍ وأينعتْ بجناها
والعصا أورقت لديه ولا غروَ بأن أورقتْ لديهِ عصاها
ولَه الجذعُ حنَّ شوقاً كثكلى   فارط الحزن مَضّها وشجاها
ومن الصخر كم أسال عيوناً   بمعينٍ تعبَّ في مجراها
والحصا سبّحت بكفّيه جهراً   وكثيرٌ من الورى قد وعاها
وإذا سار في الظهيرة أرخت   أذيلُ السُّحْبِ فوقَه أفياها
حُقَّ لو ظَلّلتْهُ فهو كريمٌ   منه نالت حياتَها وحياها
لا تخَلْ ذا من النبيِّ عجيباً   فهو من آيِ فضله أدناها
لم يَزلْ في البلادِ ينشرُ آياً   ضاق منهنَّ كثرةً قطراها
فدعاه اليه ذو العرش ليلاً   ليريه من آيهِ كبراها
ثم أسرتْ به إليه براقٌ   بعروجٍ سبحان من أسراها
وخطا عالَمَ الجوازِ ولمّا   يبقَ في الكونِ ذرةٌ ما وطاها
في قليلٍ أقلَّ من لمحِ طرفٍ   سُبُحاتُ الجلال قد جلّاها
فدنا من مليكِهِ فتدلّى   بفنا حضرةٍ تناهى علاها
لم يكن بينه سوى قابِ قوسين وذات الجليل جلّ ثناها
ثم ناجاه ما هناك بما شاءَ يؤدّيه للبرايا شفاها
وعلى كتفِهِ امرُّ يداً قد   أثلج القلبَ منه بردُ رواها
وحباه من الكراماتِ ما لم   يحوها غيرُهُ ولا من سواها
وإليه مفاتِحَ الغيبِ ألقى   وأراه كنوزَها فاحتواها
لا رَعى الله من قريشٍ بغاةً   ما رَعَتْهُ ولم يزلْ يرعاها
ظاهرته ببغضِها وتولّتْ   عن هداه وتابعت طغواها
قد أراها معاجزاً ما رآها   من نبيٍّ ولا الزمانُ رآها
بذلت جهدَها لاطفاءِ نورٍ   منه لا زال بالهدى يغشاها
فأباه آلهُ إلّا تماماً   في علاه ونقصها وانتفاها

عبدالله بن سلمة

قال ما يسرني اني لم أشهد صفين ، ولوددت أن كل مشهد شهده علي شهدته .

عبيدالله علي بن ابي شعبة الكوفي الحلبي

في رجال ابن داود : له كتاب معمول عليه ، وقيل انه عرض على الصادق (عليه السلام) فاستحسنه وقال ليس لهؤلاء مثله . قال البرقي : كان متجره الى حلب فغلب عليه هذا اللقب . وآل ابي شعبة بيت كبير في الكوفة له اخبار . وهو أول من صنف للامامية ، ثقة .

السيد عبد المطلب الحلي ابن داود بن مهدي

ولد في الحلة حوالي سنة ١٢٨٠ وتوفي سنة ١٣٣٩ في قرية (بيرمانة) .

نشأ في الحلة وكان أكثر تحصيله الأدبي على عمه السيد حيدر ، وأخذ منذ أوائل شبابه يمارس نظم الشعر حتى اجاده . وكان إلى جانب اشتغاله بالأدب يمارس الزراعة ويلتزم الأراضي الاميرية من الحكومة فحصل على ثروة كبيرة ، ثم تقهقرت احواله المالية حتى صار لا يملك شروي نقير ، فوضعت الحكومة املاكه للبيع استيفاء لما عليه من الديون الحكومية ، وكانت داره في جملة ما وضع للبيع فهزت الاريحية السيد محمد القزويني فاشترى الدار وسلمها لصاحبها .

وبعد أن جف نهر الحلة هاجر إلى النجف سنة ١٣٢٤ على عهد الشيخ كاظم الخراساني ، وكان هذا يدعو للحياة الدستورية في ايران فانضم لدعوته وصار شاعرها ومدح زعيمها الخراساني وهاجم شاه ايران محمد علي القاجاري هجاء مقذعا كما عرّض بمن لم يكونوا مع الدعوة من رجال النجف .

ثم رجع الى الحلة ومنها سافر إلى البصرة فاتصل بالسيد طالب النقيب وانضم إلى حركته اللامركزية ، ونظم الشعر في تأييدها وهاجم الاتراك وقام بجولات في الفرات الأوسط دعما للحركة . ولكن لما اعلنت الحرب العالمية الأولى وخاضها الأتراك أخذ يؤيدهم ويحرض القبائل في الفرات الأوسط على محاربة الانكليز وزار جبهات القتال في البصرة ولكنه لم يسلم منهم حين وقعت حادثة الحلة وهاجم القائد التركي عاكف الحلة وخرب دورها ، فكانت دار المترجم فيها خرب[1] فاعتذر له الأتراك بأن ما حصل كان خطأ ولما احتل الانكليز بغداد اعتزل في قرية (بيرمانة) التي كان له فيها بعض الأملاك وبقي معتزلاً فيها حتى مماته[2] .

ويقول الدكتور مهدي البصير أنه توفي هو واثنان من ابناء عمه في وقت واحد فكأن هذه الأسرة التي طالما عركت الحياة وطلبت المجد والجاه والغنى واصابت من كل شيء حظاً لا بأس به في فترات مختلفة من الزمن قد ارادت أن تودع الحياة دفعة واحدة لأنه لم تقم لها بعد أولئك الثلاثة قائمة حتى الآن .

شعره

من شعره من قصيدة يشيد بها بموقف الشيخ كاظم الخراساني في الحركة الدستورية :

نصرت وداعي الجور خزيان واجم   فما ذل مظلوم ولا عز ظالم

---

(١) راجع تفاصيل هذه الحادثة في ترجمة الشيخ محمد علي اليعقوبي من هذا المجلد .

(٢) بيرمانة قرية في جنوبي الحلة على ضفة الفرات اليسرى .

غداة غشيت المستبد بلطمة
على تاجه منها غدا وهو لاطم
فولى وقد اعطاك للطعن كتفه
فما اتت الا العدل للجور هازم
اذا ما بنى للجور عرشا هدمته
ومن ذا الذي يبني وذو العرش هادم
فلو كان حرا ما استرق بجوره
رقاب لها الاسلام بالعتق حاكم
ولا اصبحت في القيد ترسف ارجل
برتها فادمتها القيود الاداهم
ولا اختار ارباب السفاه بطانة
فادني ذو جهل واقصي عالم

وله من قصيدة نظمها عندما هاجمت ايطاليا طرابلس الغرب.سنة ١٣٣١ :

أيها الغرب ماذا لقينا ... كل يوم تثير حربا طحونا
تظهر السلم للانام وتخفي ... تحت طي الضلوع داء دفينا
اجهلتم باننا مذ خلقنا ... عرب ليس ينزل الضيم فينا
ولنا نبعة من العز يأبى ... عودها أن يلين للغامزينا
قد قفونا آباءنا للمعالي ... واليها ابناؤنا تقتفينا

ومنها :

كيف ترجو كلاب (رومة) منا ... ان ترانا لحكمها خاضعينا
دون ان نفلق الجماجم و ... الهام بضرب يأتي على الدار عينا
نبحونا مهولين فلما ... ان زأرنا عاد النباح انينا
حيث لم تجدها المناطيد نفعا ... كلما حلقوا بها معتدينا
كيف رعناهم الغداة بضرب ... جعل الشك في المنايا يقينا

ومنها :

يا رسولي للمسلمين تحمل ... صرخة تملأ الوجود رنينا
وتعمد بطحاء مكة واهتف ... ببني فاطم ركينا ركينا
وعلى الحي من نزار وقحطان ... فعج وامزج الهتاف حنينا
الحراك الحراك يا فئة الله ... الى الحرب لا السكونا السكونا

ومنها :

يا ابن ودي عرج بايران فينا ... انها اليوم نهزة الطامعينا
قف لنبكي استقلالها بعيون ... تنزف الدمع في الخدود سخينا
وعلى مشهد (الرضا)عج ففيه ... فعل الروس ما اشاب الجنينا
تركوا المسلمين فيه حصيدا ... واستباحوا منه الرواق المصونا
لا تحدث بما جرى فيه اعلا ... نا فان الحديث كان شجونا

وقال يرثي الشيخ كاظم الخراساني من قصيدة :

نعم هكذا تفنى السيوف القواضب
وتنقاد للموت القروم المصاعب
وترمي المنايا السود عن قوس غدرها
بسهم حمام لا يقي منه حاجب
فيغتال حد السيف والسيف مصلت
وتستل نفس الليث والليث واثب

ومنها :

لقد بات ينوي الحرب لا العزم ناكل
ولا الرأي عن طرق البصيرة ناكب
يعبّي لهم من بأسه وحفاظه
مقانب لا تقوى عليها المقانب
واقلامه هن القنا وجنوده
هي الكتب والآراء هن القواضب
قضى ليله شطرين شطرا محاربا
وشطرا به باتت تضيىء المحارب
فما ابيض وجه الصبح الا وسودت
مآتم في فقدانه ومنادب
واضحت ركاب السير وهي مناخة
وهل ثائر فيه تثار الركائب
ولوا امهلته النائبات لاصبحت
به تترامى للجهاد النجائب
اذا انتدبت لم تبق للروس عسكرا
ولا فيلقا الا لهم فيه نادب
اسالب تيجان الملوك كفى جوى
بموتك ان الكفر للدين سالب
قضيت فاما حزننا فهو قاطن
مقيم واما صبرنا فهو ذاهب

مؤلفاته

شرح ديوان مهيار الديلمي الذي طبع في بغداد بثلاثة أجزاء سنة ١٣٣٠ وعليه بعض الحواشي بقلم عمه السيد حيدر . وجمع شعر عمه المذكور في ديوان ووضع له مقدمة ضافية ، وجمع ديوان جده السيد مهدي في جزأين ، وجمع ديوان شعره .

السيد عبد المطلب الأمين

مرت ترجمته في المجلد الثامن الصفحة ١٠١ وهنا دراسة عنه بقلم الاستاذ محمد علي مقلد :

أحد الذين عرفوه عن قرب ، حين طلب إليه أن يختار لعبد المطلب من بين مواهبه لقبا ، راح يحصي : الشعر ، الشريعة ، القانون ، السياسة والحقل الدبلوماسي ، النقد والصحافة . . . الخ ثم اختار له لقب المفكر ، واردف : نعم لقد كان مفكراً ، منظرا ، بل لقد كان مجتهداً ، وربما كان أحد كبار المفكرين ، أحد أدمغة سوريا في أيامه ، مع أنه لم يتخصص في ميدان معين ولم يحجز ثقافته في حقل واحد من الحقول .

أحد اصدقائه السوريين قال فيه : « كان عبد المطلب نموذجاً فريداً للمواهب المتجمعة في شخص » وقال : « نحس فيه أن ما فقدناه لا يعوض » .

وقال عنه حسن شرارة : « يوم يولد تولد دنيا جديدة لا تخوم لها ولا حدود . . . ويوم يموت : تموت طيوف ابداع وأدوات خلق ومفاتيح رؤى . . . يموت الفكر الحالم المتوقد . . . والوجدان المتفتح . . . تموت الطيوف والرؤى .

ولقد قيل فيه الكثير واجمعت الأقوال دون استثناء على أن عبد المطلب شخص هفت إليه الأسماع وانشدت إليه الأذهان وكانت تميل القلوب حيث يميل . . . والذين عرفوه كان الواحد منهم في حالة دائمة من الانتظار إلى أن يأتي عبد المطلب .

على أن لكل لقب ، أي لكل موهبة ، ولكل وظيفة نوعاً من العلاقة مع الناس وإذا تنوعت وتمايزت علاقات الشاعر والقاضي والناقد والصحافي والسياسي فلأن نافذة الشاعر على جماهيره هي نافذة صاحب الموهبة والشفافية والخيال ومن خلالها يحكم على الشاعر أنه يرى ما لا يراه الآخرون وبصره يخترق الحجب ولسانه يعزف على أوتار إلقلب . . .و . . .و . . و . . ، والصحافي أمام جماهيره قابض على السياسة دون أن يغرق فيها ملكة الفضول عنده كسلاح الهندسة في الجيوش ، يتبعها على الخيط ويعود من الكواليس ليجد الأذان في انتظاره . . . شأنه شأن الشاعر يعرف ما لا يعرفه الآخرون ، أو على الأقل ، هكذا كان شأنه منذ عقدين وما سبق .

والقاضي ، في قلمه اللحظة التي يميز فيها بين الأسود والأبيض الجريمة والبراءة ، السجن والحرية ، وذاكرته خزانة لغرائب الناس ومساكينهم ، اشرارهم وعقلائهم ، وهو جزء من السلطة محاط بمهابتها ، ينهار لقبه إذا انهارت ، ولكن إذا قويت وتماسكت فويل لمن يقع فريسة القانون . . .

والسياسي كما قال الشاعر : واحد يملك الشرفات وآخر يملك الحبال ، واحد يملك اللآلىء وآخر يملك النمش والتواليل . . . واحد السفن وآخر الأمواج . . . ولكل منها طريقه إلى القلوب ولكل منها موقع وأثر ، واحد يجيب الذين يسألون : كم الساعة الآن . . . والآخر يعرف كم ستكون الساعة . . . واحد يصنع زعامته بين الرؤساء والوزراء والسفراء ويصفع بها وجوه الناس واحلامهم ، وآخر يمشي على خط طويل يمتد بين الحي الشعبي أو المدرسة أو المعمل وبين ساحة واسعة اسمها حركة التحرر ، ويختار حيث يستطيع موقع الزعامة أي القيادة ويمنحها للذين ينضحون عرقاً ونضالاً . .

والناقد في لغة الحروب مثل القناص يصوب من بعيد ، يصوب عبر نافذة ضيقة ، باتجاه الناس فيطل عليهم « بالمفرق » بينما السياسي أو القاضي . . . « بالجملة » .

. . . وكيف إذا اجتمعت هذه الألقاب والصفات والوظائف والمواهب في شخص واحد وكيف إذا كان هذا الواحد عبد المطلب الأمين . أجل هو نفسه الذي حشد في داخله سياسياً وقاضياً وصحافياً وشاعراً وناقداً ومحامياً وغلف هذه الجوانب ووحدها وصهرها واخرج منها شخصاً ليس بالقاضي ولا بالشاعر ولا بالمحامي ولا بالسياسي ولا بالصحافي . . . بل هو من كل واحد من هؤلاء زبدته وقد تقمصت انساناً يتقن ترجمة معارفه ومواهبه بالمرح الدائم والنكتة المبتكرة .

وقد يكون مفاجئاً للبعض اعتبار جانب المرح واتقان فنون الضحك والدعابة اللطيفة والفرح الجاهز دوما والمستخرج دوماً من أي شيء ، من أية وظيفة ، من أي موقع أو موقف أو شخص أو حدث أو خبر أو حركة . . . أهم جوانب شخصيته ، أجل أهم ما في عبد المطلب موهبته في تجميع المواهب وموهبته في توزيعها على الناس عبر اقرب الطرق واسهل السبل وأكثرها امتاعاً . . . قد نجمع على احترام عدد من الأشخاص وعلى محبتهم لكننا لا نحبهم ولا نحترمهم بنفس المضمون وعلى نفس الطريقة ، وقد تكون أساليب تعبيرنا واحدة وادوات تعبيرنا واحدة لكننا حيالهم كمن يعزف تنويعات على آلة موسيقية واحدة . . . أي نوع من العزف كانه عبد المطلب ؟ كلما وجهت هذا السؤال لأحد ارتبك لأنه لا يحسن اختصار عبد المطلب بالكلام أنه شخص لا يجوز اختصاره .

اراني امدح عبد المطلب الأمين أكثر مما اقدمه أو اعرِّف به ، انني في ذلك اترجم مواقف الذين سألتهم عن عبد المطلب . كلهم اجمعوا على أن من الطبيعي بل ومن الضروري أن يكون موقع عبد المطلب افضل مما كان . . . وان يكون دوره أكبر مما كان ، وأن تكون مكانته الرسمية أكثر رسوخاً وبروزاً وشهرة وتأثيراً . . .

كلهم دون استثناء اتفقوا اذن على امرين :

- الأول هو أن امكاناته ومواهبه كانت كبيرة وكبيرة جداً .
- الثاني ان موقعه في تاريخ بلاده لم يكن موازياً لتلك الامكانات .

أما أن امكاناته كانت كبيرة ومتعددة فذلك أمر لا شك فيه ، كما أنه لا شك في الدور الكبير الذي كان لنشأته في بيت ذي مكانة في تاريخ جبل عامل وبلاد الشام وفي تاريخ الفكر الشيعي الحديث ، عبد المطلب هو ابن السيد محسن الأمين وهو من هو في المجال الديني والفكري والسياسي ، انه احد المراجع الكبرى في زمانه في الدين كما في المواقف الوطنية .

وانطلاقاً من هذا المنشأ تهيأت الظروف لعبد المطلب الأمين كي يكون في عداد الرعيل الأول من المتعلمين والذين تابعوا دراستهم (حمل اجازة في الحقوق عام ١٩٣٩) وقد اتقن إلى جانب العربية الفرنسية والانكليزية والروسية واتيح له أن يتخرج من بيت عريق بالثقافة تخصص في جانب مهم من التراث التاريخي والديني . . .

على المستوى الثقافي العام استطاع عبد المطلب اذن ان يستفيد من منشأه الأكاديمي والبيتي والوظيفي ليتكون في داخله جانب من شخصية رجل الدين المحدث ، العارف بشؤون الأولياء والصحابة الناقل لأخبارهم وسيرهم ، الملم بشؤون القرآن وتفسيره . . إلى آخر ما يوفره الجو العام في بيت السيد محسن الأمين . . . وليتكون في داخله نموذج المثقف الجديد الذي لا يكتفي بالتراث بل يميل إلى حضارة الغرب ويطلع على بعض آثارها من خلال اللغات التي يتقنها . .

وليتكون في داخله نموذج يجسد المجتمع الجديد الذي يخطو من العلاقات الدينية الاقطاعية إلى العلاقات المدنية الرأسمالية .

وهكذا بدا عبد المطلب بثقافته نموذجاً للجديد الذي بقي على صلة وثيقة بما كان سائداً في الذاكرة الشعبية من التقاليد والعادات والأفكار والقيم .

وعلى المستوى الأدبي لا سيما الشعر كان عبد المطلب ، شاعراً ، بل لقد كان واحداً من الشعراء الأربعة ابناء السيد محسن الأمين : واخوته حسن وجعفر

وهاشم . وعبد المطلب عرفت عنه غزارة انتاجه فكان الشعر يتدفق منه لأنه قابض على ملكة الكتابة الفنية ممتلك لأدوات تلك الكتابة وأولها اللغة وفوق ذلك بل وفي أساسه موهبته وحساسيته . . .

يذكر من يعرفه أنه كان يكتب شعره على الهامش الأبيض من صحيفة بين يديه أو على علبة السجائر ، يكتبه في الأماكن العامة ، في سيارات النقل واحياناً كان يكتب وهو على كرسيه وأمام الطاولة ، كان بمقياس ما ، حسب احدى المجلات السورية ، اشعر الناس .

على مستوى القانون والشريعة فقد عين لسنوات قاضياً وعمل لسنوات اخرى محامياً . . . وكان يأتيه طلبة العلم في القضاء أو في المحاماة ، أحد هؤلاء وكان مثل غيره من المعجبين كان يعتبره دائرة معارف . . . هذا هو شأنه في القانون المدني ، وكذلك كان في مجال القانون الديني أو الشريعة ومراجعه في ذلك الكتب الاسلامية وتاريخ أهل البيت وهو من المتأثرين بهم والمعجبين .

على المستوى السياسي امكاناته أيضاً كبيرة ومواهبه كبيرة . فعلى الصعيد الرسمي عمل عبد المطلب سفيراً لسوريا في موسكو وكان سفيراً ناجحاً بشهادة مسؤوليه . . . يروي زهير مارديني بعض الحوادث التي تؤكد ذلك (مع الجابري رئيس الوزراء) وقيل أنه احد مؤسسي وزارة الخارجية السورية . . . وعلى الصعيد الشعبي عرف بمواقفه الوطنية الدائمة دون خوف وبلا حساب لأية ردة فعل . . . من القضايا المطلبية ، إلى القضايا السياسية والموقف من السلطة والرؤساء والوزراء ، الى القضايا القومية والموقف من القضية الفلسطينية والوحدة العربية . . . الخ كان لعبد المطلب مواقف وطنية معروفة في كل مجال . . .

وأخيراً وعلى مستوى الكفاءات الشخصية والمواهب والمزايا الذاتية يجمع الذين يعرفونه على أنه انسان حاد الذكاء ، كثير الاستقامة والصدق ، كثير التواضع بارع في تكيفه مع جميع فئات المجتمع من الفلاحين وابناء الريف إلى الدبلوماسيين واجواء الارستقراطية . . . وإلى جانب ذلك كان يمتلك مهارة فائقة في صنع المرح وابتكار الضحكة واستحضار النكتة وكان لا يوفر ، في ذلك ، أي شيء ، أي شيء ، وفي أساس كل ذلك قدرة على الاستيعاب مدهشة .

هذه الامكانات الكبيرة لم يكن لها ما يوازيها على المستوى الرسمي . فحيث كان من المفترض بهذه الامكانات أن تدفع باسم عبد المطلب إلى سجل الشهرة كواحد من المؤثرين والفاعلين في تاريخ بلادهم السياسي والثقافي والأدبي لم يتوفر لهذه الامكانات والطاقات ما يدفعها نحو تأثرها وعلى العكس من ذلك منيت هذه الامكانات بمن لا يحسن تقديرها وبدا عبد المطلب يغرد خارج سربه منذ ولادة أولى الانقلابات في هذا العالم العربي على يدي حسني الزعيم . . . فمع مجيء هذا لرجل انقطع النشاط الدبلوماسي وتضاءلت احتمالات تجدده .

تذكر المكتبات والمطابع ، ويذكر القراء اسم بدوي الجبل ، اسم نزار قباني بينما بقي عبد المطلب خارج التداول مع أنه عاش معهما في فترة واحدة ، واشتغل مع بدوي الجبل مثلاً في حقل التعليم في العراق ، وربما كان في أحد جوانب العمل الفني اغزر نتاجاً . . . هكذا شأنه في ميدان النقد وفي ميدان الصحافة وفي ميدان الفكر . في التشريع ، في الحقل السياسي . . . نتداول اليوم بعض شعره الذي جمعه له شقيقه السيد حسن الأمين وننفدع إلى الاعتقاد أن ما يحكيه عنه شعره لا يوازي ما يتداوله البعض ممن عرفوه بل وندفع هذا الاعتقاد قليلاً الى الأمام لنرى بينهما هوة لا يردمها إلا البحث الجاد والمعمق في تفاصيل عبد المطلب مبتدئين من دمشق حيث ولد ونشأ ودرس وتعلم وتخرج حاملاً اجازة في الحقوق ، وبالتحديد نبدأ من بيت السيد محسن الأمين وننتهي في شقرا ، قريته الجنوبية معرجين على الميادين التي عمل فيها : سفيراً لسوريا في موسكو ، معلماً في دار المعلمين في بغداد ، موظفاً في وزراة الخارجية السورية وواحداً من مؤسسيها ، قاضياً في لبنان ، محامياً في الكويت ، صحافياً في صحف دمشق بتوقيع القاضي الفاضل ، وفي جريدة النداء في بيروت ، موظفاً في وزارة الدفاع (رئيس قسم التوجيه) في سوريا حتى النكسة ١٩٦٧ . . . وما تبقى من حياته قضاها في بيت متواضع في منطقة النهر في بيروت وفي بلدته شقرا .

يستوقفنا في عبد المطلب الأمين أنه كان قاضياً ومحامياً وصحافياً وناقداً وسياسياً . . الخ على صورة ابتكرها لنفسه وعلى مثال يجمع الفرادة مع مّا في الفرادة من جوانب التألق أو جوانب الانكفاء . وإذا لم يكن الشعر ابرز مظاهر هذه الفرادة فإنه نموذج ونتاج لشخصية تكونت خارج هيمنة الطراز السائد . كتب شعراً كثيراً ولكن صحف زمانه ومجلاته كانت خلواً من أي بيت أو أية قصيدة من قصائده ، كتب كما لو كانت الكتابة عنده فيض لا يرد عطاؤه وكما لو أن الشعر عنده عمل عادي وطبيعي كالتنفس لا يستوجب اهتماماً كونه ، بالنسبة إليه ، عملاً تلقائياً جاهزاً للممارسة على الدوام .

ان بعض المقاييس الفنية تمنحه بامتياز صفة شاعر في وقت تلجأ مقاييس اخرى إلى التقليل من أهميه شعره . فهو من جهة قابض على مجموعة من العناصر الضرورية للانتاج الفني ومنها لغته التي لا شك بتملكه لها اطلاعاً على التراث الديني ، تراث أهل البيت ، التراث الشعري القديم ومن عناصر الانتاج الشعري المستوى الفكري والثقافي الذي تمتع به والذي قال عنه أحدهم اعجاباً : انه دائرة معارف ، ومنها وضوح الموقف من الأحداث ومن القضايا ومن المواضيع ومن العلاقات ، وقد كان في هذا المجال صاحب موقف لا يتأخر عن اعلانه مهما كانت الظروف معاكسة .

أما مواقفه من الحياة والموت والحب والزمن . . الخ فيمكن استخلاصها مما توفر بين أيدينا من أشعاره وكذلك مواقفه من القضايا السياسية الوطنية والقومية والاجتماعية .

الحياة كلها لم تكن في نظره إلا محطة ، لم تكن هدفاً لم تكن إلا إضافة كمية ونوعية على التاريخ فقيمتها اذن في حجم ما تضيف لا في حجم ما تأخذ :

ودروب الحياة مهما استطالت — هي في خطونا الملح دروب

أو :

تضاءل العمر وانهارت مهابته — حتى استحال تساجيعا وأوزانا

والحياة من هذه الزاوية لمح من الحوادث تتراكم بتناقضاتها وتتعاقب تفاصيلها ليضيع العمر بين هذه التفاصيل :

تبّا له الزمن الواهي فمر بها — مر الكرام : عيون أوصدت وفم

في حياته اليومية ، في تفاصيل العلاقات الاجتماعية كان ضاحكاً مرحاً وفي شعره وجه آخر لهذا الفرح الحياتي . في شعره كآبة ويأس واشمئزاز ونفور وقرف . . . نفس الأشياء التي يترجمها ضحكه ونكته أمام الناس كان يترجمها في شعره شكوى وتذمراً ، المقاييس المختلة بل القيم المختلة أضحكته وأبكته في آن معاً . يقول في قصيدة :

إلى أين يمضي بنا ركبنا   عنيفاً لجوجاً على عمرنا[1]

ان تراكم هذه التساؤلات هو بحد ذاته دليل على شكوى داخلية عميقة : إلى أين ؟ وحتام ؟ أكنا . . . وهل ؟ ومن ؟ . .

ويختم أبياته بخيبات الأمل وباسفاف الأوهام وبالانتظار الممل .

في قصيدة اخرى نظمها كما يبدو في أواخر حياته يحشد عدداً من المفردات يكفي مجرد استعراضها للتأكيد على انزعاجه الشديد من القيم المختلة تلك :

ضلال العمى وضلال البصر   وحمى الحلال وحمى السفر[2]

على أن هذه الأجواء المفعمة بالتساؤلات لم تشكل كما عند الرومنطيقيين مثلاً مرضاً اسمه الهروب مما قد يعترض الانسان من مشاكل والاحتماء بحصن الأنا والذات والانكفاء الى عالم داخلي باطني صوفي تأملي . . . لقد كان عبد المطلب يرى إلى الواقع بعين ثاقبة ويحسن تشخيص الداء من اعراضه وتدفعه جرأته إلى اعلان موقفه ، وموقفه كان دائماً منحازاً إلى شعبه إلى المظلومين والمستعبدين في كل زمان ، منحازاً إلى تلك القوى المناضلة من أجل تحرير بلادها وتحرر شعوبها من صلف الحكام واستهتارهم وامتهانهم لكرامات الناس وأعراضهم وأسباب عيشهم ، منحازاً إلى أهل البيت وشعره ينضح اعجاباً بهم وتمسكاً بتاريخهم وتمسكهم العنيد بقضية ما زالت حتى اليوم تقبض على هواجس بعض ذوي القربى والسلالات ، منحازاً إلى القضية القومية ، قضية فلسطين مستشرفاً مستقبلها منذ أيامها الأولى . . . وربما بسبب مواقفه الواضحة تلك عاش عبد المطلب حياة سماها حياة التشرد وحياة الغربة :

في أي صقع استقر واسكن   ولأي ظل استريح واركن[3]

والغربة تلك هي نفسها التي شعر بها المتنبي يوماً حين قال :

ما مقامي بأرض نخله الا   كمقام المسيح بين اليهود
أنا في أمة تداركها الله   غريب كصالح في ثمود

أنها الغربة نفسها لأنها غربة أصحاب الامكانات الكبيرة والطموح الكبير والآمال العريضة الذين يصابون بخيبات أمل من واقع لا يساعدهم ويقف فوق ذلك موقفاً اعتراضياً من مواهبهم ومزاياهم . والا كيف نفسر اذن شخصاً بإمكانات عبد المطلب ومنزلته كان يسكن غرفة متواضعة في أحد الشوارع « المتشابهة » من منطقة النهر في بيروت ، وفي تلك الغرفة زاره دبلوماسيون عرب وأجانب ؟

قلنا أن عبد المطلب كان يمتلك الأدوات اللازمة والعناصر الضرورية ليكون شاعراً كبيراً ، امتلك اللغة ووضوح الموقف والموهبة وغزارة الانتاج . . . الخ قال الدكتور حسين مروة في ذلك : « يملك العدة الكافية ، بل الغنية ، لدقة الاختيار وبراعة الاستصفاء ، ثم لأحكام البناء الشعري واتقانه » . وفي مكان آخر يشير الدكتور مروة إلى « امتلاكه ، أي عبد المطلب ، الوثيق لكل ادوات اللغة الشعرية وقواعد النحو والعروض » . . . وفضلاً عن تملكه لتلك الأدوات والعناصر كان بإمكانه أن يجيّر موقعه الاجتماعي والسياسي كسفير ومنشأه في بيت السيد محسن الأمين ويستعين بهما لكي يشيع شعره ويدفعه إلى التداول ، لكنه لم يفعل ذلك واكتفى بأنه أنشد الشعر بعفوية ليهمله على الفور بعد انشاده تاركاً لاصدقائه أن يحافظوا على شعره وأن يحفظوه . ورغم محبتهم له ولشعره لم تنج قصائده من البعثرة والضياع إلى حد يدفعنا إلى الاعتقاد أن ما جمع من أشعاره لا ينقل بأمانة تفاصيل عبد المطلب التي يتحدث عنها اصدقاؤه ، وربما لا يكون ذلك بسبب قلة ما جمع من أشعاره بل بسبب كون الشعر بالنسبة إليه مجرد هواية متطورة لم يشأ أن يدخلها في باب الاحتراف مدخراً لهذا الباب طاقة اخرى غير الشعر ، ربما كانت السياسة ، ظلت هي بدورها خارج باب الاحتراف .

الهواية في الشعر دون الاحتراف استندت عند عبد المطلب إلى اسس ثلاثة :

الأساس الأول : هو ان الشعر لم يكن عالمه الوحيد ونظن أنه لم يكن الأهم ولذلك لم تكن عنايته به موازية لموهبته فيه . يقول الدكتور حسين مروة عن شعره :

« انه التفجر الأفقي المندفع خلال قشرة الاحسا   ويأتي ، حين يأتي ، استجابة لتوترات عفوية آنية يدفعها من العمق إلى   : . . . ذلك كان شأنه في أغلب حالاته الشعرية . . . سمة العفوية انـ   على تعامله مع اللغة الشعرية في معظم ما كتبه شعراً بل انسحبت كذلك ، احياناً ، على تعامله مع قواعد النحو والعروض رغم امتلاكه الوثيق لكل ادوات اللغة الشعرية وقواعد النحو والعروض » .

يضيف الدكتور مروة : « كانت استجاباته للحظات التوتر النفسي ، تندفع بقسرية حادة وبنورية لا تمهله أن يتوقف ليقارن ويختار ويستصغي ثم ليبني قصيدته بروية وتدقيق وأحكام . . » .

الأساس الثاني : ان الشعر عنده لم يكن طاقة استثنائية يندر وجودها ، بل أن ملكة الشعر بين يديه قد توفرت في بيت عج بالشعراء وقد ذكرنا أن اخوته الثلاثة يكتبون الشعر ، اضافة إلى عدد من اقاربه مما يترك الانطباع أن من طبيعة الأمور أن يكتب عبد المطلب الشعر من أجل الابداع في ميدان آخر ينبغي التفتيش عنه .

الأساس الثالث : انتماء شعره إلى ما يسمى الشعر العاملي . والشعر العاملي ليس حدثاً مفتعلاً أو قولاً ينحو نحو المبالغة . الشعر العاملي ظاهرة تستحق التوقف وقد بادر الاستاذ حسن الأمين شقيق عبد المطلب كما بادر غيره إلى جمع بعض التراث العاملي وما زال الجزء الأكثر من هذه الظاهرة مبعثراً في الذاكرة الشعبية أو في الكتب أو في الأوراق الخاصة المغمورة . . .

لقد تفرد جبل عامل بهذه الميزة بحيث لم تخل قرية فيه من شاعر ينشد أو ينظم أو يقرض شعراً بالفصحى وإذا لم يتوفر فبالعامية . وربما تكون هذه الظاهرة مرتبطة بالتراث الشعري القديم أكثر من تأثرها بالتيارات الجديدة بدءاً من المدرسة الرومنطيقية وحتى يومنا هذا ولذلك جاء شعر عبد المطلب أكثر استجابة لظاهرة الشعر العاملي بعفويته منه إلى التيارات الغنية والشعرية منها

---

(١) راجع القصيدة في ترجمته .
(٢) راجع القصيدة في ترجمته .
(٣) راجع القصيدة في ترجمته .

بخاصة ، رغم كونه ولج باب الجديد وكتب خارج المألوف التراثي من موزون الشعر ومقفاة . .

وعن هذه المسألة كتب الدكتور حسين مروة أيضاً يحدد انتماء شعر عبد المطلب :

« ان الذي نقدمه من شعره ، وهو بعض شعره لا كله ، يتخذ مساراً يتقاطع حينا ، ويتوازى حيناً مع مسار حركة الشعر الجديد ، . . . ان عبد المطلب كان أزخر طاقة وأقوى طموحاً وحيوية ، وأشد اندفاعاً للانطلاق والتطور والتحرر من أن يتخلف عن قافلته . . . » .

اذن هل ينتمي شعر عبد المطلب إلى تيار الجديد ؟ لا ، لكنه ليس غريباً أو بعيداً أو قاصراً عنه . كان قادراً على مواكبة الحركة الشعرية وقد عايش انطلاقتها بين الحربين وبشكل خاص بعد الحرب العالمية الثانية ، لكن نتاجه الشعري لم يكن بشكل عام ، مواكباً لها .

هذا عن عبد المطلب الشاعر . أما عبد المطلب السياسي فقد يكون الحكم عليه مقارباً وقد يكون النموذج الذي تكون عليه شاعراً هو نفسه الذي تكون عليه سياسياً . . . لذلك نسارع إلى القول أنه عمل في السياسة هاوياً ، أيضاً ، وليس محترفاً ، لكنه هاو بامكانات محترف ، هاو يجيد بامتياز حرفة السياسة التي منع عن احترافها في السلطة بينما امتنع عنها في المعارضة الحزبية .

أما عمله كدبلوماسي فلم يدم طويلاً رغم نجاحه الباهر حسب زهير مارديني أحد اصدقائه وهو يروي عن لسان سعد الله الجابري رئيس وزراء سوريا ووزير خارجيتها آنذاك وإذا كان عبد المطلب أحد مؤسسي وزارة الخارجية السورية فهو إلى جانب ذلك أول سفير أو قائم بالأعمال السوري لدى الاتحاد السوفياتي وقد كان ذلك في الأربعينات أي في السنوات العصيبة التي مرت بالعالم العربي ، أبان معارك الاستقلال وفي فترة النكبة والتآمر الامبريالي على الشعب الفلسطيني والشعوب العربية . ويحكى عنه نافذ البصيرة ثاقب الرؤيا حيال القضية الفلسطينية لكنه كان يقترح في واد والعرب الخونة يقررون في واد آخر فاعتبرهم عبد المطلب من افضل الذين يتقنون غموض المواقف واستعداء الآخرين ، ومن أفضل الذين « يكبرون الكلام » . على أن عمله في الحقل الدبلوماسي لم يدم طويلاً فما لبث بعد عودته إلى سوريا أن استقال من وزارة الخارجية احتجاجاً على انقلاب حسني الزعيم وبذلك بدأت مرحلة جديدة من العمل السياسي عند عبد المطلب .

في الحقل الدبلوماسي لم يكن هاوياً . لقد كان محترفاً رغم حداثة عهده في هذا الحقل ، بل لقد كان محترفاً بامتياز . في حقل النضال الحزبي والشعبي والجماهيري كان عبد المطلب هاوياً ، لم يدخل في تنظيم حزبي لكنه منحاز لحزب الناس ، للمستضعفين ، للفقراء ، الذين سلبهم الظالمون حرياتهم ، والمستثمرون خيراتهم والمستعمرون أوطانهم ، كان منحازاً ضد المتآمرين على بلادهم ، ومنذ اللحظة الأولى لانقلاب حسني الزعيم اعلن موقفه واضحاً : لقد تمرد عبد المطلب لأنه رأى في حسني الزعيم خطراً على البلاد بتسلطه وارتباطاته ولأنه كان وفياً للذين تعاون معهم قبل الانقلاب ، ونظم قصيدته الشهيرة في حسني الزعيم[1] .

(نذكر بالمناسبة أن الشاعر نزار قباني كان قد تغزل بحسني الزعيم) .

بعد هذه القصيدة الوطنية ضد صاحب الانقلاب فصل عبد المطلب من الوظيفة وكانت قصيدته قد انتشرت انتشاراً كبيراً . وعلى أساس مثل هذا الموقف الوطني كان عبد المطلب مع قضايا الشعب والوطن كتب عن آلامهم وافراحهم ومعاركهم ضد الاستعمار ، كتب عن الفدائي ، عن معركة القناة ، قناة السويس ، عن حكم كميل شمعون عن الهزيمة ١٩٦٧ .

من وحي مهنته قاضياً ، وجد نفسه يحاكم قسراً متهمين شتان بين جرائمهم وجرائم من يتربعون على كراسي الحكم .

وكان بسبب مواقفه الوطنية شاعراً جماهيرياً يتضخم المهرجان ويتضاعف عدد المشتركين فيه والحاضرين له إذا كان عبد المطلب في عداد الخطباء .

ان ذلك يفسر لنا الشفافية التي امتاز بها في حسه الشعبي وفي مواقفه الجماهيرية وفي قدرته على التعبير عما يجول في خواطر الناس من حوله والشهادات على ذلك كثيرة . في مثل هذه المواقف وازاء مثل هذه القضايا كان عبد المطلب يهجر اسلوبه الكئيب اليائس الذي تحدثنا عنه ليعود إلى اسلوب مفعم بالثقة بالمستقبل وبالناس ، مستند إلى هذه الثقة في سخريته من القيمين على أمور شعبهم من النماذج الشعرية التي كتبها تلك التي تركها بعد الهزيمة في دمشق واعتزل بعد وظيفته وكان يومذاك رئيساً لمصلحة التوجيه والتعبئة في وزارة الدفاع السورية . كتب هذه القصيدة وترك سوريا والوظيفة وغادر إلى لبنان .

قال يعارض قصيدة شوقي التي مطلعها :

قم ناج جلق وانشد رسم من بانوا   مشت على الرسم احداث وازمان

نم وانس جلق واندب حظ من هانوا   على الارائك اطفال وغلمان
على الحدود تلاميذ ومدرسة   وفي السرايات ضباط واركان
مع العدو رعاديد واقفية   مع الرفاق منافيخ وشجعان
مع الجواسيس تطنيش ومغيبة   وفي المباحث تعذيب وامعان
تضاءلت قيم التاريخ فانتفخت   فيه الزقاق وشاب الخور والبان
مررت في معرض التاريخ اسأله   هل للعروبة في البازار دكان
هل نحن في معرض التاريخ اقفية   أم اننا قيم تنمو وانسان ؟
هل نحن عربدة تطفو كما زبد   أم أننا في يد التاريخ برهان
هل نحن معوله الهدام أم يده   منارة فيداه اليوم بركان ؟
قم سائل الأكمه التاريخ : هل عبرت   مع الحضارة في مثواه عربان؟
هل عشعش القمل في أفيائه وحبا   حتى تضايق أهل ثم جيران؟
تبا له القزم التاريخ وانفجرت   شفاهه عن نوايا هن عدوان

* * *

لولا دمشق لما طارت قنيطرة   ولا ازدرى ببني القفقاس دايان
كل الشهور وصمناها بمأثرة   وكان آخر من قاسى حزيران
وقبله كان آذار وثورته   وجاء من بعد تشرين ونيسان
أما شباط فلم نترك به رمقا   للثائرين فللثوار احزان
وكان يوليو : وحدث دونما حرج   عن الشقيق ليونيو نحن اخوان
واشهر الهجرة الغراء رصعها   من الأشقاء بالثورات رمضان
وارحل لسيناء واسأل في متاهتها   عن المشير وقد وارته اكفان
من تاه فيها : أموسى في جماعته   أم جيشه اللجب حفيان وعريان
موشي يرد لفرعون هديته   مع الفوائد فالديان ديان

(١) راجع القصيدة في ترجمته .

سل الحشيش سل الأفيون أن فرغت ... حقائب ، ففم التاريخ ملآن
ملآن باللعنات السود يبصقها ... في وجه من غدروا عمدا ومن خانوا

وراء كل مواقفه صدق انتمائه . لقد انتمى إلى شعبه في جبل عامل ، إلى قضية شعبه والشعوب العربية ، إلى القضية الفلسطينية ، إلى قضية الحرية ، إلى قضية الإنسان . . . لذلك آمن بالإنسان ، بقدرته على تغيير العالم ، بقدرته على صنع المستقبل .

هذا عبد المطلب السياسي المنحاز إلى شعبه في معاركه الوطنية في معارك عماله وفلاحيه ومثقفيه ، في نضاله ضد الغلاء وضد القمع ، في كفاحه من أجل التحرر . لكن هذا السياسي الواضح في انتمائه لم ينخرط في تنظيم حزبي ولم يعمل باتجاه الزعامة الشعبية عن أي طريق رغم كونه ابن السيد محسن ذي الموقع المعروف كرجل دين ، وكرجل دين مميز . كان بإمكانه أن يستعين بهذا الموقع الاجتماعي والديني للحصول على موقع سياسي لكنه لم يفعل .

كما الشاعر والسياسي كان عبد المطلب المفكر وعبد المطلب القاضي وعبد المطلب المحامي والصحافي والناقد . . . فكره هو موقفه بل هو جملة مواقفه التي عبر عنها شعراً وصاغها في زاويته في جريدة النداء وفي بعض ما نشره في صحف دمشق بتوقيع القاضي الفاضل وفي احاديثه ونقاشاته مع اصدقائه وندمائه . . .

المسلك الثاني هو مسلك السخرية والنكتة والفكاهة الحاضرة دائماً والفكاهة تعريفاً هي مهارة اللعب على التناقض بين ما هو طبيعي وما هو مفتعل ، عادي وغير عادي ، سائد ومنقرض . . . الخ ولا يمتلك القدرة على الفكاهة من كان لا يمتلك ناصية النقيضين ، على حد سواء .

وتزداد المهارة في ابتكار الفكاهة كلما اتسعت مادة الفكاهة لتشمل كل شيء ، نعم كل شيء ، القضاء ، السلطة ، الوزارة ، السفارة ، القصيدة ، الصديق ، الزوج الشيح ، المسائل الحياتية الاجتماعية الأخلاقية إلى ما هنالك من أشياء ومواضيع ، وبذلك تتجاوز الفكاهة حد التهريج والضحك الشكلي وتصل في مستواها وغناها حد الطرب الأصيل وهذا ما كان يتقنه عبد المطلب إلى آخر مداه مما يجعله متحدثاً وحيداً في الجلسات والحاضرون على ترقب لجديد من طرائفه وحكاياته وأشعاره واخباره . . .

وراء مهارته الضاحكة استخفاف بجوانب الواقع الذي منعه من اطلاق مواهبه وقد اتسع نطاق الاستخفاف هذا ليشمل بعض ما في الذهن من مقدسات كان لا مبالياً مع موته ، مستخفاً به . الأشهر الأخيرة من حياته قضاها في المرض . كان يصاب بالغيبوبة وحوله الناس في حزن عميق كل واحد منهم يذرف دمعة بصمت وفي مثل هذا الجو من كآبة الحاضرين يصحو من الغيبوبة ليروي لهم نكتة تضحكهم . كان زائروه ينظرون إلى اعراض مرضه بخشوع ومهابة ويتأمل عميق بالحياة والموت فيشرد واحدهم إلى حيث يذهب به الخيال ، وحده عبد المطلب كان دائم الابتسامة بل دائم الضحك على ما يظهر عليه من أعراض .

في مجال الشعر قلنا : لا يتقن الشعر إلا من كان قابضاً على عدة الشعر وأدواته ممتلكاً لمفاهيمه مستنداً إلى وضوح موقفه . . . وفي مجال الفكاهة نقول : لا يتقن الضحك والمرح والنكتة كعبد المطلب إلا من كان قابضاً على ادوات الفرح من الذكاء الحاد وسرعة البديهة ودقة الملاحظة وبلوغ الجرأة والعبث المفرط الذي يفتش عن الحقيقة فيما وراء الحقيقة ، ويقابل بالنكتة من يلتقيهم أياً كان موقعهم ورتبتهم من ستالين إلى تشرشل إلى زملائه واصدقائه وندمائه ورؤسائه ومرؤوسيه وكافة الفئات الشعبية التي كان يرتاح إليها أكثر من ارتياحه للآخرين .

وطرائفه لا تحصى ومزاحه لا يتوقف والحوادث التي تروى عنه وعن فنونه في الضحك كثيرة منها حادثة مع ستالين ومولوتوف .

وحادثة مع الشيخ هاشم الرفاعي في الكويت .

وحادثة مع السفير الأميركي في موسكو .

وآلاف الحوادث الأخرى التي نعتبرها مجتمعة أهم ما في شخصية عبد المطلب . فبواسطة هذا الأسلوب الطريف الفكاهي المرح ترجم عبد المطلب مواهبه واخرجها إلى الناس وبها ادخل إلى القلوب فرح اللقاء به وبهجة التعرف عليه شاعراً وقاضياً ودبلوماسياً وناقداً وصحافياً ومحدثاً . . .

الشيخ عبد المهدي مطر ابن الشيخ عبد الحسين

ولد في النجف الأشرف سنة ١٩٠٠ م وفيها نشأ ودرس حتى غدا علماً من أعلامها علماً وأدباً وشعراً . وكان على جانب كبير من طيب الذات وحسن المعشر وكرم الخلق .

كان من الأعضاء العاملين في جمعية منتدى النشر في النجف منذ إنشائها ، وتولى تدريس النحو في كلية الفقه .

هو إلى جانب علمه الجم في الفقه والأصول والحديث والتفسير والنحو ، في الطليعة من شعراء العرب المبدعين في هذا العصر ، ولكن محيطه الضيق وظروف حياته وابتعاده عن توسل وسائل الأعلام وغير ذلك ، حرم الأمة العربية من وصول شعره إلى كل وسط من أوساطها وحصره في نطاق ضيق لم يتعده فضاع اسمه في الضوضاء الفارغة التي تحيط بالأسماء الفارغة ، ومن المؤسف أن ديوانه ظل مخطوطاً لم يطبع ، والله وحده يعلم إلى أي مصير سيصير . ولم يصلنا من شعره إلا هذا القليل الذي يراه القارىء فيما يلي . وقد طبع من مؤلفاته كتاب (دراسات في قواعد اللغة العربية) في أربعة أجزاء .

من شعره :

قال وأنشدها يوم الاحتفال بافتتاح الباب الذهبي الذي أهداه بعض الإيرانيين لمقام أمير المؤمنين في النجف سنة ١٣٧٣ :

ارصف بباب علي أيها الذهب ... واخطف بأبصار من سروا ومن غضبوا
وقل لمن كان قد أقصاك عن يده ... عفواً إذا جئت منك اليوم اقترب
لعل بادرة تبدو لحيدرة ... أن ترتضيك لها الأبواب والعتب
فقد عهدناه والصفراء منكرة ... لعينه وسناها عنده لهب
ما قيمة الذهب الوهاج عند يد ... على السواء لديها التبر والترب
ما سره أن يرى الدنيا له ذهباً ... وفي البلاد قلوب شفها السغب
ولا تضجر أكباد مفتتة ... حتى يذوب عليها قلبه الحدب
أو يسقط الدمع من عيني مولهة ... أجابها الدمع من عينيه ينسكب
تهفو حشاه لأنات اليتيم بلا ... أم تناغي ولا يحنو عليه أب

هذي هي السيرة المثلى تموج بها ... روح الوصي وهذا نهجه اللحب
فاحذر دخول ضريح أن تطوف به ... إلا بإذن علي أيها الذهب
باب به ريشة الفنان قد لعبت ... فأودعته جمالاً كله عجب
تكاد لا تدرك الأبصار دقته ... مما تماوج في شرطانه اللهب
كأن لجة أنوار تموج به ... خلالها صور الرائين تضطرب
سبائك صبها الإبداع فارتسمت ... روائع الفن فيها الحسن منسكب
يدنو الخيال لها يوماً لينعتها ... وصفاً فيرجع منكوساً وينقلب
أدلت بها يد فنان منقمة ... تعنو لروعتها الأجيال والحقب
ملء الجوانح ملء العين رهبتها ... ومربض الليث غاب ملؤه رهب

يا قالع الباب والهيجاء شاهدة ... من بعد ما طفحت كأس بمن هربوا
بابان لم ندر في التبريح أيهما ... أشهى إليك حديثاً حين يقتضب
باب من التبر أم باب يقومه ... مسماره وجذوع النخل والخشب
هذا يشع عليه التبر ملتهباً ... وذاك راح بنار الحقد يلتهب
وأي داريك أحرى أن نطوف بها ... وأن تجللها الأستار والحجب
دار تحج بها الدنيا لمجدك أم ... دار عليك بها العادون قد وثبوا
هذي تدال بها للحق دولته ... زهوا وفي تلك فيء الحق يغتصب
حتى إذا جاءت الدنيا مكفرة ... عما جنته وجاء الدهر يتهب
شادت عليك ضريحاً تستطيل على ... هام السماء به الأعلام والقبب
وتلك عقبى صراع قد صبرت له ... وذا فديتك مظلوماً هو الغلب

بلغ معاوية عني مغلغلة ... وقل له وأخو التبليغ ينتدب
قم وانظر العدل قد شيدت عمارته ... والجور عندك خزي بيته خرب
تبني على الظلم صرحاً رن معوله ... بجانبيه وهدت ركنه النوب
أبت له حكمة الباري بصرختها ... أن لا يخلد مختال ومرتكب
قم وانظر الكعبة العظمى تطوف بها ... حشد الألوف وتجثو عندها الركب
تأتي له من أقاصي الأرض طالبة ... وليس إلا رضا الباري هو الطلب
قل للمعربد حيث الكأس فارغة ... خفض عليك فلا خمر ولا عنب
سموك زوراً أمير المؤمنين وهل ... يرضى بغير (علي) ذلك اللقب
هذا هو الرأس معقود لهامته ... تاج الخلافة فأخسأ أيها الذنب

يا باب (حطة) سمعاً فالحقيقة قد ... تكشفت حيث لا شك ولا ريب
مواهب الله قد وافتك مجزية ... ما كنت تبذل من نفس وما تهب
هذي هي الوقفات الغر كنت بها ... للدين حصناً منيعاً دونه الهضب
هذي هي الضربات الوتر يعرفها ... ضلع بها أنقد أو جنب بها يجب

هذي هي اللمعات البيض كان بها ... عن وجه خير البرايا تكشف الكرب
هذي هي النفس قد روضت جامحها ... فراق للعين منها عيشها الجشب
فلا الخوان لها يوماً ملونة ... منه الطعوم ولا ابرادها قشب
لا تكتسي وفتاة الحي عارية ... ولا تعب ومهضوم الحشا سغب
نفس هي الطهر ما همت بموبقة ... وليس تعرف كيف الذنب يرتكب
هذي التي انقادت الأجيال خاشعة ... لهديها وترامت عندها النجب
تعيفوا وركبنا في سفينته ... فميز اللج من عافوا ومن ركبوا
وساوموا فاشترينا حب حيدرة ... ولا نبيع ولو أن الدنا ذهب

يا فرصة كنت للإسلام ضيعها ... حقد النفوس وأبلى جدها اللعب
شجوا برغمك أمراً أنت تعصبه ... في ذمة الله ما شجوا وما شجبوا
فرحت تنفض من هذا الحطام يداً ... إذ شمت فيه يد الأطماع تنتشب
تكالب عنه قد نزهت محتقراً ... له وعندك ما يشفى به الكلب
فاستنزلوك عن العرش الذي ارتفعت ... بك القواعد منه فهو منتصب
لو أنصفوك لفاض العلم منتشراً ... في الخافقين وسارت بالهدى كتب
ولازدهى باسمك الإسلام دوحته ... فينانة وفناه مربع خصب
ولا تبنيت عليه من سماء علا ... ما ليس تأفل عن آفاقها الشهب
لله أنت فقد حملت من محن ... ما لم يطق صابر في الله محتسب
أمر به ضاقت الدنيا بما رحبت ... ولم يضق عنه يوماً صدرك الرحب

جاءتك «فارس» باسم الباب يجذبها ... لك الولاء على شوق فتنجذب
أن يبعدوا عنك بالأوطان نائية ... فكم لهم قربات باسمها قربوا
هم في المحاريب أشباح مقوسة ... وفي الحروب ليوث غابها أشب

وقال سنة ١٩٣٢ من قصيدة عنوانها (هتف القدس):

هتف القدس بعلياه فناجى ... منه نفساً أبت الذل فهاجا
وانثنى يفتح باباً مقفلاً ... زاد فيه وعد بلفور الرتاجا
هاجه العدل، وأحماه الأبا ... إذ رأى في بيئة القدس اعوجاجا
فانبرى يسعفها في همة ... لو على الشم لأصبحن فجاجا
فأراها أن للقدس يداً ... تمنع الضيم، إذا ما الحيف ماجا
ثم لما محص الحق الذي ... زاد في استرجاع ماضيه احتجاجا
آب والعز على هامته ... عاقد من شرف العلياء تاجا
يحتسي العزة عذباً صافياً ... بعد ما أوردها الذل أجاجا
اسألوه سكنت أم هل يرى ... بعد في آمالنا البيض ارتجاجا
واسألوا السلطة هل أبقت لنا ... أم أحالت بأسنا الصلد زجاجا
واسألوا التاريخ عن آثارنا ... واسألوا القدس إذا التاريخ داجى
من أقاموا عرشها من دوّخوا ... لابتيها، من أقاموها اذاجا
(ألقوم التيه) ذلاً ـ بعدما ... قد ملكنا منهم ـ نعطي الخراجا
أم هي السلطة حيفاً غالطت ... نفسها فينا فراحت تتحاجى
حكّمت فينا الألى لم ندرهم ... لا ولا مروا على البال اختلاجا
فأبت منا على أقلامها ... أنمل، أو تملأ الدهر ابتهاجا

وقال بعد نكبة سنة ١٩٤٨ في فلسطين:

وجدي ليعربَ لا سرج ولا قتبُ ... تنقاد حيث يشاءُ الصارم الذربُ
سبعٌ من الدولِ العرباءِ تنقضها ... دويلةٌ، ما لها ريشٌ ولا زغبُ
هذي (فلسطينُ) نصبَ العينِ إن صدقوا ... وذا هو (الزيتُ) منهم كيف يُغتصبُ
شكتْ لهم وطأة الطاغي فما انبعثوا ... وولولت ضجراً منهم فما غضبوا
وأيقظتهم من العادين مطرقةٌ ... فما استفاقوا لها، إلاّ وهم شُعَبُ
وأججت لهم نارٌ لتضرمهم ... هم يوقدون لظاها، وهي تحتطبُ
شنوا فقلنا على اسم الله غارتهم ... تظنها الخيل، إلا أنها قصبُ
تغزو العدو بأطمارٍ مهلهلةٍ ... وعنده الحلقُ الماذي واليَلَبُ

يـا وادعـين إذا استسلمتمُ فلمَنْ — هـذي الجيوشُ، ومـاذا هـذه الأهبُ
أما هو العار إن كأس العلى سكبتْ — أن لا تـدار عليكم هـذه النخبُ
سيفُ العقيدةِ يحسو من دمائِهم — بخيبر، وقنـا الإسلام تحتلبُ
وأصبحوا وكؤوس النصرِ مترعةٌ — لـديهم، ودماكم فوقها حَبَبُ
لقد طربتم على الأوتار، وانتفضوا — إلى المفاد، أما يكفيكم الطربُ
فـ (ذو الفقار) لكم قد خطّ سابقةً — حمراء، بين شباها الموتُ يضطربُ
أنى يسود فتورٌ في دمائكم — وفي العروبة رأسٌ كله عصبُ
أعيذكم والمواضي في سواعدكم — أنْ يدركوا اليوم فيكم ثأرَ ما طلبوا
تخدعنكم الأقوالُ فارغةً — من قادةٍ هُمْ إذا جدّ الردى خشبُ
صفر العزائم، هزّي جذع نخلتها — أو لا تهزي، فلا بسرٌ، ولا رطبُ
يا ساحةَ العزّ بالباري معوذة — أن لا يخوضك قلبٌ خافقٌ وجِبُ

وله من قصيدة تَلَتْ نكسة الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ م، يقول فيها:

وبكيتُ حقاً للعروبة ضائعاً — لا يستردُّ بغارةٍ وكفاحِ
إذ عاد نهباً للأُلىٰ أيديهم — غُلّت، فلم تظفر بيوم نجاحِ
أعنِ الملايين الثلاث تقاعدتْ — تسعون مليوناً من الأقحاحِ
عادت مبددةَ القوى، إذ أصبحتْ — (صهيون) تطلق غارةً بجماحِ
ماذا يكون الغرب؟ ما هو شأنهم؟ — إمّا أعانوها بكلِ سلاحِ
أوَما لنا في (الفيتنام) وصدها — (الأمريك) أسوة قابسٍ مقداحِ
أفلم نقف بالأمسِ وقفةَ حازمٍ؟ — منهم لصدِ الغارةِ الملحاحِ
نشري البلاد بكل ما يشري الفتى — أوطانه، في صُرّعٍ وأضاحي
حتى نزعنا منهم استقلالنا — جذلانَ بين أسنةٍ وصفاحِ
ما بالنا عدنا وفي إيماننا — شللٌ، نعج بعولةٍ ونياحِ
أين الذين إذا احتوتهم ندوةٌ — ملأوا الفضاءَ بضجةٍ وصياحِ
وتبرموا للفتحِ تحسب أنهم — آساد غيلٍ، أو ليوث بطاحِ
من كل مقوالٍ إذا جدّ الوغى — تلقاه يمزج جدّه بمزاحِ
فالحربُ تهتفُ بالكماة أمامكم — من ممتطٍ صهواتها لوّاحِ
والساحة الكبرى، وها هي أقفرت — تدعو بكل مسابقٍ للساحِ
هبوا غضاباً، إن صدقتم للوغى — كالأسدِ وثبةَ ثائرٍ مجتاحِ
لا تخدعنكم الوعود من الألى — خُدِعَت شعوبٌ باسمهم ونواحي
أرأيت قولهم الكذوب لها افرجي — فوراً، بلهجةِ ساخرٍ ممزاحِ
فالجرح يعرفه الجريح إذا اكتوت — منه العروقُ بمبضعِ الجراحِ
أتضيمنا. يا للهوان حقوقنا — حتى اليهودُ، وفضلةُ النزّاحِ
أو ما بنا عصبٌ يثور، ونخوةٌ — توري الوغى بلهيبها اللقّاحِ

وله قصيدة يحيي بها (مؤتمر الأدباء العرب) المنعقد في القاهرة في ١٩٦٨/٣/٢١ م، ومطلعها:

قفْ أيها الأدبُ الفياض إذ تقفُ — بمسرحٍ حلّ فيه المجدُ والشرف

يقول منها فيما يخص الموضوع:

وللعروبةِ أمجادٌ معطرةٌ — تجنى لمنتجعٍ منها وتقتطفُ

لا ينتهون لحدٍ من سماحهم — والنبل أعذبَه التبذيرُ والسرفُ
حتى إذا ما أضعنا بعدهم سرفاً — معالم الدين، واستشرى بنا الترفُ
تطلعت (حشراتُ الأرض) تنهشنا — لسعاً، فلم يجدنا التقريعُ والأسفُ
تكهمت بعد إرهافٍ صوارمُنا — فغودرت وهي لا حدٌّ ولا رهفُ
كانت (فلسطينُ) قبل اليوم طعمتنا — فأصبحت وهي منا اليوم تختطفُ
جفت عزائمُنا عنها، فما انبعثت — آسادنا لحياض الموت تزدلفُ
عاد التواكل يثنينا فإن وثبت — غضبى، فقالونَ عن هيجائها انصرفوا
فلا وربِّ المعالي لا قرار على — هذا الهوان، إذا ما فاتنا الهدَفُ
إن لم نقف حيث أم المجد ساحتها — تبرى بها الهامُ، أو تبرى بها الكتفُ
أو أن تردّ حقوقٌ ظنّ غاصبُها — إن لا تدور رحى يعطى بها النصفُ
لتدري (صهيون) إن مدّت حبائلها — إن العصا سوف تعلوها وتلتقفُ
وأن أرض (فلسطين) لنا خلقت — لا يعتلي تربها رجسٌ ومقترفُ

وقال في الحفلة التي أقيمت في النجف لوفود مؤتمر الأدباء العرب:

يا شموساً لا يغطيها سحاب — وليوثاً ضمها في المجد غاب
لحتم فازدهرت آفاقنا — وازدهت منا تلاع وهضاب
فتحيات لكم من بلدة — طالعت دربكم منها الرقاب
فأكف تتلاقى فرحاً — وقلوب فيكم شوقاً تذاب
أي وفد نظمت لؤلؤه — لبني العرب شعوب وشعاب
فالتقى منتظماً في سلكه — كل عقد هو كالجمر شهاب
وتدانت بعد نأي فالتقى — فيه بعد البين للعرب اقتراب
وتجلى كوكب النصر الذي — كاد أن لا ينتهي منه الغياب
دب وعي فاستفاقت غفوة — وانبرت من غابها أسد غضاب
فانتهت أرض البطولات إلى — معقل في كل شبر منه غاب
وتمشى في الشرايين دم — فيه للوحدة هز وانجذاب
فتلاقت من قنا شوكتهم — أنصل هزت لطعن وكعاب

يا عقولاً فجر الوعي بها — أعيناً سائغة فهي عذاب
واستقت من كل فن فارتوت — منه حتى ملئت منها الوطاب
لم يخنهم حصف الرأي فهم — فيه إما استهدفوا مرمى أصابوا
وإذا بحر من الحيف طغى — خوضوا لجته وهو عباب
ياسقاة لم يكن من همها — غير أن تملأ بالوعي العياب
عودونا أن نرى من نهجكم — غمرات يرتوي منها الشباب
لا كما يلمع آل انه — ليس يروى قط ظمآنا سراب
علموه كيف يبني مجده — لا كما يبحث في قفر غراب
علموه كيف يقتات الأخا — دون أن ينبش عن رمس تراب
دون أن تعبث في صفو يد — دون أن يكشف عن حقد نقاب
فاقدحوا النور لعيني سادر — دونه اسودّ مصير ومآب
فعساه يبصر الدرب الذي — دونه ألف حجاب وحجاب
ليرى الحق جلياً واضحاً — حين يمتاز عن القشر اللباب
أدباء العرب حيتكم صدور — فتحت شوقاً لكم فهي رحاب
لتحيي الأدب الحي بكم — إنكم من بيضة العرب اللباب

حيث الآداب فيكم بلدة ... هي للآداب مفتاح وباب
بلدة الناطق بالفصحى التي ... تورق الأعواد إن رن خطاب
علم الأقلام جرياً فلها ... كالصلال الرقش في الطرس انسياب
بلدة الضارب بالسيف إذا ... شمخت هام أو استعصت رقاب
بلدة القاسم بالعدل وإن ... ناشدته رحم غرثى سغاب
بلدة العاكف في محرابه ... أبداً حتى اعتلا الشيب الخضاب
بلدة القانع بالقرص فما ... لونت منه طعوم تستطاب
ملك الأرض وعاشت يده ... فعليها ولها منها حساب
مبدأ الحق وما أعظمه ... تلتقي السنة فيه والكتاب
مبدأ العفة إن خانت يد ... مبدء الأمن إذا عم ارتياب
مبدأ الطهر إذا ما لوثت ... دنساً من درن النفس ثياب
علموه النشأ يصلح لكم ... منه ما أفسده الغرب وعابوا
إنه قافلة آمنة ... لم تدحرج بين رجليها دباب

أيها الوفد وفي النفس شجى ... يتوخاكم وإن مض العتاب
أفترضيكم إذاعات لنا ... ملأت آفاقنا وهي سباب
عربي يستحدى قرعه ... عربياً أنه خزي وعاب
إنه الطعن الذي قرت له ... عين إسرائيل والوخز الكذاب
سدد الرمي بما أدمت له ... أعين العرب وماقف الاهاب
دللت في طعنها المضنى بنا ... أنها لابنة صهيون حراب
ليس يرضيكم، ولكن كيف لا ... غضبت أقلامكم وهي صلاب
كيف لم تستنكروا سخرية ... سفه العالم عقباها وعابوا
إنما الإصلاح إن قمتم به ... في يد سيف وفي الأخرى كتاب
وكذا الطائش لم يقنع إذا ... لم يلت في كأسه شهد وصاب
لا تقولوا جمرة قد تنطفي ... إنه قد يعقب الجمر التهاب
فوراكم حاطب مستعمر ... دأبه أن يوسع الجمر احتطاب
لعبت فينا يد عابثة ... عذبها مر ونعماها عذاب
فغدونا كقطيع سائم ... عز أن تحرسنا منهم ذئاب
ورموا فاستهدفوا مقتلنا ... حيث كل الطعن منا والضراب
وأجالت طعنة القوم بنا ... حيث لا مسبار للجرح يصاب
فأقاموا ابنة صهيون على ... هامنا تبنى لها منهم قباب
فرخة المولد، ما ارتأشت ولا ... حام في جولها يوماً عقاب
وعجيب وهي درداء غدت ... تتحدى من له ظفر وناب
إنها مهزلة الدهر، فلا ... عجب لو أكل الفأر الجراب
وعلى الوضع التحيات إذا ... ما انضوى نحل أو استشرى ذباب
ما العلاج الصدق إلا ضربة ... تصفع الطائش إن غاب صواب
أين من ذاك الملبون الأولى ... أن دعوا للبطشة الكبرى أجابوا
للطعان المر ردوها فلا ... يستزد الحق نوح أو نعاب
ودعوني أفتح الشكوى لكم ... وهي خطب لا يساويها مصاب
ألف باب للخصومات يرى ... حيثما يفتح للأحزاب باب
وإذا ما ادارأت ما بينها ... كان عقباها خصام واضطراب
إنها غالبة مغلوبة ... فعليها لا لها ذاك الغلاب
صولة كانت لنا عامرة ... هدها معولها فهي لجراب
طفحت آمالنا فانطفأت ... مثل ما يطفح في كأس حباب
فالدعايات مليئات بما ... ينعش الآمال، والربع يباب
طبلت دهراً فما حلت بها ... عقد أو ذللت منا صعاب
فظماء لم نزل وهي هيام ... وخماس لم تزل وهي سغاب
ولهى أشداقنا غصت بما ... يختم الفم، وإن سال لعاب
وكذا الشهد الذي نشتاره ... فهو في العلقم والصبر مشاب
إن هذا بعض ما جاءت به ... من لهيب فاكتوى فيه الشباب
إنما الأحزاب صفر فإذا ... حميت بوتقة التقريع ذابوا
أدباء العرب هذي نفثة ... سألتكم هل لها منكم جواب؟

السيد علي ابراهيم ابن السيد محمد

ولد سنة ١٩١١م وتوفي سنة ١٩٨١م في بيروت ودفن في انصار كان قد كتب ترجمته بنفسه فقال :

ولدت في قرية انصار (جبل عامل) ، ولا تختلف نشأتي الأولى عن سائر المواطنين في جبل عامل ، فقد جرت العادة يومذاك أن يبدأ تعليم الطفل في السنة السابعة عملاً بحديث مرْويّ (اتركه سبعاً وأدبه سبعاً) فعانيت من جهل معلمي سامحه الله وتأثير أسلوبه البدائي على نفسي وتفكيري ، وبعد ذلك انتقلت لمدرسة القرية الرسمية ، كان المعلم فيها شيخاً قريباً في تفكيره ومنهجه من الأول ، يعلم الطلاب الكبار منهم والصغار ، سائر الدروس ، وحده لا شريك له ، ويرتفع مستواه بنظر المواطنين عن غيره ممّن يتعاطى هذه المهنة فهو موظف رسمي راتبه من الدولة .

وقد صمّم الوالد رحمه الله على إرسالي للعراق لطلب العلم الديني في النجف الأشرف انسجاماً مع نهجه وسلوك من سبقه من أسرته ، فإن والده المرحوم السيد حسن إبراهيم أسس مدرسة دينية في قرية أنصار حفلت بالطلاب وبعد وفاة والده تعهد هو بشؤونها ، وتملك الأسرة بيتاً في النجف يسكنه طالب العلم من أبنائها .

ذهبت وأنا لا أتجاوز السنة الرابعة عشرة مع والدتي قاصداً النجف .

ثم أذكر أنني وصلت البلد المقصود فارتديت بزتي الجديدة ودخلت في غمار الطلاب ، ولم أنتسب لمدرسة ذات منهاج محدد وبرنامج خاص . ابتدأ استاذي يشرح لي كتاب (ابن هشام) في النحو وأنا أتلقف كلماته بشغف ونهم وانتباه ، وانتهى به المطاف وهو يفسرّ (الكلمة قول مفرد) ويفرق بين الجنس والفصل لهذه الجملة (واستعمال الأجناس البعيدة في الحدود معيب عند أهل النظر) .

فعسر على ذهني فهمها وصعب عليَّ حلها ، وعز على استاذي ذلك فطاف بموضوعات وعلوم متنوعة ليستعين بها على توضيح المعنى فلم يفتح الله عليه ، ثم رضت نفسي فألفت هذه التعابير وأقبلت عليها استسهل صعابها وأحل رموزها ، فقد علمت أنني نقطة صغيرة في الخضم الواسع ليس لي أن أشكو غموض الأداء وقصور التعبير ، وإقحام علم في علم والاستطراد من موضوع لموضوع فأساليب التدريس لا يغيرها اقتراحي ولا تعدّلها شكواي .

ولم تزل تحتل في فكري وقلبي ـ وإن بعد المدى ـ المكان الأول صورة ليالي شهر رمضان وأسحارها وروعتها ، تمرُّ أمام ذهني هذه الصور الفاتنة من الماضي

فأود لو تعود ، ويتملكني الحنين للنجف ومن فيه فأهتف بها وبساكنيها قائلاً :

أرض الغريّ وكل ما منح الحجى   للناس من فضلٍ فمنك المبتدى
ولكل فكرٍ أنت كعبة مأمل   الركب سار وفيه حاديهِ حدا
وبكل نفح من عواطف شاعرٍ   طيب من النجف امترى وتزودا
همنا بذكرك فالسواجع لم تثر   لولاك لحنا والمغرد ما شدا
بقي الحنين العاملي على المدى   شعراً ونشراً للوصيّ مخلدا
ولسادة حلوا بجيرة حيدر   باتوا لآمال البرية مقصدا
لي أوبة لحمى علي أنتشي   من قدسه وأرى بتربته الهدى
وأجدد العهد القديم وإنني   ومعي البراءة فهو أصلٌ للندى

قرأت بعد رجوعي من النجف على المرحوم الوالد بقية الكتب المعروفة في المنطق والبيان ، والأصول والفقه ، ثم عينت معلماً للدروس الدينية في مدرسة النبطية الرسمية فابتدأت مع الشعر والأدب مرحلة جديدة في حياتي ، ذلك أن النبطية كانت مسرحاً فكرياً وأدبياً واسعاً ، ويكفي للدلالة على ذلك وجود الشيخ عبد الحسين صادق والشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان ظاهر وغيرهم فيها .

وكانت مجلة العرفان لصاحبها الشيخ أحمد عارف الزين ، في أوجها فوجدت في نفسي ميلاً آسراً لنشر ما عندي ، وكانت البداية في مجلة العرفان (أدباء جبل عامل بقلم رسام) .

ومن المواضيع التي عالجتها فيها ، شعراء من جبل عامل ، ومن صور الحياة ، ورسوم .

ولولا ذلك العلم الفرد الذي ظل ثمانين عاماً أمام دواته وقلمه ، يفكر ويستهدف ، يعبد ربه ويجلس إليه في الأسحار والناس نيام فيرتل ويحن ويتشوق ثم ينصرف من ساعة النجوى مع خالقه لأرفع ما خلق وأسماه ، فيقف أمام باب المعرفة خاشعاً ينفض الأتربة المتراكمة على الهيكل ، أجل لولا (صاحب أعيان الشيعة) السيد محسن الأمين ، ما عرفنا شيئاً عن شعراء وأدباء جبل عامل .

تحدثت عنهم طويلاً بالإذاعة اللبنانية ، فموضوع أدباء من وطني كان يذاع كل أسبوع ، وكانت لنا في أيامنا الزاهرة طرائف جميلة منشورة في العرفان فمنها هذه القصيدة :

مَنْ للجمال إذا انصرفت عن الهوى   وأرقت راحك يا هوى الندمان
وجعلت همك يا طويل العمر في   دفن الجنائز من بني شيبان
وجلست بين عجائز لا ترتجى   الا حلول النصف من شعبان
وحملت سبحة زاهدٍ متبتل   ما انفك يهدي الجهل للإنسان
مَنْ للحياة يكف من بأسائها   ويثيرها حرباً على الحرمان
ويقول للزعماء آن حسابكم   فالذئب جار على قطيع الضان
مَنْ للشتيت من الرجال تنافسوا   بالجهل واتفقوا على الخذلان
وتمسكوا بالزور حتى خلتهم   أصلا لكل موارد البهتان
يا صاحب القلم المشع ألا اتئد   للشعب أنت ولست للأعيان
للحب أنت وللجمال فلا تقف   في الصف بين البوم والغربان
ما أشرف الحرمان يلهم شاعرا   فتفيض منه جوانب البركان
ويناضل الأحداث في غلوائها   إن النضال طبيعة الفنان
قل لي بربك أين أنت فحولنا   ليل ونحن على الضلال حواني

وعينت سنة ١٩٤٣ بالمحكمة الجعفرية العليا بوظيفة لم تحقق أملي ، فذهبت للوزير الذي عينني ، وظن أني جئته مادحاً شاكراً ، فسر أول الأمر ، ثم وقفت وخاطبته بقولي :

ما كنت احسب أن سيغريني الهوى   فاجد في طلب الأماني الشرَّدِ
وأبيت بين الطامعين فريسة   للوهم لم تقبض على أمل يدي
ومن البلية أن أساس بمنطق   يوحيه للزعماء خلقهم الردي
إنا شهدنا للوظائف حلبة   يجري بها فيفوز كل مبلد
أما الكفاءة فهي ظل زائل   وردت بعهدكم أخس المورد

وكان لي مع قضاة المحاكم الجعفرية مواقف شعرية طريفة في السنين التي قضيتها بينهم ، والتي ندبت فيها سوء حظي بقولي :

ما بين ارث قسمت أبوابه   أحْياً وإرث مهمل لم يحصر

وقلت من قصيدة (بين بعلبك وجبل عامل) مخاطباً الشيوخ البعلبكيين :

يا بعلبك أتيت من جبل سما   وله يعود النقض والإبرام
من عاملٍ وطن المعارف والحجى   يكفيه ذا فخراً فليس يضام
كم رفَّ فوق جباله عَلَم وكم   جالت بمتن خيوله أعلام
وطن الجحاجح كم لهم من آية   غراء فيها عزز الإسلام
هم خلدوا الآداب في نفحاتهم   فزهت ونالت مجدها الأقلام
والشعر عندهم الحبيب المُجْتبى   صلوا له بعد الإله وصاموا
والعلم هم رُوَّاده وحماته   تروى وتؤخذ عنهم الأحكام
وهم الذين تبوأوا دست العلى   عشقوا الكمال وبالحقيقة هاموا
نثروا المعارف واستجابوا للهدى   تحني لمجد السابقين الهام

وعندما أثرنا معركة شعرية بين الشيوخ والشعراء وقف أحدهم بجانب الشيوخ فقال من قصيدة :

شحذ (الحسين) قرائح الشعراء   وأثارها حرباً بغير دماء
وعداوة الشعراء نعم المقتنى   لا ترهبنك عداوة الشعراء

فقلت معلقاً على هذه الناحية من قصيدته :

هانت لديك مكانة الشعراء   وحسبت أنك فارس الهيجاء
آمنت فيك مثير أحلام الهوى   تنشي الخوالد في رُبى « شقراء »
أيام كنت تسير في درب العلى   وتثيرها حرباً على الدخلاء
وكفرت فيك رئيس مصلحة التقى   تذوي مع التدريس والإفتاء
قل لي بربك أي حلبة شاعرٍ   لم تكُ فيها حجة العلماء
نصوا عليهم بالقضاء فهل ترى   نصا عليهم باقتسام الشاء
نوهت بالفقراء يا ليت الهنا   يسمو ليدخل خيمة الفقراء
لو أستطيع سكبت روحي بلسماً   لجروحهم وكبحت عاتي الداء

صدرت لي عدة كتب ، تحدثت فيها عن أعلام الشعر والأدب بما وصل إليه علمي وبلغته معرفتي ، وتحدثت عن الإمام علي بكتابي (في رحاب الإمام علي) ، وعن سيد الشهداء الحسين بن علي بكتابي (في رحاب سيد الشهداء الحسين بن علي) .

وبعد ذلك كله بعد أن طويت السبعين من عمري بعيداً عن ديارها نشأت وتحت سمائها ترعرعت .

وقفت والحنين في نفسي أستعرض الماضي الجميل وآسى على الحاضر والمستقبل وأناجي قلبي ببعض الصور والذكريات قائلاً :

يا خافقاً أي المنى ومضها ... ما علل الفكر بوهم عبر
تصرم العمر وسفر الأسى ... يمشي مع العمر جديد الصور
ما غاب طيف الأمس عن خاطري ... أستعرض الماضي فترنو الذكر
تألق الحب بها ساعة ... ما لاح نجم منه حتى استتر
والسعد يأتي لفتى لمحة ... تخبو كأن الورد منها الصدر
هذا خريف العمر ما ساءني ... إن جاءني فيه القضا والقدر
فالعيش بعد الحسن لا ينجلي ... للعين إلا عن أسىً أو كدر
تناثر الزهر ومن لوعتي ... تناثر الدمع فروّى الزهر
يا شعر إن أعطيتني نفحة ... اغنيتني فيها بهذي الدرر
فطالما رويت من مهجتي ... للفن غرساً لذ منه الثمر
وطالما صليت في وحدتي ... للشعر أهفو للمعاني الغرر
وطالما أوريت فيك السنا ... من شعلة القلب ونور البصر

ثم أجد بالإيمان راحة وعزاء فأتوجه للنبي العربي بقولي :

يا وحي أحمد فجر طاقة العربي ... وافتح لهم صفحة من سفرك الذهبي
أودى أبو لهب في حسرة ومضى ... واليوم فيهم ألوف من أبي لهب
مالوا عن الدين واختاروا صيارفة ... للجهل تتقن فن الزور والكذب
تنازعوا فاستباح الخطب عزتهم ... وأصبحوا موطناً للويل والحرب
لم يجمعوا أمرهم فاجتاح لُجّهم ... شعب تشرد مجهولاً بغير أب
والدهر يلهو بمن ترسو مطامعه ... على المنى ويروم الجد في اللعب
تعاظم الخطب في لبنان وانبعثت ... دهياء فيه تلف الرأس بالذنب
وأوغل القوم بالتنكيل واحتقبوا ... وزر الجرائم بالمسلوب والسلب
الليل للقتل والتدمير والريب ... والصبح يقذفنا في أفدح النوب
نريده موطناً للخير مزدهراً ... بالعلم يبعد عنه كل مغتصب
ما زال ينزف والدنيا تشاهده ... ما زال يقبض كذب السادة العربِ

وقد مرت له في هذا الكتاب قصيدتان رثائيتان (المجلد الخامس الصفحة ٣٠٠) و (المجلد السادس الصفحة ٣٥٤) كما مرت له كلمة في ترجمة الشيخ أحمد رضا ، (المجلد الثاني الصفحة-٤٦٥) .

علي رضا عباسي

بقلم : محمد عباس عبد الوهاب

كان رضا مصوراً مشهوداً له بالبراعة ، وقد ظل اسمه وآثاره الفنية في طي النسيان ، ولم تعلم سيرته كما يجب إلا في العصر الحديث ؛ حيث عكف مشاهير المستشرقين الألمان أمثال سازه وميتوخ وغيرهما من مؤرخي الفنون على دراسة حياته ، والكشف عن مواهبه .

ورضا من الفنانين الذين عاشوا في أيام الشاه عباس الأكبر من سنة (٩٨٥ ـ ١٠٣٨ هـ) ، تلك الفترة التي عرفت بالعصر الذهبي للدولة الصفوية في إيران ، إذ كان الشاه محباً للفن مشجعاً للفنانين ، ويقال : إنه أسس في أصفهان ـ عاصمة ملكه ـ معهداً للتصوير[1] ، كان يؤمه المصورون والخطاطون والمذهبون ، فنشأت بذلك مدرسة جديدة للتصوير هي « المدرسة الصفوية الثانية » .

وبنى الشاه عباس قصوراً في أصفهان ، منها قصرا : « جهل ستون » ، و « علي قابو » . وقد وصف الرحالة الأوروبيون في القرن السادس عشر الميلادي جمال هذه القصور وجمال نقوشها وزخارفها وصورها البديعة التي منها مجموعات كبيرة من الرسوم الحائطية بالألوان المائية على الجص أو باللاكيه ، وقد استقدم بعض المصورين الأوروبيين ، فعملوا إلى جانب الوطنيين في تصويرها على الطراز الإيراني والأوروبي ، ولهذا تأثر التصوير الإيراني في عهده تأثراً قوياً بالتصوير الأوروبي[2] . وقد كشف عن هذه الصور حديثاً ، فأحدثت ضجة كبيرة في الأوساط الفنية وكان « جهل ستون » قد أحرق في أواخر القرن السابع عشر الميلادي ، فكانت الصور تالفة من جراء الرطوبة وتراب الحريق ودخانه ، ولكن أمكن تنظيفها وإعادتها إلى الكثير من سالف رونقها ، فأمكنت دراستها ودراسة خصائصها .

ويعتبر « رضا » من أعلام مصوري المدرسة الصفوية الثانية ، بل هو صاحبها ، فإليه يرجع الفضل الأكبر في خلق أسلوب جديد للتصوير في إيران بعد به بعداً تاماً عن تقاليد العصور السابقة في هذا الفن ؛ إذ تحرر من قيود اللون والزخرفة ، كما تحرر من ملء الفراغ وكثرة المناظر والأشخاص ؛ مما كان يتميز بها التصوير الإيراني ؛ وبذلك خلق أسلوباً يعلوه طابع جديد هو اظهار الفراغ والموضوع في جو من الرقة والبساطة .

ويجدر بنا أن نلقي ضوءاً على حياة هذا الفنان قبل أن نتعرض لدراسة فنه ؛ فحياة الفنان هي المؤثر الأول الذي يوجهه ويطبع إنتاجه بفلسفة خاصة به ، هذا إلى جانب روح العصر ذاته ؛ فإن لها أثراً أيضاً في هذا التوجيه .

ولد رضا في مدينة تبريز ، وأصل اسمه « علي رضا » ، وقد جاء إلى أصفهان في عنفوان شبابه ، وترعرع في بيئة ذواقة للفنون ؛ ولذلك نشأ مقبلاً عليها : فأبوه « علي أصغر » كان رساماً مشهوراً في مكتبة الشاه إسماعيل . ويقول إسكندر منشي في تاريخ العصر الصفوي فيما بين سنتي ١٥٠١ و ١٦٢٩ م : إن رضا قد اشتغل في تصوير قصور الشاه منذ أن كان كبير مساعدي « مظفر علي »[3] ثم احتل المكانة الأولى من بعده ، وإنه أصبح أعجوبة عصره في التصوير وفي رسم لوحات الأشخاص الفردية Single Figures ، وبالرغم من رقة لمساته فإنه لم يكن رقيق الطبع ؛ فقد كان يمارس ألعاب القوى ، دائم الاتصال بالأندية الرياضية وأندية المصارعة ؛ لذلك اصطبغ بطابعهم[4] ، كما أنه قطع شطراً طويلاً من حياته غير محمود السيرة ، وكان في ذلك الوقت قليل العناية بفنه ، إذ كان حاد المزاج يميل إلى الوحدة وعدم مخالطة المجتمعات ، فلم يكن فنه معبراً عن شيء إلا عن مناظر الشراب والمنادمة ، ولهذا كان قليل الإنتاج في شبابه .

ثم التحق بخدمة البلاط ، فحسنت سيرته ، وزاد إنتاجه ، وكان موضع عناية الشاه ؛ لذلك لقب « شاه نواز » أي مدلل الملك ؛ ومنذ ذلك الحين أضاف إلى اسمه لقب « عباسي » نسبة إلى الشاه ، وأخذ يرسم الشاه في مجالسه

(1) M.S. Dimand; A Handbook of MUhammadan Art, N Y, 1947, P. 53.

(2) A. U. Pope: A Survey of Persian Art, vol. 2 Oxford, 1939 P. 1388.

(٣) المرجع السابق ص : ٧

(٤) T. W. Arnold & A. Grohmann ; The Islamic BooK, Pergasco, 1929 PP. 82 - 83 .

المختلفة ، كما رسم أفراد العائلة الملكية ، وصور شخصيات عصره رجالاً ونساء من قادة وأطباء وعلماء . وكانت فرشاته قادرة على تأدية مطلب البلاط ، وفي الوقت نفسه كانت تأخذها المتعة في الانتقال من تلك المظاهر البراقة المترفة إلى تسجيل حياة الدراويش[١] والشحاذين والفقراء والمسنين في أوضاع لا تنقص إتقاناً عن سابقتها .

وآثار رضا عباسي الفنية نوعان :

أما النوع الأول منها فتلك الصور التي رسمها . المخطوطات ، وهي على العموم لم تخرج عن تقليد القديم ، وكان إنتاجه فيها قليلاً لتدهور تلك الصناعة وقلة إنتاجها منذ أواخر القرن السادس عشر الميلادي . ومن المخطوطات التي صورت في تلك الفترة شاهنامة الفردوسي ، وفي متحف المتروبوليتان[٢] بنيويورك مخطوطة للشاهنامة مؤرخة بسنة ١٠١٤ - ١٠١٦ هـ (١٦٠٥ - ١٦٠٨ م) ، بها خمس وثمانون صورة تحمل خصائص رضا عباسي وأسلوبه . ومن المعروف أن نشاط الفنانين قد تجلى في تصوير المخطوطات حتى ذلك العصر ، وأن إيران قد فاقت غيرها في هذا المضمار .

أما النوع الآخر فصوره الفردية التي تصادفنا تارة ملونة وتارة أخرى غير ملونة ، وهي خطوط بسيطة ولمسات سريعة ، ولها سمات ودقائق فنية واضحة وهذه الخطوط السريعة التنفيذ Sketches هي خير ما يمثل عبقرية هذا الفنان وأستاذيته ؛ لأنه استطاع أن يجعلها معبرة عن سمات الوجه وتفاصيله وانفعالاته ؛ كما أوضح فيها الحركة بإشارات اليد أو الجسم . ومما عرف عنه أنه كان يعدل في الصورة ، ويغير في إخراجها عدة مرات حتى يصل بها إلى النتيجة المنشودة .

ولئن كانت صور الأشخاص الفردية هذه قد ظهرت على يدي المصور محمدي قبل عصر الشاه عباس فإنه يرجع الفضل كل الفضل لرضا عباسي ومدرسته في نشر هذا اللون الجديد من الصور على نطاق واسع ، ووضع الأسس التي أدت إلى تعميمها مما كان له الأثر أكبر الأثر في نقله التصوير الإيراني من الطابع الملكي إلى الطابع الشعبي ؛ إذ لم يعد المصور يرسم للسلطان ، ويوضح للمخطوطات ، بل أصبح يرسم ما يمليه عليه خياله وفنه ، ولهذا انتقل إلى الرسم من الطبيعة بعد أن كان يرسم موضوعات تقليدية من الذاكرة ، كما أن الأشخاص الذين كانوا رمزيين متشابهي السحنة في الأسلوب القديم أصبحوا أشخاصاً حقيقيين معروفين غالباً .

ومن الخصائص التي تجلت في أسلوبه الجديد وأسلوب مدرسته بصفة عامة عدم الاهتمام برسم العمائر . والواقع أنه لم يصبح لها أي اعتبار في رسومه على ضد ما كانت عليه من مكانة وأهمية لدى المصورين ؛ إذ كانت لا تخلو منها صورة إلا فيما ندر ؛ كما بعد الكثير من صوره عن الطابع الزخرفي لاستخدامه القلم في إخراج صور سريعة الإنتاج رخيصة التكاليف . ومن المعروف أن المصورين قبل رضا كانوا يعتمدون على الألوان الزاهية البراقة في إيجاد التباين والجو الزخرفي الذي يكسب الصورة الإيقاع الفني ، أما رضا فكان يعتمد على خطوطه ولمساته في خلق هذا الإيقاع .

(١) T.W. Arnold ; Painting : Islam, Oxford 1928, P. 114.
(٢) M. S. Dimand; A Handbook of Muhammadan Art, N. Y. 1947, P. 53.

وامتاز رضا بدقة الملاحظة والتأثر بأسلوب الكتابة الخطية من حيث تكونها من عدة خطوط منحنية وخطوط مستقيمة قصيرة أو ممتدة ؛ لأن رضا كان خطاطاً إلى جانب كونه مصوراً ، وله إنتاج وافر في هذا الميدان . وأغلب كتاباته موقعة باسمه الأصلي « علي رضا » حيث اشتغل في بداية حياته - كما أسلفنا - في المخطوطات نسخاً وتصويراً ، كما وقع باسمه ونسبه « علي رضا العباسي » . حينما اشتغل للشاه ، وكتب . في مسجد الشيخ لطف الله وفي المسجد الجامع العباسي بأصفهان[٣] كتابات رائعة بخط النسخ والتعليق .

ويرى بعض مؤرخي الفن الإسلامي أن علي رضا الخطاط غير علي رضا المصور وأنهما شخصان ، ولكن جميع كتاباته ,توقيعاته وخطوطه بأسلوب واحد مما يجعلنا نعتقد أنهما شخص واحد ؛ وكل ما في الأمر أنه وقع بأساليب وعبارات وأسماء متعددة مما دعا إلى الاختلاف في أمره ؛ ومن ثم فهو فنان أصيل جمع بين فنين من أعرق الفنون وأجلها مكانة عند المسلمين ، وهما الخط والتصوير ، فالواقع الذي لا شك فيه أن سواد المسلمين لم ينظروا إلى التصوير نظرة ارتياح . على أن عبقرية الفنان المسلم تجلت في ناحية التصوير في المخطوطات ؛ إذ شغف المصورون بتجميلها وتزيين كتب العلم والدين والأدب والتاريخ والصناعات بصور مفسرة ، كما تجلت عبقريتهم في نسخ هذه الكتب بالخط الرائق الجميل ورسم رضا في أرضية صوره أغصاناً ذات أوراق مبسطة مختلفة الشكل ، وتعتبر هذه الأغصان علامة ملازمة مميزة لصوره ، ورسم الأفق والتلال والكثبان والمناظر المرئية في الطبيعة الإيرانية والواقع أن أرضية بعض صوره يغلب عليها التسطيح ، وهي التي نهج فيها على الأسلوب القديم في المخطوطات أو بعض الرسوم الملونة الأخرى ، أما تلك التي تجلى فيها أسلوبه فبها ظلال أظهرت فيها نوعاً من التجسيم .

وولع بإظهار طيات الثياب كما نوّع في أشكالها من ملابس دراويش ، إلى ملابس أمراء ، وملابس صيد ، ثم ملابس أوروبية الطراز ؛ وكذلك رسم أغطية متعددة للرأس من عمامات وقبعات للرجال والنساء .

أما السحنة التي صورها فتمتاز بمسحة من الهدوء ، وبعضها يعلوه وقار إلا أن أغلبها فيه ملامح الشباب المنصرفين إلى اللذة واللهو . وعلى العموم فكل شخصياته غضة حتى الكهل لم يستطع أن يحمله ما حملته السنون من آلام الكبر إلا في تعبيرات على وجهه ونادراً ما كان يحوط شخصياته بهالة تبرز مكانتها ، كما كان متبعاً في الأسلوب القديم .

والواقع أنه كان مولعاً بسطوح الأشياء وخاصة سطح البشرة ؛ إذ رسمها ناعمة تكاد تنبض بالحياة والدفء ، ولهذا نجد في تصويره لمحة جديدة تجعله مقرباً إلى الذوق الحديث ، ومن الصعب تمييز شخصياته : ألفتيان هي أم لفتيات[٤] ؛ ولا سيما أن أوضاعهم جميعاً فيها أنوثة وليونة . ولا عجب في ذلك ؛ فقد نقل عن الواقع بكل دقة وأمانة : فها هوذا « توماس هربرت » أحد الرحالة الأوروبيين الذين[٥] زاروا بلاط الشاه عباس في سنة ١٦٢٨ م يروي أنه شاهد

(٣) F. Sarre & E. MittWoch; Zeichnungen von Riza Abbasi, Munchen 1914 P. 8.
(٤) F. R. Martin; The Miniature Painting and Painters of Persia... etc, vol. 2 London, 1912, P. 71.
T. W. Arnold; Painting in Islam, Oxford 1938, P. 90
Fresco Painting: وهو التصوير بالألوان على ملاط لين ، ومن المعروف أنه لا يمكن أن =

فتيـاناً بـالقصر يروحـون ويغدون ، وهم عـلى جانب من الـوسامـة ، يـرتـدون صديريات وعباءات مزخرفة بالقصب المذهب ، وينتعلون أحذية جيلة منتقاة .

وقد راعى قواعد التشريح والمنظور ، وكانت النسبة الجمالية محفوظة اللهم إلا تلك الأرجل المعيبة التي نكـاد نلحظهـا في معظم إنتـاجه . وأغلب ظننـا أنه رسمها كذلك عن عمد ؛ فإن تلك الأرجل الرقيقة الصغيرة لها تقديرهـا الجمالي في خيال الفنان .

وهناك ميزة خاصة في صوره وهي أنه يمكننا أن ندرس منها أشكال الملابس وأنواعها المستعملة في ذلك العصر ـ على ما أسلفنا ـ وكذلك أشكال الآنية ، كما نلاحظ ان بعض صوره يعلوها مسحة من التهكم والسخرية منتحيـاً فيها نـاحية « التصوير الهزلي » .

وقد خلف رضا مجموعة كبيرة من الصور المؤرخة التي بها توقيعـه ، وأغلبها مؤرخ في النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادي . وبعض رسوم له غـير مؤرخة وإن كان عليها توقيعه مثل : « رقم كمينه رضاي عبـاسي » ، أو « رسمه العبـد الفقير رضـا عباسي » . . إلـخ وهذه عبـارات تـدل عـلى تـواضعـه الجم وخشوعه ، وهـو بخلاف أغلب من سبقـوه من المصورين قـد وقع عـلى رسومـه معتزاً بفنه ، ولم يكن يوقع بـاسمه فحسب ، بـل كان أحيـاناً يـذكر الحـال التي صور فيها ، وهذه خواص جديدة ابتـدعها رضـا ، واقتفى أثره فيهـا المصورون من بعده ؛ فكانت معيناً على تـأريخ الصـور ودراستها ومعـرفة مصـوريها ، ولا شك أن أسلوب رضا بنوع خاص يميزه المتذوقـون للفن الإسلامي حتى من غـير تـوقيعه ، بخـلاف كثـيرين غـيره من المصـورين . وهـذا مـا نلمسـه في رسـوم الفرسكو[١] بقصور الشاه عباس التي أشرنا إليها ، وفي رسوم أخرى .

وكان أسلوبه هو السائد في عصره ، وأصبح تأثيره عظيماً في الحيـاة الفنية في أصفهان ، وأخذ يدرس عليه تلاميذ كثيرون ومريـدون نسبت إليه وإليهم هـذه المدرسة التي استمرت في إنتاجها حتى القرن الثامن عشر الميلادي ، واستطاعت أن تنشر هذا الفن بين طبقات الشعب مما جعلهم يـدركون معـانيه ، ويفهمـون أصوله ، ويتذوقون قيمه الجمالية .

ومن أشهر تلاميذه « معين » ؛ فقد برز إنتاجه عـلى أقرانـه ، وكان معجبـاً بـأستاذه ، ورقم لـه صورتـين خلدت محياه : إحـداهما في مجمـوعـة Quaritch بلندن والأخرى في مجموعة Parish – Watson بباريس .

وبعد هذه المدرسة تدهور التصوير الإيراني الإسلامي ، وبعد عن خواصـه وتقاليده الأصلية لاقتفائه أثر التصوير في أوروبا كل الاقتفاء .

علي أكبر دهخدا[١]

ولد في طهران حوالي سنة ١٢٩٧ (١٨٧٧م) . كان والده خان بابا خان من طبقة الملاكين المتوسطين في قزوين قد أتى قبل ولادته من قزوين إلى طهران واتخذها موطناً لاقـامته . فلما بلغ عـلي أكبر دهخـدا العاشـرة من عمره تـوفي والده ، وتابع دهخدا دراسته تحت اشراف والدته وتوجيهها .

وقد عُهد إلى أحد علماء عصره وهو الشيخ غلام حسين بُروجُردي أن يقوم بتعليم دهخدا وتربيته ، فقد كان له كُتّاب في مدرسة حاج شيخ هادي (بشارع حاج شيخ هادي اليوم في طهران) ، وكان متفرغاً لتعليم اللغة العربية والعلوم الدينية . فلما افتتحت المدرسة السياسية في طهران بعد ذلك ، دخلها دهخـدا طالباً وتابع دراسته فيها . وكان استاذ الأدب الفـارسي في تلك المدرسـة محمد حسين فروغي يعهد احياناً إلى دهخدا بان يعطي درس الأدب في الصف . وإذ كان دهخدا قريباً من منزل الشيخ هادي نجم آبادي ، فقد افاد من جـواره ، فكان على صغر سنه يحضر مجالسه باستمرار إلى جانب الشيوخ والكهول ، وفي هذه الفترة شغل دهخدا بتعلم اللغة الفرنسية . فلما عين معاون الدولة غفاري بعد ذلك وزيراً لايران في البلقان أخذ دهخدا معه ، فقضى دهخدا بسبب ذلك سنتـين في أوربا وبخـاصة في ڤيينـا عاصمـة النمسا ، وهنـاك اكمل الفـرنسية ومعارفه الحديثة .

كانت عودة دهخدا لايران بُعيد اعلان الدستور ، فـأصدر بـالتعاون مـع قاسم خان جريدة باسم « صور اسرافيل » . وقد كان ألطف ما في تلك الجريدة الزاوية الفكاهية التي يكتبها دهخدا بعنوان(چرَند پرند) ـ اي ثرثرة ـ ويوقعها بـامضاء (دخـو) ، فقد كـان الاسلوب جديـداً فتح بـاباً لمـدرسة جـديدة في الفن الصحـافي وفي النـثر الفـارسي المعـاصر ، وكـان يُضمِّن تلك المقـالات مـوضوعـات انتقاديـة وسياسية باسلوب فكـاهي . فلما ألغى الشاه محمـد عـلي الدستور وعطل المجلس النيابي[٢] نُفي دهخدا مع مجموعة من انصـار الدستـور إلى أوروبا .

كان دهخدا رفيقاً في باريس للسيد محمد قزويني ، ثم انتقل إلى ايڤردون Iverdon في سويسرا حيث اصدر ثلاثة اعداد أيضاً من جريدة صور اسرافيل ، وانتقل بعد ذلك الى استامبول فأنشأ بمساعدة عدد من الايرانيين الذين كانوا في تركيا جريدة باسم (سُرُوش) [ملك الوحي] باللغة الفارسية ، وصدر منهـا حوالي خمسة عشر عـدداً . وبعد خلع محمـد علي شـاه انتخب دهخدا لتمثيـل طهران في المجلس النيابي ودعي من تركيا إلى طهران .

وقد انزوى دهخـدا خلال الحـرب العالميـة الأولى في قرى (چهـار محل) البختيـارية قـرب اصفهان ، ثم عـاد بعد الحـرب إلى طهران ، وانصـرف إلى الدراسات العلمية والأعمال الأدبية والثقافية ، وتولى مـدةً رئاسـة ديوان وزارة المعارف ، ورئاسة تفتيش وزارة العدل ، ورئاسة مدرسة العلوم السياسية ، ثم عهد إليه برئاسة مدرسة الحقوق العليا والعلوم السياسية بطهـران ، وتفرغ من ذلك العهد حتى ختام حياته للمطالعة والتحقيقات وتصنيف كتبه .

توفي في ٢٧ شباط ـ ١٩٥٥ في منزله ، ونقل جثمانـه إلى الري (ضـاحية طهران الجنوبية) ودفن في مدافن (ابن بابويه) .

---

(١) ملخصّه عن بحث للدكتور محمد معين .

(٢) بدأت الثورة في ايران من اجل الدستور سنة ١٩٠٦ ودامت عدة أشهر حتى أجبر مظفر الدين شاه القاجاري شاه ايران في ذلك الوقت على اعلان الدستور . ولكن مظفر الدين شاه توفي بعد فترة قليلة وخلفه ولده محمد علي شاه الذي الغى مرسوم الدستور ، الا أن النواب والأحزاب قاوموا تعسفه ، فضرب المجلس النيابي بالقنابل واعتقل انصار الدستور فسجنهم وفر بعضهم . اما الشعب فلم يرضخ لهذا الأمر وتألفت قوى ثورية زحفت من تبريز ورشت وشيراز واصفهان ومختلف انحاء ايران على طهران فاحتلتها بعد عدة معارك مع قوى الشاه ، وفر محمد علي شاه إلى روسيا ، وكان أول ما حدث بعد انتصار الأحرار أن اعيد المجلس النيابي ، ثم خلع المجلس محمد علي شاه وولىّ مكانه ابنه أحمد شاه .

مؤلفاته

أهم مؤلفاته كتاب (لغت نامه) الذي سنتحدث عنه في آخر الكلام . وله غيره مؤلفات وتحقيقات في مواضيع أدبية مختلفة نذكر منها ما يلي :

كتاب (أمثال وحكم) وقد ضمنه امثالاً ومصطلحات وكنايات واخباراً واحاديث وسواها . في أربعة اجزاء .

وقد ترجم إلى الفارسية من آثار مونتسكيو (عظمة وانحطاط الرومان) De la grandeur et de la décadence des Romains و (روح القوانين) L'esprit des lois والكتابان لم يطبعا .

ولـه قاموس فرنسي فـارسي يضم الكلمات العلميـة والأدبية والتـاريخيـة والجغرافية والطبية الفرنسية مع ما يعـادلها في الفـارسية والعـربية . وقـد شغل بتأليف هذا القاموس من مطلع شبابه إلى أواخر عمره ، وهو لم يطبع .

وله تعليقات وتصحيحات لعدد من الدواوين الشعرية القديمة والقواميس اللغوية والكتب الأدبية الفارسية بعضها مطبوع وبعضها لا يزال مخطوطاً . من هذه الكتب والدواوين الفارسية ديوان ناصر خسرو ، وديوان حسن غزنوي ، وديـوان حافظ الشيـرازي ، وديوان المنـوجهري ، وديـوان الفرخي ، وديـوان مسعود سعد ، وديوان السوزني السمرقندي ، وديوان ابن يَمِين ، ثم لغـة الفرس للأسدي ، وقاموس صحاح الفرس ، وقصة (يوسف وزليخـا) المنسوبـة إلى الفردوسي .

ولـه مجموعـة مخطوطـة تضم حكمـاً وكلمـات قصـاراً عـلى طراز حكم (لاروشفوكو) كما أن مجلة (شورى) الطهرانية نشرت مجموعة مقالاته في صور اسرافيل وسروش .

وله ديوان شعري لا يزال مخطوطاً .

لغت نامه

استطاعت اللغة الفارسية الدريَّة (المتداولة اليوم) في فترة تقرب من عشرة قـرون وبفضـل شعـراء كبـار كـالـرودكي والفـردوسي والعنصـري والفـرخي والمنـوچهري والنـظامي والسنائي والعـطّار والمولـوي وسعدي وحـافظ وكتّاب بارزين كالبلعمي والبيهقي والگرديزي والوطواط وسعدي والفراهاني وسواهم ان تصـل الى مرتبـة أصبحت تستـطيـع معهـا أن تعبـر عن أدق المعـاني وأرق الأحاسيس وأعمق الأفكار . وقد توسعت اللغـة الفارسيـة الدريـة مع الـزمن ودخلها كثير من الكلمـات والتراكيب اللغـوية من اللغـات الايرانيـة الفرعيـة كالسغدية والختنية والخوارزمية ، ومن اللهجـات المحلية الايـرانية كـالسكزيـة والزاولية والأفغانية والكردية واللرية والفارسية وغيرها ، كما دخلها كلمات من العربية والتركية والفرنسية والانكليزية والروسية والألمانية ، وكلما أتى عليها حين من الدهر زادت ثروتها التعبيـرية حتى غـدت اليوم وبعـد أحد عشر قـرناً من التطور والتقلب على ما هي عليه من الطاقة والدقة . وكانت هذه اللغة العريقة المعبرة جديرة بمعجم يصورها بمجموعها أو بمختلف شُعَبها ، إذ أن المعاجم التي ظهـرت حتى الآن في ايران والهنـد وتركيـا لا تفي قط بحاجـة الأدبـاء وطلبـة العلم ، ذلـك لأن بعضها يضم الكلمـات الفارسيـة وحـدهـا دون الكلمـات العـربية (المستعملة في الفـارسية) مثـل معجم « لغـة الفـرس » لـلأسـدي و « صحـاح الفرس » و « بـرهـان قـاطـع » ، وبعض يضم الكلمـات العـربيـة والفارسية مثل « غياث اللغات » و « قاموس آنندراج » ، ولكنها جميعاً لم تضبط الكلمات المستعملة سواء الفارسية منها أو العربية ، وإذا ما ضبط بعضُها قسماً من الكلمات فإن الطريقة التي استعملتها تلك المعاجم لا تدفع الالتباس ، كما أنها تكتفي من المعاني المتعددة للكلمة الواحدة بمعنيين أو ثـلاثة ، مهملة بـاقي المعاني ، عدا أن في المعاني المورَدة اخطاء جسيمة وغير قليلة في كثير من الأحيان وبعض تلك المعاجم يهمل اطلاقاً ايراد الشواهد على المعاني والكلمات ، وحتى المعاجم التي تورد شواهد منها (كمعاجم جهانگيري ، رشيدي ، انجمن آرا ، سروري) انما تنقل شواهد على قسم من معاني بعض الكلمات ، ومعظم هذه الشواهد من الشعر لا من النثر ، كما أن في تطبيق المعنى على الكلمة وفي مفهوم الاشعار اخطاء بارزة في كثير من الأحيان .

يبدو بعد هذه المقدمة مدى وجـوب تأليف قـاموس فـارسي جامـع ، هذا العمل الذي تم على يد المترجم .

ان (لغت نامة) انما هو خلاصة مطالعات مستمرة وجهود جبارة مدى خمس وأربعين سنة من دهخدا وعدد من اصدقائه ، لقد كتب خلال هذه المدة قريباً من ثلاثة ملايين بطاقة (فيش) من متون الكتب المعتبرة من اساتذة النظم والنثر في الفارسية والعربية والقواميس المطبـوعة والخـطية وكتب التاريخ والجغـرافية وعلوم الطب والهيئة والنجوم والرياضة والحكمة والكلام والفقه وسواها ، وقد كانت هذه البطاقات نواة (لغت نامه) .

اطلق على معجم دهخدا في مشروع القانون الذي تقدم به عدد من النواب في مادة وحيدة سنة ١٩٤٥ اسم (دائرة المعارف الفارسيـة) و (دائرة معـارف السيـد علي أكبـر دهخدا) ، وفي القـانون الـذي صدر في مـادة وحيدة سمي (معجم السيـد دهخدا اللغـوي) ، وكذا سمي في الميـزانية (معـارف السيد دهخدا) . أما دهخدا نفسه فقد تحاشى اطلاق اسم ضخم كدائرة معارف أو انسيكلوپيدي واكتفى بتسمية الكتاب بكتاب اللغة (لغت نامه) مستمداً الاسم من معجم الأسدي ، أول قاموس موجود بالفارسية إذ جاء فيه :

« وقد طلب ولدي الحكيم الجليـل الأوحد اردشيـر بن ديلمسپار النجمي الشاعر ادام الله عزه مني أنا أبا منصور علي بن أحمد الأسدي الطوسي كتاب لغة يضم . . . » .

فأخذ دهخدا هذه التسميـة البسيطة واطلقهـا على كتـابه الكبيـر فأسمـاه (لغت نامه دهخدا) ، أي (كتاب لغة) دهخدا .

وشُغل إلى جانب تدوين لغت نامـه بتصحيح المتـون والكتب والأشعار التي كان يرجع إليها في تحضيـر عمله ، وكان يكتشف كـذلك اخـطاء في الكتب التي صححها علماء غربيون مدققون .

ويضم هـذا المعجم الضخم جميـع الكلمـات التي تحـويهـا كـل المعـاجم والقواميس العربية والفارسية الهامة ، وهي منقولة نقلاً في غاية من الدقة خشية أن تتكرر اخطاء المؤلفين السابقين . وبالاضافة إلى ذلك يشمل آلاف الكلمات والتراكيب والكنايات والأمثال المـأخوذة من بـطون الدواوين الشعـرية والكتب النثرية وسواها من مصنفات العلماء والأدباء الأقدمين والتي لا يوجد مثلها في أي من القواميس اللغوية الفارسية أو العربية ، وبذا يصبـح معجم (لغت نامـه) مفتـاحاً لحـل المعضلات الـواردة في المتون القـديمة ، وسيكـون دليل الـطلاب

والمحققين إلى السبيل الصحيح للاستفادة من منتجات الماضين ، ولتوضيح المصنفات التي يكثر فيها الغموض والتعقيد بسبب الخطأ في النسخ الناتج عن فقدان القواميس اللغوية الجامعة، ثم ان آلاف الكلمات التي كانت لا تزال مغلوطة ومنفرقة في العديد من الكتب المختلفة حتى اليوم اصبحت مصححة ومجموعة في مرجع واحد .

وهناك من ناحية ثانية كميات ضخمة من الكلمات التركية والمغولية والهندية والفرنسية والانكليزية والألمانية والروسية المتداولة في اللغة الفارسية والتي لم تذكر في أي من المعاجم اللغوية ، ولكنها مدونة في هذا السفر الضخم وموضوعة أمام المراجعين .

ان لمعجم لغت نامه ميزة هامة اخرى هي أنه يردف أكثر الكلمات بشواهد وأمثال شعرية أو نثرية مأخوذة من الكتب المعتبرة . هذه الشواهد عدا أنها تكون مستنداً للكلمة المدروسة فإنها تشرح المعنى الصحيح للكلمة في عبارات مختلفة وكيفية استعمالها في عدة صور بين مجازية وحقيقية . وقد روعي في مواضع الشك ان يرجع إلى أصح النسخ وأقدمها ومقابلتها مع سواها لتؤخذ اصح العبارات أو الأبيات الشعرية ، وقد ساعد هذا العمل على تصحيح متون الماضين أو ضبطها .

ومن فوائد معجم (لغت نامه) كذلك أنه يوجد مجموعة قواعد كاملة للصرف والنحو في اللغة الفارسية ، إذ من نواقص اللغة الفارسية المتداولة اليوم أن قواعد الصرف والنحو فيها ليست مأخوذة من خصائص اللغة نفسها أو مقتبسة من خلال كتابات القدامى ، بل هي في معظمها ترجمة أو تقليد لأساليب اللغات الاوروبيه أو قواعد الصرف والنحو العربية . ولئن كانت كتبت قواعد قليلة مستمدة من خصائص اللغة الفارسية نفسها ، فإنما هي إلباس ثوب جديد لمقدمات المعاجم القديمة أو التي وردت في علوم العروض والقوافي نظير (المعجم في معايير أشعار العجم) أو هي مقتبسة من مؤلفات بعض أفاضل الهند ، هذا ولا نكران أن الدراسات التي نشرها عدد من العلماء المعاصرين في هذا السبيل قيمة كلها مفيدة ، ولكن مصنفات فضلاء الهند لا يعتمد عليها ولا يطمأن إلى كفايتها ، كما هو الحال في (نهج الأدب) . والخلاصة أننا لا نملك في الوقت الحاضر كتاباً يجمع الشروط المتقدمة في الصرف والنحو الفارسيين، فحسنة معجم (لغت نامه) أنه أوجد قواعد مفصلة للصرف والنحو في اللغة الفارسية من خلال تفسيره للحروف المفردة .

ومما لا تنكر الحاجة إليه جمع الكلمات المتداولة اليوم في اللغة الفارسية في مصطلحاتها الحديثة مع ضبطها وذكر معانيها من حقيقي ومجازي . فالقواميس الفارسية التي كتبت حتى اليوم اهتمت بجمع الكلمات القديمة أو الحوشية غير المألوفة التي وردت في كتابات الماضين وأشعارهم ، ولما كانت هذه القواميس لا تلحظ خاصةَ اللغةِ الفارسية بتقبل الكلمات الغريبة فإنها تكتفي بذكر جذور الكلمات ومصادرها وتهمل عشرات الكلمات التي تُشتق من كلمة واحدة بزيادة الحروف السوابق Les préfixes أو اللواحق Les suffixes ، ولا تقدر ان كثيراً من الكلمات العربية أو الأجنبية الأخرى اتحدت مع أداة أو كلمة فارسية فاتخذت معنى جديداً وصارت تعد كلمة فارسية ، من قبيل ذلك : نصيحتگر ، ملامتگر ، نصيحت پذير ، نصيحتگو ، حقرو ، حقگو ، حقشناس ، ناحق ، حرف زدن ، مطالعه كردن ، غم خوردن ، طلبيدن ، غارتيدن وأمثالها من الكلمات المركبة التي لم يهملها قاموس لغت نامه بل أوردها مع شواهد .

وكذا ذكر الكثير من الكلمات المحلية في مختلف نواحي ايران ـ في حدود الامكان ـ مع شرحها .

ولمعجم دهخدا خاصة اخرى هي انه قد أولى اعلام الرجال والأماكن عناية وتحقيقات ودقة فأوجد ، بذلك لكل قسم من البطاقات (الفيش) دراسات ومراجع قيمة . وهنا يجب أن نذكر أن دهخدا قد أولى عظماء بلده عناية خاصة وعمل على تبيان الآثار الايرانية القديمة واظهار خصائصها البارزة . ومما يلاحظ أنه فصّل تراجم كثير من الشخصيات كما فعل في ترجمة أبي الريحان البيروني وأبي علي ابن سينا وأردشير واردوان وسواهم .

سيف الدولة الحمداني علي بن حمدان

يضاف الى ترجمته المنشورة في الصفحة ٢٦٩ من المجلد الثامن ما يلي :

حرص الإخشيديون أثناء ولايتهم على مصر على توطيد نفوذهم بولاية الشام التي تقلدوا حكمها ؛ فلما علم محمد بن طغج الإخشيد أن الخليفة العباسي الراضي قلد محمد بن رائق الخزرى هذه الولاية ، كتب إلى نائبه ببغداد يطلب إليه أن يخبر الخليفة بمطامع ابن رائق في الشام ويستطلع رأيه في هذا الامر . غير ان الخليفة العباسي لم يكن إذ ذاك لديه من النفوذ بحيث يستطيع أن يتخذ قرارا يلزم أحد الفريقين باتباعه ، لذلك استقر رأي الإخشيد على إعداد العدة لمحاربة محمد بن رائق ؛ فخرج على رأس جيشه في أوائل سنة ٣٢٨ هـ ، ودارت بينه وبين ابن رائق معركة في العريش ؛ فمضى ابن رائق منهزماً إلى الرملة ، ثم عقد الصلح بين الفريقين على أن يحكم ابن رائق الولايات الشامية شمالي الرملة وعلى أن يدفع الإخشيد إليه جزية سنوية قدرها مائة وأربعون ألف دينار . ومن المحتمل أن الإخشيد اضطر إلى قبول الصلح على هذه الصورة رغم ما أحرزه من نصر خشية أن تواصل الخلافة العباسية الحملات عليه ورغبة في إعداد نفسه لدرء الخطر الفاطمي الذي كان يهدده من ناحية حدود مصر الغربية .

استطاع الإخشيد أن يعيد بلاد الشام إلى حوزته من غير حرب بعد وفاة ابن رائق ، وبذلك استقر حكمه في هذه البلاد وأصبح من القوة بحيث استطاع أن يحصل على تقليد في بداية سنة ٣٣٣ هـ من الخليفة المتقي بولاية مصر وحق توريث إمارتها لأبنائه من بعده ، كما أخذ تقليداً من الخليفة المستكفي في جمادى الآخرة من هذه السنة ، أقره فيه على ولاية مصر والشام .

لم يحتفظ الإخشيد فترة طويلة بسلطانه على جميع بلاد الشام ويرجع السبب في ذلك إلى تطلع الحمدانيين[1] إلى انتزاع هذه البلاد من أيدي الإخشيديين ،

---

(١) ينسب الحمدانيون إلى حمدان بن حمدون من قبيلة تغلب وموطنها ديار ربيعة في الجزيرة بالقرب من سنجار ونصيبين ، وكان لحمدان ستة اولاد هم : إبراهيم والحسين ونصر أبو السرايا وأبو الهيجاء عبدالله ، وأبو العلاء سعيد ، وداود ، وقد ظهر نفوذ الحمدانيين في الموصل منذ أن تقلد ولايتها عبدالله بن حمدان من قبل الخليفة المكتفي سنة ٢٩٣ هـ ، (ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ١٧٥) . ولما ولي المقتدر الخلافة أقره والياً عليها ، فظل يلي أمورها حتى سنة ٣١٧ هـ حيث اشترك في المؤامرة التي دبرت لخلع المقتدر ، فكان مصيره القتل (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ح ٣ ص ٢٢٣) .

على أن الخليفة المقتدر رغم ذلك حرص على الاستعانة بالحمدانيين وعلى الأخص في إقليم الجزيرة لاعتقاده أنهم يستطيعون إخماد حركات القبائل المتنافرة بهذا الاقليم ، فأسند إلى الحسن بن

فلما أسندت ولاية حلب إلى أبي الفتح عثمان بن سعيد الكلابي حقد عليه أهل بيته من الكلابيين وراسلوا سيف الدولة بن حمدان ليسلموا إليه حلب . وكان سيف الدولة قد طلب من أخيه ناصر الدولة أن يوليه إحدى الولايات ، فقال له ناصر الدولة : الشام أمامك وما فيه أحد يمنعك منه . فلما وقف سيف الدولة على الخلاف القائم بين الكلابيين وأيقن من عجز أبي الفتح والي حلب عن مقاومته ، سار في جيشه الصغير قاصداً حلب ، فقابله إخوة أبي الفتح الكلابي عند نهر الفرات وأعلنوا ولاءهم له ، كما أن أبا الفتح نفسه ما لبث أن لقي سيف الدولة ودخل في طاعته ، وبذلك تيسر لسيف الدولة الاستيلاء على حلب وأصبح أميراً عليها منذ سنة ٣٣٣ هـ ، وبدأ عمله بإقامة الخطبة للخليفة العباسي المكتفي ولأخيه ناصر الدولة ولنفسه .

لما وصل إلى محمد بن طغج الإخشيد نبأ دخول سيف الدولة حلب وإقامته الخطبة للخليفة العباسي ، كتب إلى الخليفة بذلك ، فأرسل إليه وإلى ابنه أونوجور خلعا دليلاً على تأييده له . على أن سيف الدولة ما لبث أن كشف عن نواياه بعد أن استقرت له الأمور في حلب ، فسار إلى حمص يريد دمشق . ولما بلغ الإخشيد أن سيف الدولة عزم على بسط سلطانه على دمشق ، أرسل إلى الشام جيشاً التقى بسيف الدولة عند بلدة الرَّستن(١)، فكان النصر حليف الحمدانيين ، وتقهقر الجيش الإخشيدي إلى دمشق ، ثم خرج منها قاصداً الرملة في طريق عودته إلى مصر ، وسار سيف الدولة في أثر الجند المصريين يريد دمشق ، وكتب إلى أهلها كتاباً ، قرىء على منبر المسجد الأموي . وقد تضمن هذا الكتاب حرصه على صيانة أرواحهم والمحافظة على أموالهم .

استقر رأى محمد بن طغج الإخشيد بعد أن وصلته نسخة من كتاب سيف الدولة على ان يسير بنفسه لمحاربته ، فاستخلف على مصر ابنه أونوجور وسار على رأس جيش كبير إلى دمشق ، والتقى الفريقان في قِنّسرين . وكان النصر في البداية حليف سيف الدولة ، غير أن هذا النصر ما لبث أن انقلب إلى هزيمة ، فدخل الإخشيد حلب حاضرة الحمدانيين واسترد دمشق .

وعلى الرغم من انتصار الإخشيد ، فإنه رأى أن يصالح الحمدانيين ، وتم الصلح بين الأميرين في ربيع الأول سنة ٣٣٤ هـ ، على أن يكون لسيف الدولة حلب وما يليها من بلاد الشام شمالاً ، وأن يكون للاخشيد دمشق وأعمالها ، كما تضمن الصلح أن يدفع الإخشيد لسيف الدولة جزية سنوية .

ومن المرجح أن الإخشيد سعى إلى عقد الصلح مع سيف الدولة لانه كان يعتقد أن انتصاره عليه لم يكن حاسماً وأن الحرب بينهما ستظل قائمة إلى أن يتم النصر لسيف الدولة ، كما أنه كان على يقين من أن النزاع بينه وبين الحمدانيين على الشام سينتهي بانتصارهم عليه لأن هذا الإقليم يعد المجال الحيوي لاتساع سلطانهم ، وفضلا عن ذلك فإن الإخشيد كان يرمي من إبرام الصلح مع سيف الدولة على هذه الصورة أن يُبقي الدولة الحمدانية حصناً منيعاً بينه وبين البيزنطيين يكفيه مؤونة التعرض لهجومهم من وقت لآخر .

لما خلت دمشق من حامية قوية ترد غارة الحمدانيين على أثر وفاة محمد بن طغج الإخشيد وعودة جنده من الشام إلى مصر ، انتهز هذه الفرصة سيف الدولة الحمداني واتجه إليها بجيشه ، فسقطت في يده بعد أن استسلم إليه حاكمها الإخشيدي ، ولم يكتف بذلك ، بل عمد إلى مطالبة أهلها بودائع الإخشيد ، فكاتبوا كافوراً يستدعونه من مصر ، فجاءهم بصحبة سيده أونوجور ، ثم دار القتال بين الفريقين ، فكان النصر حليف المصريين وتقهقر سيف الدولة إلى دمشق فحمص حيث أعاد تنظيم صفوفه ، وجمع جيشاً كبيراً من الأعراب هاجم به الجنود المصرية شمالي دمشق ، فلحقت به الهزيمة وطارده الإخشيديون إلى حلب ، فهرب إلى الرَّقة ، ثم بدأت المفاوضات بين الحمدانيين والإخشيديين ، وانتهت إلى عقد معاهدة الصلح بنفس الشروط التي كانت بين الإخشيديين وسيف الدولة ما عدا الجزية ، فإن الإخشيديين لم يقبلوا دفعها وكان من نتائج هذا الصلح أن ساد الصفاء بين الحمدانيين والإخشيديين (انتهى) .

وننشر هنا كلمة للكاتب ابراهيم ونوس علق بها على كلمة لكاتب زعم أن جيش سيف الدولة كان خليطاً من عدة شعوب فكان م... ، صاحب المقال المعترض عليه :

ـ « أما الصورة الثالثة التي وددت أن أشير إليها من صور المحاربين في تاريخنا فهي صورة جيش الأمير سيف الدولة الحمداني الذي كان يقف رغم صغر امارته على الحدود بين الدولة الاسلامية والدولة البيزنطية وقفة شجاعة ، وان كانت تتكيء على جيش يغاير في تركيبه جيش القبائل في الجاهلية ، وجيش المسلمين في الفتوح . . فقد كان خليطاً من أقوام متعددة الجنسيات ، في عصر اقطاعي غرق في أسواق الرقيق الذي أفاد منها سيف الدولة ، فأنشأ ذلك الجيش الذي يصفه الشاعر المتنبي بقوله :

أتـوك يجـرون الحـديـد كـأنهم	سـروْا بجيـاد مـالهـن قـوائم
خميس بشرق الأرض والغرب زحفه	وفي أذن الجـوزاء منـه زمـازم
تجـمـع فيـه كـل لسـن وأمـة	فـما يفهم الحداث الا التـراجم

فرد عليه ابراهيم ونوس بهذه الكلمة وفيها وصف لاحدى معارك سيف الدولة :

والحقيقة التاريخية تخالف هذا القول تماماً ، فجيش سيف الدولة كان بغالبيته من أبناء أفخاذ بكر بن وائل ، عشيرته تغلب ، وشيبان وغيرهما ، وأبناء القبائل العربية الأخرى التي كانت تسكن بوادي ومدن شمال بلاد الشام ، كبني كلاب ، وقشير ، ونمير ، وبلعجلان وتنوخ وغيرهم . . وهذه القبائل كانت تسكن المناطق التي تمتد من الموصل ، وديار بكر شرقاً ، إلى أنطاكية واللاذقية غرباً ، و « من حدود بلاد الشام مع الدولة البيزنطية شمالاً ، حتى بوادي » سلمية » و « تدمر » و « حسياء » جنوباً . . وإذا وجد في جيشه بعض الغلمان والقادة من غير العرب ، فهم قلة لا يتجاوزون عدد أصابع اليدين ، ذكر لنا التاريخ أسماء بعضٍ منهم « يماك » و « قرعويه » و « نجا » . .

والشاعر أبو الطيب المتنبي لم يصف في الأبيات، التي أوردها كاتب المقال

عبدالله بن حمدان ولاية الموصل . وقد استطاع هذا الأمير أن يحتفظ بنفوذه في الموصل منذ سنة ٣١٧ هـ ، كما تمكن من بسط سلطانه على جميع أرجاء ديار بكر وديار ربيعة (ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٨ ص ٦٧ ، ٦٨) .

ولما استولى البريديون على بغداد ونهبوا دار الخلافة اضطر الخليفة المتقي إلى الهرب منها وسار مع فريق من جيشه إلى الموصل ، فقضى بها ما يقرب من أربعة أشهر ، ثم عاد إلى بغداد في شوال سنة ٣٣٠ هـ ، وعلا منذ ذلك الوقت شأن بني حمدان ، فخلع المتقي على الحسن بن عبدالله ولقبه ناصر الدولة كما خلع على أخيه علي بن عبدالله ولقبه سيف الدولة (مسكويه : تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ٢٨) .

(١) تقع على نهر العاصي الذي يمر بالقرب من حماه .

جيش الأمير سيف الدولة . . بل وصف بها جيش الروم الكبير الذي هزمه سيف الدولة شر هزيمة في معركة « الحدث الكبرى » عام ٣٤٣هـ . .

والحدث قلعة قديمة على حدود بلاد الشام مع الدولة البيزنطية ، خربها وأحرقها القائد البيزنطي « الدمستق فردس فقاس » سنة ٢٣٧هـ . فقرر الأمير سيف الدولة في ١٧ جمادى الثانية من عام ٣٤٣هـ ، احتلالها وإعادة ترميم حصونها وجدرانها ، كي يجعل منها قاعدة عسكرية متقدمة لقواته ، ويحرم العدو البيزنطي من الاستفادة منها في عملياته الحربية ، وفيما كان سيف الدولة منهمكاً مع قادته وجيشه وعماله في بناء حصون القلعة تقدم القائد البيزنطي نحو القلعة بجيش عرمرم من اليونان والبلغار والخزر والصقالبة والروس والأرمن ، زاد عن خمسين ألفاً بين فارس وراجل . . .

وعندما وصل الجيش البيزنطي إلى أرض المعركة ، أعطى القائد أوامره بمحاصرة قلعة الحدث . . فتم له هذا .

تم حصار الروم لجيش سيف الدولة في أصيل أحد أيام أواخر جمادى الثانية من عام ٣٤٣هـ ، وكان الأمير سيف الدولة قد علم مسبقاً ماذا سوف يفعل القائد الرومي ، وقد هيأ نفسه له ، فقرر أن يخوض معركته المريعة في صباح اليوم التالي . . فأمر وحدات الصدمة الرئيسية في جيشه أن تتهيأ خلال الليل ، وعددها حوالي خمسة عشر ألفاً بين فارس وراجل ، بقيادة ابن عمه الأمير أبي فراس الحمداني ومحمد وهبة الله ابني أخي سيف الدولة ، وناصر الدولة أمير مدينة الموصل في تلك المرحلة من التاريخ ، « ونجا » غلام سيف الدولة ، وأبقى الأمير سيف الدولة خمسة آلاف من خيالة البدو الخفيفة بإمرته لحسم المعركة في الوقت المناسب . .

مع بزوغ أول ضوء في سلخ جمادى الثانية ، تقدم أبو فراس بقوام جيشه وهاجم جيش الروم بعنف وضراوة ، ومن مكان لم يكن يتوقعه القائد البيزنطي ، وهو اتجاه حصن من حصون القلعة يسمى « الأحيدب » . . دارت معركة رهيبة جداً لم يذكر التاريخ لها مثيلاً في تلك الحقبة . . أبدى الأمير سيف الدولة حنكة ، وفنا قياديا عالي المستوى ، وتخطيطاً مدهشاً ، وشجاعة فائقة . . وبعد مرور بضع ساعات على بدء المعركة ، والروم يعتقدون أنهم الغالبون ، وفي الوقت المناسب الذي خطط له الأمير سيف الدولة . . بدأ هجومه السريع بخيالته الخفيفة من فرسان البدو المعروفين بخبراتهم القتالية العالية باتجاه قلب الجيش البيزنطي ، وشق طريقه بهم بين صفوف الجيش المعادي ، ومعه أبو الطيب المتنبي ، حتى وصل إلى مقر قيادة الجيش البيزنطي فلم ير أمامه سوى الفرار والنجاة من سيف الدولة . . ففر بسرعة ، وترك جيشه طعماً لسيوف جنود سيف الدولة . . وقبل غروب شمس ذلك اليوم ، كان جيش حلب يسيطر سيطرة كاملة على الموقف ، بعد إبادة جيش الروم بكامله تقريباً ، وقتل في هذه المعركة ابن الدمستق وصهره ، وابن عمه ، وزوج أخته . . وانتشرت جثث عشرات الآف من القتلى من جيش الروم فوق أرض المعركة . . فأهاج هذا المنظر المريع شاعرية أبي الطيب المتنبي ، فنظم قصيدته التي يصف فيها المعركة ذات المطلع :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

وأنشدها أمام الأمير سيف الدولة ، وجنده المنتصرين ، والعمال العرب يبنون آخر شرفة في قلعة الحدث . .

وفي هذه القصيدة يصف أبو الطيب الأمير سيف الدولة أثناء المعركة فيقول :

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم

ويصف أبو الطيب جيش الروم ، وليس كما ذكر كاتب المقال جيش سيف الدولة . . فيقول :

أتوك يجرون الحديد كأنهم سروا بجياد ما لهن قوائم

إذا برقوا لم تعرف البيض منهم ثيابهم من مثلها ، والعمائم

خميس بشرق الأرض والغرب زحفه وفي أذن الجوزاء منه زمازم

تجمع فيه كل لسن وأمة فما تفهم الحداث الا التراجم

قال أبو البقاء العكبري في شرحه للبيت الرابع من هذه الأبيات ما يلي :

ـ « المعنى : جعل الروم يبرقون لكثرة ما عليهم من الحديد ، والبريق اللمعان ، يفرق بين سيوفهم وبينهم ، لأن على رؤسهم البيض والمفاخر ، وثيابهم الدروع ، فهم كالسيوف ، وقد فسره بقوله : « من مثلها » . . أي مثل السيوف ، يريد من الحديد وأشار بهذا الوصف ، أعنى كثرة سلاح هذا الجيش إلى قوته ، وبما ذكره عن هذه الهيئة إلى شدته ، وسمعت بعضهم ، وكان شيخاً يقرأ عليه الديوان يقول : « أخطأ أبو الطيب ، كيف ذكر العمائم ، والعمائم للعرب . . وليست للروم ، فكيف جعلها للروم ؟ » فضحكت من قوله ، وقلت له : « الضمير في « مثلها» إلى أين يعود ؟ أليس إلى البيض وهي السيوف ؟ فلم يدر ما قلت » .

وبذا يتبين لنا أن أبا الطيب المتنبي في الأبيات التي أوردها الكاتب في مقاله ، يصف فيها جيش الروم ، وليس جيش سيف الدولة ، فجيش سيف الدولة كانت وحداته متجانسة تماماً ـ كما قلت سابقاً ـ ويجمع بين الصورة الأولى التي رسمها الكاتب للمحاربين العرب في العصر الجاهلي ، لأن جيش سيف الدولة بمعظمه كان من أفخاذ قبيلة بكر بن وائل ، والصورة الثانية للمحاربين المسلمين الأوائل ، الذين كانوا يقاتلون لهدف سام ، وتأدية رسالة عظيمة خالدة هي رسالة الاسلام .

علي بن عبد الله بن العباس جد السفاح والمنصور

توفي سنة ١١٤ وقيل ١١٩ وقيل ١١٨.

قال اليافعي: كان سيداً شريفاً بليغاً، وكان أصغر أولاد أبيه وأجمل قرشي على وجه الأرض واوسمه وأكثره صلاة وكان يدعى السجاد لذلك.

وروي أنه لما ولد أتى علي بن أبي طالب عليه السلام إلى أبيه فهناه وقال: شكرت الواهب وبورك في الموهوب ، ما سميته ؟ قال : أو يجوز لي أن أسميه حتى تسميه ، فأمر به وأخرج إليه فحنكه ودعا له ثم رده إليه وقال خذ إليك أبا الأملاك ، وقد سميته علياً وكنيته أبا الحسن ، فلما كان زمن ولاية معاوية قال ليس لكم اسمه وكنيته وقد كنيته أبا محمد فجرى عليه ، هكذا قال المبرد .

وقال الحافظ أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء : لما قدم على عبد الملك بن مروان قال له : غير اسمك وكنيتك فلا صبر لي عليهما ، فقال :

أما الإسم فلا وأما الكنية فأكنى بأبي محمد ، فغير كنيته . قيل وإنما قال عبد الملك هذه المقالة لبغضه في علي بن أبي طالب ، إذ اسمه وكنيته كذلك .

وذكر الطبري في تاريخه أنه دخل على عبد الملك بن مروان فأكرمه وأجلسه على سريره وسأله عن كنيته فأخبره ، فقال لا يجمع في عسكري هذا الاسم وهذه الكنية لأحد ، وسأله هل له من ولد فأخبره بولده محمد وكناه أبا محمد .

على أن الواقدي يقول : ولد أبو محمد يعني علي بن عبدالله المذكور في الليلة التي قتل فيها علي بن أبي طالب .

وقال المبرد : ضرب علي المذكور بالسياط مرتين ، كلتاهما ضربه الوليد بن عبد الملك، أحدهما في تزوجه لبابة بنت عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ، وكانت عند عبد الملك فعض تفاحة ثم رمى بها إليها وكان أبخر فدعت بسكين ، فقال ما تصنعين بها ؟ فقالت أميط عنها الأذى فطلقها وتزوجها علي بن عبدالله المذكور فضربه الوليد وقال إنما يتزوج بأمهات الخلفاء ليضع منهم ، إن مروان بن الحكم إنما تزوج بأم خالد بن يزيد بن معاوية ليضع منه ، فقال علي بن عبدالله إنما أرادت الخروج من هذا البلد وأنا ابن عمها فتزوجتها لأكون لها محرماً .

وأما ضربه إياه في المرة الثانية ، فقد حدث محمد بن شجاع بإسناد متصل ، قال : رأيت علي بن عبدالله مضروباً بالسوط يدار به على بعير ووجهه مما يلي ذنب البعير وصائح يصيح : هذا علي بن عبدالله الكذاب (إلى آخر ما قال . . .) .

وكان عظيم المحل عند أهل الحجاز حتى روي أنه كان إذا قدم مكة حاجاً أو معتمراً عطلت قريش مجالسها في المسجد الحرام وهجرت مواضع حلقها ولزمت مجلسه إعظاماً وإجلالاً وتبجيلاً ، فإن قعد قعدوا وإن نهض نهضوا وإن مشى مشوا جميعاً حوله حتى يخرج من الحرم . وكان طويلاً جسيماً ذا لحية طويلة وقدم عظيم جداً لا يوجد له نعل ولا خف حتى يستعمله . مفرطاً في طوله ، إذا طاف كأنما الناس حوله مشاة وهو راكب .

الشيخ علي البحراني بن لطف الله

توفي سنة ١٠٩٩ من ادباء البحرين ، من شعره ما قاله متشوقاً الى وطنه وأخوانه :

يا نسيم الريح أن جئت المقاما ... فابلغن عني احباي السلاما

بلغيهم قبل ما ان تحملي ... من هداها الروض شيحاً وخزامى

سفر قد صار من أهواله ... فيه كل المستحبات حراما

طال حتى ملت الروح به ... الجسم والقلب به حل المقاما

ولقد صليت نحو الشرق والغر ... ب في السير ولن اخشى الاثاما

ولعمري جاز من تطويله ... لو به صمنا وصلينا تماما

فكأني صار قصد السدلي ... مثل ذي القرنين في السير مراما

غربة قد عرف القلب بها ... ربه من بعد ما عنه تعامى

وقال في (أنوار البدرين) : الظاهر أنه هو صاحب المسائل التي أجاب عنها الشيخ أحمد بن عصفور والد الشيخ يوسف في العطارة والتجارة . والظاهر أنه من أهل حد حفص من البحرين والله العالم .

الملا علي النوري المازندراني الأصفهاني منشأ ومسكنا

توفي سنة ١٢٤٧ .

ذكر اسمه وتاريخ وفاته في الصفحة ٣٦٨ من المجلد الثامن ولم تذكر ترجمته فقد سقطت خلال الطباعة ، واختلطت ترجمته مع ترجمة الذي يليه (علي بن هرون) الذي سقطت ترجمته هو الآخر ، وبقي منها مقطوعتان شعريتان . لذلك نذكر هنا ترجمة الأول ، ثم نتبعها بترجمة الثاني .

أما ترجمة الأول فهي :

انتقل في أوان الطلب من وطنه إلى اصفهان وانصرف فيها الى درس الفلسفة ، اخذ فنونها أخذاً عن فلاسفة عصره إلى أن صار إماماً في هذا الشأن وصارت الرحلة إلى اصفهان بسببه . اخذ عنه جماعة من الفلاسفة منهم السبزواري .

صنف حاشية على شرح الارشادات ولما مات نقل إلى النجف .

أما ترجمة الثاني فهي :

أبو الحسن علي بن هرون بن علي بن يحيى بن ابي منصور المنجم في معجم الشعراء للمرزباني : من بيت الأدب ومعدنه ومعاني الشعر وموطنه وهو القائل :

السيد علي ابن السيد ابراهيم آل شبانة .

قال في (انوار البدرين) عنه فيما قال نقلاً عن ولده صاحب تتمة الأمل :

شاعر في زمانه ورئيس هذه الصناعة في وقته وأوانه اخذ عن الفضلاء ولازم الادباء حتى صار لأهل هذه الصناعة سيداً واماما ولكن حوادث الأهوال الواقعة على (اوال) قد فرقت ما نظم واذهبت منه الجزء الاعظم واني وقت اشتغاله بالعلوم والآداب لم اخرج من الاصلاب فلما منّ الله عليّ بالابراز من العدم الى الوجود والهمني شيئاً من معرفة هذه الصناعة تتبعت أشعاره واستقفيت لأثاره فلم اعثر بعد تتبع كثير إلا على شيء يسير فمنه قوله :

ضاق النطاق واحكمت حلقاتها ... فالنفس لا تختار طول حياتها

بلغ الزباسيل الهموم ولا ارى ... من يزجر الايام عن نكباتها

فلذاك خاطبت الزمان واهله ... بشكاية الشعراء في ابياتها

قد قلت للزمن المضر بأهله ... ومقلب الدولات عن حالاتها

ان كان عندك يا زمان بقية ... مما تهين به الكرام فهاتها

وله من قصيدة :

أن تقعد العيس بي من دون حيهم ... أو يعترين من طول المسير حفا

فلا رعين الكلى غضاً ولا وردت ... من الموارد إلا مورداً خسفا

بلى إذا قعدت بي في منازلهم ... وقمت اسحب اذيال الهنا شغفا

فلا ذوى لهم فزع ولا برحت ... تسقي السما طرفا إن امحلت طرفا

وقوله وهو يومئذ بمدينة شيراز :

يا بارقا في افقه متعرضا ... إن جزت يوما بالمنامات

ومنها :

والى أوال تروع قلبي كلما ... سرت الصبا من تلكم الساحات

والى نواحي أرضها وربوعها ... ولما بها قد مر من اوقات

وعراصها الفيح التي قد طرزت ... اطرافها ببواسق النخلات
وعلى عشيات حسوت مكررا ... فيها كؤوس الوصل في الخلوات
من كل شهدي المذاق تديره ... من ريقها وردية الوجنات
حوراء فاترة اللحاظ كأنما ... رضوان ابرزها من الجنات
عذراء ناحلة الوشاح بطيئة ... الحركات آرامية اللفتات
أن حدثتك ارتك عند حديثها ... درراً ولكن غير منتظمات
فإذا هي ابتسمت ارتك بثغرها ... في السلك در الحب ملتئمات
هي روضة العشاق إلا انها ... تصمي القلوب باسهم اللحظات

السيد علي البهبهاني

ولد سنة ١٣٠٤ في مدينة بهبهان وتوفي فيها سنة ١٤٠٠

درس المقدمات في ايران وفي سنة ١٣٢٢ سافر إلى النجف الأشرف فحضر درس الآخوند الخراساني وبعد وفاته حضر على شيخ الشريعة الأصفهاني وغيره . ثم عاد إلى ايران فأقام بضعة شهور في رامهرمز ، ثم عاد إلى كربلا فبقي فيها سنتين ومنها انتقل إلى النجف ثم عاد إلى رامهرمز . واخيراً قسم وقته بين اصفهان ومنطقة خوزستان فكان يقيم في الصيف إلى انقضاء ستة اشهر في اصفهان وفي الشتاء إلى انقضاء ستة اشهر متنقلاً بين رامهرمز وعبادان والأهواز .

وفي أصفهان كان يلقي الدروس في الفقه والأصول في مدرسة الصدر ، ويقيم الجماعة ظهراً في مسجد الامام وعشاء في مسجد السيد .

ترك من المؤلفات : مصباح الهداية في إثبات الإمامة ، شرح وحاشية على العروة الوثقى ، كشف الأستار في الحديث ، أساس علم النحو ، بحث الألفاظ ، بحث الاشتقاق ، القواعد الكلية ، الفوائد الثماني عشرة وغير ذلك .

السيد علي خان الشيرازي

مرت ترجمته في المجلد الثامن الصفحة ١٥٢ وذكر فيها أبيات من قصيدته الرائية وأبيات من قصيدته السينية، وقد وجدنا بعد ذلك منهما ما يزيد عما هو منشور وهو مدح أمير المؤمنين عليه السلام من القصيدة الرائية وبقية القصيدة السينية، كما وجدنا أبياتاً غير القصيدتين، وهو ما نأخذه فيما يلي:

هيهات يأبى الغدر لي نسب ... أعزى به لعلي الطهر
خير الورى بعد الرسول ومن ... حاز العلى بجامع الفخر
صنو النبي وزوج بضعته ... وأمينه في السر والجهر
إن تنكر الأعداء رتبته ... شهدت بها الآيات في الذكر
شكرت (حنين) له مساعيه ... فيها وفي (أحد) وفي (بدر)
سل عنه (خيبر) يوم نازلها ... تنبيك عن خبر وعن خبر
من هد منها بابها بيد ... ورمى بها في مهمه قفر
والطير إذ يدعو النبي له ... من جاءه يسعى بلا نذر
وفراش أحمد حين هم به ... جمع الطغاة وعصبة الكفر
من بات فيه يقيه محتسباً ... من غير ما خوف ولا ذعر
والكعبة الغراء حين رمى ... من فوقها الأصنام بالكسر
من راح يرفعه ليصدعها ... خير الورى منه على الظهر
والناكثين غداة أمهم ... من رد أمهم بلا نكر
والقاسطين وقد أضلهم ... غي ابن هند وخدنه عمرو
من فل جيشهم على مضض ... حتى لجوا بخدايع المكر
والمارقين من استباحهم ... قتلاً فلم يفلت سوى عشر
و (غدير خم) وهو أعظمها ... من نال فيه ولاية الأمر
واذكر مباهلة النبي به ... وبزوجه وابنيه للنفر
واقرأ (وأنفسنا وأنفسكم)[1] ... فكفى بها فخراً مدى الدهر
هذي المفاخر والمكارم لا ... قعبان من لبن ولا خمر

وله أيضاً في مدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام :

أمير المؤمنين فدتك نفسي ... لنا من شأنك العجب العجاب
تولاك الأولى سعدوا ففازوا ... وناواك الذين شقوا فخابوا
خفيت عن العيون وأنت شمس ... سمت عن أن يجللها سحاب
وليس على الصباح إذا تجلى ... ولم يبصره أعمى العين عاب
لسر ما دعاك أبا تراب ... محمد النبي المستطاب
فكان لكل من هو من تراب ... إليك وأنت علته انتساب
وفيك وفي ولائك يوم حشر ... يعاقب من يعاقب أو يثاب
فوا عجباً لمن ناواك قدماً ... ومن قوم لدعوتهم أجابوا
أزاغوا عن صراط الحق عمداً ... فضلوا عنك أم خفي الصواب
أم ارتابوا بما لا ريب فيه ... وهل في الحق إذ صدع ارتياب
وهل لسواك بعد (غدير خم) ... نصيب في الخلافة أو نصاب
ألم يجعلك مولاهم فذلت ... على رغم هناك لك الرقاب
لئن جحدوك حقك عن شقاء ... فبالأشقين ما حل العقاب
فكم سفهت عليك حلوم قوم ... فكنت البدر تنبحه الكلاب

وقال لما زار النجف الأشرف في طريقه إلى حج بيت الله الحرام:

يا صاح هذا المشهد الأقدس ... قرت به الأعين والأنفس
و (النجف الأشرف) بانت لنا ... أعلامه والمعهد الأنفس
والقبة البيضاء قد أشرقت ... ينجاب عن لألائها الحندس
حضرة قدس لم ينل فضلها ... لا المسجد الأقصى ولا المقدس
حلت بمن حل بها رتبة ... يقصر عنها الفلك الأطلس
تود لو كانت حصى أرضها ... شهب الدجى والكنس الخنس[2]
وتحسد الأقدام منا على ... السعي إلى أعتابها الأرؤس
فقف بها والثم ثرى تربها ... فهي المقام الأطهر الأقدس
وقل صلاة وسلام على ... من طاب منه الأصل والمغرس
خليفة الله العظيم الذي ... من ضوئه نور الهدى يقبس
نفس النبي المصطفى أحمد ... وصنوه والسيد الأرأس

---

(١) سورة آل عمران، آية (٦١).

(٢) الكنس الخنس: هي النجوم كلها. والسيارات منها.

العلم العيلم بحر الندى وبره والعالم النقرس[١]
فليلنا من نوره مقمر ويومنا من ضوئه مشمس
أقسم بالله وآياته إليه تنجي ولا تغمس
إن علي بن أبي طالب منار دين الله لا يطمس
ومن حباه الله أنباء ما في كتبه فهو لها فهرس
هذا أمير المؤمنين الذي شرايع الله به تحرس
وحجة الله التي نورها كالصبح لا يخفى ولا يلبس
تالله لا يجحدها جاحد إلا امرؤ في غيه مركس
والمقحم الخيل وطيس الوغى إذا تناهى البطل الأحرس
جلبابه يوم الفخار التقى لا الطيلسان الخز والبرنس
يرفل من تقواه في حلة يحسدها الديباج والسندس
يا خيرة الله الذي خيره يشكره الناطق والأخرس
عبدك قد أمك مستوحشاً من ذنبه للعفو يستأنس
يطوي إليك البحر والبر لا يوحشه شيء ولا يؤنس
طوراً على فلك به سابح وتارة تسري به عرمس[٢]
في كل هيماء يرى شوكها كأنه الريحان والنرجس
حتى أتى بابك مستبشراً ومن أتى بابك لا ييأس
أدعوك يا مولى الورى موقناً أن دعائي عنك لا يحبس
فنجني من خطب دهر غدا للجسم مني أبداً ينهس[٣]
هذا ولولا أملي فيك لم يقر بي مثوى ولا مجلس
صلى عليك الله من سيد مولاه في الدارين لا يوكس[٤]
ما غردت ورقاء في روضة وما زهت أغصانها الميس

علي بن الحسن الملقب شميم الحلي

مرت ترجمته في المجلد الثامن الصفحة ١٨٢ ونزيد عليها هنا ما يلي :

قال عنه ابن خلكان : كان اديباً فاضلاً خبيراً بالنحو واللغة وأشعار العرب ، حسن الشعر ، وكان اشتغاله ببغداد على ابي محمد بن الخشاب ومن في طبقته من ادباء ذلك الوقت ، ثم سافر إلى ديار بكر والشام ، ومدح الأكابر وأخذ جوائزهم واستوطن الموصل وله عدة تصانيف . كان جم الفضائل إلاّ أنه كان بذيء اللسان كثير الوقوع في الناس ولا يثبت لاحد من الفضل شيئاً . ذكره ابو البركات ابن المستوفي في تاريخ اربل، وفتح ذكره باشياء نسبها إليه من قلة التدين ومعارضة القرآن . اهـ .

نقول : من المؤسف اسراع هؤلاء إلى الوقيعة بالناس دون تحرج ولا تأثم ! .

(١) النقرس: بكسر النون ثم القاف الساكنة بعدها الراء المكسورة ثم السين المهملة، هو الطبيب الماهر المدقق.

(٢) العرمس: بكسر العين المهملة، الناقة الصلبة الشديد.

(٣) نهس: أخذ بمقدم أسنانه: نهست الحية. نهشت. نهس الكلب: قبض بالفم.

(٤) وكس: نقص. ووكس وأوكس: خسر.

وقال عنه ياقوت في معجم الأدباء : هو من أهل الحلة المزيدية قدم بغداد وبها تأدب ثم توجه تلقاء الموصل والشام وديار بكر وأظنه ، قرأ على ابي نزار ملك النحاة . وكنت وردت إلى آمد في شهور سنة ٥٩٤ فرأيت أهلها مطبقين على وصف هذا الشيخ فقصدته إلى مسجد الخضر ودخلت عليه فوجدته شيخاً كبيراً في حجرة من المسجد وبين يديه (جامدان) مملوء كتباً من تصانيفه فحسب ، فسلمت عليه وجلست بين يديه ، فأقبل عليّ وقال من أين؟ قلت من بغداد ، فهش بي وأقبل يسألني عنها وأخبره . ثم قلت انما جئت لاقتبس من علوم المولى شيئاً ، فقال لي : واي علم تحب؟ قلت احب علوم الأدب ، فقال ان تصانيفي في الأدب كثيرة ، وذلك ان الأوائل جمعوا اقوال غيرهم واشعارهم وبوبوها وأنا كل ما عندي من نتائج افكاري وكنت كلما رأيت الناس مجمعين على استحسان كتاب في نوع من الأدب استعملت فكري وانشأت من جنسه ما ادحض به المتقدم ، فمن ذلك أن ابا تمام جمع اشعار العرب في حماسته وانا عملت حماسة من اشعاري ، ثم رأيت الناس مجمعين على تفضيل أبي نؤاس في وصف الخمر فعملت كتاب الخمريات من شعري ، لو عاش ابو نواس لاستحى ان يذكر شعر نفسه لو سمعها ورأيت الناس مجمعين على خطب ابن نباته فصنفت كتاب الخطب . قلت له : انشدني شيئاً مما قلت فابتدأ وقرأ عليّ خطبة كتاب الخمريات ، ثم انشدني من هذا الكتاب :

امزج بمسبوك اللجين ذهباً حكت. دموع عيني
لما نعى ناعي الفراق بين من اهوى وبيني
كانت ولم يقدر لشيء قبلها ايجاب كوني
واحالها التشبيه لما شبهت بدم الحسين
خففت لها شمسان من لألائها في الخافقين
وبدت لنا في كأسها من لونها في حلتين
فاعجب هداك الله من كون اتفاق الضرتين
في ليلة بدأ السرور بها يطالبنا بدين
ومضى طليق الراح من قد كان مغلول اليدين
في زينة الأحياء في الدنيا وزينة كل زين

وسألته أن ينشدني شيئاً آخر فقال لي قد صنفت كتاباً سميته : انيس الجليس في التجنيس في مدح صلاح الدين فانا انشدك منه ، انشدني لنفسه :

ليت من طول بالشام نواه وثوى به
جعل العود إلى الزو راء من بعض ثوابه
اترى يوطئني الدهر ثرى مسك ترابه
واري اي نور عيني موطئا لي وترى به

وانشدني غير ذلك مما ضاع مني اصله . ثم سألته عمن تقدم من العلماء فلم يحسن الثناء على أحد منهم ، فلما ذكرت له المعري نهرني وقال لي : ويلك كم تسيء الأدب بين يدي من ذلك الكلب الأعمى حتى يذكر في مجلسي . فقلت يا مولانا ما اراك ترضى عن أحد ممن تقدم ، فقال كيف أرضى عنهم وليس لهم ما يرضيني . قلت فما فيهم أحد قط جاء بما يرضيك؟ فقال : لا اعلمه الا أن يكون المتنبي في مديحه خاصة ، وابن نباتة في خطبه ، وابن الحريري في مقاماته .

ثم قال ياقوت : حدثني الآمدي الفقيه فأبلغني أنه لما قدم من بغداد إلى

الموصل انثال عليه الناس يزورونه ، واراد نقيب الموصل وهو ذو الجلالة المشهورة زيارته فقيل له أنه لا يعبأ بأحد ولا يقوم لزائر ابداً ، فجاءه رجل وعرفه ما يجب من احترام النقيب لحسبه ونسبه وعلو منزلته من الملوك فلم يرد جوابا ، وجاءه النقيب ودخل وجرى على عادته من ترك الاحتفال به ولم يقم عن مجلسه ، فجلس النقيب ساعة ثم انصرف مغضباً، فعاتبه الرجل الذي اشار عليه باكرامه فلم يرد عليه جواباً،فلما كان من الغد جاءه وفي يد الحلي كسرة خبز يابسة وهو يعض من جانبها ويأكل ، فلما دخل الرجل عليه قال له : يا رقيع من يقنع من الدنيا بهذه الكسرة اليابسة لأي معنى يذل للناس مع غناه عنهم واحتياجهم إليه .

ثم ذكر ياقوت نماذج من نظمه وعدله من المصنفات ما ينيف على أربعين كتابا منها : الحماسة من نظمه . مناح المنى في ايضاح الكنى . انيس الجليس . التعازي في المرازي . انواع الرقاع في الأسجاع . الأماني في التهاني . المخترع في شرح اللمع . المحتسب في شرح الخطب . المهتصر في شرح المختصر . رسائل لزوم ما لا يلزم . كتاب خلق الأدمي . المنايح في المدايح . الخطب الناصرية . شعر الصبا . مناقب الحكم في مثالب الأمم . اللماسة في شرح الحماسة . المناجاة .

قال ابن خلكان : توفي ليلة الأربعاء الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٦٠١ بالموصل ودفن بمقبرة المعافى بن عمران . وقال ياقوت : مات بالموصل عن سن عالية .

علي بن علي بن حمدون

ابو الحسن بن أبي القاسم الكاتب من أهل الحلة السيفية .

قال عنه صاحب كتاب (انسان العيون في مشاهير سادس القرون)[1] تصرف في الأعمال الديوانية ، وكان فاضلاً اديباً مدح الأكابر وسافر الى الشام ، وكان غاليا في التشيع مبالغاً في الرفض خبيث العقيدة مجاهراً بتكفير الصحابة !!.

نقول : يكفي في الرجل أن ينسب الى التشيع لتنهال عليه التهم الباطلة ثم أورد له قصيدة منها :

اصف السيد الذي يعجز الوا ... صف عن عد فضله في السنين
خاصف النعل خائض الدم في بد ... ر واحد والفتح خوض السفين
والقضايا التي بها حصل التمييز ... بين المفروض والمسنون
سل براءة عمن تولت وفكر ... ان طلبت النجاة فكر ضنين
ان في مرحب وخيبر والباب ... بلاغا لكل عقل رصين
وكفى فتح مكة لمن استيقظ ... او نال رشده بعد حين
حين ولى النبي رايته سعد ... المفدى من قومه بالعيون
فرأى ان عزله بعلي ... هو احمى لمجده من افون

توفي على عهد الخليفة الناصر .

علي بن عبد القادر المراغي

قال الشيخ عبد القادر بدران في كتابه (منادمة الأطلال) وهو يتحدث عن (خانقاه السميساطية) في دمشق وعن مشاهير صوفييها، وذكر منهم المترجم، ما يأتي :

علي بن عبد القادر المراغي ثم الدمشقي الصوفي المعتزلي . قال ابن حجي : كان فاضلاً في العلوم العقلية ويعرف العربية ويقريء (المنهاج) وفي الأصول، وكان بارعاً في الطب ويدري النجوم وما يتعلق بها، ويقرىء (الكشاف)، وكان معتزلياً وينسب إلى التشيع والرفض، وكان أولاً صوفياً بالسميساطية، فقام جماعة وشهدوا عليه بالإعتزال، وأخرجوه ورفعوه إلى الحاكم فعزره واستتابه، ثم قدره بخانقاه خاتون فنزل بها إلى أن مات . وحصل له استيحاش من الفقهاء، وربما كان يقرأ عليه من يأنس به . أخذ عنه التقي ابن مفلح، والتقي ابن حجي، توفي سنة ثمان وثمانين وسبعمائة . (انتهى)

ووصفه بالمعتزلي هو ما اعتادوه في وصف كثير من أعلام الشيعة بالإعتزال، لاتفاق الشيعة مع المعتزلة في بعض الأمور، وإلا فأين الإعتزال من التشيع .

ملا علي الهمذاني

ولد سنة ١٣١٣ في قرية من قرى همذان وتوفي سنة ١٤٠١ في همذان درس على علماء همذان ثم على علماء طهران ، ثم انتقل إلى قم فتابع دراسته فيها على الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي . ثم استقر في همذان حتى وفاته .

له من المؤلفات : الاجتهاد والتقليد ، الاحباط والتكفير ، حاشية على العروة الوثقى ، رسالة في حالات أبي بصير ، رسالة في علم الكلام ، قاعدة لا ضرر وغيرها .

الميرزا علي خاموش الميبدي

ولد سنة ١٢٨٧ في ميبد (ايران) وتوفي سنة ١٣٧٩ في النجف الأشرف .

هاجر والده إلى كربلا فكان معه طفلاً فنشأ ودرس فيها وبدأ ينظم الشعر الفارسي متخلصاً (بخاموش) فلقب بذلك . وفي حدود سنة ١٣٠٩ انتقل إلى النجف الأشرف موظفاً في القنصلية الايرانية ، فنظم الكثير من الشعر الفارسي في امير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام بلغ فيه حداً ملحمياً .

له : ١ ـ ديوان شعر فارسي في ثلاثة مجلدات . ٢ ـ مدائح المعصومين . ٣ ـ الغزليات ٤ ـ الرباعيات . ٥ ـ تقليد وطهارت وهي نظم فارسي لمسائل التقليد وأحكام الطهارة من كتاب (مجمع المسائل) الفارسي . ٦ ـ خلافت نامه امام حسن . في ثمانية عشر ألف بيت . ٧ ـ خلافت نامه حيدري . في خمسة واربعين الف بيت ٨ ـ شهنشاه نامه حسيني . في أكثر من ستين ألف بيت . ٩ ـ مختار نامه . ١٠ ـ المثنويات . ١١ ـ كتاب الرضا عليه السلام ١٢ ـ كتاب زينب عليها السلام وغير ذلك وكلها باللغة الفارسية بقيت بعده عند ولده .

الشيخ علي الخياباني ابن عبد العظيم

ولد في تبريز سنة ١٢٨٢ وتوفي سنة ١٣٦٦ من مشاهير وعاظ ايران وخطباء المنبر الحسيني فيها . له : (منتخب المقاصد ومنتجب الفوائد) في تسعة مجلدات على نسق الكشكول. وله : (وقائع الايام) فيما يخص شهور رجب وشعبان ورمضان ومحرم . وله . (تحفة الأحباء في شرح قصيدة سيد الشعراء) وهي القصيدة العينية للسيد الحميري . وله : (علماء معاصرون) بالفارسية

---

(١) توجد نسخة خطية مصورة من هذا الكتاب في مكتبة الآثار العراقية .

اشتمل على مائة وخمس وتسعين ترجمة .

عبدالله بن الحر الجعفي ، وبعضهم ذكره باسم عبيد الله

مرت له ابيات في الصفحة ٥٠ من المجلد الثامن ونذكر هنا ما يلي :

لما وصل الحسين عليه السلام إلى قصر بني مقاتل فسطاطاً مضروباً ، فقال لمن هذا الفسطاط ، فقيل لعبد الله بن الحر الجعفي ، فارسل إليه الحسين رجلاً من عشيرته يقال له الحجاج بن مسروق ، فأقبل فسلم عليه ، فرد عليه السلام ثم قال : ما وراءك ؟ فقال ورائي يا ابن الحر لك الخير ، ان الله قد أهدى إليك كرامة ان قبلتها . فقال وما تلك الكرامة ؟ فقال : هذا الحسين بن علي يدعوك إلى نصرته فإن أنت قاتلت بين يديه اجرت ، وإن قتلت بين يديه استشهدت . فقال عبدالله : والله يا حجاج ما خرجت من الكوفة إلا مخافة أن يدخلها الحسين وأنا فيها فلا انصرنه لأنه ليس له بالكوفة شيعة ولا أنصار إلا مالوا إلى الدنيا إلا من عصمه الله منهم فارجع إليه فأخبره بذلك . فجاء الحجاج واخبر الحسين عليه السلام . فمشى الحسين حتى دخل على ابن الحر ، فلما رآه قد دخل وسلم ، وثب عبد الله وتنحى عن صدر مجلسه وقبل يديه . فجلس الحسين ثم قال : يا ابن الحر ما يمنعك أن تخرج معي . قال : احب أن تعفيني من الخروج معك يا ابن رسول الله ، وهذه فرسي المحلق فاركبها فوالله ما طلبت عليها شيئاً الا ادركته وما طلبني الا فته ، وادلاء من اصحابي حتى تلحق بأمنك ، وأنا ضمين لك بعيالاتك أؤديهم إليك أو أموت أنا وأصحابي دونهم . فأعرض عنه الحسين عليه السلام وقال : لا حاجة لنا فيك ولا في فرسك . ثم تلا قوله تعالى : ﴿ وما كنت متخذ المضلين عضدا ﴾ . ثم قال الحسين عليه السلام أهذه نصيحة منك لي ؟ قال : نعم . فقال الحسين : سأنصحك كما نصحتني : مهما استطعت أن لا تسمع واعيتنا ، فوالله لا يسمع اليوم واعيتنا احد ثم لا يعيننا إلا أكبه الله على منخريه في النار .

فتركه الحسين عليه السلام ورحل عنه ، حتى إذا كانت واقعة الطف وقتل الحسين عليه السلام تداخله الندم وصار يظهر عليه ذلك في أشعاره ، فمن ذلك قوله :

فيا لك حسرة ما دمت حيا ... تردد بين حلقي والتراقي
حسين حين يطلب بذل نصري ... على أهل الضلالة والنفاق
غداة يقول لي بالقصر قولا ... اتتركنا وتزمع بالفراق
ولو اني أواسيه بنفسي ... لنلت كرامة يوم التلاقي
مع ابن المصطفى روحي فداه ... تولى ثم ودع بانطلاق
فلو فلق التلهف قلب حي ... لهمّ اليوم قلبي بانفلاق
فقد فاز الأولى نصروا حسينا ... وخاب الآخرون أولي النفاق

وذكر ابن الأثير ان عبدالله بن الحر الجعفي تغيب عن الكوفة ، وبعد مقتل الحسين صار ابن زياد يتفقد الأشراف من أهل الكوفة فلم ير عبدالله بن الحر ، ثم جاءه بعد أيام حتى دخل عليه . فقال له : أين كنت يا ابن الحر ؟ قال : كنت مريضاً ، قال : مريض القلب أم مريض البدن . فقال : أما قلبي فلم يمرض وأما بدني فقد منّ الله عليّ بالعافية . فقال ابن زياد : كذبت ولكنك كنت مع عدونا . فقال : لو كنت معه لرئي مكاني ، وغفل عنه ابن زياد ، فخرج وركب فرسه ، ثم طلبه ابن زياد فقالوا ركب فرسه الساعة . فقال عليّ به ، فاحضر الشرطة خلفه ، فقالوا : أجب الأمير ، فقال ابلغوه اني لا آتي إليه طائعاً ابداً ، ثم اجرى فرسه حتى اتى كربلاء فنظر إلى مصارع الحسين عليه السلام ومن قتل معه وإلى قبورهم فاستغفر لهم ، ثم مضى إلى المدائن فقال : (الأبيات المنشورة في المجلد الثامن) .

وقال في كتاب (الاعلام) عن موته : وكان معه ثلاثمائة مقاتل واغار على الكوفة واعيى مصعباً امره . ثم تفرق عنه جمعه فخاف أن يؤسر فألقى نفسه في الفرات فمات غرقاً .

وقد شهد اولاد عبدالله بن الحر ـ وهم ثلاثة ـ وقعة دير الجماجم مع ابن الأشعث في ثورته على الحجاج .

عطية بن سعد العوفي الكوفي

قال اليافعي في الجزء الأول من (مرآة الجنان) وهو يذكر وفيات سنة إحدى عشرة ومائة :

فيها توفي عطية بن سعد العوفي الكوفي ، روى عن أبي هريرة وطائفة ، وضربه الحجاج أربع مائة سوط على أن يشتم علي بن أبي طالب فلم يشتم .

عمرو بن قرظة الانصاري .

خرج يوم كربلاء يقاتل دون الحسين عليه السلام وهو يقول :

قد علمت كتيبة الانصار ... أني سأحمي حوزة الذمار
ضرب غلام غير نكس شاري ... دون حسين مهجتي وداري

عمر بن خالد الصيداوي .

كان هو وجابر بن الحارث السلماني وسعد مولى عمر بن خالد ومجمع بن عبدالله العائذي قد قاتلوا في أول القتال يوم كربلاء فشدّوا مُقدِمين بأسيافهم على الناس فلما وغلوا عطف عليهم الناس فأخذوا يحوزونهم وقطعوهم من أصحابهم غير بعيد فحمل عليهم العباس بن عليّ فاستنقذهم فجاؤا قد جُرّحوا فلما دنا عدوهم شدّوا بأسيافهم فقاتلوا في أول الأمر حتى قُتلوا في مكان واحد .

غالب

مرت ترجمته في المجلد الثامن الصفحة ٣٨٤ ونزيد عليها هنا ما يلي :

ولد سنة ١٢١٢ في أكبر آباد وتوفي في دهلي سنة ١٢٨٦

ترجم شعره إلى أكثر من لغة واقيمت لذكراه العام ١٩٦٩م مهرجانات عالمية في أكثر من عاصمة كبرى ، ولم يعن بشاعر من شعراء اللغة الاردوية مثل ما عني بهذا الشاعر ولم يشتهر احد شهرته ولم ينل أحد منزلته . يقول عبد الحق : « ويخيل إلينا أن الشعر الأردوي جمد في هذه المرحلة من مراحله ، وفي هذه اللحظة ظهر غالب فجأة كما يبزغ النجم في سماء الأدب ، وكان غالب ـ شأن عظماء الرجال ـ سابقاً لعصره ، كان طليعة الحركة الحديثة في الشعر الأردوي . وليس له في دولة هذا الشعر نظير في الابتكار وقوة الخيال وسمو الشاعرية » .

وإلى جانب شعره الأردوي فهو شاعر أيضاً بالفارسية . وقد رتب السيد مرتضى حسين صدر الأفاضل العالم والكاتب والمفكر الباكستاني شعره وتتبع أخباره وأشعاره فطبع ديوانه في ثلاث مجلدات .

ليس لغالب قرين فهو الشاعر الحكيم ، يترجم في شعره عن الضمائر

ويحكي عن السرائر ويصور تجاريب الحياة ويدون اصول الفكر والنظر . غرامه غرام الحكيم ونظرته نظرة الشاعر الحساس الذكي ، ولا مساجل له من حيث منهجه الخاص .

وبسبب ميله إلى الفارسية أكثر من كل شاعر ولتعمقه في المعنى ودقة فكره في المغزى ، احتاج شعره إلى شرح وتفسير، لذلك حظي ديوانه الأردوي بعشرات الشروح .

ومع هذا فإنك لا تجد أحداً ممن يحسن اللغة الأردوية إلا وهو يملك (ديوان غالب) . أما غزله فيقبله كل شاعر ويحفظه كل قارىء .

ويحتوي على الغزل والرباعيات ومدائح الأئمة عليهم السلام . وغالب كاتب كما هو شاعر ، واشتهرت رسائله إلى تلاميذه واخوانه ، ومن كتبه (ديوان اردو) و (كليات فارسي) و(عود هندي) و (اردوي معلى) .

فؤاد عباس

ولد سنة ١٩١٠ في (المربّعة) من محلات مدينة الخالص في العراق ، وتوفي سنة ١٩٧٦ في بغداد ودفن في النجف الأشرف .

كان شاعراً مجيداً ولكن مقلاً، على جانب كبير من طيب الذات ونبل النفس وصفاء الروح ، وفياً كل الوفاء ، عذب المعشر ، أنيس المجلس طيب الحديث . محدثاً بارعاً ومعلقاً ساحراً وفكهياً غاية في سبك النادرة ، وإذا تحدث ينصت إليه الجميع .

أفاد من دراسته ومطالعاته علماً ومعرفة ، ولكنه ـ كما قال أحد أصدقائه بعد وفاته ـ : « إنه على غزارة معرفته وكثرة قراءته كان يحجم عن البحث والكتابة لأنه يرى أن الخلود بعد الموت وهم من الأوهام ، وأن هذا الوقت الذي يقضيه بالبحث والكتابة جدير بأن يقضيه بالقراءة والمطالعة ليمتع نفسه أضعاف ما يمتعها بالكتابة » .

قال عنه صديق آخر : « كان أميل إلى الحديث والخطابة الإرتجالية البليغة منه إلى الكتابة والتأليف ، إذ كان مذوده يراعه، ولعل لسحر صوته الذي لا يمكن أن يدوّن على قرطاس أثراً في هذا المنحى الذي انتحاه » .

أنهى دراسته الإبتدائية في (الخالص) ثم انتقل إلى دار المعلمين الإبتدائية في بغداد وتخرج منها سنة ١٩٣١ وتولى التعليم الإبتدائي في عدة مدارس ابتدائية ، وعند البحث عن المتفوقين من خريجي الدراسة الثانوية ودار المعلمين لانضمامهم إلى البعثات التي ترسلها وزارة المعارف كان المترجم ممن اختيروا لإرسالهم إلى الجامعة الأمريكية في بيروت ، وفيها تفتحت شاعريته. وتخرج من الجامعة الأمريكية سنة ١٩٣٨ وعاد إلى العراق ليتنقل في الوظائف التعليمية بوزارة المعارف مدرساً ومديراً للمدارس الإعدادية ومحاضراً ، ثم مفتشاً اختصاصياً للغة العربية وآدابها سنة ١٩٦٠ حتى سنة ١٩٧٣ حيث أحيل على التقاعد .

شعره:

من شعره قصيدة نظمها عندما كان طالباً في بيروت:

تهادين من كل الجوانب كالقفر ... على رأس بيروت إلى ساحل البحر
كواعب أتراب كأن وجوهها ... يفيض بها ماء الملاحة والبشر
فمنهن من قد أسفرت وتبذلت ... وقد لاح ما بين الترائب والنحر
حصان رزان بضةٌ قسماتها ... مهفهة الأعطاف ناهدة الصدر
ومنهنّ من قد حجّبوها لأنها ... تُريش من الألحاظ سهماً من السحر
فغيّب مسوّدُ النقاب جمالها ... كما غُيبت سودُ السحاب سنى البدر
خرجن ليستروحن طيب نسائم ... ويشخصن بالأبصار في مسرح الفكر
وفي جانب منهن شيدت مساكن ... قصور وأكواخ لمثر وذي فقر
فثمة قصر قائم شامخ الذرى ... وثمة كوخ جاثم.واطىء الجدر
وبالقرب منه دوحة قام فوقها ... حمام بوكركم شجى الناس بالهذر
وقد طرزت أيدي الربيع ونمقت ... بساطاً من الريحان والعشب والزهر
وفي جانب منهن بحر وشاطىء ... عليه من العشاق طير بلا وكر
تنهد صدر البحر بالموج مزبداً ... يبث لعين الشمس برح الهوى العذري
فأخجلها بالعتب فاصفر لونها ... فأهدته ـ كي يهدا ـ ذوائب من تبر
ولكنها لما رأته مقطباً ... قد ازرق كالمخنوق من غصة الهجر
دنت نحوه تبغي رضاه وأقسمت ... يميناً بأن تلقاه باسطة العذر
وفي الأفق من بعد العتاب تعانقا ... فقبلها عشراً وزاد على العشر

* * *

وجارية قاد البخار زمامها ... وحيزومها كم هيّج الماء إذ تسري
لقد سئمت طول الطواف فأرسلت ... بآهاتها تترى حنيناً إلى البر
توسّل في ربانها كي يريحها ... ولكن للربان قلباً من الصخر
وتنفث من غليونها بدخانها ... لتجلو هموماً قد جثمن على الصدر

* * *

فلما أجلن الطرف في كل منظر ... هتكن به ما للطبيعة من ستر
تحلبن معسول الأماني والمنى ... وكم خففت بعضُ الأماني من الضرّ
فهذي تود الشمس تاجاً وهذه ... تمنت لها عِقداً من الأنجم الزهر
وتلك تريد الليل كحلاً لجفنها ... وأخرى حلالُ السحر من فمها يجري
فهيجن مني ذكريات دفنتها ... وأذكرنني ما كان في سالف العصر
وأطلقن مسجوناً ـ فؤادي ـ وطالما ... بخلت عليه بالفكاك من الأسر
فهبّ طروباً ثم راح مغازلاً ... وجوه الأماني وهي باسمة الثغر
وعاوده الشوق القديم مذكراً ... (عيون المها بين الرصافة والجسر)
ذكرت رياضاً جمّة وبواسقاً ... كأن بها شوقاً إلى مطلع البدر
تراقصها ريح الشمال عشية ... فتهتز كالنشوان مال من السكر
تذكرت صوب الكرخ والكرخ مربع ... قضيت به صفو الشبيبة من عمري
فيا رأس بيروت سلاماً وعصمة ... وخُلّدت في الدنيا إلى أبد الدهر

وقال أيضاً وهو طالب في بيروت:

لن أبالي أن تبخلي أو تجودي ... يا ليالي فانقصي أو فزيدي
بعد ما قد شهدت ليلة أنس ... خلفتني كمسلم بن الوليد
ليلة لاحت (الكومون روم) فيها ... غادة قد تزينت صبح عيد
فالخوانات قرطقت بزهور ... والعواميد منطقت بورود
مدت البسط والزرابي بثت ... وأعدت للقوم دار الخلود

ومشى في الفناء سرب حمام بـريـاش من زاهيات البـرود
فخدود تضيء والضوء سحر وزجاج يضيء دون وقود
وغصون تميس من غير ريح بثمار من راقصات النهود
وهناك (الفؤاد) أصبح نهباً بين زرق من العيون وسود

* * *

أيها القائلون إن جنان الله مخصوصة بدين وحيد
هذه جنة حوت كل دين من نصارى ومسلمين وهود
وقفوا يشربون قلت هنيئاً كظباء الغدير حين الورود
فسقى الحسن ورد تلك الخدود وسقى الدلّ بان تلك القدود
والعذارى خطون كالطير مثنى وثلاثاً من مزوج وفريد

* * *

وفتى لم يكن لديه جواز ودّ لو يشتري ببذل النقود
حام حول الشباك يشبه جاسوساً يروم العبور خلف الحدود
ما الذي ضرّ لو منحتم جوازاً (لفؤاد) من الهوى مفؤود

* * *

وفتاة لا أقصد الشمس لا بل فضلتها بقامة وبجيد
أرأيت الغزال يبدي نفوراً أرأيت انعطافة الأملود؟
ما ائتلاق الياقوت من شفتيها ما الثنايا بلؤلؤ منضود
تلك أحياء هذه جامدات أفحيّ كميّت ملحود؟
لبست مثل طهرها حلة بيضاء تزري بناصع من جليد
كشكشتها بمنتهى كتفيها وانتهى الكم بانتهاء الزنود
وبدت والدلال يعبث فيها كجناح الملاك عند الصعود
يثب النهد تحتها أسجين باذل جهده لكسر القيود
أم كقلبي لما دنت وتدلت بعد حرّ الجوى ومرّ الصدود
أم كفرخ في البيض ينقر قشراً يبتغي مخرجاً لهذا الوجود
مدّ منقاره يريد غذاء وهواء لذا الوليد الجديد
فأنالته وردة قلت مهلاً هل طعام الطيور حمر الورود
فأجابت: لا ليس ذاك طعاماً بل حجاباً من شرّ عين الحسود

وقال معزياً أحد أصدقائه بزوجته :

عهدتك من جزع أكبرا ومن جلّ من صبروا أصبرا
فكم قد أغارت عليك الهموم وكم رجعت ظلّعاً حسّرا
بلى صادفت منك جلد الرجال ولاقت بك الليث ليث الشرى
فيا علياً قد أغار الثريا ويا جعفراً قد أغاث الثرى
إليك بمن قد مضى أسوة نبيّ الهدى ووصي الورى
خديجة فارقت المصطفى وفاطمة فارقت حيدرا
وأخرى (أبو حسن) قالها إلى أشعث يوم قد ذكّرا
أعيذك بالله مستعبراً وأرجو لك الله أن تؤجرا

عميد الدين أبو الفرج الفتح بن عبدالله بن محمد بن علي بن هبةالله بن عبد السلام :

الكاتب البغدادي ، ذكره ابن الدبيثي في أصل تاريخه ، ولكن لم يوجد بل وجد مختصر الترجمة في مختصر تاريخه للذهبي ، قال : من أهل بيت حديث وكلهم ثقات ، سمع محمد بن أحمد الطرائفي ومحمد بن علي بن الداية وأبا الفضل الأرموي وأبا منصور نشتكين وغيرهم ، سمعنا منه . ولد يوم عاشوراء من سنة سبع وثلاثين وخمسمائة . قلت روى عنه أبو عبدالله البرزالي وأبو الفتح بن الحاجب والقاضي شمس الدين ابن العماد والسيف أحمد بن عيسى وأبو إسحاق بن الواسطي وأبو الفرج بن الزين وأبو المعالي الابرقوهي وعبد الرحمان المكبر البغدادي وجماعة كثيرة ، وكتب عنه أبو الفتح بن الحاجب وقال : شيخنا بقية بيته ، صارت إليه الرحلة من البلاد وتكاثر عليه الطلبة وكان من ذوي المناصب والولايات وترك الخدمة وقنع بالكفاف وأضرّ باخرة وكان كثير الامراض حتى أقعد ، وكان محققا لسماعاته إلا أنه لم يكن يحب الرواية لمرضه واشتغاله بنفسه وكان كثير الذكر ذا هيبة ووقار ، وكان يتوالى[2] ولم يظهر لنا منه ما نكره بل كان يترحم على الصحابة ويلعن من يسبهم ، وكان صحيح السماع ثقة ، سمع جده وأبا القاسم بن أبي شريك وعلي بن نور الهدى الحسين الدبيثي وأبا الكرم الشهرزوري وأبا لوقت . وذكر الذين ذكرهم ابن الدبيثي وقال : توفي في رابع عشر محرم سنة أربع وعشرين وستمائة . وعده الضياء محمد في الشيوخ الذين أجازوا له ، وشيوخ الفتح في مشيخة جده أبو الفتح وأحمد بن محمد ابن الاخوة وابن الداية ونور الهدى الزينبي وابن الطرائفي وأحمد الميهني وأبو الكرم الشهرزوري ونوشتكين والارموي وابن الحاسب وسعيد البناء وأبو بكر الداغوني وأبو الوقت وابن خضير وابن الخل « ا هـ » .

وذكره المنذري في وفيات سنة ٦٢٤ وقال : كان شيخاً حسناً كاتباً أديباً بليغاً وله شعروتصرف في الأعمال الديوانية ولنا منه إجازة كتب بها الينا من بغداد غير مرة . « ا هـ » .

وقال ابن الفوطي : « ولي الاعمال الجليلة وسار فيها السيرة الجميلة .

فتى من أهل الكوفة .

أخذ علي عليه السلام مصحفاً يوم الجمل فطاف به في أصحابه ، وقال : من يأخذ هذا المصحف يدعوهم إلى ما فيه وهو مقتول ؟ فقام إليه فتى من أهل الكوفة عليه قباء أبيض محشو ، فقال : أنا ، فأعرض عنه ، ثم قال : من يأخذ هذا المصحف يدعوهم الى ما فيه وهو مقتول ؟ فقال الفتى : أنا ، فأعرض عنه ثانية . ثم أعاد القول للمرة الثالثة ، فقال الفتى : أنا ، فدفعه اليه ، فدعاهم ، فقطعوا يده اليمنى ، فأخذه بيده اليسرى ، فدعاهم ، فقطعوا يده اليسرى ، فأخذه بصدره والدماء تسيل على قبائه ، فقتل . فقال علي : الآن حل قتالهم فقالت أم الفتى بعد ذلك :

لا هُمّ أن مسلماً دعاهم يتلو كتاب الله لا يخشاهم
وأمهم قائمة تراهم يأتمرون الغي لا تنهاهم
قد خضبت من علق لحاهم[1]

الفضل بن جعفر بن الفضل بن يونس ابو علي البصير

عد ابن شهر آشوب في المعالم ابو علي البصير في شعراء أهل البيت المتقين . وأورد له في المناقب قوله :

بنفسي ومالي من طريف وتالد واهلي انتم يا بني خاتم الرسل
بحبكم ينجو من النار من نجا ويزكو لدى الله اليسير من العمل

(٢) يعني يوالي أهل البيت (عليهم السلام) .

(١) الطبري .

اواصل من واصلتموه وان جفا   واقطع من قاطعتموه وان وصل
عليه حياتي ما حييت فان امت   فلست على شيء سوى ذاك اتكل

الفضيل بن الزبير بن عمر بن درهم الكوفي الأسدي

هو مردد بين أن يكون زيديا أو جعفريا ، وإذا صحت زيديته فهو على كل حال من أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام .

قال السيد محمد رضا الحسيني الجلالي متحدثاً عنه :

« فضيل » كذا عنونه البرقي في رجاله في أصحاب الإمام الباقر عليه السلام ، وفي أصحاب الإمام الصادق عليه السلام ، وهكذا الكشيّ لكنّه ذكره مع « أل » أيضاً ، وكذا الشيخ الطوسي بدون « أل » ومعها .

فظهر التصحيف في عنوانه بـ « الفضل » بدون ياء ، كما صنعه الشيخ ابن داود ، بدون ترديد وصنعه متردّداً جمع ، منهم السيد التفريشي والمامقاني والزنجاني والخوئي وقد عاد هؤلاء الأعلام فعنونوا له بـ « الفضيل » .

كما ورد مصحّفاً ـ كذلك ـ في بعض أسانيد الكتب مثل : أمالي الشيخ المفيد وإرشاد العباد له ، ومقاتل الطالبيّين للأصفهاني .

كما ظهر أنّ ما ورد في مطبوعة « الفهرست » لابن النديم بعنوان « فصل » بالصاد المهملة خطأ واضح .

وقد ضبط طابع كتاب الرجال للبرقي اسمه هكذا « فضيل » بضمّ الفاء الموحّدة وفتح الضاد المعجمة على صيغة تصغير « رجل » .

إسم أبيه ونسبه

(الزبير) كذا ذكره البرقي في رجاله وكذلك الكشيّ وابن النديم والشيخ الطوسي وغيرهم .

وقد ضبطه طابع رجال البرقي هكذا « الزبير » بضمّ الزاي وفتح الموحدة على زنة « رجيل » مصغّراً ، لكنّ الشيخ المامقاني عند ترجمة ابنه ضبطه هكذا : « الزبير » بفتح الزاي ، وكسر الموحّدة ، على زنة « شريف » الصفة المشبّهة وكذلك جاء هذا الضبط بالحركات في « مقاتل الطالبيّين » .

ولم يذكر الشيخ المامقاني ما يرشد إلى وجه هذا الضبط ، وما ورد في مطبوعة رجال البرقي من الضبط هو المألوف وهو الظاهر من علماء الأنساب ، حيث ذكروا أبا أحمد الزبيريّ في عنوان المنسوب إلى « زُبَير » بضمّ الزاي وفتح الموحدة ، فلاحظ « تبصير المنتبه » . لابن حجر ، وأنساب السمعاني .

وقد ذكر السمعاني نسبه هكذا : « الزبير بن عمر بن درهم » كما سيأتي في ترجمة حفيده .

نسبته

« الرسّان » كذا نسبه البرقي والكشيّ وابن النديم والطوسي ، قال المامقاني في ضبط الكلمة : « الرسّان : بالراء المهملة المفتوحة والسين المهملة المشدّدة والألف والنون ، المراد بائع الرَسَن ، وهو زمام البعير ، ونحوه أو صانعه » .

وقد رسمت الكلمة في رجال العلاّمة : الرسّاني بإضافة ياء النسبة ، قال المامقاني : « ولم أجد له معنى صحيحاً والظاهر أنّه تصحيف ، كما أنّ ما جاء في مطبوعة طبقات ابن سعد ـ في ترجمة ابن أخي الفضيل وهو : « الرمّاني » بالميم كالنسبة إلى الرُّمان ، تصحيف أيضاً ، وصحّفت الكلمة « بـ الريان » بالياء المثنّاة بدل السين .

« الكوفي » نسبه الشيخ الطوسي كوفيا ، والوجه فيه أنّه من أهل الكوفة كما يظهر من بعض رواياته وتراجم أخيه وابن أخيه .

« الأسدي » كذا نسبوه هو وأخاه وابن أخيه والنسبة إلى قبيلة « بني أسد » الشهيرة بالكوفة وحواليها ، لكن صرّح كثير من الرجاليّين وأهل الأنساب بأنّ آل الزبير لم يكونوا من صلب العشيرة ، وإنّما كان ولاؤهم في بني أسد ، قال الطوسي في ترجمة الفضيل : « الأسدي مولاهم » وقال ابن سعد في ترجمة ابن أخيه : « مولى بني أسد » .

أخوه

يقترن اسم الفضيل باسم أخيه او ابن أخيه في أكثر من مورد في كتب الرجال والتراجم والفهارس وقال الكشيّ : « قال محمد بن مسعود : وسألت علي بن الحسن ، عن فضيل الرسّان ؟ قال : هو فضيل بن الزبير ، وكانوا ثلاثة إخوة : عبدالله وآخر » .

والملاحظ أنّهم يذكرون اسم أخيه عندما يكون الحديث عن الفضيل ، ولم نجد مورداً كان الحديث فيه عن أخيه فذكر فيه اسم الفضيل ، وهذا يشير ـ من بعيد ـ إلى أنّ الأخ كان أعرف منه بحيث يعرّف الفضيل به ، نعم ذكر الفضيل في ترجمة ابن أخيه ، معرّفاً له كما سيأتي .

قال أبو الفرج الأصفهاني : كان عبدالله بن الزبير من وجوه محدّثي الشيعة ، روى عنه عباد بن يعقوب ـ الرواجني المتوفى ٢٠٥ ـ ونظراؤه ، ومن هو أكبر منه .

أقول : روى عن عبدالله بن شريك العامري وعنه موسى بن يسار ، وروى عن صالح بن ميثم ، وعنه بشر بن آدم في رواية أوردها كل من الكنجي والحسكاني وابن عساكر وابن المغازلي ، لكنّ اسم المرويّ عنه « صالح بن رستم » في الأخير .

وكان عبدالله بن الزبير شاعراً ، ومن شعره :

١ ـ عن « أنساب الأشراف » للبلاذري ، في قصة تعذيب عبدالله بن الزبير بن العوّام أخاه عمرو بن الزبير ، وهي طويلة ، جاء في آخرها : فقال ابن الزبير الأسدي :

فلو أنّكم أجهزتمو إذ قتلتمو   ولكن قتلتم بالسياط وبالسجنِ
جعلتم لضرب الظهر منه عصيّكم   تراوحه والأصبحية للبطنِ

٢ ـ وهو القائل في رثاء مسلم بن عقيل رضي الله عنه وهانىء بن عروة رحمه الله :

فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظري   إلى هانىء في السوق وابن عقيلِ

في أبيات عديدة .

٣ ـ وعن مصعب في « نسب قريش » أنّه ذكر : أول من جاء بنعي الحرّة الكردوس بن زيد الطائي ، قال ابن الزبير الأسدي :

لعمري لقد جاء الكردوس كاظماً   على خبر للمسلمين وجيع

ومن المحتمل أن يكون قائل هذه الأبيات شاعراً آخر بهذا الإسم ، ولا بدّ من المزيد من التحقيق .

وقد عنون له بعض الرجاليّين .

وعبد الله كان من مناضلي الزيديّة ، حضر القتال مع الشهيد زيد رحمه الله ، قال الكشيّ ـ في حديث عن عبد الرحمان بن سيّابة ـ قال : دفع إليّ أبو

عبدالله عليه السلام دنانير ، وأمرني أن أقسّمها في عيالات من أُصيب من عمّه زيد ، فقسّمتها ، قال : فأصاب عيال عبدالله بن الزبير الرسّان ، أربعة دنانير .

وروى الشيخ المفيد هذه الرواية عن أبي خالد الواسطي ، قال : سلّم إليّ أبو عبدالله عليه السلام ألف دينار . . . وذكر نحوه ، ولعلّها واقعة أُخرى غير ما جرى على يد عبد الرحمان بن سيّابة .

وقد ذكر العلّامة الحلّي بعد نقل الرواية : إنّ هذه الرواية تعطي أنّه كان زيديّاً وسيأتي مناقشة هذه الجهة في عنوان « مذهبه » .

أقول : كون عبدالله هو المستشهد مع زيد ، هو المشهور ، والمفهوم من هذه الروايات أنّه أُصيب معه ، لكنّ أبا الفرج الأصفهاني ذكر في المقاتل ما يدلّ على أنّ عبدالله بن الزبير بقي إلى زمان محمد بن عبدالله النفس الزكيّة ، الذي استشهد في عهد المنصور العبّاسي ، سنة (١٤٥) ، قال أبو الفرج :

حدّثنا علي بن العبّاس ، قال : حدّثنا بكّار بن أحمد ، قال : حدّثنا الحسن بن الحسين ، قال : حدّثنا عبدالله بن الزبير الأسدي ـ وكان في صحابة محمد بن عبدالله ـ قال : رأيت محمّد بن عبدالله عليه سيف محلّى يوم خرج ، فقلت له : أتلبس سيفاً محلّى ؟! فقال : أيّ بأس بذلك ؟! قد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يلبسون السيوف المحلّاة .

ثم قال أبو الفرج : عبدالله بن الزبير هذا أبو أحمد الزبير المحدّث .

أقول : التشويش في عبارة المقاتل ظاهر في الفقرة الأخيرة ، إذ من الواضح أنّ عبارة « أبو أحمد الزبير » ليست صحيحة ، وأظنّ قوياً أنّ العبارة هكذا : « عبدالله بن الزبير هذا أبو أبي أحمد الزبيري المحدّث » وأبو أحمد الزبيري هو محمد بن عبدالله بن الزبير ، وستأتي ترجمته في عنوان « ابن أخي الفضيل » .

ولو كان عبدالله مستشهداً مع زيد ـ الشهيد سنة ١٢٢ ـ فلا يمكن أن يكون هو الباقي إلى أيّام محمّد بن عبدالله النفس الزكيّة ـ الشهيد سنة ١٤٥ ـ

وعبارة الأصفهاني صريحة وواضحة الدلالة على بقاء عبدالله إلى سنة (١٤٥) ، لكنّ الروايات الدالّة على شهادته مع زيد سنة (١٢٢) غير صريحة ، ولا تدلّ إلّا على كون عائلته في عوائل المصابين ، ولعلّه كان مجروحاً ، مع أنّ عبارة الروايات تلك فيها اختلاف ، فقد حكي عن المحدّث التقي المجلسي الأول قدس الله سره أنّه قال في حواشي الفقيه مشيراً إلى الخبر الذي رواه عبد الرحمان بن سيّابة ما لفظه : يظهر من هذا الخبر ـ وغيره ـ أنّ المقتول [هو] الفضيل ، وكان عبدالله عياله ، إنتهى .

قال المامقاني : وتأمل فيه الفاضل الحائري في المنتهى لما مرّ في ترجمة السيّد الحميري من بقاء فضيل بعد زيد ومجيئه إلى الصادق عليه السلام وإخباره بقتله وإنشاده شعر السيّد رحمه الله في حضرته ثم قال : ويقرب سقوط كلمة (عيال) قبل عبدالله في نسخة أمالي الصدوق [أي في رواية ابن سيّابة] .

أقول : رواية إنشاد فضيل شعر السيّد في حضرة الصادق عليه السلام صريحة في بقائه بعد زيد ـ وسيأتي نقلها نصّاً ـ فلا يمكن أن يكون فضيل هو المقتول مع زيد قطعاً ، ولم نجد من صرّح بذلك .

ورواية الاصفهاني صريحة في بقاء عبدالله بعد زيد إلى سنة (١٤٥) فالأمر يحتمل أحد وجهين :

الأول : وهو الأقوى ، أن يكون الحاضر مع زيد هو (عبدالله) ولكنه لم يستشهد وإنما أُصيب فقط ، فلعلّه كان مجروحاً وعليلاً وكانت عائلته بحاجة إلى نفقة ، وهذا هو الموافق لظاهر تلك الروايات ، بنقولها المختلفة .

الثاني : وهو الأبعد ، أن يكون الاسم المذكور فيها هو (عبيدالله) وأن يكون هو الأخ الآخر لفضيل الذي لم يذكر اسمه في رواية ابن فضال عند الكشّي ، ولكنّ نسخ الكتب المتعدّدة متفقة على ذكر (عبدالله) مكبّراً .

ابن اخيه

قال ابن سعد في الطبقات : أبو أحمد الزبيري ، واسمه : محمد بن عبدالله بن الزبير ، مولى بني أسد ، وهو ابن أخي فضيل الرسّان .

وقال السمعاني : (الزبيري) أبو أحمد ، محمد بن عبدالله بن الزبير بن عمر بن درهم ، الأسدي الزبيري ، من أهل الكوفة ، كان يبيع القتّ بزبالة .

وقال الذهبي : أبو أحمد الزبيري ، الأسدي ، مولاهم الكوفي الحبّال .

قال ابن سعد : كان صدوقاً كثير الحديث ، وقال أحمد بن عبدالله العجلي : كوفي ثقة كان يتشيّع ، وقال السمعاني : محدّث كبير مكثر وقال أبو حاتم : حافظ عابد مجتهد ، له أوهام ، وقال الذهبي : الحافظ الثبت ، ونقل الذهبي عن بندار قوله : ما رأيت رجلاً قطّ أحفظ من أبي أحمد ، وحكي أنّه كان يصوم الدهر .

روى عن يونس بن أبي إسحاق ، وعيسى بن طهمان ، وفطر ، وسفيان وطبقتهم وعن مسعر ومالك بن مغول ، ومالك بن أنس ، وبشر بن سلمان وسفيان الثوري ، وإسرائيل بن يونس .

وروى عنه : أحمد بن حنبل ، وابو بكر بن أبي شيبة ، وخيثمة وعبدالله القواريري وأحمد بن منيع ، وعامّة أهل العراق ومحمود بن غيلان ، وأحمد بن الفرات ، ومحمد بن رافع ، وخلق ، قال نصر بن علي : قال أبو أحمد : لا أبالي أن يسرق منّي كتاب سفيان ، إنّي أحفظه كلّه .

قال أحمد بن حنبل : كان كثير الخطأ في حديث سفيان .

قال ابن سعد : توفّي بالأهواز في جمادى الأولى سنة ثلاث ومائتين في خلافة المأمون ، لكن قال أحمد : مات بالأهواز سنة اثنتين ومائتين .

ووصفه بالزبيري نسبةً إلى جدّه (الزبير) أبي الفضيل ، يكشف عن شهرة للزبير الجدّ كما لا يخفى ، وقد صرّح علماء الأنساب بأنّ النسبة ليست إلى الزبير بن بكار كما توهّم .

ابن آخر لأخي الفضيل : ذكر ابن الجعابي في ترجمة أبي أحمد الزبيري ما نصه : إنّ له أخاً يسمّى (حسناً) من وجوه الشيعة يروى عنه ، وروى عن ابن نمير .

وقد عنون القهپائي لمن يكنّى بـ (ابن أخي فضيل) فقال : ابن أخي فضيل ، ؛ عن فضيل ، عن الصادق عليه السلام اسمه (الحسن) صرّح به في باب ما ينقض الوضوء من « الكافي » .

أقول : وعن « الوافي » بسند ، عن ابن أبي عمير ، عنه : ج ٤ ص ٣٨ .

لكنه في هذا المورد روى عن الصادق عليه السلام .

وعلّق بعضهم على قوله (الحسن) بقوله : لعلّه ابن عبدالله بن الزبير الرسّان ، ابن أخي الفضيل بن الزبير . . . إلى آخره .

وعلق على قوله : (في باب . . .) بأنّ الموارد المذكور فيها ابن أخي الفضيل كثيرة ، والمحتمل لهذا العنوان في كتب الرجال ثلاثة : فضيل بن الزبير ، وابن غزوان ، وابن يسار .

الحسن بن الزبير؟

عنون الشيخ الطوسي في أصحاب الصادق عليه السلام لـ : الحسن بن الزبير الأسدي مولاهم الكوفي ، ونقله عنه الرجاليّون من دون تعقيب ، إلاّ أنّ الشيخ الزنجاني قال : لم أقف لا على حاله ولا على حديثه .

والاحتمالات في هذا الشخص ثلاثة :

١ ـ فهل هو ابن الزبير ، كما يدلّ عليه عنوان الترجمة ، فيكون هو الأخ الثالث للفضيل وعبدالله ؟ .

٢ ـ أو هو الحسن بن عبدالله بن الزبير ، الذي ذكره ابن الجعابي ، نسب إلى جدّه سهواً أو اختصاراً فيكون أخاً لأبي أحمد الزبيري ؟

٣ ـ أو هو شخص آخر ، لا يرتبط بآل الزبير الأسديّين بصلة ؟

ويقرّب الإحتمال الثاني أنّ ظاهر ترجمة الشيخ له ، وقوفه على روايته عن الإمام الصادق عليه السلام ، وحيث لم ترد عن الحسن بن الزبير رواية ، وكان الحسن بن عبدالله بن الزبير من وجوه الشيعة ، ووردت له بهذا العنوان رواية عن الصادق كما عرفت ، تعيّن كونه هو المراد بالترجمة .

طبقته

يروي فضيل عن زيد الشهيد عليه السلام كما سيأتي ، ويأتي ـ أيضاً ـ أنه كان من أنصاره ودعاته والمشتركين في نضاله ، وقد استشهد زيد سنة (١٢٢) .

وعدّه أصحاب الطبقات في أصحاب الإمام محمد بن عليّ أبي جعفر الباقر عليه السلام (المتوفّى ١١٤) ، وأصحاب الإمام جعفر بن محمد أبي عبدالله الصادق عليه السلام (المتوفّى ١٤٨) ، وقد وردت له رواية عنهما ، كما سيأتي في تعداد مشايخه .

ولم نقف له على رواية عن الإمام عليّ بن الحسين السجّاد عليه السلام (المتوفّى ٩٥) ، ولا عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (المتوفّى ١٨٣) فتحدّد فترة حياته العلميّة بين (١٢٢ ـ ١٤٨) .

مشايخه

١ ـ الإمام محمد بن عليّ أبو جعفر الباقر عليه السلام (٥٧ ـ ١١٤) ، ذكروه في أصحابه ـ كما تقدم ـ وهذا يقتضي أن يكون من الرواة عنه ، لأنّ كتب طبقات أصحاب الأئمّة إنما أُلّفت لجمع أسماء الرواة المباشرين عن الإمام ، والتي عثر المؤلّفون على رواياتهم ، وهذا معنى ظاهر فيما صنعه الشيخ الطوسي في كتاب رجاله إلاّ أنّا لم نعثر على رواية كثيرة له عن الإمام سوى رواية واحدة ، نقل ورودها الشيخ الزنجاني عن الجزء الأول من بصائر الدرجات للصفّار .

٢ ـ الإمام جعفر بن محمد أبو عبدالله الصادق عليه السلام (٨٣ ـ ١٤٨) ، والحديث فيه كما تقدّم في روايته عن الإمام الباقر ، وروايته عن الإمام الصادق أيضاً ليست كثيرة ، لكن روى الكشي حديثاً يدل على حضوره عند الإمام ، بل يدلّ على نحو اختصاص له بالإمام ، وإليك نصّ الحديث :

قال الكشيّ في ترجمة السيّد الحميري الشاعر ـ بسندٍ فيه : حدّثني علي بن إسماعيل ، قال : أخبرني فضيل الرسّان ، قال : دخلت على أبي عبدالله عليه السلام بعدما قتل زيد بن عليّ رحمة الله عليه ، فأدخلت بيتاً جوف بيت ، فقال لي : يا فضيل ، قتل عمّي زيد ؟

قلت : نعم ، جعلتُ فداك ، قال : رحمه الله ، أما والله كان مؤمناً وكان عارفاً ، وكان عالماً ، وكان صدوقاً ، أما أنّه لو ظفر لوفى ، أما إنه لو ملك لعرف كيف يضعها ، قلت : يا سيدي ألا أُنشدك شعراً ؟ قال : أمهل ، ثم أمر بستورٍ فسدلت وبأبوابٍ ففتحت ، ثم قال : أنشد ، فأنشدته :

لأمّ عمرو باللّوى مربعُ طامسة أعلامه بلقعُ

إلى آخر الحديث .

٣ ـ زيد بن عليّ الشهيد أبو الحسين عليه السلام (٧٨ ـ ١٢٢) ، كان فضيل من أصحابه ، وله معه تراود في شؤون النضال كما سيأتي ذكر ما يتعلق بذلك ، وقد روى عنه فرات والحسكاني ، والطوسي .

ويروي فضيل عن جمعٍ من الرواة نذكر أسماء هم حسب أوائلها :

٤ ـ أبو الحكم ، روى عنه قوله : سمعت مشيختنا وعلماءنا يقولون .

٥ ـ أبو داود السبيعيّ روى عنه في تفسير بعض الآيات ، وقال في بعض الروايات : « سمعت أبا داود » والظاهر أنّه السبيعي هذا .

٦ ـ أبو سعيد عقيصا ، روى عنه في كامل الزيارات .

٧ ـ أبو عبدالله ، كما نقله الكشيّ .

٨ ـ أبو عبيدة ، كما نقل عن الصدوق في « الخصال » باب (٣) .

٩ ـ أبو عمر ـ أو أبو عمرو ، حسب اختلاف النسخ ـ وأضاف الكشيّ : البزاز .

١٠ ـ أبو الورد ، روى عنه في هذا الكتاب الذي نقدم له .

١١ ـ حمزة بن ميثم ، كما نقله الكشيّ .

١٢ ـ صالح بن ميثم ، أورد روايته القمّي في تفسيره .

١٣ ـ عبدالله بن شريك العامري ، روى عنه في هذا الكتاب .

١٤ ـ عمران بن ميثم ، كما نقله الكشيّ وأورد روايته المفيد .

١٥ ـ فروة ، كذا ورد اسمه في أكثر موارد روايته ، وأضاف في بعضها : (. . . بن مجاشع) وردت روايته عنه في « الكافي » للكليني ، وفي « الروضة » « وأمالي المفيد » .

١٦ ـ يحيى بن أُمّ طويل ، روى عنه في هذا الكتاب .

١٧ ـ يحيى بن عقيل ، كما رواه المفيد في « الآمالي » .

وقد وردت عن فضيل روايات مرسلة في « رجال الكشيّ » نذكرها :

١ ـ قال : قيل لأبي عبدالله عليه السلام .

٢ ـ قال : خرج أمير المؤمنين عليه السلام .

٣ ـ قال : مرّ ميثم التمّار على فرس له ، فاستقبل حبيب بن مظاهر الأسدي ، وذكر الكشيّ في نهاية هذه الرواية : هذه الكلمة مستخرجة من كتاب « مفاخر الكوفة والبصرة » .

الرواة عنه

١ ـ أبان بن عثمان ، نقله في الكافي والكشيّ .

٢ ـ أرطاة ، نقله الصدوق والمفيد .

٣ ـ إسماعيل بن أبان ، نقله المفيد والحسكاني .

٤ ـ الحسن بن عبدالله بن الزبير ، ابن أخيه . ٥ ـ الحسن بن حمّاد ، نقله الزنجاني عن الجزء الأول من بصائر الدرجات للصفّار .

٦ ـ الحسين بن محمد بن فرقد ، رواه الصدوق .

٧ ـ داود رواه الصدوق .

٨ ـ الربيع بن محمد المسلي ، كما نقله الكوفي والحسكاني .

٩ ـ زكريّا بن يحيى القطّان ، ذكره المفيد .

١٠ ـ سفيان ، ذكره المفيد ، وفي غيبة الطوسي : سفيان الجريري .

١١ ـ سكين بن عمّار ، نقله في الكافي .

١٢ ـ طاهر بن مدرار ، هو راوي هذا الكتاب عن الفضيل .

١٣ ـ عاصم بن حميد الحنفي ، أكثر الرواية عن فضيل ، في « رجال الكشيّ » ونقل روايته ابن قولويه ، والمفيد .

١٤ ـ عبدالله بن يزيد الأسدي ، أورده الكشيّ .

١٥ ـ عليّ بن إسماعيل التيمي ، أكثر الرواية عنه ، نقله الكشيّ والقمّي والطوسي .

١٦ ـ عامر السراج ، كما في نقل الحسكاني .

١٧ ـ فضالة بن أيّوب ، روى عنه في ترجمة زرارة من « رجال الكشيّ » .

مذهبه

قال سعد بن عبدالله الأشعري ـ عند حديثه عن فرق الزيديّة ـ من فرق الزيديّة يسمّون (السرحوبيّة) ويسمّون (الجاروديّة) وهم أصحاب أبي الجارود زياد بن منذر ، وإليه نسبت الجاروديّة ، وأصحاب أبي خالد الواسطي وأصحاب فضيل بن الزبير الرسّان .

وفي موضع آخر قسّم الزيدية إلى ضعفاء وأقوياء ، ثم قال : وأمّا الأقوياء منهم : فهم أصحاب أبي الجارود ، وأصحاب أبي خالد الواسطي ، وأصحاب فضيل الرسّان ، فهذا يدلّ على أنّ الفضيل كان من الزيديّة ، بل من الأقوياء منهم ، ويشير إلى أنّه كان صاحب رأيٍ ونفوذٍ فيهم ، حيث كان له (أصحاب) ينسبون إليه .

وقال ابن النديم ، ومن متكلّمي الزيديّة : فضيل الرسّان ، وهو ابن الزبير ، وذكر ناجي حسن فضيلاً في عداد من نظّمهم زيد الشهيد من الدعاة ، وأرسلهم إلى الأقطار المختلفة يدعون الناس إلى ثورته .

وممّا يقرّب ذلك أنّ الرجل كان ممّن يسأل عمّا يتعلق بشؤون زيد ، وكان مطّلعاً على أسرار حركته والمتصلين به ، كما توسّط في إيصال الأموال إليه ودعمه ، كما يستفاد ذلك من رواياته ، ومنها ما نقله أبو الفرج الأصفهاني في « المقاتل » بسنده عن الفضيل ، قال : قال أبو حنيفة : من يأتي زيداً في هذا الشأن من فقهاء الناس ؟ قلت : سلمة بن كهيل ، ويزيد بن أبي زياد ، وهارون بن سعد ، وهاشم بن البريد ، وأبو هاشم الرماني ، والحجاج بن دينار ، وغيرهم فقال لي : قل لزيد : « لك عندي معونة وقوّة على جهاد عدوّك ، فاستعن بها أنت وأصحابك في الكراع والسلاح » ثم بعث ذلك معي إلى زيد ، فأخذه زيد .

وهذه الرواية تدلّ على مدى اختصاص الرجل بزيد ، واتّصاله به وسلوكه مسلكه ، وربّما يستأنس ذلك أيضاً ممّا رواه الكشيّ من دخوله على الإمام الصادق عليه السلام ، بعد مقتل زيد وسؤال الإمام منه عن مقتل عمّه ، وإنشاده شعر السيّد الحميري ، كما تقدّم نقله .

فيمكن أن يستظهر من هذه الروايات وأمثالها كون فضيل زيديّ المذهب ، كما استظهر العلاّمة الحلّي والسيّد ابن طاووس زيديّة أخيه عبدالله من رواية عبد الرحمان بن سيابة التي ذكرناها سابقاً ، والتي جاء فيها أنّ الإمام الصادق عليه السلام أمر بتقسيم الأموال على عوائل المصابين مع زيد ، فأصاب عائلة عبدالله اربعة دنانير ، قال العلاّمة : وهذه الرواية تعطي أنّه كان زيدياً ، وقال السيّد : ظاهر الحديث ينطق بأنّ عبدالله بن الزبير كان زيدياً .

وناقش الشيخ المامقاني في هذا الاستظهار بقوله : إنّ الذين خرجوا مع زيد ليسوا كلّهم زيديّة بالبديهة .

أقول : مجرّد الخروج مع زيد ليس دليلاً على الزيديّة كما ذكر ، لكنّ تصريح علماء الفرق والرجال ـ كالأشعري وابن النديم ـ وضمّ الروايات الأخرى التي تلائم زيديّة الرجل ، حجةٌ للإستظهار المذكور ، فهو زيديّ على الأظهر .

وما ذكره الشيخ المامقاني ـ بعدما نقل عن الشيخ الطوسي ، ذكر الرجل في بابي أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام ـ من : أنّ ظاهره كونه إمامياً لا وجه له أصلاً وذلك :

أوّلاً : لما عرفت من أنّ الأظهر كونه زيديّ المذهب .

وثانياً : أنّ مجرد ذكر الشيخ الطوسي للراوي في كتاب رجاله لا يدلّ على كونه إمامياً ، لأنّ الشيخ لم يلتزم في الرجال بذكر من كان إمامياً ، بل هو بصدد جمع أسماء الرواة عن الأئمّة ، بمجرد عثوره على رواية له عن أحدهم فكتابه في الحقيقة فهرس لأسماء الرواة ، من دون نظر له فيه إلى توثيق أو جرح ، ولا إلى تعيين مذهب أو غير ذلك من الإهتمامات الرجاليّة ، وهذا واضح لمن راجع كتاب الرجال ، نعم التزم الشيخ الطوسي في « الفهرست » بأن يذكر فيه المؤلّفين من الإماميّة عدا من يصرّح بمذهبه من غيرهم .

حاله في الحديث

١ ـ بناءً على ما التزمه سيّدنا الأستاذ من وثاقة رواة كتابي « كامل الزيارات » للشيخ ابن قولويه ، و « تفسير القمي » لعلّي بن ابراهيم ، بالتوثيق العام ، استناداً إلى كلام المؤلّفين في أوّل الكتابين كما فصّله .

فإنّ الرجل يكون (ثقةً) شهد ابن قولويه والقمّي بوثاقته ، ويكون خبره (موثّقاً) بناءً على كونه زيديّ المذهب ، كما أسلفنا .

٢ ـ ذكره ابن داود في القسم الأوّل من رجاله ، المعدّ لذكر (الممدوحين) ونقل عن (كش : ممدوح) .

لكن قال السيد التفريشي : قد نقل عن الكشيّ مدحه ، ولم أجده في الكشيّ ، وقال المامقاني : لم نقف فيه على مدح ، ونسبة ابن داود مدحه إلى الكشيّ لم نقف له على مأخذ ، إذ ليس في الكشيّ إلاّ جعله معرّفاً لأخيه عبدالله بن الزبير الرسّان ، ودلالته على مدحه ممنوعة ، نعم يدلّ على كونه أعرف من عبدالله ، ومثل ذلك لا يكفي في درج الرجل في الحسان ، كما لا يخفى .

أقول يرد عليه :

أوّلاً : أنّه لم يظهر منه جعل فضيل معرّفاً لأخيه ، بل الأمر بالعكس على احتمال قويّ ، اذ المفروض ذكر الرواية المرتبطة بعبدالله في ترجمة الفضيل ،

فيكون عبدالله هو المعرّف ولم نجد ذكراً لفضيل في ترجمة عبدالله كما أشرنا إليه سابقاً .

وثانياً : أنّ ذكر الكشيّ لفضيل لا ينحصر بهذا المورد ، بل ذكره في موارد اخر ، وضمن أسانيد أخرى ، فلعلّ ابن داود استفاد المدح من مجموع ذلك .

وقال السيّد الخوئي : لعلّه [ابن داود] استفاد المدح ممّا رواه الكشيّ في ترجمة السيّد ابن محمد الحميريّ من أنّ الصادق عليه السلام أدخله في جوف بيت إلى آخر الحديث .

أقول : لكنّ الرواية تلك مرويّة بطريق الرجل نفسه فكيف يتم سندها حتى يستند إليها ؟

والذي أراه أنّ الرجل معتبر الحديث ، لما يبدو من مجموع أخباره وأحواله من انقطاعه إلى أهل البيت عليهم السلام ، واختصاصه بهم ونصرته لهم وتعاطفه معهم ، وكونه مأموناً على أسرارهم ، وكذلك وقوعه في طريق كثير من الروايات ـ وكلها خالية ممّا يوجب القدح فيه ـ فهذا كلّه مدعاة إلى الإطمئنان به ، ولو التزمنا بكفاية عدم القدح في الراوي لاعتبار حديثه من دون حاجة إلى معرفة وثاقته بالخصوص ، كما هو مذهب القدماء لكان الرجل معتمد الحديث بلا ريب .

كتابه

هو صاحب كتاب (تسمية من قتل مع الحسين عليه السلام) ومن ميزة هذا الكتاب احتواؤه على اسماء شهداء لم يذكروا في موضع آخر ، واحتواؤه على آثار وروايات وتفصيلات ، مما يرفع من قيمته العلمية والتاريخية .

القاسم بن الحسين بن معية

مر ذكره في المجلد الثامن الصفحة ٤٣٨ ونضيف إلى ما ذكر هناك ما يلي :

قال فيه صاحب عمدة الطالب : كان جليل القدر شاعراً ، ولم يل جلال الدين القاسم بن الحسين صدارة وامتنع ، وكان ابوه على قاعدة ابيه صدراً نقيباً بالفراتية فعزل عن النقابة .

ومن شعره قوله :

تقاعست دون ما حاولته الهمم
ولا سعت بي الى داعي الندى قدم
ولا امتطأت جوادا يوم معركة
وخانني في الورى الصمصامة الخذم
ولا بلغت من العلياء ما بلغ الآباء
قبلي ولا ادركت شأنهم
ان كنت رمت سلوا عن محبتكم
أو كنت يوما بظهر الغيب خنتكم
فما الذي أوجب الهجران لي فلقد
تنكرت منكم الأخلاق والشيم
اذاك من بخل بالوصل أم ملل
أم ليس يرعى لمثلي عندكم ذمم

وله :

ومن العجائب أن قلبي يشتكي   ألم الفراق وانتم بمكانه

القاسم بن حبيب بن مظاهر .

تنازع في قتل حبيب بن مظاهر يوم كربلاء كل من بديل بن صريم والحصين بن تميم . فقال الحصين لبديل اني شريكك في قتله ، فقال بديل والله ما قتله غيري ، فقال الحصين اعطني رأسه اعلقه في عنق فرسي كيما يرى الناس ويعلموا اني شركت في قتله ثم خذه أنت بعد فامض به الى عبيدالله بن زياد فلا حاجة لي فيما تعطاه على قتلك اياه ، فأبى عليه ، فاصلح قومه فيما بينهما على هذا ، فدفع إليه رأس حبيب بن مظاهر ، فجال به في العسكر قد علقه في عنق فرسه ، ثم دفعه بعد ذلك إليه . فلما رجعوا إلى الكوفة أخذ الآخر رأس حبيب فعلقه في لبان فرسه ، ثم أقبل به إلى ابن زياد في القصر ، فبصر به القاسم بن حبيب وهو يومئذ قد راهق ، فأقبل مع الفارس لا يفارقه كلما دخل دخل معه وإذا خرج خرج معه ، فارتاب به فقال مالك يا بني تتبعني ؟ قال : لا شيء ، قال : بلى أخبرني . قال له : إن هذا الرأس الذي معك رأس أبي افتعطينيه حتى أدفنه ؟ قال : يا بني لا يرضى الأمير أن يُدفن ، وأنا أريد أن يثيبني الأمير على قتله ثواباً حسناً . قال له الغلام : لكن الله لا يثيبك على ذلك إلا أسوأ الثواب ، أما والله لقد قتلته خيراً منك ، وبكى . فسكت القاسم حتى إذا أدرك لم يكن همه إلا اتباع أثر قاتل أبيه ليجد منه غرة فيقتله بأبيه . فلما كان زمان مصعب بن الزبير ، وغزا مصعب باجميرا دخل عسكر مصعب ، فإذا قاتل أبيه في فسطاطه ، فأقبل يختلف في طلبه والتماس غرته ، فدخل عليه وهو قائل نصف النهار ، فضربه بسيفه حتى برد (١) .

قيس بن عبدالله النابغة الجعدي

قيل اسمه حيان بن قيس بن عبدالله وهو الذي صححه ابو الفرج في الأغاني وقيل اسمه قيس بن عبدالله وقيل اسمه عبدالله .

مرت ترجمته في الصفحة ٢٦٠ من المجلد السادس باسم (حيان) . وقد تحدث خليل ابراهيم العبطة عن ديوانه في العدد ٤٧ من السنة الخامسة من مجلة (المكتبة) (تموز ١٩٦٥) فقال بعد أن ذكر أنه توفي سنة ٧٠ في حين ذكر في ترجمته في المجلد السادس أنه توفي حوالي سنة ٦٥ ، وبعد أن ذكر كذلك أنه احد شعراء الطبقة الثالثة الفحول عند ابن سلام :

لقي شعره عناية من الاقدمين فائقة فرووه ونقدوا عليه واستشهدوا به ، ولكن الأيام جارت على ديوانه فلم نجد له اثراً على ما بذلنا من جهد رغم أن جهرة من العلماء الثقات جمعوا متفرق شعره في دواوين مستقلة : كالاصمعي (٢١٦) وابن السكيت (٢٤٣) والسكري (٢٧٥) وثعلب (٢٩٠) وابن الأنباري (٣٢٨) وغيرهم .

بل أن ابا بكر بن خير الأشبيلي (٥٧٥) يذكر في (فهرسته) باب «تسميته كتب الشعر واسماء الشعراء التي وصل بها ابو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي إلى الأندلس » ما حرفه : (وشعر النابغة الجعدي تام في خمسة اجزاء قرأته على نفطويه) . ويفيدنا هذا الخبر بأنه أول اشارة إلى حجم الديوان وان كان لا يخلو من غموض ، ولم يشر ابن النديم (٣٨٥) في فهرسته إلى شيء من ذلك .

ولكن اين الدواوين التي جمعها اولئك العلماء ؟ لقد صارت اثراً بعد عين وضاعت في خضم الأيام . وهذا الحاج خليفة (١٠٦٧) صاحب (كشف

(١) الطبري .

الظنون) لا يعرف عنه شيئاً بدلالة عدم ذكره في مادة (علم الدواوين) واكتفى باشارة غامضة لا تغني ولا تنقع الغلة ذكرها في المجلد الثاني من مصنفه الآنف الذكر في مـادة (كتب الاشعار) قـائلاً « شعـر النابغـة وامريء القيس وزهـير والجعدي ولبيد ـ جمعه ابو سعيد الحسن بن الحسن السكري النحوي المتوفى سنة ٧٥ » . اهـ .

وليس في النص المذكور ما يدل على معرفة الحاج خليفة بديوان الجعدي ولو كان رآه أو سمع عنه لترجم له كمألوف عادته .

وقد كنت استقرأت اغلب فهارس المخطوطات العربية فألفيت أن في معهد المخطوطات العربية المصورة قطعة من شعر الجعدي (فيض الله ١٦٦٢) تقع في ست ورقات فطلبت صورتها وعكفت على جمع شعره من المظان : مطبوعها ومخطوطها فإذا بها جملة حسنة تنيف على ما جمعت المستشرقة ماريا نالينو منه سواء ما نشرته في المجلد الرابع عشر من مجلة الدراسات الشرقية بنابولي ام ما نشرته بديوان مستقل سنة ١٩٥٢ بروما .

تحتوي القطعة المذكورة على رائية الجعدي ومطلعها :

خليـلي غضـا سـاعـة وتهجـرا ‏ ‏ ‏ ‏ ولوما على ما احدث الدهر أو ذرا

وتقع في مائة وعشرين بيتاً ، وكان صاحب جمهرة اشعار العرب روى منها خمسة وسبعين بيتاً .

ولامية مطلعها :

أما ترى ظلل الأيـام قد حسـرت ‏ ‏ ‏ ‏ عني وشمـرت ذيـلاً كـان ذيـالا

وهي سبعة وثلاثون بيتاً .

وفي المخطوطة بعض الشروح والتغييرات . ورغم أنها غفـل من التاريخ فإني استطيع ارجاع نسخها إلى القرن الثامن الهجري لاشارة نقل فيها ناسخها من كافية ابن مالك .

ويبدو أن هذه القطعة كـانت في مجموع مخطوط فيه قصيـدة لعمر بن أبي ربيعـة الحـادرة وديوان لقيط بن يعمـر الأيادي لتشـابـه الخط والنقـول والتقييدات كما بان لي بعدئذ ، ومن المؤكد أن نسخة دار الكتب المصرية المرقمة (١٨٤٥ أدب) منسوخة عن قطعتنا .

وآخر ما ظهر عن الجعدي ما اصدره المكتب الاسلامي بدمشق معنـوناً بـ (شعر النابغة الجعدي) وهو اعادة لمطبوعة المستشرقة الأيطالية نالينو مع اضافة مقطعتين أو ثلاث . وآمل أن ادفع بالديوان إلى الطبع قريباً ـ بـإذن الله ـ والله الموفق والمستعان « انتهى » .

ولا ندري هل دفع الكاتب بالديوان إلى الطبع أم لا ؟

قيس بن عمرو المعروف بالنجاشي

مرت ترجمته في المجلد الثامن الصفحة ٤٥٧ ونزيد عليها هنا ما يلي :

يبدو أن هذا الرجل قد ختم سيرته بالسوء فقد ورد في أكثر من مصدر انه شرب الخمر في رمضان فضربه أمير المؤمنين عليه السلام مئة سوط ، ثمانين للسكر وعشرين لحرمة رمضان ، فلما ضربه ذهب إلى معاوية ، ونال من علي عليه السلام

والظاهر أن هذا هو الذي اشار إليه صاحب كتاب (الطليعة) وهو قوله : ونسب إليه ابن أبي الحديد هناة لا تصح .

اي أن صاحب الطليعة ينكر هذه الحادثة .

كليب الجرمي .

حدث كليب الجرمي قال فيما قال : انتهينا إلى البصرة فلم نلبث إلا قليلاً حتى قيل : هذا طلحة والزبير معهما أم المؤمنين ، فراع ذلك الناس وتعجبوا فإذا هم يزعمون للناس انهم انما خرجوا غضباً لقمان وتوبة مما صنعوا من خذلانه ، وإن أم المؤمنين تقول : غضبنا لكم على عثمان في ثلاث : امارة الفتى وموقع الغمامة وضربة السوط والعصا ، فما انصفنا إن لم نغضب له عليكم في ثلاث جررتموها إليه : حرمة الشهر والبلد والدم . فقال الناس : أفلم تبايعوا علياً وتدخلوا في امره ؟ فقالوا دخلنا واللّج على أعناقنا .

وقيل : هذا علي قد اظلكم ، فقال قومنا لي ولرجلين معي : انطلقوا حتى تأتوا عليا واصحابه فسلوهم عن هذا الامر الذي قد اختلط علينا ، فخرجنا حتى انتهينا إلى علي فسلمنا عليه ، ثم سألناه عن هذا الأمر ، فقال : عدا الناس على هذا الرجل وأنا معتزل فقتلوه ثم ولوني وأنا كاره ولولا خشية على هذا الدين لم اجبهم ، ثم طفق هذان في النكث فأخذت عليهما وأخذت عهودهما عند ذلك واذنت لهما في العمرة ، فقدما على امهما حليلة رسول الله صلى الله عليه وآله فرضيا لها ما رغبا نسائهما عنه وعرضاها لما لا يحل لهما ولا يصلح ، فاتبعتهما لكيلا يفتقوا في الاسلام فتقاولا ... قوا جماعة .

ثم قال اصحابه : والله ما نريد قتالهم إلا أن يقاتلوا وما خرجنا للاصلاح .

فصاح بنا اصحاب علي : بايعوا ، بـايعوا ، فبـايع صـ ... باي ، وامـا أنا فأمسكت ، وقلت بعثني قومي لأمر ، فلا احدث شيئاً حتى ارجع اليهم ، فقال علي : فإن لم يفعلوا ؟ فقلت : لم افعل . فقال : أرأيت لو أنهم بعثوك رائداً فرجعت إليهم فاخبرتهم عن الكلأ والماء ، فحالوا الى المعاطش والجدوبة ما كنت صانعاً ؟ قال : قلت كنت تاركهم ومخالفهم الى الكلأ والماء ، قال : فمد يك ، فوالله ما استطعت أن أمتنع ، فبسطت يدي فبايعته .

وكان يقول : علي من ادهى العرب .

وقال (أي علي) : ما سمعت من طلحة والزبير ؟ فقلت : اما الزبير فأنه يقول : بايعنا كرهاً ، واما طلحة فمقبل على أن يتمثل الاشعار ويقول :

ألا أبـلغ بـني بـكـر رسـولا ‏ ‏ ‏ ‏ فـليس الى بـني كـعـب سـبيـل

سيـرجـع ظلمكم منكـم عليكـم ‏ ‏ ‏ ‏ طـويـل السـاعـدين لـه فصـول

فقال : ليس ذلك ولكن :

ألم تـعـلـم أبـا سـمـعـان انّـا ‏ ‏ ‏ ‏ نصمُّ الشيـخ مثلك ذا الصـداع

ويـذهـل عـقله بـالحـرب حتى ‏ ‏ ‏ ‏ يـقـوم فيستجيب لغـير داع[1]

الكميت بن زيد الأسدي

مرت ترجمته في الصفحة ٣٣ من المجلد التاسع ونزيد عليها هنا ما يأتي :

قال الدكتور عبد المجيد زراقط :

ولد الكميت عام ٦٠ وهو عام كربلاء ، وكان قومـه بنو اسـد هم الذين دفنوا الحسين عليه السلام وانصاره . ولعل كربلاء ظلت حـاضرة في اذهـانهم وفي احاديثهم وفي نفوسهم فرضعها الطفل مع الحليب ولا سيما ان بني اسد لم يكونوا راضين هذه القرشية المستأثرة والمتمثلة ببني أميـة . لا سيما أنـه ولد لأبـوين لا يملكان من حطام الدنيا شيئاً .

(١) الطبري .

هذه الظروف اسهمت بقوة في فرض اختيار الكميت فشب وهو يعتقد مذهباً دينياً وسياسياً واجتماعياً . . وراح يدعو له بعد أن تهيأ للأمر كأفضل ما يكون ، ونلمس هذا من خلال الأخبار التالية :

- يقول صاحب الخزانة : « قال بعضهم : في الكميت خصال لم تكن في شاعر ، كان خطيب بني أسد وفقيه الشيعة وحافظ القرآن وكان ثبت الجنان وكان كاتباً وكان نسابة وكان جدلياً » .

- هذه الصفات يفصلها أبو الفرج في اخبار متفرقة فنعلم أنه « كان شاعراً مقدماً عالماً بلغات العرب ، خبيراً بأيامها ، وأنه كان راوية للشعر وللحديث . وبلغ من مقدرته أنه كان يحفظ شعر نصيب أكثر منه ، وأنه تنازع وحماد الراوية العلم بأيام العرب ورواية الشعر فأفحمه ، وأنه كان عالماً بالنجوم وقد مارس التعليم في جامع الكوفةالكبير .

وهذه الامكانات والمهارات ، كانت تترافق مع صفات كان يتحلى بها الشاعر تجل وتحترم . وليس سهلاً على انسان عادي أن يصادق رجلاً يختلف عنه مذهباً وعصبية . . . أما الكميت ، فقد كان يصادق الطرماح رغم بعد المسافة بينهما ، إنه نوع من الارتفاع بالنفس الانسانية . كما أن الشاعر كان مؤمناً يخاف الله لدرجة أن يندم على هجائه لبني كلب . ويقول : « فعممتهن بالفجور والله ما خرجت بليل قط إلا خشيت أن أرمى بنجوم السماء لذلك » وكان مخلصاً لمذهبه . « إذ أظهر ما كتم العباد من الحق وجاد حين ضن الناس » دون أن يشاء مقابلاً لذلك إلا الثياب تبركاً .

الحق أن الكميت كان شاعر المعارضة أو داعيتها . وقد جهد في أن يحتل موقعه عن جدارة ، وهو بهذا الجهد اصبح الرجل الملم بكل معطيات عصره السياسية والثقافية . بكل ما تعنيه هاتين الكلمتين ، والرجل المخلص العامل بكل ما يستطيع على نشر مذهبه .

الظلم والتشويه

رغم هذا لم يقدر للكميت أن ينجو من ظلم وتشويه نالا من أمثاله من الشعراء ، فهو عندهم أصم ، برغم أنه كان معلم أولاد وطالب غريب . . . هذا قليل بالنسبة إلى مظاهر أخرى للظلم والتجني نلمسها في ما يلي : اهمل ابن سلام الشاعر ولم يتحدث عنه كما تحدث عن غيره من الشعراء ، ولم يعامله الأصمعي بالمقياس نفسه الذي عامل به ابن أبي ربيعة وآخرين من المولدين .

قال الأصمعي : « الكميت بن زيد ليس بحجة لأنه مولد وكذلك الطرماح . . » وقال : « وعمر بن أبي ربيعة مولد وهو حجة . سمعت أبا عمرو بن العلاء يحتج في النحو بشعره ويقول هو حجة . وفضالة بن شريك الأسدي وعبد الله بن الزبير الأسدي وابن الرقيات هؤلاء مولدون وشعرهم حجة . . . . » . ومما يجدر ذكره ان الحكم بـ « الحجة » كان امرأ مهما جداً لرواية الشعر والاهتمام والاستشهاد به أيضاً . المفضل كان يقول : « لا يعتد بالكميت في الشعر وقال : أنشدني أي معنى له حتى آتيك به من أشعار العرب » .

وابن قتيبة يقول عنه : « . . . فإنه يتشيع وينحرف عن بني أمية بالرأي والهوى ، وشعره في بني أمية أجود من شعره في الطالبيين ، ولا أرى علة ذلك إلاّ قوة أسباب الطمع وإيثار عاجل الدنيا على آجل الآخرة » .

والجاحظ يصفه فيقول : « الكميت كان شيعياً من الغالية » ويصف شعره في مديح الرسول بأنه من الحمق كقوله : « إليك يا خير من تضمنت الأرض وإن عاب قولي العيب » . ونقل المرزباني في موشحه هذا الرأي فقال : « ولا يعيب قوله في وصف النبي ﷺ إلا كافر بالله مشرك » .

وعابوا عليه أخذه من الشعر العربي القديم واستفادته من القرآن حتى أن ابن كناسة حاول أن يضع مؤلفاً في سرقاته من القرآن وغير القرآن .

أما عن تأثير شعره فيقول أحمد الهاشمي : « لشعره من التأثير السياسي والمذهبي أثر سيء شتت شمل الوحدة العربية » .

هذه عينات لآراء ومواقف سببها ، كما يرى د . ن . القاضي بحق ، أن هؤلاء كانوا متأثرين في أحكامهم بأمرين اساسيين الأول مذهب الشاعر الديني والسياسي والثاني اتجاه شعره المخالف للقدماء ، إذ طبقوا عليه مقاييسهم المتعارف عليها في المدح والهجاء ، في حين كان شعر الكميت يفترض نظرة خاصة جديدة لشعر خاص بصاحبه جديد . وربما كان هذا الرأي للقدماء : « الكميت ، وكان يتعمد إدخال الغريب في شعره وله في آل البيت الأشعار المشهورة ، وهي أجود شعره » . أقرب الآراء إلى الحقيقة .

وإن كانت مواقف القدماء تجد تفسيراً لها في التعصب المذهبي ديناً وفناً ، أو في الخوف من « السلطان » ، فما هو تفسيرنا لرأي الدكتور شوقي ضيف التالي : « . . . . ومعنى ذلك أن قصيدته المذهَبة كتبت لخدمة الشيعة عن طريق تشتيت الجماعة الاسلامية وبث الفرقة بينها ، أكانت الجماعة الاسلامية تنتظر مذهبة الكميت كي تتفرق ! ألم تكن « الاستراتيجية » الأموية قائمة على رد الناس إلى أنسابهم ؟ أي على التمزيق القبلي ، الم نر نماذج من هذه السياسة في الفصول السابقة ؟ ايحتاج الدكتور إلى التذكير بنقائض العصر الأموي !؟ والتي رأينا أن « السلطان » الأموي كان يتبناها . ثم أن مذهبة الكميت أتت انعكاساً لواقع كان مستفحلاً ، وكان في الوقت نفسه السبب في فشل ثورة اسلامية ، هذا الفشل وملابساته جعلا الكميت يستجيب لرجاء عشيرته ويجيب شاعراً طالما هجا قومه وأفحش وما كان يجيبه لأنه كان مهتماً بأمور أخطر ، ولكن الواقع هذا ، والذي كان نتيجة للتطور الذي ساق الأمويون إليه الجماعة الاسلامية ، أضاع أموره وجره إلى المستنقع الذي سرعان ما خرج منه وندم على الارتماء فيه ردحاً بسيطاً من الزمن .

الجديد في شعر الكميت وليد تجربته الخاصة

كان شعر الكميت تعبيراً عن موقف املاه عليه موقعه ، وكان يريد منه تأدية مهمة منوطة به . وكان من الضروري أن يتأثر هذا التعبير بشروط تتعلق بالنشر والمنافسة والاقناع والتعبئة النفسية ، عبر استخدام وسائل خاصة . وقد لاحظ معظم من درس شعر الكميت تميز شعره ، فوصفه القدماء بالخطب . « جاء حماد الراوية إلى الكميت فقال : اكتبني شعرك ؛ قال : أنت لحّان ولا اكتبك شعري » . . . فقال له : « وأنت شاعر ؟ انما شعرك خطب » . وقال بشار : « الكميت خطيب وليس بشاعر » . وقال الجاحظ : « ومن الخطباء الشعراء الكميت بن زيد الأسدي وكنيته أبو المستهل » . وقال : « ان للخطبة صعداء وهي على ذي اللبّ أرمى ، الكميت وكان خطيباً » .

والدكتور عبد القادر القط يرى في شعر الكميت ما يلي : « والحق أن ما يبدو جدلاً سياسياً في مثل هذه الأبيات هو في حقيقته الصق بما يمكن أن نسميه

« بالاستهواء الخطابي » الذي يحيل الخطيب فيه الفكرة إلى احساس بوسائل الخطابة المعروفة من تكرار أو سخرية أو تأكيد أو اتجاه إلى عاطفة السامع ومحاولة إثارة وجدانه قبل اقناع عقله » .

« وقد عرف الكميت بأنه كان يحسن الخطابة ولا شك أن هذه الموهبة تبدو جلية في شعره السياسي بوجوه فنية كثيرة بعضها يتصل ببناء القصيدة وتسلسل صورها واجزائها وبعضها خاص ببناء العبارة وإيقاعها وتكوين الصور نفسها . أما بناء القصيدة فيقوم في الأغلب على استثارة فضول السامع كما يفعل الخطيب . . . » . ويرى أن الشاعر يستخدم وسائل مثل التكرار الخطابي والتكرار المؤكد (الفاظ ذات معان متقاربة) والجناس الناقص والتقسيم ، واقتران الألفاظ بصفات توضح دلالاتها ، والأرصاد للقافية من اجل أن يصل إلى غرضه وهو كما يقول : « وكان الشاعر بتكرار هذه الألفاظ ذات الإيقاع الواحد والمعاني المشتركة يحاول أن يطبع عاطفته ويحفرها في وجدان القارىء أو السامع إلى أعمق ما يستطيع » .

ويثير الدكتور القط مسألة شديدة الأهمية عندما يقول : « ويمكن أن نجد في تلك الصيغ الموقعة المشتركة بدايات واضحة لبعض مظاهر البديع التي يربطها الدارسون دائماً بالمخضرمين من شعراء الدولة الأموية والعباسية وببعض شعراء الدولة العباسية كمسلم بن الوليد وأبي نواس ثم أبي تمام رأس هذا الاتجاه وتؤكد هذه الظاهرة الملموسة في شعر الكميت أن التطور الفني الذي عرف فيما بعد باسم البديع . . . كان تطوراً طبيعياً ممتداً متأثراً بطبيعة التجربة عند الشاعر وبحسه اللغوي والموسيقي » .

ويلاحظ الأستاذ احمد نجا ، في كتابه عن الشاعر ، أن الكميت استخدم التكرار والطباق والترصيع والترتيب والمجاورة لتأكيد المعنى ، والالتفاف لتأييد فكرة أو لنفيها ، كما يلاحظ أن شعره يتميز بصفاء لغة ، وجزالة تعابير وانتقاء مفردات . وأنه جدد من حيث القالب بحيث صار موضوع الناقة ثانوياً ، ومن حيث الموضوعات إذ هجر النسيب وسخر من الأوضاع البدوية ويقارن بينه وبين أبي نواس ويعطي امثلة منها قول الكميت :

فدع ذكر من لست من شأنه ولا هو من شأنك المنصب
وهات الثناء لأهل الثناء بأصوب من قولك فالأصوب

ويقارن بين قوله الأخير وقول أبي نواس :

اثن على الخمر بآلائها وسمها بأحسن أسمائها

وبين قول الكميت :

مالي في الدار بعد ساكنها ولو تذكرت أهلها ، أرب

وقول أبي نواس :

مالي بدار خلت من أهلها شغل ولا شجاني لها شخص ولا طلل

وبعد أن يستنفد وجوه المقارنة بينهما ينتهي إلى القول : « الكميت هو الحافز الحق للثورة الأدبية العباسية والسباق للتحرر والتجديد » .

إن كان الدكتور القط قد خالف الدارسين فاعتبر التطور الفني الذي عرف باسم البديع تطوراً طبيعياً يعود إلى طبيعة تجربة الكميت ، وإن كان الأستاذ نجا قد اعتبر أن الكميت هو الحافز الحق للثورة الأدبية العباسية ، فإن خشافاً في حديثه مع أبي تمام قد لاحظ هذا قديماً . سأل أبو تمام خشافا عن الكميت بن زيد وعن شعره وعن رأيه فيه ، فقال : « لقد قال كلاماً خبط فيه خبطاً من ذاك [مما لا يجوز] لا يجوز عندنا ولا نستحسنه ، وهو جائز عندكم ، وهو على ذاك أشبه كلام الحاضرة بكلامنا وأعربه وأجوده ولقد تكلم في بعض اشعاره بلغة غير قومه » .

إذاً يذكر الكميت بأبي تمام ومدرسته . ولكن يجب الانتباه لفروق ضروري تحديدها بين طبيعة تجربة الكميت وطبيعة تجربة أبي تمام وشعراء مدرسته ، فالكميت كان داعية ، يعبر عن موقف سياسي وديني اجتماعي ، كان يدعو إلى ثورة ، فمسألة التجديد عنده يمكن أن ينظر إليها من زاوية ، أنه كان يريد شد الانتباه وتركيزه ، وإيضاح المعنى وتأكيده وترسيخه ، فاستخدم أساليب الخطابة ، وكل هذا يجعل من الضروري أن يكون الشعر متميزاً كي ينشر ، وذا مستوى من الجودة يحترم من أجله فيحفظ وينشر ويقرأ أو يسمع ويروى ويدرس . وهذا ما دفع الشاعر إلى طلب الغريب وإلى استعمال البديع ، وهكذا يمكن فهم بديع الكميت وصناعته من زاوية خدمته لغرض الشاعر الذي كان يريد لقصيدته أن تتسرب وتسري . أما تشهيره بالأوضاع البدوية ففهمه سهل ، إذ أن الشاعر يريد من الناس أن يتجهوا إلى معالجة مشكلاتهم الحقيقية وإلى الاهتمام بأمورهم الأساسية .

« مالي في الدار بعد ساكنها ولو تذكرت أها ا ، أرب »

نلاحظ هنا اهتمام الشاعر بسكان الدار ، بالإنسان ، الذي يشكل همه الرئيسي . ولعل هذا أفضل رد على من يتهمون الشعر الشيعي بالارتماء في احضان الحزن ، كمنفس للمشاكل . ان الكميت يفتح باباً عريضاً للتطور الفني انطلاقاً من فكرة الاهتمام بالإنسان ، ومصيره ، وضرورة معالجته لمشكلاته ، وهنا يكمن الفرق بين الأصالة والافتعال .

الفرق بين أن تفرض التجربة الشعرية الشكل ، من بناء قصيدة وبناء عبارة ، والملائم للمضمون ، وبين أن يدور الشاعر على شكل (قالب) يصب فيه معانيه ولا يكون امامه إلا تزيين هذا القالب وتزويقه . والفرق أيضاً بين موقف يرفض التعامل مع الديار كبديل عن التعامل مع ساكنها ، وكأنه لاحظ أثر المقدمات المدحية في اغواء المتلقي ، والدعوة إلى الاهتمام بالذات ، وبين موقف يسخر من الديار وساكنها ويعود في مدائحه ليقتفي آثار نهج يسخر منه بمرارة .

وما كان سهلاً أن يتخلص أبو نواس من أسار التقليد لأنه كان يرفض وهو في الإطار ذاته ، وهو الإطار المتمثل بـ : على الشاعر أن يدور على شكل يبدأ به شعره ، ولأنه كان يرفض وهو في داخل أسوار « السلطان » . ومما يؤكد أن تجديد الكميت مرتبط بتجربته كداعية ، أن شعره في الأمويين مختلف تماماً ، إذ هو تقليدي ، وقد قال فيه هو : « إن هو إلاّ كلام ارتجلته » ، ولا اهمية لآراء القدماء فيه إذ انهم كما قلنا متأثرون بمقاييس خاصة بهم في المدح . ويقول الدكتور القط عن مدائحه في الأموين : « إننا نحس إزاء القصيدة بغلبة النظم الرديء والصفة الشكلية التي لا تنضح بعاطفة أو صدق أو توفق إلى ثورة فنية ذات قيمة أو عبارة شعرية محكمة .

الكميت خطيب يستخدم وسائل الخطباء ، وهي وسائل ليست مقنعة دائماً بالمعنى العقلي للإقناع ، وإنما هي تنقل المتلقي بإحساسه وشعوره المتولد عن الوسائل التي يستخدمها الخطيب إلى نتيجة هي موقف المتكلم .

والكميت أيضاً جدل ، وقد لاحظ الجاحظ هذا : « ما فتح للشيعة باب الاحتجاج بالشعر إلاّ الكميت » ، والمحدثون أكثروا من الحديث عن هذه الصفة في الكميت . يقول الدكتور شوقي ضيف : « يتحول الشعر عند الكميت إلى تأليف حجج وصياغة ادلة . وهذا معنى ما نقوله من ان الهاشميات جديدة في اللغة العربية ، فالشعر فيها يتصل بمنابع عقلية لا صلة بينها وبين المنابع القديمة التي كان يستمد منها الشعراء » .

ويقول الدكتور نعمان القاضي : « . . لم يكن شاعراً على الطريقة المألوفة وإنما كان شعره لوناً جديداً على الذوق العربي التقليدي ومحاولة رائدة في إدخال الشعر العربي من باب جديد ، واستمداداً لمنابع عقلية جديدة ، وصياغته صياغة فكرية لم يسبق إليها ، تتحول بالشعر العربي من مجال العاطفة إلى مجال الفكر والعقل المحض ومحاولة التصدي للتعبير عن نظرية مذهبية مدعمة بالنظر العقلي وطرائق المتكلمين ووسائلهم في الاحتجاج والاستدلال حتى ليخرج ديوانه الهاشميات نصاً طريفاً لمذهب الزيدية بكل تفاصيله ووقائعه بل أنه ليتجاوز ذلك إلى الاستدراك على كتاب الملل والنحل الذي أغفل بعض مبادىء الزيدية كفكرة العدل » .

وهكذا يبدو لنا الكميت خطيباً جدلاً ، داعية إلى الثورة ، هكذا يبدأ الكميت القصيدة من هاشمياته :

طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب ... ولا لعبا مني ، وذو الشيب يلعب
ولم يلهني دار ولا رسم منزل ... ولا يتطرّ بني بنان مخضب
ولا أنا ممن يزجر الطير همه ... اصاح غراب أم تعرض ثعلب
ولا السانحات البارحات عشية ... امر سليم القرن أم مر أعضب
ولكن الى أهل الفضائل والنهى ... وخير بني حواء والخير يطلب
الى النفر البيض الذين بحبهم ... الى الله ، في ما نالني أتقرب
بني هاشم رهط النبي ، فإنني ... بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب

يستفيد الشاعر من تعود الناس على تقليد شعري ، ويفاجئهم برفضه الذي يأتي على شكل صدمة تنبههم ، ويملك انفاسهم مشوقا إلى أن يصرح بغرضه وقد صرخوا ، كما فعل الفرزدق عندما أتى يسأله إن كان يذيع هذا الشعر أم لا : « من هؤلاء ويحك !؟ » ، وينتهي بهم الأمر ألى الاستجادة ، كما قال الفرزدق أيضاً له ، بعد معرفته من هم هؤلاء الذين يطرب لهم : « اذع يا بن أخي وأنت والله أشعر من مضى ومن بقي » . ويكون هذا الرضى عن الشعر والشاعر الزاد المرافق طوال التعرف على باقي اجزاء القصيدة الهادفة إلى ايصال المتلقي إلى موقف الشاعر .

هذه المقدمة الشادة تسلم المتلقي إلى التماس مباشرة مع مسألة أساسية في المذهب الشيعي ، وقد كانت محرجة لخصومهم الذين يحكمون باسم الدين ويضطهدون آل النبي ومن يحبهم . وهذه حقيقة تاريخية لا يفيد فيها اغماض العينين عنها والقول كالجاحظ مثلاً : من يعيب على الكميت حبه لآل محمد الا كافر ؟ فقد كانوا يعيبون عليه حبه لآل محمد ، ويضطهدون من يحبهم . والأحداث التاريخية شاهد على هذا ، لأن القضية لم تكن حباً لمجرد الحب ، وإنما كانت قضية سياسية ، أو مسألة مركزية في السياسة الاسلامية ، من حيث تقرير حق الخلافة ، فالعيب والاضطهاد لم يكونا من أجل الحب وإنما من أجل ما يقرره هذا الحب من أحقيَّة بالخلافة ، وكان الكميت واعياً هذه القضية تمام الوعي وقد استغلها كأفضل ما يكون الاستغلال مثيراً الناس على هؤلاء الذين يرون حب آل النبي عارا ، والذين يخيفون من يحبهم . ويستخدم الشاعر وسائل كالاستفهام والتقرير والتضمين بآيات القرآن . والمقابلة لحب آل البيت والمصاب بالجرب . والتكرار المؤكد « ترى . . . وتحسب ، أعنف ، وأؤنب . . » . والمتلقي يخرج من هذا التماس ، ان لم يكن متبنياً لموقف الشاعر ، فعلى الأقل متعاطفاً معه أو كحد ادنى يخرج مثاراً غير مطمئن وغير هادىء ، ويغدو يريد إجابة على جملة من الأسئلة يطرحها هذا التحريض وتثيرها هذه الإثارة :

. . بأي كتاب أم بأية سنة ... ترى حبهم عارا علي وتحسب
وجدنا لكم في حم[1] آية ... تأولها منا تقي ومعرب
ألم ترني في حب آل محمد ... اروح وأغدو خائفا اترقب
كأني جان محدث وكأنما ... بهم يتقي من خشية العر أجرب
على أي جرم أم بأية سيرة ... أعنف في تقريظهم وأؤنب

والداعية لا يترك المتلقي مثاراً حائراً ، وإنما ينطلق معه في جولة جديدة وهذه المرة تختلف ، إذ أنها تطول الأمر في العمق . يحكم الأمويون لأنهم من قريش ، وقريش تحكم لأنها رهط النبي ، إذا هم يحكمون باسم هذا الذي يؤنب في حبه ! يحكمون بسبب هذا الذي يعتبر حبه وحب آل بيته عارا ، وجرماً ويعامل محبُّه وكأنه اجرب . من هذا المنطلق ، يناقش مسألة « الإرث » أو الحق بالخلافة ، من منطق الأمويين أنفسهم الذين يتناقضون عندما يروون : « نحن الأنبياء لا نورث » و « انما الأئمة من قريش » ، فلم من قريش ؟ أليس بسبب النبي ؟ إن كان الأمر هكذا ، فكيف لا يورث :

يقولون لم يورث ولولا تراثه ... لقد شركت فيه بكيل وأرحب
وعك ولخم والسكون وحمير ... وكندة والحيان بكر وتغلب
ولانتشلت عضوين منها يحابر ... وكان لعبد القيس عضو مؤرب
ولانتقلت من خندف في سواهم ... ولامتدحت قيس بها ثم اثقبوا
ولا كانت الأنصار فيها أذلة ... ولا غيبوا عنها إذا الناس غيب
هم شهدوا بدرا وخيبر بعدها ... ويوم حنين ، والدماء تصبب
ولكن مواريث ابن آمنة الذي ... به دان شرقي لهم ومغرب
فإن هي لم تصلح لقوم سواهم ... فإن ذوي القربى أحق وأقرب

الفكرة بسيطة جداً ، إذا كان الرسول لم يورث ، كما يقولون ، فالخلافة من حق العرب جميعاً ، كما يقول الخوارج الذين يجعلونها من حق المسلمين جميعاً ، ولكن طالما أن الخلافة محصورة في قريش وليست من حق باقي القبائل فهذا بسبب تراثه : « لولا تراثه » ولكن مواريث ابن آمنة » ، والتراث أحق الناس به ذوو القربى ، ولولا تراث النبي لكانت هذه القبائل جميعاً لها الحق بالخلافة وبخاصة الانصار الذين لهم اليد الطولى في نصرة الإسلام ، وتراث النبي أولى به ذوو قرباه . وهكذا يوصل الكميت متلقي دعوته إلى دفء اليقين عبر التشويق والإثارة والإقناع .

وكان هذا دأب الكميت في هاشمياته جميعاً ، أنه في الهاشمية الرابعة يبدأ بإيقاظ الأمة من نعستها :

ألا هَلْ عَم في رأيه متأمل ... وهل مدبر بعد الاساءة مقبل !

(١) قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى .

وهل أمة مستيقظون لرشدهم فيكشف عنه النعسة المتزمل !
فقد طال هذا النوم واستخرج الكرى مساويهم لو كان ذا الميل يعدل !

لا أظن أن هذا الإيقاظ للأمة من كراها ارتداد على الذات بالعدوان ، بحيث يعد صمام أمان للسلطان ، وإنما هو شد للناس إلى رؤية واقع مرير ، وانهاضهم كي يلمسوا ما صارت إليه أمورهم . ولنلاحظ قبل أن نرى عرضه لواقع الحال ، هذا التساؤل الممتد المتعجب في البيت الأول . والذي يأخذ مداه ومعناه في المقابلة بين (عم متأمل) وبين (مدبر ومقبل) دون أن ننسى هذا الايضاح ، بعد الإساءة ، لتبيان مدى فظاعة هذا الادبار .

يعرض الكميت الوضع الذي يدعو إلى الثورة ويناقش مسألة على غاية من الأهمية ، وحسمها ضروري للخروج على السلطان ، واعني بها أن يصل المرء إلى درجة من الإقتناع بالأمر ومن التبني له تدفعه لأن يضحي بحياته من اجله . ويعود الكميت إلى هذه المسألة مرة اخرى في آخر القصيدة ، ويرى الباحثون في موقفه هذا وقوفاً منه عند حد التأييد دون المخاطرة ببذل النفس ويرون أنه قاله عند خروج زيد . والواقع أن القصيدة نظمت قبل خروج زيد بمدة طويلة . وان التطرق إلى هذه القضية كان في نطاق مناقشة أمر مهم جداً وحسمه ضروري من أجل نجاح الثورة .

لاحظ الكميت أن قلوب الناس مع آل البيت ولكنهم يخافون السيف فعرض للأمر في أوائل القصيدة مؤكداً أن حياة كالتي تعاش ليست بذات قيمة :

وعطلت الأحكام حتى كأننا على ملة غير التي نتنحل
. . . رضينا بدنيا لا نريد فراقها على أننا فيها نموت ونقتل
ونحن بها مستمسكون كأنها لنا جنة مما نخاف ومعقل
أرانا على حب الحياة وطولها يجد بنا في كل يوم ونهزل
فتلك أمور الناس اضحت كأنها أمور مضيع آثر النوم بهل

ثم يعود إليه في أواخر القصيدة ، وكأنه يريد أن يقطف الثمرة التي انضج ، وهنا يتحدث عن الناس ، ولكن بلسانه ، بحيث يصل ومتلقيه إلى :

فيا رب عجل ما يؤمل فيهم ليدفأ مقرور ويشبع مرمل
وينفذ في راض مقر بحكمه وفي ساخط منا الكتاب المعطل

- فإنهم للناس . . . غيوث حيا ، أكف ندى . . . عرى ثقة . . مصابيح تهدي . . ولكن كيف يتم التعجيل ؟ ويجيب :

لهم من هواي الصفو ما عشت خالصا ومن شعري المخزون والمتنخل
. . . تجود لهم نفسي بما دون وثبة تظل بها الغربان حولي تحجل

لا يزال الشاعر يعالج هذه المسألة ، مسألة بذل النفس ، ويقول بلسانه ولسان الآخرين أنه يضحي بكل شيء إلا بالحياة . أنه من هذا الموقف ينفذ إلى الموقف الذي يريد أن يصل إليه ، فقد أوصل المتلقي إلى تمنيهم وإلى تأييدهم ، ثم ينطلق به ، ليصل معه إلى حيث لا يقف التأييد عند حدود ولهذا يكمل ، وهنا يصبح الحديث مع النفس .

« وقلت لها بيعي من العيش فانيا . . أتتني بتعليل ومنتني المنى . . وقد يقبل الأمنية المتعلل . . . » .

ثم يحسم الأمر وهذا ما يريد الوصول إليه :

وإن ابلغ القصوى أخض غمراتها إذا كره الموت اليراع المهلل

إذاً ، عندما يجب « يخض غمراتها » ، رغم ما يظهره من مداراة وتقية :

ويضحي اناة والتقيات منهم أداجي على الداء المريب وأدمل . .

هذا هو الموقف الذي يريد الكميت ايصال متلقيه إليه ، التهيؤ للخروج باقتناع كامل وبذل مطلق ، عندما تبلغ الأمور الدرجة القصوى . ونحن أن كنا نريد الحكم للكميت ، أو الحكم عليه ، لا يجب أن نقتطع بيتاً ونقول هذا يمثل موقف الكميت من القضية . . . معتقدين أن البيت يمثل الوحدة في القصيدة العربية . وهذه الرؤية التي تحاكم القصيدة كأبيات منطلقة من ترداد غير مستند إلى قراءة في التراث مخطئة . وقد بينا هذا لدى حديثنا عن قصيدة المديح والنقيضة وقصيدة الغزل ونعيد هنا فنقول : يجب أن ننظر برؤية شاملة إلى القصيدة كوحدة متكاملة ، والموقف يؤخذ منها كاملة وإن كان من وجود مستقل للبيت ، فهو وجود آخر يختلف عن ذلك الذي يندرج في اطار القصيدة . وهو ما يراه النقاد في وجود اجزاء القصيدة الحديثة فلم يرون رؤيتين ! لعله الكسل وترديد ما اتبع وقيل . ولهذا ما كان ممكناً للشاعر أن يصل ومتلقيه إلى النتيجة التي رأينا دون أن يناقش الساسة مسائلهم ، اضافة إلى ما بدأ به من ايقاظ لرؤية واقع . يقول الكميت :

فيا ساسة هاتوا لنا من حديثكم نفيكم لعمري ذو افانين مقول
أأهل كتاب نحن فيه وأنتم على الحق نقضي بالكتاب ونعدل

يقود هذا التساؤل إلى عرض يبلغ فيه الذروة في استخدام الوسائل الفنية ، يكثف السؤال ويعرض صورتين متقابلتين :

فكيف ومن انّى واذ نحن خلفة فريقان شتى تسمنون ، ونهزل ؟

من يقرأ : « فكيف ومن أنى وإذ » و « تسمنون ونهزل » ! مفردة يحكم حكماً مخالفاً لحكمه لو قرأها في إطارها ، إنها ليست صناعة ، ولكنها حشد لوسائل توصل إلى الغرض . وهذا هو الفرق بين أن تكون الوسائل في خدمة الشاعر وبين أن يكون الشاعر في خدمتها .

ثم يفصّل عارضاً صورة توضح حقيقة ما هم عليه :

برينا كبري القدح أوهن متنه من القوم لاشار ولا متنبل،

ولنلاحظ هذه السخرية المستخدمة الفاظاً غريبة وكأن هذه الألفاظ الغريبة صورة كاريكاتورية مبرزة :

ولاية سلغد الف كأنه من الرهق المخلوط بالنوك أثول
كأن كتاب الله يعنى بأمره وبالنهي فيه الكودني المركل
الم يتدبر آية فتدله على ترك ما يأتي أم القلب مقفل

وينتقل الشاعر إلى الهجوم المباشر مستخدماً أيضاً وسائل كالتكرار « فحتى م حتى م ، أيتموا وأثكلوا ، خبال مخبل » وكالاستفادة من الأمثلة العربية « كلبة حومل . . كانت تربطها صاحبتها في الليل لتحرسها وتطردها في النهار ، وكنار الحالفين التي كان يضاف إليها الملح » . . .

فتلك ملوك السؤ قد طال ملكهم فحتى م حتى م العناء المطول

رضوا بفعال السوء من أمر دينهم ... فقد أيتموا طورا عداءً وأثكلوا

كما رضيت بخلا وسوءَ ولاية ... لكلبتها في أول الدهر حومل

نباحا إذا ما الليل اظلم دونها ... وضربا وتجويعا .. خبال مخبل

.هم خوفونا بالعمى هوة الردى ... كما شب نار الحالفين المهول

لهم في كل عام بدعة يحدثونها ... أزلوا بها اتباعهم ثم أوجلوا

وبعد هذا يفصل الشاعر في مساوىء الأمويين ، ولنلاحظ هذه المقابلة بين ما يحل وما يحرم ، فالأمر ليس مجرد صناعة :

تحل دماء المسلمين لديهم ... ويحرم طلع النخلة المتهدل

وليس لنا في الفيء حظ لديهم ... وليس لنا في رحلة الناس أرحل

. . . همـاهم بالمستلئمين عوابس ... كحدان يوم الدجن تعلو وتسفل

يحلئن عن ماء الفرات وظله ... حسينا ولم يشهر عليهن منصل

تهافت ذبان المطامع حوله ... فريقان شتى ذو سلاح وأعزل

ثم لنرى هذا التوظيف لمأساة كربلاء عقلانياً ولخدمة الثورة التي كان يدعو إليها ، وكيف يستخدم هذا العرض المأساوي لينهض بالناس :

فلم ار موتورين اهل بصيرة ... وحق لهم ايد صحاح وأرجل

كشيعته والحرب قد ثقبت لهم ... امامهم قدر تجيش ومرجل

فريقان هذا راكب في عداوة ... وباك على خذلانه الحق معول

فما نفع المستأخرين نكيصهم ... ولا ضر أهل السابقات التعجل

فإن يجمع الله القلوب ونلقهم ... لنا عارض من غير مزن مكلل

سرابيلنا في الروع بيض كأنها ... اضا اللبوب هزتها من الريح شمأل

على الجرد من آل الوجيه ولاحق ... تذكرنا اوتارنا حين تصهل

نكيل لهم بالصاع من ذاك اصوعا ... ويأتيهم بالسجل من ذاك اسجل

ألم يفزع الأقوام مما أظلهم ... ولما تجيهم ذات ودقين ضئبل

إلى مفزع لن ينجي الناس من عمى ... ولا فتنة إلا إليه التحول

إلى الهاشميين البهاليل إنهم ... لخائفنا الراجي ملاذ وموئل

كان الكميت داعية ثورة ، أفاد من إمكاناته ومهاراته ، التي كانت شاملة لمختلف شؤون الحياة في ذلك العصر من أجل خدمة عقيدته ، فأتى بشعر جديد في الأدب العربي ، وما كانت هذه الجدة مفتعلة أو وسيلة زينة ، وما كانت صناعة تهدف لاظهار الحرفة الفنية ، وإنما كانت جدة ابنة لموقف أو جدة وليدة تجربة خاصة

الشيخ لطف الله العاملي

مرت ترجمته في الصحفة ٣٨ من المجلد التاسع ونزيد عليها هنا ما يلي لتعلق بعضه بالمترجم ؛ وما ننشره هنا كان رداً على ما نشر في بعض المجلات :

إن المجال ، مكاناً وزماناً ليس فيما نعتقد ونقدر ، مجال مناقشة مسهبة كاملة شاملة لكل ما أورده الأستاذ فؤاد البستاني في جلسته مع مندوبي الصياد (العدد ١٦٩٢) في منهجيته وفحواه ومرتكزاته وبنيته ، حضارياً وتاريخياً وايديولوجياً وسياسياً وفي ما هو في عمقه الخلفي وما هو في بعده الأمامي واذا كنا انتظرنا . افساحاً منا في المجال لمن ألقيت الكرة في وجوههم ، في يوم ممطر على ملعب غير ذي عشب ، ان يقذفوا بالكرة ، ومر عددان من « الصياد » دون أي أثر . . . إذا كان ذلك كله قائماً فانه لا يمكن أن يمر الإنسان مرور الكرام بالمغالطات والأخطاء التاريخية التي ارتكز الإستاذ البستاني اليها ، وسوف نكتفي في هذه العجالة بابداء بعض الملاحظات حول ذلك :

أولاً : قضية الهيثم بن عدي :

يقول الأستاذ البستاني ان العربي منذ العصور العباسية يعني المسلم . وقد قيل في الهيثم بن عدي في العصر العباسي الأول لأنه كان يفرق بين العروبة والإسلام :

ولا يزال له حل ومرتحل ... إلى النصارى واحياناً إلى العرب

إنه من المفزع فعلاً تنكب منهجية مثل المنهجية التي تنكبها الأستاذ البستاني من استقراء التاريخ حدثاً وإطاراً ودلالة ، وبالتالي عبرة . وهي في الواقع ـ ويسمح لنا الأستاذ البستاني بذلك ـ مجرد تجريد بدائي من جهة ومسخ وتشويه من جهة ثانية . وهو داء طفولي معروف في علم التاريخ والاعتبار به .

لقد كان الهيثم بن عدي دعياً فاحتقره العرب المعتزون بأنسابهم فأراد أن يعر أهل البيوتات العربية تشفياً بهم فراح يضع مثالب للعرب ويؤسس للشعوبية ، فهجاه شعراء العرب ، وقال قائلهم مرة :

الله أكبر هذا أعجب العجب ... الهيثم بن عدي صار في العرب

ويؤسفنا أن يحوّر الأستاذ البستاني قصة البيت الذي استشهد به هذا التحوير العجيب .

أ ـ إن جميع المصادر التي بين أيدينا تروي البيت على هذا الشكل :

ولا يزال له حل ومرتحل ... إلى الموالي وأحياناً إلى العرب

ب ـ إن القصة التي نظم فيها هذا البيت قصة تافهة لم يكن يجدر بالأستاذ البستاني أن يجعل بسببها من الشاعر مفكراً يفرق في ذلك العصر بين العروبة والإسلام . ونحن نريد أن نسلم ـ جدلاً ـ مع الأستاذ البستاني انه وجد مصدراً يؤيد رواية البيت على الشكل الذي رواه ، ولكن كان من الكياسة أن يذكر القصة التي نظم فيها هذا البيت لنرى إن كان يصح أن نعد معها الشاعر مفكراً قومياً . وكل ما في الأمر ان الهيثم بن عدي أغضب أبا نواس ـ وكان أبو نواس لا يزال حدثاً ـ فهجاه بأبيات قال فيها :

لهيثم بن عدي في تلونه ... في كل يوم له رجل على قتب

فما يزال أخا حل ومرتحل ... إلى الموالي وأحياناً إلى العرب

وبذلك صار ابو نواس عند الاستاذ البستاني من غير المفرقين بين العروبة والإسلام في العصر العباسي الأول ! . .

إذن ان اطار الحدث من قضية الهيثم بن عدي سبباً وموقفاً وظرفاً ليس اطار النزاع الطائفي أو الديني بالمعنى الذي يريده له الأستاذ البستاني . والشعوبية أصلاً ليست في هذا الاطار . وكلمة (نصارى) الواردة في بيت الشعر الذي ذكره الأستاذ البستاني ـ على فرض صحة ورودها وهو غير صحيح ـ ، لا تعني المسيحيين باعتبارهم معتنقي هذا الذين وإنما تعني الروم : الأمة ، الشعب ، الحكم ، السلطة المواجهة العدوة . الاطار ليس صليبياً كما يحاول أن يوهم بذلك الأستاذ البستاني . وكان من الممكن أن يعني ذلك : أي عدو آخر مسيحياً كان أو يهودياً أو وثنياً .

والقول بأنه قد « قيل » في الشاعر ما قيل « من انه كان لا يفرق بين العروبة والإسلام » هو تجريد بدائي للتاريخ وطمس وتشويه له . ونتساءل إذا أخذنا بمنطق الأستاذ البستاني إلى ماذا كان يدعو إذن أبو نواس ؟ هل إلى حكم علماني

أو إلى حكم فوضوي أو ماذا ؟ . .

ثانياً : قضية نشوء الباكستان :

إن أكبر زعماء المسلمين في الهند كانوا ضد تقسيم الهند ويكفي أن نذكر منهم : أبو الكلام آزاد ، وفخر الدين علي أحمد ، وذاكر حسين ، والسيد محمد سعيد العبقاتي إلى عشرات أمثالهم . بل ان أبو الأعلى المودودي زعيم (الجماعة الإسلامية) ومؤسسها كان هو نفسه ضد التقسيم . هذه الجماعة المعروفة بنزعتها الإسلامية المتصلبة . وعندما اختلف المودودي مع رئيس جمهورية الباكستان أيوب خان ، كان مما عيره به هذا ، انه كان معارضاً لقيام الباكستان .

وقد استوضحت خلال زيارتي للباكستان عدداً من زعماء الجماعة الإسلامية فأقروا بهذه الحقيقة .

وقد لعب الصراع على الزعامة لدى الزعيم محمد علي جناح دوراً في التقسيم بالإضافة طبعاً إلى الأسباب الرئيسية الأساسية التي أدت إلى التقسيم .

إذن ليس صحيحاً ـ وهو أمر عاصرناه ـ أن مسلمي الهند « ظلوا في الحض حتى نشأت دولة الباكستان » كما يقول الأستاذ البستاني ليدعم ما انطلق به من مبدأ أصلاً : وهو أن المسلمين لا يمكن أن يتعايشوا مع أحد . . .

إن تاريخ الشعوب لا تلخص أسبابه وتكشف مكنوناته ببعض كلمات . إن وراء تقسيم الهند ونشوء دولتين فيها ، استعماراً دام عشرات السنين كان قوامه نهب الخيرات واثارة الفتن وبذر الشقاق وتقسيم الشعوب وتركيب الدول. ونحن نريد أن نسأل الأستاذ البستاني ما دام ان « المسلمين يسعون بمعونة مسلمي العالم ليكونوا دولة مسلمة » كما يقول فكيف خرجت بنغلادش المسلمة من دولة مسلمة بمعونة الهند ؟ ان اهمال العوامل الاقتصادية والسياسية والقومية واللغوية في فهم ثمل هذه الأمور هو تجريد بدائي للتاريخ . وعندما يرد ذلك للدين وللدين الإسلامي فقط لا يعود هذا تاريخاً أبداً . وأخيراً لماذا لا تزال تحبو فكرة وحدة غرب أوروبا وليس فيها مسلمون وهي مسيحية من قرون عدة .
ثم إننا نسأل الأستاذ البستاني ، من كان وراء الحركة الانفصالية التي قامت في بيافرا ؟ ومن هو وراء الحركات الانفصالية القائمة الآن في فرنسا واسبانيا وكندا ؟ أهم المسلمون ؟ . . بل اننا نسأله من كان وراء انفصال لبنان عن سوريا ؟!

ثالثاً : قضية الشيخ لطف الله العاملي :

يزعم الأستاذ البستاني أن فخر الدين المعني أرسل الشيخ لطف الله العاملي من ميس الجبل إلى عند الشاه عباس في ايران ، لينسق بين الشاه وفخر الدين في حربه مع العثمانيين .

والأستاذ البستاني حين يقول هذا القول فإنه يجهل حقيقة مهمة علماء جبل عامل في ايران في عهد الدولة الصفوية .

إن الهجرة العلمية العاملية إلى ايران هي أبعد عهداً وأسمى هدفاً مما يظن الأستاذ البستاني . وإذا كان فخر الدين المعني هو الذي أرسل الشيخ لطف الله العاملي إلى الشاه عباس فمن الذي أرسل قبل ذلك المحقق الكركي الشيخ علي بن الحسين ابن عبد العالي المتوفى سنة ٩٤٠ هجرية (١٥٣٤ م) إلى الشاه اسماعيل والشاه طهماسب ومن الذي أرسل الشيخ حسين عبد الصمد المتوفى سنة ٩٨٤ هجرية (١٥٧٦ م) وولده محمد بهاء الدين ؟ ومن الذي أرسل الشيخ ابراهيم البازوري والشيخ محمد علي خاتون والسيد بدر الدين الحسيني الأنصاري ؟ ومن الذي أرسل المئات غيرهم من علماء جبل عامل ؟

لقد كان سبب هذه الهجرة ان الدولة الصفوية قامت أول ما قامت على كيان عسكري بحت يرتكز إلى القوة المادية وحدها ، فكانت بحاجة إلى العلماء والمثقفين فوجدت بغيتها في هذا الجبل العظيم (جبل عامل) الذي استمر تدفق علمائه ومفكريه إلى ايران طيلة قرنين حتى ظهر في الميدان العلماء الايرانيون ، وكان أبرزهم محمد باقر المجلسي المتوفى سنة ١١٠٦ هـ (١٦٩٩ م) .

وقبل ذلك ، قبل قيام الدولة الصفوية في عهد ملك خراسان علي بن المؤيد ، حاول هذا الاستعانة بعلماء جبل عامل فأرسل يستدعي الشهيد محمد بن مكي المستشهد سنة ٧٨٦ هـ ولكن محمداً اعتذر لأن بلاده كانت في ذلك الوقت بأمس الحاجة إليه ، إذ كان هو رأس النهضة العلمية العاملية التي تضعضعت بفعل احتلال الافرنج (الصليبيين) ، ثم انبعثت على يد محمد بن مكي . واكتفى محمد بن مكي بأن ألف لعلي بن المؤيد كتاب (اللمعة) في الفقه وأرسله إليه .

إذن : ١ ـ مبدئياً ان العلاقات بين الشيعة وفخر الدين كانت على الأغلب سيئة ، إن لم تكن عدائية ولم يكن من مبرر لهم حتى ولو كانوا مضطهدين من قبل الحكم العثماني لأن يوالوا فخر الدين ، ولا لأن تقوم علاقة تحالف « مصيري » مع حكمه تستدعي « نشاطاً دبلوماسياً دولياً » من قبل الشيعة لدعم فخر الدين .

٢ ـ إن قضية الوجود الشيعي في ظل الحكم العثماني في العهد المعني لم تكن في لبنان مطروحة بالمعنى والمبنى اللذين يذكران للوجود المسيحي أو اللبناني . فلم تكن لدى الشيعة آنذاك ولا الآن نزعات استقلالية ذات ذور حضاري . كما انه من العبث الكلام عن علاقات آنذاك في هذا السياق بالذات بين شيعة جبل عامل وشيعة ايران . وبالتالي لا مجال للقول بتحرك شيعي متمثل في عالم كبير من علماء الشيعة في سفارة للأمير المعني . وهذا في رأينا مجرد كلام يُراد به تركيب تاريخ « بالابرة والسنارة » .

٣ ـ لم يكن في مطلق الأحوال من الوارد لدى الشيخ لطف الله ، شأنه في ذلك شأن علماء الشيعة آنذاك ان يقوم بمهمة مثل المهمة التي يذكرها الأستاذ البستاني وبخاصة لرجل مثل الأمير المعني . وكان أولئك العلماء من المنزلة والانشغال والعمل والترفع بحيث ان القصة الموردة لا تعدو أن تكون موضوعة .

هذا من الناحية المبدئية ، أما من حيث سيرة الشيخ لطف الله العاملي نفسها ، فهي تنفي النفي كله مثل هذه السفارة . فالشيخ لطف الله ليس هو الذي ذهب إلى جبل عامل ، بل ان جده ابراهيم بن علي بن عبد العالي الميسي هو الذي ترك ميس وذهب من الجبل إلى إيران .

وقد كان له ولدان هما : الحسن وعبد الكريم ، ولعبد الكريم ولد ، هو لطف الله .

وعن تفاصيل حياته ننقل له عبارة واحدة وليراجع تفاصيل ذلك في ترجمة

الشيخ لطف الله في أعيان الشيعة . أما العبارة فهي :

« ودخل في أوائل أمره إلى مشهد الرضا (ع) وتلمذ على مولانا عبدالله التستري وغيره . إلى أن انتظم في سلم المدرسين في الحضرة المقدسة والموظفين بوظائف التدريس والنظارة لخدام الروضة . ثم انتقل منه إلى قزوين ومنها إلى أصفهان وتوطن فيها إلى أن بنى له الشاه عباس المدرسة والمسجد . وهو وابنه الشيخ جعفر ووالده وعمه الحسن وجداه من مشاهير الفقهاء الإمامية » .

فمتى كان الشيخ لطف الله ـ وهذه سيرته ـ سفيراً لفخر الدين ؟!.

الشيخ لطف الله البحراني بن عطاء .

من ادباء البحرين ذكره في (انوار البدرين) ولم يذكر لا تاريخ مولده ولا تاريخ وفاته وقال : وله شعر في مراثي الحسين عليه السلام يقرأ في المجالس الحسينية والظاهر أنه من قرية جد حفص ومن شعره قوله :

وصلنا السرى بالسير نقطعها قفرا ... مهامه لا تهدى اليها القطا أثرا
يضل بها الخرّيت أن حل ارضها ... وترصدها الجربا فتقذفها سعرا
على يعملات كالقسي تفاوضت ... احاديث من تهوى فطاب لها المسرى
تسابق ايديها على السير ارجل ... قدحن من الصلد الصفاة لها حجرا
وما أن زجرناها ولكنها متى ... تلهف ملهوف توهمه زجرا
وما اتخذت منا دليلا وانما ... تخب وتستقري إذا انتشقت عطرا
الى أن أجازت ساحة الحي وانتهت ... الى دار من تهوى وقد اقفرت دهرا
فلما عرفن الدار حنت وارزمت ... فلم تنبعث في السير ارجلها شبرا
فملنا عن الاكوار للارض سجدا ... فسابقت الاجفان افواهنا فخرا
وعدنا فسلمنا سلاما فسلمت ... ثلاثاً فسلمنا عليها بها عشرا

وهي طويلة وله شعر كثير وقفت عليه .

السيد ماجد الصادقي بن هاشم .

توفي في شيراز سنة ١٠٢٨ من علماء البحرين وادبائها ارتحل الى شيراز ووصف بأنه اول من نشر علم الحديث فيها ، وانه اقبل عليه اهلها . وتلمذ عليه بعض علمائها مثل محمد محسن الكاشاني صاحب (الوافي) . وانه اجتمع بالشيخ البهائي في اصفهان ، وان البهائي استجازه فكتب له اجازة طويلة ، وإن هذه الاجازة وجدت في خزانة بعض كتب الاعيان سنة ١١٠٣ وان له من المؤلفات : (الرسالة اليوسفية) وله حواشي على الشرائع وعلى اثني عشرية الشيخ البهائي . وله رسالة سماها (سلاسل الحديد في تقييد أهل التقليد)(١) من شعره قوله :

ناشدتك الله إلا ما نظرت الى ... صنيع ما ابتدأ الباري وما إبتدعا
تجد صفيح سماء من زمردة ... خضراً وفيها فريد الدر قد رصعا
ترى الدراري يدانين الجنوح فما ... يجدن غب السرى عيا ولا ضلعا
والارض طاشت ولم تسكن فوقرها ... بالراسيات التي من فوقها وضعا
فقر ساحتها من بعدما إمتنعا ... وانحط شامخها من بعد ما ارتفعا
وارسل الغاديات المعصرات لها ... فقهقهت ملء فيها واكتست خلعا
هذا ونفسك لو أم الخبير لها ... لارتد عنها كليل الطرف وإرتدعا
وليس في العالم العلوي من أثر ... يحير اللب إلا فيك قد جمعا

ومن شعره :

طلعت عليك المنذرات البيض ... وابيض منها الفاحم المحموض
ست مضين واربعون نصحن لي ... ولمثلهن على التقى تحضيض
وافى المشيب مطالباً بحقوقه ... وعليّ من قبل الشباب فروض
أيقوم اقوام بمسنون الصبا ... متوافراً ويفوتني المفروض
أن الشباب هو المطار الى الصبا ... فإذا رماه الشيب فهو مهيض
بادرته خلس الصبا إذ لاح لي ... بمفارق الفودين منه وميض
فمشى وحاز السبق اذ أنا قارح ... جذع بمستن العذار ركوض
واسوّد في نظر الكواعب منظري ... إذ سودته الغانيات البيض
والليل محبوب لكل ضجيعة ... تهوى عناقك والصباح بغيض
عريت رواحل صبوتي من بعد ما ... أعيا المناخ بهن والتقويض
قد كنت في طلب العنان فساسني ... وال يذلل مصعبي ويروض
عبث الربيع بلمتي وعاث في ... تلك المحاسن كلهن مقيض

ومن شعره يحن الى ألفه ووطنه :

يا ساكني (جد حفص)(١) لا تخطفكم ... ريب المنون ولا نالتكم المحن
ولا عدت زهرات الخصب واديكم ... ولا أغب ثراه العارض الهتن
ما الدار عندي وأن الفيتها سكناً ... يرضاه قلبي لولا الالف والسكن
مالي بكل بلاد جئتها سكن ... ولي بكل البلاد جئتها وطن
الدهر شاطر ما بيني وبينكم ... ظلماً فكان لكم روح ولي بدن
مالي ومالك يا ورقاء لا انعطفت ... بك الغصون ولا إستعلى بك الفنن
مثير شجوك أطراب صدحت بها ... ومصدر النوح مني الهم والحزن
وجيرتي لا أراهم تحت مقدرتي ... يوماً وإلفك تحت الكشح محتضن
هذا وكم لك من اشياء فزت بها ... عني وأن لزنا في عوله قرن

وقبره بشيراز في جوار السيد احمد بن الامام موسى الكاظم عليه السلام المعروف (بشاه جراغ) كما في اللؤلؤة .

عضد الدين أبو نصر المبارك بن الضحاك الأسدي أستاذ دار الخلافة :

ذكره صلاح الدين الصفدي في وفيات سنة «٦٢٧» من تاريخه الذي على الحوادث قال فيها : « وأستاذ دار الخليفة أبو نصر المبارك بن الضحاك . . . له شعر حسن فمن شعره :

وقد كان حسن الظن جلّ بضاعتي ... فأدبني هذا الزمان وأهلُه
وأكثر من تلقى يسرُّك قوله ... ولكن قليل من يسرُّك فعله
وما كل معروف وإن قلَّ قدره ... يخف على عنق المروءة حملُه

ودفن بمقابر قريش » . وجاء ذكره في كتاب الحوادث في وفيات سنة «٦٢٧» قال مؤلفه : « وفيها توفي عضد الدين أبو نصر المبارك بن الضحاك . وكان شيخاً ديناً فاضلاً أديباً وكان من المعتدلين بمدينة السلام ورتب ناظراً بديوان الجوالي وكتب في ديوان الانشاء ثم نفذ رسولاً إلى صاحب الشام فلما عاد رتّب أستاذ دار الخلافة فكان على ذلك إلى أن توفي وكان له شعر حسن فمما نسب إليه ما رثى به بعض أصحابه وهو :

لئن مضى أحمد حميداً ... ما الموت في أخذه حميد

(١) أنوار البدرين .

(١) جد حفص قرية في البحرين .

أو بخلت مقلة بدمع ... فهي على مثله تجود

وذكره ابن الفوطي في الملقبين بعضد الدين قال : « عضد الدين أبو نصر المبارك بن أبي الرضا محمد بن أبي الكرم هبةالله بن الضحاك الأسدي القرشي البغدادي المعدَّل أستاذ الدار . (هو) المبارك بن محمد بن هبةالله بن علي بن محمد بن الحسن بن محمد بن القاسم بن أحمد بن محمد بن الضحاك بن عثمان بن الضحاك بن عبدالله بن خالد بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزّى بن قصي . شهد عند قاضي القضاة محمد بن جعفر العباسي في شعبان سنة خمس وثمانين وخمسمائة ورُتب ناظراً بديوان الجوالي وكتب في ديوان الانشاء وأنفذ رسولاً إلى العادل محمد بن أيوب سنة خمس وستمائة[1] ولما عاد من الرسالة ولي استاذية الدار في ربيع الآخر سنة ست وستمائة فلم يزل على ذلك إلى حين وفاته ليلة الجمعة الخامس والعشرين من المحرم سنة سبع وعشرين وستمائة . ومولده سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة ، وله شعر ورسائل » .

وكان لقبه بهاء الدين ثم بدل لما رفعت رتبته ، قال ابن الساعي في حوادث سنة ٦٠٥ : « وفيه (أي شهر ربيع الأول) خلع على رسولي الملك العادل ونفذ صحبتهما العدل بهاء الدين أبو نصر المبارك بن الضحاك والأمير عماد الدين أزبك الناصري »، ثم قال في حوادث ذي القعدة من السنة المذكورة : « وفي يوم الاثنين سادس عشري وصل بهاء الدين أبو نصر المبارك بن الضحاك والأمير عماد الدين أزبك من دمشق وتلقاهما حاجب الحجاب ، وجماعة من الأعيان ودخلا وعليهما الخلع التي خلعها عليهما العادل وقصد البدرية الشريفة » .

وقال في حوادث سنة «٦٠٦» في شهر ربيع الآخر : « وفي ليلة الخميس ثاني عشري ولي بهاء الدين أبو نصر المبارك بن الضحاك استاذية الدار العزيزة ولقب عضد الدين وأسكن الدار المقابلة لباب الفردوس المحروس وذلك بعد عزل أبي الفتح بن رزين في تلك الليلة ونقله عنها »، ثم قال في حوادث السنة المذكورة في جمادى الآخرة منها : « وفيه نفذ عضد الدين أبو نصر المبارك بن الضحاك أستاذ الدار العزيزة يومئذ رسولاً إلى الملك العادل وصحبته الأمير نور الدين آقباش الناصري المعروف بالدويدار ، وكان العادل إذ ذاك على سنجار محاصراً لها وأُمرا أن يرحّلاه عنها فمضيا ورحّلاه وعادا في يوم الأربعاء ثاني شهر رمضان ». ومما قدمنا يعلم أنه أرسل رسولاً إلى الملك العادل الأيوبي مرتين .

وذكره كمال الدين المبارك بن الشعار الموصلي قال : « من بيت معروف بالكتابة وتولي الأعمال الديوانية ، وكان من أعيان أهل بيته ديناً وفضلا ومعرفة وأدباً . شهد عند قاضي القضاة محمد بن جعفر البغدادي العباسي في شعبان سنة خمس وثمانين وخمسمائة ورتب ناظراً بديوان الجوالي ثم رتب أستاذ الدار العزيزة في شهر ربيع الأول سنة ست وستمائة ، ولم يزل على ذلك إلى أن توفي في ليلة الجمعة خامس عشر محرم سنة سبع وعشرين وستمائة ـ رح ـ وصلي عليه بجامع القصر وحضر جماعة أرباب الدولة وغيرهم فصلّوا عليه وحمل إلى مشهد موسى بن جعفر ـ (عليهما السلام) فدفن في تربة له هناك . أنشدت له بمدينة السلام هذه الأبيات ، حكى لي أنه كتبها على بعض سطوح الحمام المعدّ للمهام ونقل الأخبار :

يا حجرة بنيت بأيمن طائر ... شيدت مبانيها بأحسن منظر

حُفّت بأطيار كأن حفيفها ... ريح الشمال تضمّخت بالعنبر

وضعت لأصناف سوابق لم تكن ... لا لابن داود ولا الاسكندر

الله شادك نزهة المستبصر ... ببقاء مولى خلقه المستنصر

مولىً زكت أعرافه وجدوده ... في الأطيبين وفي المحل الأطهر

فغمامه من رحمة وعراصه ... من جنة ويمينه من كوثر

وأنشدت له في المعنى :

برج حمام سما بحمامه ... حوماً على الابراج طرا

وحمامه سبق الريا ... ح وفاتها براً وبحرا

والمبارك بن الضحاك الاسدي هذا هو خال الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي الشهير . وله أخبار كثيرة لأنه كان من شيوخ الدولة العباسية وأعيانها . وهو الذي درب ابن العلقمي على شؤون الادارة والسياسة والوزارة ، وأن لم يكن وزيراً ، فانه كان مرشحاً للوزارة ولكن انقطاع أجله حال دون ذلك .

قال كمال الدين الشعار في ترجمة الوزير نصير الدين أحمد بن الناقد وتوكيل الخليفة المستنصر له : وقال له أستاذ الدار أبو نصر ابن المبارك بن الضحاك وكانا قائمين[2] بين يدي الشباك الشريف ، وهو الذي قام بأمر البيعة[3] لشيخوخته وملابسته لاشغال الدار العزيزة : أن أمير المؤمنين قد وكل أبا الأزهر أحمد بن محمد بن الناقد في كل ما يتجدد من بيع وعتق وابتياع .

الحاج مجيد العطار ابن محمد

ولد سنة ١٢٨٢ في بغداد وتوفي في النجف الأشرف سنة ١٣٤٢ نشأ في مدينة الحلة وفي سنة ١٣٣٤ انتقل بأهله إلى ناحية شريعة الكوفة ، له شعر كثير في مدح أهل البيت ورثائهم ، وله إلمام في فن التاريخ الشعري .

من شعره قوله :

من حمى المرتضى اعتصمت بحصن ... قد حمى منه جانب العز ليث

فحبانا ببره وحمانا ... فهو في الحالتين غوث وغيث

وله مقرظا على عصا من عوسج أهديت إلى السيد محمد القزويني :

وان عصا من عوسج ترهق العدى ... وتثمر معروفا بيمنى محمد

لتلك التي يوم القيامة جده ... يذود بها عن حوضه كل ملحد

وله متشوقاً إلى لقاء الله :

ما شاقني قرب الحمام وانما ... اشتاق قرب الواحد المنان

لأشم ريح العفو عند لقائه ... واذوق طعم حلاوة الاحسان

وله مناجياً ربه :

احصلا ما في الصدور بموقف ... لا عذر فيه لنا عن العصيان

اتقيم فينا العدل يحكم وحده ... وامرتنا بالعدل وُالاحسان

محمد بن أبي بكر بن أبي القاسم الهمداني ثم الدمشقي

قال اليافعي في (مرآة الجنان) وهو يذكر وفيات سنة إحدى وعشرين

---

(١) كان السبب في إرساله سير العادل إلى الجزيرة واستيلاؤه على الخابور ونصيبين، وحصره سنجار ، وذلك أن الأتابك نور الدين ارسلان شاة بن مسعود بن مودود صاحب الموصل غدر به بعد أن عاهده والخبر مفصل في الكامل لابن الأثير ولكنه سمي فيه « هبة الله بن المبارك » وهو تصحيف . وقال ابن الأثير في تاريخه الآخر الأتابكي المعروف بالباهر « ص ٣٦١ أوربة » « إن امير المؤمنين الناصر لدين الله ـ أعز الله سلطانه ـ أرسل رسولا . . . وناهيك بهذا شرفاً وجلالة وقدراً لنور الدين عند أمير المؤمنين إذ ينفذ مثل أستاد داره العزيز » . ولكن ابن الأثير في ترجمة الناصر شتم وذم وجاوز الحد .

(٢) الثاني قاضي القضاة أبو صالح نصر بن عبد الرازق الجيلي .

(٣) يعني أستاذ الدار .

وسبعمائة :

فيها مات شيخ الشيعة وفاضلهم الشمس محمد بن أبي بكر بن أبي القاسم الهمذاني ثم الدمشقي . (انتهى)

(راجع ترجمته في الصفحة ٦١ من المجلد التاسع) .

محمد بن ابي عمير البزاز بياع السابري

في رجال ابن داود : يكنى أبا أحمد . من موالي الأزد ، واسم ابي عمير زياد بن عيسى . من اوثق الناس عند الخاصة والعامة وانسكهم واورعهم واعبدهم ، وقد ذكره الجاحظ في كتابه في فخر قحطان على عدنان بذلك ، وذكر أنه كان أوحد زمانه في الاشياء كلها . ادرك من الأئمة ثلاثة : أبا ابراهيم موسى بن جعفر (عليه السلام) ولم يرو عنه ، وروى عن ابي الحسن الرضا (عليه السلام) ، وروى عنه احمد بن عيسى كتاب مائة رجل من رجال ابي عبدالله (عليه السلام) ، وله مصنفات كثيرة ، وذكر ابن بطة انها اربعة وتسعون كتاباً .

حبس بعد الرضا (عليه السلام) ونهب ماله وذهبت كتبه ، وكان يحفظ اربعين جلداً فلذلك ارسل احاديثه . وكان قد سعي به انه يعرف اسماء الشيعة ومواضعهم ، فأمره السلطان بتسميتهم فأبى فضرُب ضرباً عظيماً . وقيل كان ذلك ليلي القضاء ـ قال : فلما بلغ مني الضرب ذلك كدت اسميهم فسمعت نداء : يا محمد بن أبي عمير : اذكر موقفك بين يدي الله ، فتقويت بقوله وصبرت ولم اخبرهم والحمد لله . وقيل انه ادى مائة واحدة وعشرين الف درهم حتى خلص ، وكان ممولا . وكان مولى بني امية وقيل مولى المهلب بن ابي صفرة ، بغدادي الأصل والمقام ، لقي الكاظم (عليه السلام) وسمع منه أحاديث كناه في بعضها ، فقال (عليه السلام) : يا أبا احمد ، تعظيماً له رحمه الله .

ابو نصر الفارابي محمد بن أحمد بن طرخان

مرت ترجمته في الصفحة ١٠٣ وما بعدها من المجلد التاسع ومر فيها ذكر مؤلفاته بصورة مجملة ونذكرها هنا مفصلة مكتوبة بقلم الأستاذ جعفر جاويشي . ونكرر الآن ما قلناه في أول الكتاب عن البحوث المنشورة في ترجمته في المجلد التاسع والمعنونة بهذه العناوين : (مع الفارابي الفيلسوف الروحي) و (مع الفارابي في المدينة الفاضلة) و (مع أهل المدينة الفاضلة) ـ إن هذه البحوث مكتوبة بقلم : الدكتور محمد مصطفى حلمي .

المنطق

١ ـ شرح العبارة لأرسطو طاليس :

شرح قيّم على كتاب العبارة لأرسطو ، كتبه الفارابي . اساس هذا الشرح نسخة أصلية باليونانية ، تختلف عن شرح امونيوس الذي أعدّه في القرن السادس الميلادي ، كما يختلف عن الأثر اليوناني الذي استفاد منه بوتيوس المعاصر له باللاتينية ، ولعل المآخذ والمباني لهذه الشروح الثلاثة هو التفسير المفقود لفرفوريوس .

الطباعة :

ويلهولم كوش ومساعده طبعا ونشرا المتن العربي مع مقدمة وفهارس كاملة ومفيدة ببيروت عام ١٩٦٠م .

الدكتور محسن مهدي نقد هذه الطبعة في المجلد الثاني والثمانون من مجلة اتحاد شرق امريكا ، وكذا دانلوب في مجلة الاتحاد الملكي الآسيوي .

يوجد من هذه الرسالة أربعة نسخ خطية :

١ ـ المكتبة الحميدية ، تركيا ، ورقمها ٨١٢/٤ .

٢ ـ مكتبة الأمة (فيضل الله أفندي) رقمها ١٨٨٢ .

٣ ـ مكتبة توبقا بوسراي رقمها ١٧٣٠/٢٠ .

٤ ـ مكتبة براتيسلاوا رقمها ٢٣١ .

الدكتورة مباهاة توركر كويل ترجمت هذه النسخة إلى اللغة التركية عام ١٩٦٦م ، وطبعت مرفقة مع المتن العربي بأنقرة .

٢ ـ رسالة صدر بها كتاب التوطئة في المنطق :

دانلوب طبع المتن العربي لهذه الرسالة مرفقاً بترجمة انكليزية عام ١٩٥٧م .

يوجد من هذا الكتاب خمس نسخ خطية في السليمانية .

الدكتورة مباهاة توركركويل طبعت المتن العربي وأرفقته بترجمة تركية .

في تعريف آثار الفارابي لموجغان جنبور تم تعريف ترجمتين المانيتين كنسخ خطية لهذا الأثر .

٣ ـ تعليقات انالوطيقا الأولى لأرسطو طاليس أو كتاب القياس الصغير :

ـ نسخة مكتبة الأمة (جار الله) رقم ١٣٤٩ ، الحميدية ١/٨١٢ .

ـ نسخة مكتبة توبقا بوسراي رقم ١٧٣٠/١٥ .

ـ نسخة مكتبة كلية الأداب والتاريخ الجغرافي باسطنبول ١/١٨٣ .

ـ الدكتورة مباهاة توركركويل اعدّت المتن العربي مع ترجمة تركية تشمل مدخلاً ممتعاً جداً وطبعته في أنقرة عام ١٩٥٨م .

ـ نيكولاس روشر ترجمه إلى الإنكليزية .

٤ ـ تفسير كتاب المدخل في صناعة المنطق :

هذه الرسالة منسوبة للفارابي ، في حين تردد بعض المحققين في نسبتها له ، واعتقدوا أنها من إخوان الصفا .

النسخ الخطية :

ـ المكتبة السليمانية (آيا صوفيا) رقمها ٤٨٣٩/٥ .

ـ المكتبة السليمانية رقم ٤٨٥٤/٥ .

ـ مكتبة توبقابوسراي رقم ٣٠٦٣/٢ .

ديتريشي طبع المتن العربي لهذه الرسالة في لايبزيك عام ١٨٨٣م .

ترجمة القرون الوسطى باللاتينية اعدّت وطبعت عام ١٨٩٧م .

٥ ـ شرح كتاب إيساغوجي فرفوريوس :

نسب هذا الكتاب إلى الفارابي ، لكن التحقيق الذي اعده شتيرن ـ محقق العلوم الاسلامية ـ يشير إلى أن هذا الكتاب هو في الواقع من آثار أبو الفرج بن الطيب .

دانلوب طبع المتن العربي والترجمة الانكليزية لهذا الكتاب عام ١٩٥٦م .

٦ ـ كتاب الأمكنة المغلطة أو كتاب في السفسطة :

توجد عدة نسخ من هذه الرسالة :

١ ـ مكتبة مجلس الشورى الوطني برقم ٥٩٥ .

٢ ـ المكتبة السليمانية (الحميدية) برقم ١٢/٨١٢

٣ ـ مكتبة كابل برقم ٤٥ (٢١٧) ٦٦ .

٤ ـ مكتبة براتسلاوا برقم ٨/٢٣١ .

تقسّم هذه الرسالة إلى ثلاثة فصول هي :

الفصل الأول : يشمل مقدمة الكتاب (في صدر الكتاب) .

الفصل الثاني : « في إحصاء الأمكنة المغلطة من الألفاظ » .

الفصل الثالث : « في إحصاء الأمكنة المغلطة من المعاني » .

وتوجد لهذه الرسالة ترجمة عبرية من القرون الوسطى .

عماد الدين المراكشي كتب شرحاً على هذه الرسالة تحت عنوان شرح مختصر في السفسطة . توجد نسخ من هذا الشرح في المكتبة المركزية لجامعة طهران ، ضمن الكتب المهداة من الأستاذ السيد محمد مشكاة .

٧ ـ شرح كتاب المقولات لأرسطو طاليس أو شرح فاطيقورياس أرسطو :

يوجد من هذه الرسالة ترجمتين عبريتين من القرون الوسطى على شكل مخطوطتين احداهما في ميونيخ رقمها ٣٠٧/٢ ، والأخرى في مكتبة اسكوريال رقمها ٦١٢ .

دانلوب طبع المتن العربي والترجمة الانكليزية لهذه الرسالة عام ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩ .

نهاد ككليك طبع المتن العربي مع مقدمة باللغة التركية من ١١ صفحة في اسطنبول عام ١٩٦٠م .

يحتمل أن تكون هذه الرسالة عينها رسالة الدكتوراه لككليك بجامعة اسطنبول التي قدمت باللغة التركية إلى هذه الجامعة عام ١٩٥٦م بعنوان تاريخ المنطق الإسلامي ومقولات الفارابي .

٨ ـ كتاب الجدل :

النسخ الخطية :

١ـ المكتبة السّليمانية (الحميدية) رقمها ٨١٢/٩ .

٢ ـ مكتبة براتسلاوي ، تشيكوسلوفاكيا رقمها ٢٣١ .

٣ ـ المكتبة الوطنية الملكية ضمن المجموعة ١٥٨٣ .

هكذا بدأت هذه النسخة : « قال أبو نصر محمد بن محمد الفارابي في صناعة الجدل ، هي الصناعة بها يحصل للإنسان القوة على أن يعمل من مقدمات مشهورة قياساً في إبطال كل (ما) وضع موضوعه كلي بتسلمه بالسؤال » .

حسب زعم العديد من المحققين فإن كتاب الجدل للفارابي هو قسم مما أعدّه من فصول يحتاج إليها في صناعة المنطق ، وإن المتن الكامل لهذا الكتاب لم تصل إليه يد حتى الآن ، ولا يوجد منه سوى ترجمته العبرية ليعقوب بن أبي موري ، التي يوجد منها نسخة خطية محفوظة في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم FOL-1008 .

عماد الدين المغربي (المراكشي) كتب شرحاً على كتاب الجدل للفارابي ، توجد نسخته الخطية في مكتبة سكوريال رقمه ــ COD.630 .

٩ ـ كتاب الألفاظ المستعملة في المنطق :

الدكتور محسن مهدي طبع المتن العربي لهذا الكتاب وارفقه بمقدمة وحواشي في بيروت عام ١٩٦٨م .

١٠ ـ كتاب شرائط البرهان تلخيص من فصول يحتاج إليها في صناعة المنطق :

دانلوب طبع المتن العربي لهذه الرسالة وأرفقه بترجمة انكليزية عام ١٩٥٥م .

الدكتورة مباهاة توركركويل طبعت نفس الملخص هذا وأرفقته بترجمة تركية في انقرة عام ١٩٥٨م .

١١ ـ كتاب شرائط اليقين :

النسخ الخطية : توجد نسخة خطية من هذا الكتاب في باريس بحروف عبرية ، ونسخة أخرى في المكتبة السليمانية (أسد افندي) رقمها ١٩١٨/٢ .

الطبعات : الدكتورة مباهاة توركركويل طبعت المتن العربي للكتاب وأرفقته بترجمة تركية عام١٩٦٣م .

يوجد شرح على رسالة الفارابي هذه تحت عنوان « شرح في شرايط اليقين » على هيئة نسخة خطية في مكتبة سكوريال رقمها ٢٦١٢٠٧ .

وتوجد ترجمة عبرية لكتاب شرايط اليقين للفارابي في المكتبة الوطنية بباريس رقمها Hebr - 1008 .

١٢ ـ كتاب المختصر الصّغير في المنطق على طريقة المتكلمين :

ورد إسم هذه الرسالة في برنامج وفهرسين للقفطي وابن أبي اصيبعة .

أراد الفارابي في رسالته هذه ـ في مقابل بعض الاشكالات التي جعلها الظاهريون من المنطق ـ أن يقرب ذلك بأسلوب استدلال المتكلمين الاسلاميين .

النسخ الخطية : توجد نسخة خطية في المكتبة المركزية لجامعة طهران رقمها ٢٤١/٢٥ . وكذلك نسخة خطية عبرية تعود للقرون الوسطى موجودة في باريس .

فن الشعر والخطابة

١٣ ـ رسالة في قوانين صناعة الشعر :

هذه الرسالة بمثابة تلخيص لكتاب فن الشعر لأرسطو ، مأخوذ عن شرح ثامسطيوس وبعض الشارحين الأخر ، وفي الواقع ليس بترجمة لكتاب أرسطو وتلخيص صحيح له ، إنما هو عبارة عن مطالب مختلفة جمعت ظاهراً عن بعض الشروح المتداولة بين فضلاء مكتب الاسكندرية علّق عليها .

أربري طبع المتن العربي لهذه الرسالة وأرفقه بترجمة انكليزية وذلك عام ١٩٣٨م .

١٤ ـ القول في التناسب والتأليف :

يوجد من هذه الرسالة فيلم ٢٧٤ (= صورة ٣١٣٥) في المكتبة المركزية لجامعة طهران .

١٥ ـ كتاب الشعر :

الدكتور محسن مهدي طبع المتن العربي المنقّح من هذا الكتاب على أساس نسخة المكتبة الحميدية مع مقدمة وحواشي ، وذلك في مجلة شعر ، المجلد الثالث ، بيروت ١٩٥٩م ، ص ٩٠ ـ ٩٥ .

واعيد نشره في مجلة آفاق في شهر أيار من نفس السنة ، بيروت ، ص ١٢٨ ـ ١٣٦ .

١٦ ـ كتاب الخطابة :

المتن العربي لهذا الكتاب مع ترجمته الفرنسية طبع ببيروت عام ١٩٧١م .

١٧ ـ شرح كتاب الخطابة لأرسطو :

توجد نسخة خطية من هذه الرسالة في المكتبة الحميدية بتركيا رقمها ٨١٢/١٠ .

وتوجد ترجمتين باللاتينية من القرون الوسطى طبعا عامي ١٤٨٤م و١٥١٥م .

١٨ ـ صدر كتاب الخطابة :

المتن العربي لهذه الرسالة لم يعثر عليه حتى الآن ، لكن الترجمة اللاتينية من القرون الوسطى موجودة وقد طبعت في فينيز عام ١٤٨١م .

نظرية المعرفة

١٩ ـ كتاب إحصاء العلوم :

كتب الفارابي هذا الكتاب حول تقسيم وتوضيح موضوعات العلوم . وقد نال هذا الكتاب منذ بدايته إعجاب الجميع ، وفي القرن الأخير كان موضع اهتمام المستشرقين ، حيث أنه يبين سعة علم فيلسوفنا من جهة ، ومن جهة اخرى هو بيان مفهوم للمراد من لفظ العلم في هذا العصر .

الفارابي اتبع في تقسيمه هذا أسلوب أرسطو ، وزاد عليه في علمي الفقه والكلام من العلوم الاسلامية ذات الأهمية الكبيرة في عصره .

طبع هذا الكتاب للمرة الأولى في اسطنبول عام ١٨٨٠م .

الشيخ محمد رضا الشبيبي طبع المتن العربي لهذا الكتاب على أساس النسخة الخطية في النجف ، دون أن يقابلها مع النسخ الأخرى ، ونشره في مجلة العرفان ج ٤/١١ ـ ٢٠و١٣ ـ ١٣٤ و٢٤١ ـ ٢٥٧ في صيدا عام ١٣٤٠ هـ ١٩٢١م .

الدكتور عثمان أمين طبع المتن العربي المنقح لهذا الكتاب في القاهرة عام ١٩٣١م على أساس الصورة رقم ٢٦٤ دار المصرية .

انجل بلانسيه نشر المتن العربي لإحصاء العلوم ـ معتمداً على نسخة سكوريال الخطية ـ بمدريد عام ١٩٣٢م .

وكان هو أول شخص تصدى لمهمة تحليل كتاب المدخل لصناعة المنطق تأليف ابن طملوس الذي نقل فيه فصل المنطق من إحصاء العلوم بكامله ، وقابله مع نسخة سكوريال .

الدكتور هنري جورج صحّح القسم المتعلق بالموسيقى من كتاب إحصاء العلوم ونشره في مجلة الاتحاد الملكي الأسيوي في لندن عام ١٩٣٣ ـ ١٩٣٤م .

ثم نشر هذا القسم بمفرده في غلاسكو عام ١٩٣٤م .

السيد حسين خديوجم ترجم المتن العربي إلى الفارسية طبق طبعة القاهرة ، وقابلها مع متن طبعة مدريد ، وطبعت هذه الترجمة مرفقة بمدخل ممتع من قبل مؤسسة ثقافة ايران ، طهران عام ١٣٤٨هـ . ش .

البروفسور أحمد آتش أعدّ ترجمة تركية لهذا الكتاب تحت عنوان : AL-Farabi himerin Sayini وطبعت في اسطنبول عام ١٩٥٥ .

كالونيموس بن كالونيموس ترجم باختصار هذا الكتاب إلى العبرية (المتوفى ١٣٢٨) .

يوسف بن عقنين (تلميذ موسى بن ميمون المتوفى عام ١٢٢٦) قام بنقل فصل الموسيقى في كتابه طب النفوس من كتاب إحصاء العلوم .

غودمان نشر المتن العربي لكتاب بالأحرف العبرية .

توجد ترجمتان لاتينيتان قديمتان للكتاب إحصاء العلوم ، وضع احداها « دوي نيكوس غونديسپالوي كاميرا ريوس » ، طبعت ونشرت بباريس عام ١٦٣٨م . هذه الترجمة غير كاملة ومجدية ، حيث أن المترجم حذف بعض فصول الكتاب ، مثل فصل علم الكلام ، واختصر واجمل مطالب اخرى .

الترجمة الثانية لمترجم القرون الوسطى المعروف « جيراد اوكرمونا » وهي ترجمة كاملة ودقيقة ومطابقة للمتن العربي .

« آنجل بلانسيه » ضمّ هاتين الترجمتين مع الترجمة الإسبانية التي اعدّها بنفسه إلى المتن العربي لكتاب إحصاء العلوم وطبعها في مجلد واحد طبعة نفيسة ، نشرت ضمن سلسلة نشريات كلية الفلسفة والآداب بجامعة مدريد .

« الدكتور ويدمان » ترجم إلى اللغة الالمانية القسم الخاص بعلوم التعاليم (الرياضيات) من كتاب إحصاء العلوم أخذاً عن النسخة اللاتينية للمكتبة الوطنية بباريس وطبعه .

« مرحبا » ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الفرنسية .

« الدكتور فارمر » ترجم إلى الانكليزيّة فصل الموسيقى من كتاب إحصاء العلوم .

« البروفسور روز نفلد » ترجم إلى الروسية فصل الرياضيات من إحياء العلوم ، مستعيناً بمعاونيه .

٢٠ ـ كتاب الحروف أو كتاب الألفاظ والحروف :

ألف الفارابي هذا الكتاب لحل مشكلات أرسطو الإلهية ، وبيّن في بدء رسالته هذه ألفاظ المصطلحات ، ثم أرسل كلامه حول المقولات ، ثم شرح معاني العبارات المستعملة في هذا العلم . وبخلاصة فقد تصدى للفرق بين المطالب البرهانية والجدلية والمغالطة ، إلى أن جرّ ذلك إلى أصل الكلام في موجودات اللغات وارتباطها وتطابقها أو اختلافها في بناء الأعضاء الصوتية ، ثم وصل إلى أوضاع المجتمع ، فتحدث عن النواميس الدينية والسياسية والفلسفة البرهانية .

هذا الكتاب من الجانب العلمي مهم جداً بالنسبة لطلاب البحث ، والتحقيق في اللغات القديمة ولغات القرون الوسطى ، من باب المثال : عندما يبحث عن الوجود ، الوجدان ، الموجود وتعريف ذلك وتقسيمه ، يستعمل لغات سغدي الثلاث ، ويذكر معادلها في اللغات العربية والفارسية وغيرهما .

توجد نسخة خطية خاصة في المكتبة المركزية لجامعة طهران رقمها ٣٣٩/٢ .

« جلال الدين السيوطي » نقل قسماً من هذا الكتاب في كتابه « المزهر في علوم اللغة وأنواعها » .

« الدكتور محسن مهدي » طبع المتن العربي المنقح لهذا الكتاب ، وأرفقه

بمقدمة وحواشي ، أخذه عن نسخة المكتبة المركزية لجامعة طهران . وذلك عام ١٩٦٩ بيروت .

« حسين عطائي » نقد هذه الطبعة ضمن مقاله باللغة التركية نشرت في نشرة كلية الإلهيات لجامعة أنقرة عام ١٩٦٩م . المجلد ١٧ ، ص ٣١٥ - ٣٢٧ .

٢١ - كتاب العلل أو كتاب في الخير المحض :

هذا الكتاب رغم ميوله الإفلاطونية كان من جملة كتب نسبت سهواً إلى الفارابي ، في هذا الكتاب تمّ عرض مقصود أرسطو عن الخير المحض .

في الواقع هذا الكتاب خلاصة من Elementatio Theologica لبروكلوس .

« عبد الرحمن البدوي » طبع المتن العربي لهذا الكتاب ضمن كتاب إفلاطونية المحدثة عام ١٩٥٥م .

« يوحنا هيسباليني » ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية في القرون الوسطى ، وقد طبع عام ١٨٨٢م .

٢٢ - مقالة في معاني العقل أو رسالة في العقل والمعقول :

سعى الفارابي في مقالته هذه إلى شرح وتحديد العقل وانواعه حسب اعتبار المتكلمين وبناءاً على تعريفات أرسطو . أن أحد هذه الاعتبارات يقول بأن العقل هو ما ينسب إليه الشخص العاقل ، والآخر ما جاء في اصطلاح المتكلمين الذين قالوا هو الشيء الذي يؤيده أو ينكره العقل ، والثالث العقل الذي تحدث عنه أرسطو في كتاب البرهان ، ومقصوده منه قوة النفس ، والرابع العقل الذي ذكر اسمه أرسطو في كتاب الأخلاق الذي يحمله الشخص الذي يفرق بين الخير والشر ، والخامس العقل الذي أورده أرسطو في كتاب النفس وقسّمه إلى أربعة أقسام : عقل بالقوة ، عقل بالفعل ، عقل مستفاد ، عقل فعّال .

« ديتريشي » طبع المتن العربي لهذا الكتاب ضمن الثمرة المرضية في ليدن عام ١٨٩٠م .

« عبد الرحمن مكوي » طبعه ضمن رسائل الفارابي الأخرى بالقاهرة عام ١٩٠٧م .

وطبع كذلك في هامش كتاب حكمة الاشراق بطهران عام ١٣١٥هـ ش .

« بويش » اهتم بنقد هذه الرسالة ، وطبع نقدها في بيروت عام ١٩٣٨م .

« يوحنا قمير » طبع قطعات من هذه الرسالة عام ١٩٥٤م .

توجد من هذه الرسالة ترجمة عبرية ولاتينية من القرون الوسطى طبعت عام ١٨٥٨م .

٢٣ - مراتب العلوم :

هذا الكتاب مرادف لكتاب إحصاء العلوم ، المتن العربي لهذا الكتاب كان يعتقد أنه مفقود ، لكنه اكتشف ضمن المجموعة MS.I.O.3832 (ص ١٢٥ - ١٤٢) من مكتبة ديوان الهند (إنديا اوفس) .

بدىء هذا الكتاب بهذه العبارة « بسم الله الرحمن الرحيم كتاب أبي نصر محمد الفارابي في مراتب العلوم ، قال : قصدنا في هذا الكتاب أن نحصي العلوم المشهورة علماً علماً ، وتعرف جمل ما يشتمل عليه كل واحد منها ، واجزاء كل ما له منها ، اجزاء وجمل ما في كل واحد من اجزائه ، ومنجملة في خمسة فصول :

الأول في علم اللسان وأجزائه ، والثاني في علم المنطق ، والثالث في علوم التعاليم وهي العدد والهندسة وعلم المناظر وعلم النجوم وعلم الموسيقى وعلم الأثقال وعلم الحيل ، والرابع في العلم الطبيعي وأجزائه والعلم الإلهي واجزائه ، والخامس في العلم المدني وأجزائه وتعلم علم الفقه وعلم الكلام » .

« دومي نيكوس جوند بسالوي » ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية في القرون الوسطى ، وقد طبعت هذه الترجمة عام ١٩١٦م .

شكك بعض المحققين مثل « فارمر » في انتساب المتن اللاتيني من مراتب العلوم إلى الفارابي ، وذلك قبل أن يكتشف المتن العربي .

« فارمر » طبع قسم الموسيقى من المتن اللاتيني مرفقاً بترجمة انكليزية ، وذلك عام ١٩٣٤م .

الطبيعيات

٢٤ - كتاب في الخلاء :

أثر الفارابي هذا ذكر في المنابع القديمة ضمن تعداد آثاره ، وكان مفقوداً حسب تصوّر البعض ، ثم اكتشف عام ١٩٥١م ضمن النسخ الخطية لمكتبة الآداب والتاريخ والجغرافيا بجامعة أنقرة بمجموعة « إسماعيل صائب سنسر » الرديف ١ ، الرقم ٣/٣٨١ .

« الدكتور آيدين صايلي ونجاتي لوغال » طبعا المتن العربي لهذا الكتاب مرفقاً بترجمة تركية وانكليزية في أنقرة .

أثر الفارابي هذا حاز على أهمية كبيرة في نظر تاريخ العلم ، وللإطلاع على اهميته من وجهة نظر تاريخ العلم تراجع مقالة « الدكتور يدين صايلي » في ملف تاريخ الترك ١٩٥١ ، ج ١٥ ، ص ٧٤ - ١٥١ . وقد كتبت هذه المقالة باللغة التركية واشتملت على خلاصة باللغة الانكليزية .

٢٥ - كتاب ما يصح وما لا يصح من أحكام النجوم أو رسالة في فضيلة العلوم والصناعة :

ألّف الفارابي رسالته هذه بطلب من ابراهيم بن عبدالله البغدادي - من فضلاء القرن الرابع الهجري ، والعالم الرياضي الذي تباحث مع الفارابي في باب صحة أحكام النجوم - وراوي هذه الرسالة هو ابراهيم بن عبدالله نفسه .

وضع الفارابي في هذه الرسالة ثلاثين أصلاً ، وفي آخره استنسخ بطلان أحكام النجوم منها .

الطبعات :

- طبعة ليدن ١٨٩٠م (ضمن الثمرة المرضية . . .)
- طبعة القاهرة ١٩٠٧م (دار المجموع للمعلم الثاني)
- طبعة حيدر آباد ١٩٣١م .
- طبعة بومباي ١٩٣٧م .

« ديتريشي » ترجم هذه الرسالة إلى اللغة الألمانية وطبعها عام ١٨٩٢م .

« أولكان وبورسلان » ترجما هذه الرسالة إلى اللغة التركية وطبعاها عام ١٩٤١م .

« السيد علي أكبر الشهابي » ترجم هذه الرسالة إلى اللغة الفارسية تحت عنوان : في فضيلة العلوم والصناعة ، وطبعها في المجلد١٣ من نشرة كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية بجامعة الفردوسي بمشهد .

٢٦ ـ مقالة في وجوب صناعة الكيمياء :

هذه المقالة عرّفها ابن أبي اصيبعة ضمن أثار الفارابي ، لكن ابن القفطي ومنابع أقدم منه لم يتحدثوا عنها في تعدادهم لأثار الفارابي . كما لم يدع أي من هذه المنابع أنه أحصى كل آثار الفارابي في فهرسته .

ومن جهة اخرى فإن المصطلحات والمفاهيم المدرجة في هذه المقالة من قبيل نزوع ، محاكات ، اغتباط ، تصديق وتصور . هي نفس ما جاء في سائر آثار الفارابي ومن جملتها : آراء أهل المدينة الفاضلة والرسائل المنطقية .

المتن العربي المنقّح لهذه المقالة نشره الدكتور آيدين صايلي، وأرفقه بترجمة تركية ، ومقدمة بالتركية والانكليزية تحت عنوان :

Farabi nim Simyanin Luzumu hkkindki risalesi belleten.

وذلك في المجلد ١٥ ، الرقم ٥٧ (شباط ١٩٥١) طبع أنقرة .

« ويدمان » ترجم هذه الرسالة إلى اللغة الألمانية .

٢٧ ـ كتاب في أصول علم الطبيعة أو المقالات الرفيعة في أصول علم الطبيعة :

يوجد من هذا الكتاب ثلاث نسخ خطية هي :

١ ـ نسخة مكتبة جامعة ليدن رقمها Or.2930

٢ ـ نسخة لاندبرغ رقمها 570

٣ ـ نسخة مانشستر رقمها 375,377

« الدكتور آيدين صايلي ونجاتي لوغال » طبعا المتن العربي لهذا الكتاب مرفقاً بترجمة تركية ، وذلك ضمن تاريخ الترك ج ١٥ ، ص ٨١ ـ ١٢٢ ، ١٩٥١م .

الرياضيات

٢٨ ـ كتاب الحيل الروحانية والأسرار الطبيعية في دقايق الأشكال الهندسية :

توجد نسخة شخصية من هذه الرسالة في مكتبة جامعة تورنبرغ أويسالا (السويد) رقمها ٣٢٤ . وحتى العام ١٩٦٩م كانت تعتبر هذه الرسالة ورسالته الأخرى في الهندسة « بغية العمل في صناعة الرمل وتقويم الأشكال » رسالة واحدة ، ثم قام كلّ من « روز نفيلد » و « كوبسوف » بمقارنة صور النسخ الخطّية لهاتين الرسالتين ، وأثبتا أن هاتين الرسالتين مختلفتان تماماً ، وأن الرسالة الأولى تشبه تماماً كتاب فيما يحتاج إلى صايع من الأعمال الهندسية تأليف أبو الوفاء البوزجاني .

رسالة الفارابي التي تمّت عام ٣٢١هـ شملت مقدمة وعشر مقالات ، المقالات العشرة من رسالتها تشمل كلها نفس المباحث المدرجة في كتاب أبو الوفاء بهذا الترتيب :

المقالة الأولى من رسالة الفارابي تتطابق مع النصف الثاني من الفصل الثاني من كتاب أبو الوفاء من التقرير ٩ حتى النهاية .

المقالة الثانية وحتى التاسعة متطابقة مع الفصول الثالثة وحتى العاشرة لكتاب أبو الوفاء . المقالة العاشرة متطابقة مع النصف الأول من الفصل الحادي عشر من كتاب أبو الوفاء . التفاوت بين رسالة الفارابي وكتاب أبو الوفاء جزئي .

٢٩ ـ كتاب الحيل الهندسية :

في « عيون الأنباء » ذكر هذا الكتاب ضمن آثار الفارابي ، كتب حسب الظاهر في مجال الميكانيك ، وخاصة طاقة الآلات المائية ، ويحتمل أن المطالب المذكورة فيه هي عين المذكورة في كتاب « في معرفة الحيل الهندسية » لبديع الزمان الجزرمي (المتوفى عام ٦٠٢هـ) .

لا توجد أي نسخة متداولة من هذه الرسالة .

٣٠ ـ المنتخب من كتاب المدخل إلى الحساب :

توجد نسخة خطية من هذه الرسالة في مكتبة « رامبور » ونسخة اخرى في مكتبة « آيا صوفيا » رقمها ٣/٣٣٣٦ .

٣١ ـ شرح المجسطي لبطليموس أو كتاب اللواحق في علم المجسطي :

ذكرت هذه الرسالة في الفهارس القديمة ضمن آثار الفارابي . كتب في النسخة الخطية الموجودة بمتحف بريطانيا برقم Or.7368 في الورقة الأولى منها عبارة « شرح مجسطي نسب تأليفه إلى العلامة أبي نصر الفارابي » .

النسخة الثانية من الكتاب رقمها ٦٥٣٠ موجودة في مكتبة مجلس الشورى الوطني بطهران .

٣٢ ـ شرح المستغلق في مصادرات المقالة الأولى والخامس من اقليدس :

طبع هذا الكتاب تحت عنوان :

Commentar Zu Euklid,Zur Einleitung des I und V. Buches.

(يراجع بشأنه فهرست آثار الفارابي تأليف الدكتور محفان جنبور) .

« شتاي شنايدر » ذكر في أثره حول الفارابي ترجمة عبرية للكتاب ترجمها « موسى بن تبون » .

« روزنفلد » ومعاونوه قاموا بترجمته إلى الروسية ، وطبع ضمن آثار الفارابي الرياضية عام ١٩٧٢م .

٣٣ ـ في بيان تساوي الزوايا الثلاث للمثلث القائمتين :

توجد من هذه الرسالة نسختان خطيتان :

١ ـ نسخة في مكتبة كلية الآداب بجامعة طهران رقمها ١٢٣د .

٢ ـ نسخة في مكتبة كلية الإلهيات والمعارف الاسلامية بجامعة طهران رقمها ٢٦٢ج .

طبع المتن العربي لهذه الرسالة بطهران ضمن كتاب الكشكول للشيخ بهاء الدين العاملي ص ٥٩ ـ ٦٠ .

الطب

٣٤ ـ الرد على جالينوس في الرد على ارسطوطاليس :

يجيب الفارابي في رسالته هذه على الاشكالات التي وضعها جالينوس على آراء أرسطو حول العلة الأولية ، ويحتمل أن يكون الفارابي قد كتب اثره هذا تبعاً لرد « اسكندر فردوسي » على جالينوس .

توجد نسخة خطية من هذه الرسالة في طشقند . ونسخة اخرى في كلية الإلهيات والمعارف الاسلامية بجامعة طهران رقمها ٧١ من المجموعة ٢٤٢ب .

٣٥ ـ رسالة في صناعة الطب :

توجد نسخة خطية في مكتبة متحف « توبقابوسراي » علامتها ١٧٣٠,٢

(b - a yk) ، ونسخة في مكتبة آيا صوفيا رقمها ٢/٣٧٤٩ .

« الدكتور سهيل أنور » طبع المتن العربي وأرفقه بترجمة تركية .

٣٦ - كتاب التوسط بين أرسطوطاليس وجالينوس :

تـوجد نسخـة خطيـة من هذا الكتـاب في مكتبة المـدرسة العليـا للشهيد مطهري بطهران ضمن المجموعة ١٢١٦ . تبـدأ هذه الـرسالـة بالعبـارة هذه « . . . قصدنا أن نثبت ما أخبر جالينوس أنه شاهده من أعضاء الإنسـان وما ذكر أنـ (ـه) شاهده في عضو منها ، بإزاء ما أخبر أرسطوطاليس أنه غايته من ذلك العضو وبعينه لـ ( ) تبين لنا الموضوع التي (تذا) يتفق فيه ما يخبـران عنه . . . » .

٣٧ - كتاب ما اشترك في الفحص عنه جالينوس وارسطوطاليس من أمور اعضاء الإنسان :

توجد نسخـة خطيـة من هذه الـرسالـة في مكتبة المـدرسة العليـا للشهيد مطهري بطهران ، ضمن المجموعة ١٢١٦ .

٣٨ - رسالة في مداواة الأمراض بالأنغام :

حازت رسالة الفارابي هـذه في نظر تـاريخ العلم بـأهمية كبيـرة من حيث مداواة ومعالجة المرضى بوسيلة الإرتعاشات الصوتية . توجد نسخة شخصية في إيطاليا .

٣٩ - المزاج والأوزان على ما ذهب إليه الجمهور :

تقسّم هذه الرسالة إلى ثلاث مقالات :

المقالة الأولى في المزاج الذي ينقسم إلى ثلاث أقسام :

- الفصل الأوّل في بيان ماهية المزاج .

- الفصل الثاني في أقسام المزاج .

- الفصل الثالث في المزاج الإضافي .

المقالة الثانية في معرفة أمزجة المركبات ، وتقسم إلى عدة فصول .

المقالة الثالثة في التركيب .

توجد من هذه الرسالة نسخة خطية في مكتبة جامعة ليدن رقمها Or. 2844، ونسخة اخرى في مكتبة برينستون رقمها ٧٩٤/٥ .

الموسيقى

٤٠ - كتاب الموسيقى الكبير :

تشكلت هذه الرسالة من كتابين ، في الكتـاب الأول تحدث الفـارابي عن المباحث التالية :

ألف - المدخل الذي حكمه حكم المقدمة ، ويتشكل من مقالتين ، تحدث في هذا القسم حول فلسفة الموسيقى .

ب - الفن ، ويشتمل على مقالتين ، بحث فيه المسائل التالية : الصوت - الأبعاد ، الأجناس ، الجموع - الأغاني - المقامات - الإيقاع .

ج - في القسم الثاني من هذا القسم بحث في قواعد وأصول تأليف الألحان أو صناعة اللحن .

الكتاب الثاني يشتمل على أربعة مقالات ، لم يعثر عليه حتى الآن .

بحث الفـارابي في كتابـه هذا نـظرية المـوسيقى من وجهة نـظر الفيـزيـاء والرياضيات ، ودخل في بحثه مفصلاً في معـرفة الأصـوات (اكوستيـك) مع المحاسبات الفيزيائية ، وطرح بعض المطالب التي ما زالت مدار بحث الفيزياء اليوم .

« لاند » طبع الفصـل الخاص بـالآلات الموسيقيـة في ليدن عـام ١٨٨٣م وذلك بمناسبة انعقاد المجمع العالمي السادس للأوسط .

« لانـد » قام بنفسه مستقلاً بطبـع هـذا القسم تحت عنـوان « البحث في خطوات العرب » في ليدن وأرفقه بترجمة فرنسية عام ١٨٨٤م .

طبـع المتن العربي المنقـح مرفقـاً بشرح وتفسـير لـ « الغطاس عبـد الملك خشبة » و« الدكتور محمود الحنفي » ، وقد طبعه دار الكاتب العربي بالقاهرة عام ١٩٦٧م .

« رودلف ارلانزه » طبع المتن الكامل المترجم إلى الفرنسية في باريس عام ١٩٣٠ - ١٩٣٥م . وقد جدد طبعه مراراً .

قسم من طبعة « ارلانزه » الفرنسية ترجم إلى اللغة الفارسية طبع في نشرة رسالة الأونسكو السنة ١٣٥٢هـ . ش ، العدد ٤٧ ، ص ٣١ - ٣٤ .

« الدكتور مهدي بركشلي » ترجم قطعات من كتـاب الموسيقى الكبـير إلى اللغة الفارسية ، وأقدم على تجزءتها وتحليلها علمياً .

ونقلت قطعات منه إلى اللغات الألمانية ، اللاتينية ، الأسبانية والهولندية .

٤١ - المدخل الموسيقي :

مطالب هذا الكتاب جاءت خلال سائر آثار الفارابي حول الموسيقى ، وفي الحقيقة هي نفس المطالب المدونة في مقدمة كتاب الموسيقى الكبير ، لكن أهميته الوحيدة هي أنه حرر مستقلاً عن غيره . توجد عدة نسخ خطية من هذه الرسالة في مكتبات العالم ، ومن جملتها مكتبة المتحف البريطاني .

٤٢ - كتاب الايقاعات :

تحـدث الفارابي في كتـابه هـذا عن الأوزان المختلفة ، وقـد اشتمل هـذا الكتاب على شرح نفس النظريات التي أشار إليها الفارابي في كتـابه المـوسيقى الكبير .

« ابن زيلة الأصفهاني » نقل اقساماً كثيرة من هذه الرسالة في كتابه « الكافي في الموسيقى » .

« نيوباور » حلل هذا الكتاب في مقالة باللغة الألمانية .

٤٣ - كتاب في إحصاء الايقاع :

قسّم الفارابي في كتابه هذا الأوزان الموسيقية ، ويشبه هذا الكتاب في كل جهاته كتاب الايقاعات ، ويحتمل أن يكون نفس الكتاب ، لكنه بتحرير آخر .

يوجد هذا الكتاب مصوراً على شكل ميكروفيلم (فيلم مصغّر) في المكتبة المركزية لجامعة طهران رقمه ٢٦٢ (٥٠٨ صورة) .

٤٤ - كلام . . . في النقل مضافاً إلى الايقاع :

كتب الفارابي هذه الرسالة حول كيفية تغيير الوزن الموسيقي . . وقد وضع « شتاين شنايدر » في الصفحة ٢١٦ من كتابه حول الفارابي كلمة « نقرة » مكان كلمة « في النقل » .

لا بد من التذكير بأن « ايقـاع » لفظ عامي للوزن المـوسيقي ، و « نقرة » تطلق على اجزاء وزن واحد ، لذا بناء على هذا صورة الكتاب الثاني قد تكون : كلام . . . في نقرة مضافاً إلى الايقاع .

٤٥ ـ كتاب شرح السماع :

هذا الكتاب مفقود ، ويبدو من عنوانه أنه شرح لسماع الموسيقى . وقد يكون نفس الشرح المعروف للفارابي على كتاب الفيزياء لأرسطو الذي عنوانه كتاب شرح السماع الطبيعي .

الفلسفة العامة وما بعد الطبيعة

٤٦ ـ إثبات المفارقات :

طبع هذا الكتاب مرتين في حيدر آباد ضمن رسائل الفارابي ، واحدة عام ١٩٢٦م ، والأخرى عام ١٩٣١م ، كما وطبع في بومباي ضمن رسائله عام ١٩٣٧م .

« حلمي ضياء أولكن وقوان الدين بورسلان » ترجما هذا الكتاب إلى التركية وطبعاه في اسطنبول عام ١٩٤١م .

٤٧ ـ فلسفة افلاطون واجزاؤها ومراتب اجزائها من أولها إلى آخرها :

« روزنتال ووالترز » طبع المتن العربي مرفقاً بترجمة لاتينية وحواشي مفيدة عام ١٩٥٣م .

« الدكتور محسن مهدي » طبعه طبعة جديدة مع ترجمة انكليزية .

« الدكتور عبد الرحمن البدوي » طبعه ضمن كتابه افلاطون في الإسلام على اساس النسخة الخطية في آيا صوفيا تحت الرقم ٨٨٣٣ ، مع مقابلتها مع المتن المطبوع لروزنتال ووالترز .

« شتاين شنايدر » طبع الترجمة العبرية للقرون الوسطى ـ وهي قسم من هذه الرسالة ـ وأرفقها بترجمته هو إلى الألمانية عام ١٨٦٩م .

٤٨ ـ كلام في معاني اسم الفلسفة وسبب ظهورها واسماء المبرزين فيها وعلى من قرأوه منهم أو رسالة في بيان ظهور الفلسفة :

ذكر اسم هذا الكتاب القفطي والخزرجي ، كما جاء في برنامج اسكوريال ، وحرر عنه المسعودي في التنبيه والاشراق ص ١١٥ ـ ١٢٢ ، ونقل ابن أبي اصيبعة عن الفارابي قطعة من هذه الرسالة حول الاكاديميات القديمة ومدرسة الاسكندرية وتأسيس أوغست « للشعبة الأكاديمية في روما ، والتحقيقات التي ستذكر كلها أخذت بهذا القول .

« شتاين شنايدر » طبع المتن العربي لهذه القطعة في كتابه حول الفارابي عام ١٨٦٩م . (يراجع بشأنه قسم الكتب باللغة الأوروبية رقم ٢٠٩) .

« موليز » طبع هذا المتن عام ١٨٨٢م .

« عمر فروخ » نقل نفس القطعة العربية في كتاب العرب والفلسفة اليونانية ، وكذا « عبد الرحمن البدوي » في كتابه التراث اليوناني .

وجاءت الترجمة الفارسية لهذه القطعة في كتاب اللغة لـ « دهخدا »

« محمد تقي بزوه » وضع ترجمة فارسية عن النسخ المطبوعة ، ونقل ابن أبي اصيبعة ، وكتابة المسعودي ، ونسخة كابل (مجلة معهد المخطوطات ١ / ٢٣) و (فهرست بوركوي ص ٢٩٣) .

٤٩ ـ المسائل الفلسفية والأجوبة عنها أو رسالة في جواب مسائل سئل عنها :

كتاب يشتمل على اثنين واربعين مسألة سئل عنها الفارابي وأجاب باختصار عنها . ويظهر أن مدوّن هذا الكتاب كان أحد تلاميذ الفارابي .

طبعاته : ـ طبعة ليدن ١٨٩٠م (في الثمرة المرضية)

ـ طبعة القاهرة ١٩٠٧م (في المجموع للمعلم الثاني) .

ـ طبعة حيدر آباد ١٩٣١م .

ـ طبعة بومباي ١٩٣٧ .

« ديتريشي » ترجم هذه الرسالة إلى اللغة الألمانية ، وطبعها عام ١٨٩٢م .

« حلمي ضياء أولكن وقوام الدين بورسلان » ترجما المتن الكامل لهذه الرسالة إلى اللغة التركية !

٥٠ ـ كتاب النفس :

توجد من هذه الرسالة نسخة في بودلين Bodleian I,809 (S.II,605) ، ونسخة اخرى في مكتبة توبقابوسراي رقمها ٢ / ٣١٩٥ .

وتوجد لهذه الرسالة ترجمات عبرية ثلاث من القرون الوسطى .

٥١ ـ فلسفة ارسطوطاليس :

« الدكتور محسن مهدي » طبع المتن العربي لهذه الرسالة ببيروت عام ١٩٦١م .

« الدكتور محسن مهدي » ترجمها إلى الانكليزية وطبعها في نيويورك عام ١٩٦٢م .

٥٢ ـ رسالة افلاطون في الرد على من قال بتلاشي الإنسان :

النسخ الخطية :

١ ـ مكتبة جامعة اسطنبول رقمها ١٤٥٨ .

٢ ـ ادارة النسخ الخطية في الهند رقمها . . . .

٣ ـ مكتبة جامعة برينستون علامتها ELS308 .

« الدكتورة مباهاة توركركويل » طبعت المتن العربي لهذه الرسالة وارفقتها بترجمة تركية في انقرة عام ١٩٦٥م .

٥٣ ـ رسالة من كلام افلاطون في معنى الفلسفة والأعمال المرضية :

استوفى الفارابي في رسالته هذه لفوائد عديدة من افلاطون ، النسخة الخطية لهذه الرسالة موجودة في كابل .

٥٤ ـ كتاب في الواحد والوحدة .

« مشتاق » طبع المتن العربي المنقح وترجمته الانكليزية .

٥٥ ـ مقالة في اغراض ما بعد الطبيعة ارسطوطاليس في كتاب ما بعد الطبيعة :

بحث الفارابي في رسالته هذه في غرض ارسطو في كتاب ما بعد الطبيعة ، قسّم فيه العلوم إلى مجملة وجزئية ، وغرضه من العلم الجزئي هو العلم الذي موضوعه عن بعض الموجودات أو الموهومات . والعلم المجمل في الشيء الشامل لجميع الموضوعات مثل الوجود والوحدة وانواعها ولواحقها ، والأشياء التي ليست بعارض على الموجودات الخاصة ، وتبحث مبدأ جميع الموجودات ثم بعد هذا شرح الفارابي غرض ارسطو في كل واحدة من المقالات الاثني عشرة .

طبعاته : ـ طبعة ليدن اهتم بها « ديتريشي » ١٨٩٠ (في الثمرة المرضية . .)

ـ طبعة القاهرة اهتم بها « عبد الرحمن مكوي » ١٩٠٧م (في مجموعة فلسفة أبو نصر) .

ـ طبعتين في حيدر آباد ضمن رسائل الفارابي الأخرى عامي ١٩٣٠ و١٩٣١م .

ـ طبعة بومباي ضمن رسائل الفارابي الأخرى عام ١٩٣٧م .

٥٦ ـ عيون المسائل :

يشتمل هذا الكتاب على مقدمة ومقدار من المباحث الطبيعية وأكثر مباحث العلم الالهي ، وقد ألّف باختصار ومتانة في اللفظ والمعنى .

« شمولدرس » طبع المتن العربي لهذه الرسالة مرفقاً بترجمة لاتينية عام ١٨٣٦م .

« ديتريشي » طبع هذا المتن في « الثمرة المرضية . . . »ونشره عام ١٨٩٠م .

« عبد الرحمن مكوي » طبع هذه الرسالة في « المجموع للمعلم الثاني » بالقاهرة عام ١٩٠٧م .

ثم جدد طبعه بالقاهرة عام ١٩١٠م .

« يوحنا قمير » طبع المتن المنقح لهذه الرسالة ضمن كتابه حول الفارابي .

« كروز هرناندوز » طبع المتن العربي لهذه الرسالة وأرفقه بترجمة لاتينية من القرون الوسطى عام ١٩٥١م .

« حلمي ضياء أولكن وقوام الدين بورسلان » ترجما هذا الكتاب إلى التركية عام ١٩٤١م وطبعاه .

٥٧ ـ ما ينبغي لمن أراد الشروع في الحكمة :

« البيهقي » أورد هذه الرسالة في تتمة « صوان الحكمة » ، كما وردت في ترجمة فارسية . ولعله نفس ما ذكره ابن أبي اصيبعة تحت عنوان « كلام في لوازم الفلسفة » .

توجد نسخ متفرقة من المتن مع ترجمة فارسية .

وضح الفارابي في رسالته هذه وظائف طلاب العلم .

٥٨ ـ رسالة فيها ينبغي أن يقدم قبل تعلم الفلسفة المأخوذة عن ارسطو :

جاء ذكر هذه الرسالة في « برنامج سكوريال » وفي كتابي القفطي وابن أبي اصيبعة جاء ذكره تحت اسم « كتاب في الأشياء التي يحتاج ان تعلم قبل الفلسفة » .

ذكر الفارابي في كتابه هذا عن سبع مجموعات فلسفية ، ويبدو أنه أخذ من « حنين بن اسحاق الترجمان » .

« شمولدرس » طبع المتن العربي للكتاب هذا ، وأرفقه بترجمة لاتينية وذلك عام ١٨٣٦م .

« ديتريشي » طبع المتن العربي لهذا الكتاب ضمن « الثمرة المرضية . . . » .

وقد طبع المتن العربي ضمن رسائل الفارابي الأخرى في دلهي عام ١٨٩٤م .

«عبد الرحمن مكوي » طبعه ضمن آثار الفارابي الأخرى في « المجموع للمعلم الثاني » بالقاهرة .

« محب الدين الخطيب وعبد الفتاح الفنلان » طبعا المتن العربي لهذه الرسالة مع ترجمة انكليزية ضمن كتاب « مبادىء الفلسفة القديمة » بالقاهرة عام ١٣٢٨هـ .

« قوام الدين بورسلان » ترجم قسماً من هذا الكتاب إلى التركية وطبعه في اسطنبول عام ١٩٣٥م .

٥٩ ـ الجمع بين رأي الحكيمين افلاطون الالهي وارسطو طاليس :

في هذا الكتاب يمكن لمس تأثير الافلاطونيين الجديد في فكر الفارابي بوضوح ، حيث أنه يشبّهه في سعيه بين آند'والحكيم اليوناني ، الذين ذهبوا إلى أنه في الواقع مجزأ إلى طريقين ، ووفّق في موارد حدوث العالم وقدمه وإثبات الخالق وأنه هو علة كل شيء ، وكذلك في مسائل العقل والنفس والجزاء والعقاب وكثير من أمور الأخلاق والسياسة والمنطق التي كانت في الغالب مورد اختلاف ونزاع مفكري العصر .

« ديتريشي » طبع هذا الكتاب ضمن « الثمرة المرضية » في ليدن عام ١٨٩٠م .

« عبد الرحمن مكوي » طبع المتن العربي للكتاب في « المجموع للمعلم الثاني » بالقاهرة عام ١٩٠٧م .

« محمود حجازي » طبع الكتاب هذا مستقلاً بالقاهرة عام ١٩٠٧م .

وطبع بهامش « شرح حكمة الاشراق » بطهران عام ١٣١٥هـ .

وطبع مستقلاً بطهران عام ١٣١٥ هـ .

« البير نادر » اعتنى بطبعه منقحاً مع مقدمة في بيروت عام ١٩٦٠م .

« قوام الدين بورسلان » ترجم قسماً منه إلى التركية عام ١م ، وطبع في اسطنبول .

« الدكتور عبد الحسن مشكاة الدين » ترجمه إلى الفارسين متون طبعات طهران وبيروت ، والنسخة الخطية لمكتبة مجلس الشورى الوطني رقمها ٤١٣٠/١١٧ ، والنسخة الخطية لمكتبة الحضرة القدسية الرضوية ذات الرقم ١٢٦ ، وأرفقه بترجمة وشرح وحواشي ، ليطبع وينشر من قبل الشورى العليا للثقافة والفن بطهران عام ١٣٥٣هـ . ش تحت عنوان الترابط بين افكار الفيلسوفين افلاطون وارسطو .

« ديتريشي » ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الألمانية ، وطبع في ليدن عام ١٨٩٢م .

٦٠ ـ تعليقات الحكمة :

طبع هذا الكتاب مرتين في حيدر آباد ضمن آثار الفارابي الأخرى ، وذلك عامي ١٩٢٧و١٩٣١م .

وطبع في بومباي عام ١٩٣٧م .

« بورسلان وأولكن » ترجماه إلى اللغة التركية .

٦١ ـ تجريد رسالة الدعاوى القلبية :

طبعت هذه الرسالة مرتين في حيدر آباد ضمن آثار الفارابي الأخرى في عامي ١٩٣٠و١٩٣١م .

وطبعت في بومباي ضمن باقي آثاره عام ١٩٣٧م .

« بورسلان وأولكن » ترجماه إلى اللغة التركية .

٦٢ ـ تفسير بعض اسماء الحكماء المتقدمين :

أورد الفارابي في هذه الرسالة المعاني اللغوية لعدد من الفلاسفة اليونان ، ويظهر من هذا أنه كان عارفاً باللغة اليونانية ، توجد منها نسخة خطية في لاندبرغ .

٦٣ ـ الرد على يحيى النحوي في الرد على أرسطو :

كتب الفارابي رسالته هذه دفاعاً عن أرسطو ، ورداً على النحوي ضمن آراء الكندي حول الخلق وإيجاد العالم يحيى النحوي والكندي كلاهما كانا يقولان بخلق العالم من العدم .

« الدكتور محسن مهدي » طبع المتن العربي لهذا الكتاب في ليدن عام ١٩٧٢ .

٦٤ ـ شرح رسالة زينون الكبير أو تلخيص مقالات زينون والشيخ اليوناني :

المتن العربي لهذه الرسالة طبع ضمن رسائل الفارابي في حيدر آباد عامي ١٩٣٠م و١٩٣١م ، وفي بومباي عام ١٩٣٧م .

« بورسلان وأولكن » ترجما هذه الرسالة إلى اللغة التركية . . .

الفلسفة المذهبية

٦٥ ـ دعاء عظيم :

أثر صغير منسوب إلى الفارابي ، لم يذكر هذا الدعاء في فهرست كتب ورسائل الفارابي ، لكن ابن أبي اصيبعة ذكره ضمن آثار الفارابي .

ذكر المتن العربي لهذا الدعاء في النص الأول من المجموعة ٥٣٧ للشهيد علي باشا بالمكتبة السليمانية باسطنبول .

« الدكتور محسن مهدي » طبع هذا الدعاء ضمن « كتاب الملة ونصوص اخرى » ببيروت عام ١٩٦٧م .

« السيد غلام حسين ابراهيمي دنيائي » طبع المتن العربي لهذا الدعاء مع ترجمة فارسية وتوضيح للمصطلحات الفلسفية تحت عنوان « دعاء الفيلسوف » في نشرة كلية الإلهيات والمعارف الاسلامية بجامعة الفردوسي في مشهد العدد ١١٣ (شتاء ١٣٥٣هـ . ش) ص ٢٦٠ ـ ٢٧٩ .

« الدكتور آيدين صايلي » ترجم هذا الدعاء إلى التركية ونشره ضمن مقالة تحت عنوان :

Farabi ve tefekkur tarinindeki yeri

المندرجة في المجلد الخامس عشر من مجلة Bellten ، السنة ١٩٥٠م .

٦٦ ـ كتاب في العلم الإلهي :

توجد نسخة خطية في مكتبة الحكمة رقمها ١/١١٧ ، ونسخة اخرى في مكتبة جار الله رقمها ١٢٧٩ .

« الدكتور عبد الرحمن البدوي » طبع المتن العربي المنقح ضمن كتابه « افلاطون عند العرب » ص ١٦٧ ـ ١٨٣ .

٦٧ ـ كتاب المِلّة :

توجد منه نسخة في ليدن رقمها ١٠٠٢/٤ ، ونسخة بالقاهرة بالمكتبة التيمورية رقمها ٢٩٠ .

« الدكتور محسن مهدي » طبع هذا الكتاب وأرفقه بمقدمة وحواشي تحت عنوان « كتاب الملة ونصوص اخرى » وذلك ببيروت عام ١٩٦٨م .

٦٨ ـ فصوص الحكم :

كتاب في التوحيد بلحن قريب من كلام المتصوفة ، لكنه مستند إلى الأدلة المنطقية .

طبع المتن الغير المنقح في اسطنبول عام ١٨٧٤م .

« ديتريشي » طبع المتن المنقح ضمن « الثمرة المرضية » عام ١٨٩٠م .

« عبد الرحمن مكوي » طبعه مع رسالة « نصوص في شرح فصوص الحكم » للسيد محمد بدر الدين الحلبي عام ١٣٢٥هـ .

طبع في حيدر آباد ضمن رسائله الأخرى مرتين في عام ١٩٢٤ و١٩٣١م .

طبع المتن المنقح مع مقدمة وشرح وتعليق للسيد جلال الدين الاشتياني ونشر في نشرة كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية بجامعة فردوسي بمشهد ، في العددين ١٣ (١٣٥٣هـ . ش) و١٤ (١٣٥٤ هـ . ش) ص ٢٤ ـ ٢٥٩ .

كتب في القرون المتوالية عدة شروح وتفاسير على هذا الكتاب ، كان أهمها شرح الاسماعيلي الحسيني الفارائي .

« الاستاذ مهدي الهي قمشه اي » كتب شرحاً معتبراً على هذا الكتاب في المجلد الثاني من « الحكمة الالهية » الخاص والعام (طهران ١٣٢٥هـ . ش) اخرجه على شكل دورة كاملة لكتاب عرفان تظهر جلية فيه كتابات ابن العربي ، صدر الدين القونوي ، عبد الكريم الجليلي ومحمود الشبستري .

« مهدي الهي قمشه اي » ترجم الكتاب وطبعه بطهران عام ١٣٣٠هـ . ش .

« غلام حسين أهني » ترجم الكتاب وطبعه بأصفهان عام ١٣٣٩هـ . ش .

« قوام الدين بورسلان » ترجم قسماً من الكتاب إلى اللغة التركية عام ١٩٣٥م .

« بورسلان وحلمي ضياء أولكن » ترجما المتن الكامل إلى اللغة التركية عام ١٩٤٥ وطبعاه .

اخلاق وسياسة المدن

٦٩ ـ كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة :

كتاب ذو حجم ضئيل ، لكنه ذو لحن عالٍ ، فيه ثلاث مباحث :

المبحث الأول نظري : في هذا البحث يشرح الفارابي العقائد التي يجب أن يمتلكها افراد المدينة الفاضلة ، يشمل هذا القسم بدوره عدة أقسام مثل الإلهيات الخاصة ، وكذلك فيه مباحث أخرى من قبيل الكلام في مصدر الوجود ، صفات الموجودات الثانوية ، تكوين وظهور كائنات هذا العالم وغيره .

القسم الثاني من الكتاب بحث حول بناء المدينة الفاضلة .

القسم الثالث بحث حول هدم واجتثاث المجتمعات المتباينة مع المدينة الفاضلة .

« ديتريشي » طبع هذا الكتاب في ليدن عام ١٨٩٥م .

طبع في القاهرة مرتان عام ١٩٠٦م و١٩٤٨م .

« يوحنا قمير » طبع قطعات من الكتاب ضمن كتابه حول الفارابي عام ١٩٤٥م .

« البير نادر » اعتنى بطبعه في بيروت عام ١٩٥٩م .

« الدكتور السيد جعفر سجادي » ترجمه إلى الفارسية وشرحه ، وكتب مقدمته « الأستاذ الدكتور ذبيح الله صفا » وطبع ونشر بشكل نفيس من قبل الشورى العليا للثقافة والفن تحت عنوان افكار أهل المدينة الفاضلة وذلك عام ١٣٥٤هـ . ش .

نظم هذا الكتاب في ٣٩٦ صفحة مع مقدمة في ٤ صفحات كالآتي :

(ص ١ ـ ٦٤) بحث اثار الفارابي ونظرياته السياسية والاجتماعية ومقايستها بنظريات أرسطو وأفلاطون والفلاسفة المسلمين .

(ص ٧٣ ـ ٣٥٧) الترجمة الفارسية لآراء أهل المدينة الفاضلة مع الشرح والتعليق .

(ص ٣٦١ ـ ٣٧٩)فهرست الكلمات والمصطلحات .

« نفيس دانشمن » ترجم هذه الرسالة عام ١٩٥٠م إلى اللغة التركية تحت عنوان :

Fazil medine tercumesi ، وطبعها في اسطنبول ضمن مجموعة مقالات حول الفارابي (Farabi Tetkikleri) .

ثم طبعها في كتاب مستقل تحت عنوان : AL- Farabi ELmedinetul Fazila في ١٠٨ صفحات باسطنبول عام ١٩٥٦م .

« ديتريشي » ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الألمانية وطبعه في ليدن عام ١٩٠٠م .

٧٠ ـ كتاب الملة الفاضلة :

توجد نسخة خطية منه في ليدن رقمها ١٩٣١ ، ونسخة خطية بالمكتبة التيمورية بالقاهرة رقمها ٢٩٠/١٩ ، وترجمة عبرية نقل « شتاين شنايدر » قطعة منها .

٧١ ـ كتاب في الفصول المنتزعة لاجتماعات :

توجد نسخة خطية منه في مكتبة الشعب في دياربكر رقمها ١٩٧٠/٤ ، ونسخة خطية في بودلين رقمها ٤ و١٠٢ و I .

« الدكتور فوزي النجار » طبع المتن العربي مع مقدمة وحواشي في بيروت عام ١٩٧١م .

وتوجد ترجمة عبرية .

٧٢ ـ في تحصيل السعادة :

في الحقيقة هذا الكتاب مبني على المنابع اليونانية ، وليس له أثر أو صبغة اسلامية اصلاً ، والقسم الأخير منه خلاصة لجزء من الكتاب السادس لجمهورية افلاطون .

طبع في حيدر آباد مرتين عام ١٩٢٦ و١٩٣١م ، وفي بومباي عام ١٩٣٧م .

« الدكتور محسن مهدي » طبعه طبعة اشتملت على نقد وترجمة انكليزية له .

« قوام الدين بورسلان وحلمي ضياء أولكن » ترجما هذه الرسالة إلى التركية ، وطبعاها في اسطنبول عام ١٩٤١م .

« شمطوب بن يوساب بن فلقيرة » ترجم قسماً من هذه الرسالة إلى العبرية في القرون الوسطى .

٧٣ ـ التنبيه على سبيل السعادة أو رسالة السعادة :

« طبع مرتين في حيدر آباد كن » ضمن رسائل الفارابي الأخرى وذلك عامي ١٩٢٧ و١٩٣١م ، وجدد طبعه في بومباي عام ١٩٣٧م . وتوجد ترجمة عبْرية في المتحف البريطاني رقمها ٤٢٥ .

« زالمُن » طبع ونشر الترجمة اللاتينية للقرون الوسطى .

« حلمي ضياء أولكن وقوام الدين بورسلان » ترجماه إلى اللغة التركية .

٧٤ ـ رسالة في السياسة أو كلام يعم نفعها جميع من يستعملوها من طبقات الناس :

« لويس شيخو » طبع هذه الرسالة للمرة الأولى عام ١٩٠١م في مجلة المشرق (ص ٦٥٣ ـ ٧٠٠) . ثم جدد طبعها ضمن مجموعة بعنوان مقالات فلسفية قديمة لبعض مشاهير فلاسفة العرب في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ببيروت عام ١٩١١م .

« يوحنّا قمير » طبع المتن العربي في كتابه حول الفارابي .

٧٥ ـ سياسة المدينة أو مبادىء الأجسام أو مبادىء الموجودات :

طرح فيه الفارابي كل اجزاء الفلسفة بصورة منظمة ، والغرض من تأليف الكتاب وتدوينه ينعكس في عنوانه .

طبع في حيدر آباد عام ١٩٢٧م (١٣٤٦هـ) .

« البروفسور فوزي النجار » طبع المتن العربي المنقح مع مقدمة وحواشي في بيروت عام ١٩٦٤م .

« موسى بن صموئيل بن تبرون » ترجمه في القرون الوسطى إلى العبرية ، وطبع عام ١٨٤٩م .

« ديتريشي » ترجمه إلى الألمانية ، وطبع في ليدن عام ١٩٠٤م .

« فوزي النجار » ترجمه إلى الانكليزية ونشره .

٧٦ ـ كتاب الآداب الملوكية :

توجد منه نسخة خطية في المكتبة التيمورية بالقاهرة « عيسى اسكندر المعلوف » تحدث عن هذه النسخة في مقالته « خزائن الكتب العربية : الخزانة التيمورية » في مجلة المجمع العلمي بدمشق ، عام١٩٢٣م ، العدد ٣٣٩/٣ .

٧٧ ـ تلخيص نواميس افلاطون :

يشتمل على مقدمة وملخص لكتب نواميس افلاطون العشرة ، يشرح الفارابي في البدء اسلوب افلاطون ، ويوضح حول اسلوب تلخيصه هو ، ويبيّن فائدة الكتاب ، ثم يفسّر ويبيّن بإيجاز واختصار تحقيقات افلاطون عن القوانين الإلهية اليونانية .

« غبريلي » طبع المتن العربي مع ترجمته اللاتينية وحواشي عام ١٩٥٢م .

« الدكتور عبد الرحمن البدوي » طبع المتن المنقح في كتابه « افلاطون في الاسلام » ونشره بطهران .

٧٨ ـ فصول المدني :

« ابو العباس لوكري » نقل هذه الرسالة في خمسة ابواب في كتابه « بيان الحق بضمان الصدق » تحت عنوان « فصول مدينة » .

توجد نسخة خطية من « بيان الحق » في مكتبة كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية بطهران رقمها ٦٩٨د ، ونسخة خطية اخرى في المكتبة المركزية لجامعة طهران رقمها ٢٥٠ .

« دانلوب » طبع المتن العربي والترجمة الانكليزية لفصول المدني مع مدخل ممتع وحواشي مفيدة ، لجهة جامعة كمبريدج بانكلترا عام ١٩٦١م .

مسائل متفرقة

٧٩ ـ كتاب البرهان :

قسم هذا الكتاب إلى خمسة اقسام كما يلي :

الأول : في صدر الكتاب .

الثاني : في اصناف البراهين .

الثالث : في أصناف الحدود .

الرابع : في كيفية استعمال الحدود والبراهين في الصناعات النظرية .

الخامس : في اصناف المخاطبات .

توجد منه نسخ خطية متعددة ، من جملتها نسخة خطية في المكتبة السليمانية (الحميدية) رقمها ١ : ٨/٨١٢ . ونسخة منشستر رقم (349) 374، ونسخة براتيسلاوا رقم 231-9 .

٨٠ ـ في بحث العروض :

توجد منه نسخة خطية في مكتبة متحف توبقابوسراي رقمها ١٨٧٨/١ .

٨١ ـ مقالة في بيان الأجسام السماوية تفعل في الأجسام التي تحتها :

توجد منه نسخة خطية في المجموعة MS 1.0.3832 في مكتبة ديوان الهند (India office) .

٨٢ ـ في بيان كيفية القياس وكيفية الاستدلال :

توجد منه نسخة خطية في المجموعة MS.1.0.3832 في مكتبة ديوان الهند .

٨٣ ـ رسالة في الجزء الذي لا يتجزأ :

ذكرت هذه الرسالة ضمن آثار الفارابي في « عيون الأنباء » ، لكنها لم يعثر عليها حتى الآن .

٨٤ ـ رسالة في الفراسة :

توجد منه نسخة خطية في مكتبة المجلس بطهران ضمن المجموعة ٥٩٥ .

٨٥ ـ كلام في الجن وحال وجودهم :

ذكرت هذه الرسالة في « عيون الأنباء » ، ولم يعثر عليها حتى الآن .

٨٦ ـ رسالة في ماهية والهوية :

توجد نسخة منها في المكتبة السليمانية (آيا صوفيا) رقمها ٣٥٧٧/٣ .

٨٧ ـ كتاب الوصايا :

توجد نسخة شخصية منه في المكتبة السليمانية (آيا صوفيا) رقمها ٤٨٥٥/٨ .

« عبد الرحمن البدوي » أورد المتن العربي لهذا الكتاب ضمن كتاب « الحكمة الخالدة » طبعة القاهرة ١٩٥٢م ص ٣٢٧ ـ ٣٤٢ .

محمد بن ادريس الحلي

ذكر في المجلد التاسع الصفحة ١٢٠ ونزيد هنا ما ترجمه به صاحب كتاب (تاريخ الحلة) قال :

كان اصولياً بحتاً ومجتهداً صرفاً ، له اثر كبير في تاريخ الفقه الشيعي ، فقد ثار في وجه السائد بين فقهاء عصره من العمل بخبر الآحاد ، وفتح باب الطعن على الشيخ أبي جعفر الطوسي جده من قبل الام ، وندد باقواله ، وابدى من الجرأة الفكرية تجاه فقهاء عصره امراً عجيباً فتعرض بذلك لسهام نقدهم ، ولم يثنه كل ذلك عن عزمه ، وكان يقصد من تلك المناوأة فتح باب الاجتهاد ، فقد كاد أن يقضى على روح الاجتهاد ولم يبق منه الا رمق . فإن الفقهاء من بعد عصر الشيخ الطوسي كاد أن يتلاشى منهم روح الاستنباط والاجتهاد والتفريع ، ذلك لاعتقادهم بالشيخ الطوسي وحسن ظنهم به . تأمل ما قاله السيد رضي الدين بن طاووس في كتابه (البهجة لثمرة المهجة) قال : « أخبرني جدي الصالح ورام بن أبي فراس ان سديد الدين محموداً الحمصي حدثه أنه لم يبق للامامية مفت على التحقيق ، بل كلهم حاك . ثم قال السيد عقيب هذا الكلام : فقد ظهر لك الآن ان الذي يفتى به ويجاب على سبيل ما حفظ » .

وقد أكثر فقهاء عصر ابن ادريس ومن تأخر عنهم الطعن في اقواله ، وممن طعن فيه سديد الدين الحمصي ، قال فيه : « أنه مخلط لا يعتمد على تصنيفه[١] والمحقق الحلي ، والعلامة الحلي ويعبر عنه في بعض مصنفاته بالشاب المترف[٢] .

قال فيه صاحب امل الآمل : « وقد اثنى عليه المتأخرون ، وعلى كتابه السرائر ، وعلى ما رواه في آخره من كتب المتقدمين واصولهم » . وقال فيه الحسن بن داود الحلي في كتابه الرجال : « أنه كان شيخ الفقهاء بالحلة ، متقناً للعلوم كثير التصانيف لكنه اعرض عن اخبار اهل البيت بالكلية » .

وقال فيه صاحب لؤلؤة البحرين : « هو أول من فتح باب الطعن على الشيخ الطوسي ، والا فكل من كان في عصر الشيخ أو من بعده انما كان يحذو حذوه غالباً إلى أن انتهت النوبة إليه » .

يروي ابن ادريس عن عربي بن مسافر والحسن بن رطبة السوراوي وابي المكارم حمزة الحسيني ، ويروي بالواسطة عن حاله أبي علي ابن الشيخ ابي جعفر الطوسي ، وعن ام أمه بنت مسعود بن ورام ، وكانت امرأة صالحة فاضلة مجازة بالرواية .

ثم يقول صاحب « تاريخ الحلة » : ذكر ارباب التراجم أن ام الشيخ ابن ادريس كانت بنت الشيخ الطوسي وانها كانت مجازة من قبل أبيها ، وان ولدها صاحب الترجمة كان يروي عنها ، وهذا لا يستقيم فإن الزمن الذي كان بين وفاة الشيخ الطوسي وولادة المترجم له نيفا وثمانين سنة . ولكن يمكن أن تكون امه بنت بنت الشيخ الطوسي « انتهى »

وقال السيد مهدي الروحاني :

اثرت عظمة الشيخ أبو جعفر الطوسي وكثرة تلاميذه من الكبار والصغار في ان لا يتجرؤوا على مخالفته في فتاواه مدة من الزمن . فظهر ابن ادريس الحلي رحمه الله صاحب كتاب السرائر فناقش الشيخ الطوسي في عدة من فتاواه وقسم الفقهاء بعد الشيخ إلى محصلين واتباع ويسميهم بالمقلدة ، وهذا وإن كان فيه بعض الاغراق الا أنه كان لثورته هذه اثر جيد ، وذلك لأن الفقهاء بعد ابن ادريس وان لم يتبعوا آراءه خصوصاً في رأيه الأصولي الذي يقول بعدم حجية الخبر الواحد ، ولكنه جعلهم مستقلي الرأي والنظر يكثرون من التأمل في الأدلة ، وبذلك كله نضج الفقه فقه أهل البيت عليهم السلام بما فيه من المأثورات الكثيرة وبما فيه من المسائل المجمع عليها وما هو غير مجمع عليه فظهر الصحيح من الروايات وغيرها في الأغلب .

---

(١) لؤلؤة البحرين .
(٢) روضات الجنات .

مؤلفاته

كتاب السرائر في الفقه . كتاب التعليقات وهو حواشي وايرادات على التبيان للشيخ الطوسي ، كتاب يشتمل على جملة اجوبة مسائل كان قد سئل عنها .

عمره ووفاته

قال صاحب روضات الجنات : والذي رأيته في البحار من خط الشهيد رحمه الله هكذا : قال الشيخ الامام ابو عبدالله محمد بن ادريس الامامي العجلي : بلغت الحلم سنة ٥٥٨ .

وجاء في وفيات العلماء للكفعمي : « يقول ولده صالح : توفي والدي محمد بن ادريس يوم الجمعة وقت الظهر ١٨ شوال سنة ٥٩٨ « وقيل توفي شابا » .

وقبره في الحلة جنوبي حديقة الجبل . وقد جدد بناءه الحاج حسان مرجان ، وانشأ حوله بناية فخمة كما اسس مسجداً بجواره .

محمد بن الحسين الشيخ البهائي

مرت ترجمته في الصفحة ٢٣٤ من المجلد التاسع ونزيد عليها هنا ما يلي :

من شعره ، ما نظمه من قصيدة يذكر فيها مدينة هرات التي كان والده شيخ الاسلام فيها ، وكان له هو بعض الاقامة فيها مع والده :

ان الهرات بلدة لطيفة بديعة شائعة شريفة
انيقة انيسة بديعة رشيقة أنسة منيعة
خندقها متصل بالماء وسورها سام إلى السماء
ذات فضاء يشرح الصدورا ويورث النشاط والسرورا
حوت من المحاسن الجليلة والصور البديعة الجميلة
ما ليس في بقية الأمصار ولم يكن في سالف الأعصار
لست ترى في أهلها سقيما طوبى لمن كان بها مقيما
ما مثلها في الماء والهواء كلا ولا الثمار والنساء
كذلك الباحات والمدارس فمالها فيهن من مجانس

هواؤها من الوباء جُنة كأنه من نفحات الجنة
فيبسط الروح وينقي الكربا ويشرح الصدر ويشفي القلبا
لا عاصف منه تمل الحرة ولا بطيء السير فرد مرة
بل وسط يهب باعتدال كغادة ترفل في أذيال
فمن رماه الدهر بالافلاس حتى على المسكن واللباس
فلا يصاحب بلدة سواها لأنه يكفيه في هواها
لو قيل ان الماء في الهرات يعدل ماء النيل والفرات
لم يك ذاك القول بالبعيد فكم على ذلك من شهيد
تراه في الأنهار جار صاف كأنه لآليء الأصداف
لا يحجب الناظر عن قراره بل يطلعنه على اسراره
تظن غور عمقه شبرين من الصفا وهو على رمحين
خفيف وزن رائق الأوصاف ما مثله ماء بلا خلاف
يهضم ما صادف من طعام كأنما أكلته من عام
نساؤها مثل الظباء النافرة ذوات الحاظ مراض ساحرة
يسلبن حلم الناسك الأواه يسلمن جسمه إلى الدواهي
من كل حُو وعذبة الألفاظ تقتل من تشاء بالألحاظ
أضيق من عيش اللبيب ثغرها أضعف من حال الأديب خصرها
قاتله قد شهدت حداها بما بنا تفعله عيناها
ترنو بطرف ناعس فتاك يفسد دين الزاهد النساك
والصدغ واو ليس واو العطف والثدي رمان عزيز القطف
والجسم في رقته كالماء والقلب مثل صخرة صماء
ولفظها وثغرها كالردف سحر حلال القحوان قحف
وقدها ونهدها والخد غصن ورمان طري وورد
والشعر والرضاب والأجفان صوارمُ مدامة ثعبان
غير حميدات خصالهن طوبى لمن نال وصالهن

يا حبذا أيامنا اللواتي مضت لنا ونحن في هرات
تسترق اللذات والافراحا ولا نمل الهزل والمزاحا
وعيشنا في ظلها رغيد والدهر مسعف بما نريد.
واها على العود إليها واها فما يطيب العيش في سواها

محمد الغفاري الملقب بـ « كمال الملك » ، ابن الميرا الكبير بن الميرزا محمد بن الميرزا عبد المطلب الغفاري

ولد بمدينة كاشان في أواخر شهر شوال سنة (١٢٦٤) وتوفي في نيسابور سنة ١٣٥٢ .

امضى طفولته وصباه في تلك المدينة وأكمل فيها مراحل الدراسة الأولى ثم انتقل الى طهران وهو في الخامسة عشرة من عمره والتحق بمدرسة دار الفنون ، فانهى مراحل الدراسة ودوراتها في هذه المدرسة ، ولكونه يتمتع بموهبة متميزة في الرسم فقد عيّنه ناصر الدين شاه رسّاماً وافرد له غرفة خاصة في عمارة بادكير من مجموعة شمس العماري ، فصار مشغولاً بأعمال الرسم وفنونه هناك تحت عنوان (نقاشباشي) .

ويمكن تلخيص الحياة الفنية لكمال الملك في أربع مراحل :

المرحلة الأولى : وتشمل المدة التي امضاها في بلاط ناصر الدين شاه مشغولاً بأعمال الرسم وقد بلغ عدد اللوحات التي أنجزها في هذه المرحلة مائة وسبعين لوحة . وسنكتفي بذكر الآثار النموذجية لهذه المرحلة (١٢٨٥هـ ـ ١٣١٢هـ) .

المرحلة الثانية : وهي تشمل المدة التي امضاها في أوربا . (١٣١٩ هـ ـ ١٣٢٤هـ) .

المرحلة الثالثة : وتتعلق هذه المرحلة بالآثار والنتاجات التي انجزها عند سفره إلى العتبات المقدسة .

المرحلة الرابعة : وهي التي شهدت بداية حركة المشروطة وتأسيس مدرسة (صنايع مستظرفة) .

وسنتناول الحديث مفصلاً عن هذه المراحل .

المرحلة الأولى

يصعب علينا الاهتداء إلى كثير من اعمال ونتاجات كمال الملك وعلى الخصوص تلك التي انجزها في بدايات حياته الفنية ، فقد يكون قسم منها قد

اندثر واختفى وقسم آخر توزع هنا وهناك بنحو يتطلب جمعه في مكان واحد جهوداً ضخمة كبيرة ووقتاً هائلاً طويلاً ومن بين الأعمال النموذجية لكمال الملك التي وصلت إلينا : لوحة « آبشار دوقلو » موقعة بامضاء (نقاشباشي) يعود تاريخ انجازها إلى سنة (١٣٠٢هـ) ، لوحة قصر (گلستان) وقد انجزت سنة (١٣٠٣هـ) ، منظر قرية (أمامية) انجزها في (سنة ١٣٠٤هـ) ، منظر حديقة (باغشاه) انجزت في (سنة ١٣٠٦هـ) ومنظر لوادي (زانوس) من بعيد وقد انجزت في سنة (١٣٠٦هـ) أيضاً . أما لوحة (المخيمات الحكومية) التي انجزت سنة (١٢٩٩هـ) فهي تعد من بين أقدم الآثار التي بلغتنا من تلك المرحلة التي كان يوقع كمال الملك لوحاته بامضاء (نقاشباشي) وهي موجودة الآن ضمن مجموعة بمكتبة مجلس الصيانة .

ويستنتج من خلال عناوين اللوحات المذكورة أن كمال الملك قلما أعطى المناسبات والموضوعات الانسانية اهتمامه وعنايته فنجد أن لوحاته أما أن تكون حاكيةً عن الطبيعة وجمالها الفيّاض حيث يبدو فيها انعكاس النفحات الشاعرية التي تتجلى في لمسات فنية معبرة عن الهامات عاطفية ، أو أن تكون تلك اللوحات متضمنة لمباني الدولة وأماكنها . كما أن عناصر لوحاته وسبكها الخاص تأتي فاقدة للروح والحركة والابداع الذي يمنح العمل الفني أملاً بالخلود والحكاية عن اصالته . ورغم أن لوحاته ممتعة للذوق والنظر ومثيرة لعاطفة المشاهد الا أن عمل الرسم المبذول في هذه اللوحات لا يعدو أن يكون مماثلاً للتصوير الآلي حيث الصور الجامدة والبسيطة والسطحية التي تقل فيها اللمسات الفنية الخلاّقة الصادرة عن بديهة الفنانين وقريحتهم ، كما يلاحظ فيها عدم الانسجام بين موضوعات اللوحات وعناصرها وبين احاسيس الفنان ومشاعره ، وإن وجد مثل ذلك فإنه يتوقف في حدود السطح ولا يمتد إلى الأعماق الخلاقة ، سوى بعض الاستثناءات القليلة التي نجد فيها الاندماج والانسجام الكلي للفنان وعواطفه وروحه مع لوحاته المرسومة على أن التقنية العالية الملحوظة في تلك الأعمال واللوحات وتطوراتها كانت تنبيء عن مستقبل مزدهر للفنان ، حيث يشاهد تحسن الانتاج وتصاعد وتيرته الفنية لوحة بعد لوحة ، كما يبدو فيه المنحى التكاملي الذي يتسلقه .

تعد لوحة (تالار آئينة) معلماً لمرحلة جديدة للرسم الايراني فقد احدثت هزّة حقيقية في بنيان مدرسة الفن القاجاري الذي كان يعتمد اساساً على رسوم المينة التقليدية ويغوص في الجمود على الأساليب القديمة وتقليدها واتباعها .

أما الطريق الفني الذي سلكه كمال الملك حتى آخر عمره فقد كان استمراراً وتطوراً لأسلوبه الفني الذي انتهجه في لوحة (تالار آئينة) ، وضمن هذا السياق أيضاً فقد عُدّ كمال الملك واسلوبه نقطة انعطاف في الحركة الفنية حيث يمثل نهاية مرحلة للفن التقليدي وبداية مرحلة لتيار فني آخر متأثر بالفن الغربي إلى حدود بعيدة . ورغم أن التأثر بالفن الغربي يعود تاريخه إلى أزمان بعيدة إلّا أنه كان من المستحيل بنحو من الأنحاء أن يتسلل تأثير الفن الغربي ـ في أعمال الفنانين الذين سبقوه ـ داخل التقاليد الأصيلة للفن الايراني ، أما في أعمال كمال الملك ولوحاته فقد صارت القيم الفنية الايرانية تذوي وتختفي لتحل محلها القيم والمعايير الأساسية للفن الكلاسيكي الأوربي .

إن هذا التطور الذي كسر التقاليد الفنية وخرج عن مألوفها تحوّل ليصير بذاته تقليداً واسلوباً جديداً للفن الايراني الذي اندفع على اساسه في مسيرة النهضة والازدهار . ولم يكن هذا التطور وليد صدفة أو نتيجة حدث طاريء بل أنه يأتي ضمن سياق التطور والتحول العام الذي طال كافة الأسس والعلاقات الاجتماعية والمعايير الانسانية للمجتمع الايراني وأثر في حركة الرشد للخلايا والمكونات والأنسجة التي تؤلف كيانه العام ، فقد مضت مدة من الزمن شهد البنيان القديم للمجتمع الايراني جملة من التطورات وتعرض لعدة هزات أوجدتها الاصلاحات الاجتماعية التي جاء بها (أمير كبير) وجعلت المجتمع الايراني في حالة غليان واضطراب مستمرة .

ومع اقتراب وقت انفجار ثورة المشروطة فإن القوالب القديمة والقيم البالية العتيقة كانت تزداد عجزاً في استيعاب المتطلبات الجديدة والمضامين الحية لحركة المجتمع ، ولذا فقد سيطرت حالة القلق وعدم الاستقرار في المجتمع ، وازدادت الحاجة الحاحاً إلى التجديد والتحول الذي ينهض إلى مستوى تلبية الاحتياجات المتطورة والتعاطي مع المتغيرات المتسارعة في ايران والعالم . ان كل تلك الضرورات والمعطيات انعكست وتجلت بوضوح في الميدان الثقافي والفني .

وفي هذه المرحلة نشاهد أن فن الرسم يلتفت إلى الموضوعات الانسانية ضمن حدود معينة ، فنجد ذلك مثلاً في لوحة تصور أحد المصريين وقد أُنجزت بعد لوحة (تالار آئينة) أما قبل زمن انجاز هذه اللوحة فثمة لوحة « الصيادون » و « الشحاذتان » . أما آخر عمل انجزه كمال الملك يحمل امضاء الـ « نقاشباشي » فهو لوحة (الفوّال) سنة (١٣٠٩هـ) وهي تعد أرقى عمل قدمه كمال الملك إلى ذلك الوقت حيث تبرز قدرته على الاستيحاء من الطبيعة وضلوعه في استخدام الألوان فقد رسمت شخصيات اللوحة بنحو جيد من حيث الترابط المنطقي والانسجام فيما بينها . وقد عرضت هذه اللوحة لاحقاً في أحد معارض الرسم في باريس واختيرت من بين كل اللوحات المعروضة كأفضل عمل فني فنالت الجائزة الأولى .

في سنة ١٣٠١ تزوج كمال الملك وهو في سن السابعة والثلاثين ورزق بنتاً وثلاثة أولاد هم : نصرت خانم ، معز الدين خان ، عسنقلي خان ، وحيدر قلي خان ، وقد كان له أخ يُدعى أبا تراب يكبره بثلاث سنوات وكان رساماً أيضاً تعود إليه تلك الرسوم واللوحات المنشورة في صحيفة (شرف وشرافت) والتي تحمل امضاء (ابو تراب) .

المرحلة الثانية

لقد فتحت أوربا عالماً جديداً أمام كمال الملك واستفاد من احتكاكه وصداقاته لكبار الفنانين حيث اكتسب المزيد من التجارب واتسع مدى أفقه الفني واتيح له أن يطل على دنيا واسعة أكبر من أن توصف وخلال رحلة بحثه في فن الرسم وعلومه استطاع كمال الملك أن يزور كل متاحف أوربا وضمن تلك الرحلة فتن بـ (رامبراند) رسّام القرن السابع عشر ، لقد لاحظ كمال الملك في أعمال هذا النابغة الهولندي آثاراً وعلامات للعرفان الشرقي فانجذب نحوها بشدّة ، وكان يقول : « تكمن في لوحات رامبراندوتيسين القوة والروح والفن » . لقد تعلم كمال الملك علوم الرسم من مطالعاته لآثار رامبراند ، تيسين ، رافائيل ، روبنس ، انديك وليوناردو دافينشي : وكانت تتم دراساته تلك وتعلمه لفنونهم من خلال استنساخه لأعمالهم وتجزئتها بحضور الرسامين الكبار لتلك المرحلة في أوربا .

فقد درس كمال الملك لوحة سان ماتيورا في متحف اللوفر بباريس ، كما

درس لوحة . رامبراند واستنسخها في قصر بيتي بايطاليا .

وقد تعرف كمال الملك في فرنسا على الرسام الشهير في ذلك الوقت فونتين لاتور فكان ثمرة هذه المعرفة لوحة رسمها الأستاذ هي عبارة عن صورة ذلك الفنان الفرنسي الذي كان يصف كمال الملك بالشعلة القادمة من ايران ويدعو تلاميذه للاستفادة منه فيقول : « انظروا إلى هذه الشعلة القادمة من ايران ، واستفيدوا من لهيبها وحرارتها الخلاقة » .

يقول (بن زور) رئيس مدرسة ميونخ وأحد كبار الرسامين في أوربا : إن كمال الملك هو أفضل وأكبر ناسخ لآثار ونتاجات اساتذة الفن الكلاسيكي الأوربي .

ثمة اقوال مختلفة حول مدة إقامة الأستاذ في أوربا وليس هناك اتفاق على رأي موحد في هذا الشأن بل تردد القول حول طوال سفره بين ٣ أو ٤ أو ٥ سنوات وأقوى تلك الأقوال وأكثرها سنداً هي تلك التي تذهب إلى أن كمال الملك اتجه إلى أوربا سنة (١٣١٤) وعاد منها سنة (١٣١٩) إلى ايران . . وكان محصلة هذه السنوات الخمس على صعيد الانتاج الفني ١٢ لوحة أكثرها كان عبارة عن استنساخ لأعمال كبار رسامي أوربا عهدئذٍ .

وتدل تلك اللوحات على أن كمال الملك طوى خلال السنوات الخمس طريقاً عالياً واكتشف آفاقاً جديدة في نفسه . فقد تطورت تقنياته الفنية ونضجت مقدرته وازدادت رؤيته عمقاً ودقةً ، وصار أكثر دراية ومعرفة بالألوان وخطوط الربط ومفاصل اللوحة الفنية والتي تعتبر روح عملية الرسم وبنية هيكله الفني ، كما منحه حضوره المباشر في تجارب عباقرة الفن واساطينه وفطاحله فرصة الاتصال القريب باسرار هذا الفن وحقائقه فتبينّ وسط ذلك المحيط الخلّاق المكان الواقعي للطبيعة والحياة في دنيا الفن .

المرحلة الثالثة

وعندما عاد كمال الملك إلى طهران كان يحمل معه روحاً تفيض بالحيوية وقلباً مفعماً بالنشاط ونابضاً بالرجاء والأمل . . غير أنه وجد جوّاً ثقيلاً راكداً ومحيطاً باهتاً في طهران لا يلبي طموحاته ولا يستوعب حركة هذا النسر الذي يريد أن ينطلق ويحلق في دنيا الفن كالأساطير . وكانت ظروف ايران عهدئذٍ غير ملائمة لنمو الفن ورشده فقد أوصلت هذه الظروف المضطربة السيئة الأشكال الأصيلة لفنون المينة، إلى الحضيض ، ومن الطبيعي لفنان كالأستاذ كمال الملك الذي يجد حياته ورزقه في فنه ، أن لا يجد في تلك الأجواء عوامل الهدوء والاطمئنان والسكينة والرضى . وقد كانت عودته في زمن السلطان مظفر الدين شاه القاجاري حيث كان يوصي كمال الملك بانجاز اعمال لا تنسجم مع ذوقه ومزاجه الفني مما كان يبعث الضيق في نفس هذا الفنان إذ أن الفن يختنق ويفقد خلاقيته عندما يخضع لجو القهر والأوامر المفروضة . وقد وجد كمال الملك نفسه وسط امراء السلطان مظفر الدين شاه ورجاله الذين لا يدركون من مضمون الفن شيئاً ولا يعرفون حقيقة مكانة الفنان ، فكانوا يطلبون منه أموراً لا تهدف سوى إلى إرضاء رغباتهم في التفاخر والتمايز ويكلفونه بأعمال سطحية وسخيفة بحيث أنه لو اراد مسايرتهم وانجاز ما يريدون لصار كمن يجعل من الرسام مسخرة، واضحوكة . ولذا فقد دفع هذا الجو المفعم بتلك السلبيات إلى جانب الوضع غير البناء في بلاط مظفر الدين شاه دفع بكمال الملك إلى العصبان والفرار إلى بغداد حيث مكث فيها مدة وانجز فيها اعمالاً فنية مختلفة . فرسم لوحات : (اليهود المنجمون البغداديون) و (الصائغ البغدادي) وتمتاز هذه اللوحات بدرجة عالية من الاتقان في التركيب وبمقارنة هاتين اللوحتين بأعمال الاستاذ السابقة لسفره إلى أوربا نكتشف التطور الهائل في مقدرته الفنية وفكره ، ونلمس فيها نظرته إلى واقع المجتمع في بعده الطبقي .

عاد كمال الملك من بغداد إلى ايران في سنة (١٣١٢هـ) فعاود السلطان طلباته إليه ليمارس عمله في رسم اللوحات التي يمليها عليه إلا أنه اعتذر متذرعاً بأنه يعاني من رعشة في يدّه . وقد زامنت عودته ظهور حركة المشروطة وتصاعدها فكان أن ساهم فيها وكتب عدة مقالات في ذلك نشرت له على صفحات جرائد الوقت .

المرحلة الرابعة

(تأسيس مدرسة صنايع مستظرفة)

بعد وقائع حركة المشروطة في حدود سنة (١٣٢٩هـ) فكر وزراء ذلك الوقت في تحسين الوضع المالي لكمال الملك الذي كان يعاني من فقر مدقع وحرمان شديد ، فطلب حكيم الملك وزير الثقافة عهدئذٍ اجازة منح ارض مساحتها ستة آلاف ذراع في منطقة نكًارستان مع مبلغ قدره سبعة آلاف تومان نكمال الملك من أجل بناء مدرسة (صنايع مستظرفة) باسـ ـمال الملك نفسه وبما أن المبلغ لم يسدد في ذلك العام فقد قام بتسديده - الملك في العام اللاحق عندما صار وزيراً للمالية ، وتحقق بناء المدرسة مرافقها فنقلت إليها لوحات الأستاذ كمال الملك ونصبت فيها حيث كـا ، مدرسة فنية تُشيد تحت عنوان مدرسة صنايع مستظرفة ، وصار كمال الملـ يمارس نشاطاته الفنية في تلك المدرسة كما أنها اصبحت أول مكان يزوره الضيوف باعتباره مركزاً ثقافياً ومرفقاً فنياً .

أما اللوحات التي رسمها وانجزها كمال الملك في هذه المدرسة فهي : منظر بعيد لـ (مغانك) ، لوحتان عن مدينة (دماوند) ، ثلاث لوحات عن محلة (شميران) و (جبل توچال) ولوحة (سيد نصر الله التقوي) وبعض اللوحات لنفسه نسخها عن المرأة ولوحة (مولانا) ولوحة (ابن ناصر الملك) ولوحات اخرى . كما أن الأستاذ كمال الملك استطاع أن يربي عدداً كبيراً من الفنانين في هذه المدرسة ولعل ابرزهم : اسماعيل الاشتياني ، حسنعلي وزيري ، ابو الحسن صديقي وعلي محمد حيدريان .

وينقل علي محمد حيدريان وهو تلميذ كمال الملك كما ذكرنا ، أن المدرسة كانت تشكل مكاناً هاماً وأحد المراكز الثقافية العليا ، وبالاضافة إلى أن التلاميذ في هذه المدرسة لم يطلب إليهم دفع بدلٍ مالي لدراستهم فقد كانت توفر لهم كل وسائل العمل من قبيل : القلم ، الفرشاة ، الألوان ، والنماذج والعينات الفنية واستمرت المدرسة محافظة على مستواها العالي في حوالي السنوات الثلاث الأولى ، إلا أنها بدأت تتراجع وتتقهقر عندما بدأت التدخلات تلقي بظلالها على مصير هذه المدرسة حيث اقتُرح أن يحوّل مكانها إلى مقر للوزارة وساهم حب الرياسة والجاه في تحويل هذا المركز الذي كان بمثابة الفردوس للفنون إلى جهنم الاحتيالات والانانيات ، فصار مقراً لشبه وزارة أُطلق عليها إسم وزارة الصناعة ، وفي عهد رضا شاه ظهرت خلافات بين كمال الملك ووزير المعارف في ذلك الوقت سليمان ميرزا واستمرت تلك الاختلافات والتجاذبات مع وزراء المعارف الآخرين بسبب التدخلات غير النافعة في المدرسة حتى أدت تلك

الخلافات المستمرة إلى اعاقة تقدم اعمال المدرسة إلى أن بلغت الاحتكاكات أشدها في زمن سيد محمد تديّن الذي صار وزيراً للمعارف . ولكن كمال الملك الذي اعيته تصرفات أولئك واتعبه الوضع السيء لهم لم يتمكن من المواصلة فقدم استقالته إلى رئيس الوزراء آنذاك الميرزا حسين مستوفي الممالك وقبلت تلك الاستقالة سنة ١٣٠٦ هجري شمسي وغادر كمال الملك إلى منطقة حسين آباد في مدينة نيشابور بتاريخ (٢٢ آرديبهشت سنة ١٣٠٧) وسكن في ملك شخصي له هناك إلى آخر ايام حياته وقد زاره الكثير من اصدقائه وتلامذته من داخل ايران وخارجها في منطقة حسين آباد كما أن بعض المستشرقين والفنانين توجهوا إلى هناك ليحظوا بلقاء هذا الفنان الكبير وفي ذلك الزمان اتجه بعض المسؤولين في مجلس الشورى الوطني نحو شراء لوحات كمال الملك لصالح المجلس وإقامة متحف هناك باسم كمال الملك ، لذا فقد ابتاعوا لوحة « سردار اسعد » بمبلغ (٥٠٠)تومان سنة ١٣١٠ ثم ابتاعوا اثني عشرة لوحة اخرى بمبلغ ستة آلاف تومان وحملت إلى طهران حيث نصبت في مكتبة مجلس الشورى الوطني عهدئذٍ .

وفي عام ١٣٥٠ توجه السيد شريف رئيس مكتبة المجلس إلى حسين آباد وحمل أربع لوحات من اعمال كمال الملك إلى طهران والحقها بلوحات المجلس الأخرى وفي سنة ١٣٥٢ وقع كمال الملك صريع مرض تضخم البروستات فتوفي في مدينة نيشابور بمنزل حفيده محمد غفاري وشيعت جنازته إلى مقبرة الشيخ العطار « عن مقال للاسكندري » .

محمد باقر الدهلوي

قتل سنة ١٨٥٧م .

من رجال العلم والفضل في الهند ، وهو خطيب وصحافي وكاتب ، ومن مجاهدي الثورة الهندية على الانكليز . وكان لمجلته (دهلي اردو اخبار) مقام رفيع في تاريخ الصحافة . ومن مؤلفاته (هادي التواريخ) رتبت فيه الأحداث بحساب الشهور والأيام .

السيد محمد صادق بحر العلوم ابن حسن

ولد في النجف الأشرف سنة ١٣١٥ .

درس في النجف فكان من اساتذته السيد محسن القزويني وابو الحسن المشكيني والسيد أبو تراب الخونساري والشيخ محمد حسين النائيني والسيد ابو الحسن الأصفهاني . وواصل البحث والمطالعة في كتب الأنساب والتاريخ واللغة والأدب ، ثم انصرف الى تحقيق بعض كتب التراث مثل (تاريخ اليعقوبي) لابن واضح الأخباري و (تاريخ الكوفة) للبراقي و (فرق الشيعة) للنوبختي و (النقود الاسلامية) للمقريزي و (عمدة الطالب) في انساب آل أبي طالب لابن عنبة و (اسماء القبائل العراقية وغيرها) للسيد مهدي القزويني و (الفهرست) للشيخ الطوسي و (الكواكب السماوية) للشيخ محمد السماوي .

وله حواش على (الرسائل) و (المكاسب) للشيخ مرتضى الأنصاري و (كفاية الأصول) للشيخ كاظم الخراساني و (كشف الظنون) للشلبي . وله (المجموع الرائق) على طريقة الكشكول و (السلاسل الذهبية) و (الدرر البهية) في تراجم علماء الامامية من القرن الحادي عشر إلى هذا القرن . و (دليل القضاء الشرعي) . وله ديوان شعر مخطوط .

عين قاضياً شرعيا في محاكم العراق .

الدكتور السيد محمد بهشتي

ولد في اصفهان سنة ١٣٤٩ واغتيل في ٢٥ شعبان ١٤٠١ مع اثنين وسبعين مسؤولاً من مسؤولي حزب الجمهورية الاسلامية الحاكم في انفجار المكتب المركزي للحزب في طهران .

هو من عائلة دينية وكان أبوه امام مسجد لومان . وجده لامه هو الحاج مير محمد صادق مدرسي الخاتون آبادى من المراجع الدينية .

انهى الدراسة الابتدائية وقسماً من الدراسة المتوسطة في اصفهان ثم انتقل إلى الدراسة الدينية ، فدرس قواعد اللغة العربية والمنطق ومطوح الفقه والأصول في مدة أربع سنوات وفي سنة ١٣٦٧ انتقل إلى مدينة قم فدرس على الشيخ مرتضى الحائري والسيد البروجردي والسيد محمد تقي الخونساري وغيرهم . وكان خلال ذلك يتولى التدريس في بعض المدارس المتوسطة الحديثة ، وكان قد اتقن اللغة الانكليزية فنوى الالتحاق باحدى الجامعات البريطانية ، ولكنه حضر مرة درس السيد محمد حسين الطباطبائي في الفلسفة الاسلامية فاستهواه هذا الدرس وقرر متابعته ولما وقعت احداث ١٩٦٢ و١٩٦٣م كان له فيها دور بارز لا سيما في كتابة البيانات ، لذلك اعتقل على اثر الأحداث الدموية التي عرفت باحداث (١٥ خرداد) . وتحدث عنه السيد علي خامنئي رئيس الجمهورية الاسلامية الايرانية الذي كان زميله في الدراسة في قم ، في تلك الفترة ، تحدث عنه بمناسبة مرور ذكرى اغتياله فقال من حديث طويل : (وشهرته كانت تعود إلى اتجاهاته الفكرية الناصعة النيرة والتقدمية . هذا فضلاً عن نبله وخلقه الرفيع الذين اتسم بهما بين مدرسي الحوزة العلمية ، وتطورت العلاقات بيننا حينما قام بفتح صف دراسي ودعا جمعاً من افراد الحوزة للمشاركة فيه من أجل التعرف على العلوم والمعارف الحديثة وكنت أحد من شاركوا في هذا الصف . وبالطبع فإن اصدقاءنا المشهورين اليوم اغلبهم من مجموعة الثلاثين الذي جمع الصف المذكور شملهم) . ثم يذكر السيد خامنئي انتقال السيد بهشتي من قم إلى طهران ، ثم انتقاله إلى المانيا ـ كما سيأتي ـ ثم عوده منها إلى طهران وكان السيد خامنئي قد انتقل إلى (مشهد) .

ثم يستأنف السيد خامنئي كلامه قائلاً : (ربطتنا معاً صلة تشاور مستمرة حول الشؤون الخاصة بالقضايا الاسلامية وعرض المفاهيم والمعارف الاسلامية على الجيل الحديث وتوثيق الأواصر معه ، وكنت على اتصال دائم معه وكنت آتي إلى طهران للقائه وكان هو يأتي إلى مشهد مرة واحدة في كل عام . وبعد مضي سنوات بدأنا عملاً مشتركاً مع عدد آخر من الاخوة ادى إلى تشكيل الحزب في آخر المطاف) انتهى .

وهكذا يتبين أن نواة حزب الجمهورية الاسلامية ـ الذي كان المترجم في الواقع عميده ـ كان وجودها سابقاً لانتصار الثورة ، ولم يكن ينقص الحزب إلّا إعلان وجوده . لهذا لم يرتبك رجال الحزب عند مفاجأتهم بانتصار الثورة ، بل كانوا منسجمين كل الانسجام . وكان الحزب منظماً ومعداً اعداداً حسناً لتولي مسؤوليات الانتصار ، لذلك نراه يستولي بسهولة على الحكم وينفرد به مطبقاً برنامجه الذي كان قد أعده للحكم الاسلامي .

وكان المترجم خلال دراسته في الحوزة العلمية في قم يتابع دراسة منهج

الشهادة الثانوية التي تؤهله لدخول الجامعة حتى نجح في نيلها فانتسب إلى كلية الإلهيات فحصل منها على شهادة (الليسانس) ثم شهادة الدكتوراه . وكان المرجع الأعلى في قم السيد البروجردي قد اهتم بانشاء مسجد جامع للجالية الايرانية الكثيرة العدد في مدينة (همبورغ) بالمانيا وان لا بد لتلك الجالية ممن يقوم على شؤونها وشؤون المسجد العتيد ، فانتدب لذلك السيد بهشتي فسافر إلى همبورغ واتم بناء المسجد ونظم له برامج اسلامية ، وبعد أن كان اسم المسجد (مسجد الايرانيين) حول اسمه إلى (المركز الاسلامي في همبورغ) واصبح ملتقى للمسلمين جميعاً وبعد اقامة حوالي خمس سنوات في المانيا عاد إلى ايران فمنعته السلطات من الذهاب إلى قم ، ولكنه ظل يواصل نشاطه مع إخوانه في طهران حتى نجاح الثورة الايرانية . ورحيل الشاه .

وحين قررت الحكومة المؤقتة اجراء انتخابات (مجلس الخبراء) ليعد الدستور الايراني الاسلامي كان السيد بهشتي عضواً فيه عن طهران . ثم كان رئيساً اعلى للقضاء .

وعن حادث انفجار المكتب المركزي للحزب واجتماع ذلك العدد الكبير من المسؤولين فيه يتحدث السيد خامنئي قائلاً :

لقد كان ذلك الاجتماع في الواقع اجتماعاً اسبوعياً بل كان محوراً للسياسات الرئيسية لكافة اجهزة الحكومة ، فقد كان اجتماعاً حزبياً يحضره جمع من اعضاء المجلس المركزي للحزب وعدد من الأعضاء العاملين وممثلي الحزب في المؤسسات والوزارات ومجلس الشورى الاسلامي ولقد كنا جميعاً في الاجتماعات السابقة ولولا اني كنت في المستشفى أثر حادث محاولة الاغتيال التي تعرضت لها لكنت من المشاركين في ذلك الاجتماع ، وان احد الألطاف الألهية: هو عدم وجود الشيخ هاشمي رفسنجاني (رئيس مجلس الشورى) والشيخ باهنر في ذلك الاجتماع وقد كان عدم وجودهما لأسباب خاصة .

محمد تقي بهار الملقب بملك الشعراء

ولد سنة ١٣٠٤ في مدينة مشهد وتوفي سنة ١٣٧٠ في طهران .

انتقل إليه لقب (ملك الشعراء) من أبيه محمد كاظم الذي لقب بملك الشعراء للروضة الرضوية العلوية في مشهد الرضا عليه السلام وأصبح ملك الشعراء في تلك البقعة البهية ولقد حافظ على هذا اللقب ابنه المترجم وزاد عليه بما أوتي من كفاءة وعبقرية .

هو محمد تقي بهار الملقب بملك الشعراء ابن محمد كاظم صبوري ملك الشعراء ، درس الأوليات من العلوم العربية والفارسية في مسقط رأسه على أبيه وعلى بعض أدباء خراسان المعاريف كما أخذ ينظم الشعر ولم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره وقد أصبح نظمه وهو في سن العشرين موضع إعجاب الأدباء والنقاد من المتضلعين باللغة الفارسية وآدابها في عصره .

وعندما بزغت شمس النهضة الدستورية التي عمت جميع أنحاء إيران منذ العشرة الثانية من القرن الرابع عشر الهجري وأعلن الدستور الايراني سنة ١٣٢٤ كان المترجم على رأس من ولج ميدان الكفاح السياسي والنضال الاجتماعي في محافظة خراسان ، رافعاً راية هذه النهضة مستعيناً بشعره الحماسي ونثره المنسجم ، مناضلاً عن الدستور ومشتركاً في المنتديات والمجتمعات السياسية والأدبية التي كانت تعقد في مدينة مشهد . وكانت الصفة الغالبة على شعره ونثره الانتقاد اللاذع للأوضاع السائدة والاستنهاض الملح للطبقة المنورة وإثارة الرأي العام وتأييد الأحرار في نضالهم الحاد وكان عمره لما يتجاوز العشرين سنة عندئذ ، كما أنه أصدر في نفس هذا الوقت في مدينة مشهد جريدة باسم (نوبهار) أي (الربيع الجديد) ثم جريدة (تازه بهار) أي (الربيع الطازج) وقد اصبحتا مرآة تعكس آراءه ونظرياته ، كما ثابر على إصدارهما سنوات في هذه المدينة المقدسة .

ولم يكد يبلغ السن القانونية حتى انتخب نائباً عن محافظة خراسان فانتقل بحكم الضرورة إلى العاصمة (طهران) ونقل جريدته (نوبهار) أيضاً من مشهد إلى العاصمة واستأنف إصدارها فيها فضلاً عن أنه أصبح يحرر في صحف أخرى كانت تصدر في طهران وصار من رجال السياسة المعروفين في ايران ، وهكذا تكرر انتخابه نائباً في المجلس النيابي في دوراته الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والحادية عشرة وكان صوته يرن من على كرسي النيابة في أكثر جلسات المجلس ممثلاً للمعارضة ومتعاوناً مع زعيمها السيد حسن المدرس ، كما اشترك في بعض الأحزاب سواء في مشهد أو طهران كعضو بارز فيها وشغل منصب وزارة المعارف الإيرانية سنة ١٣٦٥ في الوزارة التي ألفها صديقه القديم السياسي العنيف أحمد قوام السلطنة أثناء الحرب العالمية الثانية واستقال قبل سقوط الوزارة لمعارضته لحكومة (بيشه ورى) التي كانت قد تألفت في آذربيجان خلافاً للدستور ممتنعاً عن توقيع أي اتفاق معها .

وعلى الرغم من قضاء معظم وقته في الكفاح السياسي فإنه لم يترك نزعته الأدبية وما جبل عليه من النظم الحاد والنثر اللاهب ، ونزولاً عند هذه النزعة أنشأ سنة ١٣٣٦ جمعية أدبية باسم « انجمن أدبي دانشكده » وأصدر مجلة « دانشكده » التي كانت لسان حال تلك الجمعية ، تلك المجلة التي كان لها الأثر البالغ في تجديد حياة النهضة الأدبية في ايران واتسام النظم والنثر الفارسي بسمة حديثة مجلببة بروح عصرية وبأسلوب يختلف كثيراً عن أسلوب النظم والنثر المحاط بإطار القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين .

هذا وقد لقي مترجمنا في نضاله السياسي المعارض عنتا قويا وكبتا عنيفاً من السلطات القائمة ، فسجن من جراء ذلك في سنة ١٣٤٨ للمرة الأولى وفي سنة ١٣٥٣ للمرة الثانية (دفعتين) وبقي حتى أواسط عمره معتماً بالعمة البيضاء الصغيرة ومرتدياً زي علماء الدين على غرار زملائه ومن على شاكلته من الفضلاء والأدباء عصرئذ لكنه على أثر إصابة عضده بالكسر أثناء رحلته مع المهاجرين إبان إعلان الدستور اضطر إلى استبدال زيه هذا (ببدلة السترة والبنطلون والقلبق) لأنه كان قد تعذر عليه بعد إصابة عضده بالكسر أن يلف بسهولة طيات عمته .

ولقد كان لتأسيس المترجم جمعية (انجمن أدبي دانشكده) وإصداره مجلتها القيمة أثر كبير في حياته وسيرته السياسية التي لقي من ورائها العنت والتعب والنصب ، من سجن وتبعيد وكفاح برلماني ونضال صحفي ، ونتيجة لكل ذلك آثر ترك السياسة والتفرغ للأدب والشعر والتعليم في المدارس العالية كدار المعلمين العليا وكلية الآداب وكذا التأليف والترجمة والإشراف على طبع الكتب الأدبية والتاريخية القديمة والتعليق عليها وتصحيح متونها .

هذا وبالاستطاعة اعتبار ملك الشعراء بهار أمير الشعر في ايران خلال القرن الرابع عشر الهجري والعشرين الميلادي وذلك لما وهبه الله تعالى من عبقرية لامعة وقريحة وقادة وشعور مرهف وطبع سليم وشعر قوي وبيان محكم

خاصة وأن لأسلوب شعره ونثره مسحة من الأدب الخراساني المعروف ، كما كان المترجم زعيم المجددين في النثر والنظم الإيراني الحديث ، كل ذلك مضافاً إلى ما كان يمتاز به من وطنية ملتهبة وغيرة إسلامية وحمية شرقية .

لقد أصيب في السنوات الأخيرة من عمره بمرض السل الذي أقعده عن أي نشاط علمي أو سياسي أو أدبي عدا نظم الشعر الذي كان يستعين به على قضاء وقته في انزوائه واعتزاله ورغم المحاولات الكثيرة سواء في إيران أو في رحلاته إلى مصحات ومستشفيات أوروبا للعلاج فإن هذا المرض العضال قد تغلب عليه . حيث توفاه الله عن عمر يناهز (٦٦) سنة .

كان ملك الشعراء بهار ملماً الماماً تاماً باللغة العربية وآدابها وكـان يستعين كثيراً بالكلمات العربية الفصحى في نظمه ونثره . ولذلك كنا نرى مكتبته التي حوت الآلاف من الكتب الخطية والمطبوعة غاصة بدواوين الشعراء العرب من قبل الإسلام وبعده والمعاصرين وكذا بكتب اللغـة العربيـة وقواميسهـا وآدابها وموسوعاتها .

مؤلفاته وآثاره

لقد ترك المترجم آثاراً كثيرة من نتاج أفكاره كثير منهـا مطبـوع وبعضها لا زال مخطوطاً ، منها :

١ ـ كتاب (سبك شناسى يا تاريخ تطور نثر فارسى) باللغـة الفارسيـة في ثلاثة مجلدات مطبوعة .

٢ ـ ديوان شعره بالفارسية في مجلدين كبيرين مطبوعين .

٣ ـ مجموعة مؤلفة من عدة مجلدات تحتوي على المقالات السياسية والأدبية وغيرها التي نشرها في صحفه أو الصحف والمجلات الأخرى طوال مدة حياته .

٤ ـ تعليقاته وتصحيحاته لمتون كتابي (تاريخ سيستان) و (مجمل التواريخ والقصص) اللذين طبعا على نفقة وزارة المعارف الإيرانية وأشرف المترجم على الطبع والتصحيح والتنقيح « ملخص من مقال للسيد صالح الشهرستاني » .

السيد محمد الحجة ابن علي

ولد في تبريز سنة ١٣١٠ وتوفي سنة ١٣٧٢ في قم .

درس في تبـريز ثم سـافر إلى النجف الأشـرف فكان من اسـاتـذتـه فيهـا الخراساني واليزدي وشيخ الشريعة وغيـرهم وظل في النجف حتى سنـة ١٣٤٩ وفي هـذه السنة انتقـل الى مدينـة قم فكان من مـدرسيها وبنى فيهـا المـدرسـة الحجتية . ولما ادرك الهرم الشيخ عبد الكريم اليزدي الحائري مؤسس جامعة قم وعميدها خشي أن ينفرط عقدها بعد وفاته فاستدعى السيد صدر الدين الصدر من (مشهد) وجعل منه ومن المترجم معاونين له ، ثم توفي الشيخ عبد الكريم فانضم اليهما السيد محمد تقي الخونساري فتألفت منهم قيادة ثلاثية لحوزة قم ، ثم انتقل الى قم السيد البروجردي فاشرف بنفسه على شؤون الحوزة وتصريف امورها .

له : لوامع الأنوار ، جامع الأحاديث ، مستدرك البحار ، رسائل في فروع الدين .

السيد محمد جمال الهاشمي ابن السيد جمال الدين

ولد في النجف الأشرف سنة ١٩١٤ م .

أصل والده من قرية سعيد أباد من قرى كلبايكان في إيران ثم انتقل إلى النجف سنة ١٣١٩ فأقام فيها طالباً فعالماً من مشاهير علمائها، ثم توفي فيها وهناك ولد نجله المترجم فدرس على والده وعلى كبار العلماء وتقدم في الدرس، حتى كان من المبرزين واشتغل في تفسير القرآن حتى كانت له حلقة يلقي فيها دروس التفسير على الطلاب. وكان إلى ذلك شاعراً مجيداً. ولما قام حكم الطغيان البعثي التكريتي في العراق، فسفك الدماء وارتكب المجازر الإنسانية وشرد العلماء وقضى على الحريات، كان هو ممن لحقته آثام هذا الحكم فاضطهد وطورد، ثم توفي فجأة في الستين من عمره.

طبع من مؤلفاته: الأدب الجديد، الزهراء، المرأة وحقوق الإنسان. وبقي ديوانه مخطوطاً، ويؤسفنا أن لم يصل إلينا إلا هذا النزر القليل من شعره الكثير الجيد، والله أعلم بما انتهى إليه أمر ديوانه.

شعره:

من شعـره قصيدة لـه في فلسطين نـظمها سنـة ١٩٤٦ وألقاهـا في إحدى الحفلات الكبرى في النجف:

ثبي ففي سيـرهِ التـاريـخُ قـد وثبـا ... واسْتسهلي في سبيلِ المجدِ ما صعبا
وخلفي أمسِ ظهـريـا فـإن لنـا ... يـومـاً طـوى ذكره الأجيال والحقبا
قولي لحاميكِ: يكفي ما غصبت فقد ... أمسيتُ لا سلّةٌ عنــدي ولا عِنَبـا
تـلك الحقيـقـةُ لا زورٌ ولا كـذبٌ ... فـأين مـا حـدث الـراوي ومـا كتبا
الحـربُ أرأف من سلمٍ يضيع بـهِ ... شعبٌ، ويصبـحُ قِـطرٌ فيـه منتهبـا
والضغط أرحم من رفقٍ يجف به ... دمٌ ويخمد عزم كان ملتهبا
إنْ كـان ما كـان عن عدلٍ ومـرحمةٍ ... يـا رَبِّ سلّط علينا الـظلمَ والغضبـا
طـال احتجاجُكِ والقـاضي بمنصبه ... يـراوغُ الحقَّ مكشـوفـاً ومحتجبـا
مـا تثبتُ اليومَ تنفيـه غـداً نـظمٌ ... سلت لتشخب من ذي درةٍ حـلبـا
دعـي المـواثيـق عـنـا إنها صـورٌ ... تمحي، وخلي الدمَ الموروثَ والحسبا
الحكمُ للقـوّةِ الخرسـاء فـاستمعي ... لما تقول، وخلي الصدقَ والكـذبـا
مـاذا يفيـدُكِ إضـراب يقـوم بـهِ ... شعبٌ عليه نطاقُ الـظلم قد ضـربـا
أخـوكِ مثلكِ في الإرهـابِ فـالتجئي ... لثـالثٍ مـا رأى ضغـطاً ولا رهبـا
نيفٌ وعشرون عاماً هل جنيتِ بها ... من التعلّمِ إلا الـويـل والحـربـا
قـامَتْ لآلامـكِ الـدنيـا ومـا قَعـدَتْ ... إلا لتبـريـرِ مـا قـامتْ لـه عَتَبـا
ماذا اكتسبتِ من الحربـينِ هل ذهبتْ ... تلكَ الـدماءُ عـلى أرضِ الفداءِ هبـا
يـراوغـونـكِ بـالآمـالِ لا فَـزَعـاً ... حـاشـا، ولكنهم رامـوا بهـا إربـا
ويخلقـونَ حيـاةً لـلكـفـاحِ فـإن ... فتشتِ عنها وجدتِ الموتَ والعطبا
نـلكَ الـسـيـاسـةُ لا كـانـتْ، فـقـد حَـصَـدَتْ ... حـقـولـنـا، وخـسـرنـا الـبـذرَ والـتّـعَـبـا
كـانـت دُروسـاً وضـاعـتْ، فـاذكـري عِـبَـراً ... مَـرّتْ عـلـيـكِ بـهـا، واسْـتَـعْـرضـي الـنـوبـا
إيْـهِ فـلسـطين والأيـامُ دائـرةٌ ... بـلا نـظامٍ، ولم تعـرفْ لهـا قـطبا
لا يـرجفنـكِ صهيـونٌ وعصبتـه ... فـطالما نَجَمَ الـشيـطانُ ثـم خبـا
ثبي إلى العملِ المجدي، فما ربحت ... تلك التجـارةُ لا مـالاً ولا نشبـا
غـزاكِ أفْتَـكُ جيشٍ درّبتـه يـدٌ ... شلّتْ قـديمـاً، ونفْس تنفث اللهبـا
قـد خرجتـه (أوروبـا) من معـاملهـا ... مثـقـفـاً وزن الأيـام مـرتـقـبـا
مجهّـزاً بـاحْتيـاجـاتِ الحيـاةِ فـما ... يخـاف جهـلاً ولا فقـراً ولا وصَبـا
فـهيئي قـوّةً تحكيـه واكتسحي ... جيـوشـه فنيغـدو زحفهـا هَـرَبـا

وله قصيدة نظمها في عام ١٩٤٨ م بعنوان «فلسطين» يقول فيها:

يا فلسطينُ تحييكِ دموعٌ ودماءُ،
أنتِ لحن هيام فيه الفنّ وافتن الغناءُ
يزدهي الفتح بدنياكِ ويختال الفداءُ
يا فلسْطينُ.. وهل يجدي مناديكِ النداءُ!
قُضيَ الأمرُ، وجار الحكمُ واشتطّ القضاءُ
أمناءُ الحقّ شاءوا أن تخونَ الأمناءُ،
وضحَ المحجوبُ وانجابَ عن النور الغشاءُ
وسرى (التقسيم) في العربِ كما يسري الوباءُ
واستشاطَ الحقد مجنوناً وثارَ الكبرياءُ
وأبى (الضاد) بأن ينسخه في النطقِ (زاءُ)
حطّمي القيدَ فلا ينفعُ عهدٌ ووفاءُ
واجهي الواقعَ بالواقعِ إن فاضَ الأناءُ
واحذري العدلَ فبالعدلِ تُضام الضعفاءُ
يرجعُ الحُرّ إلى السيفِ إذا خانَ الأخاءُ

الشيخ محمد حرز الدين ابن علي

ولد سنة ١٢٧٣ في النجف الأشرف وتوفي فيها سنة ١٣٦٥ .

ينتسب إلى قبيلة عربية عراقية تدعى (بنو سليم) وهو من بيت علمي أدبي أخرج جماعة من الفضلاء.

توفي والده وعمره أربع سنين فكفله أخوه الشيخ عبد الحسين فلما توفي عني به أخوه الآخر الشيخ حسن، وتابع دراسته في النجف فكان من أساتذته الشيخ ابراهيم الغراوي والشيخ محمد الايرواني والشيخ حبيب الله الجيلاني والسيد محمد الشرموطي والشيخ عبد الله المامقاني والشيخ محمد طه نجف والميرزا حسين الخليلي، وأكثر من ملازمة الشيخ محمد حسين الكاظمي، وجل دراسته عليه. كما تخرج عليه عدد من الفضلاء.

له ما يزيد على الأربعين مؤلفاً بقيت مخطوطة لم تطبع. وطبع من كتبه (معارف الرجال) في التراجم.

الشيخ محمد الخليلي ابن الشيخ صادق

ولد في النجف الأشرف سنة ١٩٠٠ م وتوفي ودفن فيها سنة ١٩٦٨ م.
من أسرة علمية نبغ فيها مراجع دينيون، كما نبغ فيها أطباء يتعاطون الطبابة على الطريقة القديمة، وكان هو نفسه طبيباً على هذه الطريقة، أديباً شاعراً مقلاً.

له من المؤلفات المطبوعة: (معجم أدباء الأطباء) جزءان. (شرح توحيد المفضل)، (طب الإمام الرضا)، (الطب في القرآن)، (المغريات العشر).

من شعره قوله متحدثاً عن فلسطين سنة ١٩٣٦ :

بالسيفِ ـ إنّ كلّ عن نيلِ المنى القلمُ ـ   يرجى النجاحُ، ولم تنفعكم الكِلَمُ
خلوا اليراعةَ للآراءِ تحفظها   في الطرسِ، ولتحتفظْ بالسؤدد الخذمُ
سيل الكوارث عنّا غيرُ منقطعٍ   إن لم يسل فوق هامات الكماة دمُ
ولا يُعالَج جرحٌ دامَ في جسدٍ   إلاّ بمشرطِ جرّاحٍ ويلتئمُ
إن السياسة للتفريقِ قد وضعتْ   لكنّها بوسامِ العدلِ تتّسمُ
فالعدلُ ظُلْمٌ، وبالتشتيتِ قد جمعتْ
أطماعها، وبكذبِ الوعدِ تحتكمُ
هذي (فلسطينُ) قد أمستْ وليسَ لها
ـ لتبلغ العدل ظلم الأبرياء ـ فَمُ
لكنها المدفعُ الهدّارُ أسمعنا   صوتَ السياسة فيها حين تنتقمُ
وذي ضحايا الأباةِ الصيدِ قد صرعت
ولَنْ تراعى لها في دارها ذِمَمُ
كَمْ حُرّةٍ هُتِكَتْ، كَمْ طفلةٍ قُتِلَتْ،
وكَمْ شبابٍ صريعٍ، جنبه الهرمُ
وارحمتاه، وهل تجدي استغاثتهمْ   بنا، وهم بحراب الجور قد عدموا
ضيموا بدارهم، فاستنهضوا شمماً   والعرب يأبى لها أن تخضع الشممُ
وحاولوا غصبَ ما قد أورثته لها   آباؤها، فاستثارت عزمها الهِمَمُ
وشاطرتهم «بنو صهيون» أرضهم   وكيف ترقى إلى أسيادها الخَدَمُ
يأبى الفتى العربيّ الحُرّ منقصةً   فكيف يرضى إذا ما حقّهُ اهتضموا
وهل تنام إذا ريع الحِمى أُسُدٌ   وفي الصدورِ شواظ العزم تضطرمُ
لله كيف ترى أوطانها علَناً   «مقسومةً وبعين الله تقتسمُ»
ثقي فلسطين أن العرب أجمعهم   إنْ تهضمي هضموا أو تسلمي سلموا
فالجسمُ إنْ سقمتْ إحدى جوارحه   نال الجميعَ كما قد ناله الألمُ

السيد محمد حسن الحكيم المشتهر بالشهرستاني

قال السيد صالح الشهرستاني :

ـ أسرة الحكيم الحائرية :

اسرة علوية عريقة ، ينتهي نسبها بالإمام الشهيد الحسين بن علي ابن أبي طالب عليهما السلام ، وقد استوطنت هذه الأسرة مدينة كربلاء منذ أواخر القرن الثاني عشر الهجري وتصاهر أفرادها بمرور الأيام مع بعض الأسر الكبيرة في مدينة الحسين عليه السلام كالأسرة الشهرستانية وغيرها .

واسرة الحكيم الحائرية هذه لا تمت بصلة بأسرة الحكيم الطباطبائية التي تسكن النجف الأشرف وسائر أرجاء العراق إذ أن أسرة الحكيم الحائرية حسينية النسب وأسرة الحكيم الطباطبائية حسنية النسب .

لقد اشتهر افراد اسرة الحكيم الحائرية الحسينية منذ أواخر القرن الثالث عشر الهجري بلقب الشهرستاني عن طريق الشقيقتين (حافظة) و (ليلوة) ابنتي أحد كبار شيوخ القبائل المقيمة في ضواحي مدينة كربلاء ، لأن الأولى السيدة (حافظة) المتوفاة في ٦ جمادى الثانية سنة ١٢٩٨هـ تزوجها كبير الأسرة الشهرستانية السيد الميرزا صالح الموسوى الشهرستاني المتوفى سنة ١٣٠٩ فولدت له السيد الميرزا محمد مهدي الموسوي الشهرستاني الثاني المتوفى سنة ١٣٣٣هـ وأخوة وأخوات له : كما أن السيدة (ليلوة) تزوجها السيد خليل بن السيد ابراهيم الحسيني الحائري الذي اشتهر بالحكيم (جد صاحب الترجمة) ، فولدت له السيد مهدي الحكيم (أبو المترجم) وبذلك أصبح السيد مهدي الحكيم الحائري هذا ابن خالة السيد الميرزا محمد مهدي الموسوي الشهرستاني الثاني . ومن هذه النسبة السببية وعلى أثر الاتصالات التي توثقت بين السيد مهدي الحكيم وابن خالته السيد الميرزا محمد مهدي الشهرستاني الثاني وللعلاقات المتينة التي وجدت بين العديليين السيد خليل الحكيم الحائري

والسيد الميرزا صالح الموسوي الشهرستاني غلبت شهرة الشهرستاني على أفراد أسرة آل الحكيم ، ثم حافظ الذرية من الأولاد والأحفاد من اسرة الحكيم الحائرية على هذه الشهرة التي زادت تأصلاً فيهم من جراء مصاهرة كثير من أفرادها ذكوراً وإناثاً بأفراد من الأسرة الشهرستانية والعكس بالعكس .

هذا ويستبان من وثيقة مؤرخة في ٢٠ شوال سنة ١٢٩٣هـ وخاصة ببعض أملاك الأسرة الشهرستانية في كربلاء جرت مصالحتها بين بعض الأخوة والأخوات من ذرية السيد الميرزا كاظم الموسوي الشهرستاني أخي السيد الميرزا صالح الموسوي الشهرستاني . يستبان من هذه الوثيقة (الموجودة في مكتبتي) أن السيد خليل الحكيم عديل السيد الميرزا صالح كان حياً في ذلك التاريخ لأن خطه وختمه مسجلان على تلك الوثيقة المدونة في كربلاء بذلك التاريخ على النحو التالي : (الأمر كما سطر وأنا من الشاهدين الأقل خليل بن ابراهيم الحسيني ـ رسم الختم خليل بن ابراهيم الحسيني) كما وأن ابنه السيد مهدي وضع شهادته جنب شهادة أبيه على هذه الوثيقة على النحو الآتي : (نعم الأمر كما سطر لدي وأنا الجاني مهدي بن خليل الحسيني ـ رسم الختم مهدي الحسيني) فيستدل من هذين التوقيعين والختمين أن لقب الحكيم وشهرة الشهرستاني غلبت على أفراد هذه الأسرة الكريمة بعد سنة ١٢٩٢هـ) .

أما المترجم ـ الطبيب السيد محمد حسن الحكيم المشتهر بالشهرستاني :

فهو حكيم بالمعنيين اللغوي والاصطلاحي ، طبيب نطاسي على أسلوب الطب القديم ، طريقة ابن سينا والرازي ، علوي خلقاً وخلقاً ، دقيق في فحوصه وعلاجاته وصفاته الطبية .

وهو السيد محمد حسن الحكيم المشتهر بالشهرستاني ابن السيد مهدي الحكيم الشهير بالشهرستاني ابن السيد خليل بن السيد ابراهيم بن محمود ابن عبد العزيز بن عمران . . . إلى أن ينتهي النسب الشريف بالإمام الحسين الشهيد عليه السلام .

ولد صاحب الترجمة في مدينة كربلاء في ليلة الجمعة الثاني من شهر صفر سنة ١٢٩٤ ودرس على أبيه الطبيب النطاسي المعروف المقدمات في علوم العربية وأصول الدين وقواعد الطب القديم وفقاً لعرف زمانه . كما أخذ يتدرب على يده أساليب العلاجات بالعقاقير الطبية والحشائش العلاجية ، بالإضافة إلى إكبابه على المطالعة فيما حوته مكتبة والده من كتب طبية خطية قديمة مستعيناً بها على دراساته الطبية وواضعاً إياها نصب عينيه في علاجاته .

تلك الكتب القيمة التي انتقلت إليه بعد وفاة شقيقه الأكبر السيد أحمد الحكيم الذي اعتنى بصاحب الترجمة بعد وفاة أبيهما سنة ١٣١٨هـ وتدريبه على استخلافه في مهنة الطب التي تلقاها هو أيضاً من والده السيد مهدي وخلف والده في وسادته الطبية وكان من أشهر أطباء كربلاء . ولم يكد يتوفى شقيق المترجم إلا وجلس السيد محمد حسن الحكيم على وسادة الطب بعد أبيه وشقيقه وأصبح من الأطباء المشار إليهم بالبنان في مدينة كربلاء وما جاورها من القرى والضياع .

وكان الإقبال عليه كبيراً خاصة من الأسر العريقة المعروفة ، لا سيما وقد اشتهر عنه سرعة تشخيص المرض وإتقان العلاج .

وفاته

لقد وافت المنية مترجمنا في ٢٤ ذي الحجة سنة ١٣٦١هـ في مسقط رأسه (كربلاء) ودفن في مقبرة أسرة الحكيم الحائرية الواقعة في الجهة الشمالية من الصحن الحسيني وقد ترك مجموعة خطية نفيسة ضخمة باللغتين العربية والفارسية على شكل مذكرات أو كشكول ضمت بين دفتيها كل شاردة ، وواردة من المسائل العلمية والنبذ الأدبية والمقطوعات الشعرية والنكت المفيدة والقواعد الطبية والتجاريب العلاجية والوصفات الصحية والحوادث التاريخية .

والده السيد مهدي الحكيم الشهير بالشهرستاني :

كان أستاذاً لكثير من الأطباء الذين زاولوا مهنة الطب بعده في مدينتي كربلاء والنجف وما جاورهما ، ذلك الطبيب الحاذق والعالم المحقق والفقيه المدقق الذي خلف كثيراً من المؤلفات والرسائل ذات الفوائد العميمة . فهو السيد مهدي الحكيم بن السيد خليل إلى آخر نسبه الطاهر . وقد ولد في كربلاء وتوفى فيها سنة ١٣١٨هـ ودفن في مقبرة أسرة الحكيم المار ذكرها .

وقد أرخ بعض معاصريه الأفاضل وفاته بجملة (قد قضى المهدي من آل النبي) .

ومن مؤلفاته التي انتقلت يداً بعد يد وخلفاً عن سلف إلى حفيده السيد محمد صدر الدين :

١ ـ كتاب (هياكل الحكمة وصور النعمة) في الطب اليوناني في مجلد ضخم يربو على (٦٠٠) صفحة ـ مخطوط .

٢ ـ كتاب (تحف السلف ومعارج الشرف) على نمط الكشكول ، مخطوط . وقد جاء في مقدمته (أما بعد فيقول الأقل الأذل المفتقر إلى الأعز الأجل مهدي المشتهر بالطبيب بن الخليل الحسيني الحائري حرسه القريب المجيب . . . الخ) .

٣ ـ كتاب (فقه الأطباء) : مخطوط . وللسيد الميرزا محمد علي المرعشي الشهرستاني الحسيني المتوفى سنة ١٣٤٤هـ تعليقات مفيدة عليه .

٤ ـ الرسالة الوبائية : مخطوط .

٥ ـ مجموعة ديوان شعره . باللغتين العربية والفارسية . مخطوط .

٦ ـ مسودات في اختباراته الطبية : مخطوط .

وقد خلف السيد مهدي أربعة أولاد أكبرهم السيد أحمد وثانيهم السيد محمد حسن (صاحب الترجمة) وثالثهم السيد محمد حسين ورابعهم السيد محمد علي .

كما ترك مكتبة غنية بأثمن الكتب الخطية وكان يضرب بها المثل لما احتوته من النسخ الخطية النفيسة ولا سيما الطبية منها ، كقانون ابن سينا وكتاب تشريح المسبحى المكتوب سنة ٧١٧هـ والأوقيانوس في الهندسة وكتاب الاقليدس وتاريخ خطه سنة ٧٥٣هـ وقد اطلعت على بعضها لدى ابنه السيد محمد حسن قبل أكثر من ٣٥ سنة وخاصة نسخة كتاب قانون ابن سينا التي اتذكر أن تاريخها يرتقى الى القرن السابع الهجري .

شيخ الطائفة ابو جعفر الطوسي محمد بن الحسن

مرت ترجمته في الصفحة ١٥٩ من المجلد التاسع ، ونزيد عليها هنا ما كتبه السيد علي خامنه إي رئيس الجمهورية الاسلامية الايرانية عن كتاب (اختيار الرجال) وكتاب (الفهرست) مقدماً لذلك بمقدمة عن علم الرجال :

علم الرجال :

موضوعه وأنواع كتبه حتى أيام الشيخ والنجاشي بإجمال .

لعله من المفيد قبل ورودنا موضوع البحث ، يعني « التعريف بالكتب الأربعة الأصلية في علم الرجال وتقييمها »[1] أن نلقي نظرة إجمالية حول الموضوع ، فنقدم نبذة تاريخية عن علم الرجال وفائدته .

تعريف بعلم الرجال :

يجدر بنا أولاً ، أن نذكّر بأن « فن الرجال » في هذا البحث ، هو علم الرجال بمعناه العام ، الذي يمكن تعريفه بأنه : « علم معرفة قبيل من الناس يشتركون في جهة خاصة ، والاطلاع على احوالهم أو انسابهم أو تأليفاتهم أو بعض خصوصياتهم الأخرى » وعليه ، فإن علم الرجال بمعناه الخاص ، من فهرست وتراجم وأنساب ومشيخة جميعاً مندرج تحت ذلك التعريف .

هذا ، لأن علم الرجال في اصطلاحه الخاص ، علم يبحث في معرفة رواة الحديث من حيث الاسم أو الأوصاف التي لها دخل في قبول اقوالهم وروايابتهم وردها . « فالفهرست » مجموعة تنتظم أسماء المؤلفين والمصنفين . « والمشيخة » عليها بيان أسانيد الحديث . و « التراجم » بصورة عامة هي شرح حال العلماء أو الرواة بدون الاشارة الى ما يؤثر في الرواية من حيث القبول والرد من الجهات .

وعلم الرجال باصطلاحه الخاص ، يقسّم حسب الدواعي المختلفة إلى أقسام ومواضيع أكثر تحديداً ، كما تختلف الكتب الخاصة بهذه الأقسام في شكلها . فبعضها كتب عامة شاملة لأسماء الرواة ، لا تتعرض لتوفر الثقة فيهم أو عدمها ، مثل ، « طبقات الرجال » المحتمل تأليفه لأحمد بن أبي عبدالله البرقي (المتوفى سنة ٣٧٤ أو ٣٨٠) ، وبعضها خاص بالممدوحين والمذمومين ، مثل ، كتاب ابن داود القمي (المتوفى سنة ٣٦٨) . والكتاب الأكثر تفصيلاً منه أيضاً لاستاذه أحمد بن محمد بن عمار الكوفي (المتوفى سنة ٣٤٦) . وبعضها يقتصر على أصحاب امام واحد ، مثل ، كتاب ابن عقدة (المتوفى سنة ٣٣٢ أو ٣٣٣) الذي الف خاصة لأصحاب الامام الصادق عليه السلام واشتمل على اسماء أربعة آلاف راو . كما أن بعضها نظر إلى جهات أخرى خاصة ، ككتاب عبد العزيز بن يحيى الجلودي (المتوفى سنة ٣٣٢) المشتمل على اسماء العدة من صحابة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله الذين رووا عن علي عليه السلام أو كتاب ابن زيدويه[2] في شرح حال « من روى من نساء آل أبي طالب » . وكتب اخرى نأتي إلى ذكر اسماء بعضها .

نبذة تاريخية عن هذا العلم وتطوره بالاجمال حتى زمان الشيخ النجاشي :

كان هذا العلم منذ القرون الأولى لظهور الإسلام محل عناية المسلمين ، ثم اتسع مجاله بالتدريج حسب تزايد الاحساس بالحاجة إليه .

فلو أننا عرّفنا علم الرجال بتلك العمومية التي سبق بيانها ، بمعنى ، اننا وسعنا اختصاصه إلى كتابة شرح الحال ، فإن سابقة هذا العلم تعود إلى النّصف الأول من القرن الاسلامي الأول . ففي حدود سنة ٤٠ الهجرية[3] . جمع عبيدالله بن أبي رافع كاتب أمير المؤمنين علي عليه السلام اسماء العدّة من اصحاب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله الذين ساهموا مع علي في حروبه وحاربوا في صفه . والظاهر أنه هو أول من كتب كتاباً في الرجال . والشيخ الطوسي ذكر هذا الكتاب في الفهرست باسم « تسمية من شهد مع امير المؤمنين علي عليه السلام ـ الجمل وصفين والنهروان من الصحابة ـ رضي الله عنهم » كما ذكر سنده أيضاً .

وفي القرن الثالث الهجري ازدهر فن الرجال على أثر شيوع كتب الحديث ورواج أصول هذا العلم ومصنفاته ، فألفت ودونت في هذا الفن كتب كثيرة نسبياً ، لا يزال بعضها موجوداً للآن ، وتعتبر من نفائس آثار الشيعة في هذا العلم . من جملتها : كتاب « طبقات الرجال » تأليف أحمد بن أبي عبدالله البرقي[4] الذي لا تزال نسخة ناقصة منه موجودة اليوم . وكتاب محمد بن أبي عبدالله بن جبلة بن حيان بن أبجر الكناني (المتوفى سنة ٢١٩)[5] الذي عدّه الشيخ الطوسي في كتاب الرجال من اصحاب الإمام الكاظم . ونسب النجاشي إليه كتباً كثيرة منها كتاب في الرجال .

ومجموعة أخرى من الكتب الرجالية في القرن الثالث عبارة عن : رجال ، حسن بن علي بن فضالة (المتوفى سنة ٢٢٤) ويقال أنه كان معروفاً في زمن النجاشي وربما كان تابعاً له[6] وكتاب رجال حسن ابن محبوب (المتوفى سنة ٢٢٤) باسم « معرفة رواة الأخبار »[7] وهو غير كتابه الآخر في « المشيخة » الذي رتبه أبو جعفر الأودي فصولاً حسب ترتيب اسماء الرجال . وهناك أيضاً كتاب رجال ابراهيم بن محمد بن سعيد الثقفي[8] (المتوفى سنة ٢٨٣) وكتاب رجال حافظ أبو محمد عبد الرحمن بن يوسف بن خراش المروزي البغدادي[9] (المتوفى سنة ٢٨٣) .

وهكذا يتبين مما قلنا أن قول « السيوطي » في كتاب « الأوائل » من أن : اول مؤلف في علم الرجال ، شعبة بن الحجاج ـ من ائمة أهل السنة وتوفي سنة

---

(١) يقال أن المنظور من « تاريخ الرجال » المذكور في بعض الكتب في عداد فروع علم الرجال ، واختصت به بعض مصنفات القدماء ككتاب العقيقي (الأب) ، هو هذه التراجم .

(٢) هذه الكنية في بعض المصادر (ابن ريدويه) بالراء المهملة ، وضبطت في البعض الآخر (ابن رويدة) ، والكنية الواردة في المتن نقلت عن الفهرست للشيخ الطوسي . وعلى كل حال فالمقصود هو علي بن محمد بن جعفر بن عنبسة الحداد العسكري .

(٣) تم تحديد هذا التاريخ اعتماداً على قول الشيخ آقابزرك الطهراني في الذريعة (ج ١/ ٨٤) الا انه بالتوجه الى أن عبيدالله كان حتى أواخر القرن الأول الهجري على قيد الحياة (الفهرست طبع النجف حاشية الصفحة ١٣٣ نقلاً عن « التقريب » لابن حجر) يصبح ذلك القول بلا دليل ، اللهم الا أن يكون تاليفه في سنوات في حدود الأربعين .

(٤) الذريعة (ج١٠/ ٩٩) والإسناد المصفى/ ٧٩ . ان ما قيل عن مؤلف هذا الكتاب هو نظر العلامة الطهراني في كتابه القيم « الذريعة » وفي رسالته « المشيخية » ايضا المعروفة « بالاسناد المصفى » وهو في هذا النظر سائر على أثر النجاشي وربما على أثر بعض من ائمة الرجال الأخرين . وفريق آخر يعزو هذا الكتاب إلى أبيه أبي عبدالله محمد بن خالد البرقي . ولكن المحقق الرجالي المعاصر محمد تقي الشوشتري صاحب كتاب « قاموس الرجال » يرد هذين القولين ، ويعتبر ان مؤلف « طبقات الرجال » بقرينة طبقة الرواية هو عبدالله بن أحمد البرقي ـ من مشايخ رواية الكليني ـ او أحمد بن عبدالله البرقي من مشايخ الصدوق الثاني . وهناك أيضاً بين هذين الاثنين احتمال كون الثاني اقرب الى الصواب . لمزيد من التفصيل ارجع الى قاموس الرجال ج ١/ ٣١ ـ ٣٢ .

(٥) فهرست النجاشي ، طبع الحروف طهران / ١٦٠ وضبط هذا التاريخ في قاموس الرجال نقلاً عن فهرست النجاشي ٢٢٩ . وبالرجوع الى نسختي النجاشي المطبوعتين والى بعض الكتب الأخرى التي نقلت عن النجاشي مثل الذريعة وتأسيس الشيعة حصل الاطمئنان إلى وقوع صاحب القاموس أو المامقاني صاحب الرجال في خطأ (لأن القاموس يكاد يكون حاشية عليه) .

(٦) الذريعة : ج١/ ٨٩ .

(٧) معالم العلماء : تأليف محمد بن علي بن شهر آشوب (المتوفى سنة ٥٨٨) طبع عباس اقبال / ٢٨ أما في فهرست الشيخ الطوسي فلم يذكر الا المشيخة فقط دون هذا الكتاب .

(٨) الذريعة : ج ١٠/رقم ١٤٧ .

(٩) الذريعة : ج ١٠/رقم ١٥٤ .

١٦٠ ـ (١)، مجاف للحقيقة عار عن التحقيق . إذ أن فن الرجال كما شاهدنا ، بدأ في القرن الأول ، وقد وضع كتاب في هذا الفن بمعرفة عبيد الله بن أبي رافع قبل شعبة بأكثر من قرن .

ونظير هذا الخطأ ان لم يكن اسوأ أن الأستاذ الفاضل الشيخ محمّد ابو زهرة المصري المعاصر في كتابه « الإمام الصادق » يزعم بغفلة ناجمة عن عدم التتبع الكافي في مصادر الشيعة ومآخذهم ، لا عن الانتماء الفرقي والعصبية ، أن فهرست الشيخ الطوسي أول كتاب رجالي عند الشيعة فأثنى على الشيخ الثناء الوافد ومجده أكبر التمجيد (٢) باعتباره فاتحاً لطريق جديد إلى افق الثقافة الشيعية بوسيلة هذا المعبر . ان هـذا الحكم دليل عـلى عدم تـدقيقه في كتـاب الفهرست بالذات ، إذ أن الشيخ نفسه أشار في مقدمة الكتاب إلى كتب أخرى في نفس المجال ألّفت بمعرفة العلماء السابقين .

وكائناً ما كان ، فإن تأليف وتدوين كتب الرجال الذي اكتسب حالة نسبية من الذيوع والانتشـار في القرن الثـالث الهجري ، قـد صار في القـرن الرابـع وبنفس النسبة أكثر شيوعاً وتنوعاً وجامعية .

والظاهرة التي يمكن استخلاصها من دراسة الكثير من كتب الرجال في هذا القرن هي أن هذه الكتب ألّفت في موضوعات أكثر محدودية وانحصاراً ، وكأنما راجت سنـة التخصص في هـذا القـرن واصبحت الفـروع التخصصيـة والموضوعات المتنوعة مورد نظر الخبراء وعلماء الفن بصورة مستقلة . مما يعتبر في حد ذاته دليلاً على اتساع دائرة هذا العلم في القرن المذكور .

فمثلاً ابو العباس أحمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن عقدة (المتوفى سنة ٣٣٢ أو ٣٣٣) (٣) كما ذكرنا ، جمع كتاباً اشتمل على رجال الإمام الصـادق عليه السلام وذكر فيه اسماء أربعة آلاف شخص تشرفوا بصحبته عليه السلام والرواية عنه . وابو الحسـين أحمد بن الحسـين بن عبدالله الغضـائري كتب كتـابين عن مؤلفي الشيعة (يعني ما نطلق عليه اصطلاحاً « فهرست ») وكتاباً آخر اشتمل على اسماء الرواة الضعفاء وغير الموثقين باسم « الضعفـاء »(٤) . والقاضي أبـو بكر بن عمر الجعـابي البغدادي (المتـوفى سنة ٣٥٥) من كـان قمة زمـانه في الحديث والرجـال(٥) الف كتاباً كبيراً بـاسم « الشيعة من أصحـاب الحديث وطبقاتهم » في طبقات رواة الشيعة ، سمعه الشيخ النجاشي ، وكتـاباً آخـر في « شرح طبقات أصحاب الحديث في بغـداد »(٦) ووضع عـدة كتب اخرى في موضوعات محدودة ترتبط برواة الحديث(٧) .

---

(١) تأسيس الشيعة لفنون الاسلام ـ تأليف السيد حسن الصدر (المتوفى سنة ١٣٥٤)/٢٣٣ . وقدسها قلم العلامة المذكور فأثبت وفاة شعبة سنة ٢٦٠ وظنه متأخراً عن ابن جبلة ، واعتبر عبدالله بن جبلة أول مؤلف في علم الرجال .

(٢) الامام الصادق : طبع مصر/٤٥٨ .

(٣) اثبت الشيخ وفاته في الفهرست سنة ٣٣٣ وذكر في كتاب الرجال انها سنة ٣٣٢ . والمحقق الشوشتري في قاموس الرجال استصوب القول الأول . القاموس ، ج ١/٣٩٧ .

(٤) اكتشف هذا الكتاب لأول مرة جمال الدين أبو الفضائل أحمد بن طاووس الحلي (المتوفى سنة ٦٧٣) وأدرجه في كتابه « حل الإشكال » وهو مجموعة شاملة لهذا الكتاب والأصول الأربعة لعلم الرجال . ثم استخرجه المولى عبد الله التستري بعد ذلك من حل الأشكـال ودونه عـلى حدة . لمـزيد من الاصلاع ارجع إلى الذريعة ج ١٠ .

(٥) قاموس الرجال ، ج٨/٣٢٣ نقلا عن انساب السمعاني .

(٦) الذريعة ، ج ١/٣٢٣ .

(٧) الفهرست ، طبع النجف/١٧٨ والقاموس ، ج ٨/٣٢٢ .

ومجموعة اخرى من الكتب الرجالية المعروفة في القرن الرابع كالآتي .

رجـال ابن داود القمي (المتـوفى سنـة ٣٦٨) في بـاب الممـدوحـين والمذمومين .

رجال محمد بن علي بن بابويه المعروف بالصدوق (المتوفى سنة ٣٨١) .

فهـرست حسن بن محمـد بن الـوليـد القمي ، استـاذ الصـدوق وقميـين آخرين .

كتاب الطبقات لابن دول (المتوفى سنة ٣٥٠) .

كتـاب رجال الكليني ، محمـد بن يعقوب مؤلف كتـاب الكـافي المعـروف (المتوفى سنة ٣٢٨ أو ٣٢٩)

رسالة معروف إلى غالب الـزّراري إلى حفيده في تـراجم آل أعين و . . . « التي حررت سنة ٣٥٦ مرة وبعد ١١ سنة يعني ٣٦٧ حررت مرة اخرى .

والأشهـر منهـا جميعـاً كتـاب « معـرفـة النـاقلين عن الأئمـة الصـادقـين عليهم السـلام » (٨) تأليف الشيـخ أبي عمرو محمـد بن عمر بن عبـد العزيـز الكشي (المتـوفى في حدود منتصف القـرن الرابـع) (٩) وتوجـد منه في الحـال الحاضر خلاصة منتخبة باسم « اختيار الرجال » والنسخة المطبوعة معروفة وفي متناول الأيدي .

وفي حدود النصف الأول من القرن الخامس الهجري يعني بعد مرور ثلاث قرون على تأليف أول كتاب رجالي ، وضعت الأصول الأربعة الرجـالية ، أي الكتب الأربعـة المشهورة مـورد استناد هـذا العلم ، التي تشكلت من تـركيب المصنفات السابقة وتصحيحها واندماجها ، فبدأ فصـل جديـد في تاريـخ هذا العلم . ولحسن الحظ بقيت هذه الكتب الأربعة مصونة طول الزمان من تطاول يد الحدثان ، وظل اصلها باقياً حتى يوم الناس هذا ، وقد تكرر طبع بعضها . وهي عبارة عن :

اختيار الرجال

الفهرست

الرجال وثلاثتهـا تأليف الشيـخ أبي جعفر محمـد بن الحسن الطوسي (المتوفى ٤٦٠) .

وكتـاب الفهرست المعـروف « برجـال النجـاشي » تـأليف أحمـد بن عـلي النجاشي (المتوفى سنة ٤٥٠)(١٠) .

---

(٨) تكلمنا عن اسم هذا الكتاب بالتفصيل في القسم الخاص بـ « اختيار الرجال »

(٩) بناء على قول السيد محمد صادق بحر العلوم في مقدمة رجال الشيخ طبع النجف/٦١ .

(١٠) هذا القول بخصوص وفاة الشيخ النجاشي معروف وقد ذكره المؤلفون المتـأخرون أيضـاً كالعـلامة المامقاني والعلامة الطهراني وغيرهما . كما وضح جماعة آخرون هذا التاريخ ذاته بعبارة « عشر سنوات قبـل الشيخ » . ولم يخطّىء هذا القـول الا المحقق الشوشتـري صاحب القـاموس ، مستـدلاً بأن النجاشي في كتابه اشار الى محمد بن الحسن بن حمزة بن أبي يعلى وقال أنه توفي في سنة ٤٦٣ . وعليه وجب أن يكـون النجاشي عـلى قيد الحيـاة في هذا التـاريخ وأنـه تـوفي بعـد ذلـك (القـامـوس ، ج١/٣٤٧) . ولكن السيد موسى الشبيري الزنجاني (ساكن قم) له في هذا الصدد رأي يستند إلى استدلال متين . وقد ردّ كلام مؤلف القاموس . والرأي المعزى إليه هكذا بالنص :
نظراً لأن النجاشي لم يثبت وفاة الشيخ الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ في كتابه ولم يذكر كتب الشيخ المعروفة كالمبسوط والتبيان ، يمكننا أن نطمئن الى أن التاريخ المذكور يعني تاريخ وفاة محمد بن الحسن بن حمزة الثابت في كتاب النجاشي : أما ان يكون خطأ وصحته ٤٣٦ ، وأما أن يكون من الخطوط الملحقة التي يحدث نظيرها في كثير من الكتب على اثر اختلاط الحاشية بالملحق ، ومن ذلك القبيل تاريخ وفاة عبد الكريم القشيري المتوفى سنة ٤٦٥ الذي ضبط في بعض نسخ تاريخ بغداد تأليف الخطيب المتوفى سنة ٤٦٣ ، والخطوط الملحقة في فهرست بن النديم المتوفى ٣٨٠ أو ٣٨٥ زائدة جداً . والظن الغالب صحة الاحتمال الثاني . وذلك يعلم بالرجوع الى « فرحة الغريّ » تأليف عبد الكريم بن طاووس .

هذه الكتب الأربعة ظلت دائماً هدى القرون العديدة التالية لتآليفها محل العناية والاستفادة والمراجعة بالنسبة لخبراء الفن . وكما سنرى بالتفصيل ان اعمالاً من قبيل الترتيب والتبويب والجمع والتفصيل قد اجريت على اساسها . ومن ثم استوجب تأليف هذه الكتب الأربعة اعتبار هذا القرن قمة القرون السابقة ونقطة أوج فعاليتها الرجالية حتى ذلك الوقت .

بداية تدوين اقسام علم الرجال كل على حدة والدافع لكل :

ان علم الرجال بمعناه العام كما سبق ان قيل يتضمن عدة أقسام ، من جملتها : الرجال بالاصطلاح الخاص (= معرفة اسماء الرواة أو الأوصاف التي تؤثر في ردّ اخبارهم وقبولها) ، الفهرست (= معرفة أسماء المؤلفين والمصنفين) ، التراجم أو تاريخ الرجال (= معرفة تاريخ وشرح حال العلماء أو الرواة لا من حيث التدخل في رد الخبر وقبوله) ، والمشيخة (= معرفة سلسلة الأسانيد الروائية) .

فلو شئنا تعيين تاريخ دقيق لبداية كل من هذه الأقسام ، لأعوزنا الاطلاع الكافي الا ان جمع اسماء عدّة من الناس تشترك في جهة واحدة كما سبق ان وضحنا قد حدث لأول مرة في القرن الاسلامي الأول بمعرفة أحد الشيعة باسم عبيدالله بن أبي رافع .

أما تدوين الكتب الرجالية بالمعنى المصطلح (يعني ما هو مرتبط بذكر أحوال رواة الحديث من حيث الصفات التي يمكن أن تؤثر في ردّ اخبارهم وقبولها) فإن الظن الغالب أنه بدأ في النصف الأول من القرن الثاني ، يعني منذ فترة رواج الحديث . وربما أمكن القول بصفة قاطعة أن الدافع الأصلي لظهور هذا الفن وتدوين المصنفات الخاصة به ، كان الاهتمام والمراقبة البالغين من الشدة حد الوسواس ، اللذين كان المحدثون وجامعوا الحديث يراعونها اثناء قيامهم بمهمة تدوين الروايات .

لقد تعددت عوامل جعل الحديث في ذلك الوقت فمنها : أولاً ، ان مقام المحدثين وحملة الحديث ووزنهم الاجتماعي أغرى بعض السطحيين طلاب الشهرة بالاندساس في كوكبة المحدثين . ثانياً ، كانت الأغراض السياسية والفرقية هي الأخرى عاملاً مهما قائماً بذاته في تلك الحالة ، مما أدى إلى نسبة أحاديث كثيرة نبتت على السن منابع الحديث إلى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله - أو في حوزة التشيع - إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام . هذا الأمر الذي ينعكس في كثير من بيانات الأئمة عليهم السلام أو الرواة ، استوجب أن يأخذ خبراء الفن في تشخيص الحديث صحيحه من سقيمه بذكر اسماء الرواة ، وتمييز الممدوح من المذموم . وهكذا ألفت الكتب في هذا الصدد .

وكذلك الحال ، فإن أيدينا خالية من الاطلاع الدقيق بالنسبة لبداية تدوين الكتب الخاصة بقسم الفهرست . إلاّ أنه منَ المسلّم أن الفهرسة كانت رسماً متداولاً منذ سنوات قبل الشيخ الطوسي والشيخ النجاشي ، شأنها شأن كتب الرجال ، هذا ما يستفاد من قول الشيخ الطوسي في مقدمة كتابه الفهرست ، إذ يقول بالنص : « فإني لما رأيت جماعة من شيوخ طائفتنا من أصحاب الحديث عملوا فهرست كتب أصحابنا وما صنفوه من التصانيف ورووه من الأصول . . . » كما أن كلام المحقق الشوشتري في مقدمات الكتاب النفيس « قاموس الرجال » يثبت أن أكثر القدماء كانت لهم فهارس[1] وإن كان محتوى

(١) القاموس ، ج١/٣٤ .

هذه الفهارس قد خضع لأسلوب الاختصار ، ومؤلفوها لم ينصوا على الكتب التي رووا عنها أو التي كانت في مكتباتهم[2] . ولقد ذكر الشيخ الطوسي في كتاب الفهرست بعضاً من هذه الفهارس ، من جملتها فهرست ابن عبدون (المتوفى سنة ٤٢٣) الذي ذكره ضمن ترجمة ابراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال[3] .

وأول من وضع كتاباً مفصلاً في مجال الفهرست أبو الحسين احمد بن حسين بن عبيد الله الغضائري المعروف بابن الغضائري معاصر الشيخ الطوسي والشيخ النجاشي وكان يتقدم الاثنين في المرتبة . وهو كما ذكر الطوسي في مقدمة الفهرست قد ألف كتابين كبيرين كاملين في هذا القسم ، احدهما يقتصر على « الأصول » والآخر يختص « بالمصنفات »[4] الا أن الذي حدث بعد موته الفجائي أن أحد أعقابه أتلف نسختي هذين الكتابين العزيزين القيمين لا غير . فلم يصل هذا الأثر العظيم إلى الأجيال التالية ولو بقي لكان بلا شك ثروة رجالية شيعية[5] .

أما معرفة الدافع الى تدوين الفهرست فيمكننا معرفته مما ذكره الشيخ النجاشي في مقدمة فهرسته المعتبر المبسوط المشهور برجال النجاشي حيث قال :

« فإني وقفت على ما ذكره السيد الشريف اطال الله بقاءه وادام توفيقه - من تعيير قوم من مخالفينا ، أنه لا سلف لكم ولا مصنَّف . وهذا قول من لا علم له بالناس ولا وقف على أخبارهم ولا عرف منازلهم وتاريخ أخبار أهل العلم ولا لقي أحداً فيعرف منه . . . » .

ويكاد الظن أن يكون يقيناً بأن نصف دوافع مؤلفي كتب الفهرست الآخرين أو قسم عظيم منها على الأقل هو نفس هذا الدافع الذي تشير إليه العبارة المذكورة ، يعني التعريف بسلف الشيعة ، وتجديد المعرفة بآثارهم القيمة في العلوم والفنون المختلفة ، والردّ على مغامز عدة من المخالفين وانتقاداتهم ممن يجهلون هذه الآثار ويقدحون في الشيعة بافتقارهم للسابقة العلمية[6] .

وفي أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث ، يطالعنا اسم « مشيخة ابن محبوب » (المتوفى سنة ٢٢٤) وهو من الكتب الرجالية المعروفة ، وقد رتبه أبو جعفر الأودي[7] فصولاً حسب اسماء الرجال . وعليه ، تصل سابقة « المشيخة » احدى اقسام علم الرجال بالمعنى العام إلى سنوات ما قبل٢٢٤ .

وفي قسم تاريخ الرجال أيضاً ، وضعت في القرنين الثالث والرابع كتب ، مثل « تاريخ الرجال » تأليف أحمد بن علي العقيقي (الأب) وغيره ، وقد ثبتت

(٢) فهرست الشيخ ، طبع النجف (سنة ١٣٨٠) /ص ٢٤ .

(٣) الفهرست/٢٨ .

(٤) يحتمل أن يكون « الأصل » كتاباً ذكرت فيه المطالب دون تبويب وترتيب ، و « التصنيف » ما ذكرت فيه المطالب مرتبة تحت عناوين خاصة . أو أن الأصل هو ما نقلت فيه الروايات بسندها ، والتصنيف ما اراد عليه الجامع من كلامه وبيانه .

(٥) الفهرست/٢٤ . يعتقد مؤلف قاموس الرجال أن هذين الكتابين لم يتلفا وانهما وصلا بعده الى النجاشي . ويقيم على هذا الادعاء دلائل من اقوال النجاشي ايضاً ، لا تنهض مطلقاً بتأييد هذا الرأي . ارجع الى القاموس ، ج ١/٢٩١ - ٢٩٢ .

(٦) ويمكن مشاهدة اشارة الى هذا الدافع الفرقي في قول ابن شهر آشوب في مقدمة كتاب « معالم العلماء » هناك عندما ينقل كلام الغزالي عن اول كتاب في الإسلام ثم يرده وينسب اول كتاب إلى علي عليه السلام ثم الى سلمان وابو ذر واصبغ و . . .

(٧) بناء على ضبط النجاشي : الأزدي .

اسماؤها في كتب الفهرست(١) .

وبناء عليه ، يمكن القول إن جميع الأقسام المختلفة لعلم الرجال (بالمعنى العام) قد ظهرت في القرون الأولى على فترات لا تكاد تطول ، ثم أخذت تتوسع بالتدريج . والفت الكتب في كل قسم من الأقسام وصنفت استجابة لمقتضيات الحاجة الماسة .

شخصية الشيخ الطوسي الرجالية :

يمكننا على ضوء ما تقدم (من نبذة تاريخية وجيزة وبيان للتطور التاريخي لعلم الرجال على مدى القرون الثلاثة الأولى) أن نقدر المكانة العظيمة والمقام الرفيع الذي بلغه في هذا العلم شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠) الفقيه المحدث الكبير . أنه هو ذلك العالم الذي استطاع بتأليف كتبه القيمة في هذا المجال ، أن يسجل غاية خالدة في تاريخ هذا العلم . وكما أنه في علم الحديث قد حاز قصب السبق بين مؤلفي « الكتب الأربعة » الآخرين ، فقد انفرد في الفقه بكتاب لم يسبق إلى اسلوبه المبتكر . لقد كان له في هذا القسم أيضاً دور فائق مشخص ، فهو جامع ثلاثة من الكتب الأربعة المعروفة عمدة اعتماد هذا الفن . وكانت كتبه من الجامعية ولياقة التنسيق ورشاقة الأسلوب وحسن السليقة والنبوغ العلمي بحيث بزّت كتب السابقين واخلفتها متروكة مهجورة .

وما زالت هذه الكتب الثلاثة التي يختص كل منها بقسم من اقسام علم الرجال المختلفة منذ زمان المؤلف حتى يوم الناس هذا . وهي فاصلة تربو على ٩ قرون - وهي مدار بحث الخبراء وتحقيقهم وتأليفهم ، وكما سوف نبين فإن الشروح والتذييلات والترتيبات قد دارت في مدار هذه الكتب .

اختيار الرجال

الفهرست

ولنتناول الآن التعريف بالكتاب الأول والثاني .

- ١ -

اختيار الرجال أو تلخيص رجال الكشّي

يعود أصل هذا الكتاب - كما سنوضح بعد - إلى الشيخ أبي عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشّي (٢) (المتوفى في أواسط القرن الرابع) . كان موسوماً بـ « معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين » وكانت قد وقعت فيه اخطاء واشتباهات وإضافات ، فاهتم الشيخ الطوسي بتلخيصه وتهذيبه ، وأطلق عليه اسم « اختيار الرجال » وبناء على رواية السيد علي بن طاووس في كتاب « فرج المهموم » من نسخة بخط المؤلف ، شرع في املائه على تلامذته يوم الثلاثاء ٢٦ صفر سنة ٤٥٦ .

١ - مشخصات الكتاب :

موضوع هذا الكتاب ، تاريخ الرجال وذكر طبقاتهم . ومبناه على ذكر الروايات الواردة في مدح الرجال والقدح فيهم ، دونما اظهار للرأي في تلك الروايات .

ففي ذيل اسم كل رجل من الرجال . يأتي بحديث أو عدة أحاديث مسندة ذكر فيها الشخص المعني بصورة من الصور . وأحياناً ما تكون هذه الأحاديث محلاً للنظر من حيث لما تتضمنه من مدح أو قدح ، أو تكون متعارضة أحدها مع الآخر . ففي هذه الحالة التي عادة ما تقتضي ترجيح أحد الحديثين ، يمسك عن الكلام مكتفياً بما تقدره الروايات ، اللهم الا في بعض الموارد ، حيث يبدي اعتقاداً بخصوص الشخص المعني أو السند أو مضمون أحد الأحاديث .

فمثلاً : في شرح حال زرارة بن أعين ، بعد أن ذكر حديثاً في مذمته هكذا سنده « محمد بن الكرماني ، عن ابي العباس المحاربي الجزري ، عن يعقوب بن يزيد عن فضالة بن أيوب . . . » يقول : « محمد بن بحر هذا غال ، وفضالة ليس من رجال يعقوب ، وهذا الحديث مزاد فيه ، مغير عن وجهه » (٣) .

والكتاب ، لا يقتصر على رجال الشيعة فحسب ولا ينحصر في الموثقين والممدوحين قط . فكما أن فيه شرح حال زرارة وجه الشيعة المشرق ، فيه ايضاً شرح حال أبي الخطاب المقلاص الغالي المعروف . الا أنه اقتصر من غير الشيعة على ذكر من رووا للشيعة واعتبروا في عداد رجال الحديث الشيعي (٤) فوجود اسم شخص في هذا الكتاب ليس دليلاً على كونه شيعياً ولا برهاناً على كونه ثقة . كما أن عدم وجود اسم شخص لا ينفي تشيعه أو يثبت ضعفه .

وفي مستهل الكتاب ، ينقل سبع روايات في مدح الرواة وحملة الحديث ، وأربع روايات تختص باصحاب علي عليه السلام ومقربيه ، ثم يأخذ في ذكر اسماء الرجال ، فيذكر اسم صاحب الترجمة في البداية ، ثم يعقب بما تقرره الروايات في حقه .

مثلاً : « زيد بن صوحان - جبريل بن أحمد ، قال حدثني موسى بن معاوية بن وهب . . . الى آخره » . فالشخص المعني في العنوان عاليه « زيد بن صوحان » ، و « جبرائيل بن أحمد » هو الراوي الأول في سلسلة الحديث الذي نقل بخصوص زيد بن صوحان . وبعد هذا الحديث يشرع في الحديث الثاني على هذا النحو : « علي بن محمد القتيبي قال . . . إلى آخره » وبهذا الترتيب ينقل جميع الروايات التي وردت في زيد بن صوحان بالتوالي .

واحياناً ، يشخص اسم الشخص المعني بكلمة « في » . مثلاً « في الحسين بن بشار - حدثني خلف بن حماد قال حدثنا . . . إلى آخره » . أي أن « حسين بن بشار » هو مورد الترجمة . وأحياناً يبدأ المطلب على هذا النحو : « ما روي في » . مثلاً : « ما روي في الحسن بن محبوب » .

والروايات التي تنقل في ذيل كل عنوان أيضاً ، تبدأ أحياناً بكلمة « حدثني » وأحياناً بجملة « وجدت بخط فلان » ، واحياناً بدونهما مقتصراً على اسم الراوي الأول .

ويبلغ مجموع من ذكر في هذا الكتاب من الرجال ٥١٥ شخصاً ، مندرجة في ستة أقسام حسب التقدم والتأخر الزمني .

أما أسماء الرجال فلا أساس في ترتيبها ، فلا هي على اساس تاريخ الوفاة

---

(١) لو أن كتاب عبيد الله بن أبي رافع - الذي مر اسمه سابقا - كان مشتملاً على شرح حال الأفراد أيضاً ، لكان أول كتاب في قسم تاريخ الرجال بطبيعة الحال . أما قرينة ان الشيخ ضبط اسم الكتاب المذكور « تسمية من شهد مع امير المؤمنين » فتوجب احتمال اقتصاره على اسماء الرجال فقط دون شرح حالهم . وفي هذه الحالة يكون خارجاً عن موضوع تاريخ الرجال .

(٢) ينسب الى « كَشّ » (بفتح الكاف وتشديد الشين) من قرى جرجان ويقول آخر ، من بلاد ما وراء النهر .

(٣) اختيار الرجال طبع بمباي/٩٩ .

(٤) قاموس الرجال ، ج١/١٦ .

ولا هي على اساس صحابة آل البيت عليهم السلام ولا هي على إساس ابجدية الأسماء ، الأمر الذي يجعل العثور على شرح حال شخص مـا أمراً صعبـاً . والنسخة المطبوعة في بومباي ، ترتب فهرست الأسماء بنفس الترتيب الكائن في الكتاب مع ذكر رقم الصفحة الخاصة ، مما يسهل أمر المراجعة الى حد ما . إلا أنه احياناً ، عندما تكون الروايات الخاصة « بشخص ما موزعـة على مـواضع مختلفـة من الكتاب ـ ومـا زال « فهرست الأعـلام » لم ينضم بعد إلى النسخـة المطبوعة ليجبر هذا النقيصة[١] ـ فإن العثور عـلى عنوان الشخص المعني ، لا يكفي للأطمئنان الى تحقق الاطلاع على جميع ما يرتبط به من الاطلاعات .

٣ ـ نسبة الكتاب الى الشيخ الطوسي :

هناك اختلاف في نسبة هذا الكتاب إلى الشيخ . وتعتقد غالبية علماء الفن أن الكتاب موضوع البحث منتخب منقح جمعه الشيخ الطوسي من كتاب رجال أبي عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي . كما أن عنوان الكتاب يؤيد هذا الرأي إلى حد ما .

والقـول الآخر أن الكتـاب المـوجـود هـو أصـل الكشي بعينـه لا منتخب الشيخ . وهذا الرأي صادر من احمد بن طاووس الحـلي (المتوفى سنـة ٦٧٣) وتلميذيه العـلامـة الحـلي (٦٤٨ ـ ٧٢٦) وابن داود الحـلي (المتـولـد سنـة ٦٤٧)[٢] . إلاّ أن عدة من الدلائل والشواهد تؤيد بشكل قاطع نسبة الكتاب الى الشيخ ، وكونه منتخباً . وإليك بعض هذه الدلائل :

علي بن طاووس (المتوفى ٦٦٤ ـ أخو أحمد بن طاووس المذكور) في كتاب « فرج المهموم » يذكر نسخة من هذا الكتاب ، كتب فيها بخط الشيخ بالذات أن : « هذه الأخبار اختصرتها من كتاب الرجال لأبي عمرو محمـد بن عمر بن عبد العزيز واخترت ما فيها »[٣] وهذه العبارة تدل صراحـة على أن الكتـاب الموجود منتخب الشيخ الطوسي لا أصل الكشي .

والشيخ في فهرسته أثبت نسبة اختيار الرجال إلى نفسه ، وعده بين آثـاره العلمية[٤] . ومنذ ما بعد الشيـخ حتى الآن ، وهذا الاسم منـطبق على هـذا الكتاب موضـوع البحث ، ولا أثر هنـاك لكتاب آخر بهذا الاسم . والشيـخ النجاشي صاحب الفهرست المعروف ، معاصر الشيخ الـطوسي كان في بعض الموارد ينقل من كتاب الكشي موضوعاً لا توجد له أي إشارة في الكتاب الموجود حالياً[٥] . وهذا دليل على أن النسخة الأصلية من كتاب الكشي ـ التي كانت في متناول اليد أيام النجاشي وكانت مورد الاستفـادة ـ غير كتـاب « الاختيار » الحـالي . وأن الكتـاب المـوجـود منتخب وملخص من كتـاب الكشي وليس أصلاً[٦] .

وأياً ما كان ، فإنـه لا مجال للشـك في أن ما هـو في اليد بعنـوان « رجال الكشي » منذ عدة قرون حتى الآن ، ليس شيئاً آخر غير منتخب الشيخ الطوسي هذا . واغلب الظن أن النسخة الأصلية من كتاب الكشي لم تقع في يد أي من علماء الفن بعد أيام الشيخ ، وانها انقرضت بالكلية . والوحيد الذي يظن أنها كانت عنده ، هـو الشهيد الأول ، لأنـه في حاشيتـه على كتـاب « الخلاصـة » للعلامة ، بعد أن نقل أحد المطالب من اختيار الرجال ، نقل نفس المطلب من كتاب الكشي بصورة أخرى[٧] وهذا يـدل على أنـه علاوة عـلى وجود اختيـار الرجال عنده أن أصل كتاب الكشي كان عنده أيضاً ، وأنه قابل احدهما بالآخر وطابق بينهما . ولكن المحقق الشوشتري المعاصر مؤلف قاموس الرجال (المتمتع بمقام رفيع في هذا الفن) يعتقد أن الشهيد قد اشتبه عليه أمر الكتاب الذي في يده ، فتوهم نسخة من اختيار الرجال على أنها أصل كتاب الكشي ، لأن نسخ اختيار الرجال تختلف الواحدة مع الأخرى في بعض الموارد . وأحسن شاهد على سهو الشهيد ، أن هـذه الجملة بعينها التي نسبهـا الشهيد إلى كتـاب الكشي ، نقلها المولى عناية الله القهاباني[٨] (مرتب اختيار الرجال) من اختيار الرجال .

ويستفـاد من بعض كلمات العـلامة في كتـاب « الخلاصة » أن النسخـة الأصلية من كتاب الكشي كانت لديه ، لأنه كان في بعض الموارد ينقل مطلباً من الكشي مع عبارة « ذكره الكشي » أو « قال الكشي » على حين أنه لا توجد اشارة للمطلب المذكور في اختيار الرجال . ولكن مع التوجه الى أن العلامة في كتاب الخلاصة ينقل عين عبارات اصحاب الأصول الرجالية لا مطالبهم فقط ، يمكننا الاطمئنان إلى أنه في الموارد المذكورة عبارة « ذكـره الكشي » أو « قال الكشي » أيضاً مأخوذة من الكتب المذكورة ، مثل كتاب النجاشي أو فهـرست الشيخ ، وليست من العلامة ، وفي هذه الحالة يكون نقلهم للمطلب من كتاب الكشي لا العلامة[٩] .

والنتيجة ، أنه منذ أيام الشيخ الطوسي والنجـاشي لم يعثر أحـد من علماء الفن على أثر لأصل كتاب الكشي أو كان لديه اطلاع عنـه . كما قيـل أن هذا الكتاب لم يكن رائجاً قبـل الشيخ . وبعـد الانتخاب منـه وتلخيصه سقط من التـداول بالكليـة ، واكتسب المنتخب اعتباراً أكـثر إلى مكانـة منتخبه فـاحتـل مكانه .

ويمكننـا من عبارة النجـاشي بخصوص الشيـخ الكشي ، إذ يقول : « لـه كتاب الرجال كثير العلم وفيه اغلاط كثيرة »[١٠] ومن تناول الشيخ الطوسي له

---

(١) ملحق بالنسخة الحديثة الجامعة التي جمعت وطبعت من اختيار الرجال ، التي جمعها وصححها ونقحها العالم المتتبع الحاج ميرزا حسن مصطفوي ، فهرست كامل مبسوط للأعلام يشتمل على جميع من ذكر من الرجال سيان من ترجم لهم ومن لم يترجم لهم ، ولا شك في أنه انتاج قيم لجهد وعناء كبير ، شكر الله سعيه . كما أن السيد موسى الزنجاني هو الآخر قد أعد فهرستا للأعلام المترجم لها ، الا أنه لم يطبع لا مع أي من الكتب الرجالية ولا على حدة ، فلم يتوفر لاستفادة المراجعين . هذا ، ويوجد مع الطبعة الجديدة الأخرى أيضاً التي انتشرت أخيراً في النجف بتصحيح وتحشية السيد أحمد الحسيني ، فهرست بالأسماء والكنى والألقاب ، وفهرست على حدة لأسماء النساء وكناهن والقابهن ، وفهرست للموضوعات المتفرقة .

(٢) قاموس الرجال ، ج ١/٣٢ .

(٣) فرج المهموم ، طبع النجف/١٣٠ .

(٤) الفهرست/١٩٠ .

(٥) لتفصيل هذه الموارد ، ارجع الى : قاموس الرجال ، ج ١/٣٣ .

(٦) يقيم مولى عناية الله القهپايي أيضاً أدلة اخرى على هذا المطلب ، وان كانت غالبا قاصرة عن افادة المدّعي . للتفصيل ارجع الى : قاموس الرجال ، ج ١/٣٤ .

(٧) على هذا النحو : انه أولاً ينقل هذه العبارة من العلامة : « روى الكشي عن جعفر بن أحمد بن ايوب عن صفوان . . . . » (ما يتعلق بخالد البجلي) ثم يقول : هذا الحديث علاوة على عدم دلالته على التوثيق والمدح ، سنده مجهول مضطرب ، لأن الشيخ في كتاب الاختيار أورد السند بهذه الصورة ولكن السند في كتاب الكشي بهذه الصورة عن جعفر بن أحمد عن جعفر بن بشير » الخ : (قاموس الرجال ، ج ١/٣٦) .

(٨) بضم الكاف ، معرب « كوهبايي » نسبة الى « كوهباية » يا « كوهبايا » من محال اصفهان . وهو من تلامذة الشيخ البهائي وله عدة تآليف في علم الرجال .

(٩) ارجع الى القاموس ، ج ١/٣٦ ـ ٣٧ .

(١٠) فهرست النجاشي ، اطبع طهران (مركز نشر الكتاب) /٢٨٨ .

بالتنقيح ، أن نستنتج أن النسخة الصحيحة المتقنة من الكتاب لم تصل حتى الى الشيخ أو النجاشي ، أو أنها في أصلها بالذات كانت كتاباً مليئاً بالخطأ . وهذا ايضاً في حد ذاته يحتسب عاملاً لاهمال الكتاب بعد اختيار الشيخ .

ويعتقد مؤلف قاموس الرجال ، أن منظور النجاشي من الجملة : « وفيه اغلاط كثيرة » أن في أصل الكتاب خطأ في المطالب ، لا أن الخطأ والتصحيف تطرق إليه فيها بعد عن طريق النساخ والكتاب . واذ ذاك يبدي المحقق المذكور رأيه بأن هذا الحكم من النجاشي بلا أساس ، وأن الأخطاء الموجودة في كتاب الكشي فاحشة حتى أنه لا يخطر على البال نسبتها إلى شخص كالكشي[1] وما أعجب هذا الرأي من المحقق !! إذ أنه مع قبول افتراض أن النسخة الأصلية من كتاب الكشي لا وجود لها ، من أين له أن يعلم أو يقدر أن اخطاء الكتاب فاحشة أو غير فاحشة ، وأن يحكم ويظهر الرأي في إمكان أو عدم إمكان نسبتها إلى الكشي ؟! وبعبارة اخرى : على أخطاء أي كتاب يدور الكلام ؟ كتاب اختيار الرجال ؟ هذا الكتاب الذي تأتّى من صافي تحقيق الشيخ الطوسي وتنقيحه ، وما كان النجاشي ليحكم عليه بطبيعة الحال ؟ أم اصل كتاب الكشي ؟ ولم يبق منه طول القرون الا اسمه ؟ وفي الحالة الثانية ، من اين تأتّى لمؤلف قاموس الرجال أن يعرف أن اخطاءه فاحشة وينزه الكشي عن ارتكابها ؟! .

وعلى أية حال ، إذا قبلنا ان اخطاء اصل كتاب الكشي ناشئة عن تصحيف النساخ ، وليست معلولاً لخطأ المؤلف ، فلا مندوحة قد وجب البحث عن علة تحريضه في عدم اعتناء معاصريه بكتابه . لقد كان هو واستاذه العياشي ينقلان عن الرواة ضعيفي الحال ، وهذا يحتسب طعناً كبيراً في عرف القدماء ، نفس الأمر الذي أدّى إلى ترك كتابه وهجره حال حياته وبعدها ، مما ترتب عليه تحالف التحريف والتبديل على نسخه .

والعجب أن كتاب « اختيار الرجال » ايضاً وهو المنتخب المنقح من ذلك الكتاب ، ولا شك في أنه اصلاً بريء من كثير من اشتباهات كتاب الكشي واغلاطه ، هو الآن مصاب بتحريفات وتصحيفات واشتباهات كثيرة .

وعلى حد قول العلامة الكلباسي مؤلف « سماء المقال » [2] فإن هناك قرائن تشير إلى تعرض هذا الكتاب لتطاول يد الحدثان واسقطت وحذفت منه مطالب بمرور الزمان . كما أن المحدث النوري في خاتمة كتاب « مستدرك الوسائل » يذكر موارد نقل فيها مؤلفو الكتب الرجالية مطلباً من « اختيار الرجال » وهذا المطلب لا يوجد في النسخة الموجودة من الكتاب .

علاوة على كل هذا ـ كما اشرنا ـ فإنه تشاهد في النسخة الموجودة اخطاء وتصحيفات أشار الرجاليون المتأخرون إلى بعضها . ويعتقد المحقق الشوشتري أن اخطاء هذا الكتاب تفوق الحصر ، وأن الموارد الصحيحة المصونة منه تعد على الأصابع . ومن الأخطاء التي يشير إليها المحقق ، أنه في كثير من العناوين تختلط الأحاديث المتعلقة بشرح حال شخص ، بالأحاديث المتعلقة بشرح حال شخص آخر ، أو بأحاديث سمّيه من طبقة اخرى . مثلاً الأحاديث الخاصة بـ « أبي بصير ليث المرادي » اختلطت بالروايات الخاصة بـ « أبي بصير يحيى

(١) قاموس الرجال ، ج٨/٣٢١ .

(٢) صفحة ٣٢ .

الأسدي » . كما عرّف « الحميري » وهو من اصحاب العسكري عليه السلام في عداد اصحاب الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام . ومنها أيضاً أن أول رواية في حالات « عبدالله بن عباس » ذكرت خلال الأحاديث الخاصة بـ « خزيمة » الذي عنون قبل عبدالله . وأنه قد ذكرت في ذيل اسم « محمد بن زينب » المكنى بـ « أبي الخطاب » ثلاث وعشرون رواية لا ترتبط به من أي وجه[3] .

وواضح جداً ، أن هذا القبيل من الأخطاء ليس مما يشتبه على شخص كالكشي أو كالشيخ الطوسي أو أنها تصدر عنه . ولا يرقى الظن بنسبتها إلّا إلى المستنسخين والكتاب . . كما يبعد عن التصديق أن بعضاً من الأخطاء الأخرى الموجودة في هذا الكتاب من قبيل الاشتباه في تاريخ وفاة حماد بن عيسى ، وتعيين سني حياة معاوية بن عمار ، وتحريف جبرئيل بن أحمد الفاريابي إلى جبرئيل بن محمد الفاريابي الموجود في أول الكتاب ، وأمثالها مما أشار إليه العلامة الكلباسي في سماء المقال : تنسب إلى الشيخ الطوسي .

وبناء على ما قلناه ، يمكن الحكم بأن رأي « مولى عناية الله القهپاني » في اعتبار هذه الأخطاء من الشيخ ، واعتقاده أن اصل كتاب الكشي كان مبرأ وخالياً منها ، خلاف التحقيق تماماً وادعاء بلا دليل .

٣ ـ اسم اصل كتاب الكشي :

لم يذكر اسم كتاب الكشي في ذيل حالاته بأغلب كتب القدامى مثل فهرست الشيخ وفهرست النجاشي ، واقتصرت على أصل وجوده .

فالشيخ الطوسي في « الفهرست » تحت عنوان « أبو عمرو الكشي » يقول : « ثقة بصير بالأخبار وبالرجال ، حسن الاعتقاد ، له كتاب الرجال . . . »[4] وعبارة النجاشي في هذا الصدد ايضاً لا تزيد الأمر ايضاحاً : « كان ثقة عيناً ، وروى عن الضعفاء كثيراً وصحب العيّاشي وأخذ عنه وتخرج عليه في داره التي كانت مرتعاً للشيعة وأهل العلم ، له كتاب الرجال »[5] .

وعلى قدر اطلاعنا ، فإن أول من ذكر اسماً لكتاب الكشي هو ابن شهرآشوب (المتوفى سنة ٥٨٨) صاحب كتاب « معالم العلماء » . ففي هذا الكتاب الذي يعتبر ذيلاً وتتمة لفهرست الشيخ ، ذكر كتاب الكشي باسم « معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين »[6] وبقرينة التقارب بينه وبين الكشي والشيخ ، لا يبقى مجال للشك في أن قوله مستند إلى قرائن قطعية ، وان اسم كتاب الكشي هو هذا الذي ذكره .

والشيخ الطوسي في الفهرست في ذيل عنوان « أحمد بن داود بن سعيد » بعد أن نسب إليه كتباً متعددة ، يقول : ذكره الكشي في كتابه في معرفة الرجال »[7] . واستند مؤلف سماء المقال إلى هذا العبارة ، وظن أن اسم كتاب الكشي « معرفة الرجال » ونسب هذا الظن إلى الشيخ أيضاً ، على حين أن هذه العبارة تقتصر على بيان أن كتاب الكشي كتب في معرفة الرجال ، وليس فيها أي ذكر لاسمه . ويحتمل أن تكون هذه العبارة في النسخة التي لدى الكلباسي على هذا النحو : « ذكره الكشي في كتابه معرفة الرجال » (بحذف كلمة في) ومن

(٣) لمزيد من التفصيل ارجع الى قاموس الرجال ، ج١/٤٣ ـ ٤٤ .

(٤) الفهرست/١٦٧ .

(٥) رجال النجاشي/٢٧٧ .

(٦) معالم العلماء/٩١ والعبارة هكذا : « وله معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين » .

(٧) الفهرست/٥٩ .

ثم وقع صاحبنا في مثل هذا الزعم .

وفي النسخة المطبوعة من كتاب « اختيار الرجال » (طبع بمباي سنة ١٣١٧) أيضاً في آخر الجزء الخامس ، ورد ذكر كتاب الكشي على هذا النحو : « قد تم الجزء الخامس من كتاب ابي عمرو الكشي في معرفة الرجال . . . » والملاحظ في هذه العبارة أيضاً خلوها من أي تصريح بأن اسم الكتاب « معرفة الرجال » .

والعلامة المجلسي[1] وكذلك من معاصرينا مؤلف قاموس الرجال [2] ، قالا أن اسم كتاب الكشي « معرفة الرجال » [3] ولكن بالنظر لما قدمناه ، فإن هذا القول يعوزه الدليل [4] ولا يجوز العدول عما ارتآه ابن شهر اشوب ، لما يتمتع به رأيه من رجحان .

ويمكننا على ضوء ما قلناه ، أن ندرك أن اسم « معرفة اخبار الرجال » أيضاً المسمى به كتاب الكشي في أول النسخة المطبوعة في بمباي وآخرها ، لا وجه له ولا دليل . فعلاوة على أن الكتاب الموجود المطبوع ، تأليف الشيخ الطوسي وموسوم بـ « اختيار الرجال » لا « معرفة اخبار الرجال » ، فإنه لا يوجد في المدارك أو المآخذ محل الاطمئنان ، أية اشارة اصلاً إلى مثل هذا الاسم لكتاب الكشي . وكأن الذي باشر الطباعة أو أحد المستنسخين استفاد من تركيب عبارتي « كتاب ابي عمرو الكشي في اخبار الرجال » و « كتاب أبي عمرو الكشي في معرفة الرجال » اللتين ذكرتا في بعض كتب الرجال اثناء ذكر كتاب الكشي وزعم أنها اسم الكتاب .

٤ ـ طريقة انتخاب الشيخ وتلخيصه :

ان الأخطاء والزوائد كما اشرنا دائماً ، هي أخطاء وزوائد كتاب الكشي ، الذي نهض الشيخ الطوسي بتهذيبه وتلخيصه حتى أخرج كتاب « اختيار الرجال » إلى الوجود . وبقي علينا أن نرى من أي قبيل هذه الأخطاء والزوائد ، وكيف تصرّف الشيخ بالنسبة لها .

يزعم البعض [5] ان كتاب الكشي مشتمل اصلاً على رجال عامة وخاصة ، وأن الشيخ اسقط العامة وخصص كتابه بالاختيار لتوجيه رجال الشيعة . الا أنه بالنظر إلى أن النسخة الموجودة من الاختيار تشتمل على اسماء جمع من رجال العامة أيضاً ، يتضح خطأ هذا الزعم . والمحقق أن كتاب الكشي أيضاً كغيره من كتب الرجال العديدة من قبيل فهرست الشيخ وفهرست النجاشي ، كتبت لترجمة الشيعة وغير الشيعة ممن رووا للشيعة وعن أئمتهم أيضاً . ومن ثم نشاهد في كتاب الاختيار اسماء اشخاص مثل محمد بن اسحق ومحمد بن المنكدر وعمرو بن خالد و . . . ، مع انهم ليسوا من الشيعة ، وذلك لأنهم رووا عن أئمة الشيعة .

واغلب الظن ، ان الشيخ في تلخيصه وانتخابه كان ينظر قبل الرجال المذكورين في الكتاب إلى الروايات التي ذكرت تحت اسمائهم . وإذا كنا على استعداد لقبول ما يفترض من حق الشيخ في اسقاط عدة من اصحاب التراجم في اصل الكشي بجهة من الجهات ، فإنه من باب أولى أن نعترف بحقه في أن يسقط أو يصحح ما يجده ـ فيما أورده الكشي من الأحاديث بمناسبة المترجم لهم ـ مخدوشاً في نظره من حيث السند أو ارتباطه بالمترجم له . وهذا يبدو اقرب وأليق بمقام الشيخ والكشي من أي احتمال آخر بالنسبة لطريقة تلخيص الشيخ واختياره أو انتخابه .

ويمكننا أن نستنتج بناء على بعض القرائن ، أن الشيخ في كتاب الاختيار ، لم يذكر جميع القضاة الواردين في أصل كتاب الكشي . فمثلاً ، في الفهرست ، بعد أن ذكر « داود بن أبي زيد النيشابوري » وصرح بأنه ثقة وصادق ، كتب : « وله كتب ذكرها الكشي وابن النديم في كتابيهما » على حين أن النسخة الحالية لاختيار الرجل خالية من اسمه . وعليه ، إذا سلمنا بأن المراد من كتاب الكشي المشار إليه في العبارة عالية ، هو كتاب « معرفة الناقلين » يعني اصل كتاب اختيار الرجال ، مع فرض أن نسخة الاختيار الحالية لم تتعرض في هذا القسم إلى التحريف والاسقاط ، فلن يبقى هناك شك في أن تصفية الشيخ شملت قسماً من الرجال الثقاة .

٥ ـ ما دار حول محور « اختيار الرجال » من تأليف :

كتاب اختيار الرجال كما قلنا في البداية ، أحد الكتب الأربعة الأصلية في علم الرجال . وكان دائماً فيما بعد الشيخ الطوسي من الأزمان معقد نظر علماء الشيعة ومورد مراجعتهم . ونتيجة لهذه العناية والاهتمام تمت على مر الزمان عدة اعمال علمية ظهرت في صورة كتب تدور على محوره . ولما كان الكتاب المذكور غير مرتب أصلاً وغير مفصل بصورة كاملة ، مما جعل الرجوع إليه والاستفادة منه امراً شاقاً . فإن أغلب هذه الأعمال حدثت على مستوى التبويب والترتيب هادفة إلى تحقيق اليسر والسهولة للمراجعين . ونحن في حدود هذا البحث نقدم ما كتب على هذا الأساس :

أ ـ ترتيب القهپائي : رتب المولى عناية الله بن شرف الدين الألفبائي النجفي (المتوفى بعد ١٠١٦ [6]) كتاب الاختيار حسب الحروف الأولى من الأسماء ، فذكر جميع من وردوا فيه سواء كانوا مستقلين أو واردين في ترجمة الآخرين على هذا الوتيرة . وأورد في كل مورد عين عبارة الكشي الخاصة بكل منهم بلا نقص ولا زيادة . وبعد أن ذكر روايات أول الكتاب أدرج أولاً الكنى المصدرة بـ (ابن) ثم الكنى المصدرة بـ (أب) واذاك شرع في الأسماء من (ابان) إلى « يونس » حسب ترتيب الحرف الأول . وتم هذا الكتاب بتاريخ سنة ١٠١١ الهجرية .

وكما ذكرنا فإن طريقة هذا الكتاب تلتزم بعين عبارة الكشي ولا تتجاوزها ، فتكرر الفاظه بلا نقص أو زيادة تحت اسم كل واحد من الرجال . ومع هذا لم يكن هناك بدّ ، مراعاة للترتيب الذي ارتآه ، من أن يغير العناوين الموجودة في

(١) أنقلا عن الكلباسي في « سماء المقال » ٤٧/١ .

(٢) ج ١٥/١

(٣) يستنبط من جملة « اختيار معرفة الرجال » التي انتخبت عنواناً لكتاب الشيخ في الطبعة الأخيرة المصححة الكاملة ، ان مصححها كان يعرف اسم اصل كتاب الكشي . فكان طبيعياً أن يطلق على كتاب الشيخ اسم « اختيار معرفة الرجال » باعتباره انتخاباً واختياراً منه . على أن في هذه التسمية مسامحتين : احداهما بالنسبة لأصل كتاب الكشي ، وهو « معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين لا « معرفة الرجال » والأخرى بالنسبة الى اختيار الشيخ المذكور في جميع المدارك المعتبرة باسم « اختيار الرجال » لا اختيار معرفة الرجال .

(٤) ابن شهر آشوب في كتابه الآخر « مناقب آل أبي طالب » يذكر كتاب الكشي باسم « معرفة الرجال » ج ١٤٧/٤ . ولكن الظاهر أن منظوره هو تلخيص الشيخ لا أصل الكتاب ، لأنه يقول : « معرفة الرجال عن الكشي عن أبي نصير » .

(٥) منهم المحدث القمي في الكنى والألقاب ، ج ١١٦/٣ طبع النجف .

(٦) التاريخ المذكور سنة فراغه من تأليف كتابه المشهور « مجمع الرجال » وليس لدينا بعد هذا التاريخ اية معلومات عن حاله ، كما أننا لم نحصل على تاريخ دقيق لوفاته .

اختيـار الـرجـال ، وفي المـوارد التي يعنـون فيهـا الكشي شخصـين أو بعض الأشخاص معاً وضع كل اسم في مكانه حسب ترتيب الحروف . كما أن نسخته تتفاوت في بعض الموارد مـع نسخة الاختيـارات المطبـوعة . من جملة ذلـك ، عنوان حسن بن سعيد الأهوازي ومحمد بن اسحق صاحب المغازي[١] .

ب ـ ترتيب السيد يوسف بن محمد الحسيني العاملي مؤلف جامع المقال :

رتب المؤلف اختيـار الـرجـال حسب طبقـات أصحـاب المعصـومـين عليهم السـلام ترتيباً نظير تـرتيب الشيخ ، بمعنى ، أنـه ابتدأ أولاً بـأصحاب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله فأصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وبعده أصحاب الإمام الحسن عليه السلام وهكـذا حتى اصحـاب الإمـام الحـادي عشر عليه السلام جميعـاً بالتتابع .

وبناء على ما قاله المحدث النوري في خاتمة « مستدرك الوسائل » فإن تاريخ اتمام هذا الكتاب هو سنة ٩٨١ [٢] .

ج ـ ترتيب الشيخ داود بن حسن بن يوسف البحراني :

هو على وجه التقريب من معاصري الشيخ الحر العاملي صاحب « وسائل الشيعة » . رتب الاختيار بالترتيب الألفبائي الكامل ، يعني ، مراعـاة حروف الكلمة كلها ، الأول والثاني والثالث و . . .[٣] نظير منهج المقال[٤] .

د ـ كتـاب « حل الأشكـال » تأليف : السيـد أحمد بن طـاووس الحلّي ، رجالي القرن السابع المعروف :

جمع المؤلف متن كتاب اختيار الرجـال الى متن الأصول الثـلاثة الأخـرى (فهرست ورجال الشيخ وفهرست النجاشي) بإضافة متن كتـاب « الضعفاء » لابن الغضائري في كتاب واطلق على هذه المجموعـة اسم « حل الأشكـال في معرفة الرجال » . وقيل أن الشهيد الثاني رحمة الله عليه ، كانت عنده النسخة الأصلية لهذا الكتاب [٥] .

وعلى الرغم من أن الكلباسي مؤلف « سماء المقال » (المتوفى سنة ١٣٥٦) قـد افـاض في تمجيـد حسن الـترتيب في هـذا الكتـاب والثنـاء عليـه نـظراً لأن أكثر أحاديث اختيار الرجال لم ترد فيه وان بعضها قـد اكتفى بالإشـارة إليه أو نقلت بالمعنى حتى لا يستغني المراجعون عن الأصل ، فإنه ينتقد الكتاب المذكور في موارد طرأ فيها الخطأ على قلم المؤلف العظيم [٦] .

وبعد ابن طاووس سار بعض تلاميذه وجماعة من المتأخرين على اثره وجمعوا الأصول الأربعة الرجالية مع بعض كتب اخرى للقدامى ، مثل : الضعفاء ، رجال البرقي ورجال العقيقي في كتاب واحد [٧] .

هـ ـ كتـاب « تحريـر طاووس » تـأليف الشيخ حسن بن الشهيـد الثاني ، صاحب المعالم (٩٥٩ ـ ١٠١١) .

استخـرج المؤلف كتاب « اختيـار الرجـال » من مجموعة حـل الأشكـال (المذكور عاليه في الفقرة د) وسماه « تحرير الطاووسي » وعليه ، فهذا الكتاب هو متن الاختيار بلا تفاوت الا في أن عناوينه نقلت على نسق حل الأشكال لا بطريقة أصل الكشي والشيخ [٨] .

وـ كتـاب « مجمع الـرجـال » تـأليف : المولى عنـايـة الله شـرف الـدين القهپايي .

علاوة على أن المؤلف رتب كتاب اختيار الرجال (المذكور في الفقرة أ) فإنه قد وفق بين عبارات الكتاب المـذكور بعينهـا وعبارات رجـال الشيخ وفهـرسته وفهرست النجاشي وضعفاء الغضايري ، ورتبها ، وأطلق على هذه المجمـوعة اسم « مجمع الرجال » .

وتاريخ الفراغ من تأليف هذا الكتاب سنـة ١٠١٦ . وتوجـد نسخة منـه بخط المؤلف في مكتبة العلامة الطهراني صاحب « الذريعة » [٩] .

٦ ـ هل حصل انتخاب آخر من رجال الكشي ؟

عرفنا أن ما هو متداول اليوم باسم رجال الكشي ، هو النخبة المنقحة التي جمعها الشيخ الطوسي رحمة الله عليه من كتاب رجال ابي عمرو الكشي ، يعني ، « معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين » والتي اسماها « اختيـار الرجـال » وأن اصل كتاب « معرفة الناقلين » لم يتيسر ليد أحد ما حتى في أيام العلامـة الحلي (٦٤٨ ـ ٧٢٦) .

ويستنبط من بعض العبـارات أن شخصاً آخـر غير الشيـخ الـطوسي قـام بانتخاب من كتاب الكشي وهيأ منتخباً منه بصورة تأليف مستقل ، وحسبنا أن نلفت النظر إلى هذه العبارة من « سماء المقال » .

« ومن العجيب ما ذكره الفـاضل العنـاية ، من أنـه يظهـر بعد التصفح والتتبع التام في الكتاب أن الأغلاط ليس فيه (منه ، ظ) ، بل إنما هي من قلم المنتخبين منه مثل الشيخ قـدس سره » ثم أضـاف مؤلف سماء المقـال : « نعم يحتمل ذلك في البعض »[١٠] .

فبهذه القرينة الموجودة في العبارة المذكورة ، لـو كان الكـلام على اختيـار الرجال ، لأمكن احتمال كلمة « المنتخبين » على أن عدة اشتركـوا مع الشيـخ الطوسي في تهيئة الكتاب المذكور ويكون المراد بها هؤلاء المنتخبـين . ولكن من حيث أن انتسـاب هذا الكتـاب للشيـخ لا يشـوبـه أي شـك ، وأن التـأليف الجماعي لم يكن معهوداً ولا متداولاً في تلك الأعصار فإن الزعم بأن اشخاصاً آخرين ايضاً تناولوا كتاب الكشي بالتلخيص والانتخاب بصورة مستقلة يجد ما يقويه في هذه العبارة المذكورة .

ـ ٢ ـ

الفهرست

هذا الكتاب من أثمن الآثار القديمـة في فن الرجـال لدى الشيعـة ، ومن الكتب العمدة بالنسبة لعلماء هذا الفن .

والفهرست كما بينا في البداية ، يطلق اصطلاحاً على الكتب التي تذكر فيها

(١) لمزيد من التفصيل وتحقيق هذه الموارد ارجع الى قاموس الرجال ، ج ١/ ٤٦ .

(٢) ثبت هذا الكتاب برقم ٢٨١ في المجلد الرابع من الذريعة .

(٣) ثبت هذا الكتاب برقم ٢٧٩ في المجلد الرابع من الذريعة .

(٤) يعرف بـ « الرجال الكبير » تأليف ميرزا محمد الاسترابادي المتوفى ١٠٢٦ أو ١٠٢٨ .

(٥) سماء المقال/ ٣٠ .

(٦) لمزيد من التفصيل ارجع الى سماء المقال/ ٣٠ ـ ٣١ .

(٧) الذريعة ، ج ١٠/ ٨١ .

(٨) من هذا الكتاب نسختان في مكتبة استان قدس في مشهد برقمي ٣٦٢٥ ٣٦٠٣ . . . ١٣ .

(٩) مقدمة رجال الشيخ ، طبع النجف/ ٨١ .

(١٠) سماء المقال/ ٢٦ .

اسماء أصحاب « الأصول » و « المصنفات »[1]، وغالباً ما كانت لـدى القدامى من علماء الرجال فهارس اكتفوا فيها بالتعريف ببعض مؤلفي الشيعة أو بالكتب الموجودة عندهم ، مثل : « فهرست الزراري » و « فهرست ابن عبدون » .

وأول من وضـع كتـابـاً مفصـلاً في هـذا القسم ، أبـو الحسين أحمد بن حسين بن عبيد الله الغضائري رجالي الشيعة المعروف ، معاصر الشيخ الطوسي والنجاشي ، الذي كتب كتابين أحدهما في الأصول والآخر في المصنفات . ومن دواعي الأسف أن الكتابين لم يصلا الى الأجيال اللاحقة كما سبق أن ذكرنا .

ويستفاد من لهجة الشيخ الطوسي في مقدمة «الفهرست»هناك حيث يتكلم عن اصرار « الشيخ الفاضل » ، ومن بيان الشيخ النجاشي معاصر الشيخ في مقدمة كتابه الـذي الفه في نفس المـوضوع أيضـاً ، أن الدافـع لهذين العـالمين الجهبذين المعاصرين ، هو بالذات خلو المجال من هذا العمل ، وافتقاد كتاب جامع مشبع في هذا القسم .

فإذا تجاوزنا « فهرست ابن‌النديم » (المتوفى سنة ٣٨٥) الذي يتفاوت إلى حد من وجهة النظر المـوضـوعية مـع الفهرست المصـطلح ، ويستوعب جميـع العلوم والفنون والمذاهب والسنن الجارية بين المسلمين وبيـان مؤلفاتهم في كـل منها ومؤلفات علماء غير المسلمين ، وكان تأليفه سنة ٣٧٨ : فإن فهرست الشيخ هو أقدم كتاب موضوعي مفصل موجود في هذا القسم وفي متناول الأيدي منذ كان .

فهـرست أبي غـالب الـزراري [2] (المتـوفى سنـة ٣٦٨) ومن الفهـارس المتقدمة على الشيخ [3] ، وهو موجود في متناول اليد ، وعبارة عن كتيبات ، بل رسالات للتعريف بعدة كتب [4] .

أما عن اسبقية تـأليف أي من الفهرستـين ، فهرست الشيـخ أم فهرست النجـاشي ، فلم يحدث تحقيق يبعث عـلى اليقين . ولا يستبعـد بالنـظر إلى أن النجاشي في فهرسته ذكر الشيخ وتأليفـاته ومنهـا الفهرست ، عـلى حين أنـه لا يوجد في فهرست الشيخ ذكر للنجاشي وتأليفاته ، ان يظن أن كتـاب النجاشي الف بعد كتاب الشيخ . الا أن ذكر كتاب الشيخ في فهرست النجاشي لا ينهض دليلاً على تقدم كتاب الشيخ . الا يمكننا أن نتصور أن النجاشي كان قد سجل اسم الشيخ وتأليفاته الأخرى في فهرستـه ، حتى إذا ما ظهـر فهرست الشيـخ أضافه النجاشي الى شرح حال الشيـخ وزاده على كتبه ، تماماً بتمام كما أضاف الشيخ نفسه كتابه « المبسوط » الذي قيل أنه آخر تأليفاته إلى شرح حالـه وزاده في عداد تأليفـاته في فهـرسته ؟ ثـانياً إذا كـان خلو فهرست الشيـخ من كتاب النجاشي موجباً لعدم وجود فهرست النجـاشي اثناء كتـابة الشيـخ لفهرستـه ، لاستوجب ذلك ـ وقد كتب فهرست النجاشي فيما بعـد ـ ان يذكـره الشيخ في فهرسته . لأن المشهور أن الشيخ الطوسي ظل على قيد الحياة ١٠ سنوات بعـد النجاشي ، ولا بد من أنه كان قد علم بوجود كتابـه . وعليه ، ينبغي البحث عن دليل لعدم ذكر كتاب النجاشي في فهرست الشيخ مع ذكر النجاشي لكتـاب الشيـخ ، في شيء آخر ، يحتمـل أن يكون اشتهـار الشيخ الـطوسي وعـظمتـه العلميـة وكتبه التي سيـطرت على المجتمـع الشيعي آنذاك في مقـابـل قلة حظ النجاشي من الشهرة ، هي التي جذبت الأنظار إليه وإلى كتبه .

ولكن مع هذا كله ، فإنه بالدراسة ومقابلة الكتابين المذكورين والعثور في فهرست النجاشي على عبارات هي بعينها عبارات فهرست الشيخ مع شيء من الاضافات ، وبملاحظة طريقة بيان النجاشي التي تعرض نظره الانتقادي بالنسبة الى مطالب فهرست الشيخ في كثير من الموارد ، لا يبقى هناك مجال للشك في أن فهرست النجاشي ألف بعد فهرست الشيخ .

خصوصيات الكتاب :

يشتمل هذا الكتـاب على اسـماء ما يقـرب من ٩٠٠ شخص وآثارهم من أصحاب الأصول والمصنفات مع سلسلة السند بينهم وبين الشيخ غالباً .

وجاءت تهيئة هذا الكتاب وتأليفه بناء على رغبة أحد معـاصري الشيخ يشير إليه في مقدمة الكتاب بقوله « الشيخ الفاضل » . ومع أنه لا توجد قرينة معتمـدة تمكننا من معـرفة هـذا الشخص ، الا أنـه يمكن من تعبيـر « الشيـخ الفاضل » وكذلك من أن رجاءه لتأليف هـذا الكتاب (وكـذلك كتـابي الشيخ الآخرين « الرجـال » و « الجمل والعقـود ») قد استجيب من قبـل الشخصية العلمية الكبيرة في زمانه ، يمكن بصورة كلية أن تطمئن إلى أن هذا الفاضل كان يتمتع بمقام علمي مرموق [5] .

ومبنى الكتاب على التعريف بأصحاب الأصول والمصنفين الشيعة ومن الفوا كتاباً للشيعة على السواء [6] . والشيخ نفسه يعد في مقدمة الكتاب بأن يردف اسم كل من المصنفين واصحاب الأصول بما يرتبط به من جرح أو تعديل وأن يشير إلى ما إذا كانت روايته مورد الاعتماد أم لا ، وإلى مذهبه واعتقاده . الا أنه حصل في الكتاب بعض التخلف عن هذه الطريقة فسكت في بعض الموارد النادرة عن توثيق المـذكورين أو تضعيفهم [7] . وامسـك في بعض الموارد عن ذكـر المذاهب في التعقيب عـلى الشيعيين غـير الإمـاميـين من قبيـل الفـطحيـة

(١) سبق ايضاح معنى « الأصول » و « المصنفات » والفرق بين هاذين الاصطلاحين في الهامش رقم ٢٣ .

(٢) فهرست ابو غالب جزء من رسالته المعروفة (نامه) الى حفيده التي ذكر فيها شرح حال آباء عائلته واعمامها وسلسلتها . وفيها احازة لرواية الكتب المذكورة في هذا الفهرست . وتوجد نسخة من هذا الكتاب بالخط النسخ الجميل لم توغل في القدم تقع في ٢٩ صفحة قطع « الجاير » تحت رقم ٧٦٦٩ بمكتبة استان قدس الرضوية هكذا أولها :

« حدثنا أبو عبدالله الحسين بن عبدالله ين ابراهيم الواسطي ، قال حدثنا ابو غالب احمد ىن محمد بن سليمان بن الحسن بن الجهم بى بكير بن أعين الشيباني ، منه الى ابن ابنه محمد بن عبدالله بن أحمد ، سلام عليك فإني أحمد الله إليك الله الذي لا إله إلا هو . . . » .

(٣) من جملة الفهارس المعروفة قبل الشيخ فهرست كتب السيد المرتضى . ويحتمل أن يكون لنفس السيد كما يحتمل أن يكون لتلميذه محمد بن محمد البصروي (المتوفى سنة ٤٤٣) ارجع الى الذريعة (ج ١٦/٣٨١ و٣٩٢) نقلاً عن العلامة الطهراني . وتوجد نسخة من هـذا الكتاب في مكتبة سپهسالار .

(٤) على أي حال ، فإن رأي المرحوم عباس اقبال الوارد في مقدمة معالم العلماء أن فهرست الشيخ أول كتاب بقي من علماء سلف الشيعة ، ناشىء عن قلة الاطلاع ، فبالاضافة الى فهرستي أبي غالب والسيد المرتضى الموجودين الآن ، فإن ابن النديم مؤلف فهرست ابن النديم هو ايضاً شيعي . ارجع الى الذريعة ، ج ١٦/ ٣٧٥ .

(٥) ينقل العلامة الطهراني في المجلد الخامس من الذريعة (ص١٤٥) عن بعض نسخ « الجمل والعقود » القديمة أن المقصود بالشيخ الفاضل هو القاضي عبد العزيز بن البرّاج قاضي طرابلس (المتوفى سنة ٤٨١) .

(٦) زعم عباس اقبال في مقدمة « معالم العلماء » أن الفهرست يختص بالمصنفين واصحاب الأصول من الشيعة ، ولكن بيان الشيخ ذاته في مقدمة الفهرست وذكر جماعة من المؤلفين من غير الشيعة بالفعل ، يجب ذلك الزعم .

(٧) لمزيد من التفصيل ارجع الى : الفهرست طبع النجف ١٣٨٠) الصفحات ٧١/٧٨/٨٨/٨٩ ـ وسماء المقال/٤١ ـ ٤٢ .

والواقفية . والتزم بذكر المذهب إذا كان صاحب الترجمة من العامة . وبناء عليه ، وجب كلما سكت عن مذهب شخص ولم يذكره ، الاطمئنان إلى أنه ليس من العامة وإن لم يثبت كونه شيعياً إمامياً ، بمعنى أنه من الممكن أن يكون متمذهباً بمذهب من سائر شعب الشيعة مثل الفطحية والواقفية وغيرهما . والخلاصة ، ان من كان على مذهب الشيعة الإمامية [1] أو غير الإمامية قد ذكر مذهبه احياناً واحياناً لم يذكر في الفهرست ، أما مذهب العامة وهو غير شيعي ، فهو دائماً مورد الذكر . وكذلك ، غالباً ما يتحاشى القدح في امامي ضعيف أو تضعيفه ، لأن موضوع الكتاب ومبناه كما قلنا تدوين اسماء من كتبوا اصولاً أو مصنفات للشيعة سواء أكان شيعياً أم غير شيعي ممدوحاً أم مذموماً . فتعيين هذه الصفات ليس مهمة هذا الكتاب .

وضع الكتاب وترتيبه :

والكتاب مرتب حسب حروف الهجاء . وفي كل حرف فتح باب لكل اسم من الأسماء المصدرة بهذا الحرف . فمثلاً ، في حرف الألف ، فتح « لابراهيم » باب و « لاسماعيل » باب و « لأحمد » باب . وبالنسبة لجميع اسماء الآحاد ، فقد فتح لكل حرف باب على حدة بعنوان « باب الواحد » . فمثلاً ، في باب الواحد من حرف الألف تأتي اسماء « اصبغ » و « ادريس » و « اصرم » وهي آحاد لا غير . وهكذا دواليك حتى آخر حروف الهجاء . وجميع الأسماء الواردة في الكتاب البالغ عددها ٩٠٠ تتدرج كلها تحت هذه الأبواب .

كيفية نسخ الكتاب :

بناء على ما قرره خبراء الفن ، فإن نسخ كتاب الفهرست مثل غالبية كتب الرجال المعتبرة القديمة من قبيل كتب الكشي والنجاشي والبرقي والغضائري ، مصاب بالتحريف والتصحيف والنقص والزيادة . ولم تصل نسخته الصحيحة إلى يد ابناء هذا الزمان . ويقول العلامة الكلباسي ، ان « أكثر نسخ الفهرست الحالية لا تخلو من التصحيف والغلط . وكما قال بعض اصحاب النظر أن أكثر النسخ المتيسرة للمراجعين في هذا الدور اصبحت محلاً لتطاول الحدثان والعوبة بيد التصحيف . وقد تصدى المحقق الشيخ سليمان البحراني [2] لشرح هذا الكتاب وترتيبه وتصحيحه ، فأصلح الأخطاء الناجمة عن قلم الكتاب في أكثر تراجمه ، ولكنه لم يطبع الا الأسماء المصدرة بالألف » [3] .

فيستنبط من هذا القول أن تصحيحات المحقق البحراني من نوع « التصحيح القياسي » وأنه اجري على اساس المقابلة مع الكتب الأخرى المعتمدة لدى الرجال ، لا « تصحيح النسخ » بمعنى الحصول على نسخ مصححة قابلة للاعتماد من كتاب الفهرست ومقابلتها الواحدة بالأخرى . والا لوجب على المحقق نفسه في هذه الحالة أن يشير الى هذا الموضوع ، ولنقله الكلباسي ايضاً . ولتحتم علاوة على هذا ان تكون مسألة اختلاف النسخ قد انحلت منذ ذاك ، وتشخصت نسخة كاملة أو صحيحة تقريباً .

وفي حدود اطلاعنا ، إن النسخة الصحيحة من الفهرست . كانت موجودة حتى زمان ابن داود الحلي (المولود سنة ٦٤٧) فقد صرح في موارد بأن نسخة الرجال وفهرست الشيخ بخط المؤلف موجودة لديه . وليس لدينا من بعد اطلاع عن النسخة المصححة . ومن حيث ان العبارات المحرفة تشاهد بصورة قطعية في النسخ الحالية ، ومن حيث ان مؤلفي الرجال المعروفين في الأدوار المتأخرة عن ابن داود مثل ميرزا محمد الاسترابادي مؤلف « الرجال الكبير » (المتوفى سنة ١٠٢٨ أو ١٠٢٦) ومير مصطفى التفرشي مؤلف « نقد الرجال » (من علماء القرن الحادي عشر) يختلفون الواحد مع الآخر فيما نقل من المطالب ، يمكننا بناء عليه الاطمئنان إلى أن أحداً منهم لم يصل إلى نسخة مصححة من هذين الكتابين وان نسخة ابن داود مفقودة الأثر .

فحيثما كانت نسخ الفهرست الموجودة لا تنطبق على ما نقله ابن داود من الكتاب المذكور ، وجب بلا تروّ تقديم نقل ابن داود واعتباره حجة ، فالاعتقاد في صحته وتطابقه مع ما كتبه الشيخ أقوى وابعث على الرضا . ولا يفوتنا ، أنه حيثما شوهد عدم التطابق بين ما نقله ابن داود وما نقله العلامة الحلي (معاصره وزميله في التتلمذ على أحمد بن طاووس) لا نستطيع بصفة دائمة أن نقدم كلام ابن داود ، لأن العلامة أيضاً كانت لديه نسخة مصححة من الرجال وفهرست الشيخ . وطبعي الا ينتفى الاشتباه بالكلية عن ابن داود في قراءة النسخة .

كيفية النسخ المطبوعة :

طبع متن الفهرست بنفس الترتيب الأصلي لأول مرة سنة ١٣٥٦ في المطبعة الحيدرية بالنجف مع مقدمة وتصحيح وهامش بمعرفة (السيد محمد صادق بحر العلوم) وتجدد طبع النسخة نفسها بنفس الخصوصيات مرة اخرى لسنة ١٣٨٠ . وتقع هذه الطبعة في ٢٥٢ صفحة من القطع « الوزيري »(*) وبها فهرست للأسماء وأرقام اسماء الرجال وهي كاملة التنقيط نسبياً والطباعة على وجه العموم ممتازة ولافتة للنظر . وقبل هذا التاريخ بسنوات يعني سنة ١٢٧١ الهجرية (=١٨٥٣ الميلادية) رتبت نسخة من الفهرست حسب الحرف الأول والثاني والثالث من الاسم واسم الأب واسم الجد وصححت وطبعت في الهند بمعرفة « أ . سبرنجر » و « مولى عبد الحق » . والعلامة الكبير الشيخ آقابزرك الطهراني (مؤلف كتاب الذريعة) رأى هذه النسخة ونقل خصوصياتها في الذريعة (ج١٦/٣٨٤) والسيد محمد صادق بحر العلوم وصفها في مقدمة رجال الطوسي (ص ٦٩) بالنقص والامتلاء بالغلط ورداءة الطباعة .

والمصحح المذكور ينقل في مقدمة كتاب الرجال عن قول العلامة الطهراني وصفاً لطبعة اخرى من الفهرست أنه قال ما خلاصته : « منذ عدة سنوات (في حدود سنة ١٣١٥) في طهران ، رأيت نسخة من الفهرست في مكتبة العالم الكبير الحاج ميرزا ابو الفضل الطهراني . وهذه النسخة طبعت في « ليدن » . وهي من حيث الاتقان وجودة الطباعة رائعة بالغة القيمة . وبعد أن تكبدنا مشقة ترجمة ما كتب باللاتينية في آخرها من شرح ، اتضح أن الناشر بذل جهوداً كبيرة في مقابلة النسخ والدقة في التصحيح . والآن ، فإن النسخة التي استنسختها بخطي في ذلك التاريخ لا تزال موجودة بنفس الخط والورق » .

ومما يبعث على العجب ، أن العلامة الطهراني مع اعجابه بهذه النسخة لم يأت لها بذكر أصلاً في الذريعة في ذيل اسم « الفهرست » واكتفى بما قرره عن طبعة الهند . ألا يرقى الظن بهذه القرينة ، وقرينة أن أحداً آخر لم ير نسخة

---

(١) قاموس الرجال ، ج١/١٨ في هذه الحالة يكون كلام العلامة الطباطبائي والسيد الداماد (نقلاً عن المامقاني في الرجال ج ١/٢٠٥) من ان مبنى الشيخ على التصريح بمذهب غير الامامي مثل الفطحية والواقفية ، لا وجه له .

(٢) توفى سنة ١١٢١ الهجرية .

(٣) اسماء المقال/٤٢

(*) لعل القطع الوزيري هو ما يقال عنه باصطلاح المطابع في مصر ٧٠×١٠٠ .

هكذا من كتاب الفهرست أو تكن لديه اشارة عنها ، إلى أن العلامة المذكور قد اشتبه عليه الأمر وظن طبعة الهند طبعة ليدن ، أو أنه أثناء كتابة الوصف (الذي ذكرنا خلاصته) يكون قد نسي خصوصياتها نظراً لطول المدة واختلط الأمر عليه ؟!

اعتبار الفهرست والانتقادات الموجهة إليه :

حتى نقدّر ما لكتب الشيخ الطوسي من اعتبار ، يجمل بنا قبل تناول الكتب بالدرس أن ننظر إلى ما يحتازه مؤلفه من اعتبار . لقد كانت عظمة مقام الشيخ العلمي ورفعة شأنه بحيث لا يطرأ على الذهن سوى التسليم بعظمة كتبه ورفعة مكانتها . إن كتبه في كل قسم كانت فتحاً لطريق جديد وابتكاراً لأسلوب وعرضاً لقدرة علمية فائقة يندر وجود سابقة لها .

فلا يخفى على أحد أن كتابيه « التهذيب » و « الاستبصار » في عداد كتب الحديث الأربعة المشهورة وكتبه الفهرست والرجال واختيار الرجال ثلاثة من الأصول الأربعة العمدة في علم الرجال . وكتبه الأخرى ، كلٌ في قسمه الخاص من تفسير وكلام وأصول وفقه ممتاز مشخص على خط من الابتكار .

وعليه ، فإن الخدش في آرائه ونظراته في فن الرجال أمر صعب وبعيد عن الاحتياط . وبالفعل كان كتاباه الفهرست والرجال فيما بعده من الأدوار مورد اهتمام وعناية العلماء الكبار المشهورين أمثال المحقق والعلامة وابن طاووس والشهيد وغيرهم . وعلى حد قول العلامة الكلباسي في سماء المقال (ص ٥٢) :

« لقد نظر إلى مشهوري العلماء والتواثيق والتضعيفات وغيرها من نظراته للرجال بعين الاعتبار والاتقان .

وعلى الرغم من هذا كله ، لا نستطيع أن نصف كل أقوال الشيخ الكبير الطوسي في الرجال بالصحة ، ونغمض العين عن وجود بعض الاشتباهات في كتبه ، وان وجب الاذعان لكون هذه الاشتباهات نادرة وتعتبر بطبيعة الحال كلا شيء بجانب نظرات شيخ الطائفة الدقيقة الصائبة .

ولقد أشار المحقق الرجالي في ايامنا هذه الشيخ محمد تقي الشوشتري في عموم كتابه التحليلي الجامع « قاموس الرجال » إلى موارد اخطاء الشيخ (قدس سره) الواقعة في كتابيه « الفهرست » و « الرجال » ومن جملة ذلك ما عرضه في الفصل العشرين من مقدمات الكتاب المذكور من نموذج لها في ترجمة « أبي غالب الزراري » .

وبناء على ما أظهره المحقق المذكور ، فإن الموجب الأصلي لاشتباهات الشيخ هو أنه نقل في موارد كثيرة عن « فهرست ابن النديم »وهو غير بالغ في دقته وليس محلاً للاعتماد . ومن ثم كلما وجد اختلاف بين نظر الشيخ والنجاشي في مورد ما ، فإن كلام النجاشي هو المقدم ، لأنه لم ينقل في كتابه كله عن الكتاب المذكور الا مرة واحدة[1]

ومع هذا ، لا نستطيع أن نحكم بصورة دائمة بتقديم كلام النجاشي على الشيخ في موارد الاختلاف بينهما ، إذ أن الحكم في غالب الموارد هو القرائن والإمارات الخارجية .

(١) القاموس ، ج ١/ ٣٧ - ٣٩ .

(وسوف نستوفي الكلام في هذا الصدد في قسم تحت عنوان المقارنة بين فهرست النجاشي والشيخ) .

ما كتب من الكتب على محور الفهرست :

ان التذييلات والترتيبات المتعددة التي كتبت على محور هذا الكتاب فيما بعد الشيخ من ادوار ، دليل بارز على اهتمام الأصحاب به . وسنذكر تحت كلٍّ ما وصلنا إليه في هذا المجال :

١ ـ معالم العلماء : تأليف رشيد الدين محمد بن علي بن شهر اشوب المازندراني (المتوفى سنة ٥٨٨) هذا الكتاب بناء على تصريح مؤلفه كتب لتتمة وتكملة « فهرست » الشيخ ـ رحمة الله عليه ـ ويشتمل علاوة على ما ورد في الفهرست من اسماء ، على اسماء جماعة من المعاصرين والمتأخرين عن الشيخ أيضاً . ومجموع من ورد ذكرهم فيه ٩٩٠ شخصاً ما عدا الشعراء . فإنهم اختصوا بفصل في الآخر لذكر اسمائهم ايضاً . وهذا الكتاب ولو أنه يشتمل على اسماء ٩٠ شخصاً و٦٠٠ كتاب علاوة على المذكورين في الفهرست ، الا أنه نظراً لحذف الأستاذ يبدو مختصراً في مجموعه بالنسبة للكتاب المذكور .

واحياناً ما يعقب اسماء الأفراد بالاشارة إلى توثيقهم أو ضعفهم وكذلك تاريخ وفاتهم . وهذا امتياز آخر لهذا الكتاب على فهرست الشيخ [illegible] وفي ترتيب الأسماء روعي الحرف الأول ، أما الحرف الثاني والثالث . . . لم تراع . وعليه فهناك ترتيب بين « أحمد » و « وبلال » ولا ترتيب بين « ابراهيم » و « احمد » .

وطبع هذا الكتاب لأول مرة سنة ١٣٥٣ في طهران بعناية المرحوم عباس اقبال الذي قام بتصحيحه ومقابلته والتقديم له . وطبع مرة اخرى سنة ١٣٨١ مع تعليق ومقدمة مفصلة للسيد صادق بحر العلوم في ١٥٣ صفحة في المطبعة الحيدرية بالنجف . وهو في متناول اليد .

٢ ـ فهرست الشيخ منتجب الدين علي بن أبي القاسم عبيدالله بن بابويه القمي (وتوفي بعد ٥٨٥) [2] .

اسم هذا الكتاب « اسماء مشايخ الشيعة ومصنفيهم » . وموضوعه ، ذكر أصحاب الأصول والمصنفين الذين جاءوا بعد الشيخ الطوسي أو عاصروه ولم ترد اسماؤهم في « الفهرست » . فهذا يتفاوت من حيث الموضوع ، لاشتماله على المعاصرين والمتأخرين عن الشيخ ، مع كتاب معاصره يعني معالم العلماء المتضمن للمتقدمين على الشيخ . وبناء على تحقيق عباس اقبال في مقدمة معالم العلماء ، فإن هاذين الكتابين مع كونهما من عالمين معاصرين وانهما صدرا في وقت واحد تقريباً ، قد كتبا دون علم لأحدهما بالآخر . وهذه الحقيقة لا تقبل الشك بالنسبة للشيخ منتجب الدين ، لأنه في مقدمة كتابه بعد أن ذكر الفهرست ، أضاف قوله : « ولم يصنف بعده شيء من ذلك . . . » وعليه ، فأما أن يكون معالم العلماء في ذلك التاريخ ما زال يؤلف بعد ، وأما أنه لم يصل

(٢) كان منتجب الدين معمرا وفي سنة ٦٠٠ هـ حصل على الإجازة العامة لرواية الحديث والدليل على ذلك ، القول الآتي : « قال ابن الفوطي في مجمع الآداب في تلخيص معجم الألقاب في كتاب الميم ص (٧٧٥) : منتجب الدين أبو الحسن علي بن عبيدالله بن الحسن بن الحسين بن الحسن بن الحسين بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي الرازي المحدث المقري ، ذكره الشيخ الحافظ صائن الدين أبو رشد محمد بن أبي القاسم بن الغزال الأصبهاني في كتاب الجمع المبارك والنفع المشارك من تصنيفه وقال : اجاز عامة سنة ستماية ، وله كتاب الأربعين عن الأربعين رواه عنه مجد الدين أبو المجد محمد بن الحسين القزويني . . . » (حواشي وتعليقات ديوان قوامي الرازي ، من جلال الدين المحدث الأرموي/ ٢٢٩) .

إلى علم الشيخ منتجب الدين .

وترتيب هذا الكتاب عين ترتيب كتاب المعالم بلا زيادة ولا نقصان وحجمه أقل منه . وقد طبع مرة واحدة فقط بقطع كبير (رحلي)(*) منضماً الى الكتاب المعروف بحار الأنوار (في أول المجلد الخامس والعشرين) طبعة حجرية . وهو في حاجة إلى التصحيح وتجديد الطبع .

٣ ـ تلخيص الفهرست ، تأليف الشيخ نجم الدين أبي القاسم جعفر بن الحسن بن يحيى المعروف بالمحقق الحلي (المتوفى سنة ٦٧٦) .

اكتفى في هذا الكتاب باسم الرجال والكتاب وبعض خصوصياتهم ، وحذفت اسماء الكتب وكذلك سند المؤلفين . وبناء على ما نقله العلامة الطهراني في الذريعة ، فإن نسخة من هذا الكتاب توجد في المكتبة الخاصة للسيد حسن الصدر .

٤ ـ ترتيب القهپايي :

المولى عناية الله القهپايي كما علمنا جامع الأصول الأربعة الرجالية في مجموعة « مجمع الرجال » وقد رتب جانباً من هذه الأصول أيضاً على حدة ، سبق أن تكلمنا عنها عند الكلام عن ترتيب اختيار الرجال . ومن بين الكتب التي رتبها « الفهرست » وقد ذكر هذا بنفسه في مقدمة مجمع الرجال(١) .

٥ ـ ترتيب البحراني :

الشيخ علي بن عبدالله الأصبعي البحراني (المتوفى سنة ١١٢٧) هو الآخر رتب الفهرست . وهذا الكتاب ثابت برقم ٢٧٧ في المجلد الرابع من الذريعة . وليس لدينا اطلاع عن خصوصياته ، وعما إذا كانت نسخة منه باقية أم لا وأين هي .

٦ ـ شرح الفهرست :

شرح الشيخ سليمان بن الشيخ عبدالله البحراني الماحوزي (١٠٧٥ ـ ١١٢١) الفهرست وصححه ورتب تراجمه واطلق عليه « معراج الكمال إلى معرفة الرجال » ولكن هذا الكتاب لم يكتمل ، ولم يكتب منه إلا حرف الألف (بناء على قول الكلباسي في سماء المقال/٤٢) أو كتب منه حتى حرف التاء (بناء على رواية السيد صادق بحر العلوم في مقدمة رجال الشيخ عن قول الشيخ يوسف البحراني في لؤلؤة البحرين) .

٧ ـ بناء على ما نقله العلامة الطهراني في الذريعة (ج٤/٦٦) فإن أحد الفضلاء رتب الفهرست بترتيب الحروف : الحرف الأول والثاني والثالث . وفرغ منه سنة ١٠٠٥ ، وهو نفس النسخة التي طبعت في كلكتا سنة ١٢٧١ الهجرية .

الشيخ محمد تقي الآملي ابن محمد

ولد في طهران سنة ١٣٠٤ وتوفي فيها سنة ١٣٩١ .

درس في طهران على والده وعلى غيره من علماء طهران . ثم سافر إلى النجف الأشرف فحضر دروس النائيني والفيروز آبادي والخونساري والعراقي والكمباني ، وبعد انهاء دراسته عاد إلى طهران فأقام فيها ما يقارب الأربعين السنة مرجعاً من مراجعها .

له من المؤلفات : شرح على منظومة السبزواري ، شرح على الاشارات لابن سينا ، حاشية على المكاسب للأنصاري ، حاشية على العروة الوثقى .

الدكتور محمد جواد باهنر

ولد سنة ١٣٥٢ في مدينة كرمان بإيران واغتيل سنة ١٤٠١ .

درس المقدمات في كرمان ثم انتقل الى مدينة (قم) حيث درس على السيد حسين البروجردي والسيد محمد حسين الطباطبائي وغيرهما ثم نال شهادة الدكتوراه من كلية الإلهيات في جامعة طهران .

اختير رئيساً للوزراء في عهد رئاسة (رجائي) للجمهورية ، ثم اغتيل معه في تفجير مكتبه . وهو من المؤسسين لحزب الجمهورية الاسلامية إلى جانب اركانه البارزين .

له من المؤلفات : معرفة الخالق ، معرفة الاسلام ، دروس من اصول الدين ، العالم في عصر البعثة .

محمد حسين آزاد

ولد في دهلي سنة ١٢٤٥ وتوفي في لاهور سنة ١٣٢٨ .

بعد الشاعرين انيس ودبير جاء عصر جديد بالعلوم والأفكار والنهضة السياسية في الهند وكان الانكليز قد سيطروا على البلاد فواجه الشعر والنثر حالات طارئة حديثة ، كان لا بد فيها من شيء جديد . هنا يبرز رجل عظيم وكاتب مبدع ومصنف خالد ، يدعو للتجديد ، هو محمد حسين آزاد .

استقبل آزاد عهداً جديداً فكتب مقطوعات من الشعر الجديد ودعا إليها فاستجاب له المستجيبون واتبعوه ، وكان أولهم (حالي) غير الشيعي .

كان آزاد حامل لواء الأدب الجديد والشعر الحديث في الهند . وقد جمع شعره في ديوان سمي (نظم آزاد) وهو مطبوع

(راجع ترجمة انيس وراجع ترجمة دبير في محليهما من هذا الكتاب) .

السيد محمد حسين الطباطبائي

مرت ترجمته بقلمه في الجزء التاسع الصفحة ٢٥٤ ونزيد عليها هنا بعض ما جاء في كتابه (الشيعة والإسلام) المترجم عن الفارسية ولم يذكر اسم المترجم :

ذاعت شهرته في ايران بعد أن هاجر الى قم ، فشرع بتدريس التفسير والحكمة ، وكان لمحاضراته في الحوزة العلمية اثر بليغ في طلابها ، بل شملت غيرهم من المثقفين . فكانت لقاءاته مع الأستاذ « إهنري كربن » مستمرة في كل خريف يحضرها جمع من الفضلاء وتثار فيها المسائل الدينية والفلسفية وقد اهتم بتدريس الحكمة ، فشرع بتدريس كتاب « الشفاء » و « الأسفار » كما اهتم بتدريس التفسير .

الشيخ محمد رضا الشبيبي

ولد في النجف سنة ١٣٠٦ وتوفي سنة ١٣٨٥ في بغداد ودفن في النجف .

مرت ترجمته في المجلد التاسع الصفحة ٢٨٧ ونشرنا له هناك قصيدتين لم ينشرا في ديوانه . ولما كان ديوانه مفقوداً ولم يعد طبعه بعد طبعة ١٩٤٠ آثرنا أن ننشر هنا هذه القصائد :

(*) القطع الرحلي هو ما زاد في الحجم عن ٧٠×١٠٠ .

(١) الذريعة ، ج ٦٤/٤ .

قال وقد قدم لها بما يلي :

أشهر أيام الحرب العراقية ان لم يكن أعظمها يوم الشعيبة ذلك اليوم الذي استنفر إليه أهل البلاد من حاضر وباد قلت قبيلة أو مدينة لم يشهده منها جماعة أضف إلى ذلك عظيم محنتهم وقد رابطوا عدة شهور في النخيلة صابرين على ما لا يصبر على مثله من جدب المكان وشظف العيش إلى أن منوا بذلك الخذلان العظيم ومجمله أنه في أوائل صفر سنة ١٣٣٣ ورد بغداد أميرالاي اسمه سليمان عسكري بك متقلداً قيادة الجيش العثماني العامة في العراق خلفاً لجاويد باشا ومعه فريق من الجنود التركية المدربة انحدر بها إلى القرنة وواقع الانكليز هناك في منتصف صفر المذكور فجرح جراحاً بليغة أعيد بسببها إلى بغداد وأقام في المستشفى شهرين لم ينجح فيه علاج لكنه أبى مع هذا أن يستقيل وثابر على تدبير الأمور الحربية والنظر فيها متوقعاً البرء التام ليعود إلى الميادين ولما طال ذلك عليه صمم على أن يتحامل ويقود الجيش بنفسه في وادي الشعيبة دوين البصرة فحمل في محفة من بغداد إلى الناصرية بعد أن تقدم بأن يحتشد فيها الجيش المؤلف من ثلاث كتائب (الايات) واحدة تركية واثنتان ملفقتان من العرب والعراقيين والأكراد ومعها عدة رشاشات ونحو أربعين مدفع سهل قام هذا الجيش منتصف جمادى الأولى سنة ١٣٣٣ من الناصرية إلى المعسكر العام في النخيلة مشياً على الأقدام وبعد يومين أو ثلاثة من وصوله زحف بإيعاز من القائد العام هو والعرب المجاهدون على الشعيبة وهاجموا الإنكليز وهم فيها أمنع من عقاب الجو صباح الإثنين السابع والعشرين من الشهر المذكور هجوماً شديداً دام يومين بدون طائل إلى أن ارتدوا فشلين فاغتنم الإنكليز انقطاع الطرق والمواصلات بهم وغلبة الأعياء والتعب عليهم وسوء أثر العطش والجوع فيهم فاتبعوهم وناجزوهم صباح الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ١٣٣٣ مناجزة شديدة غلب في آخرها العثمانيون غلبة تامة وفقدوا نصف ذلك الجيش بين قتيل وجريح وأسير وفقيد وانتحر سليمان عسكري بك :

نبت السري حمر أشلاء واوراد ... منثورة لك بين القصر فالوادي
دون الشعيبة أجساد موزعة ... في البيد توزيع أعضاء بأجساد
وفي النخيلة أرماس موثقة ... علائقاً بين أسياف وأغماد
للترك ثمة أوتاد وأخبية ... فيها أصيبوا وشجوا شج أوتاد
جيش أقام ثلاثاً في خنادقها ... خالي الحقائب من ماء ومن زاد
ماء الفراتين موفور وحبهما ... والجند غرثان ملتاح الحشا صادي
الغلة الغضة المجنى التي نهبت ... متروكة نهب أيدي الرائح الغادي
أقواتنا في بطون الذر أكثرها ... لا في بطون صعاليك وأجناد
صم مدافعنا ما أمطرت حمماً ... ولم تكن ذات ابراق وإرعاد
تنازل القوم فاتوا ذرع فيلقنا ... بعدة وكثرناهم بأعداد
عشرون الف عراقي ومثلهم ... حمر الحماليق من ترك وأكراد
مشمرون تجافوا عن ديارهم ... واستبدلوا الوحش من أهل وأولاد
مكابدون على حالي حفا ووجى ... في الرمل كلفة أغذاذ وإسآد
بحر من الرمل قامت عن تغطمطه ... تنزو غوارب أمواج وأزباد
يهاجمون وهم رجالة كشف ... في البر جملة أسوار وأسداد
فل العدو جناحيهم وقلبهم ... من قبل تجهيز أعوان وأمداد
ان الدماء التي حلت نحورهم ... قد أوهمتنا عقوداً فوق أجياد
تلك الجماهير لا تلوي على أحد ... مخفة بعد اثقال وأزواد
الصادرون وقد أكدت مطاعمهم ... من بعدما أوردوها شر إيراد
والراصدون من الفيحاء ثروتها ... باتت مناياهم منهم بمرصاد
وقائد حملوه في محفته ... إلى الشعيبة من زوراء بغداد
أفاتك بالعدى جيش يدبره ... معطل الجسم ملقى فوق أعواد
جرى سليمان في استعجال مصرعه ... مجرى كفاة بأمر الحرب قواد
قاد الألوف فأرداها واتبعها ... في الحال نفس أبي غير منقاد
مخاطر عاش اعماراً لأن له ... في أثر كل نجاة يوم ميلاد
وكثرة أعجبته من كتائبه ... فراح للنصر فيها أي مرتاد
كأنه والمقادير التي سبقت ... على مقر وميقات وميعاد
ظن الألوف من الأعراب تعضده ... فكان ما ظنه فتا بأعضاد
ان القصور التي جلت عمارتها ... أمست صوامع رهبان وعباد
سقياً لواديك لا من ماء غادية ... كأن أجزاءها علت بفرصاد

وقال يصف وقعة المدائن وقدم لها بما يلي :

ان هذه الوقعة من أكبر الوقائع في العراق وأشهرها تسميها العامة واقعة سلمان باك. خسر فيها الفريقان أكثر من عشرة آلاف جندي خلاصتها ان الإنكليز زحفوا في أوائل المحرم سنة ١٣٣٤ من كوت الإمارة بقيادة الفريق طاونسند قاصدين أخذ بغداد فصمد لهم العثمانيون بقيادة نور الدين باشا قائد الجيش العثماني العام وتحصنوا في أنقاض المدائن قرب مشهد سلمان الفارسي وبدأت المناوشات بين الفريقين منذ المحرم سنة ١٣٣٤. ثم شرع الإنكليز بهجومهم العنيف الشديد يوم الإثنين في ١٤ المحرم بعد تمهيد هائل بالمدفعية لم يسمع البغداديون نظيره فاستولوا أول الأمر على خنادق العثمانيين وتأخر الأتراك إلى ديالى فاشتد الأمر على الناس وكثرت الأراجيف ثم كرت الجنود التركية الجديدة التي كانت تتواصل منذ أوائل المحرم من السنة المذكورة بقيادة خليل باشا ومحمد علي بك على العدو كرة شديدة واستقتلوا وتغامسوا مع الانكليز بالحراب فكشفوهم وأورثوهم وهناً بيناً بعد أن دامت الحرب أربعة أيام بلياليها حتى اضطر الإنكليز إلى الإنسحاب فجأة ليلة ١٩ المحرم فثابرهم الأتراك إلى يوم ٢٦ منه وفيه ضرب الحصار على كوت الإمارة :

أعالم بالذي وافت مدائنه ... كسرى وإيوانه المعقود والسور
يا أعدل الناس قم للناس أوصهم ... ان الوصية شيء عنك مأثور
اسمعهم بعد أن صحت اصفحوا انتقموا وقل لهم بعد أن قلت اعدلوا جوروا
أبعد عشرين قرناً لم يزل ذلقاً ... قيل السياسة والبهتان والزور
أبا المدائن في أيامك انبعثت ... وفي مدائنك السبع الأعاصير
ما في البسيطة من أنس ومن بشر ... إلا الوحوش تعادى واليعافير
مدائن اردشير الملك خططها ... وقام في عقرها كسرى وسابور
لولا بلى طيسفون والبلى حرم ... دكت كما دك من أركانه الطور
من حاسديك على هذا البلى كرة ... لم يبق في ربعها المعمور معمور
الأرض كاسفة الأرجاء قد عبثت ... فيها الصروف ونابتها التغايير
رواية النصر صحت بعدما اشتبهت ... وحينما رجمت عنك الأخابير
لتذكري بخليل أو بفيلقه ... سعداً وفيلق سعد فيك منصور
كل همام وكل ليث ملحمة ... أزل دامية منه الأظافير
تجاه إيوان كسرى مأزق ضنك ... أودى الرجال به والخيل والعير
كادت تميز ذبأ عن حقائقها ... فيه النقوش وتستضري التصاوير

شأو تعاطت سباقاً دون غايته ... جرد البصائر والجرد المحاضير
ان كان للخيل مضمار ومضطرب ... فكم خلت ثم للرّائي المضامير
قتلى بدجلة منها دجلة امتلأت ... والنهروانان والأنقاض والدور
من لم يلذ يوم ساباط وليلته ... صوب النجاة فمقتول ومأسور
يوم أغر من الأيام منبلج ... وموقف في سبيل الله مأثور
من جالب جرح بغداد وقد علمت ... ان الرشيد بذاك الجرح موتور
للكرخ عهد من المأمون مؤتمن ... وفيه روح من المنصور منصور
ايستبيح الحمى قوم أمامهم ... ومن وراء الحمى غلب مساعير
يا من أحبوا على الدنيا شهادتهم ... تزينت لكم الولدان والحور

وقال بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى واحتلال الانكليز لبغداد والفرنسيين لدمشق :

ماذا بنا وبذي البلاد يراد ... فقدت دمشق وقبلها بغداد
من موطن الميعاد[1] قامت نزعا ... خيل لهن بجلق ميعاد
ساءت وقائعها وما سرت بها ... لا الهجرة الأولى ولا الميلاد
وردت مياه الرافدين[2] مغيرة ... شقر من القب البطون وراد
هجن طردن من الجياد كرائماً ... عربية فكأنهن جياد
بردى وأودية الفرات ودجلة ... والنيل غص بمائك الوراد
حال العلوج من الأحامر بيننا ... وتعذر الإصدار والإيراد
لا ساغ يا بردى الشراب ولا هنا ... عذب من الماء القراح براد
نبأ بأعلى قاسيون تجاوبت ... بدويه الأغوار والأنجاد
وأصاب بحر الروم حتى عبرت ... عن شجوه الأمواج والأزباد
حولان حال الشرق حالت فيهما ... لا تلكم الأحقاب والآباد
الشرق مسود الجوانب كله ... ليس العراق وما لديه سواد
أعياد هذا الشرق صرت مآتماً ... لكنها لعداتنا أعياد
الجو وهو مقطب متجهم ... يبكي لنا والأرض وهي جماد
لسنا نحد عليك يوماً واحداً ... أو ليلة كل الزمان حداد
شل العداة جموعنا فتفرقت ... في الخافقين كأنها أذواد
آحادهم فينا جموع جمة ... مرهوبة وجموعنا آحاد
في كل يوم للعدو مهابة ... فينا تقوْم وقدرة تزداد
أنا لست منتظراً تألف شملنا ... شمل العراق وساكنيه بداد

يا راكبين إلى دمشق تزودوا ... مني السلام لكل ركب زاد
الملك مضطرب النظام كأنه ... جسد دمشق الشام منه فؤاد
هل في مروج الغوطتين لأهلها ... ولرائديها مربع ومراد
وهل الربى حلل ضواف طرزت ... وطرزاها الأزهار والأوراد
وشيت من الروض الأريض مطارف ... خضر الأديم وفوفت أبراد
بين المعاطف والغصون تشابه ... في الحال كل مورق مياد
تلك القصور كأنهن قلائد ... فوق الشطوط كأنها أجياد
أو ما تزال على معاهد جلق ... ترد الضيوف وتصدر الوفاد
يحلو لها هذ القريض مهذباً ... ويروقها الإنشاء والإنشاد

غدت العواصم خطة مغزوة ... لا الخيل تعصمها ولا الأجناد
لا آل حمدان ولا أيامهم ... فيها لهاتيك الثغور سداد
المصلتون سيوفهم ليست لها ... إلا رقاب عداتهم أغماد
أخذوا المضايق والدروب تغلغلت ... فيها الجيوش وأمعن القواد
ضاقت على سعة المجال بجندهم ... شعف الجبال وغصت الأسناد
فوق الجنادل راسخات مثلها ... صم الصفاة من القلوب صلاد
سمعوا الصريخ فأنعموه اجابة ... ما ذاك إلا أنهم أنجاد
الذاهبون مضى لنا بذهابهم ... في الله جد دائم وجهاد
خننا ذمام الفاتحين وعهدهم ... ما هكذا تستنجب الأولاد
إنا بما نجني وهم فيما جنوا ... بئس البنون ونعمت الأجداد
كانت حفائظ يعرب إن صوليت ... ناراً ونار الآخرين رماد
إني يذكرني الشهامة عنتر ... فينا ووالد عنتر شداد
ويهزني عصر العراق تسوسه ... لخم وآل محرق وإياد

يا أيها الجيل الطريد كم انقضت ... فيها تحاول غارة وطراد
وعدت بغربتك الرواة وانه ... حتم عليك كما بدئت تعاد[3]
مما اضعتم من تراث بابل ... ومصانع الخلفاء والأسداد
لم تخلفوا باني السدير بما بنى ... ومشيديه بما أتوه وشادوا
لولا التفكر في مصير بلادكم ... تالله ما ضاقت علي بلاد
إني أبيت لأجلها متململاً ... قلق الوساد وما لدي وساد
أضدادكم متساندون قد اجتنوا ... ثمر الوفاق وأنتم اضداد
نبذوا لكم ثمن البلاد وفيكم ... من لا يشك بأنهم اجواد
وعدوكم الإصلاح فلتتوقعوا ... برقاً جوانب وعده إيعاد
إطلاق ايدينا على ايدي العدى ... رق وفك اسارنا استعباد

ما ولذ الأثار إلا معشر ... حركوا الطباع وجودهم إيجاد
القوم ملّح بالحديث قديمهم ... فرقوا وزين بالطريف تلاد
ألقى اعنته الهواء اليهم ... والماء صعب كليهما منقاد
هانت على السفن التي مخرت بهم ... لجج المياه كأنها أثماد
كم بين من بلغوا السماء وبيننا ... أنحن الذين خيالنا منطاد

هل في غياض الدردنيل مجاوب ... إن قلت لم لا تزأر الأساد
خرس المقاول ناطقون دهاهم ... ريب الزمان وغيب اشهاد
اسماؤكم فيما ظننا جنة ... مما نخاف وعدة وعداد
الصدرفي دار الإمارة « طلعة » ... ومماثلوه والإمام « رشاد »
أأفادكم شن الحروب تتابعت ... وأنالكم مالا ينيل حياد
رفع الخيال لكم وقرب روضة ... غناء تسقى بالمنى وتجاد
ثمن دنا منه القطاف زعمتم ... سفهاً وزرع حان منه حصاد
رفع الهلال عن السماء وقد خبا ... أو كاد ذاك الكوكب الوقاد
لله اكتاد عوات حملت ... ما ليس تحمل بعضه أكتاد
من كل قاصية لأخرى لم تحط ... تجبى الجنود وتجلبْ الأمداد
ما بين مصر والحجاز تطاحن ... ومن العراق إلى الخليج جلاد
يتزودون من التجلد كلما ... قل المتاع وخفت الأزواد

(١) أرض الميعاد فلسطين .
(٢) الرافدان دجلة والفرات .
(٣) إشارة إلى حديث بدىء الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدىء .

ويعللون جريحهم بأدائه … فرض الدفاع كأن ذاك ضماد

يا للرزية كم تفرق بيننا … وتضلنا الأضغان والأحقاد
لا تبرد الأكباد فيما بيننا … حتى تذوب وتعطب الأكباد
الآن لا الحجاج فينا قائم … لننال منه ولا الدعي زياد

حسب البغاة الظالمين تربص … بالمسلمين وحيلة وكياد
ان الزعامة سلمت لزعانف … في الشرق قادوا اهله فانقادوا
انظر الى الاعجاز كيف تصدرت … وعمائم السادات كيف تساد
شر العصور وفي العصور تفاوت … عصر به تتقدم الأوغاد
أما مخازيهم فليست تنتهي … ولو انقضت وتناهت الأعداد
ولو أن أشجار البسيط يراعة … والأرض درج والبحار مداد

قال وقدّم لها بما يلي :

السيد محمد سعيد بن السيد محمود الحسني الشهير بحبوبي النجفي الشاعر البليغ المعروف زعيم النهضة العراقية المأثورة المتوفى عشية الأربعاء ثاني شعبان سنة ١٣٣٣ في دار الجهاد بناصرية المنتفق المحمول إلى النجف المدفون في المشهد العلوي كان نهوضه من النجف بالدعوة إلى الدفاع في المحرم سنة ١٣٣٣ فأجابه خلق من أهل الفرات والغراف والمجرة سار بهم إلى الشعيبة إلى أن كان ما كان من الخذلان المعروف هناك فعاد إلى الناصرية ورابط فيها إلى أن مات :

عمَّ الثغور الموحشات ظلام … ودجت لأنك ثغرها البسّام
طوت الفيالق نكساً أعلامها … إذ ليس تخفق بعدك الأعلام
رابطت في ثغر العراق وثغرها … يحمي الحجاز بسدّه والشام
سقط الذي شيدت من أركانه … وأعيد فيه النقض لا الإبرام
رام العدو بك الوثوب فأدركوا … من غير أن يتكلفوا ما راموا

صالت على تلك المنية أختها … وسطاً على ذاك الحمام حمام
لله تسعة أشهر موصولة … طالت عليك فكل شهر عام
شهر الصيام أتى فراعك أنه … في ظل غير المسلمين يصام
شهر الإطاعة والعبادة خائف … من أن تطاع وتعبد الأصنام
فارقته لا ذلك الليل الذي … يحيا ولا تلك الصلاة تقام
لك في الدفاع موفر أجر الأولى … في الثغر صلوا خاشعين وصاموا
ما كنت تؤثر في جهادك لذة … فيسوغ شرب أو يطيب طعام
قلق وغيرك ساكن ومسهد … والمسلمون مهوّمون نيام
القوم دونك حائرون لدينهم … والناس بعدك والهون هيام
ما حبهم لك حب راج حظوة … في الحب بل هو لوعة وغرام
علم الرجال الحاملوك بأنهم … حملوا الصلاة فكبروا وأقاموا
فعليكما من ذاهبين تحية … وعليكما من غادين سلام
إذ لست وحدك في الحقيقة ذاهباً … طي الردى بل أنت والإسلام
الآن لما غيبوك تيقنوا … أن الحياة جميعها أحلام
أين البسالة والعدالة والتقى … أين الحفاظ المرّ والإقدام
أين الذي بثباته ثبت الورى … وتزلزلت من بعده الأقدام
هل كان يومك وهو بغتة باغت … طيف الكرى وطروقه إلمام
يوم يكاد الدهر ينكر عده … منه وتطلب لغوه الأيام

أأبا الفريق البائسين كفلتهم … ورعيتهم فإذا هم أيتام
أدركت أن ستدول دولة أحمد … وعلمت أن ستبدل الأحكام
وتكذب الآيات وهي حقائق … مجلوة وتصدق الأوهام
ترك الإقامة في المقام فريضة … وتطلب البيت الحرام حرام
يستعظمونك في ابتكارك نهضة … وشؤون ذاتك كلهن عظام
قدت القبائل في الإمامة فيهم … فمن الإمامة في يديك زمام
شافهتهم بالدر وهو مباسم … وأخذتهم بالسحر وهو كلام
كلمٌ بها وبمعجزات مثلها … تجلى العقول وتصقل الأفهام
أصلحت شأنهمُ وكانوا عصبة … لا الدين يحجزهم ولا الأرحام
عقدوا عليك خناصراً وتأكدوا … أن الوكيل عن الإمام إمام
وسعوا إليك فثم ودّت أنها … تسعى الرؤوس إليك لا الأقدام
وتكاثفوا يطأون عتبتك التي … عنت الوجوه لها وذلّ الهام
وبدا جبينك فيهم فتهافتوا … بشأن الفراش فهم عليك حيام
أيدٍ يؤثلن الثناء وأنعم … لك في رقاب المسلمين جسام
خلّدن ذكرك ليس تدرك ثلمة … منه السنون الغبر والأعوام

قال وقد سماها لامية العرب الجديدة :

يسائلني من لو درى لم يسائلِ … أنا الآن في شغل عن الرّد شاغلِ
ويطلب مني أن أقول ولم أشأ … ولو شئت لم أترك مقالاً لقائل
من الحق حبس الشعر إلا لغايةٍ … تُفرّق فيها بين حق وباطل
إذا أنت كابرت الحقيقة عبرت … فصاحة قس عن فهاهة باقل
كفى الشعر ذماً إن للشعر قائلاً … وما هو إلا قائل غير فاعل
ولا خير في شعر إذا لم يقم به … خمول نبيه أو نباهة خامل
إذا قلت إن الشعر بحر غبنته … متى يستقيم البحر من غير ساحل
قرائحنا منها بحور خضارم … ومنها إذا جربت رشح الجداول
واجمع أقوال الرجال أسدُّها … معان كبار في حروف قلائل
وقد يفضل البيت البليغ قصيدة … مطوّلةً لكن على غير طائل
وقد يبلغ اللفظ القصير رسالة … إذا عدّت الألفاظ روح الرسائل
بلاغة سحبان وراء لسانه … وأبلغ منه قلب سحبان وائل
وكم راجل في حلبة الشعر رامها … فأصبح فيها فارساً غير راجل
وساجله قوم إلى أن رماهم … بما كفّ من غرب الفريق المساجل
وكم شعراء في القبائل غبّروا … بما أنشأوه في وجوه القبائل
إذا نبغوا في قومهم حفلوا بهم … ولم يعهدوا من قبل عقد المحافل
نشيدك من أبيات شعر نواقص … دليل على أبيات شعر كوامل
أما رفع الطائي في الذكر نعتُنا … وتشبيهنا أشعاره بالسلاسل

من الشعر هزل مستفاد وربما … أتاك صريح الجد من هزل هازل
وتعجبنا منه حقائق جمة … على أنها منا تخاييلُ خائل
أحاول طوراً منه صعباً وطالما … أتى طائعاً حاولت أو لم أحاول
ويلذعني منه شرار قدحته … وقد أتلقى منه ريًّا الخمائل
ترى الذهن حيناً حائلاً غير لاقح … بشيء وحيناً لاقحاً غير حائل
أهيم بسر الإبتكار لأنني … - وقد طال عهدي - لا أرى غير ناقل
ويحزنني أن الأواخر قصّروا … ولم ينزعوا في الفضل نزع الأوائل

ولم يرثوا من ديدن القوم قبلهم ... سؤال مجيب أو إجابة سائل

عفت بابلٌ أمُّ العراق وجددت ... معانيك إذ أوتيتها سحر بابل
معانيك أرواح هياكلها اللغى ... وسرُّك في الأرواح لا في الهياكل
تمرُّ بك الأسراب من كل خاطر ... فتنقضُّ فيهن انقضاض الأجادل
وتنصب للَّفظ الشرود حبائلا ... فيأخذ من يصغي له بالحبائل
وتسجع ألحاناً تثير بلابلا ... وتنسي حسان الطير سجع البلابل
تسافر من معنىً بعيد لآخر ... وتطوي سهوب الفكر طي المراحل
إذا ارتفعت نفس وجلَّت تعشقت ... جلال المعاني لا جلال المنازل
أرى غربة الإنسان شتى صنوفها ... وأعظمها لقيانُ من لم يشاكل
وما كل ربع غصَّ بالناس آهلاً ... وإن كان من معروفهم غير آهل
وكم هيكل حالٍ كأن لم تُحَلِّهِ ... وكم عاطل من حلية غير عاطل
يقر لعيني أن تطالع صاحبا ... إذا طال في الأقران لم يتطاول
يعالج أضداد الطباع بمثلها ... ويلقى بمر البأس حلو الشمائل
يهون خروج المرء من كل مأزق ... إذا كان دأبُ المرء لطف المداخل

أضاع صوابي عامل غير عالم ... سيُسأل عنه عالم غير عامل
أحبُّ إلى الديَّان من علم عالم ... إذا هو لم ينفع به جهل جاهل
إذا لم يزدك العلم تقوى وعفةً ... فمن قلة التحصيل حفظ المسائل
وطعنك في إحساب قوم ذريعة ... إلى الطعن في لباتهم والشواكل
ومن يدعي أن الشكوك فضيلة ... فإني أرى الإيمان رأس الفضائل
تزول ظلال الناس عنا سريعة ... ولله ظل فوقنا غير زائل
تداولت الأيام والحقب بيننا ... لتلهمنا إكبار شأن المداول
من الجهل لا من صحة العقل أننا ... نحكم في الأقدار أوهام عاقل
أمور بإسعاف المقادير نلتها ... على حين أعيى نيلها بالوسائل

أتأمل أن ترقى إلى الحق سلَّماً ... وتقعد عجزاً تلك آمال آمل
لكل أوانٍ سنة وفريضةٌ ... وليست فروض الناس مثل النوافل
توسط تزد شأناً ففي الكف خمسة ... وأطول ما في الكف وسطى الأنامل
إذا لم تصب فيها بذلت مكانة ... فما أنت إلا مانع غير باذل
ذوو الجود من أن يعذَلوا لم يفرقوا ... أإغراء مغرٍ ثمَّ أم عذل عاذل
من الطبع والذوق السليم أدلَّةٌ ... كفت ناقد الأشياء وضع الدلائل
إذا قام حسن الشيء في حدِّ ذاته ... فإثبات ذاك الحسن تحصيل حاصل

خذ الحذر أو لا تأخذ الحذرَ إنني ... إذا جاء أمر الله بادي المقاتل
وما هالني كالموت شيء فإنني ... أرى كل شيء غيره غير هائل
لقد فشلت أوهامنا وتخاذلت ... من الموت لم يفشل ولم يتخاذل
سأقتل دهري خبرة وتجارباً ... ولا رد للموت الذي هو قاتلي
كأن البرايا في الوجود قوافل ... تسير إلى الأجداث إثر قوافل
فثمَّة ركبٌ عاجل غير آجل ... وثمة ركب آجل غير عاجل
عبورك من دار التقلب رحلة ... إلى دارك الأخرى فكن خير راحل

محمد بن محمد رضا بن اسماعيل بن جمال الدين القمي الأصل المشهدي المولد والمسكن

من تلامذة المجلسي صاحب البحار . له ١ ـ ارجوزة في المعاني والبيان في مائة بيت وشرحها سنة ١٠٧٤ وسمى الشرح انجاح المطالب في الفوز بالمآرب . ٢ ـ التحفة الحسينية في اعمال السنة والشهور والأسابيع والأيام . ٣ ـ كنز الدقائق وبحر الغرائب ، في التفسير ، يقع في أربعة مجلدات كبار ألفه بين السنين ١٠٩٤ و١١٠٣ وكتب المجلسي تقريظاً له سنة ١١٠٢ كما قرظه آغا جمال الخونساري سنة ١١٠٧ . ٤ ـ حاشية على الكشاف للزمخشري ٥ ـ حاشية على حاشية الشيخ البهائي على تفسير البيضاوي ٦ ـ رسالة في أحكام الصيد والذباحة . ومؤلفات اخرى .

ويقول السيد عبد العزيز الطباطبائي عن كتابه في التفسير : جمع بين التفسير الأدبي واللغوي وبين التفسير المأثور عن ائمة أهل البيت عليهم السلام .

ويتحدث عن المترجم قائلاً : كان من اعلام المفسرين والمحدثين في بداية القرن الثاني عشر ، وفقدنا خبره بعد فتنة الأفغان في اصفهان سنة ١١٣٥ ولعله استشهد في تلك الوقعة .

محمد شريف خان

ولد في دهلي سنة ١٢٢٢

الحكيم الطبيب الفاضل . كان أول من ترجم القرآن الكريم الى اللغة الأردوية .

الدكتور الشيخ محمد مُفتّح بن محمود

ولد سنة ١٣٤٧ في مدينة همذان واغتيل في طهران سنة ١٣٩٩ .

كانت دراسته الأولى في مسقط رأسه في المدرسة الابتدائية وعلى والده وعلى ملا علي الهمذاني ثم انتقل إلى قم وتابع دراسته في حوزتها العلمية ، ثم التحق بجامعة طهران حيث نال (الليسانس) ثم (الدكتوراه) ثم تولى تدريس الفلسفة في كلية الإلاهيات في جامعة طهران .

له من المؤلفات : شرح وتعليق على كتاب الأسفار لصدر الدين الشيرازي ، حاشية على منظومة السبزواري ، رسائل في المنطق .

ابن الأبار محمد بن عبد الله القضاعي

مرت ترجمته في الصفحة ٣٨٤ من المجلد التاسع ونزيد عليها هنا بحثاً عن كتابه (درر السمط) مكتوباً بقلم الدكتور رضوان الداية :

في الآثار الأدبية الأندلسية الباقية كتاب «لطيف الحجم، بل هو رسالة صغيرة لابن الأبّار القضاعي البلنسي الأندلسي سماه: «درر السمط في خبر السبط»[1] خصصه لفصول قصيرة متلاحقة تتابع من وراء أسلوب أدبي ممتع أطرافاً من السّيرة النبوية مما يخص النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم، وزوجه أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وابنته البتول فاطمة

---

(١) طبع الكتاب بعنوان «درر السمط في خبر السبط» وفوقه عنوان صغير تعريفي وهو: «من أدب التشيع بالأندلس». حققه أول مرة الدكتوران عبد السلام هراس وسعيد أحمد أعراب. تطوان ١٩٧٢، ولم يجاوز بمقدمته وفهارسه مائة صفحة من القطع الوسط.

الزهراء وابنيها الحسن والحسين عليهم السلام.

وانفرد المؤلف بعد فصول بحديث أحد السبطين الكريمين فوقف عند أخبار من أخبار الحسين بن علي عليهما السلام. متابعاً الوقائع إلى ما بعد نكبة كربلاء بما فيها من أحداث جسام.

والكتاب، من حيث تقويه وتبويبه كتاب نثر أدبي فني، لكنّه يتمركز حول قضية تاريخية. ومن هنا جاء الكتاب متميزاً بمزايا هذين الطرفين: طرف التاريخ من جهة وطرف التعبير الأدبي المؤثر من جهة أخرى.

ولئن لم يكن الكتاب من حيث موضوعه وفكرته بِدْعاً في الآثار الأندلسية فإنه متميز من حيث طريقة عرضه، ومستقلّ بأسلوبه وصياغته، وخاصّ من حيث الشحنة العاطفية الغامرة التي غلبت على جوانبه وفصوله.

لم يكن ابن الأبّار أول من التفت إلى المديح النبويّ، وتذكار ما أصاب الحسين بن علي عليهما السلام، فقد سبقه عدد غير قليل من الأدباء والشعراء نذكر منهم الكاتب الفقيه أبا عبد الله محمد بن مسعود بن أبي الخصال[1] الغافقي المتوفى سنة ٥٤٠ وأبا بحر صفوان بن إدريس التُّجيبي (٥٦١ـ٥٩٨) وغيرهما كثير.

ونذكر هنا أن ابن الأبّار روى كتاب (مناقب السِّبطين) لأبي عبدالله محمد التجيبي (٥٤٠ـ٦١٠) وأجيز فيه (من المؤلف) وهو ابن ثلاثة عشر عاماً.

ويتألّف الكتاب على صغر حجمه من مقدّمة، وواحد وأربعين فصْلاً.

والمقدّمة قصيرة مهمتها أن تبدأ الكلام، وأن تسوقه دون إطالة إلى الفصل الأول الذي تتلوه الفصول الأخرى، دون مشقة.

وعنوان (الفصل) الذي يحجز فقرة عن أُخرى هو في الحقيقة إشعارٌ بانتقال الكاتب عادة من جانب من جوانب الموضوع إلى طرف آخر جديد فكأنها حلقات متسلسلة متواصلة، تتنامى فيها الأحداث، ويغزر عطاء الأخبار، وعرض الأسماء، وتقويمها، حين تبلغ تلك الأحداث الذروة، ثم تكون الخاتمة سريعة، فاصلة، مؤثرة.

وكانت فصول الكتاب، من خلال عرض الكاتب البليغ قادرة على تصوير الأحداث بعنفها وانفعالها، وبنهايتها الدراميّة المأساوية. وكان تمكن الكاتب ـ في الغالب ـ من ناحية اللغة هو الوسيلة التقنيّة لحسن عرض الفكرة المختصرة من جهة ولتذويب أثر التكلف (من سجع وجناس خاصّة) من جهة أخرى.

وهذه قطعة من المقدّمة، نتعرف من خلالها على نمط من أسلوب المؤلف، وطريقته في التناول: متنبّهين إلى ما في النص من الاقتباس والتضمين والإشارة الخ، قال:

«رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت، فروع النبوّة والرسالة، وينابيع السماحة والبسالة صفوة آل أبي طالب، وسراة بني لؤي بن غالب الذي حَيّاهم الروح الأمين، وحلاّهم الكتاب المبين. فقلْ في قوم شرعوا الدين القيّم، ومنعوا اليتيم أن يُقهر والأيِّم. ما قُدّ من أديم آدم أطيب من أبيهم طينة، ولا أخذت الأرض أجمل من مساعيهم زينة. . .» الخ.

وتسترسل الفصول على هذا النمط من العبارة، ويستفيد الكاتب من ثقافته اللغوية والأدبية والتاريخية، ومن الثقافة العامّة أيضاً ليوظف ذلك كله في فصوله، فيعطيها رصيداً ضخماً من الإشارات والإحالات، وليمزج النص النثري بألوان شعرية مختلفة. وقد استغل الأبيات الشعرية ذات الأغراض المتعدّدة المتباينة فوجّهها لتزيد النص ـ على ما قصد إليه ـ إثارة وإحكاماً؛

قال في الفصل الثاني:

«يا لكِ من أنجم هِداية، لا تصلح الشمس لهم داية. كفلتهم في حِجْرها النبوّة ﴿ذرّيةً بعضُها من بعض﴾. سرعانَ ما بلي منهم الجديد وغري بهم الحديد. نُسِفت أجبلهم الشامخة، وشُدِخت غررهم الشارخة؛ فطارت بطرِهم الأرواح، وراحت عن جسومهم الأرواح؛ بعد أن فعلوا الأفاعيل، وعيل صَبْرُ أقتالهم وصبرُهم ما عِيل!

يـودّ أعـداؤهـم لـو أنهم قـتـلـوا   وأنهم صنعوا بعض الـذي صَنَعُـوا

تذامروا والردى موجةُ يلتطم، وتوامروا والقنا يكسر بعضهُ بعضاً ويحتطم. فإن يكونوا ما عرجوا في مراقي الملك فقد درجوا في مهاوي الهلك.

ونـحـن أنـاس لا تـوسط بـيـنـنـا   لنـا الصـدر دون العـالمـين أو القبـر

وعلى هذا فقد نجموا ونجبوا مع الحتوف الشداد والسيوف الحِداد، والتمرُ أنمى على الجداد. ما أعجب كلمة أبيهم ظهر صدقها فيهم: «بقية السيف أنمى عدداً وأنجبُ ولداً»، ﴿ولا تحسبنّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً﴾.

رضوا في ذاته رضا، فمشوا إلى الموت ركضاً «إنا والله لا نموتُ حبجاً كما يموت بنو مروان».

تسيـل عـلى حدّ الـظبـاة نفوسنـا   وليست عـلى غير الـظبـاة تسيـلُ

وخلاصة القول:

ـ إن ما كتبه ابن الأبّار في (درر السمط في خبر السِّبط) هو نثر فَنّيّ يعبّر عن موضوع تاريخي، مزجه الكاتب بطاقة وجدانية عارمة، وأعدّ له قدْراً كبيراً من الإشارات ووجوه الإحتجاج والاستشهاد، وعرض فيه براعته الفنّية عَرْضاً معجباً، وإن أثقل النص باختياره الأسلوب الشائع في زمانه من القيود البديعية والتلميحات الواسعة والاتكاء على النصوص التراثيّة.

ـ والكتاب: ذو مقصد واحد واضح، أدّى التعبير عنه بنثر فني مزوّق منمق متقن.

ـ والعبارة منمّقة، مسجوعة، تعتمد ـ بالإضافة إلى السَّجع ـ على ضروب من الجناس؛ وقد يخرج الكاتب في الفواصل (أواخر السَّجع) إلى لزوم ما لا يلزم، كقوله من الفصل الحادي عشر:

«إلى البتول سِيْر بالشرف التالد، وسيق الفخرُ بالأمّ الكريمة والوالد. حلّت في الجيل الجليل، وتحلّت بالمجد الأثيل ثم تولت إلى الظل الظليل. . .».

ـ ويتعانق الشعر والنثر في الفصول كلها. ومعظم الشعر من قصائد مشهورة قديمة، ليست أصلاً من الشعر الذي قيل في المناسبات التاريخية ولا هو

(٢) صدر ديوان رسائله في دار الفكر بدمشق (إصدار ١٩٨٧).

من الشعر الذي قيل في النبي الكريم صلى الله عليه وآله ، وإنما وظّفه الكـاتب ليكون مجارياً للسياق، مناسباً للكلام، متداخلاً مع النثر ليعطي الإحساس المطلوب، ويساعد على ظهور المقصد، ويرتفع بالقارىء إلى درجة التأثر القصوى.

ـ والنص يحفل بالإقتباس، والاستشهاد بآيات القرآن الكريم، والتحلية بالأحاديث النبوية، والأخذ من أقوال الصحابة والتابعين وغيرهم.

ـ والنص زاخر بالإشارات التاريخية والتلميحات إلى الخلفاء والقادة والأشخاص المعاصرين ذوي الشأن.

ـ وأسلوب ابن الأبّار في هذا الكتاب أسلوب مقيد، مصنوع، قال فيه العبدري صاحب الرحلة إنه نحا فيه منحى ابن الجوزي.

قال في ص (٢٧١-٢٧٢) في ترجمة الشيخ الفاضل أبي محمد بن هارون (من علماء تونس): «وقرأت عليه: درر السمط في خبر السّبط لأبي عبد الله القُضاعي، وحدثني به سماعاً وقراءة، وهو جزءٌ وضعه في مقتل الحسين رضي الله عنه نحا فيه نحو طريقة أبي الفرج بن الجوزي» قال: «وكنت أتكلم معه في تعقّب مواضع منه فيعجبه قولي فيها». . ولم يبيّن لنا تلك المواضع التي كان العبدري ينتقد ابن الأبّار فيها، ولعلها في الواقف التاريخية خاصة.

ومعلوم أن بعض من ترجم لابن الأبّار أخذ عليه بعض شططه في طريقة تناول أحداث من التاريخ أو في طريقة عَرْضِها.

وللدارسين الباحثين من القُدامى والمحدثين كلامٌ في جوهر الكتاب وفي ألفاظ منه، وكلام آخر في الظروف التي أنشأ فيها الكاتب كتابه تستحقّ أن تكون جزءاً من دراسة واسعة أخرى عن النثر الفني في عصري المرابطين والموحّدين.

وازيد أمراً آخر هو أنني لاحظت أثر أبي عبد الله بن أبي الخصال، الغافقي الأندلسي أحد كتاب العصر السابق لابن الأبّار في كتاباته، وفي درر السّمط أيضاً. وكان ابن أبي الخصال يعرف، بـ (رئيس كتّاب الأندلس) وكانوا يحفظون رسائله حفظاً ويستظهرونها زيادة في الإعجاب بها والتأثر، والنسج على منوالها.

وعدا عن الكتب التي ذكرت في ترجمته فإن له من المؤلفات: (رسالة المسفى الجميل ومحاذرة المرعى الوبيل في معارضة فلقي السبيل). نشرها المنجد في (رسائل ونصوص).

وله ديوان شعر نشره الدكتور عبد السلام هراس في الدار التونسية سنة ١٩٨٥.

وقد سردت كتب التراجم لابن الأبّار أكثر من أربعين كتاباً ورسالة وفي جملتها (معدن اللجين في مراثي الحسين) وهو كتاب مفقود وقد قال عنه الغبريني في عنوان الدراية: ولو لم يكن له من التآليف إلا هذا الكتاب لكفاه في ارتفاع درجته وعلو منصبه وسمو رتبته.

ويتوزع كتبه الإهتمام بالحديث والتاريخ والأدب والتراجم والفقه. وقد ألف ابن الأبار في تراجم الأندلسيين وأخبار بلادهم كتباً مهمة ضاع كثير منها، وبقي القليل.

الشيخ محمد ابن الشيخ عبدالله الشويكي

توفي سنة ١٢٥٤ .

الشويكي : نسبة إلى الشويكة ، قرية بقرب مدخل مدينة القطيف . ذكره السيد علي العدناني في نشرة (ثقافتنا) التي تصدر في مدينة (قم) وقال أنه تلمذ على الشيخ حسين آل عصفور ، وانه كان من العلماء الأدباء البارزين في عصره ، وله في أهل البيت عليهم السلام مرات كثيرة ، وأنه اختار له القصيدة الآتية في رثاء الحسين عليه السلام ، وأنه اقتطفها من مجموعة خطية تضم مراثي ومدائح أهل البيت عليهم السلام لشعراء معدودين . وأنه ورد للمترجم ذكر في « انوار البدرين » ضمن ترجمة ابنه الشيخ مرزوق ، وفي « شعراء القطيف » القسم ١ ج١ص ٧٩ . وهذا ما أخذناه نحن من القصيدة :

حنانيك لا تصبو وإن هصر الصبا ... قوامك مرتاحاً إلى زمن الصبا
ولا تك صبّاً يستفزّنك الهوى ... فتحسو كؤوس الشوق من مورد الصبا
وأنّى وقد ولّى شبابك مدبراً ... وعارض ليل العارضين ضيا الصبا
فدع ذكر لذّات بأيّام وجرة ... مضت وأُليّلات تقضّت على قبا
وإن صرمت يوماً حبالك زينب ... بُعَيد وصال فاصرمَنْ حبلَ زينبا
فليس احتسا اللذّات ينجع مطلباً ... وليس وصال الغيد ينفع مأربا
وسالف عصر مرّ باللهو لم تنل ... به شامخ العليا ولا نلت منصبا
سطحت به شرخ الشبيبة إذ غدا ... قوامك ريّاناً ووقتك طيّبا
فصيّرت شرب الإثم أعذب مشرباً ... لديك وكسب الإثم أعذب مكسبا
فيا ويح نفسي كم تقاسي من الدنا ... بلايا أعادت ليل فودي أشيبا
وذلك من فعل الزمان فكم رمى ... بزاوية الهجران شهماً مجرّبا
وسكّن أهل الجهل مرتفع البنا ... ووطّن أهل الفضل منخفض الرُّبا
بكلكله ألقى على كلّ ذي حجىً ... فحمّله عبئاً من الخطب متعبا
وبثّ على أهل المعالي صروفه ... فأبدع في سبط النبيّ وأغربا
أناخ به في عرصة الطفّ بعدما ... أضاقت عليه الأرض شرقاً ومغربا
وقد كان في ربع المدينة آمناً ... فأخرج منها خائفاً مترقّبا
كأنّي به يفلي الفلاة بعيسه ... إذا سبسباً وافاه جاوز سبسبا
فحطّ على تلك السباسب رحلَه ... وخطّ على تلك المضارب مضربا

ومنها :

أيا راكباً علياء حرف متى سرى ... بها مدلج قدّت بأخفافها الربى
متى شمت أطلال الغريّ فعج به ... ولاتك عن سمت به متنكّبا
فإنّ بمثواه ابن عمران خير من ... سما وعلى هام المجرة طنبا
علي أمير المؤمنين وإنّه ... أجلّ الورى قدراً وأرفع منصبا
فإن لزمت كفّاك سامي ضريحه ... فقل بعدما تقري السلام تقرّبا
ألا يا وليّ الله جئتك مخبراً ... وعمّا رأى طرفي أتيتك معربا
تركت حسيناً في ثرى الطفّ ضارعاً ... له كبد حرّى تزيد تلهّبا
تلبّس سافي عثير العفر إذ غدا ... عفيراً ومن أثوابه قد تسلّبا
وقد صار للبيض الصفاح ضريبة ... وللصافنات الجرد أصبح ملعبا
وأصحابه من حوله وبناته ... أيادي سَبا تعنو إلى من لها سبى

ومنها :

ودونك يا رب الفخار فريدة ... إذا ما تلاها منشد القول أطربا
قلائد درّ في رثاك نقبتها ... وتأبى لغيري في الرثا أن تنقّبا
جعلتك في الدارين ذخري ومن تكن ... ذخيرته عن مطلب لن يخيّبا
فكن لي معيناً في زماني فإنني ... وحقّك قد أمسيت في الدهر متعبا

وجد لي ببسط من ندى كفك التي	إذا مـا همى في مجدب آب مخصبا
وخذ بيدي ذات اليمين بمحشري	وكن شافعي فيه وإن كنت مـذنبا
عليك سلام الله مـا هـطل الحيا	فـأحيا ريـاض المحلات وأعشبـا

محمد شرارة ابن الشيخ علي

ولـد في بنت جبيل (جبـل عامـل) سنة ١٩٠٦م وتـوفي في بغـداد سنـة ١٩٧٩م ودفن في النجف الأشرف .

درس دراسته الأولى في بنت جبيل وكان لوالده العالم الشاعر الأثر الكبير في تكوينه الأدبي ، فقد درس عليه علوم اللغة العربية وكان يجبره على حفظ غـرر من قصائد الشعر العربي وهو لما يبلغ العاشرة من عمره ويعاقبه عقاباً صارماً إذا اخـطأ ، وعندمـا بلغ الرابعـة عشرة أرسله والـده إلى النجف الأشرف لمتـابعة دراسته فيها فـانتمى إلى الحلقات العلميـة مواظبـاً فيها عـلى تلقي علوم اللغة وعلوم الشريعة ، وفي الوقت نفسه عكف على دراسة اللغـة الانكليزيـة وتلقي العلوم الحـديثة من المجـلات والكتب وتتبع نتـاج الفكر الأوربي ومـا حققه في ميـادين العلم والأدب والشعر . ثم اخـذ يواصـل نشر المقـالات في الصحف العربية مركزاً في بعضها على الهجوم على آفات الوضع الاجتماعي وعيوبه بعيداً عن التطرف والمغالات في النظر إلى الأمور ، ومحـاكمتها بـروية وهـدوء . فهو يقـول مثلاً في احـدى مقالاتـه : « وعلى دعـاة التجدد ايضـاً أن يفهموا أن في القديم روعة تتضاءل امامها روعة كثير من جديدهم الذي يدعون إليه ويبشرون به » .

وهكذا مضى يعالج جميع القضايا الاجتماعية والدينية واللغوية التي دعا إلى اصلاحها وتخليصها من شوائب العادات وغبار الركود .

وثمـة ألوان اخرى من المقـالات استقى مـواضيعهـا من الحيـاة اليـوميـة المألوفة . وكتب بعضها تحت عنوان « من صور الحياة » وهي صور ادبية تحمل انطباعاته وخواطره عن مجرى الأيام التي يحياها ، وهي تمضي بين العناء والرتابة وغضب الطبيعة وجمالها وسكون الحياة ويبوستها .

وأولى مقالاته كانت سنة ١٩٢٨ في مجلة العرفان . وكذلك فقد نشر أولى قصائده في المجلة نفسها في العام نفسه . وكانت اشعاره لوناً من ألوان الشعر الوجداني العـامر بـالحب السامي ، المحـاط بهالـة من الخيال والمفعم بـالنزعـة الـرومانتيكيـة المعبرة عن روحـه الظمـأى للجمال والأمـاني الحلوة والعـواطف الرقيقة .

ويؤسفنا ان مجموعة شعره ليست الآن بـين ايدينـا لنعطي القـارىء نماذج كاملة عن شعره في مختلف ادوار حياته ، وما سيراه القـارىء بعد هـذا الكلام منشوراً من شعره ليس هو الذي كان يمكن أن نختاره ، ولكن كـان مفروضـاً علينا اخذه لأنه وحده الشعر الذي وجـدناه ونحن نقلب الصحف تفتيشـاً عن شعره .

ونحب هنا ان لا يفوتنا ذكر هذين البيتين اللذين قرأناهما خلال دراسة عنه :

هي نـظرة اخفت وراء طيـوفهـا	ليـلى وعفـراء الهـوى ولـداتهـا
رفعتـك للمـلأ العـلي بلحنهـا	وعن الـورى شالتـك في نغمـاتهـا

ويتعالى في اجواء شعره صوت يشبه الألم والتأسي من الركود والجهل اللذين يسيطران على الناس ، وترتفع المناداة لتنبيه قومه وايقاظهم من السبـات الذي يغطون فيه ويتبرم من السكينة التي تلف الحياة وتكتنفها والتي تحتاج الى انسام تنعش الروح وتمدها برعشات الفكر المستنير وترفدها بنبض حي قوي ولكن من يحرك مواطنيه ويوقظهم من غفوتهم :

فـمـن يـنـبـه قـومـي	ويـسـتـثـير العـزائـم
ومـن يـفـيـق اذا مـا	كـان المـنـبـه نـائـم
هـيهـات يـنجـح شعب	يـرى التكـاسـل حـزمـا
ايـبصر الـنـور قـوم	وقـائـد الـقـوم اعـمـى

وقد عالج الترجمة ، وكانت جل ترجماته لشاعر الهند « طاغور » ، كما ترجم قصصاً لموباسان .

وهكذا فقد كتب المقالة والقصة والقصيدة ومارس الترجمة وبرغم الظروف القاسية التي مرت به فيما بعد . فلم يتوقف عمله الأدبي عند منتصف الطريق ولم ينغلق ضمن اطار محدود ، ولم يصب اسلوبه بالتكرار سواء في مواضيعه أو لغته أو مضامينه .

وكان اسلوبه متميـزاً في مختلف المواضيـع التي طرقهـا ، ويشف عن روح شاعرية سواء في مقالاته أو قصصه أو تراجمه ناهيك عن قصائده ، ويتسم بميسم رومانتيكي وينم عن حس مرهف تجاه الكلمة ووظيفتها الفنية في النص الأدبي . فأسلوبه النثري ينأى عن العبارات التقريرية الصحفية التي تصوغ الفكرة بشكل مكرور ، خال من الروح الفنية ، فهو يحلق بالكلمة في دنيا الابداع فتتفتح قوتها الداخلية وتكتسي بظلال شعرية وتتكشف نضارتها وليونتهـا ، وبذلـك تنتعش الكلمة مفعمة بعبق الشعر وعذوبته باعثة في النفس الجمال والدفء والدهشة .

اغنت فترة دراسته في النجف معلوماته وفتحت امكاناتـه الفكريـة والفنية وابرزت شخصه على مسرح الحياة الاجتماعية والادبية ، وكانت بمثابة الأساس الصلب الذي استند اليه وانطلق منه ليشق طريقه في مجاهل الدنيا ومضاربها ، بعد قضاء ما ينيف على اربع عشرة سنة في الدراسة حصل فيهـا على اعـلى ما يحصل عليه طالب من الاجازات العلمية .

ولقد كانت النجف في تلك الآونة مركزاً للاشعاع الفكري ، فقد ازدهرت فيها الحياة الثقافية وشهدت صدور العديد من الجرائد والمجلات مثل (الهاتف) و (الحضارة) و (البيان) و (الغري) وغيرها ، ورفدت العـراق برعيـل من المؤلفين والأدباء والشعراء والسياسيين والاساتذة نذكر منهم على سبيل المثال : الشيخ محمد رضا الشبيبي واخاه الشيـخ باقـر والجواهـري والشرقي والخليـلي وسعد صالح .

سنة ١٩٣٦م كانت حاسمة في حياة محمد شـرارة فبعد أن بلغ مـا بلغ في دراسته النجفية قرر السير في طريق جديد ، وكان قد تجنس بالجنسية العراقيـة فعين في وزارة المعارف استـاذاً للأدب العـربي في ثانـويات العـراق فتنقل بـين الناصرية وكربلا واربيل والحلة حتى استقـر به المقـام في بغداد في اواسط عشر الأربعـين . ولم تنقطع صلتـه بالحيـاة الثقافيـة بالنجف واستمـر ينشر في مجلتي الحضارة والهاتف ويساهم في معالجة المشاكل الفكرية والأدبية[1] .

وفي العام ١٩٤٨ بدأت الانتفاضات الشعبية على الوضع القائم ، وكانت له مشاركات فعالة في ذلك فاعتقل في كانون الثاني ١٩٤٩ وظل معتقـلاً زهاء

(١) المتنبي بين البطولة والاغتراب .

الشهرين ثم فصل من وظيفته وحاول في هذه الفترة المساهمة في بعض الأعمال التجارية ، ولكنه لم يخلق لذلك ، وحسب الناس كلهم مثله امانة واخلاصاً فاختلسه شركاؤه وسعى إلى أن وجد عملاً في احدى المدارس الأهلية وفي العام ١٩٥٢م قامت المظاهرات واعلنت الاحكام العرفية فكان محمد شرارة فيمن اعتقلوا وقدموا الى المحاكمة فحكم عليه بالسجن سنة واحدة . وبعد انقضائها كان مجال العمل امامه في العراق معدوماً فذهب إلى لبنان سنة ١٩٥٤ وقام بالتدريس في احدى المدارس الأهلية وظل يواصل الكتابة والنشر حتى العام ١٩٥٨ حين قامت حركة ١٤ تموز فعاد إلى العراق واعيدت إليه حقوقه في مجال عمله وعاد إلى التدريس والكتابة ولكن الحكم الذي تلا ١٤ تموز لم يكن هو الحكم الذي كان يطمح إليه محمد شرارة وغيره من المخلصين، فلم يلبث أن قبض عليه وحكم بالسجن ثلاثة اشهر . فكان ان عاد العام ١٩٦١ إلى لبنان . وفي العام ١٩٦٢ دعي لتدريس اللغة العربية في جامعة (بكين) في الصين، وعندما وصل إلى بكين تبين له ان عمله سيكون الترجمة في مجلة (بناء الصين) ، فلم يلبث في هذا العمل سوى بضعة شهور حيث كان لا يرتضي ترجمة بعض المواضيع الذي كان يرى أنها لا تتفق مع تفكيره فترك عمله وسافر إلى الاتحاد السوفييتي في مطلع العام ١٩٦٣ وكان يتوقع ان يجد عملاً تدريسياً هناك فلم يتيسر له ذلك فسافر إلى لبنان وبقي فيه حتى العام ١٩٦٨ مارس خلال ذلك التدريس والكتابة والترجمة ونظم الشعر ، ثم عاد الى العراق وظل فيه حتى السنة ١٩٧٤ حيث عاد إلى لبنان وسكن في بلدته الأولى بنت جبيل ، ولكن قيام احداث سنة ١٩٧٥ في لبنان اضطرته إلى العودة إلى العراق صيف سنة ١٩٧٦ وهناك توفرت له اسباب الكتابة والمطالعة بعد أن كانت قد خفت عنه الأعباء العائلية بتخرج ابنائه وبناته من الجامعات وشقهم طرقهم بنجاح في الحياة العامة ، فاحتضنته ابنته الدكتورة حياة حتى وفاته ، حيث عاش عندها ثلاث سنوات اخرج فيها ـ كما يعتقد هو ـ خير مقالاته .

كان كما قيل عنه بحق : « كان محمد شرارة عالماً كاملاً من العطاء والمعارف والمعلومات والصلابة الفكرية والثبات في الشدائد والنقاء الروحي والخلقي ، لقد توارى ذلك العالم وانطوى من الوجود ولكنه ابقى لنا عالمه الأدبي الذي بناه وشيده لبنة لبنة على مدى نصف قرن »[1] .

وبعد وفاته اخرجت له ابنته الدكتورة حياة كتابه (المتنبي بين البطولة والاغتراب) كما جمعت بعض مقالاته في كتاب اسمته (نظرات في تراثنا القومي) . كما جمعت له ديواناً شعرياً لم ندر إن كان قد طبع بعد ذلك أم لا . وكان قد كتب مقالاته تحت عناوين شتى منها : « من صور الحياة » « نهلات طائر » « صور واخلاق » « في الأدب والحياة » « مع العرب في الجوانب العليا من الأخلاق » « نساء ومواقف » « نظرات في تراثنا القومي » « من تراثنا الشعري » « الكلمة والبناء الشعري » . وكان يزمع اصدار كتب تحت بعض هذه العناوين مثل « نساء ومواقف » و « تأملات في الأدب والحياة » ، ولكنه لم يستطع تحقيق ما يصبو إليه ، واتم فقط كتابه عن المتنبي .

شعره

ما ننشره له هنا من الشعر هو ما اطلعنا عليه منشوراً في اوقات متباعدة في مجلة العرفان :

قال من قصيدة ، وهي من شعره عندما كان مدرساً في ثانوية الناصرية :

على وحي الهوى خفقت بنودي ... وفي نغماته دوّى نشيدي
بمدرسة العواطف رف قلبي ... وبين ضلوعها رفت مهودي
انا الذكرى التي طارت وحامت ... على الدنيا بأجنحة الخلود
أنا الحب الذي ربط البرايا ... بأسلاك اشد من الحديد
تهز الكائنات بمن عليها ... إذا ما استيقظت نغمات عودي
أرق من الهوى لغة وأحلى ... من النشوى وتمتمة الوليد
سكبت على القلوب ندى رقيقا ... كأنداء الصباح على الورود
دعوني املأ الدنيا حناناً ... واشدو بالنشائد والقصيد
على شفتي جميل طاف لحن ... شجي عبقري من نشيدي
وفي ديوان قيس لاح ضوء ... سماوي مشع من وجودي
ومن روحي اطل الوحي شعراً ... على (ولّادة) وأبي الوليد[2]

وقال :

ذاب الرحيق العذب في شفتيك ... والوردة الحمراء في خديك
ظمىء الجمال ومذ رآك تحركت ... شفتاه وارتمتا على نهديك
حتى إذا مص السلافة وانتشى ... منها هوى لثما على قدميك
والروح إن خفقت فما بخفوقها ... غير الصبابة والحنين إليك
والقلب ما في القلب يا ليلى سوى ... ذكرى تطل مع الزمان عليك
هذا مكانك في الحياة فما الذي ... جعل الدموع تجول في عينيك
لا الهزة النشوى ولا أحلامها ... تختال كالنغمات في عطفيك
لا البلبل الشادي يهزك حسنه ... بين الرياض ولا حمام الايك
ولقد لمحت ـ لدن لمحتك ـ بسمة ... صفراء شاحبة على شفتيك
لو كان دهرك في يدي لحملته ... ووضعته كالعبد تحت يديك

وقال :

دنياك عابسة وفي لحظاتها ... صور الحياة تنمّ عن نياتها
ومشت على ضوء النجوم غمامة ... مجنونة رعناء في خطواتها
طار الرفاق وخلفوك أمامها ... في الأفق وحدك تتقي غاراتها
فخلقت من دمك المذوب شمعة ... سخرت من الدنيا ومن ظلماتها
ووقفت في دنيا العواصف ضاحكا ... مستهزأً فيها ، وفي صرخاتها
وحملت في يدك الشموع وسرت في ... وادي الحياة تجوب منعطفاتها
أقوى من الدنيا العنيفة مهجة ... وأشد في الأهوال من وثباتها
حتى تناوحت الرياح وأقبلت ... تغزو شموعك من جميع جهاتها
رجفت لها الأضواء واضطربت وما ... بقيت سوى الخفقات في شعلاتها
وبقيت في الصحراء وحدك لا ترى ... غير الرمال تموج في جنباتها
حيران!! لا قمر ولا نجم بها ... يهديك ـ يا قلبي ـ إلى واحاتها
وتلفتت عيني لتبصر ما الذي ... أعددت للأكوان في غاراتها
فإذا العيون ترى ـ كما كانت ترى ـ ... ضحكا على الدنيا ، على حركاتها
ضحكا على الصحراء وهي تهدد الـ ... قلب الغريب بهولها وعتاتها
ضحكا على الأكوان في وثباتها ... ضحكا على الوادي ، على هضباتها
ما أنت في لغة الحياة ؟! ألفظة؟! ... تتحرك الألغاز في حركاتها!!

(١) المصدر السابق .

(٢) هو الشاعر ابن زيدون .

أم أنت في كتب الطلاسم صفحة ... لا تعرف الأفلاك محتوياتها؟!
وحمامة وقفت بأفقك وانبرت ... تملي عليك الوحي في وقفاتها
شدواً أحنّ من القلوب ـ اذا مشى ... فيها الهوى ـ وارق من خفقاتها
ترنو اليك ، وفي العيون قصيدة ... تتظلل الأحلام في ابياتها
هي نظرة أخفت وراء طيوفها ... ليلى ، وعفراء الهوى ، ولداتها
رفعتك للملأ العلي بلحنها ... وعن الورى شالتك في نغماتها
فذهبت في دنيا النعيم ترفّ في ... اجوائها ، وتطوف في جناتها
الجو كأس والشعاع سلافة ... ورؤاك عاكفة على نهلاتها
والأرض حولك روضة قدسية ... وهواك كالانداء في زهراتها
شاعت امانيك العذاب بها كما ... شاع الشذى والعطر في نفحاتها
ودنت حمامتك المطوقة التي ... رفعتك عن دنياك في نبراتها
فأذبت روحك عندها أنشودة ... وسكبتها ـ يا قلب ـ في نظراتها
اخذتك حتى كنت فوق جفونها ... لحنا ، وإشعاعا على بسماتها
اخذتك حتى كنت فوق شفاهها ... نغما ، وتمتمة على كلماتها
ومشت اليك وفي خطاها رعشة ... أفهل مشت نجواك في خطواتها ؟!
حتى اذا قرب العناق واوشكت ... تتنهد الشفتان في وجناتها
« شحذوا المدى لك دونها فركبتها ... تغتر حتى طرت في شفراتها »
هزتك روح الكبرياء ، وعزة ... تتضاءل الأكوان في ساحاتها
فوقفت في وجه المدى ورميتها ... ورمتك حتى ذبت في طعناتها
ثم انثنيت وفي ضلوعك لوعة ... حرى يضج الكون من لذعاتها
لواحة غضبى كأن جهنما ... سكبت على جمراتها زفراتها
اين العيون الفاتنات وما حوت ... من عاطفات الروح في نظراتها ؟!
اين الشفاه الحالمات وما طوت ... من عاطفات الحب في بسماتها؟!
لتلمّ من هذي وتلك تميمة ... تحميك من سقر ، ومن جمراتها ؟
ذهبت وما تركت سوى الذكرى وما ... خلعت على الأرواح من غصاتها
وبقيت لا عين ، ولا روح ، ولا ... شفة ، ترف عليك في قبلاتها
ظمآن ترنو ، والكؤوس بعيدة ... ومناك حائمة على قطراتها
خذلتك ساحرة العيون وأنت ما ... زلت الوفي تطوف في شرفاتها
يا ايها المضنى أفق ما هذه ... النشوى التي تطويك في غمراتها ؟
حرمت عليك الكأس حتى نهلة ... منها ، فكيف طمعت في رشفاتها(١)
وعصابة عمياء تعتنق الهدى ... إسما وما مرّ الهدى بحياتها
عاشت على الموق ولما لم تجد ... شبعا بها عكفت على حشراتها
وتحرك القدر اللئيم عشية ... ثم انثنى ورماك في عرصاتها
فتلفتت، عيناك في انحائها ... لترى . . . فلم تبصر سوى هبواتها
الأرض بيداء ، وأنت مشرد ... ناء غريب الروح في جناتها
والجو ملتهب كأن وراءه ... سقرا تصب عليه مقذوفاتها
فوقفت تلتمس النجاة كسائح ... تاهت به الأظعان في طرقاتها
حتى إذا انحدرت رفيقة يوشع ... وبدا الشحوب يلوح في وجناتها
عوت الذئاب وولولت حتى شكا ... أهل السما والأرض من أصواتها
فجزعت من أخلاقها وارتعت من ... أوضاعها ونفرت من عاداتها
وحملت في يدك اليراع وطرت في ... جو الصراحة فاضحا نياتها
غضبت وصاحت في الفضاء ولوحت ... بالإفك والتدجيل في صيحاتها
وتلعلعت(٢) بالزور ألسنة وقد ... أوحت بأن الوحي في كلماتها
واهتز بركان الشرور ولعلعت ... نيرانه وأطل في مقلاتها
وأمدها الزمن البليد بدوحه ... وهوى ـ كما شاءت ـ على رغباتها
فسخرت من أعمالها وضحكت من ... تدجيلها ، وهزئت من غضباتها
ووقفت تقرأ للزمان قصيدة ... طافت على شفتيك من أبياتها
« إن كان عندك يا زمان بقية ... مما تضيم به الكرام فهاتها »

وقال في بعض المناسبات وهي من شعره عندما كان طالباً في النجف :

حيتك في وادي الهدى نفحاته ... ورنت اليك بلهفة زهراته
فاض السرور عليه حتى شاركت ... أزهاره بسرورها ربواته
ويرف كالاحشاء جنح حمامه ... عند التحية والخفوق لغاته

يا حامي الإسلام في اليوم الذي ... عزت بمعركة الحياة حماته
كم أنّ من جور الخطوب وظلمها ... جزعا فضاعت في الفضا أناته
كانت بنوه بظله تجد المنى ... عذبا وتحلم بـ[illegible]عيم بناته
واليوم كاد لها الزمان وأوشكت ... تقضي على احـ[illegible]ـها صولاته
ما في الرجال سوى شج متأوه ... وبصدره محـ[illegible]ـوسة آهاته
حتى نهضت تذود عنه فأورقت ... وتمايلت نشوانة شجراته
كمجاهد يجد الحياة عقوبة ... إن لم تنل شرف العلى رغباته
تحمي لواء الحق صولته كما ... تحمي الشجاع من العدو قناته
قلم الإمامة في يمينك روحه ... من روحها ومن الهدى رشحاته
ما زال يشرق في الحياة وكلما ... دجت الحياة تشعشعت قطراته

والمنبر السامي تهادى حينما ... واجهته وتهللت جنباته
ما كنت إلا صوت أحمد فوقه ... والصوت من وحي السما نبراته
تملي على الدنيا حديثا كله ... عبر واحوال الشعوب رواته
فمن الكتاب وضوئه اسلوبه ... ومن الفنون وغورها كلماته
فيه من الرعد الغضوب دويه ... وعليه من ورد الربى نسماته
لم يبق في الإسلام قطر هادىء ... إلا وهاجت روحه نغماته
وبكل قلب رعشة روحية ... خفقت كما خفقت به نبضاته
هي يقظة في مصره وعراقه ... زأرت على خطواتها شاماته
لا ينهض الإسلام من عثراته ... إن لم تسر في ضوئه طبقاته
ما قيمة الدرع الدلاص إذا التوت ... وتفككت بنظامه حلقاته

ماذا رأيت وما سمعت بموطن الـ ... ميعاد هل عادت اليه حياته
حدث عن الوطن المقدس انه ... وطن النبوة والهدى عرصاته
ماذا جنت أوعاد (بلفور) وهل ... كانت سوى خزي له دعواته
في ذمة الدهر الخؤون وأهله ... عصر تطالب بالحقوق طغاته

وقال :

وهفت . . فكان جناحها وجناحي ... وترين يرتعشان في الصحصاح
عطش الرياح اللاغبات بها وبي ... عطش السرى الحيران للاصباح

(١) النهل هو أول الشرب والرشف هو استقصاء الشرب حتى لا يدع الشارب شيئاً في الإناء .

(٢) تلعلع لسان الكلب (اندلع) وقد جاءت هنا على سبيل الاستعارة التمثيلية .

أسري ومن حولي تدور وترتمي ... بِيدٌ بغير ضُوىً.. بغير نواح
والليل تنسجه الرماح، فينثني ... ويعود سداً من رؤوس رماح
وأوابد الصحراء تتعب والرؤى ... تنساب بين لوائم ولواح
سودٌ تسير تغتدي وسوادها ... ينداح بين غدوها ورواحي
حتى اذا لاحت خيامك أو مضت ... اشعاعة بجبيني الملتاح
رفّت كما رفّ الشراع فأشرقت ... عيناي ، واختلج الحصى ببطاحي

كنا وكان لقاؤنا انشودة ... في الظل بين خمائل التفاح
وعلى شفاهك نجمة وقصيدة ... تنساب بين الورد والقداح
من وردة ذهبية ان حوّمت ... في الفجر أو من سوسن واقاح
ليلى وشاعرها الحبيب بها وما ... تركاه من أمل ومن أفراح
وحنين هاتفة تذوب ونشوة ... تسري من «الاعشى» الى «وضاح»
نبرات صوتك واحة وخميلة ... في الدوّ . في لهب الحصى اللواح
رنّت فلملمت النجوم شعاعها ... خجلا ، وتاه بضوئها مصباحي
ستظل ما بقي الأسى وجروحه ... بين الجوانح بلسماً لجراحي

كنا وكان لقاؤنا انشودة ... في الظل بين خمائل التفاح
وعلى خيالي من لقائك نغمة ... لماحة كجبينك اللماح
والأرض من حولي قصيدة شاعر ... وحنين صادحة الى صداح
والبيد في ظمأ المهامه واحة ... ومدائن مأهولة وضواح
وهوادج خضر تميل وجدول ... بدل السراب وماءه الضحضاح
ثم انطوت تلك الظلال وعطرها ... فيها ولم تترك سوى الأشباح
عش ولا اغرودة فيه ولا ... وتر ينوس ولا رفيف جناح
طارت حمائمه ، واقفرت الربى ... من حوله ومحا رؤاه الماحي
الدو والأشباح فيه وعتمة ... تلتف حول ذبالة المصباح
جرس جريح يستعير رنينه ... ونياحه من مأتم الأقداح
خيط من الفجر البعيد ونغمة ... تنسّل ثم تعود للأرواح

عودي فقد تعب النضال وأوشكت ... تلك العواصف أن تنوش كفاحي
والشعر يذبل والهواتف تنحني ... ويكاد يخرس بلبل الادواح
ومن العجائب أن ينهنهي السرى ... وتصد غاشية الخطوب جماحي

عودي فقد تعب الحنين وقد ونت ... روحي وهلهلت الرياح وشاحي
ناحت ولو بقيت خيامك في الدجى ... حولي لما عرف الزمان نياحي

عودي ففي عينيك كل قصائدي ... وازاهري وخمائلي وسلاحي
لا تذكري السلوى ، ولا تتحدثي ... حول السلو ولو حديث مزاح
انا ان سلوتك لحظة او مرَّ بي ... طيف من السلوى كسرت جناحي

انت الخيال اذا ترنح وانتشى ... فوق الغمائم وهو اروع صاح
وضياء قافلة تشق دروبها ... في الليل بين زوابع ورياح
موسى تحوّل رقة ووداعة ... لما رأى معناك في الألواح
طافت بعينيه السعادة مذ رأى ... عينيك في فلك الجمال الضاحي

عودي فقد تعب الحنين وقد ونت ... روحي وهلهلت الرياح وشاحي
وخذي يدي ودعي الحياة تمر من ... راح يهدهدها النعيم لراح
وتنفسي في الشاحبات من المنى ... والعطر والنفحات والأرواح
وتسمعي نغم السماء وكل ما ... في ذلك الفلك البديع الواحي

أنا لم أزل بالرغم من تعب السرى ... بين الحقول ربابة الفلاح
وغناء راعية تلم قطيعها ... في المرج بين مسرة ومراح
وتؤوب والشفق الجميل يطل في ... وجناتها وجبينها الوضاح

وقال وقد نظمها سنة ١٣٨٩ (١٩٦٩م) ولعلها آخر ما نظم :

كرنين الجرس البالي على قبر الحبيب
كنداء الطائر التائه في جو غريب
كان صوت النعي في المئذنة الثكلى
صدىً ينداح في الأرض الحزينة
وتعيد الصوت في نبرته الخرساء اجراس الغروب شاحبا
مثل مناديل الحزانى النائحات
في دروب اللانهايات وفي شتى الدروب
ثم تلقيه ، وقد مات ، على الاطلال في قلب المدينة

* * *

وعلى الأفق ، وقد ماد من الارهاب ، اهوال القيامة
وشاح احمر اللون ونجم وغمامة
وعلى صفصافة النهر التي مالت غراب وحمامة
سافرت تحتها الريح الى الدنيا نعيبا وابتسامة

* * *

وسرت دوامة الموت كما يسري عويل الزوبعة
وطوت في سيرها الجائع ازهار الفصول الأربعة
واعادت ذابح الأطفال في صدر الأمومة
حيوانا هائجا
يغتال اوراق البراعم
ويدوس المرجة الخضراء
أو يلقي على الدوح سمومه

* * *

عسعس الدخان واغبر الفضاء الرحب
وامتدت عجاجة
ومضت تلتف في ولولة الريح وتلتف
على كل زجاجة
وتغطي قطع البلور في درب السراة المدلجينا
وتصوغ الجو كبريتا على الركب ونارا وجنونا

* * *

وتمشى الليل في حمحمة الخيل وفي أحلى الأغاني
وعلى متنيه يختال مع الزهو رداء الأقحوان
واله الحرب في موكبه الأعلى يقيم المهرجانا
وكؤوس النصر تنساب على الشرب دموعا ارجوانا

* * *

وانحنى الرعب على الأرض وغطاها
كقوس من افاع

ولواء النصر يختال على القوس كأصوات الضباع

وعبيد الله يلقي « الخطبة البتراء »

في الجيش الشجاع !

ويبين الكوفة الحمراء في قتل الحسين السبط . . .

في دوس ضلوعه

ثم يختال ، كما يختال ، طاووس الروابي

في ربوعه

آه ما أكبرها مأساة . . مأساة المروءات النبيلة

شفق يسود في الفجر على الدنيا

ورايات خجولة

وعيون تبلع الدمع الذي ماج

وتمتص سيوله

وعذارى كطيور الورق اليابس

في الأسر سبيات ذليلة

آه ما افظعها المأساة . . مأساة البطولات النبيلة !

* * *

وتبدى الصمت كالكابوس . . كالهول

على كل الملامح

كهواء اللحد . . كالشوك الذي ينمو

وينمو في الجوانح

كذباب ازرق عاش على اخبث

ما لمت روائح

حول الأنفاس في المحفل انذارا

ونيرانا لوافح

وانتهى

في صرخة كالقدر الزاحف تحت المعمعة

كاذب انت وكذاب ابوك الوغد . .

والوغد الذي ولى اباك

ايها الشاتم في الحفل سماء الطهر

سترى ما أنت . . أو من أنت

ان هبت على الوادي الرياح الاربعة

السيد محمد حسين بن محمد علي الشهرستاني

مرت ترجمته في المجلد التاسع الصفحة ٢٣٢ ونضيف إليها هنا ما يلي :

كانت ولادته في كرمانشاه وفيها نشأ واخذ فيها مقدمات العلوم ، ثم هاجر الى كربلا، فقرأ السطوح واتمها ولازم حوزة والده السيد محمد علي الشهرستاني وحوزة المولى حسين الاردكاني . له عدا مؤلفاته المذكورة في ترجمته ارجوزة في اقل من ثلاثمائة بيت سماها « غاية التقريب » .

قال في أولها :

وبعد هذا « غاية التقريب » مهذب « لمنطق التهذيب »

ويعني بمنطق التهذيب كتاب تهذيب المنطق للتفتزاني ، وقد جمع في هذه الأرجوزة مطالب الكتاب المذكور . وكان نظمه له في سنة ١٢٨٣ .

السيد محمد صادق نشأت ابن السيد محمد مهدي الحسيني

ولد في كربلا سنة ١٣١٣ وتوفي في طهران سنة ١٣٨٧ اسمه في الأصل محمد صادق الحسيني ، ثم بعد اقامته بمصر اختار اسم صادق نشأت ، ثم اضاف اليه بعد استقراره في طهران لقب (ميرداماد) لانه يتصل به في النسب .

اديب كاتب باللغتين العربية والفارسية ومؤرخ وله المام باللغتين التركية والانكليزية درس في كربلا آداب اللغتين العربية والفارسية لدى الشيخ غلام النحوي والشيخ عبدالرحمن الكويتي والشيخ احمد الأصفهاني والفقه والاصول في حلقات الشيخ مهدي الكرمنشاهي والشيخ محمد سعيد الفارسي والشيخ محمد علي القمي والشيخ عبد الكريم اليزدي . والحكمة والاخلاق لدى الشيخ مهدي الحكمي المعروف بعلاقبند والشيخ محمد علي القمي . اما التفسير والحديث والتاريخ فقد درسها على والده السيد محمد مهدي الحسيني المعروف بالمهندس . وقد انتسب الى منظمة المعارف الايرانية في كل من كربلا وبغداد والكاظمية . ثم انتقل الى طهران وتولى تدريس اللغة العربية وآدابها وجغرافية ايران وتاريخها وجغرافية الاقطار الاسلامية في كلية المعقول والمنقول ومعهد سبهسالار . ثم دعي إلى القاهرة لالقاء محاضرات في الأدب الفارسي وتاريخ ايران وجغرافيتها في جامعة القاهرة بكلية الآداب وجامعة عين شمس ، ثم عين مستشاراً ثقافياً للسفارة الايرانية في القاهرة مع استمراره في التدريس الجامعي وظل في القاهرة ١٣ سنة . ثم عاد إلى طهران فتولى التدريس في معهد سبهسالار وفي كلية الآداب مواصلاً نشاطه في التأليف والترجمة وطبع ما لم يطبع من مؤلفاته .

مؤلفاته

باللغة الفارسية : ١ ـ رسالة روح ملي ايران (رسالة الروح القومية لايرانية) ٢ ـ اخلاق عملي ٣ ـ راهنماي تربيت جوانان (المرشد في تربية الشبان) ٤ ـ معلم جديد ٥ ـ تاريخ سياسي خليج فارس .

باللغة العربية : ١ ـ عمران بغداد ٢ ـ صفحات من تاريخ ايران بالتعاون مع مصطفى حجازي ٣ ـ كشكول نشأت وهناك عشرون كتاباً باللغة العربية واللغة الفارسية شرع بتأليفها ولم يكملها . كما أنه ترجم إلى العربية عن الفارسية ستة كتب من اهمها كتاب (تاريخ البيهقي) بالاشتراك مع الدكتور يحيى الخشاب والمجلدات الأول والثاني والثالث والرابع من كتاب (جامع التواريخ) بالاشتراك مع الدكتور موسى الهنداوي والدكتور فؤاد الصياد . وكتاب (تاريخ التصوف في ايران) .

السيد محمد رضا شرف الدين ابن السيد عبد الحسين

ولد في صور ، وتوفي فيها سنة ١٩٧٠م في سن الكهولة .

درس أولاً في صور ثم ذهب الى النجف الأشرف فتابع فيه الدراسة ثم تجنس بالجنسية العراقية واصدر في بغداد مجلة (الديوان) اسبوعية ادبية فكانت من خيرة المجلات العربية في موضوعها ، ولكن المحيط لم يكن يومذاك يتحمل المجلات المتخصصة ، فاصدرها شهرية ولكنها لم تلبث أن توقفت ، فعين موظفاً في الحكومة العراقية فظل كذلك حتى احالته إلى التقاعد .

كان كاتباً شاعراً ولكن غلب عليه الشعر ، وتعاطى النظم المسرحي فنظم مسرحية (الحسين) . لم يطبع له ديوان بل بقي شعره مخطوطاً . اما مسرحية الحسين فقد طبعت وانتشرت ولاقت رواجاً ، ومع ذلك فلم تطبع سوى طبعة واحدة .

من شعره

قال بعنوان نشيد الأرياف نظمها وهو في العراق :

انت ارياف بلادي جنة الفردوس عذبا
لك كيميّاء ارض قد حوت ماءً وخصبا
فأحال الترب تبرا واعاد اليبس رطبا

حبذا طيب ثراك
ونبات في حماك
من نخيل وأراك

قد حويت ما حوته عنباً كان وأبا

. . . .

أملاكٌ من سماهُ ؟ باعثٌ فيك الأمانا
حلّ في الأرياف حتى خطّط القاع جنانا
ملأ الآفاق رُحمى وشعوراً وحنانا

وكسا الروض بهاءً
وجمالا وسناء
هبة جلت ثناء

كل فذٍّ ذو شعورٍ مطلق فيك اللسانا

. . . .

امليكٌ ذو حنان ؟ تخذ العدل دليلا
بذر العمران فينا فنما غرساً جليلا
وسقى الزرع رحيقاً وسقانا السلسبيلا

هل لنعمائك شاكره ؟
من عليك اليوم آمره
ام عدا الازراء ضامره ؟!

سامك ظلماً وذلا ومنحتيه الجميلا
انت ربّ في قراك ومليك في المدن
قد منحت ذي حياةً وغمرت ذي مننن
وبنيت الكوخ في ذي وبذي قصراً وفن

فلماذا في عناء
ـ قد ظللت ـ وشقاء
وانزويت في الفضاء

حكم الجهل عليك ـ يا حياتي ـ بالمحن
سكن الأساد فيك تحت كوخ من شقاء
وزرعت وحصدت فجنته الغرباء
وبنيت دور حكم غصبتها الأقوياء

ذات فضل انكروك
من جناك حرموك
بدخيل نبذوك

واعتلو كرسيَّ حكم نجدته الضعفاء

. . . .

وأدعى ارضك ملكاً وله طاب جناك
فسماك في يديه وثراك وهواك
وبنوك غرباء . أو عبيد ـ فهناك

قلب الإيمان كفرا
جعل الإحسان نكرا
ودماء منك هدرا

وإذا حيفاً شكوت فإلى السجن شكاك
قد صدمت في قواك دولة فوق الدول
كم فتى راح إربا من حراب أو أسل
وشباب ضاع ما بين رصاص (أو كلل)

ما عرفنا ما دهاه
أي قفر قد حواه
هل اتى ثم رداه

ام ترى قد هام في الآ فاق أفاقا يسل

. . . .

أفراراً من مماتٍ حرم النفع بلاده ؟!
طائعاً ما اختار ليث هجر غاب أو بعاده
خائبا بان ـ وحاشا تنبت الريف قتاده

بذر الصدق نواه
بالوفا ـ طاب ثراه
وسقاه ابواه

صوب إيمان وحق ثبت ، الله فؤاده

وقال في ذكرى عيد الغدير :

ما المرء غير لسانه وفؤاده والعقل خيرٌ دليله لرشاده
لا يغررنك من شباب بزةٌ مبيضة والجهل في ابراده
لبث اذا ارسلت اول نظرة تعلم بأن الغي جل مراده
انموذجا اعطيك من افعاله فاحكم ودونك بينات فساده
قد قلد الغربي في إغوائه ولوى عن الشرقي في ارشاده
وغدا يجبذ ترك دين جهرة قد انهض الأنجاد من اجداده
وغدا يخط بمزبر مستأجر يبغي الغواية جاحدا لمعاده
قصد السفور لكل كاعب غرة لم تدر ان النار تحت رماده
زعم الحجاب لمن ابعد غاية عن رشدهن فضل في إبعاده

* * *

لم ترتق الأوطان في سعدى ولا مُلكُ (الرشيد) بهن في بغداده
كلا ولم تجر الفتوح (لطارق) فيهن حيث دخلن في اجناده
والعلم في زمن (الأمين وصنوه) ما كان في الفتيات نهج رشاده
فثبي لرشدك يا شبيبة فانجدي لك موطنا فالعز في انجاده
وتسنمي المجد الجموح لترتقي فالحر من يبني العلى بنجاده
خلي مرادك يا شبيبة وابصري فالدين اجدر باتباع مراده
لا تسخري بالدين ان مناله صعب ودون مناك خرط قتاده
ملء القليب قليب بدر بالأولى راموا اقتلاع الدين من اوتاده
ومضى ابن ود لم تفده لدى الوغى احزابه كلا ولا ابن وداده
الدين سلّ على ابن حرب صارما فقضى على إعداده وعداده
رام ابن هند ان يعارض حيدرا (وهو الإمام) بارضه وبلاده

علم الإلـه بـان حيـدر سيفـه ولسـانـه في خلقـه وعبـاده

وامـينـه ووليـه ونـصـيـره ومفـرق الأحـزاب من اضـداده

نصر الإلـه بـنـفـسـه وبمـالـه وبـأكـرم الأنـجـاب من اولاده

بـطل اناف عـلى الورى في علمه وسـداده وجـهـاده وجـلاده

وسم الإلـه بـه خـراطيم العـدى فلوت عـلى بغـضـائـه وعنـاده

نـطق الكتاب بـه وفاض بمـدحـه وهـداه مـن ميـلاده لمـعـاده

وتكشفت غـرر المـواقف عن فتى جعـل الإلـه بـه الهـدى لعبـاده

اخـذ النبي بكـفـه وسـما بـه لله مـن داع سـما بـعـمـاده

هـذا عـلي فـإن من والاه قـد والى الإلـه وكـان مـن اجنـاده

لبـوا النبي وبخبخوا لـوصيـه وتـفـرقـوا عنـه بـيـوم بعـاده

مـالت بهم عنه لـوامـع فضله وبـروق صـارمـه وسمـر صعـاده

لا يـذهبن عـليكـم ان الهـدى فـيـه وفي الأفـذاذ مـن اولاده

ان تعضدوه فقد اخـذتم حظكم اولا فتلك الصيـد من اعضـاده

رفعـوا لـواء وكبـروا في نصـره وتـسـربلوا الادراع في إنـجـاده

عشقـوا الممات عـلى مذابح عـزه واستعـذبـوا الأحشـاد في وراده

السيد محمد بن السيد علي آل أبي شبانة البحراني

قرأ على فضلاء زمانه من أهل البحرين كالشيخ يوسف البلادي والشيخ حسين الماحوزي وغيرهما وله (تتمة الامل) الذي كتبه تتمة لكتاب الأمل للحر العاملي وله كتاب آخر بمنزلة الكشكول كتاب ادب وله فيه اشعار كثيرة . ويقول صاحب (انوار البدرين) : لم اقف له على ترجمة ، حتى منه في كتابه التتمة لم يذكر لنفسه ترجمة وينسب الأشعار التي فيه : لصاحب الكتاب ، فمن شعره قوله :

ابـا حسن لـولا اختيـاري ولايـة عـلقـت بهـا مـن تـكـويـن آدم

لـما كـان ينجيني انتسـابي لأحمـد ولا بـك كلا أو ثـلاث الفـواطم[1]

ومن شعره :

بـنى لنـا أحمـد بيتـاً دعـائمـه سمت على هامـة المريخ مع زحـل

وكـان قـدمـا لنـا من هـاشم نسب يعلو عـلاه عـلى الافـلاك والحمـل

فـلا ابـالي وأن اضحت معـاقـدة دنيـاً تحـاربني بـالبيض والأسـل

كـفـى بـاني مـن اولاد حيـدرة وفـاطم وابيـهـا سيـد الـرسـل

ومن شعره :

اقـلّ عـن مـلامـك والـعـتـاب ولا تـعـزي بتـمـويـه الخـطاب

لقـد سافـرت عن وطني وقـومي إلى أن مـل اصـحـابي ذهـابي

وطفت عـلى الـبـلاد فـما تـراءي اليّ سـوى ذئـاب في ثـيـاب

لقـد ضـاقت عـليّ الأرض حـتى رضيت مـن الغـنـيمـة بـالأيـاب

وايـام الـعـذيـب تـبـدلـت لي بـأيـام أشر مـن الـعـذاب

فـلي حظ كـخـافـقـة الـغـراب ولي عـرض كـأيـام الـشـبـاب

أنـا الـرجـل الـذي لم اثن عـزمي عن المعروف في النـوب الصعاب

سـل الـدار الـتي شط التنـائي بهـا هـل نـاب سـاكنهـا منـابي

الشيخ محمد صدوقي

ولد في مدينة يزد سنة ١٣٢٧ واغتيل سنة ١٤٠٢ في يزد ودفن فيها .

نشأ في احضان اسرة علمية عريقة ، فوالده الميرزا أبو طالب كان من أبرز علماء يزد .

[1] فاطمة ام عبد الله وابي طالب وفاطمة ام امير المؤمنين وفاطمة الزهراء .

يرجع بنسبه إلى الشيخ الصدوق صاحب كتاب « من لا يحضره الفقيه » . بدأ دراسته على علماء يزد ثم هاجر إلى اصفهان فواصل دراسته فيها ، ثم انتقل إلى قم متابعاً الدراسة ، ثم صار مدرساً بارزاً بين مدرسي الحوزة العلمية في قم . وهناك توثقت الصلة بينه وبين السيد الخميني ثم دعاه ابناء مدينة يزد إلى العودة .

ولما نفي السيد الخميني إلى النجف الأشرف ، ثم انتقل بعد ذلك إلى قرب مدينة (باريس) كانت نداءاته وبياناته تصل أكثر ما تصل إلى صديقه القديم (الصدوقي) في يزد ، ومن هناك تنتشر في أنحاء ايران ولما بدأت حركة الثورة الاسلامية تشتد داخل ايران ، اصدرت حكومة الشاه في أحد الأيام أمراً بمنع التجول فتحدى الشيخ الصدوقي امر المنع وخرج متجولاً مع جماعة من الناس .

ولما هاجم النظام العراقي ايران تولى المترجم توعية الناس واثارة الحماسة في نفوسهم لصد العدوان الغادر . ثم اخذ يتنقل في مناطق العمليات العسكرية حاضاً المجاهدين على الثبات والصمود لا سيما في عمليات (بيت المقدس) التي انتهت بتحرير مدينة (خرمشهر) .

ولما هاجمت اسرائيل لبنان سنة ١٩٨٢ كان مما قاله : لقد سمعنا صوت الشعب اللبناني المظلوم ولبينا النداء لمساعدته فوراً في قتال الصهيونية العالمية ، رغم استمرار الحرب المفروضة علينا ، ونعلن أننا لن يهدأ لنا بال ما لم نقض على جذور الظلم والبغي في المنطقة .

الشيخ محمد علي الأردوبادي

مرت ترجمته في المجلد التاسع الصفحة ٤٣٨ ونضيف إليها ما يلي :

هو الشيخ محمد علي بن الميرزا أبي القاسم بن محمد تقي بن محمد قاسم الأردوبادي التبريزي النجفي .

ونسبته إلى أردوباد ، مدينة تقع على الحدود بين آذربايجان والقفقاز ، قرب نهر أرس .

وكانت ولادته في تبريز في ٢١ رجب سنة ١٣١٢ هجرية .

وأتى به والده إلى النجف بعد عودته إليها في حدود سنة ١٣١٥ فنشأ عليه ووجّهه خير توجيه .

قرأ مقدّمات العلوم على لفيف من رجال الفضل والعلم ، وحضر في الفقه والأصول على والده ، وشيخ الشريعة الاصفهاني ـ وقد أخذ عنه الحديث والرجال أيضاً ـ والسيّد ميرزا علي الشيرازي ، وفي الفلسفة على الشيخ محمد حسين الاصفهاني ، وفي الكلام والتفسير على الشيخ محمد جواد البلاغي ، ولازم حلقات دروس مشايخه الثلاثة المتأخّرين أكثر من عشرين سنة . وبرع في الشعر والأدب العربيين وتضلع في التاريخ والسير وايام العرب ووقائعها . توفي سنة ١٣٨٠ في النجف الأشرف .

له : كتاب ضخم في ستّ مجلدات على نهج الكشكول ، فيه الكثير من الفوائد التاريخية والرجاليّة والتراجم والتحقيقات .

و « حياة إبراهيم بن مالك الأشتر » مختصر نشر في آخر « مالك الأشتر » للسيد محمد رضا بن جعفر الحكيم المطبوع في طهران سنة ١٣٦٥هـ .

و « حياة سبع الدجيل » في ترجمة السيد محمد ابن الامام عليّ الهادي عليه السلام صاحب المشهد المشهور في الدجيل قرب بلد ، طبع في النجف أيضاً .

و « سبيك النضار في شرح حال شيخ الثار المختار » .

و « الردّ على ابن بليهد القاضي » وهو ردّ على الوهابيّين طبع .

و « الأنوار الساطعة في تسمية حجّة الله القاطعة » .

و « منظومة في واقعة الطف » .

و « منظومة في مناضلة أرجوزة نيّر » جارى بها ألفيّة الشيخ محمد تقي التبريزي المتخلص بنير ، وقد بلغت « ١٦٥١ » بيتاً .

و « عليّ وليد الكعبة » طبع في النجف عام وفاته ١٣٨٠ مع مقدّمة لسبطه السيد مهدي ابن الميرزا محمد ابن الميرزا جعفر ابن الميرزا محمد الشيرازي .

و « حياة الإمام المجدّد الشيرازي » في ترجمة السيد الميرزا محمد حسن المتوفّى سنة ١٣١٢ ، وهو يشتمل على تراجم كثير من تلاميذه ومعاصريه .

و « سبك التبر فيما قيل في الامام الشيرازي من الشعر » في « ٦٠٠ » صفحة ، ترجم فيه لشعرائه ومادحيه مع إيراد قصائدهم مرتّبة على حروف الهجاء .

و « ديوان شعر » عربي ، معظمه في مدح آل البيت ورثائهم ، ومراثي العلماء والعظماء وفي سائر الأغراض الأخرى ، ويبلغ مجموع نظمه أكثر من ستة آلاف بيت .

و « التقريرات » في الفقه والأصول وغيرهما ، كتبها من تقريرات مشايخه وآخر آثاره « تفسير القرآن » خرج جزؤه الأول فقط .

الشيخ محمد علي بري ابن الشيخ أحمد

ولد في بلدة تبنين (جبل عامل) وهاجر قبيل الحرب العالمية الأولى إلى ديترويت ميشغن في الولايات المتحدة الامريكية والتحق للعمل في معامل فورد للسيارات وظل هناك حتى مطالع شيخوخته فعاد إلى بلده تبنين وفيها توفي .

قال يصف حياته في معامل فورد :

معامل « فورد » قد طويت بها عمرا ... الأهل ارى بعد الزوال له نشرا
قطعت بها العشرين كرها كأنني ... اسير يمج الماء من فمه صبرا
وقاسيت اتعابا بصدري مريرة ... وهيهات اشفي من مرارتها الصدرا
وما مر يوم في الزمان مساعف ... على اليسر الا قد لقيت به عسرا
تخال شباب العرب قبل وصولها ... الى النار تشوى من مداخنها الصفرا
فهذا عليل يائس من شفائه ... وذاك يداوى من اذاها ولا يبرا
وقالوا اصطبر بعد العناء لمهجر ... لعلك تشرى او تنال به اجرا
صبرت على ضيمي وصبري وراءه ... معاول شقت في التراب لي القبرا

محمد بن علي الشيباني (٤)

عماد الدين أبو جعفر وأبو الفضل محمد بن علي بن محمد بن علوان بن علي بن حمدون بن علوان بن المرزبان بن طارق بن يزيد بن قيس بن جندب بن عمرو بن يحيى ابن مرّة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة ، الشيباني السوراثي ، الفقيه الشاعر المقرىء.

هكذا عنونه ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب ج ٤ ق ٢ ص ٨٣١ برقم ١٢١٨ وقال في ترجمته :

كان أديباً فاضلاً وفقيهاً شاعراً، حسن الشعر، طيّب الإنشاد، فصيح الإيراد، كريم الأخلاق والشيم، ممتع المحاضرة والمذاكرة، كثير المحفوظ، حسن المحاورة ، كتبت عنه، وكان يُنعم ويشرّفني إلى منزلي، وكتب لي الإجازة نظماً. وتوفّي ثالث عشر رجب سنة ٧٠٦ ودفن بمشهد علي.

وترجم له أيضاً في نفس الجزء ص ٨٣٧ برقم ١٢٢٦ وكنّاه أبا عبدالله فقال:

عماد الدين أبو عبدالله محمد بن علي بن محمد بن علوان الشيباني الحلّي الفقيه المقرىء الأديب.

يعرف بـ (ابن الرفاعي) من أكابر العلماء وأفاضل الأدباء والفقهاء، كتبت شعره في (أشعار أهل العصر) وممّا أنشدني وهو متوجّه إلى زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) . . .

وأورد له ابن الشهرزوري الموصلي في مجموعته المخطوطة - في الورقة ١١٤ بما بعدها - قصيدة غديرية في مدح أمير المؤمنين (عليه السلام)، وعبّر عنه بـ (نصير الحقّ والدين ابن علوان) .

كما أورد له في نفس المجموعة - في الورقة ١٤٦ - قصيدة في رثاء الحسين (عليه السلام) صاغها تخمسياً للاميّة العجم المعروفة ووصفه بـ (ابن علوان الرفاعي الربعي البغدادي) .

هذا ما استفدناه من المجموعة المخطوطة التي جمعها السيد عبدالعزيز الطباطبائي في تراجم المنسيّين والمغمورين من السابقين، وهي مجموعة ضخمة قوامها أضابير عديدة. وفّقه الله لتبييضها وطبعها.

وعن مجموعة ابن الشهرزوري ننقل هذا التخميس.

والنسخة التي عندنا تختلف في بعض الألفاظ مع رواية ياقوت للاميّة العجم، وقد صحّحنا قسماً منها على رواية ياقوت بعد أن وضعنا الكلمة الصحيحة بين عضادتين وأشرنا إلى ذلك في الهامش. وكذلك فعلنا في الألفاظ التي استظهرنا خطأها وصحّحناها . وتركنا ما له وجه من الصحّة على حاله .

قال الشيخ الإمام العالم الأديب الفاضل عماد الدين أبو جعفر محمد بن علي بن علوان الرفاعي الربعي البغدادي - رحمه الله تعالى - يرثي مولانا وسيّدنا الإمام السبط الشهيد أبا عبدالله الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام)، ممّا وشّح به لاميّة الطغرائي رحمه الله:

لولا إبائي بنفسي عن ذوي البُخُلِ ... وصون مدحي عن الأنذالِ والسفلِ
ما كنتُ أُنشِدُ والآفاقُ تشهدُ لي ... (أصالةُ الرأيِ صانتني عن الخَطَلِ
وَحِلْيَةُ الفضلِ زانتني لدى العَطَلِ)

صبراً فليس لما قد فات مُرتَجَعُ ... فالصبرُ ينفعُ إذا لا يَنفعُ الجزَعُ
والدهرُ يخفضُ أقواماً وإن رفعوا ... (مجدي أخيراً ومجدي أولاً شَرَعُ
والشمس رَأْدَ الضحى كالشمسِ في الطَفَلِ)

ليواعجُ الشوقِ تطويني وتنشرُني ... إلى بلادي [و]من خلّفتُ في وطنيَ
واطولَ شوقي! وواوجدي! وواحزني! ... (فيم الإقامة بالزوراء، لا سكني
بها ، ولا ناقتي فيها ولا جَمَلي ؟)(١)

مثل الحُسين بأرضِ الطَّفِّ حين غدا ... لهفي عليه، وحيداً بين جمع عِدا
لا يرقبون لديه ذِمّةً أبدا ... (ناءٍ على الأهل صِفْرُ الكفِّ منفرد[ا]
كالسيفِ عُرّيَ مَتْناهُ عن الخِلَلِ)(٢)

يشكو إلى الله ما يلقى من المِحَنِ ... ويحتمي بِظُبا الهنديّ واللدنِ
يقول : هل ناصرٌ لله ينصرني ؟ ... (فلا صديق إليه مُشتكى حَزَني
ولا أنيسٌ لديه مُنتهى جَذَلي)

(٤) بقلم اسد مولوي .

(١) الواو بين المعقوفتين يقتضيها السياق .

(٢) في المخطوط (منفرد) والألف تقتضيها القافية .

مــاذا أردتم ـ لُعِنتم ـ من مكــاتبتي   أبعــد تُمْــوِيَ عن جَــدّي ومنــزلتي
بــرحلةٍ قَتَــلَتْ أهــلي وقــاطِبتي   (طــال اغــترابي حتى حَنَّ راحلتي
ورحلُها وقَرا العَسّالةِ الذُّبَّلِ)

كم قــد سفكتم لأبنــاءِ النبيِّ دَمــاً   وكم أبحتم لــه في كــربــلا حُــرَمــا
وقلتُ للصحب : عــادَ الدينُ مُبتدِيــاً   (فَسِرْ بنــا في ظلامِ الليلِ مُهتديــاً
فنفحةُ الطيب تَهدينا إلى الحِلَلِ)

فجــاءتِ الخيــلُ منكمْ وَهْيَ راكضــةٌ   والعهــدُ والــدينُ والأيمــانُ نــاقضــةٌ
وفي دِمــا خــيرِ خلقِ الله خــائضــةٌ   (فــالحِبُّ حيث الردى والأُسْــدُ رابضةٌ
حولَ الكِناسِ لها غابٌ من الأَسَلِ)

لَبِئْسَ مــا شاهَــدتْ عيني ومــا لَقِيَتْ   منكمْ ومن بعــدِكُمْ يــا ليتَ لا بَقِيَتْ
يــا قومِ جــدّوا فــإنّ النفسَ قــد شَقِيَتْ   (نَــؤُمُّ نــاشئــةً بــالجِــزْعِ قــد سُقِيَتْ
نصالُها بمياهِ الغَنْجِ والكَحَلِ)

جنّــاتُ عَــدْنٍ كساهــا الله ثُــوبَ بَهــا   عَــدُونــا لجــحــيــمِ والــوَليُّ بِهــا
بهــا تَــوَلّــةَ أربــابُ الــصفــا وَلَهــا   (قــد زاد طيبَ أحاديثِ الكرامِ بِها
ما بالكرائمِ من جُبْنٍ ومن بَخَلِ)

عُــوجوا عليهــا ولا تَلْووا عــلى أحــدٍ   فــالعيشُ في نَغَصٍ والــدهــرُ في نَكَــدِ
قتلتمــونــا عــلى بُعْــدٍ وعُــظْمِ ظَمَــا   (وَضَــجَّ مِن لَغَبٍ نضوي ، وَعَــجَّ لمــا
ولي تَــأَسٍّ بيحيى وهــو خــيرُ [وَلِيّ]   (وذي شَطاط كعقدِ الرمحِ مُعْتَقِلِ
لمثلِهِ غيرَ هَيّاب ولا وَكَلِ)(١)

شقيقيَ الحسنُ المسمــومُ من فُــرِجتْ   لفقــدِهِ الأرضُ والأفــلاكُ وانــزعجتْ
والنفسُ بعدَ أخي ـ العبّاسِ ـ ما ابتهجت   (حلو الفكــاهــةِ مــرّ الجِــدِّ قــد مُزِجتْ
بقسوةِ البأسِ منه رقةُ الغَزَلِ)

فجعتمُ المصــطفى الهــادي بعتــرتــهِ   قــتــلى وأسرى لكــمْ ، يــا شرَّ أمّتِــهِ
وابــني عــليٍّ فلولا عُــظْمُ مــرضتِــهِ   (طــردتُ سَرْحَ الكَرى عن وردِ مقلتِهِ
و[الليلُ] يغري سَوامَ النوم بالمُقَلِ)(٢)

غــادرتــم الله والمــختــارَ في غــضــبٍ   والأنبيــاءَ وأهــلَ الحــقِّ في حَــرَبِ
أتــقــتلونــا بــلا ذنــبٍ ولا سببٍ!؟   (والركبُ ميلٌ عــلى الأكوارِ من طربِ
صاحٍ وآخرُ من خمرِ الهوى ثَمِلِ)

أدعــو الشقيَّ ابنَ سعدٍ كي يساعــدَني   وقــد جــرى الــدمُ من رأسي ومن بــدني
دعــوتُ نــذلاً لئيــماً لا يجــاوبــني   (فقلتُ : أدعــوك للجُــلّى لتنصرَني
وأنت تخذُلُني في الحادثِ الجَلَلِ)(٣)

جيــوشكم بــإلــهِ العــرشِ كــافــرةٌ   دُنيــا طلبــتم فـفــاتــتكــمْ وآخِــرةٌ
لَــتَنــدَمَنَّ إذا ضَــمَّــتْــكَ ســاهِــرةٌ   (تنــامُ عني وعــينُ النجمِ ســاهــرةٌ
وتستحيلُ وصِبغُ الليلِ لم يَحُلِ)(٤)

فقــال كــلُّ امــرِئٍ منهم لصــاحبــهِ   هــذا الحــسينُ أتــانــا في أقــاربــهِ
وعــزمُنا الفتــكُ فيــه مــع حبــائبــهِ   (فهــل تعــينُ عــلى غَيٍّ هممتُ بــهِ
والغيُّ يصرف أحياناً عن الفَشَلِ)(٥)

فَجَــرِّدُوا كــلَّ عَضْــبٍ صــارمٍ خَــذِمِ   وأقبلوا نحــو خــيرِ العُــرْبِ والعَجَمِ
مــاذا تريــدُ ؟ فقال السبطُ ذو الكــرمِ :   (إنّي أريــدُ طُروقَ الجِــزْعِ من إضَمِ
وقد حمتْهُ حُماةُ الحَيِّ من ثُعَلِ)

قلتُمْ لنــا : الدينُ أضحى من جوانبِــهِ   قــد هُــدَّ ، والكفــرُ في أعــلى مــراتبِــهِ
وجئتُم بــابــنِ سعــدٍ في كــتــائبِــهِ   (يحمون بالبيضِ والسمرِ اللّدانِ بِهِ
سودَ الغدائرِ حُمْرَ الحَلْيِ والحُلَلِ)

أجبتُكُم بــرســولِ الله مُــقــتــديــاً   والعدلَ والفضلَ والمعروفَ مــرتــديــاً
يلقي رِكابي ، وَلَجَّ الركبُ في عَذَلي)

مــا نَهى عن بني الزهــراءِ نــورُ نُهى   بقتلِهِم قــد مــلأتُم قلبَهــا وَلَهــا
تيتُ أطلبُ حقّــاً ليس مشتبِهــا   (أريــد بــســطة كفٍ أستعــينُ بهــا
على قضاءِ حقوقٍ للعُلا قِبَلي)

خــرجتُ لــلأمــرِ بــالمعروفِ من وطني   والنهي عــن منــكَــرٍ والله يــأمــرني
نجــاء يخــذُلُــني مــن كــان ينصرُني   (والــدهــرُ يعكس آمــالي ويُقْنِعُني
من الغنيمة بعدَ الكَدِّ بالقَفَلِ)

إن تــظلموني فجَــدّي خــاتمُ الرسُــلِ   غــريمُكــم وأمــيرُ المــؤمنــين عَــلي
ولا تمــيــلوا عــلى حــيٍّ ولا بَــلَــدٍ   (تَــبِيتُ نــارُ الهــوى منهنّ في كَبِدٍ
حَرّى ونارُ القِرى منهم على القُلَلِ)

أمــرُ الغــرامِ مُــطاعٌ في تَــقَــلُّبِهــا   فــلا يفيــدُ نُهىً عــن حبِّ تــلكَ بهــا
بهــا أسودُ شَــرىً غُلْبٌ وَفَتْكُ مَهــا   (يَقْتُلْنَ أنضــاءَ حُبٍّ لا حَــراكَ بهــا
وينحرون كرامَ الخيلِ والإبلِ)(٦)

نــأيتُ عنهم وقلبي في رُبــوعِهــمُ   مــقــيّــدٌ مــغــرمٌ صَبٌّ بــحــبِّــهِــمُ
ومــا لــدائــي دواءٌ غــيرُ وَصْــلِهِــمُ   (يُشفى لــديــغُ العــوالي في بيــوتهمُ
بنهلةٍ من غديرِ الخمرِ والعَسَلِ)

تَــرَقّــبُــوا دولــةَ المهــديِّ دانــيــةً   تجلو قلوبــاً لأهــلِ الحقِّ صــاديــةً
لا تــأيسوا هــذه الآيــاتِ بــاديــةً   (لعــلّ إلمــامــةً بــالجِزْعِ ثــانيــةً
يدبُّ منها نسيمُ البُرْءِ في عللي)

إنّي إذا بــدتِ الآيــاتُ ، وارتــفعتْ   أنــوارُهــا تمــلأ الآفــاقَ إذ لمــعتْ
وأدبــرتْ دولة الكفّــارِ وانقشعتْ   (لا أكرهُ الطعنةَ النجلاءَ قد شُفِعَتْ
برشقةٍ من نبالِ الأعينِ النُّجُلِ)

وآخــذ الثــأرَ من ضــدٍّ يعــانــدُني   في حُبِّ آلِ الحسينِ الــطُّهْــرِ والحَسَنِ
وأصطلي الحربَ بــالهنديِّ واللدنِ   (ولا أهــابُ الصِّفــاحَ البيضَ تُسعِدُني
باللَّمحِ من صَفحاتِ البيضِ في الكِلَلِ)

ولا أحــولُ إذا مــا حــال بي زمــني   لكنْ أصُــولُ ولــو أدرجتُ في كفني
ولا أُبَــقّي عــلى أُسْــدٍ تُــنــازلُــني   (ولا أخِــلُّ بــغــزلانٍ تــغــازلُــني
ولو دهتني سُودُ الغِيْلِ بالغِيَلِ)

أتــقتلونَ حُسيناً مَعْ مَنــاقبِــهِ !   واحسرتــاه مــذوداً عــن مشــاربِــهِ
لهفي لــه حــين يدعو مَعْ مصــاحبِــهِ   (حُبُّ السلامةِ يَثْني عزمَ صــاحبِــهِ
عن المعالي ويُغري المرءَ بالكَسَلِ)

صبراً ولا تنكلوا جبناً ولا فرقاً   صبراً يقد الظبا والبيض والدرعا
فكيف أطلب في دار الفناء بقا   (وإن جنحت اليها فاغذ نفقا في أرض
سابِقْ إلى قَصَباتِ السَّبْقِ واسمُ عُلا   فــالطعنُ في أعينٍ والضربُ فوقَ طُلى
وإنْ عــدلتَ بنفسٍ في البِــلى بِبَــلا   (وَدَعْ سبيــلَ العُــلا للمقدمــين عَــلى
ركوبِها واقتنعْ منهن بالبَلَلِ)

(١) في المخطوط (نبي) والقافية تأباها ، وما أثبتناه ملائم للقافية .
(٢) في المخطوط (النوم) وما أثبتناه من معجم الأدباء .
(٣) ابن سعد ، هو عمر بن سعد .
(٤) في المخطوط (عنّي) وفي معجم الأدباء (عيني) وكلّ منها في سياقه مقبول .
(٥) في المخطوط (شيء) وفي معجم الأدباء (غيّ) .
(٦) في الشطر الثاني من التخميس وردت عبارة (تلك بها) وهي واضحة في المخطوط ، ولعلّ صحّتها (ذات بَها) أي ذات بهاء .

تهوى العُلا وسبيلُ المجدِ تبغضُهُ   كمبتنٍ لبناءٍ وهو ينقضُهُ
لا ترضَ بالدونِ من دُنياك تقبضُهُ   (يرضى الذليلُ بخَفْضِ العيشِ يحفظُهُ
والعِزُّ عند رسيمِ الأَيْنُقِ الذُّلُلِ)

لا تتركِ النفسَ في الأهواء غافلةً   وخذْ لدينِكَ من دنياكَ نافلةً
وَحَثْحِثِ العيسَ نحوَ العِزِّ قافلةً   (وادرأ بها في نُحورِ البيدِ جافلةً
معارضاتٍ مَثاني اللُّجْمِ بالجُدُلِ)

واعلم بأنّ ذُرى العلياءِ رائقةٌ   بحبِّها أنفسُ العُشّاق وامِقةٌ
ولا تَعُقْكَ عن الإدلاجِ عائقةٌ   (إنّ العُلا حدّثتني ـ وهي صادقةٌ
فيما تحدّثُ أنّ العِزَّ في النُّقَلِ)

فَخُذْ لنفسِكَ عن دارِ الفَنا وطنا   فكيف تظفرُ في دار الفنا بهَنا
ولا تَقُلْ مَسكناً فارقتُ أو سَكَنا   (لو كان في شرفِ المأوى بلوغُ مُنى
لم تبرحِ الشمسُ يوماً دارةَ الحَمَلِ)

فالحظُّ والفضلُ في دنياك ما جُمِعا   لواحدٍ من جميعِ العالمين معا
ولو أجابا جواباً أو لَوِ انخدعا   (أهَبْتُ بالحظِّ لو ناديتُ مستمعا
والحظُّ عَنِّيَ بالجُهّالِ في شُغُلِ)

أنا الحُسينُ بِجَدّي الطهرِ فُقْتُهُمُ   والعدلُ والصدقُ والمعروفُ حُزْتُهُمُ
والدهرُ حربٌ لأمثالي وسِلْمُهُمُ   (لعله إنْ بدا فضلي ونَقْصُهُمُ
لعينهِ نامَ عنهم أو تَنَبَّهَ لي)

كواهلي بعدَ خَفِّ الحَمْلِ مُثقَلةٌ   وحالتي عندَ إهلِ الجهلِ مُهملَةٌ
فإن تَوَلَّتْ حياتي وهي مُرقِلَةٌ   (لم أرضَ بالعيشِ والأيّامُ مُقبلَةٌ
فكيف أرضى وقد وَلّتْ على عَجَلِ)

صَفَتْ مواردُ شتّى كنت أشربُها   عِزّاً ، ولستُ بذُلِّ النفسِ أقْرَبُها
رجاءَ نعمةِ ربّي منه أطلبُها   (أعلّلُ النفسَ بالآمالِ أرقُبُها
ما أضيقَ العيشَ لولا فُسحةُ الأَمَلِ)

أبي عليٌّ ونفسي جَلَّ شيمتُها   كلُّ المحامدِ من أبعاضِ قيمتِها
أضحَتْ ترى القتلَ من أسنى مراتِبها   (غالى بنفسيَ عرفاني بقيمتِها
فصُنْتُها عن رخيصِ القدرِ مُبْتَذَلِ)

فلا أطيعُ يزيداً في تكبّرِهِ   إذ ساءَ في وِرْدِهِ قِدْماً ومَصدرِهِ
أنا ابنُ من ليس في الدنيا كمفخرِهِ   (وعادةُ النصلِ أنْ يُزهى بجوهرِهِ
وليس يعملُ إلّا في يدِ البَطَلِ)

خلافةُ الله إرثي من أخي الحسنِ   عن والدي ثمّ جَدّي ، أنتمُ بمَنِ ؟
يزيدُ يحكمُ في مالي وفي بدني !   (ما كنتُ أوثرُ أن يمتدّ بي زمني
حتى أرى دولةَ الأوباشِ والسَّفَلِ)

لا خيرَ في العيشِ مَعْ قومٍ عقولُهُمُ   كدينِهِمْ في البرايا ناقصٌ وَهُمُ
أنا ابنُ مَن عَمَّ خَلْقَ الله فضلُهُمُ   (تقدمتني رجالٌ كان شوطُهُمُ
وراءَ خطويَ إذْ أمشي على مَهَلِ)

عن نصرِنا إذ دخلنا مِصْرَهم خرجوا   فليس لي في حياتي مَعْهُمُ فَرَجُ
فإنْ أمُتْ منهمُ غُبناً فلا حَرَجُ   (هذا جزاءُ امرِيءٍ إخوانُه دَرَجوا
من قبلِهِ وتمنى فُسْحَةَ الأجَلِ)[1]

نفوسُنا بالظُّبا والسمرِ تُسْتَلَبُ   نساؤنا كسبايا الرومِ تُنْتَهَبُ
فابكوا علينا دماً يا قومُ وانتحبوا   (وإنْ علاني مَن دوني فلا عَجَبُ
لي أُسوةٌ بانحطاطِ الشمسِ عن زُحَلِ)

فإنْ نَصيرٌ في البرايا عِبْرَةَ العِبَرِ   كما بدا سيعودُ الدينُ فاعتبرِ
بنا ومنّا وفينا سيِّدُ البشرِ   (فاصبرْ لها غيرَ محتالٍ ولا ضَجِرِ
في حادثِ الدهرِ ما يُغني عن الحِيَلِ)

فجئتُ إذ شَدَّتِ الكفّارُ وابتهجتْ   إلى قتالي وبابَ الغدرِ قد ولجتْ
وليس في أمرنا شيء بمشتبِهِ   فيما مضى والذي لم يأتِ فانتبِهِ
ولا تصاحبْ رفيقاً إنْ وَلِعْتَ بِهِ   (أعدى عدوِّك أدنى مَن وثقتَ بِهِ
فحاذرِ الناسَ واصحبْهُمْ على دَخَلِ)

كُتْبٌ مطوّلةٌ جاءت وموجزةٌ   أنْ سِرْ إلينا فإنّ الأرضَ مُحْرَزَةٌ
وَحَسِّنِ الظنّ فالأيّامُ منجِزَةٌ   (وحُسْنُ ظَنِّكَ بالأيّامِ مَعْجَزَةٌ
فَظُنَّ شَرّاً وكنْ منها على وَجَلِ)

فقلتُ : أيمانُكُمْ ما بالها فُلِجَتْ ؟   (غاضَ الوفاءُ وفاضَ الغدرُ وانفرجتْ
مسافةُ الخُلْفِ بينَ القولِ والعَمَلِ)

أجابني الحُرُّ : إنّ القومَ رَبُّهُمُ   عليهمُ ساخطٌ إذ جلَّ ذنبُهُمُ
بدا لهم بغضُكُمْ والضدُّ حبُّهُمُ   (وشانَ صدقَكَ عندَ الناسِ كذبُهُمُ
وهل يطابَقُ مُعْوَجٌّ بمعتدِلِ)

فاقتلْ لمن يَتَعدّى من طغاتِهِمُ   ولا تُبَقِّ بِحالٍ من بُغاتِهِمُ
فلستَ ترجو سروراً من سَراتِهِمُ   (إن كان يَنْجَعُ شيءٌ في ثباتِهِمُ
على العهودِ فسَبْقُ السيفِ للعَذَلِ)

قُل لابنِ سعدٍ : لحاكَ الله ياعمرُ   قتلتَ قوماً بهم جبريلُ يفتخرُ
حَصَلْتَ في شرِّ نارٍ كلُّها شَرَرُ   (يا وارداً سؤرَ عيشٍ كلُّهُ كَدَرُ
أنفقتَ عمرَكَ في أيّامِكَ الأُوَلِ)

أتسخطُ الله وَالمختارَ تغضِبُهُ   بقتلِ أبنائِهِ طُرّاً تحاربُهُ
والآلُ والمالُ تسبيهِ وتنهبُهُ   (فيم اعتراضُكَ لُجَّ البحرِ تركبُهُ
وأنتَ يكفيكَ منه مَصّةُ الوَشَلِ)

غادرتَ سبطَ رسولِ الله منجدِلا   طلبتَ مُلْكاً كساكَ الله ثوبَ بَلا
ولو قنعتَ لزادَ الله فيكَ عُلا   (ملْكُ القناعةِ لا يُخشى عليهِ ولا
يُحتاجُ فيه إلى الأنصارِ والخَوَلِ)[3]

ويلٌ لمن حاربَ ابنَ المصطفي ولَها   عن نصرِهِ وتعدّى أمرَهُ وَلَها
يا بائعَ الدينِ بالدنيا وأخذِ لُها   (ترجو البقاءَ بدارٍ لا بقاءَ لها
فهل سمعتَ بظلٍّ غيرِ منتقِلِ)

كنْ مسلماً صانَ عهدَ المصطفى ورعى   في آلهِ وبنيهِ وادَّخِرْ وَرَعا
ولبَّ عبدَ بني الديّانِ حين دعا   (ويا خبيراً على الأسرارِ مطّلِعا
أُصْمُتْ ففي الصمتِ مَنجاةٌ من الزَلَلِ)[4]

أدِمْ مُفَصَّلَ حَمْدٍ ثمّ مُجْمَلَهُ   لمن لخلقِكَ بالإيمانِ حَمّلَهُ
ثمّ الصلاةُ لمن بالحقِّ أرسلَهُ   (قد رشّحوكَ لأمرٍ إنْ فطنتَ لَهُ
فاربأْ بنفسِكَ أن ترعى مع الهَمَلِ)

محمد علي الحوماني

ولد حوالي سنة ١٣١٥ (١٨٩٦)م . في قرية حاروف (جبل عامل)

(١) في المخطوط : (رحلوا) ، و(درجوا) في معجم الأدباء ، وهي المناسبة لقافية المخمّس .

(٢) الحُرّ ، هو ابن يزيد الرّياحيّ .

(٣) في المخطوط : (تلك القناعة) وما أثبتناه من معجم الأدباء .

(٤) أشار الشاعر بقوله « عبد بني الديّان » إلى نفسه ، حيث عدّ نفسه عبداً للعترة الطاهرة ، الّذين هم بنو الديّان ويعني بالديّان الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وتوفي سنة ١٩٦٤م في بيروت ودفن في حاروف تعلم الخط والقراءة على أبيه وأخيه الشيخ حسين ثم دخل المدرسة الابتدائية في النبطية ثم مدرسة السيد حسن يوسف في البلدة نفسها فدرس فيها علوم اللغة العربية . وفي نهاية الحرب العالمية الأولى وابتداء الاحتلال الفرنسي للبنان عين معلماً لمدرسة شقراء سنة ١٩٢٠م . ثم تنقل في عدة قرى حتى استقر في النبطية ، وكانت قد تفتحت شاعريته وبدأ ينظم الشعر . وهنا في النبطية خطا خطوته الأولى في تملق النافذين الأثرياء استدراراً لأموالهم ، فنظم في أحدهم قائلاً من قصيدة :(١)

من فيض كفك هذا البحر منفجر	ومن سمائك هذا الغيث منهمر
يا تاركاً حصب الغبراء تحسده	عليك فوق السماء الأنجم الزهر
هل ابصروك على عرش العلى ملكا	اكليله الكلم المنظوم لا الدرر

وبقدر ما كان يسر الناس بروز شاعرية هذا الشاعر ، كان يؤلمهم ان يسلك في شاعريته تلك السبل المزرية ، ثم يكرر القول في الشخص نفسه قائلاً من قصيدة :(٢)

كأن جبين (يوسف) وهو فيهم	هلال بالنجوم الزهر حفا
روى عنه الحيا كرماً فأمست	غواني المكرمات تميس عطفا

ونلاحظ دائماً في هذا الشعر التركيز على (فيض الكف) في القطعة الأولى ، (والكرم) في القطعة الثانية استنهاضاً للممدوح على أن تفيض كفه وينهل كرمه (كالحيا) لتتحقق اهداف الشاعر من نظم هذا الشعر . ولا شك أن الكثير من اهدافه قد تحقق بدليل أنه ظل مسترسلاً في هذا الضرب من الشعر موجهاً إلى الممدوح نفسه(٣)

اتى العيد يرفل لكن بما	كسته المحامد من يوسف
ترى المسنتين لدى بابه	عكوفا بالسنة هتف
تنادي الجواد ابا حاتم	وتدعو الحليم ابا الأحنف

« فالمسنتون » ـ وهو بالطبع منهم ـ عاكفون على باب الممدوح والسنتهم هاتفة في ذاك الباب ، ولا شك أن الشاعر كان اعلاهم صوتاً في الهتاف بشعره ، والشاعر صريح ببيانه حقيقة ذلك الهتاف بقوله ان تلك الأصوات ، ـ وصوته في أولها ـ كانت تنادي (الجواد ابا حاتم) وحين تنادي الجواد ابا حاتم فمعنى ذلك أنها كانت تطالب بعطاياه ولئلا يغضب الممدوح لعلو تلك الأصوات وصخبها فهي تدعوه في الوقت نفسه (الحليم ابا الاحنف) وقد شجعت العطايا هذا الشاعر على أن يزداد استرسالا في الوقوف على باب الممدوح ، وان يعلن بصراحة ما بعدها صراحة بأن الكدية هي مهنته ، وأنها ما دامت مهنته فهو يقول ويكرر في قوله بدون أي حياء أنه يعكف على الأبواب ويجتدي الأكف(٤)

من العيد أن نجتلي وجهه	هلالا يتم ولا يخسف
من العيد أن نجتدي كفه	ندى وعلى بابه نعكف

والواقع أنه لم يعرف المدح في الشعر العربي مثل هذه الوقاحة التي لا يخجل صاحبها من أن يقول : (نجتدي كفه) (وعلى بابه نعكف) وكان من يطالب بالعاطايا في الماضين يلمح إلى ذلك تلميحاً خفيفاً خجلاً واستحياء ، اما هذ الشاعر فلا يخجله شيء .

(١) ديوان الحوماني الصفحة ١٠٢ .

(٢) الصفحة ١١٠ .

(٣) ديوان الحوماني الصفحة ١٢٠

ثم رأى أن العكوف على باب هذا الممدوح وحده ، واجتداء كفه دون غيره من الأكف لا يحقق مطامحه والطموح اشكال ، فهو كما يكون في معالي الأمور يكون كذلك في الكدية ، وهنا يكون الشاعر قد عرف طريقه وابتدأ رحلة الكدية الطويلة التي استمرت طيلة حياته .

فقد قرر أن (يعكف) على ابواب اوسع وأن (يجتدي) اكفاً أكثر امتلاء وكان أقرب بلد إليه هو الأردن ، وكان قد علم أن اميراً جاءها (هو الأمير عبدالله) وأنه انشأ حكماً جديداً فصمم على الذهاب إليه وأخذ يمدحه بمثل قوله :

فوق السرير ولا ادري به ملك	يدري به الحزم والاقدام والشمم
بل سيد في حشا الجوزاء صارمه	يفري وفوق السها تجري به قدم
يا صاعدا خفقت للمجد ألوية	عليه لما جرت من تحته الديم
اقمت (رغدان) حيث النجم يحسده	ولحت في افقه فانجابت الظلم
وسمت آناف من شف الضنا حسدا	جسومهم وبغير الجود لا تسم
مررت بالروض فاعتل النسيم به	وكاد يقطر من اكمامه الكرم(٥)

وصحت نبؤة الشاعر فأصبح (الأمير) بعد ذلك (ملكا) ولكن لم يصح فيه ما ادعاه له بأن صارمه يفرى في حشا الجوزاء ، وأنه تجرى به قدم فوق السها ، فالأمير عبدالله كان اضعف وأقل شأناً من أن تكون له هذه الصفات ، وقصر رغدان كان من التواضع بحيث لا يحسده النجم ولا احسب كذلك أن احداً كان يحسد عبدالله على ما كان فيه .

ونلاحظ هنا كما لاحظنا من قبل أن التركيز هو دائماً على (الجود) و (الكرم) ، لأنهما هما وحدهما اللذان يحققان للشاعر مطامعه .

ولا يخجل هذا الشاعر من أن يقول بأن خير ايامه هو يوم يكون على مائدة الأمير ، وهكذا يكون قد انحدر بالكدية إلى احط دركاتها فهي ليست كدية في اجتناء المال فقط بل هي كدية باجتناء الطعام أيضاً :

أفضل أيام حياتي التي	انشدها يومي على المائدة
مائدة كف أبي نايف	تملي عليها سورة المائدة
معبودة الأيدي فان أومأت	خرت ايادينا لها ساجدة
خولها فرط الندى مرفقا	قد وصل الحمد به ساعده(٦)

ويذكرنا هذا الشعر بشعر لابن الرومي يصف به احد الطفيليين وكأنما عنى به الحوماني .

يلين الطعام على ضرسه	ولو كان من صخرة جامدة
ويأكل زاد الورى كله	ولكنها اكلة واحدة
ولو عاينته جحيم الإله	لخرت لمعدته ساجدة

وهناك قصيدة في الأمير عبدالله تحسب وأنت تقرأها أنها نظمت في بطل من أبطال العرب سما إلى الملك بجهاد وطني طويل ، لا في أمير مسكين جاء به الانكليز واقطعوه رقعة صغيرة كانت في يوم من الأيام (قائممقامية) ، فعاش فيها لا حول له ولا طول ، على أنه تنبأ له الشاعر في هذه القصيدة بأنه سيحمل

(٤) الصفحة نفسها .

(٥) ديوان الحوماني الصفحة ٣٩ .

(٦) ديوان الحوماني الصفحة ٤٠ .

لقب الملك كما تنبأ في قصيدة تقدمت وصحت النبؤة كما قلنا . ومن المضحك وربما من المبكي تلك الصفات التي اغدقها على الأمير بأنه من عزت به (مضر) وأنه (جبرئيل) تحف به الملائكة وأن العلى صافحت به قمراً إلى غير ذلك :

كيف لا تزهى منازلنا	وعليها اشرق القمر
وطأتها وهي خاشعة	رجل من عزت به مضر
مرحبا بالروح[1] تعضده	من ملائكة السما زمر
رد مغانيه ترد ملكا	وشيه الماذي لا الحبر
حيثما حلت ركائبه	فهناك الظل والشمر
صافحت منه العلى قمرا	تجتليه البدو والحضر
وتعالى في اسرتها	ملكا اكليله الظفر[2]

هكذا كانت تمضي مدائح الحوماني في الأمير عبدالله ملقا واستجداء وكدية . ويبدو واضحاً أن اعطيات الأمير لم تمنع الحوماني من أن يعرج بين الحين والحين على بعض من يتوسم فيهم العطاء من الاردنيين فيمدحهم كهذا الذي نظمه مثلاً في اديب وهبه مدير معارف الأردن :

هل قدروا لك اعمالاً برتك بها	يد العناية بري النصل للقلم
حسب المعارف ان اصبحت ناظرها	والشمس في الأفق غير النار في العلم[3]

وهذا الذي نظمه في ذوقان الحسين ، وفيه يفاخر بتناوله الحلوى على مائدته ، ويبدو أنه كان كثير الشغف بولوج موائد الناس والتغني بهذه الموائد التي كان يسعى إليها سعياً ، وأنه كان لا يخجل بذلك ، والدليل على هذا تخصيصه لها بالقصائد ونشر تلك القصائد في ديوانه :

في مجلس (ذوقان) نظم شمله	من نابهين بهم انار المجلس
نتناول (الحلوى) على انواعها	وتدار سائغة علينا الأكؤس[4]

ومن انفعاله بتناول الحلوى يحرص على أن يذكر انها لم تكن نوعاً واحداً بل هي انواع ، ومن المضحك الباعث على الاحتقار الذي يستحقه هذا الشاعر تشديده على أن الحلوى كانت انواعاً ، فكم هو تافه من يتغنى بتناول الحلوى على موائد الناس . . . ثم هذا الجهر المصحوب بالتباهي بأن الأكؤس كانت تدار سائغة ، وهكذا فالذي ينطقه بالشعر ويجعل يومه افضل الأيام هو التهامه الطعام على مائدة الأمير ، ثم تناول الحلوى على انواعها على خوان ذوقان الحسين ، وحسب الشعر مهانة ان المائدة والخوان هما ملهماه .

واحسب أن هذه هي المرة الثانية التي يذكر فيها شاعر الحلوى في شعره فقد ورد في شعر قديم لشاعر من شعراء الطفيليين قوله من قصيدة طفيلية :

قل لأهل التطفيل اني امام	لكم بين شيبكم والشباب
لا ابالي حللت بالسادة القا	دة ام بالعلوج والأعراب
فتراني ألف بالرغم منهم	كل ما قدموه لف العقاب
قابل أن جرى علي امتهان	في سبيل الحلواء والجوذاب

ويبدو التقارب ما بين هذا الشاعر وبين الحوماني ، فكما أن الأول لا يهمه في التطفيل أن يكون على موائد السادة القادة أو على موائد العلوج والأعراب كذلك كان هم الحوماني هو أن يكون على المائدة لا فرق بين مائدة الأمير عبدالله أو مائدة ذوقان الحسين .

وبعد ان امتلأ وطاب الحوماني في الأردن رأى أن الأردن وحده لن يحقق له مطامحه ، والطموح - كما قلنا من قبل - يكون في معالي الأمور كما يكون في الكدية فمضى في فترة الى العراق فكانت له فيه نفس الحياة على أن من اخزى ما فعله هناك أنه ارتبط باقطاعي معروف بعسفه وتسلطه على الفلاحين واستعباده لهم ، وجنيه الأموال لا يبالي من حيث تجبى . ولو كان في جنيها قتل النفوس وارهاق العباد واغتصاب الأرزاق ، فعكف الحوماني يمدحه ويثني عليه بالشعر ثم الف كتاباً ضخماً اطلق عليه اسم ذلك الظالم القاتل السالب ووصفه بأعظم الصفات .

وبعد أن استنفد اغراضه في العراق انتقل إلى السعوديين يستعطي من اموال اثريائهم ما يستعطي ، ثم سكن بلادهم يعيش على فتات موائدهم ويقف شعره عليهم لا سيما محمد سرور الصبان الذي نظم فيه ديواناً كاملاً كله كدية وتملق سماه « معلقات » ، طبعه سنة ١٩٦٠ وهكذا انحدر بهذا الاسم الرفيع (المعلقات) من عليائه التي كانت له في الشعر الجاهلي إلى هذا المنحدر الزري فاصبح استجداء لرجل مثل محمد سرور الصبان كل ميزته أنه جمع اموالاً بالطرق التي يجمع بها عبيد السعوديين اموالهم وحسبك بها من طرق . وكان الصبان هذا يكنى (ابو حسن) .

فيقول فيه الحوماني فيما يقول :

ابا حسن نعماي ان احمد السرى	اليك وادنو منك في كل ما ارى
ارى كل ما يبدو لعيني لوحة	من الحسن ترقى بي اليك مصورا
كأنك الوان الحياة تزاحمت	على الفكر حتى صاغ منهن عبقرا

ومن الطريف ان الصبان هذا هو زنجي الأب ومن بقايا العبيد الذين تم اعتاقهم بعد الامتناع عن تعاطي الرقيق . وإذا كان المتنبي في مدحه لكافور لا ينكر سواد كافور فيعبر عن ذلك بتكنيته بأبي المسك فإن الحوماني يتغزل بوجه الصبان ويتجاهل لونه الأسود ويرى في ذلك الوجه (لوحة من الحسن) . ثم يبلغ به التغني بذلك الحسن اقصى مداه فيقول : أنه عندما يراه تتزاحم الوان الحياة في فكره فتريه (عبقرا) قد صيغت بالصبان ووجهه الأسود .

ولا يدري الإنسان وهو يقرأ هذا الشعر أيضحك من هذه الصورة البشعة ألتي ال إليها عبقر والعبقرية في شعر الحوماني ، ام يحزن لهوان الشعر هذا الهوان .

وبعد أن يتغزل بوجه الصبان الأسود في هذه القصيدة ، يرى أن هذا التغزل غير كاف ، وإذا كان المتنبي لا ينكر سواد كافور - كما قلنا - فإن الحوماني لا يعرض أبداً لذلك السواد بل يهيج فيه الغرام بذاك الوجه الفاحم الذي يراه توأماً للصباح فيقول من قصيدة :

لكأن وجهك والصباح كلاهما	فم توأم ينقض عن فم توأم

ومن اضحك وافجع ما قاله في معلقته بالصبان هذا البيت :

كأنك بدعة هذا الزمان	أماً لاحداثه أو ابا

يمكن ان يقال لأحد ابطال التاريخ انه أم أو أب لأحداث زمانه . ولكن

---

(١) خشي الشاعر بان لا يدرك القارىء ما يقصده بكلمة الروح لذلك أوضحها في الحاشية قائلاً : الروح : جبرائيل .

(٢) ديوان الحوماني الصفحة ٨٣ .

(٣) الصفحة ٥٧ .

(٤) الصفحة ١٠٣ .

يوم يقال لمحمد سرور الصبان أنه أم أو أب لأحداث الزمان ويكون القائل هو محمد علي الحوماني ، فلا شك أن ذاك الزمان هو شر الأزمنة .

ولما تقدمت بـه السن ثقل عـلى السعوديـين فعاد إلى لبنـان فلم يعش فيه طويلاً ، وننقل هنا بعض ما جاء في كتاب (مع الأدب العاملي) في الصفحـة ٢٥ : (وربما كان الحوماني في نزعته الأخيرة اقرب ابناء هذه الطبقة إلى الجديد لو لم يتخذ الأدب وسيلة للتكسب) إلى آخر ما قال .

ونحن حـين نترجم لهـذا الشاعـر فلكي نعطي صـورة عن حالات بعض الشعراء ، في فترة من الفترات ، وهذا واجب على من يسجل تاريخ الأدب ، فليس التاريخ دائماً صوراً مشرقة ، وعـلى المؤرخ أن لا يكتفي بعرض الصـور المشرقة وحدها والا خان التاريخ .

وهذا الشاعر ليس فريـداً في دنيا الشعـراء ، ولا نختص به نحن وحـدنا لنخجل من ذكره ، فعند الناس جميعاً امثال له .

الشيخ محمد علي خاتون

مرت ترجمته في مكانها .

ذكر السيد أحمد الحسيني في مقـال له في نشرة (تراثنا) التي تصدر في مدينة (قم) وهو يتحدث عن مخطوطات مكتبة الحاج هدايتي ان فيها مخطوطاً بـاسم (ترجمة قطب شاهي) تأليف الشيخ محمد بن علي بن خاتون العاملي .

الشيخ محمد علي الصاحبي ابن محمد علي

ولد في اصفهان سنة ١٢٨٥ وتوفي في طهران سنة ١٣٦١ .

من الأدبـاء الايرانيـين ، كان يتخلص في شعـره بـ (عبـرت) ويلقب بـ (عارف علي) . له : (نامه فرهنكيان) ترجم فيه لخمسة وثـلاثين شـاعراً في القرن الرابع عشر (مخطوط) .

السيد محمد علي الجزائري ابن محمد عباس

ولد في لكنهو (الهند) سنة ١٢٩٨ وتوفي سنة ١٣٦٠ .

درس أولاً في لكنهو ثم انتقل إلى النجف سنـة ١٣٢٥ فحضر على السيـد محمد كاظم اليزدي والشيخ محمد كاظم الخراساني والشيخ ضياء الدين العراقي وغيـرهـم . ثم عاد إلى لكنهـو فتولى ادارة المعهـد العلمي الذي عـرف بـاسم (شيعة عربي كالج) وتولى التدريس فيه فتخرج على يديه جملة من الأفاضل .

لـه : تخميس القصيدة العلويـة باللغـة العربيـة ، والقصيـدة في الأصـل لوالده . شرح ديوان امرىء القيس باللغة الأردوية . رنات الطرب في قصـائد العـرب باللغـة الاردوية . مـزاعم العرب في الجـاهلية ، ديـوان شعر بـاللغـة العربية . ضبط الغريب من لغة العرب . الافادات المحمدية وغير ذلك .

وهو والد السيد طيب من العلماء الفضلاء العاملين وقد تخرج من معاهـد النجف ثم سكن في مدينة لاهور بالباكستان ثم استقر في مدينة قم بايران .

الشيخ محمد علي المدرس التبريزي

ولد في تبريز سنة ١٢٩٦ وتوفي سنة ١٣٧٣ ودفن في (الطوبائية)في تبريز .

درس عـلى مشاهـير علماء عصره ، وكـان بعيداً عن المـظاهر والضـوضاء الفارغة مؤثراً العزلة ، وسكن في الاثنتي عشرة سنة الأخيرة من حياته في احدى غرف (مدرسة سبهـالار) في طهران منصرفاً الى ما أخذ نفسه به من البحث والتأليف والتحقيق . ومن أهم كتبه كتاب (ريحانة الأدب في تراجم المعـروفين بالكنية أو اللقب) فـارسي طبع منـه في حياتـه خمسة مجلدات ، وطبـع المجلد السادس بعد وفاته طبعـه نجله علي اصغـر المدرس . ومن مؤلفـاته (حيـاض الزلائل في شرح رياض المسائل) وهو شرح باللغة العربية لكتاب الطهارة من الرياض (مخطوط) و (غـاية المنى في تحقيق الكنى) (مخطوط) و (قـاموس المعـارف) بالفـارسية (مخـطوط) و (فرهنـك نوبهـار) مجلدان بـالفـارسيـة (فرهنك بهارستان) في مترادفات اللغة الفارسية (مطبوعان) و (الدر الثمين أو ديوان المعصومين) جمع فيه الأشعار المنسوبة إلى الأئمة عليهم السلام ، طبع منه المجلد الثاني و (فـرهنك نكـارستان) بـاللغة الفـارسية في خمسـة مجلدات (مخطوط) و (امثال حكم تركي آذربايجاني) لم يطبع .

الشيخ محمد علي المعصومي ابن سليمان

ولد سنة ١٢٨٨ وتوفي سنة ١٣٧٢

تلقى دروسـه الأولى في ايران ثم سـافر إلى النجف الأشـرف فحضر على الشرابياني والخراساني واليزدي والطهراني . ثم عاد إلى بلاده فاستقر في مدينـة بهبهان . ولما هاجم الانكليز العـراق في أوائـل الحـرب العالميـة الأولى واحتلوا البصرة واعلن مجتهدو النجف الجهاد لدفعهم عن العراق ، اعتقد المتـرجم أن اعلان الجهاد يشمله هو نفسه لقربه من العراق فدعا الناس إليه وشارك فيه .

لـه : حاشيـة على الجـواهر . شـرح اللمعة . القـواعد المشكلة . انيس المهموم . كتاب المواعظ . رسائل في الفروع .

محمد بن علي بن طباطبا

صفي الدين المعروف بابن الطقطقي . ولد سنة ٦٦٠ وتوفي سنة ٧٠٩

تـولى ابـوه تـاج الـدين ابـو الحسن عـلي بن محمـد بن رمضـان المعـروف بـالطقـطقي صدارة الحلة ، وكـانت اسرتـه قـد سكنت الحلة من ايـام جـده رمضان . وتولى المترجم بعد ابيه نقابة العلويين سنة ٦٧٢ وسافر الى بلاد فارس ودخل مراغة سنة ٦٩٦ .

وزار الموصل واتصل باميرها فخـر الدين عيسى بن ابـراهيم ايام غـازان وباسمه صنف سنة ٧٠١ كتابه في التاريخ (منية الفضـلاء في تواريـخ الخلفاء والوزراء) الذي عـرف بالفخـري نسبة الى فخـر الدين . وقـد يعرف بـاسم (الفخـري في الآداب السلطانية) طبـع مراراً في مصر وطبـع في المانيـا بسعي المستشـرق الألماني (آهلوارد) (١٨٦٠م) وكـان طبـع في فـرنسـا بسعي (ارنبورك) المستشرق الافـرنسي (١٨٩٥م) وترجمـه (آمار) إلى الفـرنسية ، وترجم إلى الفارسية وزاد عليه (هندوشاه) فرغ منـه سنة ٧٢٤ وسماه (تجارب السلف) ، وطبع في طهران .

الشيخ محمد علي ناصر ابن الشيخ عبد اللطيف

ولد في قرية حداثـا (جبل عـامل) ، ودرس دراستـه الأولى في الجبل ثم هاجر إلى النجف الأشرف فتابع الدراسـة هناك ، ثم عـاد إلى بلاده فـأقام في حداثا حتى عين قاضياً شرعياً في صيدا فانتقل إليها وبقي فيها حتى وفاته .

كان شاعراً مجيداً وظلت مجموعة شعره مخطوطة لم تطبع ، ومرت له في هذا الكتاب في الصفحة ٤٤١ من المجلد العاشر قصيدة رثائية .

قال سنة ١٣٧١ في ذكرى المولد النبوي :

عيد التحرر والعلياء للعرب ... يوم بعثت به يا خير كل نبي
ذكرى حياتك امجاد يرددها ... فم الزمان بزهو الفخر والعجب
بنيت للعرب في دين دعوت له ... مجداً اطل باشراق على الشهب
ورحت تغرس فيهم كل مكرمة ... حتى تساموا إلى أوج من الرتب
تسمو بهم لذرى العلياء في صعد ... من نهج دينك لا يفضي الى صبب
وتنتحي بهم للعز منزلة ... حيث المفاخر قد شدت من الطنب
نزهتهم عن تماثيل مجسمة ... خروا لها سجداً جهلاً على الترب
وقدتهم للهدى تجلو حقيقته ... بالمعجز الحق من قرآنك العجب
في شرعك العدل والقرآن ملتئم ... والعفو والعرف مقرونان في سبب
ولدت في الدهر فانجابت غياهبه ... بالنور من وجهك الكشاف للكرب
يفوح بالبشر من طيب نفحت به ... ارجاءه الفيح لا بالمندل الرطب
يختال فيها بما قد حاز من شرف ... بمولد لك مزهواً من الطرب
ابنت للناس نهج الحق منبلجاً ... كالصبح شاع بنور غير محتجب
آيات فرقانك السامي بحكمته ... فيها جلاء العمى والشك والريب
وحي تفرد بالاعجاز اذ عجزت ... عن مثله بلغاء العجم والعرب
بعثت كي تغمر الدنيا بنور هدى ... يبدو فيكشف ما في باطن الحجب
يشيع حتى نرى الدنيا بزينتها ... تجلى وتختال في ابرادها القشب
وتبرز الأرض في ثوب تتيه به ... من رائع الزهر في لون من الذهب
بعثت كي تبتني بالخير مجتمعاً ... للشر فيه ضلالاً أي مضطرب
وتبتني للعلى والمجد صاعدة ... من يعرب امة وضاحة الحسب
وتعمر الدهر بالأخلاق فاضلة ... يروق سائغها كالمنهل العذب
وتنشر العلم في الدنيا الى ادب ... جم الفوائد من شعر ومن خطب
وتظهر الحق وضاء السنا ليرى ... نور الهدى مذعنا للحق كل غبي
وتكبر العقل يستهدي بنيره ... الى السلامة في داج من النوب
وتمنح المثل العليا بما اشترعت ... لك الرسالة في وحي من الكتب
بدلت بالأحسن الدنيا اذ انفجرت ... يمناك بالخير من جود ومن حدب
وصنت للناس حقاً كان مهتضماً ... من قبل بعثك نهباً للقنا السلب
اتيتهم بالهدى دينا مناهجه ... الى الفضائل في بدء وفي عقب
وعدتهم باخاء يلجؤون له ... حصنا اعز حمى من معقل اشب
ما كنت الا بشيراً بالحياة لمن ... يبغي الحياة وخيراً غير منقضب
هديتنا لو وعينا ما اتيت به ... من بالغ القول ما يجدي ولم تخب
علمتنا كيف نحمي المجد اذ عصفت ... به العواصف من خوف ومن رعب
وكيف نبذل ذوداً عن كرامتنا ... ما عز من انفس منا ومن نشب
ولم تزل تهب الدنيا دروس علا ... كالشمس تغمر اشراقاً ولم تغب
لكنما ضاع ما اسديت من عظة ... والطبع ان ساء أنسى كل مكتسب
يا امة سرت في ظل الهدى كرماً ... ونلت في جاهه ما عز من ارب
حللت في افق العلياء ناشرة ... رايات عز سمت خفاقة العذب
وقدت للفتح بالاسلام منتصراً ... جيشاً من الصيد في جيش من الرهب
ما بالك اليوم قد اصبحت في ضعة ... وصرت مأسورة في قيد مغتصب
ماذا جنيت من الأوزار مسخطة ... حتى سقيت بكأس الذل والعطب
اجل تنكبت عن نهج الهدى وهوت ... بك المطامع خسفاً شر منقلب
وصرت في حالة تزري بصاحبها ... رأي بديد وشمل غير منشعب
عاث الأجانب في دنياك تفرقة ... كما تعيث صغار السوس بالخشب
ومزقوك دويلات فكنت لهم ... رهن الاشارة طوع الأمر والطلب
رضيت بالذل بعد العز خانعة ... وطالما عفت طيب النوم من حرب
أما علمت بأن المجد مغتصباً ... لا يسترد بغير السمر والقضب
ولا ينال العلى الا الأولى اعتصموا ... بشفرة السيف في جد وفي لعب
وهمة تعتلي الجوزاء في شمم ... ان شاب فود ليالي الدهر لم تشب
وعزمة هي امضى من غرار ظبى ... تشب نار لظى في صدر كل ابي
يا امة العرب لا غالتك غائلة ... ولا جثت بك اطماع على الركب
ولا شربت بكأس الذل قد ملئت ... من كف مستعمر أو كف منتدب
وثرت حتى تعيدي المجد مستلباً ... بالرغم من انف ذي بغي ومستلب
تمشين للعز والعلياء في نفر ... من كل ذي همة ارسى من الهضب
وترفعين لواء المجد تحرسه ... ضياغم العرب فوق الجحفل اللجب
وتغسلين بيوم الروع اذ وجمت ... به الفوارس عاراً بالدم السرب
وتنقذين بلاداً عز منقذها ... من معشر قلدونا الذل في اللبب
وترجعين « فلسطيناً » كما غصبت ... وتأخذين بثأر لج بالطلب
فما المواعيد تجدي القوم منفعة ... وكلها نسجت بالمكر والكذب
ولا القصائد تذكي في حماستها ... عزائماً تضرم الاحشاء باللهب
ولا المنابر تتلى فوقها خطب ... من لفظها تنتزى سورة الغضب
وانما النافع المرجو بارقة ... من المواضي ترينا النصر من كثب
وتملأ الأرض من قاني دم سرب ... يودي بمعفر في زي مختضب
وترجع الحق وضاء السنا لهجاً ... عادت « فلسطين » عاد المجد للعرب

وقال سنة ١٣٨٠ من قصيدة في رثاء الشيخ عارف الزين صاحب مجلة العرفان :

ما مت بل خفت بك الأقدار ... فمضيت تهتف باسمك الأمصار
رمت الخلود فحلقت بك عن دناً ... نفس ابت غير العلى تختار
حاشاك ان تطوى ويغمرك الفنا ... ولأنت من خلدت به الآثار
كنت المنار بها لكل دجنة ... ان عز في حلك الظلام منار
تملي على القلم الدؤوب روائعاً ... من كل ما يحلو وما يُختار
ولكم اذعت من المعارف ما به ... تسمو العقول وترتقي الأفكار
« عرفانك » الغراء اصدق شاهد ... في ان جهدك للعلى جبار
قد كنت للأحرار اعظم قدوة ... وعليك قد عقد اللوا الأحرار
تُلفى بساحات الجهاد مناضلاً ... فرداً يهابك جحفل جرار
ما هنت يوما للصعاب ولم تلن ... حتى مشت بك للردى الأقدار
ايه ابا الأدباء كم لك موقف ... يزهو به الاعجاب والاكبار
خمسين عاماً في الجهاد قضيتها ... ما ان سئمت ولا خلا المضمار
اديت فيها للحياة رسالة ... ملئت بها الأسماع والأبصار
ماذا احدث عن مواقفك التي ... غنى بها الحادون والسمار
ويراعك المشاق يجري دائباً ... ما عاقه ورد ولا اصدار
ومجلة لك في البلاد نشرتها ... يقف الزمان ونفعها سيار
أسفاً خلت منك المحافل بعدما ... ملئت بفضل جهادك الأسفار

وقال سنة ١٣٦٤ :

خلني والهموم تترى على القلب ... بما يحكم القضا والزمان
ليس في الكون ما يروقك لونا ... سمجت في حياتنا الألوان
أخذ الناس عن زمانهم المكر فكل بمكره شيطان
ولبئس الرياء في الناس قولا ... وفعالا يسيغه الإنسان
خدع الناس في زخارف ابليس ولما يهب بهم إيمان
عشقوا نضرة الحياة حريصين عليها وفي الهوى خسران
وتفانوا على خسيس من العيش ضئيل كأنهم ذئبان
ليت شعري أَللزّمان بقاء ... أم تدوم القصور والتيجان
ملك كسرى عدت عليه الليالي ... سقط التاج وامحى الإيوان
لا يغرنك من زمانك لين المس منه فإنه ثعبان
كم تراق الدماء في ساحة الحرب وكم تعمل القنا المرآن
عجز الطب عن دواء نفوس ... وتُداوى من دائها الأبدان
عالم لا يفيق من سكرة الجهل وخلق في رشده حيران
كل أدوائه عضال ولكن ... شر أدواء نفسه الطغيان
كم قرأنا من الحياة دروساً ... يتساوى سماعها والعيان
وبلونا الزمان في حالتيه ... فإذا في سروره أحزان
يُحكمون البناء ظنّ بقاء ... وقريباً ما يهدم البنيان
عظة الدهر آذنت بوداع ... فتيقظ يا ايها الإنسان
ان تنم سادراً عن الموت لاهٍ ... بأمانيك فالردى يقظان

وقال في ذكرى مرور خمسين سنة على صدور مجلة العرفان سنة ١٣٧١ :

حمّلت من عبء الجهاد ثقيلا ... وجزيت من طيب الثناء جميلا
وبلغت من شرف الجهاد مكانة ... توجت فيها بالعلى إكليلا
خمسين عاماً قد قضيت مجاهداً ... لم تتخذ إلا الجهاد سبيلا
أديت للآداب خير رسالة ... فيها وكنت لها الأمين رسولا
ما إن أصبنا في جهادك كله ... لك في الثبات وفي الإباء مثيلا
(عرفانك) السفر النفيس مجلة ... حازت بمضمار العلى التفضيلا
يحوي من الأدب الشهي موائداً ... تغذو العقول ومنهلا معسولا
يجلى لقارئه عروس ثقافة ... حسناء تسبي أنفساً وعقولا
يجلى بكل طريفة أدبية ... تحلو وتحسن في المسامع قيلا
يا منفق الخمسين عاماً كافلا ... نشر الثقافة قد عظمت كفيلا
أبديت للأدب الرفيع جماله ... وجعلته بين الورى مبذولا
ونشرت رايته فرفت واحتوت ... دنيا الثقافة عرضها والطولا
حق لجهدك في الحياة تجلة ... توليك شكراً يستطاب جزيلا
وتريك أن مكانة الأدب التي ... عظمتها بلغت بك المأمولا
وبلغت منها ما تحب ونلت من ... أسبابها ما نلت منه السولا
لم تتخذ باب الصحافة متجراً ... للربح ينقع من ظماك غليلا
لكنما حاولت فيها غاية ... تسمو وقصداً في الحياة نبيلا
شأن الصحافة أن تكون نزيهة ... تأبى الرشى وتجانب التدجيلا
وترى الحقيقة رائداً لجهادها ... لا ترتضي عن نهجها تحويلا
وترى لزاماً أن توجه للعلى ... شعباً تعوّد أن يعيش ذليلا
شعباً يعيث ولاته بحقوقه ... وإذا اشتكى منهم غدا مسؤولا
شعباً يئن لما به وبلاده ... كادت تمثل أربعاً وطلولا
الفقر ملء بيوته وولاته ... عمروا القصور وأحسنوا التجميلا
وتحفز الجيل الجديد ليقظة ... يسمو بها عن أن يكون جهولا
وتجله عن أن يكون مسخراً ... يحيا كما عاش القرون الأولى
وتبث فيه من المعارف ما به ... تبني على أسس الحياة الجيلا
فالعلم مرقاة الشعوب وما ارتقى ... شعب يظل بجهله مغلولا
والعلم نهج الراشدين وما اهتدى ... من لم يجد منه عليه دليلا
والعلم نبراس الحياة ونوره ... يجلو الظلام ويكشف المجهولا
والجهل داء في الحياة ولم نجد ... كالجهل داءاً للحياة وبيلا
إن نحتفل بالعاملين فإنما ... نجزيهم التقدير والتبجيلا
رمز الجهاد أبو (الأديب) وحقه ... حسن الثناء مردداً موصولا
ولربما كثر الثناء وربما ... كان الكثير من الثناء قليلا

الشيخ محمد علي اليعقوبي ابن الشيخ يعقوب

ولد سنة ١٣١٣ في النجف الأشرف ، وتوفي ودفن فيها سنة ١٣٨٥ .

خرج به ابوه وهو صغير السن الى الحلة حيث هاجر إليها فنشأ ودرس دراسته الأولى فيها . وكان والده من خطباء المنبر الحسيني فاخذ يدرب ولده المترجم على الخطابة الحسينية ، ثم كان يرود مع والده مجتمعات الحلة التي كانت عامرة بالأدب والشعر ، لا سيما منتدى السيد محمد القزويني ، وبعد وفاة والده سنة ١٣٢٩ ارتبط بالسيد القزويني ولازمه وتلمذ عليه ، ثم وقعت حادثة الحلة ، وتلخص هذه الحادثة بأنه في اواخر الحرب العالمية الأولى جاء القائد التركي عاكف إلى مدينة الحلة ومعه فريق من الجند واستدعى المختارين وبعض النافذين في البلد وطلب إليهم أن يسلموا خلال اربع وعشرين ساعة الجنود الفارين والا فإنه سيتخذ ما يقتضيه الموقف من اجراءات صارمة . وكانت الحلة ملأى بهؤلاء الجنود. ولما جن الليل فرق عاكف عساكره في الطرقات وعلى السور ودوائر الحكومة وعلى منارة المسجد الكبير فوقع الصدام بين العسكر وأهل الحلة واستطاع الحليون السيطرة على الموقف . وكان عاكف قد استنجد بمن في السدة من الجنود فانجدوه ولكن الحليين ومن انضم إليهم من الاعراب اوقفوا النجدة عند مشهد الشمس ، فلما رأى عاكف ذلك خادع اهل الحلة ووعدهم بأن يخرج بمن معه من الجند من الحلة إذا فكوا الحصار عن القوة المحاصرة في مشهد الشمس ، وهكذا كان فأخلى عاكف الحلة وخرج منها بجنوده . ثم أنه في اوائل شهر المحرم سنة ١٣٣٥ ارسل عاكف إلى الحليين يطلب إليهم الاذن بأن يمر في الحلة في طريقه لانجاز مهمة عسكرية في مكان آخر .

فاجتمع أهل الحل والعقد في منزل السيد محمد علي القزويني لينظروا في طلب عاكف ، فوقع الخلاف بينهم ، إذ قال بعضهم باجابة طلبه وقال الآخرون بعدم الاذن له لأنه انما يخادعهم فإذا دخل الحلة فلن يخرج منها ورأوا انهم الآن في منعة ويستطيعون صده إذا حاول الدخول عنوة لمناعة سور الحلة وقوة المدافعين وان الناس في ارياف المدينة سينجدونهم حتماً إذا صمدوا فيقع عاكف بين نارين . واشتد الهرج والمرج بين المجتمعين وامتد ذلك إلى جمهور الناس خارج الاجتماع بعد أن بلغهم خلاف من اجتمعوا وقامت مجموعات من الحليين بالنزوح عن الحلة وتشتت امر الناس تشتتاً كاملاً فدخل عاكف المدينة دخولاً هيناً ، وقام الجنود بالنهب والحرق والهدم والقتل وخربت محلات الجامعين والطاق وجبران والوردية وكان عدد من علقوا على اعواد المشانق مئة

وستة وعشرين رجلاً . ثم سيق من بقي من الناس وفيهم الشيوخ والعجائز والأطفال مشياً على الأقدام إلى ديار بكر في الأنضول فمات الكثيرون منهم في الطريق . وبقي الذين استطاعوا النجاة قبل دخول عاكف إلى المدينة منتشرين حيث حلوا حتى سقوط بغداد بيد الانكليز فعادوا إلى الحلة .

ولم يكن بين استباحة الحلة وسقوط بغداد أكثر من خمسة أشهر وكان المترجم فيمن نـزحوا إلى بلدة جناجة وهناك التقى بالشاعر الشيخ محمد حسن أبي المحاسن الكربلائي فاتصل به وتخرج عليه . وبعد احتلال بغداد من الانكليز عاد إلى النجف فاقام فيها ، ثم سكن الكوفة ثم الحيرة . وبعد سنة ١٣٤٠ استقر في النجف خطيباً حسينياً مؤثراً ، منصرفاً في الوقت نفسه إلى البحث والمطالعة ونظم الشعر ، واختير عميداً لجمعية الرابطة الأدبية حتى آخر حياته .

وقد ذاع اسمه بالخطابة الحسينية في جميع انحاء العراق ، وصار سمة من سمات النجف البارزة .

ترك آثاراً منها : ١ ـ المقصورة العلوية وهي قصيدة تناهر (٤٥٠) بيتاً من الشعر في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام ٢ ـ عنوان المصائب في مقتل الإمام علي عليه السلام . ٣ ـ البابليات في ثلاثة اجزاء وهو في تراجم شعراء الحلة . ٤ ـ الذخائر ديوان شعري خاص بأهل البيت عليهم السلام ٥ ـ ديوان شعره .

وقد حقق عدة دواوين شعرية طبعت باشرافه . وله تعليقات على بعض كتب التاريخ والتراجم ، كما أن له كثيراً من البحوث في المجلات في التراجم .

شعره

مرت له قصيدة رثائية في الصفحة ٤١ من المجلد الثامن ، وقصيدة رثائية اخرى في الصفحة ٤٤٠ من المجلد العاشر ، وله ديوان مطبوع في حياته قال الشيخ محمد رضا الشبيبي في المقدمة التي كتبها للديوان : « تجد الشاعر يستوحي احداث العالم العربي من العراق الى المغرب ، وهي احداث ومآس جلبها استعمار المستعمرين الغربيين على العالم المذكور » .

ويقول أيضاً : « جبل اليعقوبي على شيء غير قليل من لطف الطبع وخفة الروح وحرارة النكتة والفكاهة وانك لتجد في شعره شواهد يتناولها الرواة ، على أن بعض ابياته في المداعبة والمباسطة تعد نقداً سياسياً لاذعاً » .

قال في الحفلة التي اقامتها جمعية الرابطة الأدبية في مركزها العام في النجف احتفاء باعضاء النادي العربي بدمشق يوم زيارتهم النجف في ٣ شوال سنة ١٣٥٧ :

عسى وحدة للعرب انتم رعاتها ... يلم بكم عما قريب شتاتها
وليس عجيبا ان نهضتم بعبئها ... فانكم اكفاؤها وكفاتها
سعيتم لتحقيق الأماني لقومكم ... ورب امان لا تخيب سعاتها
وايقظتم للعز اشرف امة ... على الذل لم يعهد قديما سباتها
تحن بلاد الرافدين لوصلكم ... ودجلتها تشتاقكم وفراتها
سقى الله في ارض الشآم مغارساً ... من العز فينا اينعت ثمراتها
فروع علا من دوحة عربية ... تطاول جوزاء السما نبعاتها
وارواح بشرقي العراق تضوعت ... ولكن سرت من جلق نفحاتها
تحييكم منا الوجوه ضواحكاً ... وانفسنا مطوية حسراتها
ولو كان يروي الدمع غلة واجد ... رأيتم عيونا ثائرة عبراتها
حداداً لما قاست فلسطين انها ... عليها الرزيات التقت حلقاتها
اذا اليوم لا يطفى شرار لهيبها ... فهيهات تطفى في غد جذواتها
تئن فيبكي العالمين انينها ... وتشكو فتشجي السامعين شكاتها
توالى عليها الظلم والكرب والبلا ... ولا تنجلي الا بكم كرباتها
ومن عجب يغدو حماها مقسما ... ومن دونها تفدي النفوس حماتها
كماة اذا فلت مواضي سيوفها ... كفتها بماضي حدها عزماتها
تضحي لاولى القبلتين نفوسها ... وتلك أضاحيها وذي قرباتها
تفانى العدى في غصبها بعدما غدت ... بفيض الدما مغمورة جنباتها
فلا عجب فالخود تسبي مشوقها ... اذا ما بدت محمرة وجناتها
ولما نبا عن صوتها سمع خصمها ... انتها تلبي صوتها اخواتها
وما موتنا بين الورى وحياتنا ... مدى الدهر الا موتها وحياتها

وقال حين وقف على ضريح مؤلف (اعيان الشيعة) سنة ١٣٧٤ :

قد كنت آمل أن اراك ... اذا دخلت الشام حيا
ويقر طرفي ان رأى ... لمعان ذياك المحيا
واليوم زرتك ثاوياً ... بشرى له تعنو الثريا
ما المسك اطيب من شذى ... عبقاته نفحاً وريا
فلئن طوتك يد الردى ... فبنشر ذكرك سوف تحيا
لم يسل ذكرك غدوة ... ابد الحياة ولا عشيا

محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي

ذكر في الصفحة ٢٧ من المجلد العاشر ، ولم يشر إلى عصره . ونقول هنا أنه توفي في حدود منتصف القرن الرابع . ويراجع بشأن كتابه (معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين) ما جاء في هذا المجلد فيما استدرك على ترجمة الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (شيخ الطائفة) .

الشيخ محمد قسام ابن محمد علي

ولد في النجف سنة ١٢٩٩ وتوفي في بغداد سنة ١٣٧٣ ودفن في النجف .

توفي ابوه وهو ابن عامين فكفله اخوه الشيخ قاسم ودرس في النجف ثم اتجه إلى الخطابة الحسينية وتخرج فيها على الشيخ محمد تامر .

سكن الحيرة خطيباً ناجحاً يلتف الناس حول منبره ، ولما هاجم الانكليز العراق في الحرب العالمية الأولى واحتلوه كان صوته مدوياً في الدعوة إلى مقاومتهم في خطبه التي كان يلهب بها الجماهير . وبعد احتلال النجف توارى عن الأنظار والتجأ إلى (بدرة) وبعد توسطات ومداخلات سمح له بالعودة الى النجف على أن يمتنع عن الخطابة . ولما قام الحكم الوطني زالت عنه القيود وعاد إلى المنبر الحسيني واقبل عليه الناس وعمت شهرته العراق كله .

ترك : (الأخلاق المرضية في الدروس المنبرية) طبع بعد وفاته والحق به بعض قصائده في رثاء أهل البيت عليهم السلام . وله غيرها من النظم والنثر .

محمد قطب شاه السادس

مرت ترجمته في المجلد العاشر الصفحة ٤١ ونزيد عليها هنا ما يلي :

كان شاعراً فذاً مرب للشعراء . وله في شعره الكليات ، وفيها الشعر الغنائي والوجداني وقصائد في مدح ائمة أهل البيت عليهم السلام ورثاء الحسين عليه السلام . ويعتبر مؤسس الاحتفالات السنوية بذكرى استشهاد الحسين عليه السلام في الهند .

محمد قلي قطب شاه الخامس

احد ملوك الدولة القطبشاهية في الهند . مرت ترجمته في المجلد العاشر الصفحة ٤١ ونزيد عليها هنا ما يلي :

هو الذي ارتفع باللغة الاردوية الى ما وصلت ، وقد كان شاعراً فكان ديوانه الشعري أول ديوان بهذه اللغة ، ثم أخذ يقرب شعراءها ويغدق عليهم الجوائز ، فاستطاع أن يرسي قواعدها ويجعل منها لغة شعر وأدب بعد أن كانت لغة تخاطب فقط .

ومن تأثيره أنه أخذ ينظم الشعر في مدائح أهل البيت عليهم السلام ومراثيهم ، ويتفنن في الحديث عن بطولة الحسين عليه السلام ووقعة كربلا ، وأخذ الشعراء يتبعون أثره في النظم مدحاً لآل البيت ورثاء للحسين ، ومن شعراء عاصمة محمد قلي وما يليها نستطيع أن نعد كلا من : غواصي وابن نشاطي وفائز وبحري واشرف وولي وكلهم من شعراء مراثي الحسين عليه السلام ولهم كما لمعاصريهم المجاميع العديدة الكبيرة والصغيرة المختصة برثاء الحسين وأهل بيته ، وليس لأحد غيرهم ما يمكن ان يسمى ديواناً في تاريخ الأدب الأردوي في ذلك العصر .

ومن هنا يبدو فضل الشيعة لا سيما المترجم على اللغة الاردوية التي اصبحت بفضلهم من أرقى اللغات العالمية (راجع آصف الدولة) .

دول الهند الشيعية

القطب شاهيون :

ولد محمد علي قطب شاه في همذان وسافر في غضارة الشباب الى الهند ولازم حاكم (الدكن) واستزاد في العزة والمقام يوماً بعد يوم لما كان يتمتع به من النشاط حتى لقب بعد مدة بلقب (قطب الملك) واصبح عام ٩١٨ هـ حاكم منطقة الدكن ، وكان قطب شاه من تلامذة صفي الدين الاردبيلي ، وحين اعلن الشاه اسماعيل المذهب الجعفري رسمياً للدولة في ايران ، تبعه في ذلك قطب الملك في الهند وعمل على نشره والتبليغ عن التشيع سعياً بليغاً ، وهاجر على عهدهم جمع من ايران الى الدكن وعملوا على نشر الاسلام والتشيع . وكان احد كبار الشخصيات العلمية التي هاجرت من ايران الى الهند على عهد القطب شاهيين هو المير محمد مؤمن الاستر آبادي ، واستمر هذا العالم مدة خمسة وعشرين عاماً في منصب (وكيل السلطنة) يعمل في نشر الاسلام والتشيع الكثير ، وكان يعتبر متبحراً في اكثر العلوم العقلية والنقلية على عهده بل كان من اعلم العلماء في عصره . واستمر القطب شاهيون في حكم هذه المنطقة قرنين من الزمن ، ولهم تاريخ في ذلك طويل مفصل[١] .

العادل شاهيون :

كان مؤسس هذه الأسرة يوسف عادل شاه الايراني الساوجي ، فقد ولد في مدينة ساوة قرب قم ، وسافر الى الهند في عنفوان الشباب ودخل في خدمة حكام بيجابور وتملك السلطة في هذه الناحية بعد مدة وعرف باسم عادل شاه الساوجي . وكان العادل شاهيون شيعة ولهم السعي الكثير في سبيل تبليغ الاسلام ونشر التشيع في الهند ، وفتح عادل شاه كثيراً من مناطق الهند المركزية التي كانت بايدي الوثنيين ونشر فيها الاسلام والتشيع .

وكان في جيشه على الدوام جماعة من العلماء الاعلام من ايران والعراق ومن المدينة المنورة ، وكان هؤلاء يشرفون على الأمور الدينية في العسكر والبلاط ، وكان اكثر الأمور الحكومية والسياسية في ايدي الايرانيين .

ولهؤلاء الملوك المسلمين تاريخ طويل[٢] .

النظام شاهيون :

كان مؤسس هذه الاسرة رجلاً هندياً اسمه تبهابهت اصبح اسيراً لدى المسلمين في عهد السلطان احمد شاه البهمني ، فوجده السلطان ذا ذكاء وفطنة ودهاء واستعداد وقريحة ، فوهبه لابنه محمد شاه وبعثه معه للدراسة في المدارس ، فتعلم هذا الهندي الخط العربي واللغة الفارسية بمدة قليلة ولقب بالملك حسن البحري ، وتوصل اخيراً الى الحكم بما يطول ذكره ، وتشيع بعد تملكه السلطة وسعى في نشر الاسلام والمذهب الشيعي سعياً بليغاً .

وكان اكثر رجال بلاطة وحكومته واكثر الشخصيات الدينية لدولة النظام شاهيين من الايرانيين ، وكان الايرانيون هم الذين يديرون الامور السياسية والدينية في الدولة . والملك شاه طاهر الهمذاني الدكني سافر على عهد هؤلاء الى الهند ، وكان هذا من مؤيدي الشاه اسماعيل الصفوي ثم خالفه وكاد ان يقتل على ذلك فتخفى ودخل الهند هارباً من الصفويين وعاش في بلاط النظام شاهيين معظماً محترماً حتى توصل الى الحكم بنفسه .

وقد خدم هذا الرجل « شاه طاهر » في الهند خدمة هامة ، فقد تربى على يديه علماء كثيرون في مختلف الفنون والفروع الاسلامية ، وكانت حوزته العلمية احدى كبريات الحوزات العلمية في الهند[٣] .

محمد كامل شعيب ابن الشيخ وهبة المعروف بالعاملي

ولد في قرية الشرقية (جبل عامل) سنة ١٨٩٠ م وتوفي سنة ١٩٨٠م في صيدا ودفن فيها .

تلقى مبادىء القراءة والكتابة في الشرقية ، ثم دخل مدرسة المقاصد الخيرية في صيدا ثم المدرسة الرشدية فيها ، بعد أن كان والده قد انتقل إليها وسكنها .

تلقى علوم اللغة العربية على الشيخ موسى مغنية والسيد محمد ابراهيم . وفي العام ١٩٢٤ اصدر جريدة العروة الوثقى اسبوعية ، كما كان قد شارك في اصدار جريدة الاتفاق اسبوعية ايضاً ، ولم تطل مدة صدور الجريدتين كما اصدر في تلك الفترة ديواناً صغيراً باسم (الحماسيات) . وطبع له بعد وفاته ديوان شعري كبير باسم (البحار) في مجلدين .

ومما اضاع عليه ما تستحقه شاعريته وأدبه من تقدير معاصريه أنه كان مهووساً بالحديث عن المناصب العليا إلى حد الشطط . . . والا فقد كان في الطليعة من أدباء النهضة لا سيما في جبل عامل .

ويبقى للأجيال المقبلة التي لم تعاصره أن تنصفه وتضعه في المكان الذي تؤهله له مواهبه الشعرية والنثرية بعد أن لا يبقى لتلك الأجيال الا ما تعرفه عن تلك المواهب .

وكان يتميز في نظم الشعر بحضور البديهة وسرعة الخاطر .

---

(١) الاسلام وايران الجزء الثالث ، الصفحة ٢٧٠ .

(٢) ن.م الصفحة ٢٧١ .

(٣) ن.م الصفحة ٢٧١ .

من شعره

مرت له في هذا الكتاب قصيدتان رثائيتان احداهما في الصفحة ٣١٥ من المجلد السابع ، والثانية في الصفحة ٤٤٢ من المجلد العاشر .

من قصيدة له بعنوان « الدهر » :

نَرُومُ صَفَاءَ العَيْشِ مِمَّا يَشُوبُهُ ... وَغَارِبُ صَرْفِ الدَّهْرِ صَعْبٌ رُكُوبُهُ
خليقٌ كبالي الطِّمْرِ بَاطِنُ وُدِّهِ ... وظاهِرُه غضُّ الإهابِ قشيبُهُ
وَكَمْ قَدْ تَوَسَّمْنا بِهِ الخَيْرَ والمُنَى ... كأنَّ ثَراهُ عَنْبَرٌ وَهْوَ طِيبُهُ
وَيَا طالَما أَعْيَا الوَرَى سَبْرُ غَوْرِهِ ... قبائِلُهُ في حَيْرَةٍ وشُعُوبُهُ
وَكَمْ قَدْ جَنَيْنا مِنْهُ كَالحُلْمِ لَذَّةً ... وَفاضَتْ بِأَشْتاتِ المسرّاتِ كُوبُهُ
فَلَمْ نَسْتَفِقْ إلاَّ وَقَدْ خابَ فَألُنا ... وفاضَتْ أَسىً أَرْزاؤُهُ وخُطوبُهُ
يُصِيبُ بِسَهْمِ البينِ مَنْ رامَ غدْرَهُ ... وَمَنْ لَمْ يَرُمْ غدْراً بِهِ لا يُصِيبُهُ
كَأنَّ اللَّيالي خَبْطُ عَشْواءَ تَسْتَوِي ... بِهَا حَسَنَاتٌ لِلْفَتَى وَذُنُوبُهُ

ومن قصيدة له بعنوان « يا أخت شمس الضحى » :

يا أُخْتَ شَمْسِ الضُّحَى والكوكَبِ السَّارِي ... فُقْتِ الشُّمُوسَ بهالاتٍ وأَنْوَارِ
إنْ رُمْتِ والغِيْدَ في حُسْنٍ ، مُسَابقةً ... مَا فَازَ غيرُكِ في شَوْطٍ بِمِضْمَارِ
في صَحْنِ خَدَّيكِ رَوْضٌ بالوُرودِ زَها ... وفي لِحَاظِكِ فَتْكُ الضَّيْغَمِ الضَّارِي
مَا هذه القامَةُ الهَيفاءُ مائِسَةً ... كذابلٍ مِنْ طِوَالِ الخَطِّ خطَّارِ
تَكَادُ إذْ تَتَثَنَّى أنْ تَمِيلَ كَمَا ... يَمِيلُ من لُجّةٍ في المَرْكَبِ الصَّارِي
أَذَا الرُّدَيْنِيُّ أَدْمَيْتِ القُلُوبَ بِهِ ... أمْ هُدْبُ جَفْنٍ كَحَدِّ السَّيْفِ بَتَّارِ
كَزِئْبَقٍ فَوْقَ أَحْدَاقٍ مُرَكَّبَةٍ ... علَى أَجَاجٍ بِمَاءِ الحُسْنِ مَوَّارِ
ماذا بفِيكِ ؟ أَدُرٌّ أمْ تَسَاقَطَ فِي ... فُجَاجِهِ بَرَدٌ مِنْ صَوْبِ مِدْرَارِ؟
أمْ ذا فَمٌ شَفَتَاهُ ضُرِّجَا بِدَمٍ ... كَأَنَّمَا قُدَّتَا مَثْنَى بِمِنْشَارِ
لَمْ يَحْوِ بَرْقَ ثَنَاياكِ العِذَابِ لَمَى ... عُنْقُودُ كَرْمٍ ولا حَانُوتُ خَمَّارِ
سِمْطٌ مِنَ اللُّؤْلُؤِ المَكْنُونِ مُتَّسِقٌ ... ذُو مَنْبَعٍ بالرَّحِيقِ العَذْبِ فَوَّارِ
هَلاَّ جَعَلْتِ سِهاماً تَرْشُقِينَ بِهَا ... على لِقَاءِ عُداتي بَعْضَ أَنْصَارِي؟
خَلَبْتِ لُبِّي بِصَوْتٍ رَنَّ في أُذُنِي ... كأنَّ رَجْعَ صَداهُ شَدْوُ أَطْيَارِ
بَرَزْتِ في حُسْنِكِ الطَّاوُوسَ زَرْكَشَةً ... وحامِلَ العُودِ في تحريكِ أَوْتَارِ

ومن قصيدة له بعنوان « ملحمة الغدير » :

أملحمةٌ ، بِنُودُكَ أمْ صُرُوحٌ ... مُمَرَّدَةٌ كشَاهِقَةِ الجِبالِ ؟
جَلَوْتَ الصَّرْحَ عن زَبَدِ التَّجَنِّي ... علَى الحَقِّ الصُّراحِ ولمْ تُبالِ
فَحَقَّقتِ الفِراسَةُ فيكَ ظَنِّي ... وَلَمْ تَبْلُغْ اشُدَّكَ في النِّزالِ
زَفَفْتَ إلى أبي حَسَنٍ رَدَاحاً ... مِنَ الخفِراتِ فائِقَةَ الجَمَالِ
فكادَ بِطَرْفِهِ يَرْنُو إليها ... جَوًى تحتَ الجنادِلِ والرِّمالِ
طَوِيتَ عَنِ الفَنا الشَّدْوِ كَشْحاً ... وأنت مُرَنَّحُ الأعطافِ سالِ
كأنَّكَ قَدْ اصَبْتَ بِهَا دواءً ... لِمَا تشكو من الداءِ العُضَالِ
كَلِفْتَ بصاحِبِ النَّهْجِ المُعَلَّى ... وخيرِ غَضَنْفَرٍ للحربِ صالِ
أتَدْرِي مَا السِّوى ولأيِّ بابٍ ... مِنَ الأبوابِ شَدُّكَ للرِّحالِ
تَجَشَّمْتَ المَفَاوِزَ في الفَيَافِي ... وأرْهَقْتَ العزائِمَ بالكَلالِ
وَرُمْتَ مِنَ الذُّرى مَا لَيْسَ مِنْهُ ... يُطاوِلُ طائِرٌ وَطْءَ النِّعالِ
أَبُو حَسَنٍ لهُ القِدْحُ المُعَلَّى ... بمِضْمارِ البَسالَةِ والكَمَالِ
تَظَلُّ الشُّهْبُ شاخِصَةً إليهِ ... فَتُخْطِئُهُ علَى بُعْدِ المَجالِ
ويَفْرَقُ أنْ يَؤُوبَ الدَّهْرُ كيلا ... يُصابَ بِهِ بِقَحْطٍ في الرِّجالِ
إذا شُكِتِ الظِّبَاءُ صُدُورُ غُلْفٍ ... سقاها البِيضَ والأَسَلَ العوالي
وَتَقْطُرُ إنْ نَضَا للحَرْبِ سَيْفاً ... مَوَاضِيهِ كأنْداءِ الطِّلالِ
وكم في الخيزوانة غالَ قِرْماً ... وجَنْدَلَ كُلَّ مفتولِ السِّبالِ

ومن قصيدة له بعنوان قلعة الشقيف :

رُحْمَاكَ مِنْ طَلَلٍ ، يا أيُّها الطَّلَلُ ... أينَ المَعَاقِلُ والأجْنَادُ والقُلَلُ
وَقَفْتُ عِنْدَكَ لا أدري ، وقد ظَعَنُوا ، ... أَمِنْ بَنِيكَ مُجِيبٌ ، إنْ هُمُ سُئِلُوا
أَيْنَ المَضارِبُ ، والجُرْدُ السَّلاهِبُ ، وَالْـ ... ـبِيضُ القَوَاضِبُ ، والعَسَّالَةُ الذُّبُلُ
أينَ الجَحَافِلُ ، والقُبُّ الأَيَاطِلِ ، وَالْـ ... ـغُرُّ الشَّمائِلِ ، والأمجادُ والمُثُلُ
أَيْنَ الجِفَانُ ، وَمَا يروي الرُّواةُ لَنَا ... عَن ذلكَ الجُودِ ، وهوَ العارِضُ الهَطِلُ
اينَ الأُسُودُ ، أُسُودُ الغَابِ ، مَنْ عُرِفُوا ... بِالْبَأْسِ ، في الرَّوْعِ فيهِمْ يُضْرَبُ المَثَلُ
وكيفَ ، يا صَرْحُ ، لَمْ تَجْزَعْ لِفَقْدِهِم ... وَكَيْفَ ـ وَيْحَكَ ـ بَاقٍ ، بعدَما ارْتَحَلُوا
ألا شَرَحْتَ لنا مَا قَدْ أَحَاقَ بِهِمْ ... وكيفَ ، كيفَ على ذَنْبِ البِلَى نَزَلُوا

ومن قصيدة له بعنوان « وادي العرايش » :

تَمْضِي القُرُونُ وتنطوي الأعوامُ ... أبداً وثَغْرُكِ ضاحِكٌ بَسَّامُ
مُتَجَدِّدٌ فيكِ الشَّبابُ وإنَّمَا ... حَرَمُ الأمانِ لديكِ والإلهامُ
خلَعَ الهُيَامُ على صِبَاكِ وشاحَهُ ... ما للصبا والشوقِ فيكِ فِطامُ
امشكاةُ نِبراسِ العُصورِ وطالما ... بِكِ قد تقشَّعَ في العشيِّ ظلامُ
ما كانَ مِنْ خَدْعِ السَّرابِ تألُّقٌ ... بِكِ ، أو نسيمٌ عاطِرٌ وخُزامُ
تَحْلُو الحياةُ لديكِ ، وهي مريرةٌ ... ويطيبُ فيكِ الموتُ ، وهو زُؤَامُ
خَضَعَتْ لِعِزَّتِكِ المعاقِلُ والذُّرَى ... أينَ الخَوَرْنَقُ مِنْكِ ، و (الأهرامُ) ؟
دارُ السَّعادةِ أنتِ إنْ شاءَتْ وإنْ ... أنْحَتْ عليكِ بِعَذْلِها اللُّوَّامُ
وَلَكَمْ هَزَزْتِ مِنَ الهُواةِ معاطِفاً ... وشَدَتْ بعاطِرِ ذِكْرِكِ الأقلامُ

ومن قصيدة له بعنوان « على نبع الباروك » :

هاجَ وَجْدِي بِكِ الخدودُ المِلاحُ ... وغَبُوقٌ بينَ المَهَا واصطِبَاحُ
وَعَبِيرٌ مِنَ الأزاهيرِ فيها ... طالما ضاحَكَ الغديرَ المُراحُ
والغَواني نواعِمٌ فاتِنَاتٌ ... ورِقَاقٌ كأنَّها أشْبَاحُ
صَيَّرَتْ فَحمةَ الظَّلامِ نَهاراً ... وَجَنَتَاهَا ، وثَغْرُها الوَضَّاحُ
والصَّفَا باسِطٌ جَناحَيْهِ دَلاًّ ... حَيْثُ لا شَقْوَةٌ ولا أَتْرَاحُ
أَوَبِسَاطُ النُّدْمَانِ ثَمَّ عَجِيبٌ ... إذْ يَطِيبُ الهوى ويَحْلُو المُزاحُ
سَرْحَةُ الفَنِّ والرِّياضُ عليها ... تَتَدَلَّى الأغْصَانُ والأدواحُ
كُلُّ صُبْحٍ يُغْدَى وكُلُّ مَسَاءٍ ... لِدَوالي أفيائِها ، ويُراحُ
والأداةُ الخَرْسَاءُ تَنْفُثُ فيهِ ... حُرَقاً للغَرامِ وَهْيَ فِصَاحُ
والقُدُودُ الهيفاءُ إذْ تتهادَى ... مائِسَاتٍ كأنَّها أرماحُ
تجمعُ الظَّرْفَ والبَهاءَ وترمي ... بلِحَاظٍ ، هِيَ المِرَاضُ الصِّحَاحُ
كاشِفَاتٍ عَنْ مَرْمَرٍ أو لُجَيْنٍ ... إنْ ذَرَتْ ثَوْبَها الرَّقيقَ ، الرياحُ
فَقَأَتْ أَعْيُنَ الظَّلامِ وَشَعَّتْ ... كُلَّمَا لاحَ نُورُها اللَّمَّاحُ
فتأخذُ النَّفْسُ قِسْطَها مِنْ هَناءٍ ... إذْ تُدارُ الأوتارُ والأقداحُ

مؤيد الدين أبو الحسن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن برز المقدادي القمي الوزير

ذكر مؤلف الحوادث نقله من مدفنه إلى مشهد الكاظمية سنة «٦٤٣» قال في حوادث هذه السنة : « وفي ليلة الجمعة حادي عشري رمضان نقل مؤيد الدين أبو الحسن محمد بن عبد الكريم بن برز القمي الوزير من مدفنه بمقبرة الزرادين(١) بالمأمونية إلى تربة كان أنشأها بالمشهد الكاظمي ووقف عليها وقوفاً وذلك بعد ثلاث عشرة سنة وأحد عشر شهراً » .

قال الدكتور مصطفى جواد : ذكر المؤرخ نفسه خبر القبض على مؤيد الدين القمي في حوادث سنة ٦٢٩ من كتابه هذا ومعنى ذلك الخبر الأول أنه توفي في سنة القبض عليه ويؤيده ابن الطقطقي في تاريخه ، وقد ذكره ابن الطقطقي قال : « وزارة مؤيد الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم بن برز القمي ، هو قمي الأصل والمولد ، بغدادي المنشأ والوفاة ينتسب إلى المقداد بن الأسود الكندي ، كان ـ رحمه الله ـ بصيراً بأمور الملك خبيراً بأدوات الرئاسة ، عالماً بالقوانين ، عارفاً باصطلاح الدواوين ، خبيراً بالحساب، ريّان من فنون الأدب ، حافظاً لمحاسن الأشعار ، راوياً لطرائف الأخبار ، وكان جَلْداً على ممارسة الأمور الديوانية ، ملازماً لها من الغدوة إلى العشية . وكان في ابتداء أمره قد تعلق بسلاطين العجم وكان يلوذ ببعض وزراء العجم بأصفهان في حال صباه ولم يبلغ العشرين من عمره ، وكان ذلك الوزير قد ضجر من الكتاب الذين بين يديه ونسبهم إلى أنهم يخالفون تقدماته فأبعدهم عنه واستكتب القميّ ظناً منه أنه لمجرد حداثة سنة لا يقدم على مخالفة ما يشير به . فمكث القمي يكتب بين يديه مدة ، ففي بعض الأيام أحضرت بين يدي الوزير جملة من الثياب النسيج بعضها صحيح وبعضها مقطوع ، فأحضر القمي بين يديه ، ليثبت عددها ويحملها إلى الخزانة وكان الوزير يورد عليه كذا وكذا ثوباً صحاحاً . فيكتب القمي كذا وكذا ثوباً وما يكتب لفظة (صحاحاً) فقال له الوزير : لم لا تكتب ما أقول لك ؟ فقال : يا مولانا لا حاجة إلى ذكر الصحاح فإني إذا وصلت إلى ذكر ثوب مقطوع ذكرت تحته أنه مقطوع ، فتخصيص المقطوع بالذكر يدل على أن ما لم يوصف بالقطع صحيح . فقال الوزير ، لا بل أكتب كما أقول . فراجعه القمي ، فحرد الوزير لذلك وارتفع صوته والتفت إلى الحاضرين ، وقال : أنا عزلت الكتاب الكبار الذين كانوا عندي لأجل مخالفتهم ولجاجهم فيما أقوله واستكتبت هذا الصبي ظناً مني أنه لحداثة سنّه لا يكون عنده من التجرؤ والمخالفة ما عندهم ، فإذا هو أشد مخالفة من أولئك . فخرج بعض خدم السلطان من بين يديه وكان جالساً قريباً من مجلس الوزير ، وسأل عن كثرة الصياح وحرّد الوزير ، فعرف الخادم صورة ما جرى بين الوزير والقميّ ، فدخل وحكى للسلطان ما قيل ، فقال له : أخرج وقل للوزير : الحق ما أعتهده الصبيّ الكاتب . فنبل القمي في عيون الناس وعلت منزلته وأنس القمي بهذا الخادم وصار الخادم يستشيره ويسكن إليه ويأنس به . فاتفق أن السلطان عيّن على هذا الخادم وعلى رجل آخر ليتوجها في رسالة إلى ديوان الخليفة ، فالتمس الخادم أن يكون القمي صحبته . فأرسل صحبته فتوجهُوا إلى بغداد وحضر الخادم ورفيقه عند الوزير ابن القصاب ، فشافهاه بالرسالة وسمعا الجواب ، وكان جواباً غير مطابق للرسالة ولكنه كان نوعاً من المغالطة ، فقنع الخادم ورفيقه بذلك الجواب وما تنبها على فساده وخرجا ، فرجع القمي ووقف بين يدي الوزير وحادثه سراً وقال له : يا مولانا الجواب غير مطابق لما أنهاه المماليك . فقال له الوزير : صدقت ولكن دعهم على غباوتهم ولا تفطّنهم إلى ذلك . فقال السمع والطاعة . ثم إن ابن القصاب كتب إلى الخليفة (الناصر لدين الله) يقول له : إنه قد وصل صحبته خادم السلطان فلان شاب قمي قد جرى من تنبهه كيت وكيت ومثل هذا يجب أن يصطنع ويحسن إليه ويستخدم . فكتب الخليفة إليه يأمره بأن لا يمكّنه من التوجه معهم . فعمل له حجة وقطع عنهم فتوجهوا وأقام القميّ ببغداد فعين عليه في كتابة الانشاء ، فمكث على ذلك مدة ثم تولى الوزارة وتمكن في الدولة تمكناً لم يتمكن مثله أحد من أمثاله ، وكان أوحد زمانه في كل شيء حسن ، كثير البر والخير والصدقات . حدث عنه مملوكه بدر الدين أياز قال : طلبت ليلة من الليالي حلاوة النبات فعمل منها في الحال صحون كثيرة وأحضرت بين يديه في ذلك الليل ، فقال لي : يا أياز تقدر تدّخر هذه الحلاوة لي موفرة إلى [illegible] القيامة ؟ فقلت : يا مولانا وكيف يكون ذلك وهل يمكن هذا ؟! قال : [illegible]م تمضي هذه الساعة إلى مشهد موسى والجواد ـ (عليهما السلام) ـ وتضع هـ[illegible] الأصحن قدام أيتام العلويين فأنها تدّخر لي موفرة إلى يوم القيامة . قال أياز . فقلت : السمع والطاعة . ومضيت ، وكان نصف الليل إلى المشهد وفتحت الأبواب وأنبهت الصبيان الأيتام ووضعت الأصحن بين يديهم (كذا) ورجعت . وما زال القمي على سداد من أمره ، تولى الوزارة للناصر ثم للظاهر ثم للمستنصر حتى قبض عليه المستنصر وحبسه في باطن دار الخلافة مدة فمرض وأخرج مريضاً فمات ـ رح ـ سنة تسع وعشرين وستمائة » .

وقال مؤلف الحوادث في أخبار سنة ٦٢٩ : « ذكر عزل الوزير مؤيد الدين القمي . . . في يوم السبت سابع عشر شوال تقدم إلى مؤيد الدين أبي طالب محمد بن أحمد بن العلقمي مشرف دار التشريفات يومئذ أن يحضر عند أستاذ الدار شمس الدين أبي الأزهر أحمد بن الناقد ويتفقا على القبض على نائب الوزارة مؤيد الدين القمي . فجمع أستاذ الدار رجال النوبتين وأمرهم بالمبيت في دار الخلافة ، ولم يشعر أحداً منهم بشيء ، فلما أغلق بابا النوبي والعامة عيّن على جماعة مع ابن شجاع مقدم باب الأتراك بالقبض على القميّ إذا فتح باب النوبيّ ، وعين على جماعة مع حسن بن صالح المعمار للقبض على ولده (فخر الدين أبي الفضل أحمد) في الساعة المعينة ، وعيّن على جماعة للقبض على أخيه وجميع أصحابه وخواصه ، فلما فتح باب النوبي خرج الجميع بالسيوف وهجمُوا عليه وعلى ولده وأخيه وجميع أصحابه في ساعة واحدة فلم يفلت منهم صغير وكبير فأما هو وولده فنقلا ليلاً إلى باطن دار الخلافة فحبسا هُناك وأما أخوه ومماليكه وأصحابه فحُملوا إلى الديوان .

وكان المؤرخ نفسه قال في حوادث سنة ٦٢٨ : « وفي صفر دخل بعض الأتراك إلى دار الوزير مؤيدالدين القمي وطلب غفلة الستري وانتهى إلى مجلسه فلم يصادفه جالساً وكان بيده سيف مشهور وكان آخر النهار ، وقد تقوّض

(١) هي مقبرة الصدرية وسراج الدين بشرقي بغداد وقد اصبحت مسكونة وابتنى الناس الدور فوق القبور .

الجماعة من الديوان فصاح عليهم خادم فتبادر الغلمان وأمسكوه وأنهي ذلك إلى مؤيدالدين فجلس وأحضر التركي بين يديه وسأله عما حمله على ذلك فلم يقل شيئاً ، فضرب ضرباً مبرحاً فذكر أن له مدة لم يصله شيء من معيشته وهو ملازم الخدمة وقد أضرَّ به ذلك فحمله فقره وحاجته وغيظه على ما فعل ، فأمر بصلبه فصلب وحط بعد يومين » .

وذكره هندوشاه الصاحبي وذكر أنه أنشأ مارستاناً في المشهد الكاظمي وزوَّده وجهَّزه بالأدوية والأشربة والمعاجين وأنشأ مكتباً وداراً للقرآن لأيتام العلويين هناك ووقف على ذلك أوقافاً وأحسن الثناء عليه وذكر ابنه فخر الدين أحمد وأنه كان أديباً فاضلاً وكان يتولى الشرطة والاحتساب وكان قاسياً في العقوبة ينتهي بها إلى قطع الأعضاء ولما نكب أبوه وحُبس قال له : بخلّك أنسلقنا . يعني أنه كان السبب في تلك النكبة وحبس عزالدين عبدالحميد بن أبي الحميد لأنه كان مفتوناً بتركي اسمه عثمان فبعث إليه بقصيدة من السجن يقول فيها :

وقـد تـبـت مـن الـغـيّ وقـد أقـلـع شـيـطاني

وقد ذكر ابنه فخر الدين أحمد كمال الدين بن الفوطيّ قال : « فخر الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم ، القمي محتداً ، البغدادي مولداً ، نائب الوزارة يعرف بخداوندزاده . ذكره شيخنا جمال الدين أبو الفضل أحمد بن مهنا الحسيني في كتاب وزراء الزوراء (قال) ظهر من فخر الدين في وزارة أبيه من القوة والحرمة والنقمة ما جاوز فيه حد التأديب ، وبلغ منه إلى الفظيع الغريب من قطع الأيدي وصلم الآذان وأزداد منه ذلك حتى ولي الشرطة وحجبة باب النوبي ، وكان ذا فطنة وذكاء ودهاء وناب عن والده حين تخلف عن الركوب إلى التُرب . وفي سابع شوال سنة تسع وعشرين وستمائة وُكّل به وبأبيه الوزير ونقلا إلى دار الخلافة ولم نقف لهما على أمر » .

وترجم له الصفدي بما يخالف ما نقلنا بعض المخالفة قال : « محمد بن محمد بن عبد الكريم بن برز القمي الوزير مؤيد الدين أبو الحسن القمي البليغ الكاتب ، قال ابن النجار : قدم بغداد صحبة الوزير ابن القصاب وكان به خصيصاً فلما توفي قدم بغداد[1] وقد سبقت له معرفة بالديوان ورتب ابن مهدي في الوزارة ونقابة الطالبيين أختص به أيضاً وكانا جارين في قم ولما مات أبو طالب بن زيادة كاتب الإنشاء رتب القمي مكانه ولم يغير هيأة القميص والشربوش على قاعدة العجم ثم ناب أبو الوليد (محمد) ابن أمسينا في الوزارة وعزل في سنة ستـ وستمائة فرُدت النيابة وأمور الديوان إلى القمي ونقل إلى دار الوزارة ولما ولي الظاهر الخلافة أقرّه على حاله وكذلك المستنصر قرّبه ورفع قدره وحكّمه في البلاد والعباد ولم يزل في سعده إلى أن عُزل وسجن هو وابنه بدار الخلافة فمات الابن أولاً وأبوه بعده في سنة ثلاثين وستمائة وكان كاتباً بليغاً فاضلاً كامل المعرفة بالانشاء يكتب بالعربي والعجمي كيف أراد ويحل المترجم المغلق وكان حسن الأخلاق مليح الوجه ، تخافه الملوك وترهبه الجبابرة وله يد باسطة في النحو واللغة ومشاركة في العلوم » .

ومن إنشاء مؤيد الدين القمي عهد نقابة الطالبيين الذي كتبه في تولية نقابتهم فخر الدين أبا الحسن محمد بن محمد بن المختار الكوفي في السابع عشر من شهر ربيع الأول سنة ٦٠٣ قال ابن الساعي : وهو بخط المكين أبي الحسن محمد بن محمد بن عبد الكريم القمي كاتب ديوان الانشاء المعمور حينئذ ومن إنشائه ومن خطه نقلت وهذه نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عهد عبدالله وخليفته الإمام المفترض الطاعة على سائر الأنام الناصر لدين الله أمير المؤمنين إلى محمد بن محمد أبن المختار ، حين وجده مرضي الخلائق ، سوي الطرائق ، محمود السجايا والشيم ، متمسكاً من الديانة بأمتن سبب وأوثق معتصم ، سالكاً في الزكانة والرصانة لاحب جدد ، وأقوم لقم ، متحلياً من التقى والورع ، بأحسن لباس وأبهى مدّرع ، قد فاق بكفايته الأكفاء وبرع ، واستشرف إلى محامد الخلال ، ومحاسن الخصال كل مطّلع ، فقلّده نقابة العترة الكريمة العلوية ، والأسرة الجليلة الطالبية ، بمدينة السلام ، وسائر بلاد الإسلام ، شرقاً وغرباً ، وبعداً وقرباً ، مقدّراً فيه الاضطلاع بالأعباء ، والقيام بحسن الإستخدام والإستكفاء ، والنهوض بتأدية شكر النعماء ، والله تعالى يقرن آراء أمير المؤمنين بالتأييد والتوفيق في كل ما يتنحيه للاسلام والمسلمين من المصالح ، ويُدني لي في كل ما يبتغيه من مناظم الدين كل بعيد نازح ، إنه سميع مجيب ، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله ، عليه توكل وإليه ينيب ، أمره بتقوى الله تعالى واستشعاره مراقبته في سرّه وعلانيته ، فانها الفريضة اللازمة ، والسُنّة القائمة ، واللباس الأحسن الأروع ، والحرز الأحصن الأمنع ، وأفضل ما أعتقده المعتقدون ، ودعا إليه الصالحون ، ووزن به المرء مَراجع لحظه ، ومخارج لفظه ، ومسارح خواطره ، ومطارح نواظره ، وأوضح سبل الرشاد ، وخير الزاد ليوم المعاد ، قال الله تعالى : ﴿ **وتزوَّدوا فإن خير الزاد التقوى** ﴾ . وقال سبحانه : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقُوا الله حق تُقاته ولا تموتنَّ إلاَّ وأنتم مسلمون** ﴾ ، فطوبى لمن سمع قوله أفاتبعه ، وتجلبب لباس مراقبته وادّرعه ، واقتدى بكتابه ، فاستخرج كنوز المراشد من عيابه ، واقتنى ذخائر ثوابه ، فتوقى به أليم عقابه ، أولئك الذين أنعم الله عليهم بالعقائد الصحائح ، وأثقل موازين توفيقهم الرواجح ، وهداهم بما كبت في قلوبهم من الإيمان إلى الجدد اللاحب والمنهج الواضح ، فعمل في دنياه لأخراه ، وقوم بالهدى بالجد في معاده جدواه ، ﴿ **أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون** ﴾ . وأمره بأن يتأمل أحوال من فوض أمره من أهل بيته إليه ، وعوَّل في زعامته من ذوي الرحمة عليه ، ويعتبر طرائقهم ويختبر شيمهم وخلائقهم ، وينزلهم منازلهم التي يستوجبونها بكرم العناصر ، ويستحقونها بتباين المساعي والمآثر قال الله تعالى : ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتُوا العلم درجات** ﴾ . فلمن كان منهم رشيد المنهج ، متنكباً عن الطريق الأعوج ، متحلياً من الدين بما يناسب نسبه ، ويلائم محتده الكريم ومنصبه ، يحق له من الإكرام ، وخصه من الأنعام ، والتودد والإحترام ، بما يرفع منزلته ، ويحث على اكتساب فضيلة من تأخر عن غلوته ليشيع فيهم المناقب والفضائل ، ويسفرُوا عن المناظر المهيبة في النوادي والمحافل ويستضيفوا إلى شرف الأبوة فضل النبوة ، ويتقيلُوا آثار من قال الله فيهم : ﴿ **أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة** ﴾ . فإنهم أغصان تلك الدوحة الشريفة ، والشجرة المباركة المنيفة ، وأمره بأن يعاملهم برفق لا يشينه ضعف ، وتهذيب لا يهجنه عنف ، فمن بدت منه بادرة ، أو عثرة نادرة أقالها ، والحق جناح المياسرة أذيالها ، وأتخذ له من التأنيب بما يجنبه أمثالها ، قال الله ﴿ **وليعفُوا وليصفحُوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم** ﴾ . وقال رسول الله ﷺ : **أقيلُوا ذوي الهيئات**

(١) تأمل قوله : قدم بغداد . . . فلما توفي قدم بغداد ، هكذا كانوا يخلطون حين يترجمون .

عثراتهم ، فليس من كانت زلته بادرة ، وخطيئته مبتكرة كمن كان في الغي متهوّكاً ، وبعُرا الاصرار عليه متمسكاً ، ومن صادفه جاهلاً بقدره ، ونابذاً مصلحته وراء ظهره وعرف خلوص دخلته وسلامة صدره ، إلاّ أنه عن مصلحة شأنه غافل ، وعن حلى العلم الذي هو قيمة المرء عار عاطل ، أيقظه من هجوع الاعتزار بالأمل ، ونبّهه على أن ... لا يُغنى بغير عمل ، والنبيُّ صلى الله عليه وآله أوحي إليه : وأنذر عشيرتك الاقربين . وقال : يا بني هاشم ، يا بني عبد المطلب إني لا أغني عنكم من الله شيئاً ، إئتوني بأعمالكم ولا تأتوني بأنسابكم ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم . ومن ألفاه منهم ذاهباً في مجاهل الجهّال ، وسادراً في مهاوي الضلال ، ومشايعاً في احتقاب الأوزار ، وهاتكاً لأستار التصون والاستتار ، واجهه خالياً بالتقريع والتقييد ، وزجره بالاخافة والوعيد ، فإن أنجع ذلك وأفاد ، ورجع عن جهالته وعاد ، وإلاّ قوّم من ميده وأعوجاجه ، ووقف به على سبيل الحق ومنهاجه ، وإن قرّف أحدهم بجريمة أو رمي بجريرة فلا يعجل عليه بالمؤاخذة أو لا يسرع إليه بإجراء المقابلة ، بل يتثبت إلى أن يقف بالبحث والايضاح ، على الحق المحض الصُّراح ، قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحُوا على ما فعلتم نادمين** ﴾ فان اتضح ما قرف به وزُنَ بسببه ، نظر فإن كان مما أوجب الله فيه حداً من الحدود أقامه ، من غير تعدّ على سلكه المحدود فيه ونظامه ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **تلك حدود الله فلا تعتدوها** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **ومَن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون** ﴾ . وقال سبحانه : ﴿ **ومَن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون** ﴾ . ولا يجرمنّه أحتقابه الجرائم من نظر اعتنائه ، ولا إقامة حد الله فيه من ملاحظته وإرعائه ، (فأهل) هذا النسب وإن تفاوتت أحوالهم ، وتباينت أعمالهم ، خُصّوا بالاصطفاء ، ووسمُوا بالاجتباء ، قال الله تعالى : ﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذين أصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ، ذلك هو الفضل الكبير** ﴾ وأمره بصرف همته إلى مصالح اليتامى وتخصيصهم من الإعناء ، وتخويلهم من الارعاء بما ينسيهم ذلة اليتم وفقد الآباء ، فمن كان منهم غنياً فيثمر ماله ، ويهذب خلاله ، وينفق عليه بالمعروف ، لا شطط ولا تبذير ، ولا تضييق ولا تقتير ، فإذا بلغ الأشُدّ وأنس منه الرشد ، سلم ماله موفوراً إليه ، وأشهد بقبضه عليه ، قال الله تعالى : ﴿ **وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعُوا إليهم أموالهم** ﴾ إلى قوله : ﴿ **فاشهدُوا عليهم** ﴾ . ومَن كان فقيراً فليثن عنان العناية إلى ما يعود بإصلاح أمره ، وليصرف همه إلى جبر كسره ، إلى حين استوائه ، وتهذب أنحائه ، وليدر عليه من الوقوف بالمعروف وليكن به عطوفاً ، وله أباً رؤوفاً ، وأمره بالنظر في أمر الأيامى بعين الإعتناء ، وتزويجهن من الأضراب والأكفاء ، وتحصينهن بالاحصان لا بالمنع والنسيان فإن التناكح مدد الوجود وقوامه ، وبه يستتب أمره ويتسق نظامه ، قال الله تعالى : ﴿ **وانكحُوا الأيامى منكم** ﴾ . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : تناكحُوا تناسلُوا أباه بكم الأمم يوم القيامة . وليتوخ تطهير عقود نكاحهنّ من أدناس الالتباس ، وينزهها من أدران الأنجاس ، قال الله تعالى : ﴿ **إنما يُريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً** ﴾ . وأمره بصونه هذا النسب الكريم ، والبيت الماجد العظيم ، من تنحل الأدعياء ، وانتاء الزنماء ، فإن صادف من يدعي من ذلك ما لا يقوم البرهان على صحته ، ولا تشهد الاستفاضة والشيوع بدحض حجته ، صب عليه سوط التأديب ، وردعه بزواجر التهذيب ، فإن كفه الرّدْع ، وزجره المنع ، وإلاّ وسمه بميسم يعرف به تنحله ، ويشيع به كذبه وتقوله ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ملعون ملعون من انتسب إلى غير أبيه وادّعى إلى غير مواليه . هذا عهد أمير المؤمنين إليك ، وحجته عليك ، هداك به إلى طريق الرشاد ، وحداك في سبيل السداد ، فاهتد بأنواره ، واتبع لرشيد آثاره ، تظفر بمغانم الرشاد ، وتفز في المبدأ والمعاد ، والله ولي التوفيق ، لأرشد جدد وأقوم طريق ، وكتب في سادس عشر شهر ربيع الأول من سنة ثلاث وستمائة والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد النبي المصطفى وآله وسلامه ، رب أختم بخير . صورة العلامة الشريفة تحت البسملة (الناصر لدين الله) . صورة خط الوزير نَصير الدين أبي الحسن ناصر بن مهدي العلوي بين سطوره . . . . » .

ولمكين الدين القمي أي مؤيد الدين في آخر عمره منشور كتبه بأمر الخليفة الناصر فيه تجديد الفتوّة ، قال ابن الساعي : « قرأ المنشور عليهم (على رؤساء الفتيان) المكين أبو الحسن محمد بن محمد القمي كاتب ديوان الانشاء المعمور وهو من إنشائه وهذه نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من المعلوم الذي لا يتمارى في صحته ، ولا يرتاب في براهينه وأدلته ، أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب [illegible]م الله وجهه ـ هو أصل الفتوة ومنبعها ، ومنجم أوصافها الشريفة ومطا[illegible] ، وعنه تروى محاسنها وآدابها ، ومنه تشعّبت قبائلها وأحزابها ، وإليه [illegible]ون غيره تنتسب الفتيان ، وعلى منوال مؤاخاته النبوية الشريفة نسج الرفقاء والاخوان ، وأنه كان عليه السلام مع كمال فتوته ، ووفور رجاحته يقيم حدود الشرع على اختلاف مراتبها ، ويستوفيها من أصناف الجناة على تباين جناياتها أو مللها ونحلها ومذاهبها ، غير مقصّر عما أمر به الشرع المطهّر وحرّره ، ولا مراقب فيها رتبه من الحدود وقرّره ، امتثالاً لأمر الله تعالى في إقامة حدوده ، وحفظاً لمناظمة الشرع وتقويم عموده ، فإنه عليه السلام فعل ذلك بمرأى من السلف الصالح ومسمع ، ومشهد من خيار الصحابة ومجمع ، فلم يسمع أن أحداً من الأمة لامه ، ولا طعن عليه طاعن في حد أقامه ، وحقيق بمن أورثه الله مقامه ، وناط به شرائع الإسلام وأحكامه ، وانتمى إليه عليه السلام في فتوته ، واقتفى شريف شيمه وكريم سجيته ، أن يقتدي به عليه السلام في أفعاله ، ويحتذي فيما استرعاه الله تعالى واضح مثاله ، غير ملوم فيما يأتيه من ذلك ولا مُعارض فتوة ولا شرعاً فيما يورده ويصدره ، وقد رسم ـ أعلى الله المراسم العلية ، المقدسة النبوية الإمامة وزادها نفاذاً معضوداً بالصواب ، وتأييداً ممتد الأطناب محكم الأسباب ـ على كل من تشرف بالفتوة برفاقة الخدمة الشريفة المقدسة ، المعظمة الممجدة المكرمة الطاهرة الزكية النبوية الإمامية ، الناصرة لدين الله تعالى ـ شرّف الله مقامها وأخلد أيامها ، وأعلى كلمتها ونصر رايتها ـ أنه من قتل رفيق له نفساً نهى الله تعالى عن قتلها وحرّمه ، وسفك دماً حقنه الشرع المطهر وعصمه ، وصار بذلك ممن قال الله تعالى في حقه ، حيث أرتكب هذا المحرم ، واحتقب عظيم هذا المأثم : ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها (الآية) أن ينزل عنه في الحال في جمع الفتيان عند تحققه لذلك ومعرفته ويبادر إلى تغيير رفقته ، مخرجاً له بذلك عن دائرة الفتوة ، التي كان متسماً بها ، مسقطاً له من عداد الرفاقة التي لم يقم بواجبها : ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم . وأن كل فتى يحوي قاتلاً ويخفيه ، ويساعده على أمره ويؤويه ، ينزل كبيره عنه ويغيّر رفاقته ، ويتبرأ منه وأن من حوى ذا عيب فقد عاب وغوى ومن آوى طريد الشرع فقد:

ضل وهوى ، والنبي صلى الله عليه وآله يقول : مَن آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً . ولا حدَث أكبر من قتل النفس عدواناً وظلماً ، ولا ذنب أعظم منه وزراً وإثماً ، وأن الفتى متى قتل فتىً من حزبه سقطت فتوته ووجب أن يؤخذ منه القصاص عملاً بقوله : وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسنّ والجروح قصاص . وأن (من) قتل غير فتىً عوناً من الأعوان أو متعلقاً بديوان في بلد سيدنا ومولانا الإمام المفترض الطاعة على كافة الأنام الناصر لدين الله أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين فقد عيب هذا القاتل في حرم صاحب الحزب بالقتل ، فكأنما عيب على كبيره فسقطت فتوته بهذا السبب الواضح ، ووجب أخذ القصاص منه عند كل فتى راجح ، وليعلم الرفقة الميمونة ذلك وليعملُوا بموجبه وليجرُوا الأمر في أمثال ذلك على مقتضى المأمورية ، وليقفُوا عند المحدود في هذا المرسوم المطاع ، ويقابلوه بالانقياد والاتباع ـ أن شاء الله تعالى ـ وكتب في تاسع صفر سنة أربع وستمائة .

وقال ابن الساعي : وسلم الى كل واحد من رؤساء الاحزاب منشور بهذا المثال فيه شهادة ثلاثين من العدول . ثم كتب تحت كل مرسوم ومنشور ما هذا صورته . والظاهر أنه من انشاء مؤيد الدين القمي : .

قال العبد ما تضمنه هذا المرسوم المطاع ، وقابله بما يجب عليه من الانقياد والاتباع والامتثال وهو الذي يجب العمل به فتوة وشرعاً ، وهذا المعروف من سيرة الفتيان المحققين نقلاً وقد الزمت نفسي أجراء الأمر على ما تضمنه هذا المرسوم الاشرف فمتى جرى ما ينافي المأمورية ، المحدود فيه كان الدرك لازماً لي ، والمؤاخذة مستحقة على ما يراه صاحب الحزب ثبت الله دولته ، وأعلى كلمته وكتب فلان بن فلان

أبو منصور محمد بن محمد بن المبارك الكرخي

ذكره ابن الساعي في وفيات سنة ٥٩٨ قال بعد ذكر أسمه : شيخ حافظ القرآن المجيد ، قرأه بالقرءات وكان حسن القراءة جيد الاداء طيب الصوت شجيه ، وكان يتشيع وينشد في المواسم بالمشاهد المقدسة ويعظ في الاعزية . توفي في حادي عشر المحرم من سنة ثمان وتسعين المذكورة ودفن بمشهد الامام موسى بن جعفر (عليهما السلام) . « ا هـ » .

وقال المنذري في وفيات السنة المذكورة بعد ذكر أسمه وتاريخ وفاته ووصفه بالمؤدب المغربي : قرأ القرآن الكريم بشيء من القراءات ببغداد على أبي محمد الحسن بن علي بن عبيدة ، وبواسط على أبي بكر عبدالله بن منصور الباقلاني وغيرهما وسمع من أبي الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد وغيره . « ا هـ » .

وترجم له ابن الدبيثي ترجمة أحسن مما نقلناه آنفاً قال : محمد بن محمد بن المبارك الكرخي أبو منصور المقرىء المؤدب ، كان يسكن الجانب الشرقي وله مكتب يعلم فيه الصبيان الخط ، وكان حافظاً للقرآن المجيد ، حسن القراءة له ، قرأ بشيء من القراءات على أبي محمد الحسن بن علي بن عبيدة وبواسط على شيخنا أبي بكر بن عبدالله بن منصور ابن الباقلاني وغيرهما ، وكان ينشد الاشعار في مدح أهل البيت (عليهم السلام) في المشاهد وأوقات الزيارات سمع شيئاً من الحديث من أبي الفتح محمد بن عبد الباقي بن سلمان وغيره ، ولم يُعن بالرواية ولا حدث بشيء .

نصير الدين الطوسي محمد بن محمد بن الحسن

مرت ترجمته في المجلد التاسع الصفحة ٤١٤ ونزيد عليها هنا ما يأتي :

عمله في انقاذ الاسلام

كان نصير الدين الطوسي ضحية من ضحايا الغزو المغولي الأول ، حينما اجتاحت جحافل جنكيز خان (١٢١٥ ـ ١٢٢٧م) البلاد الإسلامية ودمرت ما مرت به منها . وكان من تلك الضحايا مدينة نيسابور التي كانت تعج بالعلماء وتزخر بالمدارس .

ولم يكتف المغول بتدمير المدينة بل اعملوا السيف في الناس ، فقتل من قتل واستطاع الفرار من استطاع ، وكان بين الناجين نصير الدين الطوسي ، فهام على وجهه يطلب الملجأ الأمين فوجده في قلاع الاسماعيلية الحصينه ، تلك القلاع التي صمدت وحدها لجنكيز خان وصدته عن أسوارها ، فظل حقد المغول مضطرماً على الاسماعيليين إلى ان استطاعوا الثأر منهم في عهد هولاكو حفيد جنكيز .

ولم يكن نصير الدين وحده هو الذي احتمى بهذه القلاع ، بل لقد لجأ إليها كثير ممن استطاعوا الفرار والنجاة .

وعندما تقدم المغول في غزوهم الثاني ، وأعاد هولاكو سيرة جده ، كانت الحملة هذه المرة من القوة بحيث هابتها القلاع الاسماعيلية فلم تستطع لها صداً ، ونزل الأمير الاسماعيلي ركن الدين خورشاه على حكم المغول ، فكان حكمهم قتله وقتل أعوانه ومن لجأ إليه ، واستثنوا من ذلك ثلاثة رجال كانت شهرتهم العلمية قد بلغت هولاكو فأمر بالابقاء عليهم ، ولم يكن هذا الإبقاء حباً للعلم وتقديراً لرجاله ، بل لأن هولاكو كان بحاجة إلى ما اختص به هؤلاء الثلاثة من معارف ، فاثنان منهم كانا طبيبين هما موفق الدولة ورئيس الدولة ، والثالث كان مشهوراً باختصاصه في أكثر من علم واحد هو نصير الدين الطوسي ، وكان مما اختص به علم الفلك ، وكان هولاكو مقدراً لهذا العلم تقدير حاجة لا محض تقدير ، مؤمناً بفائدته له . لذلك رأيناه بعد ذلك يعنى بانشاء مرصد « مراغة » ويوفر له كل ما يستدعي نموه وتقدمه . . .

جمع نصير الدين الطوسي إلى العلم الواسع العقل الكبير ، فتريك سيرته رجلاً من أفذاذ الرجال لا يمر مثله كل يوم . وتشاء الأقدار أن تعده لمهمة لا ينهض لها إلّا من اجتمعت له مثل صفاته : علم وعقل وتدبير وبعد نظر ، فكان رجل الساعة في العالم الإسلامي ، هذا العالم الذي كان مثخناً بالجراح .

كانت مهمة الطوسي من أشق المهمات ، وكانت أزمته النفسية من أوجع ما يصاب به الرجال ، فإنه وهو العالم الكبير ذو الشهرة المدوية بين المسلمين ، يرى نفسه فجأة في قبضة عدو المسلمين ، ويرى هذا العدو مصراً على أن يبقيه في جانبه ويسيره في ركابه . وإلى اين يمشي هذا الركاب ؟ أنه يمشي لغزو الإسلام في دياره والقضاء عليه في معاقله ، فهل من محنة تعدل هذه المحنة ؟

ان أقل تفكير في التمرد على رغبة القائد المغولي سيكون جزاؤه حد السيف . . . وأنني لاتخيل الطوسي متأملاً طويل التأمل ، مطرقاً كثير الإطراق ، لقد كان يعز عليه أن يذهب دمه رخيصاً وأن يكون ذلك بارادته هو نفسه ، فلو

أن سيفا من سيوف المغول الجانية أودى به فيمن أودى بهم في رحاب نيسابور وسهول ايران لكان استراح . أما الآن فلن يستسلم للقدر الطاغي وسيثور على حكم الزمن الغاشم .

كان الطوسي ذا فكر منظم يعرف كيف يخطط ويدبر . وهو في ذلك آية من الآيات ، وقد أدرك أن النصر العسكري على المغول ليس ممكناً أبداً ، فقد انحل نظام العالم الإسلامي انحلالاً تاماً لم يعد معه أمل في تجميع قوة تهاجم المغول وتخرجهم من دياره ، وكانت البلاد المحتلة أضعف من أن تفكر في ثورة ناجحة . على أن الغرب الإسلامي كان لا يزال سلبياً ، وكانت مصر هي القوة الوحيدة التي تتجه إليها الأنظار ، وقد استطاعت مصر أن تذيق المغول مرارة الهزيمة وأن تردهم عنها ، ولكنها لم تكن مستطيعة أكثر من ذلك ، فمهاجمة المغول فيما احتلوه من بلاد بعيدة وإخراجهم من تلك البلاد كان فوق طاقة مصر .

وفكر نصير الدين طويلاً فأيقن أنه إذا تم للمغول النصر الفكري ، بعد النصر العسكري ، كان في ذلك القضاء على الإسلام ، وها هو يرى بأم عينيه الكتب تحرق والعلماء يقتلون ، فماذا يبقى بعد ذلك ؟ . .

لقد استغل حاجة هولاكو إليه ، وحرصه على أن يكون في معسكره فلكي عالم بالنجوم ، فعزم على كسب ثقته واحترامه فكان له ما أراد ، وصار له من ذلك سبيل لانقاذ اكبر عدد من الكتب وتجميعها ، كما استطاع أن ينجي من القتل الكثيرين ممن كانوا سيقتلون .

ولما استتب الأمر لهولاكو خطا نصير الدين خطوته الأولى ، وكانت هذه المرة خطوة جبارة فقد اقنعه بأن يعهد إليه بالإشراف على الأوقاف الإسلامية والتصرف بمواردها بما يراه ، فوافق هولاكو . وتتطلع نصير الدين فرأى أن المسلمين كانوا قد وصلوا من الانحلال الفكري إلى حد اصبح العلم عندهم قشوراً لالباب فيها ، وأنهم حصروا العلم في الفقه والحديث وحدهما ، وحرموا ما عداهما من سائر صنوف المعرفة التي حث عليها الدين العظيم ، وانصرفوا عن العلوم العملية انصرافاً تاماً . فاعلن افتتاح مدارس لكل من الفقه ، والحديث ، والطب ، والفلسفة ، وأنه سيتولى الإنفاق على طلاب هذه المدارس ، ولكنه سيجعل لكل واحد من دارسي الفلسفة ثلاثة دراهم يومياً ، ولكل واحد من دارسي الطب درهمين ولكل واحد من دارسي الفقه درهماً ، ولكل واحد من دارسي الحديث نصف درهم ، فاقبل الناس على معاهد الفلسفة والطب ، بعدما كانت من قبل تدرس سراً .

أحرز نصير الدين النصر الأول في معارك الإسلام ، فالعلم لن ينقطع بعد اليوم ، ولن يجمد المسلمون عن طلبه ، ثم انصرف يخطط للمعركة الكبرى الكاسحة . فإذا كان انشاء المدارس المتفرقة لن يلفت هولاكو إليها ، ولن يدرك أهميتها ، فإن انشاء الجامعة الكبرى وحشد العلماء فيها وحشر الكتب في خزانتها ، سيكون حتماً منبهاً لهولاكو فكيف العمل ؟ .

هنا تبدو براعة الطوسي ، فهولاكو استبقاه لغاية معينة ، فراح يقنع هولاكو بأنه من أجل استمراره في عمله والاستفادة من مواهبه لا بد من انشاء مرصد كبير ، فوافق هولاكو على انشاء المرصد ، وفوض لنصير الدين المباشرة بالعمل .

لقد كانت هذه الموافقة الحلم الأكبر الذي حققته الأيام لنصير الدين ، وبات بعدها مستريحاً للمستقبل لا يشغله شيء إلا الاعداد الدقيق والتخطيط السليم الموصل إلى الغاية القصوى .

ضخم نصير الدين أمر المرصد لهولاكو وأقنعه أنه وحده أعجز من أن يرفع حجراً فوق حجر في ذاك البناء الشامخ ، وأنه لا بد له من مساعدين أكفاء يستند إليهم في مهمته الشاقة ، وأنه لا مناص من أجل ذلك من أن يجمع عدداً من الناس المختارين ، سواء في البلاد المحتلة أو في خارجها ، فوافق هولاكو على ذلك .

وهنا هب نصير الدين إلى اختيار رسول حكيم هو فخر الدين لقمان بن عبدالله المراغي ، وعهد إليه بالتطواف في البلاد الإسلامية ، وتأمين العلماء النازحين ودعوتهم للعودة إلى بلادهم ، ثم دعوة كل من يراه كفؤاً في عمله وعقله من غير النازحين .

مضى العمل منظماً دقيقاً وانصرف العلماء بإشراف الطوسي منفذين مخططا مدروساً ، فلم يمض كبير وقت حتى كانت المكتبات تغص بالكتب ، وحتى كانت مكتبة مراغة بالذات تضم مجموعة قل أن اجتمع مثلها في مكتبة اخرى ، وحتى كانت المدارس تقام في كل مكان ، وحتى كانت الثقافة الإسلامية تعود حية سوية ، وحتى كانت النفوس مشبعة بالأمل والقلوب المليئة بالرجاء ، وحتى كان الدعاة ينطلقون في كل صوب والهداة ينتشرون على كل وجهة . . .

ثم يموت هولاكو ، ولكن الإسلام الذي أراد له هولاكو الموت يظل صحيح البنية ، متوهج الفكر ، ثم يموت ابن هولاكو وخليفته (ابقاخان) والإسلام لا يزال بقيادة الطوسي صامداً ، يقاتل ويقاوم ويدعو ويهدي .

ويأتي بعد ابقاخان ، ابن هولاكو الآخر (تكودار) فإذا بالإسلام ينفذ إلى قلبه وعقله ، وإذا به يعلن إسلامه وتسلم الدولة كلها بعد ذلك .

وكان الطوسي قد مات سنة ٦٧٢هـ (١٢٧٤م) . مات قرير العين وهو يرى طلائع الظفر مقتحمة الدنيا بموكبها الرائع وبشائر النصر هازجة بأرفع صوت وأعلى نبرة . مات الطوسي مودعاً الأمر إلى تلميذه وأقرب المقربين إليه قطب الدين أبو الثناء محمود بن مسعود الشيرازي ، فنهض بالعبء على ما اراده نصير الدين . فلم يجد « تكودار » الذي اصبح اسمه « أحمد تكودار » خيراً من الشيرازي خليفة الطوسي ليكون رسوله إلى العالم العربي والإسلامي .

يقول الأستاذ عبد المتعال الصعيدي : « لم يمت نصير الدين إلاّ بعد أن جدد ما بلي في دولة التتار من العلوم الإسلامية وأحيا ما مات من آمال المسلمين بها » .

إلى أن يقول : « . . . ان الانتصار على التتار لم يكن في الحقيقة بردهم عن الشام في موقعة « عين جالوت » وإنما كان بفتح قلوبهم إلى الإسلام وهدايتهم له » .

وهذا ما حققه نصير الدين الطوسي .

هكذا استطاع نصير الدين الطوسي أن يهزم بالعقل والعلم الدولة الطاغية الباغية ، وأن تنجح خططه في تحويل المغول من وثنيين إلى مسلمين .

دراسته الأولى(١)

بعد أن ألمّ بعلوم اللغة والأدب تحوّل إلى دراسة الفقه والمنطق والحكمة والرياضيات . . . فتعلم الفقه عند والده وحضر مدة دروس خاله (نور الدين علي بن محمد الشيعي) ، أما مقدمات المنطق والحكمة فيذكر البعض أنه تتلمذ فيها على خاله أيضاً ، وقد درس مقدمات في الرياضيات بمدينة طوس عند (كمال الدين محمد حاسب) . رحل بعد ذلك إلى مدينة نيشابور ، التي كانت تعد عهدئذٍ مركزاً علمياً هاماً وموطناً لجمع من كبار الحكماء والفقهاء والعلماء والفضلاء ، ومكث فيها مدة يختلف إلى مجالسهم وينهل منها الحكمة والمعرفة ، حتى صار في عنفوان شبابه بارعاً ضلبعاً في أكثر الفنون والعلوم . . ويبدو أنه رحل عن تلك الديار قبل أن تتعرض نيشابور لحملة جيش التاتار الذي ألحق بها الهلاك والدمار . فسافر إلى مدينة (الري) ومنها توجه إلى بغداد والموصل حيث حضر مجالس كبار العلماء ، وقد درس في الموصل عند (كمال الدين بن يونس الموصلي) ثم نال إجازة من (سالم بن بدران المصري) الذي كان يعد من كبار فقهاء الشيعة ثم عاد إلى وطنه .

اساتذته

١ ـ وجيه الدين محمد بن الحسن : وهو جد نصير الدين ، يعد من فقهاء ذلك العصر ومحدثيه ، تعلم عنده الفقه والحديث . ومحمد بن الحسن هذا ، هو تلميذ السيد فضل الله الراوندي والذي هو تلميذ المرتضى علم الهدى(٢) .

٢ ـ نور الدين علي بن محمد الشيعي : وهو خال المترجم ، كان من العلماء . ويذهب بعض المؤرخين إلى أن المترجم تعلم مقدمات المنطق والحكمة عند خاله ولكنهم لم يوردوا اسم هذا الخال ، إلا أن ابن الفوطي الذي ذكر ذلك أيضاً صرّح باسم خاله (نور الدين علي بن محمد الشيعي) .

٣ ـ نصير الدين ابو طالب عبدالله بن حمزة الطوسي : وهو خال أبيه (محمد بن الحسن) ، وكان من كبار علماء الإمامية . سمع المترجم عنده الحديث وحصل منه على إجازة في روايته . أن نصير الدين هذا يروي عن عفيف الدين محمد بن الحسن الشوهاني وهذا يروي عن الشيخ المفيد عبد الجبار المقري والأخير يروي عن شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي . وبناء على هذا التسلسل فإن الخواجة نصير الدين يتصل بشيخ الطائفة الطوسي عبر أربع وسائط .

٤ ـ فريد الدين النيشابوري : أبو محمد الحسن بن محمد بن حيدر الفريومدي النيشابوري وهو رجل حكيم وأصولي ، عرف بـ « الداماد » .

يذهب أكثر المؤرخين إلى أن فريد الدين هذا كان تلميذ صدر الدين علي بن ناصر السرخسي النيشابوري والذي هو تلميذ افضل الدين الجيلاني ، والجيلاني هذا كان تلميذاً لابن العباس اللوكري تلميذ بهمنيار الذي تتلمذ بدوره على (ابو علي بن سينا) . وبناء على التسلسل هذا فإن المترجم يعد تلميذ ابن سينا عبر خمس وسائط ثم هو تلميذ الإمام الفخر الرازي بعد واسطة واحدة .

لقد تعلم المترجم كتاب الإشارات للشيخ (ابن سينا) عند فريد الدين . كما أخذ عنه في الحكمة أيضاً .

٥ ـ قطب الدين المصري (المقتول في ٦١٨هـ) : وهو إبراهيم بن علي بن محمد السلمي ، أصله من المغرب ، ولأنه أقام مدة من حياته في مصر فقد أطلق عليه لقب المصري عندما استقر في خراسان .

وهو من المع تلامذة الإمام الفخر الرازي . وبعد وفاة الإمام الرازي اتسعت دائرة نشاطه وافاداته في نيشابور حيث كان يقصده الطلاب من مختلف الأمصار والبلدان ليفيدوا من علومه ودروسه . وقد قتل المصري عندما غزا المغول مدينة نيشابور . من تأليفاته ، شرح لـ (قانون) ابن سينا . ويبدو أن المترجم درس عنده في علوم الحكمة والطب .

٦ ـ كمال الدين بن يونس الموصلي (المتوفى بـ ١٤ أو ١٥ شعبان سنة ٦٣٩هـ) : هو ابو الفتح موسى بن أبي الفضل يونس بن محمد ، كان جامعاً لجميع العلوم وماهراً ضليعاً في كل الفنون ، خاصة رياضيات اقليدس ، الهيأة ، المخروطات المتوسطات ، الـ (مجسطي) ، الحساب ، الجبر ، المقابلة ، الموسيقى ، الفقه وأصول الفقه ، وكان متميزاً قديراً نحريراً لم يبلغ درجته العلمية أي واحد من أقرانه ورفاقه .

أما المترجم فقد استفاد من دروسه ـ في بغداد أو الموصل ـ حيث أخذ عنه شيئاً من علوم الرياضيات والحكمة .

٧ ـ معين الدين المصري : هو ابو الحسن سالم بن بدران المازني ، من كبار فقهاء الشيعة وله عدة مصنفات حول مذهب الإمامية . لقد وصفه صلاح الدين الصفدي في كتاب (الوافي بالوفيات) بأنه شيعي معتزلي وكذلك فعل محمد بن شاكر في كتاب (فوات الوفيات) .

وهو من تلاميذ ابن ادريس الحلّي صاحب كتاب (السرائر) ، وقد روى عن السيد عز الدين أبو المكارم حمزة بن علي بن زهرة الحسيني الحلّي صاحب كتاب (غنية النزوع) .

كان المترجم الطوسي من تلاميذه في الفقه وأصول الفقه كما كان مجازاً من قبله ، وننقل فيما يلي نصّ الإجازة .

« قرأ عليّ جميع الجزء الثالث من كتاب « غنية النزوع إلى علمي الأصول والفروع » من أوله إلى آخره قراءة تفهّم وتبيّن وتأمل ، مستبحث عن غوامضه ، عالم بفنون جوامعه ، وأكثر الجزء الثاني من هذا الكتاب وهو الكلام في أصول الفقه . الإمام الأجل العالم الأفضل الأكمل الأورع المثقف المحقق نصير الملّة والدين وجيه الإسلام والمسلمين سند الأئمة والأفاضل مفخر العلماء والأكابر أفضل أهل خراسان محمد بن محمد بن الحسن الطوسي زاد الله في علائه وأحسن الدفاع عن حوبائه ، وأذنت له في رواية جميعه عني وعن السيد الأزهر العالم الأوحد الطاهر الزاهر البارع عز الدين أبي المكارم حمزة بن علي بن زهرة الحسيني قدّس الله سرّه ونوّر ضريحه وجميع تصانيفه وجميع تصانيفي ومسموعاتي وقراءاتي واجازاتي عن مشايخي ما اذكر اسانيده وما لم أذكر إذا ثبت عنده وما لعلي أن أصنفه .

وهذا خط أضعف خلق الله وأفقرهم إلى عفوه سالم بن بدران بن علي

(١) من هنا إلى آخر البحث مكتوب بقلم : مدرس رضوي ، ومؤلفاته وان ذكرت من قبل فإن هنا تفاصيل اخرى عليها .

(٢) لا يبدو أن الراوندي أدرك زمان المرتضى علم الهدى (المتوفى سنة ٤٢٦هـ) ولهذا السبب يذهب البعض إلى أن السيد فضل الله الحسيني الراوندي من تلامذة شرف السادات أبو تراب المرتضى بن السيد الداعي مؤلف كتاب (تبصرة العوام) ، وليس السيد المرتضى علم الهدى .

المازي المصري كتبه ثامن عشر شهر جمادى الأخرى سنة تسع عشرة وستمائة حامداً لله مصلياً على خير خلقه محمد وآله الطاهرين »[1] .

أما نصير الدين فإنه ينقل عن استاذه معين الدين في كتاب (الفرائض) ويذكره :

« ولنورد المثال الذي ذكره شيخنا الإمام السعيد معين الدين سالم بدران المصري في كتابه الموسوم بالتحرير » .

٨ ـ الشيخ أبو السعادات أسعد بن عبد القاهر بن أسعد الأصفهاني : لقد استفاد المترجم منه لمدة من الوقت وكان حينها زميلاً وشريكاً في الدرس للشيخ ميثم البحراني والسيد رضي الدين بن طاووس .

ولقد ذكر البعض أن المترجم تعلّم في الفقه عند الشيخ ميثم البحراني كما أن الشيخ ميثم البحراني كان يأخذ عنه دروساً في الحكمة . ولهذا فإن الشيخ ميثم البحراني يعد من بين اساتذة المترجم .

٩ ـ الشيخ برهان الدين محمد بن محمد بن علي الحمداني القزويني : كان ساكناً في الري وكان مجازاً للرواية من الشيخ منتخب الدين أبو الحسن علي بن عبدالله بن الحسن الرازي القمي صاحب الفهرست . وقد عاش إلى العام (٦١٢هـ) وسمع المترجم عنه الحديث وكان بعد شيخ المترجم في رواية الحديث .

١٠ ـ كمال الدين محمد الحاسب : وقد ورد ذكره فقط في رسالة (السير والسلوك) المنسوبة للمترجم ولم يذكر اسمه في المصادر والنصوص الأخرى .

١١ ـ سراج الدين القمري : الذي ذكر في كتاب (درة الأخبار) ـ فقط ـ على أنه استاذ المترجم .

مؤلفاته

يعد المترجم من بين الذين اشتهروا بكثرة التأليف والتصنيف في مختلف العلوم والفنون المعروفة في عصره . كالتاريخ والعلوم والأدب والفقه والتفسير والأخبار والحكمة والفلسفة والأخلاق والهندسة والحساب والجبر والمقابلة والهيأة والنجوم (الفلك) وعلم التقويم والـ (زيج) وأحكام النجوم والاسطرلاب والموسيقى وبقية العلوم .

وقد عرفت مؤلفاته بسهولة العبارة والخلو من تعقيداتها والتهذيب وتنقيح المعاني وبعدها عن الحشو والزوائد الخالية من المعاني مما جعلها مورد رغبة الطلاب واقبال العلماء بنحو اصبحت تلك المؤلفات من بين كتب الدراسة على امتداد قرون من الزمن ولهذا تناولها كثير من العلماء بالتعليق والتداول والشرح .

وقد كانت مؤلفاته باللغة العربية والفارسية ، كما ترجمت بعض رسائله العلمية من العربية إلى الفارسية وبعض كتبه من الفارسية إلى العربية كما ترجم قسم من مؤلفاته إلى اللغات الأجنبية الأخرى .

وقد تناولت تلك المؤلفات علوم الرياضيات والأجوبة على المسائل المطروحة وكذلك جملة من المقالات والمعالجات المختصرة إلى جانب ترجماته لكتب كثيرة . . .

وفيما يلي ثبت بأسماء مؤلفاته :

١ ـ تحرير (المجسطي) : وأصل هذا الكتاب من بطليموس قلوذيست ، وهو يشتمل على ثلاث عشرة مقالة وبعض الفصول و١٩٦ شكلاً . وقد حرر المترجم هذا الكتاب لحسام الدين وسيف الناظرين الحسن بن محمد السيواسي . وانتهى من تحريره في الخامس من شوال سنة (٦٤٤هـ) .

٢ ـ تحرير اقليدس : (او تحرير أصول الهندسة) وهذا الكتاب نقله من اليونانية إلى العربية ثابت بن قرة وقد قام المترجم بتحريره .

كتب المترجم في مقدمة هذا الكتاب : « كتبت هذا الكتاب بعد (تحرير مجسطي) وفرغت من تحريره في ٢٢ شعبان ٦٤٦هـ » .

٣ ـ تحرير اكرمالاوس : وهو من كتب المتوسطات ، والمقصود بالمتوسطات الكتب التي كان ينبغي أن تقرأ بعد كتاب اقليدس وقبل الـ (مجسطي) ـ وقد ورد في بعض نسخ الكتاب ثلاث مقالات وفي بعض نسخه مقالتان . وقد فرغ من تحرير هذا الكتاب في ٢١ شعبان (٦٦٣هـ) .

٤ ـ تحرير اكرثا وذوسيسوس : وهو أيضاً من بين كتب المتوسطات . ويتكون من ثلاث مقالات ويشتمل على ٥٩ أو ٥٨ شكلاً .

وقد فرغ من تحريره في جمادى الأولى سنة ٦٥١هـ .

٥ ـ تحرير المأخوذات : في اصول الهندسة ، وأصل هذا الكتاب من أرشميدس حيث نقله ثابت بن قرة إلى اللغة العربية .

وقد ذكر المترجم في مقدمته :

عَدَّ المتأخرون هذا الكتاب في كتب المتوسطات وهو يشتمل على مقالة و٥١ شكلاً .

٦ ـ تحرير كتاب المعطيات في الهندسة : ان مؤلف هذا الكتاب هو اقليدس ، وقد ترجمه من اليونانية إلى اللغة العربية اسحق بن حنين ونقّحه واصلحه ثابت بن قرة ، وقام المترجم بتحريره وهو يشتمل على ٩٥ شكلاً .

٧ ـ تحرير كتاب (كرة متحركة) (الكرة المتحركة) : ان مؤلف هذا الكتاب (اطولوقس) وقد ترجمه إلى العربية ثابت بن قرة . وقام بتحريره المترجم وهو يشتمل على مقالة و١٢ شكلاً . وقد فرغ من تحريره في يوم الجمعة ٧ جمادى الأولى سنة ٦٥١هـ .

٨ ـ تحرير معرفة مساحة الأشكال البسيطة والكروية : من تأليف بني موسى أحمد وحسن ومحمد . وقد قام المترجم بتحريره سنة ٦٥٣هـ .

٩ ـ تحرير كتاب الليل والنهار : أو كتاب الأيام والليالي . ان مؤلف هذا الكتاب هو ثاوذوسيسوس . ويحوي مقالتين و٣٣ أو ٣٠ شكلاً . وقد فرغ المترجم من تحريره في التاسع من جمادى الأولى سنة ٦٥٣هـ .

١٠ ـ تحرير كتاب المناظر : ان مؤلف هذا الكتاب هو اقليدس . وقد ترجمه اسحق بن حنين إلى اللغة العربية وقام بإصلاحه وتنقيحه ثابت بن قرة . وانتهى المترجم من تحريره في شوال ٦٥١هـ .

١١ ـ تحرير كتاب جرمي النيرين وبعديهما : مؤلف الكتاب ارسطرخس . وهو يشتمل على ١٧ شكلاً . قام بتحريره نصير الدين في سنة ٦٥٣هـ .

١٢ ـ تحرير طلوع وغروب (الشروق والغروب) : مؤلف الكتاب هو

(١) الإجازات : بحار الأنوار ، طبع طهران ، ص ١٦ . وورد في كتاب (لؤلؤة البحرين) كذلك .

اطولوقس وقد نقله قسطا بن لوقا من اليونانية إلى العربية وقام ثابت بن قرة والكندي بإصلاحه وتنقيحه كما قام المترجم بتحريره سنة ٦٥٣هـ والكتاب يحوي مقالتين و٣٦ شكلاً .

١١ ـ تحرير مطالع (المطالع) : مؤلف الكتاب هو اسقيلاوس . وقد قام بترجمته من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية قسطا بن لوقا . وصححه ونقحه يعقوب بن اسحق الكندي . كما حرره المترجم . والكتاب يشتمل على ثلاث مقدمات وشكلين . فرغ من تحريره سنة ٦٥٣ هـ .

١٤ ـ تحرير كتاب المفروضات : مؤلف الكتاب ارشميدس . ترجمه من اليونانية إلى العربية ثابت بن قرة وحرره المترجم ، يحوي ٣٦ شكلاً وفي بعض النسخ ٣٤ شكلاً . فرغ من تحريره سنة ٦٥٣هـ .

١٥ ـ تحرير كتاب ظاهرات الفلك : مؤلف هذا الكتاب هو اقليدس وقد ترجمه ثابت بن قرة من اليونانية إلى العربية . وحرره المترجم . يتضمن ٢٣ شكلاً ـ كما ورد في بعض النسخ ـ أو ٢٥ شكلاً كما ورد في نسخ اخرى . أما في الحال الحاضر فليس بين أيدينا سوى شكلين مما تضمنه الكتاب . وقد فرغ من تحريره في ربيع الأول سنة ٦٥٣هـ .

١٦ ـ تحرير (كرة واستوانة) الكرة والاسطوانة : أو شرح الكرة والاسطوانة .

مؤلف هذا الكتاب هو ارشميدس ـ وقد نقله من اليونانية إلى العربية ثابت بن قرة . وحرّره المترجم يحوي هذا الكتاب ٤٨ شكلاً وفي بعض النسخ ٤٣ شكلاً .

١٧ ـ مقالة في تكسير الدائرة : وهو من تأليف ارشميدس أيضاً حرره المترجم وأضافه إلى آخر كتاب . (تحرير الكرة والاسطوانة) .

١٨ ـ تحرير كتاب المساكن : مؤلف الكتاب ثاذوسيسوس . وقد نقله إلى العربية قسطا بن لوقا . وحرره المترجم يحوي هذا الكتاب ١٢ شكلاً . فرغ من تحريره سنة ٦٥٣هـ .

١٩ ـ المخروطات : مؤلف الكتاب هو ابلوثيوس وهو يتضمن سبع مقالات . ترجم المقالات الخمس الأول منها إلى اللغة العربية هلال بن هلال الحمصي ، أما المقالة السادسة والسابعة فقد قام بنقلها إلى العربية ثابت بن قرة . كما قام بتصحيحها وتنقيحها أحمد بن موسى وحررها المترجم .

٢٠ ـ الاسطوانة : ورد اسم هذا الكتاب في فهرست كتب المترجم التي ذكرها كل من الصفدي ومحمد بن شاكر . الا أن صاحب (الذريعة) احتمل أن يكون هذا الكتاب هو نفس كتاب (تحرير الكرة والاسطوانة) لمؤلفه ارشميدس .

٢١ ـ كشف القناع عن اسرار شكل القطاع : هذا كتاب الشكل الأول من الأشكال ذات الأبعاد الثلاثة لا كرمانا لاوس الذي نقله المترجم إلى الفارسية أولاً ثم إلى العربية . وهو مرتب في خمس مقالات . ويسمي البعض هذا الكتاب بـ (الشكل القطاع) .

٢٢ ـ تربيع الدايرة : صنّفه أرشميدس وحرره المترجم .

٢٣ ـ حالات الخطوط المنحنية : من تأليف الحكيم الرياضي ابلنيوس . يحوي اربع مقالات ، ترجم المقالة الأولى أحمد بن موسى الحمصي . وترجم البقية ثابت بن قرة ، ثم راجعه ونقّحه حسن وأحمد بن موسى بن شاكر . وحرره المترجم .

٢٤ ـ تسطيح الكرة والمطالع : من تصنيفات بطليموس قلوذيست . نقله من اليونانية إلى العربية ثابت بن قرة . وحررهُ المترجم .

٢٥ ـ رسالة في انعطاف الاشعة وانعكاسها : أو رسالة في انعكاسات الأشعة .

٢٦ ـ رسالة الشافعية : أو رسالة « في مصادرات اقليدس في الهندسة » . ينقل وينقد المترجم في هذه الرسالة اقوال علي بن هيثم المتبحر في علوم الرياضيات وأبي الفتح عمر الخيامي وعباس إبن سعيد الجوهري في باب مصادرات اقليدس ويعرض رأيه في هذا الباب ويدلل عليه .

٢٧ ـ كتاب التجريد في الهندسة : ويشمل سبع مقالات .

٢٨ ـ كتاب البلاغ : وهو عبارة عن شرح لكتاب اقليدس . من تأليف الخواجة نصير الدين الطوسي .

٢٩ ـ رسالة في شكل القطاع السطحي : توجد نسخة من هذا الكتاب في المكتبة الوطنية بباريس .

٣٠ ـ مختصر كرات ارشميدس : ترجمة ثابت بن قرة وتحرير الخواجة نصير الدين الطوسي .

٣١ ـ تحرير المائة والخمس مسائل من أصول الهندسة .

٣٢ ـ رسالة في باب تعيين قبلة تبريز ، باللغة العربية .

٣٣ ـ جامع الحساب بالتحت والتراب : أو (جوامع الحساب) يشتمل هذا الكتاب على ثلاثة أبواب وبعض الفصول .

٣٤ ـ رسالة الحساب : باللغة الفارسية ، وتوجد نسختها في مكتبة ملك الوطنية . (طهران) .

٣٥ ـ رسالة في الحساب والجبر والمقابلة : يحوي هذا الكتاب بابين : الباب الأول في اصول قواعد الحساب ، والباب الثاني في كيفية استخراج مجهولات الأعداد المتناسبة بطريقة الجبر والمقابلة . وقد ألّف في سنة٦٦٧هـ .

٣٦ ـ كتاب الظفر : وهو أيضاً في الجبر والمقابلة ، وقد نسبه (الحاج خليفة) إلى المترجم .

٣٧ ـ رسالة في علم المثلثات : ذكر في (تذكرة النوادر) ان نسخة هذا الكتاب بخط قطب الدين العلامة الشيرازي موجودة في مكتبة مولانا يعقوب بدواني في الهند .

٣٨ ـ « الرسالة المعينية » أو « المفيد » : وهو كتاب في علم الهيأة ، كتب باللغة الفارسية . مؤلف في أربع مقالات . كتبه سنة ٦٣٢هـ في قهستان باسم أبو الشمس معين الدين بن ناصر الدين المحتشم .

٣٩ ـ شرح المعينية : أو (حل مشكلات الرسالة المعينية) وقد كتب هذا الشرح بطلب من نفس معين الدين في قهستان .

٤٠ ـ زبدة الهيأة : وهو مختصر في علم الهيأة . كتب باللغة الفارسية

ويحتوي على ثلاثين فصلاً .

٤١ ـ زبدة الادراك في هيئة الافلاك : وهي رسالة مختصرة في علم الهيأة كتبت في مقدمة ومقالتين ، باللغة العربية .

٤٢ ـ التذكرة النصيرية : في علم الهيأة ، يعد هذا الكتاب من أهم الكتب في هذا الفن واجمعها لمسائله . وهو مرتب على أربعة أبواب ، وقد ألّفه بناء على طلب عز الدين الزنجاني بتاريخ ٦٥٦هـ . وقد تناوله جمع كبير من اخصائيي هذا العلم بالشرح والتوضيح .

٤٣ ـ رسالة في بيان الصبح الكاذب : وهي رسالة مختصرة جداً في هذا الباب ـ وتوجد نسختها في مكتبة مدرسة سيهسالار بطهران .

٤٤ ـ رسالة في تحقيق قوس قزح : وهي أيضاً رسالة مختصرة جداً ونسختها موجودة في مكتبة ملك الوطنية .

٤٥ ـ مختصر في معرفة التقويم : وهو كتاب معروف بأنه يتألف من ثلاثين فصلاً ، ألفه باللغة الفارسية سنة ٦٥٨هـ بعد الشروع في مرصد مراغه .

٤٦ ـ ثلاثون فصلاً في الهيأة والنجوم : توجد نسخته في مكتبة اكسفورد .

٤٧ ـ (زيج ايلخاني) : وهو كتاب ألّف باللغة الفارسية . يحوي أربع مقالات : المقالة الأولى في معرفة التواريخ ، والمقالة الثانية في معرفة حركة الكواكب ومواقعها في خطوط الطول والعرض وتوابع ذلك ، والمقالة الثالثة في معرفة الأوقات ، والمقالة الرابعة في بقية اعمال النجوم وجداول حركات الكواكب .

٤٨ ـ مدخل إلى علم النجوم : منظومة في علم النجوم باللغة الفارسية .

٤٩ ـ اختيارات مسير القمر : هذا الكتاب أيضاً عبارة عن منظومة باللغة الفارسية كتبت على وزن بحر الرمل ، المثمن ، المحذوف أو المقصور حول اختيارات حركة القمر وأحواله .

٥٠ ـ رسالة في التقويم وحركات الأفلاك : وتوجد نسختها في مكتبة (آستان قدس) « مشهد/إيران » .

٥١ ـ كتاب (البارع في علوم التقويم) .

٥٢ ـ تحصيل در علم نجوم (الدراسة في علم النجوم) : توجد نسخة هذا الكتاب في مكتبة اكسفورد .

٥٣ ـ التقويم العلائي : ألّف باسم علاء الدين محمد الملك الاسماعيلي .

٥٤ ـ نهاية الادراك ودراية الأفلاك : ذكر في كتاب (كشف الحجب والاستار) ان الخواجة نصير الدين ألف هذا الكتاب في عهد بهاء الدين محمد الجويني بطلب محمد بن عمر بدخشاني .

يرجى ملاحظة أن نسبة الكتب الخمس الأخيرة للمترجم غير أكيدة .

٥٥ ـ شرح ثمرة بطليموس أو « ترجمة ثمره » (ترجمة الثمرة) : بناء على تمنّي ورغبة حاكم اصفهان الخواجة بهاء الدين محمد بن شمس الدين الوزير فإنه قد تُرجم كتاب الثمرة لبطليموس واضيفت إليه مطالب وموضوعات اخرى .

ويتضمن هذا الكتاب مائة عبارة ومقولة ولذلك يقرأ باليونانية انسطوريطا . وقد تمت ترجمة هذا الكتاب وشرحه في سنة ٦٧٠هـ .

٥٦ ـ بيست باب در معرفت اسطرلاب (عشرون باباً في معرفة الاسطرلاب) : رسالة صغيرة باللغة الفارسية في معرفة الاسطرلاب وطريقة عملها .

٥٧ ـ صد باب در معرفت اسطرلاب (مائة باب في معرفة الاسطرلاب) : يرى صاحب « الذريعة » أن الكتاب الأول « عشرون باباً في معرفة الاسطرلاب » هو مختصر هذا الكتاب .

٥٨ ـ مقالة در موسيقى (مقالة في الموسيقى) توجد نسخة هذا الكتاب في المكتبة الوطنية بباريس .

٥٩ ـ كتاب تحرير المنطق مختصر باللغة العربية يحوي تسعة فصول . توجد نسخة قديمة من هذا الكتاب في مكتبة ملك الوطنية بطهران .

٦٠ ـ اساس الاقتباس : يعد هذا الكتاب أكبر الكتب في علم المنطق وأهمها بعد كتاب « الشفاء » . وقد كتب باللغة الفارسية . ويحوي تسع مقالات . وقد ألّف في سنة ٦٤٢هـ .

٦١ ـ تعديل المعيار في نقد تنزيل الأفكار : أصل الكتاب ألفه المفضل بن عمر أثير الدين أبهريست ، وقد نقده المترجم واسماه بـ (تعديل المعيار . .) .

٦٢ ـ مقولات عشر (المقولات العشر) .

٦٣ ـ كتاب التجريد : أو (تجريد العقائد) أو (تحرير العقائد في الكلام) وهذا المختصر يعد أول كتاب يصنّف بهذه الطريقة وفق معتقدات وعقائد الإمامية ـ وهو مرتب في ستة مقاصد أو موضوعات .

٦٤ ـ قواعد العقايد : وهو رسالة مختصرة في أصول العقائد ـ وقد ذكر اسم هذا الكتاب بصور اخرى مثل : « رسالة اعتقادية » و « مقالة نصيرية » .

٦٥ ـ فصول نصيرية : وهو كتاب صغير في أصول العقايد كتب باللغة الفارسية . وقد نقله إلى العربية ركن الدين محمد بن علي الفارسي الجرجاني .

٦٦ ـ تلخيص المحصل : أو (نقد المحصل) ، وهو في علم الكلام . وهو عبارة عن تهذيب وتنقيح قام به المترجم لكتاب (محصل افكار المتقدمين والمتأخرين) للإمام الرازي ، بالاضافة إلى نقود لبعض مواضيع الكتاب . وقد ألفه باسم عطاملك الجويني سنة ٦٦٩هـ .

٦٧ ـ آغازوانجام (البداية والنهاية) : رسالة في المبدأ والمعاد وقد ذكرت أيضاً باسم : « رسالة في المبدأ والمعاد » وقد ذكر المترجم نفسه في مقدمة هذه الرسالة اسماً آخر هو « تذكرة باد » .

٦٨ ـ (رسالة اعتقادية) أو (اعتقادات) أو (العقيدة المفيدة) : مقالة مختصرة حول ما يجب أن يعتقد به المسلم الشيعي .

٦٩ ـ رسالة اثبات واجب (رسالة اثبات الواجب) : وهي رسالة مختصرة باللغة الفارسية ، أورد فيها أربعة أوجه لاثبات الواجب (الله) (واجب الوجود) على طريقة المتكلمين ، وثلاثة أوجه على طريقة الحكماء .

٧٠ ـ رسالة ديكر در اثبات واجب (رسالة اخرى في اثبات الواجب) :

وقد ألفها على طريقة المناظرة .

٧١ ـ (الرسالة المقنعة) : وهي رسالة في أصول الدين باللغة العربية . وقد شرح محمد مؤمن ابن طاهر الدين الكرماني هذه الرسالة ونسبها في المقدمة ـ إلى نصير الدين الطوسي .

٧٢ ـ رسالة اصول الدين : وهي رسالة في اصول العقائد مؤلفة باللغة العربية .

٧٣ ـ رسالة اخرى في اصول العقائد : وهي رسالة كتبت باللغة العربية تبحث في التوحيد والعدل والمعاد والامامة .

٧٤ ـ رسالة امامت (رسالة الامامة) : وقد ألّفها بناء على طلب محمد الدين شهاب الإسلام علي بن نام آور .

٧٥ ـ اثبات الفرقة الناجية : يرى صاحب (الذريعة) ان هذه الرسالة من تأليف الخواجة نصير الدين الطوسي .

٧٦ ـ رسالة جبر واختيار (رسالة الجبر والتفويض) : وقد ورد اسمها بنحو آخر وهو (جبر وقدر وقضاء وقدر) أي (الجبر والقدر والقضاء والقدر) .

٧٧ ـ شرح اشارات (شرح الاشارات) : والمسمى بـ (حل مشكلات اشارات) ، لقد طبع أصل هذا الكتاب باسم (الاشارات والتنبيهات) للفيلسوف الحكيم الكبير الشيخ أبو علي بن سينا . وقد تناوله جمع من كبار العلماء بالشرح ومنهمّ الإمام فخر الدين الرازي والذي أورد كثيراً من الاشكالات على الشيخ ابن سينا . ثم تناوله نصير الدين بالشرح أيضاً وردّ خلال الشرح على اشكالات الفخر الرازي ، وقد استغرق عمله في هذا الكتاب عشرين عاماً حيث فرغ من الشرح في سنة ٦٤٤هـ .

٧٨ ـ مصارع المصارع : كتب تاج الدين محمد بن عبد الكريم الشهرستاني كتاباً اسماه (المصارعات) وضمّن هذا الكتاب اعتراضات واشكالات كثيرة على فلسفة ابن سينا وآرائه . (وادعى في كتابه انه يصارع الشيخ) . فألف المترجم كتابه (مصارع المصارع) ورد فيه على الاعتراضات والشبهات التي أوردها تاج الدين في كتابه .

٧٩ ـ اقسام الحكمة : رسالة مختصرة باللغة العربية . في بيان اقسام الحكمة بنحو موجز .

٨٠ ـ شرح مرموز الحكمة : ان كتاب (مرموز الحكمة) مؤلّف باللغة العربية ومنسوب لـ (أبو علي بن سينا) . وله شرح باللغة الفارسية منسوب إلى نصير الدين .

٨١ ـ شرح رسالة العلم : وهي رسالة مختصرة من تأليف أبو جعفر أحمد بن علي بن سعيد بن سعادة . وقد أرسلها تلميذه جمال الدين علي بن سليمان البحراني إلى نصير الدين الطوسي ليقوم بتوضيح موضوعاتها وشرح المسائل التي وردت فيها . وقد قام الطوسي بشرحها وتوضيحها بنحو بديع رائع .

٨٢ ـ الرسالة المنتخبة في معالم حقيقة النفس وما يتصل بذلك : رسالة مؤلفة باللغة العربية . في حقيقة النفس . وتشتمل على ثلاثة فصول وخاتمة .

٨٣ ـ رسالة في ماهية العلم والعالم والمعلوم : وهي رسالة مختصرة باللغة العربية منسوبة إلى نصير الدين . وقد طبعت بطهران باسم (العلم اللدني والكسبي) في حاشية كتاب (المشاعر) للأخوند ملا صدرا .

٨٤ ـ لقاء النفس بعد فناء البدن : ألف هذه الرسالة بطلب رفيقه في العمل مؤيد الدين العرضي .

٨٥ ـ رسالة درموجودات وأقسام آن (رسالة في الموجودات واقسامها) : رسالة مختصرة باللغة الفارسية .

٨٦ ـ رسالة في صدور الخلق من (حضرة) الحق : وهي رسالة مكتوبة باللغة العربية يتحدث فيها عن كيفية صدور الموجودات من المبدأ الفياض ، ثم يتبادل آراء الحكماء في باب علم الله تعالى . وقد ألف هذا الكتاب في سنة ٦٦٦هـ . بناء على طلب قاضي القضاة في هرات (بأفغانستان) .

٨٧ ـ رسالة اثبات جوهر مفروق (رسالة اثبات الجوهر المفروق) : وقد ذكر لهذه الرسالة اسمان آخران هما (اثبات العقل) و (رسالة نصيرية) .

٨٨ ـ رسالة در كيفيت صدور كثرت ازوحدت (رسالة في كيفية صدور الكثرة من الوحدة) : توجد نسخة هذه الرسالة في مكتبة ملك الوطنية .

٨٩ ـ رسالة در نفي واثبات (رسالة في النفي والاثبات) : وهي رسالة مختصرة باللغة الفارسية .

٩٠ ـ روضة القلوب : رسالة حول الحقيقة كتبت باللغة الفارسية .

٩١ ـ تحفة (التحفة) رسالة باللغة الفارسية حول معرفة النفس .

٩٢ ـ ربط الحادث بالقديم : وهي رسالة يبحث فيها عن ارتباط وعلاقة الموجودات الحادثة بالله الخالق تعالى . وفي هذه الرسالة يذكر استاذه فريد الدين محمد الداماد النيشابوري .

٩٣ ـ رسالة رد إيراد كاتبي قزويني بر حكما (رسالة في رد اشكال الكاتب القزويني على ادلة الحكماء) : ألّف علي بن عمر الكاتبي رسالة مختصرة في اثبات الواجب (الله) وفي هذه الرسالة عرض اشكالات على ادلة الحكماء . فألف المترجم الرسالة المذكورة وابطل اشكالات الكاتبي وأجاب عليها .

٩٤ ـ رسالة اثبات عقل فعّال (رسالة اثبات العقل الفعّال) .

٩٥ ـ رسالة دراينكه مفهوم از ادراك تعقل است يا غير آن (رسالة في أنه هل المفهوم من الإدراك التعقل أم غير ذلك) .

٩٦ ـ رسالة در اتحاد مقول ومقول عليه (رسالة في اتحاد المقول والمقول عليه) .

٩٧ ـ رسالة در بحث از علل ومعلولات مترتبة (رسالة في بحث العلل والمعلولات المترتبة) .

٩٨ ـ رسالة در كيفيت انتفاع بحس (رسالة في كيفية الانتفاع بالحس) .

٩٩ ـ جام كيتي نما (مرآة العالم) : في اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ، وقد نسبت إلى الخواجة الطوسي .

١٠٠ ـ شرح التهافت : هذا الكتاب أيضاً في اكتفاء القنوع نسب إلى الخواجة . أما شرح التهافت فهو لـ (علاء الدين الطوسي) وليس لنصير الدين الطوسي .

١٠١ ـ رسالة خلق اعمال (رسالة خلق الأعمال) : باللغة الفارسية .

١٠٢ ـ رسالة در نفوس ارضية وقواي انها (رسالة في النفوس الأرضية وقواها) .

١٠٣ ـ (الفوائد الثمانية) : وهي رسالة تشتمل على ثماني فوائد . في هذه الرسالة بحث في مسائل مختلفة . كلامية وفلسفية من قبيل الزمان والمكان والعلل والمعلولات ومعنى العصمة ومعاني الطبيعة وافعال العباد وحول ان المبدأ الأول ليس ممكن الوجود .

١٠٤ ـ المقالات الست : وتشمل هذه الرسالة مقالات مختلفة .

١٠٥ ـ رسالة در اشارات به مكان وزمان آخرت (رسالة في الاشارات لمكان وزمان الآخرة) : وهي رسالة مختصرة باللغة الفارسية .

١٠٦ ـ قوانين الطب : ذكرها الحاج خليفة ونسبها إلى الخواجة

١٠٧ ـ حواشي بركليات قانون ابو علي سينا (حواشي على « كليات قانون » ابو علي إبن سينا) : ذكر شاكر والصفدي اسمها وعدّاها من كتب الخواجة .

١٠٨ ـ حل مشكلات قانون ابن سينا : وهي اجوبة لتساؤلات واشكالات نجم الدين الكاتبي القزويني .

١٠٩ ـ جواب اسئلة العلّامة قطب الدين الشيرازي حول مشكلات قانون ابن سينا : ذكر العلامة الشيرازي في مقدمة (التحفة السعيدية) هذين الكتابين ونسبهما الى الخواجة .

١١٠ ـ رسالة در جواب اسئلة سيد ركن الدين استرابادي (رسالة في جواب اسئلة السيد ركن الدين الاسترابادي) : المذكور قدم عشرين سؤالاً حول المنطق والحكمة من استاذه في شهر محرم سنة ٦٧١ ، وقد أجاب على تلك الأسئلة ضمن هذه الرسالة .

١١١ ـ رسالة في جواب ثلاثة اسئلة لاثير الدين الابهري أجاب عليها وأرسلها الى الحكيم .

١١٢ ـ رسالة في جواب اسئلة شرف الدين محمد بن محمود الرازي : وهي اسئلة موجّهة الى الروم أجاب عليها .

١١٣ ـ رسالة في جواب نجم الدين علي بن عمر الكاتبي القزويني : والتي يسأل فيها حول معنى قول ابن سينا ، ان الحرارة تنقل في الرطب سواداً وفي ضده بياضاً . . الخ » ما المقصود من ذلك ؟ فأجاب عليها بجوابين .

١١٤ ـ سأله أحد الحكماء حول التنفس فكتب حول ذلك رسالة .

١١٥ ـ قدم عز الدين سعد بن كمونة إلى الخواجة اسئلة حول مغالطات الكاتبي القزويني ، فكتب رسالة في جواب ذلك .

١١٦ ـ شكك نجم الدين علي بن عمر الكاتبي القزويني في المسألة المنطقية : « نقيض العام أخص من نقيض الخاص » . فكتب رسالة في الجواب على ذلك التشكيك .

١١٧ ـ رسالة جوابية بخصوص سؤال أحد العلماء حول مزاج الأعضاء .

١١٨ ـ رسالة في جواب لسؤال حول خيرية الوجود ؟ .

١١٩ ـ رسالة في الأجوبة على اسئلة محيي الدين محيجا العباسي الذي كان تلميذاً للمترجم وفي سنة ٦٧١ قدم لاستاذه جملة من الأسئلة فأجاب عليها .

١٢٠ ـ رسالة في أجوبة المسائل الاسبوعية التي كان يطلبها عز الدولة سعد بن منصور بن كمونة .

١٢١ ـ أجوبة على اسئلة شمس الدين محمد الكيشي في المنطق والحكمة .

١٢٢ ـ رسالة في جواب الكاتبي القزويني : الذي سأل حول معنى مقولة الحكماء : « السالبة أعم من موضوع الموجبة « .

١٢٣ ـ رسالة في جواب الامام نجم الدين النخجواني حول تساؤله عن معنى قول الحكماء : « المجهول المطلق يمتنع الحكم عليه » .

١٢٤ ـ معاوضات (المعاوضات) : وهي رسالة تتضمن اجوبة على اسئلة الشيخ صدر الدين القونوي ـ وقد ذكر اسم آخر للرسالة هو : (اجوبة المسائل) .

١٢٥ ـ رسالة اخرى في الاجابة على نفس العالم العارف المذكور .

١٢٦ ـ رسالة سؤالية : قدم ثلاثة اسئلة في هذه الرسالة إلى عين الزمان الجبلي .

١٢٧ ـ الأسئلة النصيرية : وهي اسئلة قدمها الى (الفيلسوف الحكيم المتكلم : فيلسوف عضره ومتكلمه وحكيمه شمس الدين الخسروشاهي .

الكتب المترجمة من العربية إلى الفارسية والتي نسبت اعمال ترجمتها الى المترجم

١٢٨ ـ ترجمة كتاب زبدة الحقائق لـ (عين القضاة الهمداني) بناء على طلب ناصر الدين المحتشم قام بترجمة هذا الكتاب وشرح المسائل الغامضة فيه .

١٢٩ ـ ترجمة صور الكواكب لأبي الحسين عبد الرحمن بن عمر الصوفي المتوفى سنة ٣٧٦هـ .

١٣٠ ـ ترجمة الأدب الصغير لابن المقفع . وقد ترجمه بناء على طلب ناصر الدين المحتشم أيضاً .

١٣١ ـ ترجمة مالك وممالك (المالك والممالك) : وهو ترجمة صور الأقاليم ، وينسب (فلوكل) في (فهرسته) الترجمة الى الطوسي .

١٣٢ ـ جواهر الفرائض بالفرائض النصيرية : وهي رسالة مختصرة في أصول علم الفرائض والمواريث وفي هذه الرسالة ينقل الخواجة عن كتاب التحرير لاستاذه معين الدين سالم بن بدران المعري .

١٣٣ ـ شرح لاصول الكافي :

١٣٤ ـ تفسير سورة الاخلاص والمعوذتين : وهو تفسير مختصر جداً ، وبلغة عرفانية فسّر هذه السور الثلاث الاخلاص والخلق والناس ، وينسب هذا التفسير للشيخ ابن سينا أيضاً .

١٣٥ ـ اخلاق ناصري : وهو من الكتب المشهورة في هذا الفن وقد ألف هذا الكتاب سنة ٦٣٣ بناء على طلب ناصر الدين عبد الرحيم بن أبي منصور المحتشم القهستاني ، في قصة قاين .

١٣٦ ـ أوصاف الأشراف : رسالة مختصرة باللغة الفارسية حول اخلاق العرفاء والزهاد (من أهل السير والسلوك) ، ألفها بطلب ورغبة شمس الدين محمد الجويني ، وهي مرتبة في ستة أبواب .

١٣٧ ـ تكميل وترجمة اخلاق محتشمي : الف ناصر الدين المحتشم الذي

يعد من علماء الاسماعيلية كتاباً في الأخلاق معتمداً على آيات القرآن والأحاديث الشريفة النبوية والآثار القيّمة . فجمعه عدد من علماء الدين وكبار الاسماعيليين وسلّموه للمترجم طالبين اياه اكماله وترجمته . وبناء على طلبهم فقد قام باكماله وترجمته .

١٣٨ ـ نصيحت نامه : وهي جملة نصائح باللغة الفارسية كتبها لـ (آباقا خان) حين جلوسه على كرسيّ السلطنة .

١٣٩ ـ ذيل تاريخ جهانكشاي جويني .

١٤٠ ـ معيار الأشعار : باللغة الفارسية . كان يسمى قديماً بـ (رسالة العروض) الف سنة ٦٤٩هـ أقدم نسخة لهذه الرسالة موجودة ضمن مجموعة آثار المترجم في مكتبة الدكتور محمود نجم آبادي .

١٤١ ـ الوافي في العروض والقوافي .

١٤٢ ـ رسالة آداب المتعلمين : وهي رسالة في آداب التعليم والتعلم وأخلاق المتعلمين والمعلمين . وهي معروفة لدى طلاب العلوم القديمة .

١٤٣ ـ كتاب الجوهر أو تنسيق نامة ايلخاني : وهي رسالة في صفات الأحجار الكريمة والمجوهرات وخواصها وقد ألفها بأمر من هولاكو .

١٤٤ ـ آغاز وانجام (المبدأ والمعاد) : وهو كتاب باللغة الفارسية ، موزع على أربعة فصول ، في الحيوان والنبات ، والمعدن والمتفرقات والنوادر ، وقد نسبه صاحب الذريعة ، الى المترجم ، ويقال أن نسخة هذا الكتاب موجودة في مكتبة شيخ الشريعة الاصفهاني بالنجف الأشرف .

١٤٥ ـ رسالة في سلوك الملوك القدامى وتقاليدهم : وهي تتناول وصول الضرائب والخراج وموارد صرفها .

١٤٦ ـ رسالة في ضرورة الموت (وحتميته) : وهي باللغة العربية تتحدث عن حتمية الموت ولا بديته .

١٤٧ ـ خلافت نامة : أو بتعبير (دولتشاه السمرقندي) : خلافت نامه الهي .

١٤٨ ـ ساقي نامه : يذهب الحاج خليفة إلى أن هذا الكتاب من آثار المترجم .

١٤٩ ـ قانون نامة : يقول الحاج خليفة أيضاً في كتاب كشف الظنون ان هذه الرسالة كتبت باللغة الفارسية وهي من تأليفات المترجم .

١٥٠ ـ تبرّانامة مختصر في ذم اعداء النبي محمد صلى الله عليه وآله ، وهي رسالة في أربعة فصول .

١٥١ ـ صلوات النصير : أو (الأئمة الاثنا عشر) ، أو (انشاء الصلوات على أشرف البريات وعترته) .

١٥٢ ـ اثبات اللوح المحفوظ : في كشف الحجب والأستار نسب للخواجة .

١٥٣ ـ النقطة القدسية : وهي رسالة ألفها الخواجة في شرح وبيان قول الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام : ان العلم نقطة .

١٥٤ ـ آداب البحث : رسالة ينسبها صاحب (الذريعة) إلى الخواجة .

١٥٥ ـ الرسالة النصيرية : رسالة في توضيح أن الحكيم لا يتعلق بلذائذ البدن .

١٥٦ ـ شريعة الأثر في انجاح المقاصد والملمات : يذكر الخوانساري في كتاب روضات الجنات أن هذه الرسالة من تأليف المترجم .

١٥٧ ـ مقامات الخواجة : وهو كتاب في مقامات العارفين وهو نفس بحث مقامات العارفين ضمن كتاب شرح الاشارات ، ولكنه يُرى مستقلاً احياناً .

١٥٨ ـ كتاب حزبدة العجايب : لقد نسب صاحب (آثار الشيعة) هذا الكتاب الى المترجم ، ولكنه ـ قطعاً ـ ليس له وانما هو لابن الوردي .

١٥٩ ـ شرح رسالة التنجيم : هذا الكتاب ينسبه صاحب (آثار الشيعة) إلى المترجم أيضاً ولكن ثمة شك في هذه النسبة .

١٦٠ ـ رسالة مختصرة تتضمن بعض الفوائد : الفائدة الأولى : أن العقل والجسم ليسا كالجوهر والعرض . توجد نسخة هذه الرسالة في مكتبة الثقافة الوطنية .

١٦١ ـ رسالة في بعض المسائل : المسألة الأولى : في وجوب معرفة الله ، المسألة الثانية : في وجود الباري . توجد نسخة هذه الرسالة في المكتبة الوطنية .

١٦٢ ـ فوائد مجموعة مقالات مختصرة .

الأولى : في تعارف الأرواح بعد مفارقة الأبدان .

الثانية : في الفرق بين الجنس والمادة .

١٦٣ ـ رسالة في الرمل : وهي باللغة الفارسية كتبها بأمر من هولاكو .

١٦٤ ـ مختصر الرسالة المذكورة : وقد ألف هذا المختصر بأمر من هولاكو أيضاً .

١٦٥ ـ رسالة في أحكام منازل الرمل الاثني عشر : وهي باللغة الفارسية .

١٦٦ ـ رسالة الرمل : وقد كتبها باللغة العربية . وضح فيها أعمال ملأ الدوائر ويصطلح على ذلك في هذا العلم بـ (تسكين الدايرة) .

١٦٧ ـ رسالة اخرى في الرمل : وقد كتبت بلغات ثلاث هي : العربية والفارسية والتركية ـ منسوبة للمترجم .

١٦٨ ـ رسالة استخراج الخبايا : منسوبة أيضاً للمترجم .

١٦٩ ـ رسالة اخرى وهي باللغة الفارسية .

١٧٠ ـ رسالة اخرى في نفس الموضوع : توجد نسخة منها في المكتبة الوطنية بباريس ، ويمكن أن تكون نفس الرسالة المذكورة اعلاه .

« بعض الكتب والرسائل المكتوبة وفقاً لمذهب الباطنية ومنسوبة للمترجم » .

١٧١ ـ رسالة باسم (سير وسلوك) : يقال أن هذه الرسالة كتبها مضطراً ومجبوراً عندما كان في قلاع الاسماعيلية .

١٧٢ ـ رسالة التولّي والتبري : وهي مكتوبة بنفس وفكر باطني ويبدو أن هذه الرسالة كتبها في (قهستان) وفي المقدمة يذكر اسم ناصر الدين المحتشم ويلقبه معلم العصر والملك الكبير .

١٧٣ ـ رسالة في النعم والمتع واللذائذ : وهي مكتوبة على الطريقة التعليمية الباطنية ومنسوبة إلى المترجم .

١٧٤ ـ رسالة باسم « مطلوب المؤمنين » : وهي مكتوبة في تأييد مذهب الاسماعيلية وينسبها المستشرق (ايوانف إلى المترجم . وقد قام هذا المستشرق بطبعها .

١٧٥ ـ كتاب روضة التسليم : وهو كتاب حول عقائد التعليميين وقد قام

المستشرق (ايوانف) بطبعه .

ان نسبة هذه الرسائل للمترجم غير متأكد منها وان سياق الرسائل الثلاث الأخيرة أو طريقة وأسلوب كتابتها ليس كأسلوب المترجم وعلى الأرجح انها نسبت إليه وليست له .

١٧٦ - يذكر صلاح الدين الصفدي في الفهرست ، الذي يدرج فيه كتب المترجم بعض الكتب التي تؤيد مذهب النصيرية . الا أن المؤلف نفسه يقول : « لا اعتقد أنه قد كتب مثل هذا الكتاب » .

بالاضافة الى الكتب المذكورة والرسائل العلمية فإن هناك بعض مراسلاته (وربما تكون منسوبة اليه) مع العلماء وغيرهم توجد بعضها ضمن كتب التاريخ .

١٧٧ - رسالة من جانب هولاكو بعد فتح بغداد إلى الملك ناصر ملك الشام مكتوبة باملاء الخواجة باللغة العربية وصورة هذه الرسالة مثبتة في كتاب (وصاف الحضرة) .

١٧٨ - رسالة اخرى مكتوبة من جانب ملك المغول إلى الملك ناصر ومثبتة في كتاب جامع التواريخ .

١٧٩ - رسالتان في جواب علم الدين قيصر . مدرجتان في نهاية بعض نسخ (الشافية) .

١٨٠ - رسالة الى الكاتبي القزويني . باللغة العربية ، وقد ورد في آخر الرسالة رد دليل الحكماء على اثبات الواجب .

١٨١ - رسالة اخرى باللغة العربية مكتوبة إلى جمال الدين علي بن سليمان البحراني ، والتي ذكر في بدايتها شرح رسالة العلم .

١٨٢ - رسالة اخرى إلى جمال الدين عين الزمان الجيلي ، مكتوبة في بعض المجامع المذكورة .

١٨٣ - رسالة اخرى إلى محيي الدين محيا العباسي مكتوبة باللغة العربية ، شوهدت في بعض المجامع .

١٨٤ - رسالة باللغة الفارسية إلى صدر الدين القونوي .

١٨٥ - رسالة باللغة الفارسية الى أثير الدين الأبهري .

١٨٦ - رسالة باللغة الفارسية إلى شمس الدين الكيشي .

الشهيد الأول محمد بن مكي

مرت ترجمته في الصفحة ٥٩ من المجلد العاشر وذكر فيها أن السلطان علي بن المؤيد ملك خراسان وما والاها طلب إليه التوجه إلى بلاده فاعتذر عن ذلك وألف له كتاب (اللمعة) إلى آخر ما ذكر . ونزيد عليها هنا ما يأتي :

قال الاستاذ رضا مختاري وهو يتحدث عن المترجم ودعوة علي بن المؤيد له :

إن علي بن المؤيد هو آخر حاكم في خراسان من الاسرة السربدارية ، وان هذه الأسرة قد حكمت خراسان من سنة ٧٣٨ إلى سنة ٧٨٣ ، وان علياً هذا كان مهتماً بترويج التشيع ونشر المعارف الاسلامية ، وقد توفي سنة ٧٩٥ أي بعد شهادة الشهيد بتسع سنوات . ثم يذكر الاستاذ مختاري نص رسالة علي بن المؤيد التي يدعو بها الشهيد إلى خراسان وهو التالي :

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام كنشر العنبر المتضوع يخلف ريح المسك في كل موضع
سلام يضاهي البدر في كل منزل سلام يضاهي الشمس في كل مطلع
على شمس دين الحق دام ظلاله بجد سعيد في نعيم ممتع

ادام الله تعالى مجلس المولى الهمام العالم العامل الفاضل الكامل السالك الناسك رضي الاخلاق وفيّ الاعراق علامة العالم مرشد الأمم قدوة العلماء الراسخين اسوة الفضلاء والمحققين مفتي الفرق الفارق بالحق حاوي (فنون) الفضائل والمعالي حائز قصب السبق في حلبة الاعاظم والاعالي وارث علوم الانبياء والمرسلين محيي مراسم الائمة الطاهرين سرّ الله في الأرضين مولانا شمس الملة (والحق) والدين مد الله اطناب ظلاله بمحمد وآله من دولة راسية الأوتاد ونعمة متصلة الامداد إلى يوم التناد .

وبعد فالمحب المشتاق ، مشتاق إلى كريم لقائه غاية الاشتياق ، وان يمن بعد البعد بقرب التلاق .

حرم الطرف من محياك لكن قد حظي القلب من محياك ريا

ينهي إلى ذلك الجناب لا زال مرجعاً لأولي الألباب أن شيعة خراسان صانها الله عن الحدثان متعطشون إلى زلال وصاله والاغتراف من بحر فضائله وافضاله وافاضل هذه الديار قد مزقت شملهم أيدي الأدوار ومزقت جلهم أو كلهم صروف الليل والنهار .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : ثلمة الدين موت العلماء ، وأنا لا نجد فينا من يوثق بعلمه في فتياه ، يهتدي الناس برشده وهداه ، فهم يسألون الله تعالى مشرف حضوره ، والاستضاءة باشعة نوره والاقتداء بعلومه الشريفة والاهتداء برسومه المنيفة ، واليقين بكرمه العميم وفضله الجسيم أن لا يخيب رجاءهم ولا يرد دعاءهم ، بل يسعف مسؤولهم وينجح مأمولهم إذا كان الدعاء لخير محض على أيدي الكريم فلا يرد (امتثالاً لها) قال الله تعالى : ﴿ والذين يصلون ما أمر الله ان يوصل ﴾ .

ولا شك اولى الأرحام بصلة الرحم الإسلامية الروحانية ، واحرى القرابات بالرعاية القرابة الايمانية ، ثم الجسمانية ، مهما عقدنا لا تحملها الادوار والأطوار بل ستبقيان لا يهدمها إعصار الأعصار .

ونحن نخاف غضب الله على هذه البلاد لفقدان الرشد وعدم الارشاد ، والمأمول من العامة الهام والكرامة التام أن يتفضل علينا ويتوجه إلينا ، متوكلاً على الله القدير ، غير متعلل بنوع من المعاذير ، ان شاء الله تعالى . (فانا بحمد الله نعرف قدره ونستعظم امره إن شاء الله تعالى) . والمتوقع من مكارم صفاته ومحاسن ذاته اسبال ذيل العفو على هذا الهفو والسلام على أهل الإسلام .

المحب المشتاق علي بن المؤيد

أبو عبدالله محمد بن أبي المعز منصور بن جميل أبو عبدالله الجبي

ترجم له الدكتور مصطفى جواد في (سلك الناظم) فقال : الكاتب الشاعر ذكره ابن الدبيثي في تاريخ بغداد ، قال : « محمد بن أبي العز بن جميل أبو عبدالله وُلد بقرية تعرف بُجبًا من نواحي هيت وقدم بغداد صبياً واستوطنها وقرأ بها القرآن الكريم والأدب والفرائض والحساب وسمع الحديث من جماعة منهم أبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن كليب والقاضي أبو الفتح

محمد بن أحمد بن المندائي الواسطي لما قدمها وقال الشعر ومدح سيدنا ومولانا الامام المفترض الطاعة على كافة الأنام الناصر لدين الله أمير المؤمنين ـ خلد الله ملكه ـ بقصائد كثيرة وكان يوردها في المواسم والهناءات ، وخدم في أشغال الديوان العزيز ـ مجده الله ـ ونظر في ديوان التركات الحشرية وتولّى كتابة المخزن المعمور ثم ولي صدرية المخزن بعد عزل أبي الفتوح بن أبي المظفر في ليلة عاشر ذي القعدة سنة خمس وستمائة مضافاً إلى النظر بدجيل وطريق خراسان والخالص والخزانة والعقار وغير ذلك من أعمال الحضرة ولم يزل على ذلك إلى أن عزل في يوم السبت الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة وستمائة . وتوفي يوم السبت النصف من شعبان سنة ست وستمائة ودفن بمقابر قريش ». وذكره ياقوت الحموي قال : « محمد بن منصور بن جميل أبو عبدالله (ابن أبي) العز[1] الكاتب ، نحوي لغوي أديب من أفاضل العصر . قدم بغداد في صباه وقرأ الأدب ولازم مصدق بن شبيب (الواسطي) النحوي حتى برع في النحو واللغة وقرأ الفقه والفرائض والحساب وقال الشعر ومدح الناصر فعُرف واشتهر ورتب كاتباً في ديوان التركات مدة ثم وُلي نظرَهُ ثم ولي الصدرية بالمخزن ثم عُزل واعتُقل وأفرج عنه بعد مدة ورتب وكيلاً للأمير عدة الدين ابن الناصر وكان كاتباً بليغاً مليح الخط ، غزير الفضل ، متواضعاً مليح الصورة ، طيب الأخلاق . مات في شعبان سنة ٦١٦ »[2] وذكره في الكلام على « جُبّا » من معجم البلدان قال : « وجُبّا أيضاً قرية قرب هيت قال أبو عُبدالله الدَّبيثي منها أبو عبدالله محمد بن أبي العز بن جميل » وأختصر ما ذكره ابن الدبيثي في تاريخه . وترجم له المنذري في وفيات سنة ٦١٦ المذكورة قال : « وفي النصف من شعبان توفي الشيخ الأجل أبو عبدالله محمد بن أبي العز بن جميل الجبائي المولد البغدادي الدار ، ببغداد ودفن بمقابر قريش ، قرأ القرآن الكريم وقرأ الأدب والفرائض والحساب » إلى أن قال « وتقلب في خدمة الديوان العزيز وهو منسوب إلى جُبّا قرية من نواحي هيت وهي بضمّ الجيم وتشديد الباء الموحدة وفتحها وألف وهي مقصورة »[3].

وترجم له القفطي في أحد كتبه قال : « محمد بن جميل ـ وجميل جده ـ وهو أشهر من أبيه ولا يعرف إلا به ، وأبوه أبو العز بن جميل من أهل جُبّا قرية (قرب) هيت . دخل إلى بغداد في أول عمره وقرأ على مشايخها المتأخرين ، وتولى عدة خدم ديوانية في أيام الامام الناصر أحمد بن المستضيء ، منها صدرية المخزن ، وصُرف دَفَعات ، وكان فيه فضل وأدب وله شعر ، وكان يظن بنفسه الكثير حتى لا يرى أحداً مثله ، وقد كان أنشأ مقامات ظهر منها قطعة رأيتها في جملة أجزاء أحضرت من بغداد إلى حلب للبيع وهي بخطه وكان خطاً متوسطاً صحيح الوضع ، فيه تلتبس نقط ثابتة لا تكاد تتغير ، وشعره جيد مشهور مصنوع لا مطبوع ، وكان ظالم النفس فيما يتولاه ، وتولى الترك[4] الحشرية في أول أمره ثم تولّى عدالة المخزن (كذا) ثم توصل حتى تولى صاحب مخزن ، وقال يوماً لبعض العاملين : خفْ عذابي فإنه أليم شديد . فقال له الرجل : فاذن أنت الله لا إله إلا هو . فخجل ولم يمنعه ذلك ولم يردعه عما أراده من ظلمه . وكان ببغداد تاجر يعرف بابن العينبري[5]. وكان صديقاً له ، فلما حضرته الوفاة سأله الحضور إليه ، فلما حضر قال له : أنا طيب النفس بموتي في زمان ولايتك ليكون جاهك (على) أطفالي وعيالي . فوعده بهم جميلاً ، فلما مات حضر إلى تركته وباشرها فرأى فيها . . . ألف دينار[6] عيناً ، فأخذها وحملها إلى الامام الناصر وأصحبها مطالعة منه يقول فيها : مات ابن العنيبر ـ ورَّث الله الشريعة أعمار الخلائق وقد حمل المملوك (يعني نفسه) من المال الحلال الصالح للمخزن . . . ألف دينار وهو في عهدة تبعتها[7] دنيا وآخرة وسأله بعض التجار والغرباء العناية بشخص في إيصال حقه إليه من المخزن فوعده ومطله وكان ذلك بعد أن تولى صاحب المخزن وكانت جامكيته وهو عدل خمسة دنانير في الشهر فلما ولي الصدرية قُرّر له عشرة دنانير ، فقال التاجر الشافع ـ وكان يدّل عليه ـ فدفعت إليه في كل يوم بدانق[8]. قال له : كيف ؟ قال : لأنك كنت عدلاً أقرب منك حالاً اليوم . وأشار إلى أنه لما زيد رزقه ورفعت مرتبته بجبر يصير زيادة[9] وهي سدس درهم وهو الدانق أهمل جانب الله وباعه بذلك . وما بعد عهده وأخجله الله وصرفه عن ذلك وسُجن مدة ثم بعد ذلك أُنعِم عليه بأن جُعل كاتباً في باب دار الأمير عدة الدين أبي نصر (محمد) ولي العهد فأقام مدة ومات وهو على ذلك (بعد) ستة شهور سنة (ست) عشرة وستمائة »[10].

وذكره ابن الفوطي في الملقبين بمجد الدين قال : « مجد الدين أبو عبدالله محمد بن أبي العز منصور بن جميل الجُبّي صاحب المخزن ، ذكره محب الدين ابن النجار في تاريخه وقال : « ولد بالجُبّة من أعمال هيت وقدم بغداد وقرأ بها الأدب حتى برع في النحو واللغة والحساب ، وكان مقبول الشكل . مدح الامام الناصر ورتب كاتباً في ديوان التركات ثم ولي صدرية المخزن سنة خمس وستمائة . وكان كاتباً بليغاً مليح الخط ، غزير الفضل ، كتب شعره في كتاب (نظم الدرر الناصعة)[11] وتوفي في منتصف شعبان سنة ست عشرة وستمائة ».

وذكره أبو شامة وفي ذكره فائدة ، قال في وفيات سنة ٦١٦ هـ: «وفيها توفي ببغداد محمد بن جميل صاحب مخزن الخليفة ومولده بهيت وكان فاضلاً بارعاً ، وقدم علينا بدمشق ابن ابنته (يعني سبطه) وهو شاب فاضل يلقب فخر الدين له خط حسن وصورة جميلة ونزل عندنا بالمدرسة العزيزية ثم توجه إلى الحجاز مع جماعة فضلاء » . وجاوروا »[12] وأرّخه الذهبي في تاريخه بما هو مُوجز ما قيل قبله وقال في إيجازه : « مات كهلاً »[13]. ولم يخل الجلال السيوطي بغية الوعاة[14] من ذكره بما يشبه ما ذكره به ياقوت .

وقال ابن الساعي في حوادث سنة ٦٠٥ : « وفي ليلة الأربعاء سابع ذي القعدة المذكور عزل عضد الدين أبو الفتوح ابن رئيس الرؤساء عن صدرية المخزن المعمور وحُوّل من الدار التي كان يسكنها ، ووُلّي عوضه مجد الدين أبو

---

(١) ورد تصحيف هذا الاسم إلى « الغر » مع اختلال النص .

(٢) مختصر الجزء السابع من معجم الأدباء « ص ١١٠ » طبعة موغليوث .

(٤) نسخة بشار « ٦ : ١٠٤٧ ».

(٥) كان القفطي إن صح نقل قوله جمع التركة وهي لغة جائزة في التركة كالشركة والشركة على ترك تكسيراً مثل برك .

(٦) ورد في القصة نفسها بعد ذلك « ابن العينبر » ولم نهتد إلى الأسم الصحيح لأن صاحبه غير مشهور .

(٧) كذا ورد في الاصل الذي نقلت منه وهو يدل على فقدان العدد قبل الألف .

(٨) كلمة غير واضحة ولكنها قريبة مما أثبت .

(٩) كذا وردت الحكاية مضطربة الأصل لأن النسخ سقيم .

(١٠) المحمدون من الشعراء « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٣٣٣٥ و ٦٦ ، ٦٧ ».

(١١) وترجم له كمال الدين بن الشعار الموصلي في كتابه « عقود الجمان في شعراء الزمان ج ٦ و ١٣٢ نسخة خزانة أسعد أفندي في دار الكتب السليمانية باستانبول ».

(١٢) ذيل الروضتين « نسخة باريس ٥٨٥٢ و ١٣١ ». وطبعة عزة العطار « ص ١٢٠ ».

(١٢) تاريخ الاسلام « نسخة باريس ١٥٨٢ و ٢٣٠ ».

(١٣) البغيه « ص ١٠٧ ».

(١٤) الجامع المختصر « ٩ : ٢٦٥ ، ٢٦٦ ».

عبدالله محمد بن جميل وخلع عليه بـالبدريـة الشريفـة وأنزل بـالدار التي كـان يسكنها ابن رئيس الرؤساء بالمسعودة وأعطي جميع ما كان وصل إليه من غلمان ابن ناصر وآلاته وكرائمه »(٤). ومن إنشاء مجد الدين بن جميل توقيع كتبه بتفويض التدريس في مدرسة الامام أبي حنيفة إلى ضياء الدين أحمد بن مسعود التركستاني الفقيه المدرس الحنفي والنظر في أوقاف المشهد سنة ٦٠٤ قال ابن الساعي : « وكتب توقيع من المخزن المعمور بانشاء مجد الدين بن جميل كاتب المخزن المعمور يومئذ ومن خطه نقلت وهذه نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله المعروف بفنون المعروف والكرم . الموصوف بصنوف الاحسان والنعم ، المتفرد بالعظمة والكبرياء والقدم ، الذي أختصّ الدار العزيزة ـ شيد الله بناها ، وأشاد مجدها وعلاها ـ بالمحل الأعظم ، والشرف الأقدم ، وجمع لها شرف البيت العتيق ذي الحرم ، إلى شرف بيت هاشم الذي هشم ، جاعل هذه الايام الزاهرة الناصرة ، والدولة القاهرة الناصرة ، عقداً في جيد مناقبها ، وحَلْياً يجول في ترائبها ـ أدامها الله تعالى ما أنحدر لثام الصباح ، وبرح خفاء براحِ ـ أحمده حمد معترف بتقصيره عن واجب حمده ، مغترف من بحر عجزه مع بذل وسعه وجهده ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وهو الغني عن شهادة عبده ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الذي صدع بأمره ، وجاء بالحقّ من عنده ـ صلى الله عليه صلاة تتعدّى إلى أدنى ولده ، وأبعد حده حتى يصل عبقها إلى أقصى قُصّية ونزاره ومعده ـ وبعد فلما كان الأجل السيد الأوحد العالم ضياء الدين شمس الاسلام رضي الدولة ، عز الشريعة علم الهدى رئيس الفريقين ، تاج الملك ، فخر العلماء أحمد بن مسعود التركستاني ـ أدام الله علوه ـ ممن أعرق في الدين منسبه ، وتحلّى بعلوم الشريعة أدبه ، واستوى في الصحة مغيبهُ ومشهده ، وشهد له بالأمانة لسانه ويده ، وكشف الاختبار منه عفة وسَداداً ، وأبت مقاصده إلا أناة واقتصادا ، رئي الاحسان إليه ، والتعويل عليه في التدريس بمشهد أبي حنيفة ـ رحمة الله عليه ـ ومدرسته ، وأسند إليه النظر في وقف ذلك أجمع لاستقبال حادي عشري ذي القعدة سنة أربع وستمائة الهلالية وما بعده وبعدها ، وأمر بتقوى الله ـ جلّت آلاؤه ، وتقدست أسماؤه ، التي هي أزكى قربات الأولياء ، وأنمى خدمات النصحاء ، وأبهى ما استشعره أرباب الولايات ، وأدل الأدلة على سبل الصالحات ، وفاعلها بثبوت القدم خليق ، وبالتقدم جدير ، قال الله تعالى : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير ﴾ . وأن يذكر الدرس على أكمل شرائط ، وأجمل ضوابط ، مواظباً على ذلك ، سالكاً فيه أوضح المسالك ، مقدماً عليه تلاوة القرآن المجيد ، على عادة الختمات في التبكر والغدوات ، متبعاً ذلك بتمجيد آلاء الله وتعظيمها والصلاة على نبيه ـ صلى الله عليه صلاة يضوع أرج نسيمها ، شافعاً ذلك بالثناء على الخلفاء الراشدين ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ والاعلان بالدعاء للمواقف الشريفة المقدسة النبوية الامامية(١) الطاهرة الزكيّة ، المعظمة المكرّمة ، الممجّدة الناصرة لدين الله تعالى ـ لا زالت منصورة الكتب والكتائب ، منشورة المناقب مسعودة الكواكب والمواكب مسودة الأهب مبيضة المواهب ، ما خطب إلى جموع الأكابر وعلا فروع المنابر خطيب وخاطب ، وأن يذكر من الأصول فصلاً يكون من سهام الشُبه جُنّة ، ولنصر اليقين مظنة ، متبعاً المذهب ومُفرداته ، ونكته

(١) الامامية نسبة إلى الإمام الخليفة الناصر لدين الله .

ومشكلاته ، ما ينتفع به المتوسط والمبتدي ، ويتبيّنه ويستضيء به المنتهي ، وليذكر من المسائل الخلافية ما يكون داعياً إلى وفاق المعاني والعبارات ، هادياً لشوارد الأفكار إلى مَوارد المنافسات ، ناظماً عقود التحقيق في سلوك المحاققات(٢) ، مصوباً أسنّة البديهة إلى ثغر الأناة ، معتصماً في جميع أمره بخشية الله وطاعتة ، مستشعراً ذلك في علنه وسريرته . والمفروض له عن هذه الخدمة في كل شهر للاستقبال المقدّم ذكره من حاصل الوقف المذكور لسنة تسع وتسعين الخراجية وما يجري معها من هلالية وما بعدها أسوة بما كان لعبد اللطيف ابن الكيّال من الحنطة كيل البيع ثلاثون قفيزاً ومن العين الامامية(٣) عشرة دنانير ، يتناول ذلك شهراً فشهراً مع الوجوب والاستحقاق ، للاستقبال المقدم ذكره ، من حاصل الوقف المعيّن للسنة المبينة الخراجيّة وما بعدها بموجب ما استؤمر فيه من المخزن المعمور ـ أجلّه الله تعالى ـ وإذن فليُجر على عادته المذكورة ، وقاعدته ولتكن صلاته وجماعته في جامع القصر الشريف في الصُفة التي لأصحاب أبي حنيفة ـ رحمة الله عليه ـ وليصرف حاصل الوقوف المذكورة في سُبلها بمقتضى شرط الواقف المذكور في كتاب الوقفية من غير زيادة فيها ولا عدول عنها ، ولا حذف شيء منها ، عالماً أنه مسؤول في غده عن يومه وأمسه ، وأن أفعال المرء صحيفة له في رمسه ، وليبذل جهده في عمارة الوقوف واستنمائها واستثمار حاصلها وارتفاعها ، مستخيراً من يستخدمه فيها من الأجلاد الأمناء ، ذوي العفة والغَناء ، متطلعاً إلى حركاتهم وسكناتهم ، مؤاخذاً لهم على ما لعله يتصل به من فَرطاتهم ، لتكون الأحوال منسقة النظام والمال محروساً من الانثلام ، وليبتدى بعمارة المشهد والمدرسة المذكورين ، وإصلاح فرشها ومصابيحها ، وأخذ القوام بالمواظبة على الخدمة بها وإلزام المتفقهة بملازمة الدروس وتكرارها ، وإتقان المحفوظات وأحكامها ، وليثبت ما بخزانة الكتب من المجلدات وغيرها ، مُعارضاً ذلك بفهرسته ، متطلباً ما عساه قد شذّ منها ، وليأمر خازنها بعد استصلاحه بمراعاتها ونفضها في كل وقت ، ومرمّة شعثها وأن لا يخرج شيئاً منها إلا إلى ذي أمانة ، مستظهراً بالرهن عن ذلك ، وليتلق هذه الموهبة بشكر يرتبطها ويدر أخلافها وأجتهاد يضبطها ويؤمن إخلافها ، وليعمل بالمحدود له في هذا المثال ، من غير توقف فيه بحال ، إن شاء الله تعالى ، وكتب لتسع بقين من ذي القعدة من سنة أربع وستمائة ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، . وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله الطاهرين الأكرمين وسلم »(٤).

وقال العالم الفقيه القاضي الشيخ محمد بن طاهر السماوي : « وجدت في مجموعة شعر فيه مدائح للنبي صلى الله عليه وآله وللأئمة ـ (عليهم السلام)ـ مدائح ومراثٍ وفيها أن مجد الدين ابن جميل صاحب المخزن للناصر غضب عليه فحبسه فضاق صدره فمدح أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ بقصيدة ذات ليلة في المحرّم(٥) وهي :

ألمت وهي حاسرة لِثاما ... وقد ملأت ذوائبها الظلاما
وأجرت أدمعاً كالطلّ هبت ... له(٦) ريح الصَّبا فجرت تؤاما
وقالت أقصدتك يد الليالي ... وكنت لخائف منها عصاما

(٢) والصواب أن تكون (ما زالت) ولكن هكذا وردت في النص .
(٣) الصواب « المحاقات » بالادغام وقد فك الادغام من أجل الموازنة اللفظية .
(٤) الجامع المختصر ٩ : ٢٣٣ ـ ٢٣٧.
(٥) في الأصل المطبوع في محرم « ولا أحسبه » إلا كان على بال .
(٦) في المطبوع « له » والهاء تعود إلى الأدمع وهذا لا يجوز .

وأعــوزك الـيـسـيـر وكـنـت فـيـنـا ... ثــمــالا لــلأرامــل والـيــتــامــى
فـقلت لهـا كـذاكِ الـدهـر يجـني ... فقــرّي وارقبي الشّهــر الحــرامــا
فـإني سـوف أدعـو الله فـيـه ... وأجـعـل مـدح حيـدرة امـامـاً
وأبـعـثـهـا إلـيـه مـنـقـحّـات ... يفـوح الشيـح منهـا والخـزامَى
تـزور فـتى كـأن أبـا قـبـيس ... تـسنّم مـنـكـبـيـه أو شـمـامـا
أغـرّ لـه إذا ذكـرت أيـاد ... عـطاء وابـل يـشـفـي الأوامـا
وأبـلج لـو ألم بـه ابـن هـنـد ... لأوسـعـه حيـاءاً وابـتـسـامـاً
ولـو رمق السّماء وليس فيهـا ... حيـاً لاستمـطرت غيثـاً ركـامـا
وتـلـثـم مـن تـراب أبي تـراب ... تُـرابـاً يُبـرىء الـداء العـقـامـا
فـتحـظى عـنـده وتـؤوب عـنـه ... وقـد فـازت وأدركـت المـرامـا
بـقصـد أخي النبي ومـن حبـاه ... بـأوصـاف يـفـوق بهـا الأنـامـا
ومـن أعـطاه يـوم غـديـر خُـمّ ... صـريـح المجـد والشـرف القـدامى
ومـن رُدّت ذُكـاءُ لـه فـصـلّى ... أداءاً بـعـدمـا كـسـت الـظلامـا
وآثـر بـالـطعـام وقـد تـوالـت ... ثـلاث لم يـذق فـيـهـا طـعـامـا
بـقـرص من شـعـير ليس يـرضى ... سـوى الملح الجـريش لـه إدامـا
فـردَّ عليـه ذاك القـرص قـرصـاً ... وزاد عليـه فـوق القـرص جـامـا
أبـا حـسـن وأنـت فـتى إذامـا ... دعـاه المستجـير حمى وحـامى[1]
أزرتـك يـقـظة غُـمـر الـقـوافي ... فـزرني يـا ابن فـاطمـة منـامـا
وبـشـرني بـأنـك لي مجـير ... وأنـك مـا نـعي عـن أن أضـامـا
وكـيـف يخـاف حـادثـة الـليـالي ... فـتى يـعـطيـه حـيـدرة ذمـامـا
سقتـك سحـائب الـرضـوان سحـاً ... كفيض يـديـك ينسجم انسجـامـا

ونام فرأى أمير المؤمنين عليه السلام فتلاها عليه ، فقال لـه : الساعة تخرج فانتبه فرحاً وجعل يجمع رحله . فسأله من كـان معه ، فقـال : الآن أخرج . فـظنّوا بـه الاختلال وتغير العقل ، فـطرق باب السجن ودُعي إلى النـاصر ، فخرج وأخبره[2] الرسول أنه وجده متهيئاً للخروج فلما مثل بين يـديه قـال : أخبرتُ أنك عند مجيء الرسول إليك كنت متهيئاً للخروج . قال : نعم . ومن أعلمك باطلاقك ؟ قـال : أمير المؤمنـين عليه السلام . وحكى له القصّة . فقال الناصر : صدقت إني رأيت أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ في منامي فأمرني باطلاقك في هذه الساعة وتوعَّدني إن تركتك للصبح . ثم أعطاه ألف دينار وأعـاده في محلة من الديوان وردّ إليه ما صادره[3] عليه » قال الشيخ محمد السماوي : « أقول : ولم أقف عـلى ترجمـة مجد الـدين هذا ولعلني أقف عليهـا فيما بعـد »[4]. قـال مصطفى جواد : من ذكـرت ترجمتـه في معجم الأدباء لـياقوت الحمـوي وبغية الوعاة للسيوطيّ فمن السهل الوقوف على ترجمته .

ولشرف الدين محمد بن عُنين الشاعر الدمشقي المشهور في مدح مجد الدين ابن جميل :

وقـالـوا غـدت بـغـداد خـلواً ومـا بهـا ... جمـيـل ولا مَـن يـرتجـى لجـمـيـل
وكـيـف اسـتـجـازوا قـول ذاك وقـد حـوت ... لـنـا الـفـضـل شـمس الـدولـة بـن جمـيـل

(١) كذا ورد ولعله « وحاماً » وهو حام يحوم حوماً ، ومعناه معروف .

(٢) اي اخبر الخليفة .

(٣) في الأصل « ما صادره منه » وهو خطأ لأن الانسان هو المصادر والمال مصادر عليه .

(٤) ظرافة الأحلام في النظام المتلو في المنام لأهل البيت الحرام « ص ٤٢ ـ ٤٣ ، مطبعة المطبوعة الحيدرية بالنجف الأشرف سنة ١٣٦٠ .

الميرزا محمد هاشم بن محسن الأشكوري[5]

علم من أعلام طبقة المتأخرين من الفلاسفة والعرفاء . والذي حدث بعـد انتقـال رائد الفـلاسفة والمتكلمـين صـدر الـدين محمـد بن ابراهيم الشيرازي المعروف بملّا صدرا الى الرفيق الأعلى سنة ١٠٥٠ هـ (١٦٤٠ م) ، أن واصل الفكر نشاطه في حقل العلوم العقلية ، فراجت الفلسفـة واتسعت دوائر البحث في ايران عامة ، وفي اصفهان على وجه الخصوص . فكان أن انتقـل جماعة من الفلاسفة ومدرسي الفلسفة الى العاصمة طهران ، في مستهلّ القرن الثالث عشر الهجري (التـاسـع عشر الميلادي) حيث أنشـأوا حـوزة لتـدريس الفلسفـة والتصوف العلمي او العرفان النظري . وكان من أبرز اساتذة هذه الحوزة : آقا محمـد رضا القُمْشهي (١٢٤١ ـ ١٣٠٦ هـ) (١٨١٩ ـ ١٨٨٩ م) وآقـا عـلي المدرس (١٢٣٤ ـ ١٣٠٧ هـ) (١٨١٩ ـ ١٨٨٩ م) والميرزا أبـو الحسن جلوة (١٢٣٨ ـ ١٣١٦ هـ) (١٨٢٣ ـ ١٨٩٦ م) . والى هـذه المدرسـة أو الحـوزة الطهرانية ينتمي علمياً الميرزا محمد هاشم الأشكوري .

ولد في آشْكَوَر ، احدى قرى مقاطعة جيلان شمالي ايران بالقـرب من بحر قزوين ؛ حيث درس المـراحـل التمهيـديـة . ثم انتقـل الى طهـران لـدراسـة الفلسفـة ، فتلقاها من ائمـة هذا الفن . وثمـة التحق بمجلس آقـا محمـد رضـا القُمْشَهي ونبغ على يده وصار من ابرز تلامذته . ولم يلبث ان تـربع عـلى اريكة الاستاذ خلفاً لاستاذه ، في تدريس الفلسفـة والتصوف . وظـل يلقى دروسه في مدرسة سبهسالار حتى وافاه الأجل عام (١٣٣٢ هـ ١٩١٤ م) ودفن في مقبرة ابن بابويه في ضواحي طهران .

وقد تخرّج على يد الاشكوري تلامذة اصبحوا بدورهم اساتذة حاملين لواء الفلسفة من بعده سدنة أمناء على الـتراث الفكري الاسـلامي ؛ من اشهرهم ؛ مـيرزا محمد عـلي الشاه آبـادي الاصفهاني ، وآقـا سيد حسـين البادكـوبه ئي ؛ وميرزا مهدي الآشتياني ، والشيخ محمد حسين فـاضل التـوني ، والسيد كـاظم العصار ، وميرزا احمد الآشتياني والسيد ابو الحسن رفيعي القزويني .

وللاشكوري حواشٍ وشروحٌ على بعض النصوص الفلسفية كـما انه حـرّر عدّة رسائل في مجالات الفلسفة والتصوف . طبع منها حتى الآن :

١ ـ حاشية على مفتاح مفاتيح النصوص لصدر الـدين القونيـوي . طبعت طبعة حجرية في طهران عام ١٣١٦ هـ (١٨٩٨ م) كما طبعت ايضاً ضمن عدة رسائل فلسفية وصوفية اخرى من جملتها : تمهيد القواعد لابن تُرْكه[6] وحـاشية لمحمد رضا القُمْشَهي عليها ورسالة وحدة الوجود لابي الحسن جلوة .

٢ ـ حاشية على مصباح الأُنس[7] طبعت على هامش المصباح طبعة حجرية في طهران عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) .

وله رسالـة المراتب الخمس التي عـثرنا عليـا والتي كتبها أو استكتبهـا لنفسه تلميذه الشيخ محمد حسين الشهير بفاضل التوني[8] . وهي رسالة رائقـة الصفو شريفـة في موضـوعها قيمـة في بابهـا . والظاهـر أن الاشكوري أراد بـاستـاذيـة مستنيرة ان يزيد مسالة الوحدة الحقيقية وضوحاً بـازالة مـا قد يتـوهم من اللبس بين الأحدية والواحـدية في بعض الأذهـان . وذلك بـالقاء الضـوء على المـراتب الـوجـوديـة من حيث عـددهـا الـذي حـدّده بخمس مـراتب ومن حيث جمعهـا

(٥) بقلم الدكتور صلاح الصاوي .

(٦) صائن الدين علي بن محمد التركة الاصفهاني المتوفي ٨٣٦ .

(٧) مصباح الأنس بين المعقول والمشهود لابن الفناري محمد بن حمزة المتوفي سنة ٨٣٤ « قاضي قضاة استانبول وهو شرح لكتاب مفتاح غيب الجمع والوجود لصدر الدين القونيوي .

(٨) كان الشيخ محمد حسين فاضل التوني (١٢٨٨ ـ ١٣٨٠ / ١٨٧١ ـ ١٩٦١ من اكابر اساتذة الفلسفة في طهران وقد التحق بجامعة طهران بعد انشائها فكان يدرس الفلسفة في كلية الآداب . وقد ترك عدة تآليف في الفلسفة .

وتفصيلها ، كما عمد لنفس الغرض الى بيان ما اختلف من الاصطلاحات المطلقة على المصداق الواحد ، مما يؤدي الى معاناة فكرية قد ينجم عنها اضطراب في الذهن اذ الواقع أن كل مرتبة تحظى من الأسماء بمقدار ما لها من الاعتبارات والجهات . ومع ان أقواله جاءت كافية في الاستدلال بذاتها غنية عن الاستشهاد بغيرها ، الا أنه عمد الى تعزيز اقواله بأقوال اكابر المحققين الاعلام بله الآيات القرآنية والمأثورات النبوية ومن ثم اضاف الى الرسالة أبعاداً اخرى من التمكين والافادة .

ومهما يكن ، فالحضرات خمساً كانت أو أكثر او أقل ، والآراء في صددها معروفة لدى أهل الفضل ، ولا نرى داعياً لفضول الاشارة إليها ؛ وحتى لا نفسد على القارىء لذة استكشاف الحقائق بنفسه بتكرارنا لها . الا أن الذي ينبغي الا يفوتنا هو أن نشير الى أن الرسالة لم تستوعب الحضرات أو المراتب كلها ، الأمر الذي يعدنا به عنوان الرسالة .

والذي حدث أن المؤلف استوفى الكلام في مراتب الغيب ولم يتعرض لمراتب الشهادة . فتكلم عن غيب الهوية ومقام اللاتعين ، ثم اقتضاء الاسم « الظاهر » للتعين الأوّل في صورة الوحدة البرزخية الجامعة بين البطون والظهور بالتساوي ، وفيها لهذه الوحدة الحقيقية من اعتبارين : أولهما الاطلاق بدون شرط ، وسقوط الاعتبارات ؛ حيث تسمى الذات « أحداً » . ومتعلق هذه الاحدية بطون الذات واطلاقها وأزليتها وهنا موطن الألوهية ؛ والآخر ثبوت الأعتبارات غير المتناهية وتقييدها بالاطلاق ، حيث تسمى الذات « واحداً » بهذا الاعتبار ومتعلق الواحدية ظهور الذات ووجودها وابديتها . وهذا الاعتبار الثاني هو التعين الثاني أو المرتبة الثانية للوجود حيث تظهر الاشياء بصفة تميز علمي في الذات ؛ ولهذا سميت هذه المرتبة أو الحضرة بعالم المعاني ، وحضرة الارتسام ، وحضرة العلم الأزلي ومرتبة الامكان . وهي كما عبر الاشكوري اول مراتب الظهور بالنسبة الى الغيب الذاتي . وهنا موطن الربوبية ، وهنا موطن الاعيان الثابتة . اما بالنسبة للمراتب أو الحضرات الاخرى من مرتبة الأرواح التي تعرف ايضاً بعالم الأمر وبالعالم العلوي وبعالم الملكوت ، وما ليس له منها تعلق بعالم الاجسام من المهيّمنين وحجاب سرادق العزّة ووسائط فيض الربوبية وما الى ذلك ، وماله منها تعلق بالاجسام وهي الروحانيات من اهل الملكوت الاعلى المتصرفين في السماويات ، واهل الملكوت الأسفل المتصرفين في الارضيات ، واما حضرة المثال ، هذه الحضرة الوسطية بين عالم الارواح وعالم الاجسام ، التي يطلقُ عليها الشرعُ اسم البرزخ لكونها فاصلا بين الجسم المادي المركب والجوهر العقلي المجرد ، هذا البرزخ بقسميه ، البرزخ الاعلى أو الغيب الامكاني ، لأمكان ظهوره والبرزخ الاسفل او الغيب المحالي ، المحال ظهوره او عودته ، واما مرتبة الاجسام علوياتها وسفلياتها ، واخيراً ، اما مرتبة المظهر الكلي او حضرة الكون الجامع للأمر الالهي ، الانسان الكامل الجامع بين مظهرية الذات المطلقة وبين مظهرية الاسماء والصفات والافعال بما في نشأته الكلية من الجمعية والاعتدال وبما في مظهريته من السعة والكمال ، الجامع ايضاً بين الحقائق الوجوبية ونسب الاسماء الالهية وبين الحقائق الامكانية والصفات الخلقية ، فهو جامع بين مرتبتي الجمع والتفصيل محيط بجميع ما في سلسلة الوجود : أما هذه الحضرات ، فلم يتعرض لها الاشكوري في رسالته .

والذي حدث انه عندما تعرض بالحديث الى علم الحق ، وانه علمان علم علّمه ملائكته ورسله وعلم استأثر به لنفسه لا يطلع عليه احد سواه ، وان الاحاطة بجميع ما انطوت عليه الذات من الأمور الكائنة في غيب كنهها مستحيلة . وبما قيل من : « انه ربما يكون في الحضرة العلمية الازلية امور باطنة كلية أو جزئية لم تتعين بعد لا في المرتبة الثانية والحضرة العلمية والقلمية ولا في اللوح المحفوظ » ، تطرق الكلام به إلى مسألة « البداء » وبيان حقيقته والواقع ان ما تطرق إليه لم يكن بأقل أهمية أو لزوماً مما ترك . ولعل المقام كان يقتضي ذلك ، فخير الكلام ما جاء في مناسبته .

محمد بن هاني الاندلسي

مرت ترجمته في الجزء العاشر الصفحة ٨٥ ونزيد عليها هنا ما يأتي :

إذا كان المدح قد فرض على الشعر العربي فأصبح الشاعر ولا حيلة له إلا صوغ المدائح ليستطيع العيش فقد كانت حظوظ الشعراء في هذا السبيل مختلفة ، مختلفة لأن شاعراً قد يوفق لممدوح لا يخجله مدحه لبطولة فيه أو سجايا حميدة ، وبما لا يبدو معه الشاعر بادي الكذب ظاهر الدجل واضح الاستجداء . .

كما قد لا يوفق شاعر آخر لمثل هذا الممدوح ، وقد يكون في مجموعه اولى بالذم والتجريح منه بالثناء والمديح . ومع ذلك فالشاعر مسوق إلى مدحه مدفوع إلى الاشادة به لأن الرزق في يديه ، والمال رهن كلمته .

على أن حظ الشاعر الواحد قد يختلف بين ممدوح وآخر ، فحظ المتنبي وهو عند سيف الدولة غير حظه وهو عند كافور . وإذا كانت قصائد المتنبي في سيف الدولة هي في أصلها مدحاً ، فأنها أيضاً اعجاب ببطولة البطل العربي الصامد في وجه الغزو الأجنبي ، المكافح عن الحمى الوطني . وبمعارك التي شهدها المتنبي مع سيف الدولة جديرة بأن توحي إليه بمثل ما أوحت حتى ولو لم يكن المتنبي يقصد المدح أو لو لم يكن الكسب من غاياته .

والأمر مع المتنبي يجري على هذا القياس حتى وهو يمدح غير كافور ممن لم يكن يزري مدحهم في ذلك العصر مثلما كان يزري مدح كافور . فالمتنبي وهو يمدح عضد الدولة كان في موقف غير موقفه وهو يمدح سيف الدولة وإذا كان عضد الدولة من الملوك الذين لا مغمز فيهم ، وله من المآتي ما يصح معه أن يكون ممدحاً . فهو على كل حال ليس في وضع يشبه وضع سيف الدولة وهو لم يكن الجندي المقاتل للعدو الخارجي ، ولا وضعته الأحداث في لهوات الحرب الوطنية فما يمكن أن يوحي به لشاعر كالمتنبي يستطيع أي أمير أن يوحي بمثله .

ومن هنا تراجعت قصائد المتنبي في مدح عضد الدولة عن قصائده في مدح سيف الدولة وقد كان هذا التراجع واضحاً لكل ذي حس شعري ، واعترف به المتنبي نفسه .

والواقع أن ما كان يهز المتنبي وهو يشهد معركة الحدث مثلاً مع سيف الدولة فينطقه بهذا القول :

هل الحدث الحمراء تعرف لونها ... وتعرف أي الساقيين الغمائم
سقتها الغمام الغر قبل نزوله ... فلما دنا منها سقتها الجماجم
بناها فأعلى والقنا يقرع القنا ... وجيش المنايا حوله متلاطم
وقفت وما في الموت شك لواقف ... كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ... ووجهك وضاح وثغرك باسم
ومن طلب الفتح الجليل فأنما ... مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم

لم يكن عند عضد الدولة مثله ليهتز له المتنبي ، وبالعكس من ذلك ، عندما مست قلب المتنبي عاطفة جياشة فرأى جمال الطبيعة في شعب بوان ، ثم لم يسمع في تلك المغاني لسانه العربي ، عاد متأثراً لما يرى ويسمع ، ففاض

الشعر من حنايا نفسه فأبدع ما أبدع .

ومن الشعراء الذين وفقوا لممدوح جديد بمدحهم الشاعر محمد بن هاني الاندلسي شاعر المعز لدين الله الفاطمي الذي اطلق عليه معاصروه لقب (متنبي المغرب) .

وربما كان ما يجعل ابن هاني جديراً بهذا اللقب هو أن مواضيع مدح ابن هاني للمعز ، هي عين مواضيع مدح المتنبي لسيف الدولة . فقد كانت ظروف كلا الممدوحين متشابهة ، وكان كلاهما مندفعاً لمقاومة الخطر الخارجي المهدد للبلاد الاسلامية يومذاك بل أن مسؤولية المعز كانت أكبر ، فهو مسؤول عن جبهة طويلة ممتدة على مدى شواطىء افريقيا الشمالية كلها ، ثم هو مسؤول عن الجزر الاسلامية المهددة وفي طليعتها جزيرة صقلية .

ولم يكن الوضع الإسلامي والوضع العربي يومذاك مما يقوي العزائم ويشحذ الهمم ، بل كان شمل العرب والمسلمين ممزقاً واختلافاتهم مشتدة ، لا الهدف يجمعهم ولا الخطر يوحدهم .

وكان الأجنبي الطامع يعرف ذلك كله ، وكانت نار الانتقام متأججة في نفوس البيزنطيين (الروم) الذين لم ينسهم تطاول الأيام ذكريات لهزائمهم الماضية ، وجلائهم عن بلاد الشام وغيرها ، وكانوا يحنون للعودة إليها من جديد . بل أن نقفور فوقاس الثاني كان يهدد بالاستيلاء حتى على المدينة ومكة واستطاع تحقيق الكثير من امانيه وفي ذلك يقول ابن هاني :

اسفي على الأحرار قل حفاظهم ... لو كان يجدي الحر أن يتأسفا
يا ويلكم افما لكم من صارخ ... الا بثغر ضاع أو دين عفا
حتى لقد رجفت ديار ربيعة ... وتزلزلت أرض العراق تخوفا
فمدينة من بعد أخرى تستبى ... وطريقة من بعد أخرى تقتفى
والشام قد اودى واودى أهله ... إلا قليلاً والحجاز على شفا

هذه صرخة وطني مناضل يرى بلاده تتساقط أمام ضربات الأعداء ، ويرى قومه متخاذلين ، هذه صرخة وطني مناضل اكثر منها نغمة شاعر مداح .

والواقع أن المعز لدين الله الفاطمي كان في ذلك العهد أمل العرب والمسلمين وكانوا يتطلعون إليه من كل مكان ، حتى من الأرض البعيدة عنه غير الخاضعة لسلطانه . فعندما شعرت مثلاً جزيرة (كريت) بالخطر الداهم ، ولاحت لها طلائع الغزو مطلة من بعيد كان همها أن توصل نداءها إلى الرجل المأمول ، ويحدثنا الدكتور حسن ابراهيم حسن وهو يتحدث عن كتاب (المجالس والمسايرات) للنعمان فيقول : « وعرض النعمان غير مرة لعلاقة المعز بالدولة البيزنطية فأوضح اعتماد حاكم الاندلس عبد الرحمن الناصر الأموي على الروم في صراعه مع الفاطميين ، وصور ما حل بالروم وحلفائهم أمام اساطيل المعز تصويراً رائعاً ، وذكر الرسائل التي بعث بها اباطرة الدولة البيزنطية لاستدرار عطف المعز ومهادنته . ولأول مرة نسمع أن مسلمي جزيرة قريطش (كريت) الذي كانوا تحت الحكم العباسي يطلبون النجدة من المعز لحرب الروم . ومن دراستنا للوثائق التي تبودلت بين أهل قريطش وبين المعز لدين الله نرى ما وصلت إليه الدولة الفاطمية من وقوة ونفوذ » .

وابن هاني يدرك ذلك ويدرك أن ممدوحه أهل لما علق عليه من آمال فيقول .

ألا تيأسوا فالله منجز وعده ... قد آن للظلماء أن تتكشفا

لقد كان المعز جديراً بالظرف الحرج الذي وضعته فيه الأيام ، فلم يدع الوقت يذهب عبثاً وأدرك للوهلة الأولى أنه امام خطر بري وآخر بحري قد يكون هو الأشد . لذلك صرف جهده أول ما صرفه إلى انشاء اسطول ضخم يتناسب مع المهمة الثقيلة التي تنتظره وهي حماية الشواطىء الافريقية الشمالية من أي غزو متوقع ، وبذل لهذا الأسطول أقصى ما يستطيع بذله حتى أصبح اسطوله سيد البحر المتوسط ، وحتى صار مهدداً للاعداء بعد أن كان الاعداء مهددين ، وحتى صاروا يخشونه بعد أن كانت البلاد تخشاهم .

وقد كان هذا الأسطول اعظم ما يمكن أن يصل إليه اسطول في ذلك العصر مجهزاً بأحدث الالات الحربية والأدوات النارية . فأثار هذا الأسطول حماسة الشاعر ورأى فيه المخرج من الأخطار والحماية من النوازل ، وهاج فيه اعتزازه وحميته ، فأنطقه ذلك بقصيدة هي بحق من فرائد الشعر العربي :

لك البر والبحر العظيم عبابه ... فسيان اغمار تخاض وبيد
وما راع ملك الروم الا اطلاعها ... تنشر أعلام لها وبنود
عليها غمام مكفهر صبيره ... له بارقات جمة ورعود
مواخر في طامي العباب كأنه ... لعزمك بأس أو لكفك جود
انافت بها أعلامها وسما لها ... بناء على غير العراء مشيد
من الراسيات الشم لولا انتقالها ... فمنها قنان شمخ وريود
من الطير إلا أنهن جوارح ... فليس لها إلا النفوس مصيد
من القادحات النار تضرم للصلى ... فليس لها يوم اللقاء خمود
إذا زفرت غيظاً ترامت بمارج ... كما شب من نار الجحيم وقود
فأنفاسهن الحاميات صواعق ... وافواههن الزافرات حديد
لها شعل فوق الغمار كأنها ... دماء تلقتها ملاحف سود
تعانق موج البحر حتى كأنه ... سليط لها فيه الذبال عتيد

ثم يصف وصول وفود الروم متذللة تطلب الصلح مخاطباً المعز مشيراً إلى ما كان من تغلغل الروم قبل ذلك في بلاد الشام :

فلا غرو أن اعززت دين محمد ... فأنت له دون الأنام عقيد
غضبت له أن ثل في الشام عرشه ... وعادك من ذكر العواصم عيد
وقلت اناس ذا (الدمستق) شكره ... إذا جاءه بالعفو منك بريد
تناجيك عنه الكتب وهي ضراعة ... ويأتيك عنه القول وهو سجود
إذا أنكرت فيها التراجم لفظه ... فادمعه بين السطور شهود
ليالي تقفو الرسل رسل خواضع ... ويأتيك من بعد الوفود وفود

ويمضي الأسطول العربي في اداء رسالته ، ويجوب قطعه البحر المتوسط متحدية كل من تحدثه نفسه بالشر ، وتعلن سفنه بنفسها عن نفسها ، ثم تلتقي على غير موعد بسفن الاعداء فلا تلبث أن تصطدم بها ، ويتهاوى الفريقان في نار الوغى ويتجالدون أعنف جلاد ، تحفز الروم ثارات متأصلة واوتار دفينة . وتحفز العرب اخطار منتظرة وشرور مرتقبة ويتطلع العرب بقلوبهم إلى الوطن العربي العزيز ويتخيلون ماذا سيحل بتلك الأرض الطيبة ، إذا هم تزحزحوا عن موقفهم أو تزلزلوا في حربهم فيندفعون مكبرين وينطلقون مهللين فتنجلي المعركة عن نصرهم البحري الحاسم في معركة المجاز . ويكون الشاعر معهم

بكل شعوره وكل جوارحه ، متلهفاً لمعرفة الخبر الأخير ولما يبلغ اذنيه نبأ الفوز ينطلق مزهواً متغنياً بالبطولات :

يـوم عـريض بـالفخـار طـويـل ... لا تنقضي غـرر لـه وحـجـول
مسحت ثغـور الشـام ادمعهـا بـه ... ولقـد تبـل الـتراب وهـي همـول
قـل للدمستق مـورد الجمـع الـذي ... مـا اصـدرتـه لـه قنـا ونصـول
سـل رهط (منويـل) وانت غـررتـه ... في أي مـعـركـة ثـوى مـنـويـل
منـع الجنـود من القفـول رواجعـا ... تبـا لـه بـالمنـديـات قـفـول
وبعثت بـالاسـطول يحمـل عـدة ... فـأثـابـنـا بـالـعـدة الأسطول
أدى إليـنـا مـا جمـعـت مـوفـراً ... ثـم انـثـنى بـاليـم وهـو جـفـول
ومضى يخف عـلى الجنـائب حمله ... ولقـد يـرى بـالجيش وهـو ثقيل
لم يـتركـوا فيهـا بجعجـاع الـردى ... إلا النجيـع عـلى النجيـع يسيـل
نحـرت بهـا العـرب الاعـاجم أنها ... رمـح أمـق ولهـذم مـصـقـول

ثم ينثني إلى مدبر ذلك كله وقائد النصر ومعد الاسطول ومهيىء الجيش ، إلى المعز :

لا تـعـدمـنـك امـة اغـنـيـتـهـا ... وهـديتهـا تجلو العمى وتـنـيـل

وتتكرر معارك الاسطول العربي وتتكـرر انتصاراتـه فيخرص الشـاعر عـلى الاشادة بالاسطول :

وسفن إذا مـا خـاضت اليم زاخـراً ... جلت عن بياض الصبح وهي غرابيب
تـشـب لهـا حمـراء قـان اوارهـا ... سبـوح لها ذيـل على الماء مسحـوب

وتلتقي جيوش الروم واساطيلهم بجيوش الفاطميين البرية واساطيلهم اكثر من مرة وتقع المعارك البرية والبحرية في أوقات متقاربة وينتصر الفاطميون وتحمى بانتصاراتهم ديار الإسلام والعروبة فيقـول ابن هاني مشيـراً إلى أن الروم كانوا قبل اليوم سادة البحر المتوسط ، تجول فيه اساطيلهم وتصول بلا رقيب ولا منافس ، وإلى أن جيوشهم البرية كانت كذلك :

لـو كـان للروم علم بـالـذي لقيت ... مـا هـنـئـت ام بـطـريـق بمـولـود
القى « الدمستق » بالاعلام حين رأى ... مـا أنـزل الله مـن نصر وتـأيـيـد
فقـال لـه حـال من دون الخليج قنـا ... سـمـر واذرع ابـطـال مـنـاجـيـد

ثم يخاطب المعز :

ذمـوا قنـاك وقـد ثـارت اسنتهـا ... فـما تـركـن وريـداً غـير مـورود
حميتـه الـبر والبحـر الفضـاء معـا ... فـما يمـر بـباب غـير مـسـدود
قـد كـانت الـروم محذوراً كتـائبهـا ... تـدني البـلاد عـلى شحط وتبعيـد
وشـاغبـوا اليهم ألفي حجـة كمـلا ... وهـم فـوارس قـاريـاتـه الـسـود
فـاليـوم قـد طمست فيـه مسالكهم ... من كـل لاحب نهج الفلك مقصـود
هـيـهـات راعـهـم في كـل مـعـترك ... ملك الملوك وصنـديـد الصنـاديـد

ابن هاني اشبيلي المولد اندلسي النشأة فقد ولد سنة ٣٢٠ أو ٣٢٦ في قرية سكون من قرى مدينة اشبيليـة وكان صديقاً لـوالي اشبيلية مقـرباً إليـه . وكان الحكام في الأندلس لا يحبون الدولة الجديدة التي أخذتْ تشب ويقـوى ساعـدها في افريقيا فأخذوا يعملون على زعزعتها . ولم يتورعوا عن التحالف مع الأجنبي للقضاء عليها[1] .

(١) يقول الدكتور حسن ابراهيم حسن عن كتاب المجالس والمسايرات المخطوط : (. . . فأوضح اعتـهاد حاكم الانـدلس عبد الـرحمان النـاصر الأموي عـلى الروم في صراعـه مع الفاطميين . . .)

وكان هوى ابن هاني مع الفاطميين وقلبه متجهاً إليهم ، وكـان كغيره يـرى في شباب دولتهم ما يمكن أن يعيد الشباب إلى الوطن العربي . ويبدو أنه كان لا يتورع عن الجهر بآرائه والدعوة إليها ، مما لم يكن يخفى على الحاكمين ، فدبـروا لـه تهمة الأخـذ بـالفلسفـة ، وهي تهمـة كـانت هنـاك في ذلـك الـوقت كـافيـة لاستحلال الدماء . ويبدو أن صديقه الوالي الاشبيلي قد أحس بما يـدبر للشـاعر في الخفاء فنصحه بترك اشبيلية فأخذ الشاعر بالنصيحة واتجه إلى العدوة الأفريقية حيث اتصل في المسيلة بجعفر بن علي بن حمدون المعـروف بابن الانـدلسية والي المسيلة[2] فلم يجد جعفر هدية يقـدمها لخليفتـه أثمن من هذا الشـاعر ، فـاوفده إليه . وكان المعز في أمس الحاجة لمثل ابن هاني ليكـون لسانه الناطق في تطور دولته وتقدمها ، وليكون وسيلته الاعلامية ، واذاعته القوية ، فاحتفى به وقـربه إليه وظل ابن هاني يسجل انتصارات المعز ويعدد وقائعه إلى أن خطا المعز خطوته الحاسمة فأرسل قائده جوهراً لضم مصر إلى خلافته ودخل جوهـر الاسكندريـة متقدماً إلى العاصمة فأذاع ابن هاني النبأ بهذا الشكل :

يقول بنو العباس هل فتحت مصر ؟ ... فقـل لبني العبـاس قـد قضي الأمـر
وقـد جـاوز الاسكـنـدريـة جـوهـر ... تسـير بـه البشرى ويقـدمـه النصر

ويتهيأ المعز للذهاب إلى مصر وانشاء عاصمته الجديدة (اا رة) ثم يمضي إليها على أن يلحقه شاعره ليكون هناك كما كان هنا المديع الب . وكان حكـام الأندلس متابعين لخطر الشاعر عالمين بما فعله شعره للدولة المتقدمة وما يمكن أن يفعله بعد أن تطورت من حال إلى حال . ورأوا في قلمه خطراً لا يقل مضاء عن السيف فقرروا حرمان الدولة الحديثة منه فأرسلوا إليه من اغتاله وهـو في الطريق إلى مصر عند برقة سنة ٣٦٢ وهكذا انتهى هذا الشاعر الفـريد نهايـة اليمة غـير متجاوز مراحـل الشباب . ولا شـك أنه لـو قدر لـه الوصـول إلى مصر لترك في احداثها وحياتها وطبيعتها الشيء الكثير الثمين .

محمد يوسف مقلد

ولد في تبنين (جبل عامل) سنة ١٩١٣ م وتوفي ببيروت سنة ١٩٦٥ م .

نشأ فقيراً فهاجر سنة ١٩٣٧ م الى السنغال في افـريقيا الغـربية مـع قوافـل المهاجرين إليها سعياً وراء الثروة ، ولكنه عاد منها بعد سنين كما ذهب .

وهو في هذه الأبيـات يصف ارتحالـه بعد أن بـاع أبوه كـرم التين ليؤمن لـه نفقات السفر :

(٢) المسيلة : قاعدة المغـرب الأوسط ، او ما كـان يسمى ببلاد الـزاب ويطلق عليـه الان اسم (الجزائر) . وهذه المدينة هي إحدى المدن التي انشأتها الدولة الفاطمية في أول قيامهـا ، اختطها ولي عهد هذه الدولة محمد بن عبـد الله المهـدي . وكان ابـوه قد وجهـه إلى اقليم الزاب ليقربه سلطانه ويقمـع بعض الفتن الناشبـة فيه حتى إذا فـرغ من شأنـه وتم له مـا أراد ، اختط هذه المدينـة لتكون قـاعدة هـذا الاقليـم بـدلاً من مدينـة طبنة ، وعهـد الي علي بن حمدون (والد جعفر) الاندلسي ببنائها ، ثم اطلق عليها اسم (المحمدية) نسبـة الى ولي علي العهد ، الى جـانب اسم المسيلة ، ذلك الاسم الـذي يرجـع ـ فيما نحسب ـ إلى اصل قديم . ولم تلبث هذه المدينة أن نمت وازدهرت وخاصة في عهد اميرها جعفر بن علي بن حمدون ، وقد آلت إليه امارتها بعد ابيه الذي تولى ـ كما مر ـ بناءها ، وكـان معتزاً بها فجعلها مناط همته ووجه إليها طموحه كله حتى استـطاع أن يجعل منهـا مركـزاً من أول المـراكز الأدبيـة في المغرب العـربي تحفياً بـالأدب وتشجيعاً لـلادباء ورعـايـة لهم واستـشارة لمواهبهم . وفيها برزت شاعرية ابن هانى .

ركبت مع صحبي متون البحار من بعدما صلى أبي (واستخار)
نزحت عن داري إلى غيرها وبعت (كرم التين) داني الثمار
فيا خيام التين هل رجعة اليك يوماً بعد شط المزار
حيث الصبايا من بعيد المدى يحملن للظمآن فيك الجرار
يا خيمة (المسطاح) في التين سلام من وراء البحار

وبعد عودته من المهجر تعاطى بعض الأعمال الصحفية في بيروت ودمشق . ونشر بعض الدراسات .

كان اهمها سلسلة مقالات عن ابنة بلدته الاديبة زينب فواز وسلسلة مقالات اخرى عن عرب (موريتانيا) وادبهم وشعرهم بعد أن عرفهم عن كثب أيام اقامته في السنغال .

وقد اصدر ديواناً شعرياً باسم (الانسام) قال عنه الناقد مارون عبود : « اقول لصاحب ديوان الانسام ان اسم ديوان الانسام يلائم المسمى ، أما العنوان الصغير (شعر مهجري) فلا يصح إلا من حيث الحنين إلى الوطن فيما رأيت حنيناً صادراً من أعمق الأعماق كحنين مقلد ، ولعل الشاعر قاصاً أروع منه شاعراً فقد رأيته أجمل ما يكون حين يقص » .

من شعره

قال يصف رقصة « الدبكة » العاملية :

« مجوز » ينشد الحنان إلى النفس و « شبابة » تهز المشاعر
حلقات تدور محورها « الدقّاق » كدور الرحى وفن ساحر
وحماس يهيب في أنفس الحشد ويذكي الغرام في كل ثائر
بين جذب إلى الوراء ودفع شائق تبلغ القلوب الحناجر
بشر القرية الوديعة بالعرس فان الأعراس خير البشائر
وافرش الدرب للصبايا ورودا فالصبايا روح الشباب الناضر
ونسيم الصبا وعرف الخزامى هن والشعر في ضمير الشاعر
كم تراهن آيبات عن (العين) كسرب من الحمام الطائر
سابلات الشعور مثل الافاعي عاقدات على الجرار الخناصر
تلك في صدرها ترجرج نهدين وذي خلفها تدلي الضفائر
عمّر « الدبكة » الرشيقة وانظر فالحواشي لكل غاو « شاطر »
لهي الانس مذ تنادوا إليها لم يحل لرقاد طرف ساهر

وقال وهو في مهجره يحن إلى بلاده :

يا نسمة الصبح اطوي البعد وانطلقي إلى بلادي وطوفي في روابيها
خفي إليها بتهيامي مبكرة قبل الشروق وحيي سفح واديها
هيا فهذا جناحي يستحر جوى طيري به ثم رفي في مغانيها
طيري فعندي لها في كل جارحة حب يصورها شعراً ويحليها
ويستعيد إلى ذهني مباهجها حلماً لذيذاً كأني في لياليها
فان توغلت في جناتها فهبي روحي إذا أبت عطراً من اقاحيها
وإن عطفت على انغام أنهرها فأسمعيني نشيداً من شواطيها
وان نزلت خيام التين فاصطحبي قلبي الذي قد عصاني باقياً فيها

وقال بعد تغربه في السنغال :

ابعد البين هل لي أن اؤوبا وانظر فيك يا وطني الحبيبا
بلادي جنة الدنيا واني أحب لأجلها الريح (الجنوبا)
الاهل نسمة منها لقلبي تكون إذا دعا الداعي طبيبا
لئن كنا هجرناها فأنا تركنا في مرابعها القلوبا
تركنا النهر يجري سلسبيلا تركنا الروض والغصن الرطيبا
تركنا غيضة الوادي تركنا ربيعاً في روابيها خصيبا
وعينا مثل عين الديك صفواً تعانق جدولاً جذلاً طروبا
تصف على حوافيها الصبايا جراراً ما شكت يوماً نضوبا

وقال يصف حياته في السنغال :

أتهديني على الرأي الوجيه لأنجو فيه من سود الوجوه
رأيت العيش في (السنغال) ضربا من الكدح الذي لا خير فيه
إذا سلمت حياتك من بلاء فلست بسالم مما يليه
يسببك لست تملك إعتراضاً ترد به على القذف السفيه
يؤم كمن يريد شراء شيء وما هو في الحقيقة مشتريه
ولكن نية ظهرت وأخفت وراء القصد أمراً يبتغيه
وهبك شكوت أمرك للفرنسي لينصف ، يزدريك ويزدريه
أيا وطن العبيد ! فقدت فيك الـ ـهنا والأنس والهزل البديهي
نأى عن أرضك اللطفاء طرا كأنك عندهم صحراء تيه
ألا نفي يعجل في رحيلي ويرجع بالغريب إلى ذويه
فلي وطن وإن هو لم يصني بروحي لو دعاني أفتديه

وقال عندما ركب الباخرة من بيروت متجهة به إلى مهجره سنة ١٩٣٧ :

تشق عباب اليم واليم زاخر وتدفع عنها الموج والموج لاطم
هموم بقلبي هون الله جمة ابيت اعانيها وثغري باسم
فيا راعني يوم النوى غير موقف على (البور) إذ كانت تلوح (المحارم)

ولو قدر لسلسلة مقالاته عن موريتانيا وعن زينب فواز أن تجمع في كتابين مستقلين لكانا من الكتب الجيدة .

على أنه اساء في اواخر حياته لأدبه ولنفسه بأن سخرها لبعض تنافهي السياسة .

أبو منصور محمد بن المبارك الكرخي

قال الشيخ محمد رضا الشبيبي في الجزء الثاني من كتابه (ابن الفوطي) :

جرت العادة من قديم الزمان أن تقرأ قصة مقتل الإمام الشهيد أبي عبدالله الحسين يوم عاشوراء في جملة من محافل بغداد وغير بغداد من حواضر العراق، وذلك في أواخر عصور بني العباس أو قبل ذلك قليلاً، وعرفت وشاعت قراءة هذه القصة في دمشق إذ كان خطباء الدماشقة يقراونها في جمعة المحرم وينعون الإمام الشهيد على منابر الشام، والدليل على ذلك أن ابن تيمية أنكره على خطباء جوامع الشام في كتابه (منهاج السنة)، وعرفت قراءة المقتل في القاهرة منذ عصور الفاطميين، وفي العراق بعد غلبة البويهيين، كانوا يقرأونها في المحافل والمشاهد وفي المنازل على ما هي عليه الآن .

لم تخل العصور المذكورة من طبقة (المنشدين) و(القراء) و(الذاكرين) وهم قوم انقطعوا لهذا العمل أي للقراءة والإنشاد في مواسم معينة من السنة وخصوصاً المحرم، والأمثلة غير قليلة في تاريخ المائتين السادسة والسابعة على ذلك، وقد ورد ذكر بعض هؤلاء القراء والمنشدين في تاريخ ابن الساعي . ومنهم

أبو منصور محمد بن المبارك الكرخي «المنشد». ذكره في وفيات سنة ٥٩٨ ووصفه بما يأتي:

«حافظ للقرآن المجيد قرأه بالقرءات، جيد الإداء، طيب الصوت شجيه، كان يتشيع وينشد في المواسم والمشاهد المقدسة، ويعظ في الأعزية»[١].

فهذا مثال حسن لهذه الطبقة من القراء المنشدين في المواسم والمشاهد أو الواعظين في الأعزية، كما نراه في عصرنا هذا.

الدكتور محمد مهدي البصير

ولد في الحلة سنة ١٣١٣.

فقد بصره صغيراً ومن هذا استمد لقبه (البصير). تلقى علومه الأولى في الحلة وقرض الشعر وهو ابن أربع عشرة سنة، وتولى منذ نشأته الخطابة الحسينية في الحلة ثم في بغداد، ثم ظهر على مسرح الحياة العامة سنة ١٩٢٠ م بإلقاء عشرات الخطب والقصائد في بغداد حثاً على القيام بالحركة الوطنية، وقد سجن ونفي في سبيل مبادئه السياسية مراراً عديدة.

عين محاضراً في الأدب العربي بجامعة آل البيت سنة ١٩٢٥. وفي سنة ١٩٣٠ أوفد إلى مصر للقيام بتتبعات علمية وأدبية واجتماعية. وفي سنة ١٩٣١ سافر إلى فرنسا فمكث فيها ستة أعوام نال في نهايتها شهادة الدكتوراه في الأدب الفرنسي. وفي سنة ١٩٣٨ عاد إلى بغداد فعين أستاذاً للأدب العربي بدار المعلمين العالية حتى أحيل إلى التقاعد.

مؤلفاته:

تاريخ القضية العراقية في جزئين. بعث الشعر الجاهلي. الموشح في الأندلس وفي المشرق. البركان وهو مجموع شعره السياسي. زبدة الأمواج وهو ديوان يحتوي على ما له في شتى أبواب الشعر وأغراضه. وله باللغة الفرنسية: شعر كورني الغنائي.

شعره:

قال من قصيدة:

ولقد وقفت على شواطىء دجلة ... متروحاً مما بها أضناني
ناجيتها وذكرت سالف مجدها ... فبكيتها وهو الذي أبكاني
وسمعت شكواها بصوت خريرها ... فنزا فؤادي أيما نزوان
لم تخفق النسمات بين ربوعها ... إلا وقلبي لجّ بالخفقان
وتجهمت أمواجها فكأنما ... شعرت بما أنا في البلاد أعاني
تتنفس الصعداء واجمة معي ... فإذا كلانا في الجوى سيان
لكنني نهنهت ماء محاجري ... من بعد ما غرقت به أجفاني
ومشيت أنتشق النسيم وإنما ... أمشي بظل ذوائب الأغصان

وقال:

لك يا شمس دولة في الفضاء ... يصل الأرض حكمها بالسماء
فوق سطح الغبراء مجدك عال ... وهو أعلى في القبة الزرقاء
تبعتك الكرات فاجتذبيها ... تحت تيار قوة الكهرباء
أنت ألفتها فكانت كشعب ... يطلب المجد عن طريق الإخاء
فتوسطتها كأنك ملك ... حفّ فيه جمعٌ من الكبراء
في فم الجو من سناك لسان ... لا تباريه ألسن الخطباء
كم وكم آية له بهرتنا ... من بيان الطبيعة الخرساء
طفح النور من جبينك لكن ... صقلته لنا مجاري الهواء
فابعثي في عقولنا كل نور ... ولدي يا ذكاء كل ذكاء
إن فعل القوى ليعلو ظهوراً ... بك مهما تبرقعت بالخفاء
لستِ إلّا كما روى العلم ناراً ... هددتها الأيام بالإنطفاء

ثم يقول في هذه القصيدة:

نطلب العلم كي تنظم فيه ... أو لتحمى مصالح الأقوياء
نبتغي المال كي نعذب فيه ... لا لنبقى لراحة وهناء
ما فتحنا معاهد العلم إلّا ... وخططنا مصارع الشهداء
أيها الساسة الأعاظم ميلوا ... عن طريق الخيال والخيلاء
أنصفونا منكم ومن سلطة النـ ... ـار فقد جار حكمها في القضاء
خلصوا الأرض من معارف قوم ... عرضوها بأسرها للعفاء
انظروها فكم جرت من دموع ... بشراها ممزوجة بدماء
فاعصموها ونزهوا العلم مما ... أوجبته مفاسد الزعماء
نشطوا النار في المصانع حتى ... أكلتهم بساحة الهيجاء
سلطوها على العدو فقال الحـ ... ـق يا قوم كلكم أعدائي
فامنعوا الإبتكار فيها وإلّا ... ما لنوع الإنسان غير الفناء
ما لمستحدث الوسائط للقتـ ... ـل سوى قتله بها من جزاء
جربوا فعلها به واحقوها ... فهو أولى بها من الأبرياء
ذاك صلٌ يستأصل الناس نهشاً ... ما لهم غير قتله من شفاء
جال في خاطري اليراع ولكن ... جاء يمشي به على استحياء
عنّ لي واجب فناديت فيه ... طوع رأيي ومن يلبي ندائي
أين أين الروح السياسي مما ... تقتضيه مبادىء الحكماء
ربي من لضعيف رحماك يا ... رب أعذنا من قسوة الرحماء
ليت شعري من أين يُلتمس الصـ ... ـدق وهذي صداقة الأمناء
لك يا غرب خطة رسمتها ... نزغات الغرور والكبرياء
آيستنا من كل ما نتمنى ... من هناء نروده أو صفاء
فتمهَّل فما يضيرك إلا ... ما نرى من تغطرس العظماء
فيك يا غرب علة الشرق عادت ... بانقسام الأغراض والأهواء
أيقظونا لغاية ثم قالوا ... راقبوهم فالقوم في إغفاء
ذهب الليل أسودا فانتبهنا ... إذ أتى الصبح باليد البيضاء
فسيشقى شعب ويسعد شعب ... بانتقال السراء والضراء
قيل أين السلام قلت لهم ما ... ت وهاكم له شجي رثائي
رسمته صحيفة الكون سطراً ... فأزالته سلطة الرقباء
أتسير البلاد إلا لحرب ... بعد حرب مرت بها شعواء
سوف لا تترك الزوابع زهراً ... في ربوع الحديقة الغنّاء
وسترى منابت الزهرة الخضـ ... ـراء لكن بالدمعة الحمراء
طال ما غنّت العنادل فيها ... وستملي الرثا بعيد الغناء

---

(١) الجامع المختصر (٨٥/٩).

وقال:

أعلمت أن سلامة الأوطان … هي عين قتل سلامة الإنسان
وطنية الإنسان سلم مجده … إن قوبلت بعواطف وحنان
فيذبُّ دون كيانه لكنه … لا يبتغي في الكون هدم كيان
أنا لا أحب سوى السلام أو الردى … إن جرَّ حب السلم للأذعان
لا عاش من يسعى ليهلك نوعه … لا جدَّ جدّ العاجز المتواني
ما الحر إلا من يطهّر أرضه … أولاً فما هو طاهر الوجدان
ولأنت في ديوان شعبك صفحة … فلتفدِ غرة ذلك الديوان
الروح والجثمان منه فحقه … أن يفتدى بالروح والجثمان
فادرء بموتك عن بلادك موتها … لتعيدك الذكرى لعمر ثان
ولدتك تربتها وضمك جوها … وبها نطقت مميزاً بلسان
أفبعد ذاك تعاف نفسك نصرها … ببيان حر صادق وبنان
ما أنت من أبنائها إن لم تكن … عنها تذود بيوم كل طعان
أو ما يروقك أن تعيش بأمة … قد أعطيت في المجد أي مكان
أيطلُّ من أوج الحضارة مرتقٍ … ترمي له نظر الذليل العاني
وأمامك الطرق التي فيها سعي … فعلام فاز وأبت بالخسران
أيريد فيك نفوذه وتغض طرفك دونه ما أنت بالإنسان
لا يلبسنَّ الشعب حلة مجده … حتى تطرز بالنجيع القاني
وإذا تتوجت الجماجم بالظبا … كانت لهن فخامة التيجان
قضت السياسة أن تعم صروفها … أبناء هذا العالم المتفاني
وتطاحنت في الأرض كل شعوبها … فاليوم ها هي طعمة النيران
فطغا النجيع بكل واد والطلا … كانت منابع ذلك الطوفان
إن ينفجر في الأرض بركان الوغى … فالكون في فم ذلك البركان
ساد الفناء على البسيطة كلها … والسلم بان مقوض الأركان
وتنبهت أمم ستملك أمرها … وتسلمت أخرى يد الحدثان
فتألفت هذي وتلك تمزقت … وهما إلى العلياء يستبقان
فاستخبر التاريخ أية صفحة … للعرب فيه كريمة العنوان
أو لم يقيموا الفخر مرتفع الذرى … حتى أطلَّ بهم على كيوان
ملكوا الرقاب بعدلهم فتحررت … وتألف القاصي لهم والداني
فتداولوا الدنيا مسخرة لهم … بين اليراعة والقنا المران
مدُّوا رواق الإرتقاء وفوقه … علم السعادة دائب الخفقان
وتسنموا العلياء ثم مضوا بها … فمفاخر الآباء في الأكفان
خلقوا ليبتكروا الفنون ولم نجيء … إلا لنطريهم بكل لسان
يا أمة بنت الأوائل مجدها … هدمت علاك فأين منك الباني
ما كنت أحسب بعد عزك أن أرى … مثواك والهفا بدار هوان

السيد محمود الحبوبي ابن السيد حسين

ولد في النجف الأشرف سنة ١٣٢٣.

هو ابن شقيق السيد محمد سعيد الحبوبي العالم المجاهد الشاعر الشهير. درس في النجف القراءة والكتابة ومبادىء الحساب ثم ترك المدرسة ليدرس العلوم العربية والمنطق ومبادىء الفقه وأصوله.

انتخب عضواً إدارياً في جمعية الرابطة العلمية الأدبية في النجف منذ تأسيسها ثم أصبح سكرتيرها. ثم ترك النجف، وأقام في بغداد.

طبع الجزء الأول من ديوانه سنة ١٣٦٧ (١٩٤٨) وله عدا الديوان مجموعة موشحات ومجموعة رباعيات. وقد عني بجمع ديوان الشيخ جواد الشبيبي وجمع ما لم ينشر من شعر عمه السيد محمد سعيد.

مرت له قصيدة رثائية في الصفحة ٦٩ من المجلد السادس.

قال بعنوان سكان الريف بين عهدين:

خلت المنازل والمرابع … فاكفف فليس بهنَّ سامع
ماذا وقوفك وهي قفر … ى من أماجدها بلاقع
لم يبق منهم (نهشل) … بين البيوت ولا (مجاشع)
من كل من لم يتخذ … لعلاه إلا السيف شافع
أو بذلَ ما يحويه إن … بخلت به الأيدي الموانع
يهتزُّ - مثل قناته - … للجود لدن القد فارع
بادٍ عليه لناظريه … من الفتوّة خير طابع
لم يهنه شبع وبين … الحي طاوي الكشح جائع
يقري الوفود مع القرى … كرم الخلائق والطبائع
فتراه أندى للضيو … ف يداً من المزن الهوامع
وتراه أجرأ من أسا … مة في الملاحم والوقائع
وتراه أقضى من (شريح) … يوم تستعصي المنازع
للقوم يكشف عن وجو … ه غوامض الأمر البراقع
إن يقتنع بالرزق لم … يك بازدياد المجد قانع
جلد إذا ما الدهر أنذ … ر بالقواصف والقوارع
راسي العقيدة واليقين … بما به أتت الشرائع
لم تلفه لأبائه … إلا لحكم الله ضارع

يا نادباً شرف العرو … بة عاد في الأرياف ضائع
كم رحت تسعى نحوها … جذلاً فعدت وأنت جازع
أدمى حشاك خلوُّها … من أهلها البيض الصنائع
وتنكرت لك بعدهم … حتى مناظرها الروائع
فتكاد تشقيك الحقو … ل بها، وتشجيك السواجع
وتكاد هبّات النسيم … تشبُّ ناراً في الأضالع
وتكاد تورث غلة … تلك المناهل والمشارع
وتكاد إذ تجري السواقي … أن تسابقها المدامع
أنّى اتجهت رأيت ثمة … ما تقض له المضاجع
غرف أعدّت للعقار … وللقمار وللشنائع
لم تحو إلا كلَّ مخمورٍ … هزيل الجسم مائع
تلقاه مضطرب الخطى … في القوم مرتعش الأصابع
وأذلَّ من فقع بقر … قرةٍ إذا غشي المجامع
لعبت به شهواته … فغدا لها كالعبد خاضع
وغدا لأغلى المكرمات … بأبخس الأثمان بائع
أسراره عند المخادع … لو تبوح بها المخادع

مستسلم للمنكرات   وللفضائح والفظائع
يسودُّ ساعة عرضها   وجه العروبة وهو ناصع

طف ههنا أو ههنا   وسل المرابط والمرابع
أين الفوارس، والجياد   تزينها الغرر اللوامع
متراقصات بالمغاوير   الميامين المطالع
متجاويات بالصهيل   تكاد ترشفه المسامع
أم · أين نيران القرى   منها السنا العربي ساطع؟
يهدي الألى ضلوا إلى   خير المنازل والمواضع
أم أين أندية العلا   يأوي إليها كل فازع؟
لم تلق فيها من يماكر،   أو يكابر، أو يصانع
أسمارها أسمار أندية   الأباطح والأجارع
سل ما تبقّى من مآثر   أهلها ؛ والجفن دامع
ستريك أن زمانهم   ولّى ، وأمر الله واقع
عصفت بهم فتفرقوا   شتى العواصف والزعازع
وغدت لهم بل للمفاخر   ههنا وهنا مصارع
يا للحماة ألا فتىً   منهم لهذا الريف راجع
ليجدد العزمات فيه   ويوقظ الهمم الهواجع
ويبيت في غاب الأسود   مناضلاً عنه مدافع
خفت الزئير وأصبحت   أسفاً تنقُّ به الضفادع
تركوا ودائع مجدهم   للجّاهلي قدر الودائع
الساقطين إلى الحضيض   من المشارف والمتالع
الذاهبين مع الرياح   الساخرين بكل رادع
الجاعلين عقولهم   لسواهم بعض البضائع
الواثقين من الولاة   بكل محتال مخادع
الواقعين على حبائل   ماهر بالصيد بارع
بهم تذرَّع للمآرب   إذ هم أجدى الذرائع
حتى إذا الأمل الجموح   أتاه وهو له مطاوع
ثقلوا عليه مثلما   ثقلت على الجسم المباضع
فإذا الشراب لغيرهم   وإذا هم لهم الفواقع
أردت نفوسهم المطامع   فأرثهم صرعى المطامع

وقال عند جلاء الجيوش الأجنبية عن سوريا سنة ١٩٤٧ :

عاود العين بعد لأيٍ كراها   يوم نالت (سورية) مبتغاها
فاستعادت من غاصبيها حياةً   حرّةً، فقدُها أطال شقاها
خَلّت الكتب جانباً واستجارت   بالمواضي فأبلغتها مناها
وغدت أمةً لها حكمها الذا   تيُّ ، أبناؤها تصون حماها
أنزلت من فضائها علم استعـ   ـبادها فاعتلى الفضاءَ لواها
وسما خافقاً عليها فباتت   تتسامى عزاً، ومجداً، وجاها
رفعته على ذراها ينادي   : إرفعي اليومَ بالجلاء الجباها
ألف بشرى بنهضةٍ، كلُّ قطرٍ   عربيٍ بها ازدهى وتباهى
أرجعت للقلوب ما طلبته   حين جاب الشعوب رجعُ صداها

فاجعليها ـ ما عشت ـ ذكرى صراع   بين حقٍ وباطلٍ قد تناهى
واهتفي يا ابنة البهاليل: ما أطـ   ـيب هذي الذكرى وما أحلاها
وعن الأمّة التي أنتِ منها   خيرُ جزءٍ لا تستقلي إتجاها
سانديها في كل حالٍ تساند   ك، فليست قواك إلا قواها
واسلمي، لا رأيت إلا حياةً   لكِ لا للجُناة حلو جناها

وقال بعنوان (فلسطين المجاهدة) سنة ١٩٣٥ :

ثباتاً وإن جلت بكِ النكبات   فأصدق عونٍ عزمةٌ وثباتُ
ودومي (فلسطين) يحوطك منعةً   حماة من العرب الكرام كماة
رأوا ليس تجدي (الاحتجاجات) جمة   وما لسوى صوتِ الحديد وعاة
فثاروا يصونون الحمى حسبما اشتهى   وشاء الحفاظ المرُّ والعزمات
وأبلغ من ألفي كتاب وخطبةٍ   ـ إذا احمرَّ بأس ـ صارم وقناة
وقد بذلوا دون البلاد حياتهم   وليس لشعبٍ يستضام حياة
أبوا أن يقيموا في الديار أذلةً   وتسمو على أعلامها نكرات
وتغتصب الأرض المقدسة التي   يقل لها أن تبذل المهجات
فجادوا لنيران الوغى بنفوسهم   وكم أرخصت أغلى النفوس أباة
مغاوير، كم من موقفٍ بعد موقفٍ   لهم رفعت ع[illegible] به الجبهات
وفي السلم إن رقُّوا طباعاً ففي الوغى   رأى خصمه[illegible] الرقاق قساة
أقام بناء المكرمات جدودهم   وهم مثله[illegible] [illegible]كرمات بُناة
وليس عجيباً أن يطيبوا فإنه   إذا طاب غ[illegible] طابت الثمرات
فلا بعدوا من ثائرين بمثلهم   تصد خص[illegible] ، أو ترد عداة
حموا بالدم الزاكي بلاداً عزيزةً   عليهم، فأحيوا ما تريد وماتوا

قال وقد قدّم لها يلي: نظمت بعد ما شاء إنسان أن يلهو ويعبث بتعذيب نملة وإحراقها بنار (لفافته).

عجبتُ وقد دبّت على الأرض (نملة)   أتاحت لها الأقدار من قِشّها طُعما
فأمعنت تفكيراً بها فرأيتها   ـ وإن صغرت ـ قد فاقت الهضب الشما
رأيت بها مثلي ومثلك عالَماً   كبيراً، وكوناً لا نحيط به علما
تواصل مسراها إلى الغاية التي   توخت، ولم تقنع بأرزاقها حُلما
خذوا لكم منها دروساً تحثكم   لسعي، ولا تشكو الكلال ولا الغما
فليس كلال العيش إلا لمؤثرٍ   على الجد في راحاته الفقر والعدما
أتت نحونا تمشي وتحمل رزقها   على فمها لُمّا به رضيت قسما
مشت في طريق لم تخف حادثاً بها   وما أحدثت سوءاً ولا اقترفت إثما
تجد وتسعى فهي لو سئلت إذاً   لقالت: نعم كي لا أجوع ولا أظما
فأبصرها مستحقر قدر ذاتها   وقد شاء أن يلهو فأرهقها ظلما
وسد عليها الدرب من كل وجهةٍ   فحارت كما قد سار في مهمهٍ أعمى
وخرق رجليها بنار (لفافةٍ)   له فكبت تشكو قساوته العظمى
تزيد انكماشاً كلما زاد كيُّها   فتعجب منه وهي ما ارتكبت جُرما
وخلفها تبغي النهوض فلم تطق   وأعرض عنها، والذي شاءه تما
وقالت له ـ والنار تأكل جسمها ـ   ولكنها لم تقوَ أن تسمع الصُما
أغرّكَ يا ابنَ الماء والطين أنني   دقيقة جسم بعد ما فقتني جسما
وأني خرساء، وأنك ناطقٌ   وكم ناطقٍ لم يبلغ الخرس والعجما

وأنـك وحشي بـطبـعـك ظـالم ... وإن لم تجـد بـالـظلم في عمـلٍ غُنـما
وأنـك إن تُنـزل بي المـوت لم تخف ... عـدوّاً مغيراً يـطلب الثـار أو خصـما
وأنـك ذو حـزم، فسـل ذا معـارفٍ ... يخبرك أن (النمـل) فـوقكم حـزمـا

نعيش فلا يطغى على البعض بعضنا ... غـروراً، ولم ندرِ السباب ولا الشتـما
ونحيـا جميعـاً لـلتعـاون بـيننـا ... لنبني إذا مـا زدتم بـينكم هـدمـا
وإن ثـارت الأطماع فيكم فـأنشـأت ... حـروبـاً فـإنّا لم نـزل ننشيء السلما
أو امتـلأت حقـداً وهمـاً صـدوركم ... فـإنّا جهلنا الحقد في العيش والهما
ولم يـطغنـا فـرط الغنى ويضلّنـا ... فنستخـدم البُلهَ المساكـين والبكـما
وسُؤنـا بكم ظنـاً ملوكـاً وسُـوقـةً ... فخفنـا ابن داودٍ وأجنـاده قـدمـا
تـأمل قُـرانـا تحتقـر مـدنكم ومـا ... حوت من لذاذات تفيض ومن نعمى
وشـاهد نـظام النمل في العيش بينهـا ... لتبغض في النـاس القـوانـين والنظـما
تـرانـا سـواءً في الحقـوق فـما ترى ... جحـوداً لحقٍّ دون آخـر أو هـضـما
يـؤلفنـا حبُّ الـتـآخي فـلا بـدّ ... تنعمهـا الأخرى التي كلمهـا يـدمى
ولم تـستبـدُّ العنجهيـات بيننـا ... فهـذا لـذا يُعزى، وهـذا لـذا يُنمى
وهـذا أجلُّ النـاس قـدراً ورتبـةً ... وأغـزرهـم علماً، وأرجحهـم حلما
وهـذا كـهـذا أوفـر القـوم ثـروةً ... وأشـرفهم خـالاً، وأكـرمهم عـمّاً
وهـذا الـذي تخشى المنـايـا لقـاءه ... وهـذا الـذي أخزت مـواهبـه اليمّا
وهـذا ابن من كـالنجم يلمـع مجـده ... وهـذا الذي لـو شـاء لانتعـل النجما
دعاوى تزيد (النمل) هزءاً بجنسكم، ... وهُجرٌ كما تهذون إن جـدَّت الحمى
أمن بعـد هـذا كـله أنتـم الـورى ... أجـلْ، رمى المقـدار أخـطأنـا سهـما

أغـرَّك إذ عـذبـتـني فـتـركـتـني ... لـنـارك طُعـماً أنَّ مثـلي لا يحمى
وأنـك إنـسـان يـصـارع نمـلةً ... كأحقر ما شاهـدت ذاتاً دنت واسما
أحـاذرت ـ لـو خليتهـا لسبيلهـا ـ ... منـازعـةً عليـاك أو مـالـك الجمّا؟
فـأصليتهـا تحت (اللفـافـة) نـارهـا ... على مَ تـرى أصليتهـا النـار أو ممّـا
ألم تحـو قلبـاً بـين جنبيك مـوجعـاً ... لـظلم بـريء مـا أسـاء ولا همّـا
أكنت تـراهـا لا تحسُّ لـضعفهـا ... أذى أترى خص الأذى الهيكل الضخما
أم القـوة الخرقـاء شـاءت، وكم لهـا ... جـرائم بين الخلق قـد بعدت مرمى
أم أنّـك قـد حـاولت سـاعـة قتلهـا ... وتعـذيبها أن تصبح البطل القرما
سلاحك ـ إذ جـلَّ الحسام ـ (لفافةٌ) ... تميت بهـا مـا دق بـينكم جـرمـا
فـتزهى كـذي بـأسٍ يهاجم لبـوةً ... بـأجمتهـا مـذ راح يقتحم الأجمـا
وتختـال مغتـراً كسـارٍ عـلى سنـا ... مهـنـده لـلروع في الليلـة الظلما
ولـو كـنت ذا فـهم تجنبـت (نملةً) ... سعت تتحرى الماء أو تطلب الطعما
فـإنـك إذ أوردتهـا الـقـتـل إنمـا ... قتلت الشعور المدَّعى فيك والفهما
أليس لهـا نفس كنفـسـك تـزدهي ... مع الخير، أو تشكو مع الألم السقما

إذا العقل لم يردعك عن ظلم هـذه ... فقـل لي بماذا الـوحش فقت أو البهما
جنيت عـليهـا لا لشيء طلبتـه ... سوى اللهو واستحققت في لهوك الذما
أمـا كـان أحرى أن ترى عبرةً بهـا ... فتعلم منها السعي للرزق والعزما
ألـست وإيـاهـا ومـا هـو دونها ... سواءً بحكم الله لـو تعـرف الحكما
ألست قبيـل الخلق وهماً، وهكـذا ... تعـود بـأحشـاء الثرى أبـداً وهمـا
ألست بهـذا الكـون أصغـر ذرةٍ ... فلست بعين الكون من (نملة) أسمى

وقال يصف ليلة إخوانية على سدة الهندية :

يـا ليلة (السـدَّةِ) العبَّـاقـة الأرج ... عـودي بآمال قلب في الحياة شجي
وحققي للضيـوف الغُرِّ مـا طلبـوا ... وقـابليهم بـوجـه منـك مبتـهـج
لـذات لهـو وضيـاء، بيض أوجههم ... تكـاد تغنيك عن وضـاءة السـرج
لـو كـان صبحك عينـاً للزمـان إذاً ... لكنت منها مكان السحـر والـدعج
أشهى لنـا ظلمـة الأمسـاء تجمعنـا ... لـديك من وضح الأصباح والبلج
يـا ليلة (السدة) الجذلى التي ذهبت ... بكـل همٍّ لنـا في الصـدر معتلج
أوليتنا الفضلَ حتى بـات معترفـاً ... بـالعجز كـل لسانٍ بـالثنـا لهج
ليست مراثيك إلا السحر تـطلبـه ... هـذي النفوس بـلا إثمٍ ولا حـرج
ولا التحـايـا بهـا استقبلتِ مـوكبنـا ... غير الخفيف وغير العـزف والهزج
حسنُ الـطبيعـة أغنـانـا بـروعتـه ... عن الغـواني وعن دلٍّ وعن غـنـج
هـذا هو النهر هاج الشعر منبجساً ... كمائـه بعـد مـا استعصى فلم يهج
راق النـواظرَ مـا في ضفتيه زهـا ... من النبـات، ومـا فيـه من اللجج
وهـذه نفحات الـزهـر قـد حملت ... طيب الحيـاة إلى الأرواح والمهج
وفي الـزنـابق مـا نغني العيـون بـه ... عن اللمى في الثنـايـا الغـر والفلج
وكـل مـا بيننـا حبٌّ وعـاطفـةٌ ... تفيض عـن ولـهٍ في القلب ممتـزج
جلّت يـد نسقت للنـاظرين هنـا ... هـذي الحقـول بـلا أمتٍ ولا عـوج
لئن نعمنـا سـويعـاتٍ بهـا فلقـد ... نلنـا الـذي لم تنله النفس في حجج
وإن أبى الـدهـر يـومـاً أن يصـاحبنـا ... إلا مصـاحبـة الـصمصـام للودج
فليحبنا الفضلَ دون المال مـدخراً ... فـرط الغنى لـرعـاع النـاس والهمج
وليبقَ يـأرج طيبـاً كلما ذكـرت ... سـاعـاتُ ليلتنـا العبَّـاقـة الأرج

وقال خلال الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٠ :

أوقـدتهـا تـفـزع الـعـالم نـارا ... أمـمٌ مـا طـلبـت إلا الـدمـارا
سـرُّهـا مـا ألـفـت من جشـعٍ ... أن تحيـل الأرض بـالحـرب غبـارا
إتـتـبـارى أيُّهـا أبـعـدُ مـن ... غـيـرهـا في كـرة الـظلم مغـارا
لا تـبـالي أن تـنـل مـا أمّلت ... فـنيَ الـكـون أم ازداد ازدهـارا
لا تـبـالي بـالـذي تـنـزل في ... كـل شعبٍ سيم إرهـاقـاً فثـارا
لا تـبـالي بـالـذي تـزهـق من ... أنفس سيقت إلى الموت اضطرارا
لا تـبـالي، خـلّدت أعـمـالهـا ... شـرفـاً، أم خلّدت خـزيـاً وعـارا
ألـتحـيـا أمّـةٌ واحـدةٌ ... يـذهب العـالم قـتـلاً وانتحـارا؟
يـا «فتى العـذراء» هـل أوصيتهم ... أن يسـوقـوا للوغى حتى العـذارى
أمـمٌ بـاسمـك سـامـت هـذه ... الأرض من بـعـدك ذلاً وصغـارا
قسـمـاً لـو عـدت تسعى بينهـا ... سـاعـةً لازددت بـعـداً ونفـارا
مـا تـرى إلا يـداً بـاطشـةً ... وخُطىً تمتـد لـلظلم ابـتدارا
كـلَّ آنٍ تـتـلـقى غـدرةً ... بعهـود، وعـلى الخلق ائتمـارا
أصـدق الأبـنـاء إخـلاصـاً لهـا ... من إذا مـا طُلب التصريح مارى
لم تكن ـ مـذ كنتَ ـ جبَّـاراً، ولا ... نـاكثـاً عهـداً لقـوم أو ذمـارا
كـنـت بـرّاً تـتخذ العـدل لـه ... سمـةً، والرفق بـالنـاس شعـارا
أفـهـذا منتهى رفـقـهـم ... بشعـوب قـد أحلّوهـا البـوارا؟
أم تـرى صـار وبـالاً علمهم ... بحيـاةٍ مُلئـوا فيهـا اختبـارا

لم يكُ العلم أداةً للفنا ... ولتحطيم الدُّنى داراً فدارا
بيناتِ الجو قد سدُّوا الفضا ... وبناتِ الماء قد رجُّوا البحارا
ههنا سربٌ من الآجال طارا ... وهنا فوج من الأقدار سارا
سادت البحر فأضحى مكمناً ... لجنود عجباً فيه توارى
كم ترى غوَّاصةً تحسبها ... تبتغي القعرَ لمن فيها قرارا
هي تحت الماء تجري خلسةً ... ثم لا ترجع أو تلقى انتصارا
راعت الحيتانَ في مسبحها ... حين كاد البحر ينشقُّ انفجارا
وترى بارجةً تلقاءها ... أختها تعدو لتوليها اندحارا
تلطم الموج حواليها، وما ... لطمت إلا هضاباً لا غمارا
وهي بينا تزدهي ماخرةً ... إذ بها عادت على الأمواج نارا
سل: إلى أين مضى رُبَّانها ... وإلى أين بها التاريخ صارا؟

أممٌ قائدها الأعلى بها ... ملأ الأبحر جنداً والقفارا
قد حداها للردى مذعنةً ... وبها حاد عن القصد وجارا
كلما أرعدَ من ناحيةٍ ... مدفعٌ أمطرها الموت انهمارا
وإذا ما زحفت دبابةٌ ... نحوها لم تهدها حتى الفرارا
وإذا ما قصفتها من علٍ ... طائرات هدَّت الصف انهيارا
وإذا ما حجب الليل الضحى ... عاد من نيرانها الليل نهارا
فَمنِ المسؤول عن مالٍ لها ... قد تلاشى، ودمٍ ضاع جبارا

أممٌ غضبى لأخرى مثلها ... تحمل الموت جديداً وبخارا
أضمروا العزم بحربٍ بدعةٍ ... ودعوا للسلم في الناس جهارا
بعثوها من جديدٍ، أوَ ما ... أبقت الأولى لواعيها اعتبارا؟
إن تسوء تلك فَاجدرْ أن يروا ... هذه أسوأ غرساً وثمارا

قال وقد زار بغداد سنة ١٩٤٠ :

جئت «دار السلام» أرجو الفرارا ... من أسىً لم أجد عليه انتصارا
فإذا بي أضيف للحزن حزناً ... وكأني أضيف للنار نارا
أين وجَّهت مقلتي لم تزدني ... نظراتي إلا جوىً وأوارا
لا أرى غير ما يؤرق جفني ... من مراءٍ تقذي عيون الغيارى
ونفوسٍ لم تدر إلا امتهاناً ... جنب أخرى لم تدر إلا اغترارا
جمع اليأس والرجاء ببغدا ... د كما تجمع الدجى والنهارا
سر قليلاً معي لتبصر ما لم ... يستطع شاعر عليه اصطبارا
غصَّ من كل شارع جانباه ... بشيوخ، وصبية، وعذارى
كلهم يشتكي إلى الله حكماً ... «تترياً» زاد النفوس انفجارا
هم وقوف، وبالكرام بنات الـ ... نار كالبرق بينهم تتجارى
كلُّ سيارة تمر عليهم ... أتبعوها القلوب والأبصارا
كاد أن يذهب النهار، وكادوا ... أن يذوبوا مع النهار انتظارا
أيُّ دورٍ هذا الذي نحن فيه ... لم يشاهده «اردشير» و«دارا»
ما العصور التي استبدَّت تضاهي ... ظلم عصر سام الضعاف احتقارا
ألـف سيارة تمرُّ بفردٍ ... وألوف على الرصيف حيارى
فئة أطلقت لها الحكم فانظر ... زمر الناس بينها كالأسارى
كلَّ يومٍ لها نظام جديد ... لم يحقق إلا لها الأوطارا
أغرت الشعب بالوعود فمهما ... رغبت أن يهيج هاج وثارا
إن تكن هكذا الولاة فجاور ... في الشرى الأسد فهي خيرٌ جوارا
أو تكن هكذا العدالة فاحذر ... عن قريب يا ابن البلاد الدمارا
خبثت منهم السرائر حتى ... ما أجنوا لصالح أسرارا
وأمانٍ ما تدخل القلب إلا ... مثلما تدخل الأفاعي الوجارا
ليتهم حين لم يجيدوا صنيعاً ... لبني شعبهم أجادوا اعتذارا
وإذا شئت أن ترى الوضع أجلى ... طف ببغداد وائت داراً فدارا
واسأل القوم عن بلاد تمنت ... أن ترى منهم لها أنصارا
هل أعدُّوا لها المشاريع تجني ... الخير منها، أو تدفع الأضرارا
ستراهم ما هيأوا وأعدُّوا ... للعراق المسكين إلا البوارا
ما أروه غير المآسي، كأن الـ ... قوم عند العراق تطلب ثارا
وتأمل بما ترى من نعيم ... إن يزد زادت البلاد افتقارا
نِعَمٌ بلدت طباع ذويها ... فاختبرهم لم تلق إلا حمارا
ليس يدرون غير أن يتهادوا ... كل آنٍ بين الزوايا سكارى
أيُّهم زاد في الملاهي انغماساً ... زاد إخوانه علاً وفخارا
إن أرتنا الآثار مجد ذويها ... فهم أسوأ الورى آثارا

أيها الكادح المرزأ عيشاً ... خلِّ هذي البلاد وأو القفارا
خلها هازئاً بها، وبمن فيها ... عبيداً تستخدم الأحرارا
خلها وانتزع هوىً لك فيها ... من قديم، واسدل عليه الستارا
خلها فالكهوف أرحب صدراً ... لك منها، والوحش أوفى ذمارا
خلها ساعة ليعلم أهل الـ ... بذخ أن الثراء عنهم توارى
وارح ما استطعت يمناك مما ... أغدقته على الجناة يسارا
أنت إذ تستدر منهم حناناً ... مثل من بات يستدر جدارا
لست حراً إن ترض أن تلبس القو ... م حريراً، وتلبس الأطمارا
لست حراً إن ترض أن تجني الشو ... ك، ويجنوا مما غرست الثمارا
لست حراً إن ترضِ أن تحسو الرنـ ... ـق، ويحسوا على يديك العقارا
نشر الفجر نوره فتيقظ ... وأجلُ عن عينك القذى والغبارا
ليس في هذه الحياة نصيب ... لجبان فلا تخف جبَّارا
لك حقٌّ كما لغيرك فادأب ... بتقاضي حقوقك استمرارا
وأعدها كما اشتهيت، وإلا ... فلم العزم، واعذر الأقدارا

محمود بن علي بن الحسن الحمصي

مر ذكره في المجلد العاشر الصفحة ١٠٥ ونزيد هنا ما يلي :

هو سديد الدين محمود بن علي الحمصي الرازي الحلي . قال فيه صاحب لؤلؤة البحرين : كان هذا الشيخ علامة زمانه في الأصولين ورعاً ثقة ، له تصانيف منها : التعليق القصير والتعليق الكبير ، وكتاب المنقذ من التقليد والمرشد إلى التوحيد المسمى بالتعليق العراقي ، وكتاب المصادر في الأصول . وكتاب التبيين والتوضيح في التحسين والتقبيح . وكتاب بداية الهداية . وكتاب نقض الموجز للنجيب أبي المكارم اهـ وقال منتجب الدين بن بابويه القمي في فهرسته : حضرت درسه سنين وسمعت أكثر هذه الكتب . اهـ .

وقال محمد بن ادريس الحلي في كتابه السرائر في كتاب القضاء : سألني .

شيخنا محمود بن علي بن الحسين الحمصي الرازي رحمه الله عن معنى هذا الحديث وكيف القول فيه : روى محمد بن مسلم قال : سمعت ابا جعفر عليه السلام يقول : قضى أمير المؤمنين عليه السلام برد الحبيس وانفا المواريث ، فقلت له : الحبيس معناه الملك المحبوس على بني آدم من بعضنا على بعض مدة حياة الحابس دون حياة المحبوس عليه ، فإذا مات الحابس فإن الملك المحبوس يكون ميراثاً لورثة الحابس وينحل حبسه على المحبوس عليه ، فقضى عليه السلام برده إلى ملك الورثة لأنه ملك مورثهم . فأما ان كان الحبيس على مواضع قرب العبادات مثل الكعبة والمساجد فلا يعاد إلى الأملاك ولا ينقد فيه المواريث لأنه بحبسه على هذه المواضع خرج من ملكه عند اصحابنا بلا خلاف بينهم فيه فأعجبه ذلك . وقال انت كنت اطلع الى المقصود فيه وحقيقة معرفته ، وكان منصفاً غير مدع لما لم يكن عنده معرفة حقيقته ولا هو من صنعته ، وحقاً أقول لقد شاهدته على حلق قل ما يوجد في امثاله من عوده إلى الحق وانقياده إلى ربقته وترك المراء ونصرته كائناً من كان صاحب مقالته وفقه الله وايانا لمرضاته وطاعته .

وقد تلمذ عليه جماعة منهم الشيخ ورام بن أبي فراس ومنتجب الدين القمي وموفق الدين الحسين بن الفتح الواعظ البكر ابادي الجرجاني ، ويروي عنه بالاجازة أو القراءة برهان الدين محمد بن محمد بن علي الهمذاني القزويني المشتهر بنزيل الري .

وله شعر ينحو فيه منحى أهل العرفان من ذلك قوله :

قد كنت ابكي ودار منك دانية … فحق لي ذاك اذ شطت بك الدار
ابكي لذكرك سراً ثم اعلنه … فلي بكاءان اعلان واسرار

أما نسبته (الحمصي) فيقال أنها إلى النبات المعروف، ويقال انها نسبة الى البلد الشهير في بلاد الشام .

وجاء في (الكنى والألقاب) عن خط البهائي أنه قال : وجدت بخط بعضهم ان سديد الدين الحمصي الذي هو من مجتهدي اصحابنا منسوب إلى حمص قرية بالري[1] .

وقد كان حياً في حدود سنة ٦٠٠ .

السيد محمود الشاهرودي ابن علي

ولد سنة ١٣٠١ في قرية من قرى شاهرود وتوفي سنة ١٣٩٤ في النجف الأشرف .

تلقى دراسته الأولى في شاهرود ثم سافر إلى النجف الأشرف فاقام هناك ولم يعد إلى بلده واستقل في التدريس وبعد وفاة السيد محسن الحكيم كان من ابرز المراجع .

السيد محمود الطالقاني ابن السيد ابو الحسن

ولد سنة ١٣٢٩ في قرية من قرى طالقان وتوفي في طهران سنة ١٣٩٩ ودفن في مقبرة جنة الزهراء .

درس في قم وفي سنة ١٣٥٧ وهو فيها دخل السجن لأول مرة دفاعاً عن الحريات في عهد الشاه رضا البهلوي وظل مسجوناً ستة أشهر ، ثم افرج عنه .

ثم اتهم في عهد الشاه محمد رضا بأنه اخفى نواب صفوي رئيس جمعية فدائيان اسلام ، ثم افرج عنه بعد شهور ، وظل صامداً في مكافحة الحكم فسجن للمرة الثالثة . وبعد الاحداث الدموية التي عرفت باحداث (١٥ خرداد)[2] التي كانت انتفاضة شعبية كبرى حكم عليه بالسجن عشر سنوات .

وفي سنة ١٣٩٠ وبعد أن قضى في السجن ثماني سنوات افرج عنه .

ولما اقيمت الاحتفالات الملكية بمناسبة مرور ٢٥٠٠ سنة على قيام الامبراطورية الايرانية كان من الناقمين على ما رافقها من بذخ واسراف بالغين ، فنفي إلى مدينة ذابل ومدينة بافت في كرمان ، ثم اعيد الى طهران وظل ثائراً ناقماً لا يهدأ فادخل السجن من جديد ، وسجنوا معه بعض اقربائه وأهل بيته ، وظل مسجوناً حتى نجاح الثورة الاسلامية فافرج عنه مع من افرج عنهم من ضحايا (السافاك) . ولكن لم يلبث إلا قليلاً حتى توفي .

له من المؤلفات : ١ ـ تفسيره للقرآن باسم (انوار القرآن) . ٢ ـ نسلك الطريق إلى انفسنا . ٣ ـ الملكية والاسلام .

الشيخ محيي الدين شمس الدين ابن الشيخ محمد حسين

ولد في بلدة مجدل سلم (جبل عامل) سنة ١٩١١م وتوفي فيها سنة ١٩٨٦م هو ابن الشيخ محمد حسين شمس الدين شاعر جبل عامل في عصره وسليل اسرة علمية ينتهي نسبها بالشهيد الأول محمد بن مكي تسلسل فيها العلم والأدب حتى العصر الحاضر .

درس في مدرسة القرية ثم اتصل بابن بلدته السيد علي طالب بدر الدين وكان شاعراً اديباً فوجهه في طريق النظم ولقنه ما يجب تلقينه للاجادة فكان استاذه الأول .

ثم انشأ مدرسة اهلية في قريته لتعليم القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن ثم تركها وانتقل الى بلدة شقرا حيث درس علوم اللغة العربية على السيد محمد حسن الأمين ، ثم واصل هذه الدراسة على السيد حسن محمود الأمين في بلدة خربة سلم . وفي سنة ١٩٤٤ تولى التدريس في مدرسة الإمام زين العابدين عليه السلام في صالحية دمشق وهي احدى المدارس الذي كان قد انشأها مؤلف (اعيان الشيعة) . وفي سنة ١٩٤٨ عينته وزارة التربية اللبنانية معلماً في ملاكها الابتدائي فتنقل بين مجدل سلم وقبريخا وبرعشيت وميس الجبل . ثم استقال وتولى التعليم الديني والارشاد في بعض مدارس ضاحية بيروت الجنوبية .

كان جيد السليقة سريع البديهة متوقد الذهن نظم في معظم مواضيع الشعر في عصره فكان له من ذلك ديوان لا يزال مخطوطاً . على أنه طبع (علوياته) وسماها (اعلام الفضيلة) . وقد أكثر من نظم التاريخ الشعري على حساب الجمل مما يؤلف مجموعة مستقلة .

شعره

قال من قصيدة يمدح بها صاحب (اعيان الشيعة) :

(١) جاء في مراصد الاطلاع : وحمص بالفتح ثم الكسر والتخفيف : قرية قرب خلخال من اعمال الشارفي طرف آذربايجان من جهة قزوين .

(٢) يصادف ٥ حزيران ١٩٦٣ .

للشام أنت كما لعوامل مفخر   تتغير الدنيا ولا يتغير
مثل غدا بين البرية سائر   فكأنما هو في الحقيقة جوهر

وقال من قصيدة عنوانها لبنان :

شمم دعاك إلى الظهور   فبرزت معدوم النظير
مستأثر بالأفق عن سكناك في قعر البحور
لبنان والعليا دعتك وأنت سر في الضمير
حيث الجبال تماسكت فقضت على الباغي القدير
وتناسقت مثل الحروف تناسقاً بين السطور
كادت تمس الأفق في قمم تفوق على الأثير
قسمت لشطرين استقلا بالجلال بلا نكير
قد سطرت فيها الحوادث فهي تقرأ في الحضور
وترديا ثوب الجمال لدى المساء وفي البكور
فكأن كلاً منهما ملك أقام على سرير
لبنان يا وطن الجمال وهيبة الشيخ الوقور

وله من قصيدة علوية :

مولى البرية قاصيها ودانيها   وأول الناس ايماناً بباريها
اليك ارفعها غراء ناصعة   لولا مديحك لم تنظم قوافيها
جهد المقل لقد جاءت ولا عجب   ان الهدايا على مقدار مهديها
فاجعل قبولك مني تلك لي صلة   ترفع عن النفس اثقالاً تعانيها
وكن شفيعي في يوم الحساب فما   الا شفاعتك العليا ارجيها

وقال :

تجلد لو كان التجلدُ ينفع   وكفكف جاري دمعه حين يدمع
وأقصر من غلوائه وهو مغرم   واسكت شاديه فليس يرجع
وقد كان في بحبوحة من حياته   له في رياض الأنس نادٍ ومربع
إذا سامر منه خلا ازدان سامر   به للهنا فيه مصيف ومربع

وقال من قصيدة في رثاء الشيخ علي مهدي شمس الدين :

عبقري والحزم ملء إهابه   وطريق الخلود من آدابه
قد تخطى السنين يطلب المجد   على الرغم من ثنايا شعابه
صاعداً صاعداً من المهد حتى   غيب اللحد وجهه في ترابه
ذا علي وتلك دنيا علي   وعلي فما له من مشابه
أدب يجعل النفوس سكارى   ذاهلات الحجى على اعتابه
كلما رحت منه تقرأ سطراً   ردك العجب نحو أول ما به

وقال عن ذكريات وادي السلوقي :

سلوا (السلوقي) ينبي عن تلاقينا   ايام طال بواديه تناجينا
وسائلوا رنده اذ كان يحجبنا   ظلال اغصانه عن عين واشينا
ايام كنا وكان الشمل مجتمعا   وللزمان ابتسام من تصافينا
نشكو الأسى وكلانا مغرم وله   ونجتني من ثمار الأنس ما شينا
ونثني ولنا من فعلنا عجب   نساجل الطير اسجاعا وتلحينا
وكم حديث لنا عذب اتاح لنا   سكر الغرام ولا خمر بوادينا
ايام انس قضيناها على مهل   ما كان اجملها لولا تنائينا

وقال وأرسلها إلى أحد اقربائه في المهجر سنة ١٤٠١ يصف فيها ما يجري في بيروت من خطوب بدأت سنة ١٩٧٥ ولا تزال مستمرة حتى الآن (سنة ١٩٨٧) ولا يعلم إلا الله متى ستنتهي ، كما يصف فيها شيخوخته .

ان يفرق ما بيننا شاسع البعد   وبانت عن الجسوم الجسوم
فبقلبي يا نعمة الله باق   لك مأوى فأنت فيه مقيم
واذا ما الهموم ارهقت العزم   وكادت بالصبر تودي الهموم
فلروحي من ذكرك العذب روح   وارتياح وغبطة ونعيم
ذكرك العذب مؤنسي وانيسي   وسميرى طول النوى والنديم
لك مني جزيل شكري وعذرا   انما يعذر الكريم الكريم
فتهنا بكل عيد جديد   ما تبدت كواكب ونجوم
وانا اليوم في غيابة سجن   مطبق جانباه بؤس وشوم
يتفرى قواى دون انقطاع   مستبد من الزمان غشوم
سلبتني الأيام صفو حياتي   فحياتي صفاؤها معدوم
لو تفحصتني لالفيت شخصا   جسمه ليس فيه عضو سليم
ان اردت السير اقعدني العجز   ولم يسعدني الونى اذ اقوم
ووقوفي لولا العصا مستحيل   وقعودي لولا العصا مستديم
تلك دنياى انها يا حبيبي   شر دنيا بها الحياة جحيم
لا رخاء لا صحة لا أمان   « فلتان » يحار فيه الحكيم
دائما جو موطني مستباح   طيران العدو فيه يحوم
يحرث الأرض بالقنابل حتى   لكأن الأخدود فيه رقيم
وكأن الدخان من شدة القصف   سحاب يغشى الفضا وغيوم
ابدا تقرع المدافع سمعي   بخفيف تطيش منه الحلوم
ترجف الأرض اذ يدوي فتغدو   كسفين وسط البحار تعوم
قذفتها الأمواج من كل صوب   واستخفت بها الرياح السموم
ان تفجر تناثرت فلزات   فوق وجه البسيط منا اللحوم
تتحدى الأحياء حيا فحيا   شظايا كأنهن رجوم

كان يتردد في صباه إلى بلدة عيثا فقال فيها :

مسارح الانس في (عيثا) احييك   وما حييت فاني لست اسلوك
رأيت فيك البها والعز مزدوجاً   وراعني كل مرأى من مرائيك
يممت ارضك قدما كي ابل جوى   بين الاضالع اذكته غوانيك
من كل هيفاء لم تترك لنا جلداً   ولا دما ان تثنت غير مسفوك
ريّا الشذا من روابيك مؤرجه   يفوح أكرم بما تعطي روابيك
تخيل الناظر الآتي اليك دجى   ان الكواكب تبدو من مغانيك
ضحكت اذ عبست كل القرى فغدت   منك البشاشة تطفو في اعاليك
يود كل فتى وافى اليك بان   يظل طول المدى مستوطنا فيك
من ذا يدانيك في قدر ولست ارى   من البلاد لعمري ما يدانيك
الماء يجري بوأديك مسلسلة   ما أعذب الماء اذ يجري بواديك
من لي برد ليال فيك قد سلفت   ما كان أجملها عندي لياليك

حيث الأحبة حولي كالبدور سنا ... سبحان من بالبدور التم يحبوك

الشيخ مرتضى مطهري ابن محمد حسين

ولد سنة ١٣٣٨ في بلدة فريمان من توابع مدينة مشهد بخراسان ، واغتيل سنة ١٣٩٩ في طهران درس على والده ثم في مدينة مشهد ، ثم انتقل إلى مدينة قم حيث انهى دراسته في الفقه والأصول والفلسفة والمنطق . وبعد ذلك سكن طهران وتولى تدريس الفلسفة في جامعتها كما اسس حوزة علمية صغيرة في مدرسة (مروي) كان يلقي دروسه فيها ، وفي انتفاضة (١٥) خرداد سجن لمدة ٤٣ يوماً ، وكان عضواً بارزاً في جمعية (علماء الدين المجاهدين) . وفي العام ١٩٧٦ م . قبل انتصار الثورة الاسلامية بثلاثة أعوام القى خطاباً في الجماهير الايرانية حث فيه على مناصرة قضية فلسطين ودعا إلى التبرع المالي لها . وكان مما قاله : فلنتصور أن الإمام الحسين هو اليوم حي بين ظهرانينا فماذا يمكن أن يقول لنا ؟ لا شك أنه كان يوصينا ويصرخ فينا : ليكن شعاركم اليوم هو : فلسطين . ان شمر هذا العصر[1] هو موشي دايان فاعرفوا أيها الايرانيون شمر عصركم وزمانكم .

ترك من المؤلفات : تعاليق اصول الفلسفة والمذهب الواقعي في خمسة مجلدات ، الدوافع نحو المادية . في رحاب نهج البلاغة . الإنسان والقضاء والقدر . قصص المخلصين في جزئين . الإنسان والمصير . نظام حقوق المرأة في الإسلام . العدل الإلهي . الإنسان والطبيعة ، الوحي والنبوة ، الإنسان والإيمان وغيرها .

الأمير مزيد بن صفوان بن الحسن بن منصور بهاء الدولة المزيدي

هو من آل مزيد امراء الحلة ، وكان شاعراً فمن شعره قوله يحن إلى « الجامعين » وهي الحلة :

ومرابع بالجامعين عهدتها ... تزهو بغيطلان لها وجآذر
ايام كنت اجر في روض الصبا ... ردني بين رفارف وعباقر
من كل فاتنة اللحاظ اذا رنت ... يا للرجال من اللحاظ الفاتر
بيضاء كاملة المحاسن كاعب ... تختال بين خلاخل وأساور
اخذت من الضدين ما عرفا به ... من فاحم جثل وابيض زاهر
فمن الصباح لها ابيضاض معاصم ... ومن الظلام لها اسوداد غدائر

وقوله :

الى كم ألوم النفس عند ادكارهم ... وحتام اخفي ما ألاقي واكتم
وفي كبدي للبين ناب ومخلب ... وحولي ذئاب للحوادث حوّم
وكم ليلة قضيت فيها مآربي ... اعانق ربات الخدور وألثم
فيا دهر هل بعد التغيب رجعة ... وهل يشتفي من لاعج هو مغرم

وبسبب بعض الأحداث التي وقعت في الحلة وجوارها فضل المترجم الرحيل عن الحلة وقصد إلى بلاد الشام . ويقول صاحب « تاريخ الحلة » أنه سكن بلدة مصياف وتوفي فيها سنة ٥٨٤ وان ضريحه لا يزال قائماً فيها إلى الآن إلى جانب ضريح سنان راشد الدين في جبل مشهد . وقد كان كثير الحنين في غربته إلى وطنه الحلة فمن ذلك قوله :

ليس موتي بعد الفراق عجيبا ... عجب كيف لي عليه البقاء
من بشط الفرات هل يسعد الدهر ... على البين أو يعين القضاء
ويعود الشمل الشتيت كما كان ... وتنأى الهموم والبرحاء

ويقول صاحب « تاريخ الحلة » أيضاً : ان الأديب السوري عادل ناصر جمع للمترجم ستين قصيدة من مصادر اسماعيلية مخطوطة متفرقة .

الدكتور مصطفى جواد

ولد في بغداد وتوفي فيها ١٩٧٠ م .

تدرج من معلم في المدارس الابتدائية إلى التخرج من جامعة القاهرة ثم من جامعة الصوربون في باريس بشهادة الدكتوراه في التاريخ ، وقد انصرف منذ وعى الحياة إلى البحث والتنقيب والتتبع حتى اصبح حجة لا يبارى في اللغة والتاريخ والخطط كتب عنه عند وفاته عبد القادر البراك في جريدة الجمهورية البغدادية ما نكتفي به في وصفه وهو لم يعد فيه الحقيقة . قال :

كما يخر المجاهد شهيداً في المعركة فيرضي شعبه وربه ، خر الدكتور مصطفى جواد صريعاً في ميدان الجهاد العلمي والأدبي والتاريخي دون أن تصرفه أوصاب المرض وأوجاعه عن ملازمته البحث والتحقيق بروح الطالب المثابر الدؤوب ، وبخلق العالم المتواضع الصبور ، وبتجرد الصوفي الذي يقدم ذوب نفسه وقلبه للناس وهو قرير العين مستريح الضمير فلا غرو ان يستشعر الجميع عظم الخسارة فيه وعدم سهولة التعويض عنه ليس بين زملائه في القطر العراقي بل في سائر الأقطار العربية ، مؤرخاً ثبتاً ومحققاً دقيقاً ولغوياً نادر المثيل ، ملماً بكل ضروب المعرفة المام العالم الكامل ولئن وصف (ابن خلدون) الأديب بأنه (الذي يأخذ من كل علم بطرف) فإن الفقيد الكبير يعتبر النموذج الفذ الذي تنطبق عليه هذه القاعدة .

لقد كان الدكتور مصطفى جواد مثلاً عالياً من امثلة العصامية استطاع بكده الدائب وجهده المستفيض أن يبني شخصيته حجراً حجراً ، فلم يثنه الفقر المدقع والخصاصة المرة عن الاستمرار في الدراسة الابتدائية ولم يحل فقدان النصير والمعين والمال دون مضيه في التعليم والتعلم ، والنجاح فيهما كأحسن ما يكون الاستاذ والتلميذ ، بل لعل ما اكتسبه من العلوم والمعارف في مختلف فروع المعرفة لا يرجع إلى دراسته الجامعية في القاهرة والسوربون بفرنسا بل الى جهده الذاتي المحض ، الذي بسط بعض فصوله في السيرة الذاتية التي كتبها عن نفسه في كتاب (شعراء العراق) للدكتور يوسف عز الدين ، فإن تفرده بمعرفة خطط بغداد القديمة ، ومدوناته الكثيرة عن بعض الجوانب الخفية من التاريخ ليست ذات صلة كبرى بموضوع اطروحته التي نال بها الدكتوراه ، والتي لم تترجم ولم تطبع حتى الآن بل أن هذا التفرد يعود إلى تتبعه الشخصي الذي لم يفتر ولم يكل في يوم من الأيام .

لقد كان الدكتور مصطفى جواد اغزر علماء عصره انتاجاً في التعقيب والاستقصاء في امهات الكتب العربية حتى لقد بلغ ما كتبه معقباً على بعض الكتب اكبر من تلك الكتب نفسها ، ولكن فقدانه للاستقرار والدعة حال دون

---

(١) شمر هو قاتل الحسين عليه السلام ولا يكره الايرانيون احداً كما يكرهونه . وهذا الكلام الذي يلقيه الشيخ المطهري على الجماهير الايرانية المؤمنة هو رأي الشيعة وعلمائهم في اليهود وفي قضية فلسطين ، وهو موقفهم الذي ثبتوا عليه وقاتلوا في سبيله وقتلوا ومع ذلك تتكلم عنهم كتب التاريخ المدرسية السعودية وغيرها بما تتكلم .

اكمال العديد من هذه الدراسات كالذي عقب بها على (فوات الوفيات) لابن شاكر الكتبي وغيره من الكتب .

معاذ بن مسلم الهراء

مرت ترجمته في الصفحة ١٣٠ من المجلد العاشر، ونزيد عليها هنا ما يلي :

جاء في رجال ابن داود : روى الكشي باسناده عنه عن ابي عبدالله (عليه السلام) : بلغني انك تقعد في الجامع فتفتي الناس ؟ . . قلت نعم وأردت ان اسألك عن ذلك قبل أن أخرج ، اني اقعد في المسجد فيجيء الرجل فيسألني عن الشيء فاذا عرفته بالخلاف لكم اخبرته بما يفعلون ، ويجيء الرجل أعرفه بمحبتكم ومودتكم فأخبره بما جاء عنكم ، ويجيء الرجل لا أعرفه ولا أدري من هو فأقول : جاءعن فلان كذا ، فأدخل قولكم فيما بين ذلك . فقال (عليه السلام) : اصنع كذا فاني كذا اصنع .

على ان ابن داود لقبه الفراء لا الهراء . (انتهى) .

عمر طويلاً ـ كما ذكر في ترجمته ـ ومات اولاد اولاده وهو باق . قال عثمان بن أبي شيبة : رأيت معاذ بن مسلم الهراء وقد شد أسنانه بالذهب من الكبر ، وفيه يقول ابو السري سهل بن أبي غالب الخزرجي :

إن معاذ بن مسلم رجل	ليس لميقات عمره أمد
قد شاب رأس الزمان واكتـ	ـهل الدهر وأثواب عمره جدد
قل لمعاذ إذا مررت به	قد ضج من طول عمرك الأمد
يا بكر حواء كم تعيش وكم	تسحب ذيل الحياة يا لُبَد
قد أصحت دار آدم خربا	وأنت فيها كأنك الوتد
تسأل غربانها إذا نعبت،	كيف يكون الصداع والرمد
مصحاً كالظليم ترفل في	بدريك مثل السعير تتقد
صاحبت نوحاً ورضت بغلة ذ	ي القرنين شيخاً لولدك الولد
فارحل ودعنا لان غايتك المـ	ـوت وان شد ركنك الجلد

وحكى بعض كتابه قال : صحبت معاذ بن مسلم زماناً فسأله رجل ذات يوم : كم سنك ؟ . . فقال : ثلاث وستون ، قال : ثم مكث بعد ذلك سنين وسأله : كم سنك ؟ فقال : ثلاث وستون ، فقلت : أنا معك منذ احدى وعشرين سنة ، وكلما سألك احد : كم سنك ؟ تقول : ثلاث وستون ، فقال : لوكنت معي احدى وعشرين سنة أخرى ما قلت إلا هذا ! .

ولما اراد صديقه الكميت قصد خالد بن عبدالله القسري اميرالعراقين في واسط بعد أن بلغه انه اجاز الطرماح بثلاثين ألف درهم ، وخلع عليه حلتي وشي لا قيمة لهما . قال معاذ للكميت : لا تفعل ، فلست كالطرماح ، فأنه ابن عمه ، وبينكما بون : أنت مضري وخالد يمني متعصب على مضر ، وأنت شيعي وهو أموي ، وأنت عراقي وهو شامي ، فلم يقبل اشارته ، وابى الا قصد خالد ، فقصده ، فقالت اليمانية لخالد : قد جاء الكميت وقد هجانا بقصيدة نونية قد خرق فيها علينا ، فحبسه خالد ، وقال : في حبسه صلاح ، لأنه يهجو الناس ويتأكلهم ، فبلغ معاذاً فهمه ، فقال الابيات المنشورة في ترجمته .

وسأل شخص معاذاً عن مولده ، فقال : ولدت في أيام يزيد بن عبد الملك ، أو في ايام عبدالملك .

والهرَّاء : منسوب الى الثياب الهروية لأنه كان يبيعها .

المقداد بن عبدالله السيوري الحلي

مرت ترجمته في المجلد العاشر الصفحة ١٣٤ ونزيد عليها هنا ما يلي :

يروي عن الشهيد الأول ويروي عنه تلميذاه : محمد بن شجاع القطان الحلي والشيخ زين الدين علي بن الحسن بن العلالا ، اجازه المترجم في جمادى الآخرة سنة ٨٢٢ . له عدا ما مر في ترجمته : رسالة في آداب الحج . تجويد البراعة في شرح تجريد البلاغة في علمي المعاني والبيان . شرح الفية الشهيد . منهاج السداد في شرح واجب الاعتقاد للعلامة الحلي . اللوامع . الأربعون حديثاً ألفه لولده عبدالله . كنز العرفان في فقه القرآن . التنقيح الرائع في شرح مختصر الشرائع . شرح الباب الحادي عشر للعلامة الحلي . شرح مبادىء الأصول . نضد القواعد في الفقه .

توفي بالنجف الأشرف في ٢٦ جمادى الثانية سنة ٨٢٦ .

مهيار الديلمي

مرت ترجمته في الصفحة ١٧٠ من المجلد العاشر ، ولم ننشر هناك شيئاً من شعره ، واننا نقدم هنا دراسة عنه بقلم الدكتور عبدالمجيد زراقط ، ثم نعقبها بشيء من شعره :

ملامح عامة ومسائل اساسية

في تاريخ الأدب العربيّ أسماء شعراء أعلام لم يُتح لنا التعرّف إليهم جيداً[(١)] قد يكون في حياة هؤلاء ، أو في الظروف التي عاشوها ،من الملابسات ، ما يفسّر غياب تلك الأسماء عن دائرة الضوء . وقد نفهم ، نحن اليوم ، مثل تلك الملابسات ، وإن كنّا نعتقد أنها مبرّرات غير كافية لطمس عطاءات مبدعين جديرين بالمعرفة والدراسة والتقدير . قد نفهم تلك الملابسات التي تفسّر ، في إطارها التاريخي العام ، ولكننا لا نرتضي أن تبقى تفعل فعلها ، فمن حقّ مبدعي تراثنا أن يُوفّوا حقّهم ، وأن ينظر إليهم بمنظار لا يجحد لأهل الفضل فضلهم .

قد يكون اعتقادنا هذا ، أحد دوافعنا للتعرف الى مهيار الديلمي الذي يدرك حقيقته ويعتب فيخاطب أهل زمانه وأهل كل زمان ، وكأنّه يعتذر :

إذا كان عزّي طارداً عنّي الغنى	فلله فقرٌ لا يجاوره الذلّ !
عليّ اجتناءُ الفضل من شجراته	ولا ذنبَ إن لم يجن حظّاً لي الفضل

يبقى موقف مهيار الذي نلمسه ، في بيتيه هذين ، في الذّهن طويلاً ، حيث ترتسم صورة إنسان فاضل أبيّ يعاني مشكلات عاله ويرى إليها بعمق ، الأمر الذي يتيح له اتخاذ مواقف إنسانيّة وامتلاكِ ما يحقق الذّات ويسهم في بناء المجتمع .

تبدو هذه الصورة التي أشرنا إلى ملامحها العامة واضحةً في ثنايا ديوان الشاعر الكبير ذي الأجزاء الأربعة .

ونحن وإنْ كنّا نريد تلمّس هذه الصورة ، في بعض تفصيلاتها ، إلا أننا نرى أن نلمّ قبل ذلك برؤية مؤرخي الأدب لهذا الشاعر وأن نتعرّف إلى المسائل التي

(١) ومن هؤلاء الشعراء الأعلام الشاعر مهيار الديلمي الذي يقول محرر الهلال بمناسبة صدور دراسة موجزة عنه بقلم الأستاذ إسماعيل حسين : « مهيار الديلمي من نوابغ شعراء العربية ، وديوانه من ابدع ما نظم في فنون الشعر العربي . . . ومن الغريب أننا لم نجد قبل الآن أحداً من الأدباء عُني به في العهد الحديث عنايتهم بغيره من الشعراء . بل إن مدرسي تاريخ الأدب العربي ، في مدارس الحكومة كادوا يتناسونه ولا يذكرون عنه شيئاً » (الهلال الجزء ٨ ، السنة ٣٩ ، ص ١٢٥٠).

يثيرونها ، وذلك لأن هذا الصنيع يتيح لنا أن نكون موضوعيين ومقدّرين لأصحاب الفضل فضلهم في آن .

نقرأ ، في كتب الأدب ، ما يفيد أن « الشاعر المشهور » أبا الحسين مهيار بن مرزويه ، الكاتب الفارسي الدّيلمي ، كان مجوسياً فأسلم سنة ٣٩٤ هـ على يد الشريف الرّضي ، كما أن هذه الكتب تصفه بقولها : « كان شاعراً جزل القول مُقدّماً على أهل وقته » وله ديوان شعر كبير ، وهو رقيق الحاشية طويل النفس في قصائده . . . توفي سنة ٤٢٨ هـ .

في ما قرأناه تعريف موجز بالشاعر وشيء من ثناء ، غير أن بعض مؤرخي الأدب يورد ما يثير مسائل على درجة من الأهمية جعلت بعضهم يقول مخاطباً الشاعر : « يا مهيار ، انتقلت باسلامك ، في النار ، من زاوية إلى زاوية » .

قد نجد ، في هذا القول ، ما يلخّص رؤية معيّنة الى مهيار وشعره كنا قد أشرنا إليها قبل قليل . وفي ما يلي ، سوف نسعى الى تبيّن مدى صحّة هذه الرؤية ، وذلك في إطار المسائل الكثيرة التي تثيرها قراءة ديوان هذا الشاعر قراءة منصفة .

٢ ـ منابع الرؤية وتوجّهها

نلحظ ، في قصائد مهيار ، ميزة يتّصف بها كل شعر يتخذ الصّور وسيلةً وفنية الأسلوب أداة ، وقد رأى القدماء هذه الميّزة وعبّروا عنها بأسلوبهم ، فقال أبو الحسين الباخرزي في دمية القصر : « هو شاعر له في مناسك الفضل مشاعر ، وكاتب تحت كل كلمة من كلماته كاعب ، وما في قصائده بيت يُتحكم عليك بلوٍّ وليت ، وهي مصبوبة في قوالب القلوب وبمثلها يعتذر المذنب عن الذنوب » . نتجاوز عن سجع أبي الحسن ونتوقّف عند ما نفهمه من هذا القول ، وبخاصة تركيزه على ما تتصف به الألفاظ من صفات تجعلها شبيهة بالعذارى الجميلات وما تتميز به القصائد من ميزات تجعلها تعبّر عما في القلوب وكأنها مصبوبة فيها .

ثمة سببان ، يجعلاننا لا نعجب من وصول مهيار الى مثل هذه المرتبة من مراتب الابداع في لغة ليست لغته الأولى يعود السبب الأول ، في تقديرنا ، إلى تتلمذ هذا الشاعر على الشريف الرّضي ، ويتمثل السبب الثاني في اطّلاعه الوافي على الشعر والتاريخ العربيين وفي فهمه لأسرار اللغة العربيّة وتعمّقه في ذلك كلّه وهذا ما نلمسه في الديوان من خلال إشارات دالّة . فالملاحظ أنه كثيراً ما يضمّن شعره إشاراتٍ إلى فحول الشعر العربي وإلى حوادث من التاريخ العربي والاسلاميّ ، ففي إحدى قصائده ، على سبيل المثال ، يرى أن الشعر لم ينبح « الغريب المقرّح » و « مستنزل النعمان عن سطوته كما أن الرّدى لم يخضع لنسيب « عروة » ولم نعطِ قيساً « مناه » وفي قصيدة أخرى يشير إلى استشراء الهجاء في العصر الأموي عندما يقول :

بهذا الحكم حين تخالباها   نقائض حاز زبدتها جرير

كما وأننا نلمس ، في الديوان ، إشارات إلى التاريخ العربي نذكر منها ، على سبيل المثال :

لئن كانت الزّبّاء عزّاً ومنعةً   فأنت لها من غير جدعٍ قصيرها

ونقرأ له أيضاً :

حديث لو تلوه على زهيرٍ   غدا من مدحه هرماً يتوب

فأردي كُليب لحفظ الجوار   ورعي الذّمار وصون الحريم

وللخوف في قومه أن يضا   م ، مات ابن حجرٍ قتيل الكلوم

وخاطر حاجبٌ في قوسه   فخلّفها شرفاً في تميم

نكتفي بهذه الأمثلة التي تدل على أن مهيار كان على قدر كبير من المعرفة بالتراث العربي : تاريخاً وشعراً ولغةً ، كما أن هذه الأمثلة تدل ، من جهة ثانية ، على طبيعته : شخصيةً ورؤيةً إذ أنه سمّى النابغة « مستنزل النعمان عن سطوته » ، وردّ أسباب قتل كليب إلى « حفظ الجوار ورعي الذمار وصون الحريم » وأعاد اسباب مغامرة امرىء القيس التي أدّت إلى موته غريباً مقرحاً « للخوف في قومه أن يضام » كما أنه سمّى صنيع حاجب الذي رهن قوسه عند كسرى ووفى بذلك شرفاً يتوارثه الأبناء عن الأجداد ، إن في اختيار هذه الأحداث واستخدامها إشارات دالّة موحية وتوظيفها في سياق معين دلالات عديدة أهمها إتساع ثقافة الشاعر وعمقها وملكة رؤية خاصّة تنظر إلى التاريخ محاولة فهمه واستخلاص الدروس والعبر منه ، بغية الافادة منه في فهم الحاضر والكشف عن الواقع والتأثير في توجّهه .

يقرأ مهيار التاريخ ويرقب الحاضر ويحياه ، ترتسم حركة التاريخ أمامه وتتكشف علاقات الواقع أمام عينه الثالثة ، وتتكوّن لديه تجربة عميقة يختلط فيها وعي العقل وحدس الشعر ويعبّر عن تجربته معادلاً شعرياً لها يحمل رؤية خاصّة أشرنا إلى بعض منابعها وإلى توجهها العام وسنحاول في ما يلي أن نلمس أهم عناصرها المكوّنة .

٣ ـ معنى الحياة وقيمة الانسان

يعتقد مهيار أن الحياة عبارة عن رحلة يحثّ فيها الانسان الخطىء مطارداً من الدّهر ويرى أن لهذه الرّحلة نهاية حتميّة هي الموت ، أو لعلّه يرى أنها رحلة باتجاه الموت وأثناء الرحلة ينشب صراع مع الدّهر وطالما كان الأمر على هذه الصورة فلتكن هذه الرحلة في سبيل هدفٍ أسمى وليكن الانسان فيها صانعاً مجده محقّقاً ذاته مهما كلّف ذلك من مخاطر ولنقرأ بعض ما يقوله في هذا الصّدد :

باتت تخوّفني الأخطارَ مشفقةً   ترى الاقامة حزماً والنوى غلطا

وهل رأيتِ الذي نجّاه مجثمه   بعقوة الدّار ، أو أرداه إن شحطا

وما نحن إلا قطين الموت يعسف با   لواني ويُلحق بالسُّلّاف من فرطا

وطول أيامنا ، والدّهرُ يطلبنا   مراحلٌ تنتهي اعدادها وخطى

ويدعوه هذا الاعتقاد إلى تحديد غايته من الحياة وجعل موضوع الصّراع مع الدّهر « مرمى العز » وإلاّ فأهلاً بالموت ، وليس من مرتبة وسط ، كما يقول :

. . . وقم بنا نطلبها عاليةً   إما لمرمى العزّ أو للمرمس

ويتّخذ الصراع بعداً انسانياً عامّاً ، فهو لا يصارع أياماً بعينها وإنما يجالد « الدهر » بما يعنيه من امتداد للزمان والمكان ومجرى الحياة فيهما وهذا الصّراع الذي يخوضه الانسان ليس مع الطبيعة وحدها أو مع أحداث الحياة فترة معينة فحسب ، وإنما مع الدهر في معناه العام ينطلق من أن للانسان جوهراً ينبغي أن يتحقق ، وعلى كلّ انسان أن يصنع مصيره ويجسّد حقيقته وإلاّ فقد معناه وقيمته وغدا شيئاً آخر ، ولنسمعه يعلن هذه الحقيقة متخذاً السيف والليث مثالين على ذلك :

فالسّيف ما لم يمض قُدُماً زبرةٌ   والليثُ أكلبُ البيت أمالم يفرس

كما ان الحياة تفقد معناها إن لم يحقّق الانسان ذاته ويصنع مشروعة :

فما الحياة ، وإن طالت ، بصالحةٍ لمن يُعَدُّ متاعاً بائراً سقطا
ما خطّه العجز والأرزاق معرضة إلا لمن نام تحت الذّلّ أو قنطا

ويدرك مهيار أن تحقيق الذّات وصنع مجدها يتطلبان صراعاً مع الدهر يقتضي مخاتلته واقتناص الفرص منه فنسمعه يقول :

لا تفرّط جلوساً بانتظار غدٍ خاتل يد الدّهر وانصل غيله أبدا

٤ ـ في دروب الحياة : وجهٌ يوقد الهمُّ تحته

ويكون صراع مهيار مع الدّهر صراعاً مريراً ، تتكوّن لديه آمال ويسعى حادّاً إلى تحقيقها ظاناً أن اخوانه يساعدونه ، ثم يذهب هذا كله هباءً وتتكرر الخيبة ، فيعبر مهيار عن هذا الصراع ونتائجه :

كم يوعد الدّهر آمالي ويخلفها أخاً أسرُّ به ، والدّهر عرقوب

وتتكرّر ذنوب الأيام ، فيعجب ويرجو بحسرة أن يحيا أياماً تُعدُّ ذنوبها

يعدّدّ أقوام ذنوب زمانهم ومن لي بأيّام تُعدُّ ذنوبها

وليست الذنوب ذنوب الأيّام فحسب وإنما هي ذنوب الناس أيضاً ، الذين غدوا صخوراً لا تلين ، وقد نلتفت إلى نظرة مهيار التي رأت تحوّل الانسان الذي فقد جوهره أو إنسانيته ، إنه لم يعد إنساناً وإنما صخرة :

يقولون دار النّاس ترطب أكفّهم ومن ذا يداري صخرةً ويذيبها

والحق ان مهيار ما كان غافلاً عن حقيقة الزّمان والناس وطبيعة العلاقات الاجتماعية ، كان يدرك هذا كله تمام الادراك :

وما أطمعتني أوجهٌ بابتسامها فيؤيسني مما لديها قطوبها

وكان يدرك أيضاً سبل الوصول ووسائل نيل المطالب في ظلّ المجتمع الذي يعيش فيه :

وفي الأرض أوراق الغنى لو جذبتها لرفّ على أيدي النّوال رطيبها

ولكنّ هذه السبل ليست سبله كما أنه لا يرضى اتباع تلك الوسائل إن في المرعى لأوراقاً خضراء يانعة ولعشباً طريّاً ولكلأً خصيباً شهيّاً ولكن ما نفع هذا كلّه إن كانت الإبل الجائعة تأنف من هذا كلّه وتمجّه إن مهيار الديلمي يرفض سبلاً تحقّق الذات ويرتضي سبلاً أخرى وشتان ما بين دربي الوصول إلى « مرمى العز » ، ولنسمعه يشير إلى هذا في صورة حسّية مقتلعة من الواقع ، وكأنها تضع الحقيقة أمامك مصورة فتراها وتلمسها :

إذا إبلي أمست تماطل رعيها فهل ينفعني من بلادٍ خصيبها

يسعى مهيار إلى المجد ، ويجدُّ في سبيل ذلك مصارعاً الدّهر ، ويعي سبل الوصول ولكنه بدلاً من أن يمتطي مطايا الركّب يشكو الزمان والناس . فلم الشكوى ؟ ولماذا لا يحقق ما يصبو إليه وبخاصة أنه يرى الحياة القانعة من دون قيمة ؟

ليس من شك في أن هذا السؤال الذي تثيره قراءتنا لتجربة مهيار مع الدهر سؤالٌ كبير ، وهو لا يخصُّ مهيار وحده ، وإنما يعني الإنسان في كلّ زمان ومكان ؛ إذ انه يثير مشكلة الانسان وسلوكه في هذه الحياة سواء أكان ذلك من حيث طبيعة هذا السلوك أم من حيث أهدافه وسبل تحقيق هذه الأهداف وتعارض ذلك أو توافقه مع التوجّه العام وحقوق الآخرين .

يسمّي مهيار ما يصل إليه الناس من مناصب وغنىً « حظوظاً » ، وهو يعرف الطرّق إلى هذه الحظوظ ، ولكنّه يرفض أن يسلكها ، والأمثلة التي تؤكد هذا كثيرة نذكر منها :

ـ ويا نيل الحظوظ ، أما إليها بغير مذلّةٍ منها طريق
ـ فلوقنن الحبال زحمن جنبي وقعن أخفّ من منن الرّجال
ـ فما تراني أبواب الملوك مع الـ زحام فيها على الأموال والرّتب
ـ وعابوا على هجز المطامع عفتي وللهجر خيرٌ حين يزري بك الوصل

ويبدو مهيار ، في موقفه هذا ، منسجماً مع نفسه ، فيناقشه مع فتاته وفق مبادىء أساسية ينطلق منها في سلوكه ، تلومه فتاته فيجيب :

وقد كنتُ ذا مالٍ مع الليل سارحٍ عليّ ، لو أن المالَ بالفضل يُكسب
ولكنّه بالعرض يشرى خياره وينمي على قدر السؤال ويخصب
وما ماء وجهي لي إذا ما تركته يُراقُ على ذلّ الطّلاب وينضب

في ما قرأناه كشفٌ لواقع ورفضٌ له وأنفة عن الانخراط في جموعه وعن الوقوع في شباكه ، ويندرج هذا الموقف في إطار رؤية شاملة تنظر إلى الانسان بوصفه سيّد المخلوقات ، وقد خلق حُرّاً يجهد لتحقيق غايةٍ كبرى ، وهذا كلّه ليس ملكه وليس من حقّه أن يفرّط فيه ويريقه في غير ما خُلق له ينطلق مهيار إذاً في دروب المجد من مفهوم سرّ الخلق ومن ان الله كرّم الإنسان وعلى الإنسان أن يحافظ على ما أودع الله فيه ، وانطلاقاً من هذا المفهوم يبقى ظمآناً ، يعرف دروب الريّ ، ويرفض سلوكها لأن المذلة فيها والمذلّة أشدّ حرارةً وأقسى ولنقرأ هذا البيت ولنلاحظ الصورة فيه والتلاعب بالأضداد وفي هذا إضاءات وإيحاءات تُسكن الحالة في القلب حارّة الطّلوع من تنّور المعاناة :

أظمى ، وريّي في السؤال ، ولا يفي حرُّ المذلّة لي ببرد الماء

ويدرك مهيار نتائج موقفه ، ويلمس الواقع الذي توصله إليه خياراته ولكن لا يأبه لهذا ، إذ ان له مقاييس تختلف عن مقاييس الآخرين ، فليس مهماً ما يجري في الخارج ، فالمهم ما يجري في داخل الذات الانسانيّة ، المهم أن يبقى الجوهر صافياً وأن يبقى الهمّ دافعاً ومؤرّقاً :

وإن هوى بي أو حطّني حق الـ حظّ ، فهمّي يسمو ويرتفع
... نفسي أحجي من أن تحلم بالـ وعظ ، وقلبي بالمجد مضطلع

والواضح أن مهيار يعي أن معركته المريرة مع الدهر طويلة ، وأن سبله شاقّة ، فيختار الصّبر الذي يكشف ويحرّض ويدلّ على الصواب :

ـ لله قلبٌ حسنٌ صبره ما سئل الذّلّة إلا أبى
ـ شفى الله نفساً لا تذل لمطلب وصبراً متى يسمع به الدّهر يعجب
وصدراً إذا ضاقت صدور رحيبةً لخطب تلقّاه بأهلٍ ومرحب

ولا يكون صبر مهيار العجيب مسالمة للدهر وركوناً لأحداثه وناسه ، وإنما هو نوع من لتعرف « جريح زمانه » إلى سبل مداواة قروحه والانتصار عليها

سالمت دهري قبل أعلم أنه فيمن يهادنه السّلامة طامع
فالآن أصميه بسهم ماله في قلبه إلا المنيّة نازع

وتقتضي طبيعة هذا الصراع أن يتحمل الانسان كل ما يتعرّض له ، فيسغب والثرى عمم ويظمأ والغيث مسكوب :

- إني لأسغب زهـداً والثرى عمم … نبتاً ، وأظما وغرب الغيث مسكوبُ

وإن ليم في ذلك يجيب مُنكراً كل ما يعرضونه من إغراءات ليست مكاسب حقيقيّة ولا يريد أن يوهم نفسه بها ، وإن لم يكن سواها فالجوع أفضل من الشبع في هذه الحالة ، إنه خيارٌ ينطلق من رؤية عميقة وشاملة للحياة والعالم وسبل تحقيق الذات :

أأشري بعرضي رفـد قوم معوضه … وأشعـر نفسي أن ذلـك مـكسـبُ
فـاقعـد إذا السعيُ جـرَّ مهضمـةً … وجُـع إذا مـا أهـانـك الشبـع

ويكون الصراع مع الدّهر اشدَّ مرارة وقسوة عندما يقف الانسان وحيداً في دروب الحياة يحس وحشة الغربة في غياب الصديق والحبيب .

يفهم مهيار الصداقة أخوّة وشد أزرٍ وقت الشدّة :

قلبي لـلأخـوان شـطوا أو دنـوا … ولـلهـوى سـاعفٌ دهـر أو نـبـا

ولكن هؤلاء الأصحاب يكونون وقت الشدَّة كاليد الشليلة :

وصـاحـبٍ كـاليـد الـشـليـلة لا … يـدفـع بهـا شيئـاً فـيـنـدفـع

يتلوّنون ويتغيرون بتغير الأحوال ، أحوالهم وأحوال صديقهم :

كـم أخٍ غـيَّـره يـومـه الـ … مقـبـل عـن أمسٍ بـه الـذاهـب
كـنـت وإيـاه زمـان الـصـدى … كـالمـاء والـقـهـوة لـلشـارب

وفرق كبير بين أن يكون حمامة حيناً عقرباً حيناً آخر :

يـطيّر لي حـمـامـةً فـإن رأى … خصـاصـةً دبّ ورائي عـقـربـا

يرفض مهيار هذه الأسس في التعامل ، فلا يكون ذا وجهين ، ويتحمَّـل الكثير :

وصـاحـبٌ كـالجـرح أعيـا سبـره … وجـل عن ضبط العصـاب والقمط
حمـلتـه لا أتـشـكـى ثـقـلـه … كي لا تقـولوا : طـرف او مشترط

ويعاتب برقّة وحنوّ وطهارة :

أيهـا الـعـاتـب مـاذا … ك ، ومـا أعـرف ذنبي ؟
أتـظن الـدمـع ديـنـاً … تـتـقـاضـاه بـعتـبي . .

ويبقى ودوداً مخلصاً يحرص على الصديق ويتألفّه شريطة الأّ يؤدّي هذا إلى الذّل ، إذ أنّ هناك حدوداً ينبغي ألاّ تتجاوزها العلاقة بين الطرفين وإن تجاوزتها يكون لمهيار موقف واضح ، فهو يختار البعد الأجمل :

إذا لم يقـرِّب منـك إلاّ التـذلّـل … وعـزّ فـؤادٌ فهـو لـلبعـد أجمـل
سلونـاكَ لـمـا كـنـت أوّل غـادرٍ … ومـا راعنـا في الحبّ أنـك أوّلُ

وقد يختار الهجر إن اقتضى الأمر ذلك ، ويدافع عن موقفه قائلاً :

أأنت عـلى هجـر اللئـام معنّفي … نعم أنا ثمّ فـارض عنّي أو اغضب

توصله هذه التجربة المريرة مع الآخرين والأصدقاء منهم بخاصّة إلى القول

طهِّـر خلالك من خـلٍّ تعـاب بـه … واسلم وحيداً فما في الناس مصحوب

نلمس في هذا كله شخصية تكاملت عناصرها ورؤية شاملة عميقـة نفاذة تبلورت : منطلقات وأدوات ومفاهيم وتوجّهاً ، ونلمس أيضاً حرصاً على نقاوة هذه الشخصية ورؤيتها وكأنها جوهر كريم ينبغي أن يسلم فلا يعاب ولا يخدش ، ولنسمعه يخاطب من يطلب منه تغيير سلوكه غير المجدي في هذه الحياة ، بعد أن كبر ولم يحرز مالاً أو منصباً :

قـالـوا ارتـدع إنـه البيـاض وقـد … كـنـت بـحـكـم الـسَّـواد ارتـدع
لم يـنتـقـل الشيبُ لي طـبـاعـاً ولا … دنَّـسـني مـثـل صـقـلـه طـبـع

ثم يؤكد حقيقة موقفه وطبيعته فيقول :

يا ناقد الناس كشفاً عن جواهرها … متى تغـيَّر عن أعـراقـه الـذّهب

وهو يعرف تمام المعرفة الأسباب التي أوصلته إلى ما هو عليه ، فيذكر أسباب إخفاقه في تجربته مع الزّمان والناس قائلاً :

أذنبي الحبُّ والاخـلاص عنـدكم … فـإن ذنـبي إلى أيّـامي الأدب .

٥ - الإنتماء والهوية
نظام الحكم

وبديهي أن من يمتلك مثل هذه الرؤية ويتخذ مثل هذه المواقف أن يرى إلى الانسان بوصفه كائناً اجتماعياً تتحدّد قيمته بما يملكه من إمكانات ومؤهّلات وبما يطمح الى تحقيقه وبسبله التي يتبعها لتحقيق ذاته وتحسين مشروعه . . . بديهي أن ينظر إلى الجوهر الانسانيّ الذي يبقى اضياء يشع ويضيء في دروب الدنيـا مثل الذهب ، دونما أيّ اهتمام بالمؤثرات الخارجيّة كالعرق والنّسب والاقليم ، ولكن هذه الرؤية التي تقيم الانسان باعتباره فرداً يملك امكانـات وطموحـات وسبلاً ومفاهيم كانت تصطدم برؤية المجتمع الذي كان يعيش فيه مهيار الى الموضوع . إن لهذا المجتمع مقاييسه الأخرى في التقييم ، وقد اصطدم مهيار بهذه المقاييس في مجالات من الحياة عديدة ، كانت أقساها تجربته في علاقته بالجنس الآخر ، نعني تجربة حبّه لفتاة كانت تختلف عنه نسباً .

كانت فتاة مهيار جميلة ، صعبة القياد ، ذات دلال يأسر ، تبخل ولا تفي بالوعود ، كأيّ حبيبةٍ عرفها الشعر العربيّ من قبل ، ولكن مهيار يوظّف بعض المفارقات في لعبةٍ فنيّة ، فهي بخيلة وقومها عُرفوا بالجود ويريد من قومها الذين عُرفوا بحفظ الجوار أيضاً أن يؤنسوا فؤاده الذي التجأ إليهم ويردّوه إليه ، وفي هذا اشارة من طرفٍ خفي إلى موقف قومها منه ، وكأنه يحثهم في إطار لعبةٍ فنيَّة على إنصافه وهم الذين اتصفوا بصفات يريد لها الآن أن تفعل فعلها ، ولنقرأ بعض ما يقوله مهيار في هذا الصّدد :

. . . من العربيّـات شمُسٌ تعـود … بـأحـرار فـارس مـثـلي عبيـدا
إذا قـومهـا افتخـروا بـالـوفـا … ء والجود ظلّت ترى البُخـل جودا .
ولـو أنهم يحـفـظون الجـوا … ر ، ردُّوا عـليّ فـؤادي طـريـدا

تعجب به الفتاة في نادي قومها ، ولكنّها تسأل عن نسبه يسرُّها ما تعلمه عنه وعن أخلاقه غير أنها تريد أن تعلم ما حسبه .

أعجبـت بي بـين نـادي قـومهـا … « أم سعـد » فمضت تسـأل بي
سـرَّهـا مـا عـلمت مـن خلقي … فـأرادت عـلمهـا مـا حسبي

قوّة أخرى سوى شخصيّة الفرد ورؤيته ومؤهلاته تتحكم هنا انها تلغيه : حلّ

مكانه الجماعة : القبلية أو الشعب وما يعنيه هذا من علاقات بين القبائل والشعوب .

ويثير السؤال عن الحسب ، في مثل حالة مهيار ، قضيّة كبرى كثر الحديث عنها وهي قضيّة السيِّد والمولى ، وتُثير اسئلتها فيفخر بنسبه ومجد قومه القديم فيقول :

لا تخالي نسباً يخفضني أنا من يرضيك عند النّسب
قومي استولوا على الدهر فتىً ومشوا فوق رؤوس الحقب

مؤكّداً أن هذا الانتماء القديم لا يخفضه ، ولنلاحظ اختياره لهذه الكلمة التي تركّز على المشكلة فكأنه يقول إن انتماءه الى فارس لا ينقص من قدره فقومه قديماً فعلوا وفعلوا . . . ثم يعلن هويّته الحقيقيّة وانتماءه :

قد قبست المجد من خير أبٍ وقبست الدين من خير نبي

ويكون بهذا قد جمع المجد من أطرافه :

وضممت الفخر من أطرافه سؤدد الفرس ودين العرب

تعدّ قضيّة الانتماء أو قضيّة هويّة الإنسان ، أهم قضايا الفرد في كل عصر وقد كانت على قدر من الأهمّية كبير في تلك الفترة من فترات التاريخ العربي - الاسلامي وذلك لاشتداد الصراع بين العرب وعناصر ذلك المجتمع ، هذا الصراع الذي أبرز أشكالاً عديدة : سياسية واجتماعية وثقافية ، ولعلّ من أهمّ هذه الأشكال ما عرف باسم « الشعوبيّة » .

لن ندخل في مشكلات هذه القضيّة التي قيل فيها الكثير ولكنّنا لن نهمل فيها ما يتعلّق بموضوعنا ، إذا اننا سنعمد إلى طرح السؤال الذي يعنينا هنا محاولين الاجابة عنه في مقاربة مباشرة لا تهتم بأيّ إسقاطات ذاتيّة كانت أم خارجية والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو : هل كان اعتداد مهيار بنسبه الفارسي يندرج في إطار الحركة المناهضة للعرب أو أنه كان موقفاً أملته معطيات مرحلة تاريخيّة كان لمهيار رؤيته المميزة لقضاياها ومسائلها؟ وهل كانت هذه الرؤية المميّزة منبثقة من رؤية شاملة للكون والعالم ؟ وما هي طبيعة هذه الرؤية الشّاملة ليس من شكٍّ في أن مهيار يذكر ماضي قومه ومجدهم ويذكّر بذلك ويعلنه ففضلاً عما أثبتناه له قبل قليل ، نثبت هنا مثالاً آخر ، وهو قوله :

. . . من بها ليل أنبتوا ريشة الأر ض ، وربّوا عظامها والجلدا
. . . بين « جمّ » و « سابور » أقيا ل ، يعدّون مولد الدّهر عدّا

والملفت أن ذكر مهيار لأمجاد قومه والتذكير به يندرج في إطار التأكيد أن نسبه هذا لا يخفضه كما مرّ بنا آنفاً ، وكأنه يرد على من ينتقصه ويزري به بسبب من هذا النسب ، والملفت أيضاً في موقف مهيار أنه يتجاوز هذا التذكير الدفاعي سريعاً لينظر إلى التاريخ : الفارسي والعربي والاسلامي أيضاً نظرة تقويميّة فيشيد بما يراه جيّداً ويتبنّاه وفق فهمه لأحداث التاريخ ومجرى الحياة . إنه يذكر للفرس فضائلهم ، ومنها ، على سبيل المثال ، العدل وحسن التنظيم ، فيقول :

سيرُ العدل في مآثرهم تر وى وحسن التدبير عنهم يُؤدّى

وقد مرّ بنا إعجابه بالعديد من فضائل العرب كالوفاء وحسن الجوار ورفض الظّلم والإباء ونورد هنا ، على سبيل المثال ، تقديره مشاعر العرب الإنسانيّة وصدق حنينهم فيقول :

وحننتُ نحوك حنةً عربيّةً عيبت ، وتُعذرُ ناقةٌ إن حَنّت

ويبدو مهيار ، في موقفه هذا ، إنساناً متجرّداً عن الأهواء الشعوبيّة يطلّ على العالم وينظر إلى قضاياه ومسائله ويتأملها ويعلن ما يراه حقّاً ومصيباً وفق أسس تحدّد انتماءه الحقيقي فلنحاول أن نتعرّف إلى هذه الأسس مثبتين بعض الأمثلة الدالّة .

يقرأ التاريخ الفارسي ، ويتوقّف عند صفحات منه ينتصر فيها الحقّ ويرغم المظلوم أنف الظالم ، فمن جدوده :

من فرس الباطل بالحقّ ومن أرغم للمظلوم أنف الظالم

ويقرأ التاريخ العربي ، ويشيد بفضائل فيه مشرقة ولكنه ينخرط كلّياً في بهاء الفجر الذي أشرق وأبان نهج السبيل وحدّد دروب العيش :

- ما برحت مظلمة دنياكم حتى أضاء كوكب في هاشم
- أبان الله نهج السبيل ببعثته وأرانا الغيوبا

هنا ، تتحدّد هويّة مهيار الحقيقية ، انه ينتمي إلى هؤلاء الذين فرّج الله بهم الضيّق فكشفوا اللبس ، وحملوا الناس على الصراط وحطّموا « ودّ » و « هبل » وأيقظوا للرشد أبصار القلوب . وتتجلى هويّة مهيار في موقف لا يدع مجالاً للشّك ، إذ انه ينتمي للفتية الذين داسوا تيجان ملوك قومه و طموا عروشهم ولعبوا بجماجمهم كي يبنوا للانسان عالماً جديداً أبان الله نهجه ببعثه خاتم الأنبياء والرسل ، ولنقرأ بعض ما يقول في هذا الصّدد :

ديست من الشّرك بهم جماجم ترابها من عزّه لم يُدس
ساروا بتيجان الملوك عندنا معقودةً على الرِّماح الدعّس

إن هؤلاء الذين داسوا جماجم ملوك قومه وحطّموا تيجانهم ، كما حطّموا « ود » و « هبل » هم الذين فكّوا أسره وأعطوه قيمته الانسانيّة ، وهم قومه وإليهم ينتمي :

وفكّ من الشرك أسرك وكا ن غُلّاً على منكبيّ مُقفلا

إن أسس رؤية مهيار هي مبادىء الاسلام ، ولهذا لم تعد التيجان « الكسروية » تعنيه إن ديست ، كما أنه صار يطمح إلى تحقيق نظام اسلامي ويريد - ذلك رافضاً النّظام « الكسرويّ » و « الأردشيري » وكل نظام يقوم على شاكلته في هذا الإطار من الرؤية ينبغي أن ننظر إلى مواقف مهيار ويحقّ لنا أن نسأل كل مجادل ، أنطلب من رجل يرفض أنظمة قومه لأنها ذات طبيعة معيّنة أن يقبل أنظمة أخرى ذات طبيعة مشابهة لقوم آخرين ثم نسأل : أيحقّ لنا إن رأيناه يرفض مثل هذه الأنظمة أن نعدّه مناهضاً للعرب وشعوبياً ؟

يقول مهيار ، بعد مقدّمة وجدانيّة وعرضٍ تاريخي ، متحدّثاً عن طبيعة الحكم في الاسلام منتهياً إلى رفض نظام معيّن لأنه ذو طبيعة لا تنتمي إلى الاسلام وإنما إلى مبادىء ومفاهيم مغايرة سمّاها « أردشيرية »

- وقلّبها « اردشيريّة » فخرّق فيها بما أشعلا
- وردّها عجباً « كسرويّة » يضاع فيها الدين حفظاً للدول

إن لمهيار هنا منطلقاته ومقاييسه التي تختلف عن منطلقات الآخرين ومقاييسهم فهو يجد هذا الحكم ذا الطبيعة الخاصّة شبيهاً بالنظام « الكسروي » . وهو يرفضها معاً داعياً إلى نظامٍ اسلامي عادل تسود فيه

« الأسوة » ، معلناً انتماءه للساعين إلى اقامة مثل هذا النظام مهما كلّفه هذا الأمر من مشاق ومتاعب وتضحيات ، فيقول مخاطباً الإمام العادل :

ثم قسمت بالسَّواء بينهم   فعظم الخطب عليهم وثقل
عاديت فيك الناس لم أحفل بهم   حتى رموني عن يدٍ إلاّ الأقل
ولو يشقّ البحر ثم يلتقي   فلقاه فوقي في هواك لم أُبل

ويعود مهيار ، في موقفه هذا ، إلى مبادىء الاسلام فيختار شعاراً له : « الله أعلى في الورى ».

. . . فيقول :

يستشعرون « الله أعلى في الورى »   وغيرهم شعاره « اعل هبل »

مشيراً إلى قول أبي سفيان ، في يوم أحد : « أعل هبل » الذي سمعه النبي فأمر عمر بن الخطّاب بأن يجيبه فيقول : « الله أعلى وأجل » .

ويبدو أن انتماء مهيار الصادق للاسلام هو الذي يحدّد مفاهيمه ومواقفه ويوجّه سلوكه . وفي سبيل استكمال الاجابة عن سؤالنا الذي طرحناه آنفاً سنحاول تلمس مفهومه للقرابة وأسسه لإقامة العلاقات الانسانية

إن مفهوم مهيار للقرابة واضح ، وهو يتجلّى في العديد من قصائده ولعلنا لا نجانب الصواب عندما نقول أنه ينطلق مما يفيده هذا البيت :

ودّ « سلمان » أعطاه قرابته   يوماً ، ولم تغنِ قُربى عن « أبي لهب »

ليؤكّد :

أحبيتكم ، وبعدٌ بين دوحتنا   فكنت بالحبّ أيّ مقترب
فما سرّني في الحقّ أني مع العدا   ولا عاب أني في المحال على أبي
خلقت رقيق القلب صعباً تقلّبي   أرى لبعيدٍ ما أرى لقريب
أخي في الودّ فوق أخي النسيب   وخلى دون كلّ هوىً حبيبي
ومولاي البعيد يقول خيراً   قريبٌ قبل مولاي القريب

وليبني سلوكه على أسس تنطلق من مفاهيم الحب والحق والخير والتجرد في الرؤية والحكم فيقول :

. . . وربّ أخٍ قصيّ العرق فيه   سُلُوٌّ عن أخيك في الولاد
فلا تغررك ألسنةٌ رطابٌ   بطائنهنّ أكبادٌ صوادي
وعش إما قرين أخٍ وفيٍّ   أمين الغيب أو عيش الوحاد

وهكذا يبدو واضحاً أن مهيار بن مرزويه الديلمي تخلّى عن انتماءاته العِرْقيّة والوطنيّة والاقليمية واختار هويّة له تتمثل في الاسلام سالكاً في الحياة وفق الطرق التي تحددها ناظراً إلى الدنيا بمنظارها راجياً من الله أن يثيبه على ذلك :

وإن أكُ من « كسرى » وأنت لغيره   فإني في حبّ « الوصيّ » نسيب
ومهما يثبك الشعر شكراً مخلّداً   عليها ، فإن الله قبل يثيب

٦ ـ مسألة خلافيّة

وفي تفصيل لقضية الانتماء التي وصلنا فيها الى إجابة نعتقدها مصيبة تلفتنا مسألة تعلنها عبارة « حب الوصيّ نسيب » إذ أن هذه العبارة تشير إلى أن مهيار كان يقف إلى جانب اتجاه في الاسلام كان يرى أنه المحق ؛ وذلك انطلاقاً من رؤيته الشّاملة إلى العالم ، وبخاصّة في ما يتعلّق بطبيعة الحكم وبنية النّظام وتنظيم العلاقات الانسانيّة . . .

إن تطرّقنا إلى هذه المسألة يندرج في إطار مقاربتنا التي قلنا إنها ستكون مباشرة ، كما أنه يبدو ضرورياً لفهم موقف قيل لمهيار بسببه انه انتقل في النار من زاوية إلى زاوية . وإن يكن في تطرقنا إثارة لمسألة خلافية في وقتٍ نحن فيه بأمس الحاجة إلى الوحدة ، فإن اغفالنا لا يلغي الخلاف وقد يكون في النظر الموضوعي الهادىء قدر كبير من الجدوى على صعيد فهم طبيعة الخلاف وحدوده ؛ الأمر الذي يلغي تأثيره على المستويات الأخرى .

يقرأ مهيار التاريخ الاسلامي على ضوء فهمه لمبادىء الاسلام المأخوذة في مصدريه : الكتاب والسنّة ، ويتخذ موقفاً ، مستنداً إلى حجج يبسطها في عدة قصائد طويلة يمدح بها أهل البيت . وحججه تتمثل في ثلاث : حجه نقّية تقول إن النبي صلى الله عليه وآله أوصى للأمام علي عليه السلام من بعده بالخلافة وحجة عقلية جدلية تناقش أسس قريش في اختيارها من اختارت للخلافة وحجّة مبدئية تتعلّق بالكفاءة وطبيعة النّظام ومفهوم الحكم من جنب علاقته بالله وبعبيده . وهذا كلّه سوف نَلم به من خلال عرضنا لنموذجين من قصائد مهيار عرضاً موجزاً ، على سبيل المثال .

يبدأ مهيار قصيدته ، على عادته ، بمقدّمة وجدانيّة تمهّد للموضوع وترسم إطاره وتكوّن مناخه ، ثم يذكر مناقب أهل البيت ويجادل قريشاً في مواقفها طالباً منها أن تقرّ بنعمة النبي صلى الله عليه وآله المرشد وأن تتبّع سنّته :

. . . وقل : مالكم بعد طول الضلا   ل لم تشكروا نعمة المرشد
أتاكم على فترةٍ فاستقام   بكم جائرين عن المقصد
وولّى حميداً إلى ربّه   ومن سنّ ما سنّه يُحمد
وقد جعل الأمر من بعده   لحيدر بالخبر المسند
وسمّاه مولىً بإقرار من   لو اتبع الحق لم يجحد

ثم يناقش قريشاً ادعاءها أن ذلك كان عن اجماع المسلمين ، وينتهي إلى القول أنه لم يكن اجماعاً ، ثم يشيد بموقف الإمام علي الذي صبر من أجل انتصار الاسلام ، ولكن ما حدث في ما بعد كان كما يرى :

ارى الدّين عن بعد يوم الحسين   عليلاً له الموت بالمرصد

وينتهي به هذا العرض وهذا النقاش إلى إعلان موقفٍ طالب في مطلع القصيدة أن يُتخّذ ، وهو الايمان بالحق والاقرار بالفضل وتأييد ذلك :

وفيكم ودادي وديني معاً   وإن كان في فارس مولدي
خصمت ضلالي بكم فاهتديت   ولولاكم لم أكن أهتدي
وجردتموني ,وقد كنت في   يد الشرك كالصارم المُغمد
ولا زال شعري من نائحٍ   ينقّل فيكم إلى منشد
وما فاتني نصركم باللسان   إذا فاتني نصركم باليد

وفي قصيدةٍ ثانية ، يبدأ مهيار بمقدّمة وجدانية نحسّ فيها اسىً وحزناً عميقين ويسيطر عليها الاحساس بحقٍّ مضاع ، ينتقل بعدها إلى مناقشة موضوعه فيعرض للواقع :

هذي قضايا رسول الله مهملةٌ   غدراً، وشمل رسول الله متصدع
. . . وآله ، وهمُ آل الاله ، وهم   رعاة ذا الدّين ضيموا بعده ووُعوا
ميثاقه فيهم مُلقى ، وأمّته   مع من بغاهم وعاداهم له شيع

ثم يعود إلى التاريخ فيعرض احداثه ويتوقّف إزاء بيعة « يوم الغدير » التي ضاعت

ما بين ناشر حبل أمس أبرمه تُعدُّ مسنونةٌ من بعده . البدع

ويتجاوز الكثير من الأمور :

فقلت : كانت هنات لست أذكرها يجزي بها الله أقواماً بما صنعوا

بغية إبلاغ رجال موقفاً سياسيّاً يناقش أسسهم في اختيار الخليفة

بأيِّ حقٍّ بنوه يتبعونكم وفخركم أنكم صحبٌ له تبع

. . . وفيم صيّرتم الاجماع حجّتكم والناس ما اتّفقوا طوعاً ولا اجتمعوا

ويستطرد موضحاً حججه ، وينتهي إلى إكبار الإمام علي وبيان ما يتميز به من صفات وكفاءه :

صبرت تحفظ أمر الله ما اطّرحوا ذبّاً عن الدّين فاستيقظت إذ هجعوا

وكان ، في مكان آخر ، قد أشار إلى نهج الإمام في الحكم ، ومن إشاراته :

- ثم قسمت بالسواء بينهم فعظم الخطب عليهم وثقل
- ولما امتطاها عليّ ، أخو ك ، ردّ إلى الحق فاستثقلا

ويؤكد تأييده للحق :

جاهدت فيك بقولي يوم تختصم الـ أبطال ، إذ فات سيفي يوم تمتصع

هذا الحق الذي يمثل دنياه وآخرته :

هواكم هو الدنيا وأعلم أنه يبيّض يوم الحشر سود الصحائف

قيل في مواقف مهيار الكثير ، وقد أشرنا إلى بعض ما قيل ، وكان مهيار يعرف ما يقال عنه ، فكان يبتسم مشفقاً على القائلين ، ثم لا يلبث أن يخاطبهم محدّداً أسباب غيظهم ودوافعه طالباً من الله أن يكون الحكم فيلعن المداجي والكاذب ويعذبها :

. . . من معشر لما مدحتك غظتهم فتناوشوا عرضي وشانوا شانيا

لما رأوا ما غاظ منّي شنّعوا حاشاك أني قلت فيك مداجيا

والله ينصب لعنه وعذابه من قال فيك ومن يقول مرائيا

٧ ـ هم الشّعر

ويتّضح ، من خلال هذا كله ، ان مهيار لا يناهض العرب ، كما أنه لا يناصر الفرس ، وإنما يتّخذ مواقف تنبثق من رؤية إنسانية للعالم والحياة واضحة وشاملة وعميقة ، وترتكز رؤيته على إيمان عميق بمبادىء الاسلام الذي فك أسره وهداه وجعله إنساناً ذا قيمة ومعنى في هذا الوجود . وكان يريد لشعره أن يعادل هذه الرؤية فنيّاً وينقلها للآخرين ، كما بدا لنا من تأكيده على عزمه نصرة مبادئه بشعره ولسانه .

وهذا يعني أن مهيار كان يرى أن للشعر تأثيراً في القلوب كبيراً قد يفوق تأثير السيوف القواطع : ·

إن اللّسان لوصّالٌ إلى طرقٍ . في القلب لا تهتديها الذُّبَّلُ الشُّرَّع

وطالما كان للشعر مثل هذا التأثير في التغلغل إلى حنايا النّفس الانسانيّة ، فإن الشاعر كان يجهد في صوغه شعراً جيلاً مؤثراً يصفه بقوله :

وكالشجا قافيةٌ أسغتها لو عارضت حنجرة البازل أطّ

(أطّ = أنّ) .

ويتضح ، من خلال قراءة نماذج من قصائد مهيار ، أنه يملك مفهوماً للشعر يرى إليه بوصفه التعبير الصادق الجميل الذي يجسّد الرؤية وينقلها مؤثّراً أشدّ تأثير . وانطلاقاً من هذا الفهم للشعر كان مهيار يُعنى بشعره عناية فائقة فيقول موجباً العناية به محدّداً مصدره :

وأحسن عليه فإنّه ولدٌ أبوه قلبٌ وأمُّه خاطر

وإن يكن الشعر في مثل هذا الموقع ، كانت العناية به واجبة ، وقد يرقى حب صون الشعر وعدم امتهانه إلى مستوى الواجب الدّينيّ :

والشعر صنه ، فالشعر ، يحتسب الله ، إذا لم يُصن على الشاعر

لا تمتهنه في كلِّ سوقٍ فقد تربح حيناً وبيعك الخاسر

وينسجم مهيار مع فهمه هذا فيصون شعره عن الهجاء والمديح الكاذب ويحصر أغراض شعره في شؤون حياته الخاصّة من تهنئة وعتاب وشكر ووصف مقدّماً لهذا كلّه بمقدّمات وجدانية . وهو إن مدح أحداً فلا يقف على الأبواب ويمدح بما يراه مناقب تستأهل المديح ، فيقول ، على سبيل المثال في احدى قصائده المدحيّة :

ينصح الله والخلافة لا يرفع في شهوة ولا يضع

وزارة مذ أتيتها عاشت السـ نّة وماتت البدع

تشهد لي انها اليقين قضا يا الله والمسلمون والجمع

وقد جعله هذا الفهم للشعر : مصدراً ووظيفةً وتأثيراً يبتعد عن التقليد وبخاصّة عن المقدّمات الطلليّة فنسمعه يقول فيها :

أجدك بعد أن ضمّ الكثيب هل الأطلال إن سُئلت تجيب

ويبدو مهيار ، في قوله هذا ، وكأنه يحثّ على الانصراف إلى موضوعات الحياة وقضايا الإنسان .

إن اللافت في شعر مهيار ، وقد أشرنا إلى ذلك غير مرّة ، ولعلّنا لاحظناه في الأبيات التي كنا نثبتها استشهاداً ، هو فنّية هذا الشعر المتمثلة في الصور وفي فنّية الأسلوب وأناقته ، نلمس هذه الفنية التي تبعد عن الصناعة البديعيّة وإن كانت تفيد منها صانعة ما يُسمى بـ « سحر الألفاظ » المتكون من تضادها وتآلفها وتكرارها وتناغمها وتكونها موسيقى داخليّة تُلحظ في الكثير من المقاطع والأبيات .

والواقع أن الأمثلة على ما نذهب إليه كثيرة جداً ، ونكتفي هنا على سبيل التمثيل فقط ، إضافة إلى معظم ما أقتبسناه استشهاداً في ثنايا قراءتنا هذه ، بذكر بعض الأبيات المشيرة إلى ما نذهب إليه ولنقرأ هذا البيت :

أما ترون كيف نام وحمى عيـ ني الكرى ، فلم ينم ظبيُ الحمى !؟

ونتوقّف أمام هذه الألف التي تتكرر وكأنها نفسٌ طويل يتأوّه أو كأنها امتداد مدىً يرتسم في الأفق ، بانتظار إطلالة ، ويقوم الانتظار قلقاً ومتقطّعاً ، فلنز كي نحس بذلك إلى هذه المحطّات التي نتوقف عندها في هذا المدى الممتد بعيداً ؛ « . . . حمى » ، « . . . الكرى » ، « . . . الحمى » ، انها محطات نرقب فيها إطلالة هذا الظبي في انتظار يطول فيه السّهر والتأوّه والتطلّع إلى البعيد . . .

لا نريد الاطالة ، وإنما هي بعض إيحاءات هذا البيت الذي لم نبحث عنه كي نجده ، إذ أن أمثاله كثير في ديوان مهيار الضخم .

ولنقرأ هذه الأبيات متوقّفين لدى « سحر الألفاظ » وروعة الصّور وسمّو العاطفة وعمقها :

أعير المنادي باسمها السمع كلّه ... على علمه أني بذاك مريب
وكم لي في ليل الحمى من إصاخة ... إلى خبر الأحلام وهو كذوب
وما حبّ ميّ غير بردٍ طويته ... على الكره طيٌّ الحرث، وهو قشيب
أحين عسا غصني طرحت حبائلي ... إليّ ، فهلّا ذاك وهو رطيب
وما كان وجهٌ يوقد الهمّ تحته ... لتنكر فيه شيبةٌ وشحوب

كثيرة هي خطوب الدهر التي توقد الهمّ ، مرّ بنا عيش مهيار لبعضها ويضيف إليها ، في هذا المقام ، همٌ جديد ، وهو همُّ الشعر الذي يقول عنه مهيار ، مخاطباً أحد الوزراء :

وتحمون البلاد وفي ذراكم ... حريم الشّعر منتهكٌ سليب

همُّ الشعر أو حماية الشعر من الانتهاك والسّل همٌ مؤرّقٌ كبير ، وبخاصّة لمن يمتلك رؤيةً ويلتزم مبادىء ويريد لشعره أن يكشف على أضواء هذه الرؤية وأن ينبثق عن هذه المبادىء . إن من يحمل هذا الهم يغدو ، في زمن مثل زمن مهيار ، مثل هذا الذي يصوّره الشاعر بقوله :

أما جنى خيراً له آدابه ... أعاذكنّ الله من شرّ الأدب
هو الذي أخّرني مشارف الـ ... سّبق ، فأظما شفتيّ على القرب
تجمع بين الماء والنار يدٌ ... وما جمعت الرّزق والأديبا

ولا يرى مهيار هذا امراً عجباً ، فيقول وكأنّه يعزّي نفسه :

لا تحسب الهمّة العلياء موجبةً ... رزقاً على قسمة الأقدار لم يجب
لو كان أفضل من في الناس اسعدهم ... ما انحطّت الشمس من عالٍ عن الشهب

٨ ـ غريبٌ في باب الله

إنه إيمان بالقدر ، ومثل هذا الإيمان قد يجعل الوحدة والغربة ممكنتين تظمأ شفتا مهيار على القرب ... تروقنا الصورة الحسّية المنتزعة من صميم الحياة ونكاد نصرخ ما أروعها ، ولكننا ندرك أن ما يمتاز به من مواهب ومناقب ورؤى أوصله إلى هذا الظمأ ، وعندما يمدّ يده إلى الخلان يصاب بالخيبة ، ويعبّر عن خيبته في صورة رائعة أخرى منتزعة من صميم الحياة أيضاً فيقول :

تستحفل الضّرع فإن لامسته ... عاد بكيئاً جلده بلا حلب

إن إنساناً يعيش مثل هذا الواقع يحسّ إن عاده أحدهم في مرض أو تفقده كأحمد بن عبدالله الكاتب أن هذا صنيع غريب ، فيخاطبه عندما يفعل هذا :

... ولا تعدم الدّنيا بقاءك وحده ... فإنك في هذا الزّمان غريب

يسلّم الشاعر أمره للدّهر ، ثم نلحظ في ابيات كثيرة عدم اهتمامه بأمور الدنيا مثل قوله :

تلاعبت بي يا دهرُ حتى تركتني ... وسيّان عندي جدُّ خطبٍ ولعبه

ولكننا نلاحظ أيضاً أن استسلام مهيار ليس استسلاماً عبثياً يائساً ، وإنما هو يسير مسلّماً أمره ، في رحلة هذه الحياة ذات الفضاء الواسع لله ، كما يقول :

وقلت : باب الإله إن ضقت مفـ ... ـتوحٌ ، وهذا الفضاء متّسع

٩ ـ كلمة أخيرة

وأعتقد أننا ، من خلال هذه القراءة السريعة في ديوان مهيار الديلمي استطعنا أن نشير إلى مكونات اساسية في شخصيته وإلى عناصر مركزية في رؤيته ، فضلاً عن إماطتنا اللثام عن بعض المشكلات وقد يكون في هذا الصنيع مدخل لدراسات أرحب تحيط وتتعمق ، ومهيار بهذا جدير .

رأي في مهيار الديلمي

يقول حسن الأمين : كان المؤرخ المصري الدكتور محمود علي مكي قد نشر بحثاً عن التشيع في الأندلس ، فكتبت إليه بملاحظاتي على ما كتب ، فأرسل إليّ رسالة تعرض فيها لذكر مهيار قال فيها :

« كان موضوع التشيع يستهويني إذ كنت مشتغلاً به من قبل ، وذلك منذ تخرجي من كلية الآداب في جامعة القاهرة كنت متوفراً على دراسة شاعر ما زال في نفسي حنين الى العودة إليه ، شاعر ما زلت اعتبره اعظم شعراء العربية على الاطلاق ، هو مهيار الديلمي الذي كنت في ذلك الوقت احفظ معظم ديوان شعره ، ولست انفك حتى الآن اردد النظر في قصائده ولا سيما شيعياته التي اعتبرها من غرر شعر العقائد بما فيها من حرارة العاطفة ونصاعة البراهين والمقدرة على الحجاج ، وما زلت حتى الآن اترنم في الأوقات التي اخلو فيها الى نفسي بعينيته :

هل بعد مفترق الأظعان مجتمع ... أم هل زمان بهم قد فات يرتجع

أو بداليته :

بكى الناس ستراً على الموقد ... وغار يغالط في المنجد

أو بلاميته :

سلا من سلا من بنا استبدلا ... وكيف محا الآخر الأولا

وما أشد شوقي إلى أن اعود إلى مهيار وأتوفر عليه مرة أخرى بعد أن قطعتني عنه دراساتي الأندلسية واقتحامي ميادين أخرى بعيدة عن ميدان ذلك الأدب الشيعي الذي كان يستهويني كثيراً من قبل .

من شعره

وقال وأنشدها الأمير سند الدولة أبا الحسن بن مَزْيد في داره بالنيل

هب من زمانك بعض الجدّ للعب ... واهجر الى راحة شيئاً من التعب
ما كلُّ ما فات من حظ بليته ... عجزٌ ، ولا كلُّ ما يأتي بمجتلب
الا تحسب الهمة العلياء موجبة ... رزقاً على قسمة الأقدار لم يجب
لو كان أفضل من في الناس أسعدهم ... ما انحطت الشمس عن عالٍ من الشهب
أو كان أسير ما في الأفق أسلمهم ... دام الهلال فلم يمحق ولم يغب
يا سائق الركب غرّبياً وراءك لي ... قلبٌ الى غير نجد غير منقلب
تلفتاً ، فخلال الضيق متسع ... ورب منجذب في زي مجتنب
قف ناديا آل بكر في بيوتكم ... بيضاء يطربها في حسنها حربى
لما رأت أدمة نكراً وغاثرة ... شهباء راكضة في الدهم من قضبى
ألوت ـ وقد أضحكت رأسي الخطوبُ لها ـ ... وجهاً الى الصد يُبكيني ويضحك بي
إلا تعجبي اليوم من بيضائها نظراً ... الى سني ، فمن سودائها عجبي

مـا زلتَ ـ علماً بـأن الهم مخترمٌ … عمـر الشبيبـة ـ أبكيهـا ولم أشب

وسـوم شيبٍ ، فإن حققت نـاظرة … فـإنهن وسـومٌ فيَّ لـلنـوب

ترى ندامای ما بـين الرصـافة فـالـ … بيضاء راوين من خمرٍ ومن طـرب ؟

أو عـالـمين ـ وقـد بـدلت بعـدهم ـ … مَا دار أنسي وما كـأسي وما نشبي ؟

فـارقتهم ، فكـأني ـ ذاكـراً لهم ـ … نضـوٌ تـلاقت عليـه عضتـا قتب

سقى رضـاى عـن الأيـام بينهم … غيثٌ ، وبان عليها بعـدهم غضبي

إذ نسكب الماء بغضاً للمـزاج بـه … ونـطعم الشهـد إبقـاءً عـلى العنب

يمشي السقـاة علينا بـين منتـظرٍ … بـلوغَ كـأسٍ ووثـابٍ فمستلب

كـأنمـا قـولنـا للبـابـلي : أدر … حلاوةٌ ، قولنا للمـزيدي : هب

فـدى عـليٍّ جبـانُ الكف مقتصرٌ … من الفخار على المـوروث بـالنسب

يـرى أبـوه ولا تـرضى مكـارمـه … الأرض صحت وأودى الداءُ بالعشب

ومشبعـون من الـدنيـا وجـارُهُمُ … بادي الطوى ضامرُ الجنبين بالسَّغب

قل للأمـير ، ولو قلت : السماءُ به … مفضوحة الجودِ ، لم تظلم ولم تحب :

أعطيت مالـك ، حتى رُبَّ حادثـةٍ … أردت فيها الذي تعطى فلم تصب

لو سمت نفسك أن تـرتاض تجـربة … بحفظ ذات يـدٍ يومـين لم تـطب

كـأن مـالـك داءٌ أنت ضـامنـه … فـما يـصحبك إلا علـةُ النـشب

لو كان ينصفك العافـون لاحتشموا … بعض السؤال ، فكفُّوا أيسر الطلب

يا بدر عوف ، وعوف الشمس في أسدٍ … وأسدٌ شامـةٌ بيضـاءُ في العـرب

أنتم أولـو البأس والنعماء ، طارفـةٌ … أخبـاركم ، وعـلىً تلدٌ من الحقب

أحـلى القـديم حـديثـاً جـاهليتكم … وقصُّ أسـلافكم من رتبة الكتب

مـا كنتم مذ جـلا الإسلام صفحتـه … إلا سيـوف نـبيٍّ أو وصيٍّ نـبـي

بكم بصفّـين سـدَّ الـدين مسكنـه … وآل حرب لـه تحتـال في الحـرب

وقام بالبصرة الإيمانُ منـتـصـبـاً … والكفر في ضبة جاثٍ عـلى الـركب

حتى تقيلتهـا إرثـاً ، وأفضـل مـا … نقلت دِينك شرعاً عن أبٍ فـأب

إذا رأيت نجيبـاً صـحَّ مـذهبـه … فـاقطع بخيرٍ عـلى أبنـائـه النجب

لا ضاع ، بل لم يضع يوم انتضرت به … وأنت كالورد ، والأعـداء كالقرب

وقـد أتـوك بـرايـاتٍ مـكـرورةٍ … لم تـدر قبلك ما اسمُ الفرّ والهرب

تمشي بهم ضمـرٌ ، أدمى روادفهـا … غـرور فرسانها بـالفـارس الذرّب

لما دعوت عليا بـينهـم ، ضـمنـت … لـك الولاية فيهم ساعد العطب

حكت رؤوس القنـا فيـه رؤوسهم … حتى تـموهت الأعنـاق بـالعـذب

وطامعٌ في معـاليـك ارتقى فهـوى … وهل يصح مكـان الرأس للذنب ؟

مـا كان أحوج فضلا تمّ فيك الى … عيبٍ يـعـوذه من أعـين النـوب

أحبتكم ، وبعيـدٌ بـين دوحتـنـا … فكنت بـالحب منكم أي مقتـرب !

وودُّ سلمان أعطاه قـرابـتـه … يـوماً ، ولم تغن قـربى عن أبي لهب

ورفّـع الصـون إلا عن مناقبكم … أسباب مدحي في شعري وفي خطَبي

فـما تـراني أبـواب الملوك مـع الـ … زحـام فيهـا عـلى الأموال والرتب

قنـاعـة رغبت بي عن زيـارة مسـ … دول الستـور وعن تـأميـل محتجب

ولي عـوائد جـودٍ منك لـو طـرقت … تستـام ملكـك لم تحـرم ولم تخب

ملأتُ بالشكر قلب الحافظ الغزل الـ … فؤاد منّهـا وأذن السـامـع الـطَّرب

فـرأي جـودك في أمثـالهـا لفتىً … أتـاك بـالحـرمتين الـدين والأدب

ومن تـوسـل في أمـرٍ فـما سببٌ … اليـك أوكـدُ في الأمـرين من سببي

وقال :

وتعجب أن حصت قـوادم مفـرقي … وأكـثر أفعـال الـزمـان عجيبهـا !

ومـن لم تـغيـره الـليـالي بعـده … طـوال سنيهـا غيـرتـه خـطوبهـا

إذا سلَّ سيف الدهـر والمرءُ حـاسرٌ … فـأهون مـا يلقى الـرؤوس مشيبهـا

يـعـدِّد أقـوامٌ ذنـوب زمـانهم … فـمن لي بـأيـامٍ تـعـد ذنـوبهـا

يقولون : دار الناس ترطبْ أكفُّهم … ومن ذا يداري صخرةً ويـذيبهـا ؟

ومـا أطمعتني أوجـهٌ بـابتسامهـا … فـيؤيسني ممـا لـديهـا قـطوبهـا

وفي الأرض أوراق الغنى لو جذبتها … لـرفَّ عـلى أيـدي النوال رطيبهـا

إذا إبـلي أمست تمـاطـل رعيهـا … فهـل ينفعني من بـلادٍ خصيبهـا ؟

عـذيـرى من بـاغٍ يـود لنفسـه … نـزاهـة اخـلاقي ، ويمسي يعيبهـا

إذا قـصـرت عنيٍّ خـطاه أدبَّ لي … عقـارب كيـدٍ غـير جلدي نسيبهـا

وقال :

كـم أداري عـنـت الأيـام في … غبن حـظّي وأطـاطي للخطوب ؟

وأردُّ الحـزم في أفـحـوصـه … وهـو هـافٍ يتـنـزّى لـلوثـوب

قـاعـداً والجـدُّ قـد رحّـل بي … والمعـالي يتـقـاضين ركـوبي

جـلسـة الأعـزل يـلوي يـده … وسـلاحي بـين كـورى وجنيبي

أمـدح المـثـريـن ظنـاً بهـم … ربمـا يقمـر بـالـظن الكـذوب

كـلُّ وغـد الكفِّ منبـوذ الحيـا … طيب المحضر مسبـوب المغيب

يمـنـع الـرفـد وتـلقـى وفـده … قحـةُ البخـل بـإدلال الـوهـوب

يـطلب المـدح لأن يـفـضحـه … وهـو قبل المدح مستور العيـوب

قـلت لـلآمـال فيـه ـ كـذبـتْ … أمُّـهُ ـ : إن كنت آمـالي فـخيبي

جـلب الأرض عـريضٌ دونـه … وسـرى العيس وإدمان اللغـوب

وغـلامٌ آخـذٌ مـا طـلـبـت … نـفسـه أو فـائتٌ كـلَّ طلوب

يقـمـح الـضيـم ولـو أبصـرهُ … ليلة العشر عـلى المـاء الشـروب

مـا أذلَّ الخـصـب في دار الأذى … والـذُّ الـعـزُّ في دار الجدوب

يـا بني كـلَّ نـعـيـم ضـاحـكٍ … في حمى وجـهٍ من اللؤم قـطوب

قـد مللناكم عـلى شـارتكـم … ويضيق الصَّدر في البيت الرحيب

وعسى الـدنيـا الـتي أدَّتـكـم … تصـطفينـا من بنيهـا بنجيب

مـاجـد الشيمـة سهـلٍ ، ليله … للقرى ، صبٌّ إلى الحمد طروب

يـكـسـب المـال لأن يـتـلفـه … والعـلا في يـد متـلافٍ كسـوب

تخبـث الأيـدي وفي راحـتـه … مـن نـداه أرج المشتـا المـطيب

وقال يرثي الشريف الرضي :

من جبَّ غـارب هاشم وسنامها … ولـوى لويا فاستزلَّ مقـامهـا ؟

وغـزا قريشا بالبطاح فـلفَّهـا … بيـدٍ وقوض عـزَّهـا وخيـامهـا ؟

وأنـاخ في مضر بكلكل خسـفـه … يستام ، واحتملت له مـا سامها ؟

من حـلَّ مكة فانتباح حـريمهـا … والبيت يشهد ـ واستحل حرامها ؟

ومضى بيثرب مزعجاً مـاشـاء من … تلك القبـور الطاهـرات عظامهـا ؟

يـبـكـي النبي ويستنيح لفاطم … بالطف في أبنائهـا أيـامهـا

الـدين ممنوع الحمى ، من راعـه ؟ … والـدار عالية البنا ، من رامهـا ؟

أتنـاكرت أيـدي الـرجـال سيوفهـا … فـاستسلمت أم أنكرت إسلامها ؟

أم غـال ذا الحسبَين حـامي ذودهـا … قـدر أراح عـلى الغـدوّ سوامهـا ؟

فتقـامصت ملسـوعـةً بشتـاتهـا … تسم المـذلّـة بـزلهـا وسـامهـا

أخلق بها مطرودةً من بعده ... تشكو على قرب الحياض أوامها

لمن الجياد مع الصباح مغارةً ... تنضي الظلام وما نفى أجسامها ؟

صبغ السوادُ ـ ولم تكن مسبوقةً ـ ... أعرافها ظلماً وعمَّ لمامها

من كل ماشية الهوينا أنكرت ... شقاتها واستغربت إحجامها

جرداء تسأل ظهرها عن سرجها ... وتجرُّ حبلا لا يكون لجامها

بكر النعيُّ من الرضي بمالكٍ ... غاياتها متعوِّدٍ إقدامها

كلح الصباح بموته من ليلةٍ ... نفضت على وجه الصباح ظلامها

صدع الحمام صفاة آل محمد ... صدع الرداء به وحلَّ نظامها

بالفارس العلوي شقَّ غبارها ... والناطق العربي شقَّ كلامها

سلب العشيرة يومه مصباحها ... ورمى الردى عمَّالها علَّامها

برهان حجتها الذي بهرت به ... أعداءها وتقدمت أعمامها

دبرتها كهلا وسدت كهولها ... ترضي النفوس وكنت بعد غلامها

النصُّ مرويٌّ وكنت دلالةً ... مشهورةً لما نصبت إمامها

قدمت فضلتها وجئت فبرَّزت ... سبقاً خطىً لك أحرزت إقدامها

كم رضت بالإرفاق نخوة عزِّها ... والعسف حتى جمَّعت أحلامها

ولقد تكون مع الفظاظة رحمةً ... وعلى جفائك واصلاً أرحامها

قودتها للحقّ إذ هي ناشطٌ ... لا تستطيع يدُ الزمان خطامها

حتى تصالحت القلوب هوىً على ... إعظامها وتصافحت إجرامها

فلئن مضى بعلاك دهرٌ صانها ... فلقد أتى بِرداك يومٌ ضامها

يومٌ إذا الأيام كنَّ سوانحا ... بالصالحات وعدَّ فيها شامها

من حطَّ هضبتك المنيفة بعدما ... عيي الزمان فما استطاع زحامها ؟

ورقى إباءك فاستجاب بسحره ... صماء لم تعط الرقى أفهامها

فضَّ الحمام اليك حلقة هيبةٍ ... ما خلت حادثةً تفضُّ ختامها

واستعجلتك يدُ المنون بحثها ... قبل السنين وما أطلعت تمامها

أفلا تطاعن دون مبلغك الردى ... خيلٌ أطلت لحاجةٍ إلجامها ؟

وتقوم حولك سمحةً بنفوسها ... عصبٌ على العوجاء كنت قوامها

وبلى وقتك ! لو أن قرنك يتقي ... ما خلفها طعنا وما قدامها

ولعرضت في الذب دونك أوجها ... للضرب أكثرت السيوف لطامها

تلقى الحديد بمثله من صبرها ... فتخال من أدراعها أجسامها

ما ضرَّها لما ضفت أعراضها ... جنناً لها أن لم تسربل لامها

تحميك منها كلُّ نفسٍ مرَّةٍ ... يحلو فداءك أن تذوق حمامها

لكن أصابك عائر من مخلسٍ ، ... لا تضبط الحدق الحسان سهامها

وصلت بلا إذنٍ وأنت محجَّبٌ ... وقضت عليك فلم تفت أحكامها

سفرت بك الأخبار حين سألتها ... درداً فليتني استطلت لثامها

ورأيت ساعتك التي فجئت فخلـ ... ـت الساعة اقتربت بها وقيامها

حلَّ الملوك لك الحبى وتسلبت ... قممٌ عمائمها استبن كمامها

تستاف تُربك تشتفي بشميمه ... من داءِ فقدك وهو جرَّ سقامها

ومشت على رمض الهجير أخامصٌ ... ربت النعيم فما شكت أقدامها

أبكيك للدنيا التي طلقتها ... وقد اصطفتك شبابها وعرامها

ورميت غاربها بفضلة [معرضٍ] ... زهداً وقد ألقت اليك زمامها

والأرض كنت على قفارة ظهرها ... علماً إذا كتم الدجى أعلامها

ولدتك ثم تحولت لك في أخ ... وعلى بنيها الكثر كنت عقامها

ولقولةٍ عوصاء ارتج بابُها ... ففتحته لما ولجت خصامها

وقلائدٍ قذفت بحارك درَّها ... وقضى لسانك رصفها ونظامها

هي آية العرب التي انفردت بها ... راعيت فيها عهدها وذمامها

كم معجزٍ منها ظهرت بفضله ... سير الرجال فلم تجد أفهامها

وغريبةٍ مسحت يداك مؤانساً ... منها النفور ومفصحاً إعجامها

حسنت حتى قيل : صبَّ دماءها ... وغزلت حتى قيل : صبَّ مدامها

ماتت بموتك غير ما خلَّدته ... في الصحف إذ أمددته أقلامها

قد كنت ترضاني إذا سومتها ... تبعاً وأرضى أن تسير أمامها

وإذا سمعت حمدت صفوى وحده ... وذممت غشَّ القائلين وذامها

فتركتني ترك اليمين شمالها ... فردا أعالج فاتلا إبرامها

حيران أسأل : أين منك رفادتي ، ... دهش البنان تفقدت إبهامها

لا سامعٌ يصغي ولا ذو قولةٍ ... أُصغي له ، يا وحدتي ودوامها !

فبرغم أنفي أن أبثَّك لوعتي ... والأرض قد بثَّت عليك رغامها

وأبى الوفاء ـ إذا الرجال تحرَّجت ... حنث اليمين فحللت أقسامها ـ ،

لأساهرنَّ الليل بعدك حسرةً ... إن ليلةٌ عابت حزيناً نامها

ولأشرجنَّ عن العذول على الأسى ... أذناً محرمةً على من لامها

ولأبدلنَّ الصبر عنك بقرحةٍ ... في الصدر لا يجد الدواءُ لحامها

أبكي لأطفئها وأعلم أنني ... بالدمع محتطب أشبُّ ضرامها

عصر الغمام ثراك ثم سقى به ... أرضاً تظلَّم مذ فقدت غمامها

بك أو بجدك أو أبيك نغاث في الـ ... ـسقيا إذا الشهباء خفنا عامها

فسواك لو كان المقيم بحفرةٍ ... يبسٍ لقلت : سقى السحابُ رمامها

قال وقد رثى الشريف الرضيّ بالقصيدة الميميّة ، وشقت على جماعةٍ ممّن كان يحسدُ الرضيَّ بالفضل في حياته أن يُرثى بمثلها في وفاته ، ونسبه قومٌ الى السرف فيما أدعى له ولنفسه من اللحاق به وشدّة الأنس معه ، حباً لأن تضاف بعضُ المحاسن إليهم ، وطعنوا في غرضه من الإقرار بالتوحيد ، وتكلّموا في ذاك ، وكان فيهم من رثاه بما ظاهُره التأسّي ، وباطنه الشماتة ، بشعرٍ لا يسرُّ سامعا ، ولا يملك فهما ، فأسف لمكان قصوره عمّا كان يجب أن يقدر على قوله ، وعمل هذه القصيدة يرثيه ، ويلوِّح بذكرهم ، ويزيد في غيظهم :

أقريشُ ، لا لفمٍ أراك ولا يدِ ... فتواكلي ، غاض الندى وخلا النَّدي

حولست ، فالتفتي بأوقص ، واسألي ... من بزَّ ظهرك ، وانظري من أرمدِ

وهبي الدُّحول فلست رائد حاجةٍ ... تقضى بطرورٍ ولا بمهندِ

إخلاك ذو الحسبين أنقاضاً متى ... تجذب على حبل المذلة تنقدِ

قمر الدُّنا أضحت سماؤك بعده ... أرضاً تداس بحائرٍ وبمهتدي

فإذا تشادقت الخصوم فلجلجي ... وإذا تصادمت الكماة فعرِّدي

يا ناشد الحسنات طوِّف فاليا ... عنها وعاد كأنه لم ينشدِ

اهبط الى مضرٍ فسل حمراءها ... من صاح بالبطحاء يا نار اخمدي؟

بكر النعيُّ فقال : أردي خيرها ، ... إن كان يصدق فالرضيّ هو الرّدى

عادت أراكة هاشم من بعده ... خورا لفأس الحاطب المتوقدِ

فجعت بمعجزِ آيةٍ مشهودةٍ ... ولربَّ آياتٍ لها لم تشهدِ

كانت إذا هي في الإمامة نوزعت ... ثم ادعت بك حقَّها لم تجحدِ

رضي الموافق والمخالف رغبةً ... بك واقتدى الغاوي برأي المرشدِ

ما أحرزت قصباتها وتراهنت ... إلا ظهرت بفضلةٍ من سؤددِ

تبعتك عاقدةً عليك أمورها ... وعرى تميمك بعد لما تعقدِ

ورآك طفلا شيبها وكهولها ... فتزحزحوا لك عن مكان السيّدِ

أنفقت عمرك ضائعاً في حفظها ... وعققت عيشك في صلاح المفسدِ

كالنار للساري الهدايةُ والقرى ... من ضوئها ودخانها للموقدِ

من راكبٌ يسع الهموم فؤاده ... وتناط منه بقارح متعوِّدِ ؟

ألف التطوّح فهو ما هددته ... يفري فيا في البيد غير مهدَّدِ

يطوي المياه على الظما وكأنه ... عنها يضلّ ، وإنه للمهتدى

صلب الحصاة يثور غير مودَّع ... عن أهله ويسير غير مزوَّدِ

عدلت جويَّته على ابن مفازةٍ ... مستقربٍ أمم الطريق الأبعدِ

يجري على أثر الدِّراب كأنه ... يمشي على صرحٍ بهنّ ممرَّدِ

يغشى الوهاد بمثلها من مهبطٍ ... وربا الهضاب بمثلها من مصعدِ

قرِّب ، قربت التلاع فإنها ... المناسك مثلها لم يقصدِ

دأبا به حتى تريح بيثرب ... فتنيخه نقضاً بباب المسجدِ

وأحث التراب على شحوبك حاسراً ... وأنزل فعزِّ محمداً بمحمد

وقل : أنطوى حتّى كأنك لم تلدْ ... منه الهدى وكأنه لم يولدِ

نزلت بأمتك المضاعة في ابنك الـ ... مفقود بنت العنقفير المؤيدِ

طرقته تأخذ ما اصطفته ولا ترى ... مكراً وتقتل من نحته ولا تدى

نشكو اليك وقود جاحمها وإن ... كانت تخصك بالملظّ المكمدِ

بكت السماء له وودّت أنها ... فقدت غزالتها ولمّا يفقدِ

والأرض وابن الحاج سدت سبله ... والمجد ضيم فما له من منجدِ

وبكاك يومك إذ جرت أخباره ... ترحا وسمّى بالعبوس الأنكدِ

صبغت وفاتك فيه أبيض فجره ... يا للعيون من الصباح الأسودِ

إن تمس بعد تزاحم الغاشين مهـ ... جوراً بمطرحة الغريب المفردِ

فالدهر الأمُ ما علمت وأهله ... من أن تروح عشيرهم أو تغتدى

ولئن غمزت من الزمان بلينٍ ... عن عجم مثلك أو عضضت بأدردِ

فالسيف يأخذ حكمه من مغفرٍ ... وطلٍ ويأخذ منه سنُّ المبردِ

لو كان يعقل لم تنلك له يدٌ ... لكن أصابك منه مجنون اليدِ

قد كان لي بطريف مجدك سلوةٌ ... عن سالفٍ من مجد قومك متلدِ

فكأنكم - ومدىً بعيدٌ بينكم - ... يوم افتقدتك زلتم عن موعدِ

يا مثكلا أمَّ الفضائل مورثا ... يتماً بنات القاطنات الشُرَّدِ

خلّفتهنّ بما رضينك ناظبا ... ما بين كلّ مرجّزٍ ومقصّدِ

فتحت بهنّ - وقد عدمتك ناقدا - ... أفواه زائفة اللُّهى لم تنقدِ

ورثيت حتّى لو فرقت مميِّزاً ... رائيك من هاجيك لم تستبعدِ

غادرتني فيهم بما أبغضته ... أدعو البيوع الى متاعٍ مكسدِ

أشكو انفراد الواحد الساري بلا ... أنسٍ وإن أحرزت سبق الأوحد

وإذا حفظتك باكيا ومؤبّنا ... عابوا عليك تفجّعي وتلدّدي

أحسنت فيك فساءهم تقصيرهم ، ... ذنب المصيب الى المخير المعضدِ

كانوا الصديق رددتهم لي حُسَّداً ... صلّى الإله على مكثِّر حسَّدي

يغترُّ فيك الشامتون وإنه ... يومٌ هم رهنٌ عليه الى غدِ

وسيسبروني كيف قطع مجرِّدي ... إن كان حزٌّ ولم يعمّق مغمدي

وتثير عارمة الرياح سحائبي ... من مبرقٍ في فضل وصفك مرعدِ

فتقت بذكرك فأرها فتفاوحت ... نعما تأرَّجُ لي بطيب المولدِ

تزداد طولا ما أسترحت فإنني ... أرثيك بعد وحرقتي لم تبردِ

ماءُ الأسى متصبب لي لم يفض ... في صحن خدٌ بالبكاء مخدَّدِ

لو قد رأيت مع الدموع جدوبه ... - فرط الزفير - عجبت للراوي الصّدى

لا غيَّرتك جنائب تحت البلى ... وكساك طيب البيت طيب الملحدِ

وقربت ، لا تبعد ، وإن علالةٌ ... للنفس زورا قولتي لا تبعدِ

وقال يمدح أهل البيت :

بكى النار ستراً على الموقدِ ... وغار يغالطُ في المنجدِ

أحبُّ وصان فورّى هوىً ... أضلُّ ، وخاف فلم ينشد ؟

بعيد الإصاخة عن عاذلٍ ... غنيُّ التفرّد عن مسعدِ

حمولٌ على القلب وهو الضعيف ... صبورٌ عن الماء وهو الصّدى

وقورٌ وما الخرق من حازمٍ ... متى ما يسرح شيبُه يغتدى

ويا قلب إن قادك الغانيات ... فكم رسنٍ فيك لم ينقدِ

أفق فكأني بها قد أمرَّ ... بأفواهها العذب من موردى

وسوَّد ما أبيضَّ من ودّها ... بما بيّض الدهرُ من أسودى

وما الشيب أول غدر الزمان ... بلى من عوائده العوَّدِ

لحا الله حظّي كما لا يجودُ ... بما أستحق وكم أجتدى

وكم أتعلّل عيش السقيم ... أذمم يومي وأرجو غدى

لئن نام دهري دون المنى ... وأصبح عن نيلها مقعدى

ولم آلُ أحمد أفعاله ... فلي أسوةٌ ببني أحمد

بخير الورى وبني خيرهم ... إذا ولد الخير لم يولدِ

وأكرم حيّ على الأرض قام ... وميتٍ توسَّد في ملحدِ

وبيتٍ تقاصر عنه البيوت ... وطال علياً على الفرقدِ

تحوم الملائك من حوله ... ويصبح للوحي دار الندى

ألا سل قريشاً ولم منهم ... من استوجب اللوم أو فنِّدِ

وقل : ما لكم بعد طول الضلا ... ل لم تشكروا نعمة المرشدِ ؟

أتاكم على فترةٍ فاستقام ... بكم جائرين عن المقصدِ

وولّى - حميدا الى ربّه ... ومن سنَّ ما سنَّه يحمدِ

وقد جعل الأمر من بعده ... لحيدر بالخبر المسندِ

وسمّاه مولىً بإقرار من ... لو اتبع الحقُّ لم يجحدِ

فملتم بها - حسد الفضل - عنه ... ومن يكُ خير الورى يحسدِ

وقلتم : بذاك قضى الاجتماع ... ألا إنما الحقُّ للمفردِ

يعزُّ على هاشم والنبيِّ ... تلاعب تيم بها أو عَدِي

وإرث عليٍّ لأولاده ... إذا آية الإرث لم تفسد

فمن قاعدٍ منهم خائف ... ومن ثائر قام لم يسعدِ

تسلَّط بغيا أكفُّ النفا ... ق منهم على سيِّدٍ سيِّدِ

وما صرفوا عن مقام الصلاة ... ولا عنّفوا في بنى المسجدِ

أبوهم وأمهم من علمـ ... ت فأنقص مفاخرهم أو زِدِ

أرى الدِّين من بعد يوم الحسين ... عليلاً له الموت بالمرصدِ

وما الشِّرك لله من قبله ... إذا أنت قست بمستبعـ

وما آل حرب جنوا إنما ... أعادوا الضلال على من بُدِي

سيعلم من فاطمٌ خصمه ... بأيّ نكالٍ غداً يرتدى

ومن ساء أحمد يا سبطه ... فباء بقتلك ، ماذا يدى ؟

فداؤك نفسي ومن لي بذا — ك لو أن مولىً بعبدٍ فدى
وليت دمي ما سقى الأرض منك — يقوت الردى وأكون الردى
وليت سبقت فكنت الشهيد — أمامك يا صاحب المشهدِ
عسى الدهر يشفي غداً من عدا — ك قلب مغيظٍ بهم مكمدِ
عسى سطوة الحقّ تعلو المحال — عسى يغلب النقص بالسؤددِ
وقد فعل الله لكنني — أرى كبدي بعد لم تبردِ
بسمعي لقائمكم دعوةٌ — يلبّي لها كلُّ مستنجدِ
أنا العبد والاكم عقده — إذا القول بالقلب لم يعقدِ
وفيكم ودادي وديني معاً — وإن كان في فارس مولدي
خصمت ضلالي بكم فاهتديت — ولولاكم لم أكن اهتدي
وجردتموني وقد كنت في — يد الشُّرك كالصارم المغمدِ
ولا زال شعري من نائحٍ — ينقّل فيكم الى منشدِ
وما فاتني نصركم باللسان — إذا فاتني نصركم باليدِ

وقال يمدح أهل البيت عليهم السلام، وهي من أول قوله :

سلا من سلا : من بنا استبدلا — وكيف محا الآخر الأولا!
وأيّ هوىً حادث العهد أمـ — ـس أنساه ذاك الهوى المحولا؟
وأين المواثيق، والعاذلات — يضيق عليهنّ أن تعذلا؟
أكانت أضاليل وعد الزما — ن أم حلم الليل ثم انجلى؟
ومما جرى الدمع فيه سؤا — ل من تاه بالحسن أن يسألا
أقول برامة يا صاحبيَّ — معاجاً ـ وإن فعلا ـ: أجملا
قفا لعليل فإن الوقوف — وإن هو لم يشفه عللاً
بغربيّ وجرة ينشدنه — وإن زادنا صلةً منزلا
وحسناء لو أنصفت حسنها — لكان من القبح أن تبخلا
رأت هجرها مرخصا من دمي — على النأي علقاً قديماً غلا
وربّت واشٍ بها منبضٍ — أسابقه الردَّ أن ينبلا
رأى ودّها طللا ممحلا — فلفّق ما شاء أن يمحلا
ويأبى لحسناء إن قبلت — تعرُّضها قمرا مقبلا
سقى الله ليلاتنا بالغويـ — ـر فيها أعلَّ وما أنهلا
حيّاً كلّما أسبلت مقلةٌ — حنيناً له عبرةً أسبلا
وخصَّ، وإن لم تعد، ليلةً — خلت فالكرى بعدها ما حلا
وفى الطيف فيها بميعاده — وكان تعود أن يمطلا
فما كان أقصر ليلي به — وما كان لو لم يزر أطولا
مساحب قصرٌ عنّي المشيـ — ـبُ ما كان منها الصِّبا ذيّلا
ستصرفني نزوات الهمو — م بالأرب الجدُّ أن أهزلا
وتنحت من طرفي زفرةٌ — مباردها تأكل المنصلا
وأغرى بتأبين آل النبـ — ـيّ إن نسب الشعر أو غزّلا
بنفسي نجومهم المخمدات — ويأبى الهدى غير أن تشعلا
وأجسام نور لهم في الصعيـ — ـد تملؤه فيضيء الملا
ببطن الثرى حمل ما لم تطق — على ظهرها الأرض أن تحملا
تفيض فكانت ندىً أبحرا — وتهوي فكانت علاً أجبلا
سل المتحدّي بهم في الفخا — ر، أين سمت شرفات العلا :
بمن باهل الله اعداءه — فكان الرسول بهم أبهلا؟
وهذا الكتاب وإعجازه — على مَنْ؟ وفي بيت مَنْ؟ نزّلا
وبدر وبدر به الدين تـ — ـمّ، من كان فيه جميل البلا؟
ومن نام قومٌ سواه وقام؟ — ومن كان أفقه أو أعدلا؟
بمن فصل الحكم يوم الحنين — فطبّق في ذلك المفصلا؟
مساعٍ أطيل بتفصيلها — كفى معجزا ذكرها مجملا
يمينا لقد سلّط الملحدون — على الحقّ أو كاد أن يبطلا
فلولا ضمانٌ لنا في الطهور — قضى جدل القول أن نخجلا
أألله يا قوم، يقضي النبيُّ — مطاعاً فيعصى وما غسّلا!
ويوصي فنخرص دعوى عليـ — ـه في تركه دينه مهملا!
ويجتمعون على زعمهم — وينبيك سعدٌ بما أشكلا
فيعقب إجماعهم أن يبيـ — ـت مفضولهم يقدم الأفضلا
وأن ينزع الأمر من أهله — لأنّ علياً له أُهِّلا
وساروا يحطّون في آله — بظلمهم كلكلا كلكلا
تدبّ عقارب من كيدهم — فتفنيهم أوّلا أوّلا
أضاليل ساقت مصاب الحسين — وما قبل ذاك وما قد تلا
أميّة لابسةٌ عارها — وإن خفي الثأر أو حصّلا
فيوم السقيفة يا بن النبـ — ـيّ طرّق يومك في كربلا
وغصب أبيك على حقّه — وأمّك حسّن أن تقتلا
أيا راكبا ظهر مجدولةٍ — تخال إذا انبسطت أجدلا
شأت أربع الريح في أربعٍ — إذا ما انتشرن طوين الفلا
إذا وكّلت طرفها بالسما — ء خيل بإدراكها وكّلا
فعزّت غزالتها غرّةً — وطالت غزال الفلا أيطلا
كطيّك في منتهىً واحدٍ — لتدرك يثرب أو مرقلا
فصل ناجيا وعليّ الأمان — لمن كان في حاجةٍ موصلا :
تحمّل رسالة صبٍّ حملت — فناد بها أحمد المرسلا
وحيّ وقل : يا نبيّ الهدى — تأشّب نهجك واستوغلا
قضيت فأرمضنا ما قضيت — وشرعك قد تمّ واستكملا
فرام ابن عمّك فيها سنـ — ـت أن يتقبّل أو يمثلا
فخانك فيه من الغادريـ — ـن من غيّر الحقّ أو بدّلا
الى أن تحلّت بها تيمها — وأضحت بنو هاشم عطّلا
ولما سرى أمر تيم أطا — ل بيت عديّ لها الأحبلا
ومدّت أميّة أعناقها — وقد هوّن الخطب واستسهلا
فنال ابن عفّان ما لم يكن — يظنّ، وما نال بل نوّلا
فقرٌّ، وأنعم عيش يكو — ن من قبله خشناً قلقلا
وقلّبها أردشيريّةً — فحرّق فيها بما أشعلا
وساروا فساقوه أو أوردوه — حياض الردى منهلاً منهلا
ولما امتطاها عليٌّ أخو — ك ردّاً الى الحقّ فاستثقلا
وجاؤوا يسومونه القاتلين — وهم قد ولوا ذلك المقتلا
وكانت هناةٌ وأنت الخصيم — غداً، والمعاجل من أمهلا
لكم آل ياسين مدحي صفا — ووِدّي حلا وفؤادي خلا
وعندي لأعدائكم نافذا — ت قولي ما صاحب المقولا
إذا ضاق بالسير ذرع الرفيق — ملأتُ بهنّ فروج الملا

فواقر من كلّ سهمٍ ، تكون … بـه كـلُّ جارحـةٍ مقـتـلا
وهلّا ونهج طريق النجاة … بكم لاح لي بعد ما أشكلا ؟
ركبت لكم لقمى فاستننت … وكنت أخابطه مجهلا
وفكّ من الشّرك أسرى وكا … ن غلّاً على منكبي مقفلا
أواليكم ما جرت مزنةٌ … وما اصطحب الرعد أو جلجلا
وأبرأ ممن يعاديكم … فإن البراءة أصل الولا
ومولاكم لا يخاف العقاب … فكونوا له في غدٍ موئلا

قال يمدح الوزير زعيم الدين أبا الحسن في النيروز :

بكر العارض تحدوه النُّعامى … فسقاك الرِّيَّ يا دار أُماما
وتمشّت فيك أرواح الصَّبا … يتأرّجن بأنفاس الخزامى
وإذا مغنىً خلا من زائرٍ … بعدما فارق أو زير لماما
فقضى حفظ الهوى أن تصبحي … للمحبّين مناخا ومقاما
أجتدي المزن ، وماذا أربي … أن تجود المزن أطلالاً رماما
وقليلاً فيك أن ادعو لها … ما رآني الله استجدي الغماما
أين سكانك ؟ لا أين هُمُ ! … أحجازاً أقبلوها أم شآما
صدعوا بعد التئام فغدت … بهم أيدي الموامي تترامى
وتبقّوا كلّ حيران بليدٍ … يسأل الجندل عنهم والرُّغاما
يا لواة الدَّين عن ميسرةٍ … والضنينات وما كنَّ لئاما
قد وقفنا قبلكم في ربعكم … فنقضناه استلاما والتزاما
سبعد الراكب تحتثُّ به … جسرةٌ تخلط وهداً وإكاما
تطأ العسف ، فتدمى خفّها … جبهات الأرض شجواً ولطاما
تتنزّى أنفاً في خلقها … أن تطيع السوط أو ترضي الزّماما
تطعم البيد إذا ما هجّرت … ـ شبع البيداء ـ نقياً وسلامى
ماؤها بسلٌّ على أظمائها … أو ترى بالنَّعف هاتيك الخياما
وبجرعاء الحمى قلبي ، فعج … بالحمى فاقرأ على قلبي السلاما
وترجّل فتحدَّث عجبا : … أن قلبا سار عن جسم أقاما !!
قل لجيران الغضا آه على … طيب عيش بالغضا لو كان داما
نصل العام وما ننساكم ، … وقصارى الوجد أن نسلخ عاما
حمّلوا ريح الصَّبا نشركم … قبل أن تحمل شيحا وثماما
وابعثوا أشباحكم لي في الكرى … إن أذنتم لجفوني أن تناما
وقف الظامى على أبوابكم ، … أفيقضي وهو لم يشف أواما ؟
ما يبالي من سقيتنّ اللّمى … منعكنّ الماء عذباً والمداما
واعجبوا من أن يرى الظّلم حلالا … شاربٌ وهو يرى الخمر حراما
أشتكيكم ، وإلى من أشتكي ؟ … أنتم الداء فمن يشفى السّقاما !
أنبتم والدهر سيفٌ وفمٌ … ما تملّان ضرابا وخصاما
كلّما عاتبت في حظّي دهري … زاده العتب لجاجا وعراما
وإذا استرهقت خلّاً فكأني … منه جرّدت على عنقي حساما
لمتُ أيّامي على الغدر فقد … زادت الإجرام حتى لا ملاما
ولزمت الصمت لا أشكو ، وصمتي … بعد أن أفنيت في القول الكلاما
قعد الناس بنصري في حقوقٍ … قعد المجد يبكّيها وقاما
دفع الله وحامي عن رجالٍ … قد رعوني لم يضيعوا لي سواماً
كفّني جودهم أن أجتدي … وأبى عزّهم لي أن أضاما
طلعوا في جنح خلّاتي نجوما … وانتحوا نحو مرامّي سهاما
وأضاءت لي أمانيُّ بهم … عشيت في الناس تيها وظلاما
عرفوا بالجود حتى أصبحوا … من وضوحٍ في سواد الدهر شاما
لم أذمّ حرمةٌ سالفةٌ … في معاليهم ولا عهدا قدامى
ما استفادوا كرما فيّ ولكن … خلقوا من طينة المجد كراما
من رجال لبسوا الملك جديدا … وافتلوا ناصية الدهر غلاما
روّضوا العلياء حتى اقتعدوا … ظهرها الذّروة منه والسّناما
وإذا الأيام غمّت أقبلوها … غررا تقدح في الخطب وساما
ببني عبدالرحيم استحلبت … مُزْنُ الجود وقد كنّ جهاما
أولدوا أمّ الندى فالتقحت … ببنيها بعد أن حالت عقاما
ورثوا أصل العلا فافترعوا … بنفوس ضمنت فيها التّماما
تركوا الناس قعودا للحبى … يشتكون العجز أفواجا قياما
فتحوا باب الندى واستشهدوا … بزعيم الدين إذ كان ختاما
جاء مأموما وقامت آية … فيه دلت أنه جاء إماما
سبق الناس قروما قرّحا … جذع ريض وما عضّ اللجاما
وحوى السؤدد من أطرافه … فكلا جنبيه أيمانا وساما
وانتهى في الفضل من حيث ابتدا … ما تثنّى غصنه حتى استقاما
ورعى الدولة من تدبيره … يقظ العين إذا الذائد ناما
لو رأى الذئبُ قريبا سرحه … لعمي من فرقٍ أو لتعامى
حاطها سيفا ورأيا ولسانا … إن تداهى وتلاحى وترامى
وشفى أدواءها من معشرٍ … قبل طبُّوها فزادوها سقاما
فهو فيها وأخوه وأخوه … يذبلٌ ساند رضوى وشماما
عزمات كالمقادير مضاءً … وقضايا كالأنابيب انتظاما
ويدٌ يرتعد السيف بها … وسماحٌ لقّن الجود الغماما
وسجايا تشرب الصهباء منها … كلّما أرعش رأسا وعظاما
ومعالٍ كملت ، ما تبتغي … لك فيها زائداً إلا الدواما
شرفٌ كان عصامياً فلم … يرض عن كسبك أو صرت عصاما
أنت من جاثيت أيّامي به … وهي خصمٌ فتحامتني احتشاما
وتروّحت من الثقل وقد … حفيت جنباي ضغطا وزحاما
كم يدٍ أرضعتني درّتها … بعد أن قد كنت عوجلت الفطاما
أدركت حالي فكانت بالندى … في ضرام الفقر بردا وسلاما
كنت لي أمتنهم حبل وداد … في الملمّات وأوفاهم ذماما
فعلام ارتجع الإعراض مني … ذلك الإقبال والعطف علاما ؟!!
وكم النسيان ، والشافع لي … يخفر الذّكرة بي والإهتماما
وإذا سحبك عني عبست … فمتى آمل من أرضى ابتساما
والملال المرُّ لم فاجأني … من فتىً كان بحبي مستهاما
ونعم أعذركم فالتمسوا … عذرة المجد إذا ما المجد لاما
وانظروا أيّ جوابٍ للعلا … إن أتت تغضب لي أو تتحامى
فتمنّوا فضلتي وأغتنموا … ما وجدتم من بقاياي اغتناما
واستمدّوها نطافا حلوةً … تنهل الإعراض غزرا وجهاما
تنفض الأرض بأوصافكم … طبق الأرض مسيرا ومقاما
لو أقيمت معجزاتي فيكم … قبلةً صلّى لها الشعر وصاما

أو زقا الأموات يستحيونها ... نشرت بالحسن رمّاتٍ وهاما

فاسمعوها عوّدا وأبقوا لها ... وزراً ما صرف الصبح الظلاما

واستماحت روضةً ربعيّةً ... صبحة النيروز وطفا وركاما

وسعى الوفد يحلّون الحبى ... نحو جمع ويزفون جماما

كلَّ يوم للتهاني عندكم ... سوق ربح في سواكم لن تقاما

وقال وكتب بها الى صديق له :

دع بين جلدي والعظام مكانا ... يسع الغرام ويحمل الأحزانا

وأستبق طرفي ربّما غلط الكرى ... بطروقه فسلكته وسنانا

ما كان ما حمل الوشاة نصيحةً ... ممّن يوثّق ناقلاً بهتانا

عذلوك فيّ فغيروك سريرةً ... ورأيت شيبا فأستحلت عيانا

عذلٌ يرى عدلا ، وجور ذوائب ... سمّوه لي عزا فجّر هوانا

ما عيّرت بالشّيب لوناً لمّتي ... حتى تغيّر صاحبي ألوانا

بيضاء سوّدت الصحيفة عنده ... واستعجلته بوصلها الهجرانا

إن يجتنب منها الهشيم مصوّحا ... فيما اجتنى ريعانها ريحانا

يا من يعيّر في الكرى ويلذّهُ : ... لله أجفانا له أجفانا !!

إن الذين نسوا برامة عهدنا ... سعدوا وأشقانا به أوفانا

ظعنوا فشبت وما كبرت وإنما ... راح الشباب يشيّع الأظعانا

أجد الديار كما عهدت وإنما ... شكواى : أنّي أفقد الجيرانا

يا تاركي أنسَى العناق فراقه ... أشكو إليك الريح والأغصانا

لأن الصّفا يوم الوداع لرحمتي ... لو أن قلب الوادعيّة لانا

يا وحدتي ما أكثر الإخوانا ... نظراً وأكثر فيهم الخوّانا

في كلّ مطرح لحظةٍ حولي أخٌ ... صفوٌ إذا هزّ الغنى الأفنانا

راع معي إبلي ، فإن هي أعجفت ... إبلي تقلّب ، أو يعدن سمانا

إن عضّني ريب الزمان أعانه ... وتراه يأبى ما أصبت زمانا

أشريه في خفض المعيشة غاليا ... ويبيعني في ضنكها مجّانا

ألقاهم عدد الكواكب كثرةً ... حولي وألقى وحدي الحدثانا

كفّر وكن مستثنيا ، إلا إذا ... أقسمت أنك لا ترى إنسانا

كم أسمع الصمّ البلاغة مفهما ... وأرى عجائب فضلي العميانا !

فإن الزمان صحا وصحّ لواحدٍ ... فبطول حملي جهله سكرانا

وقال :

أستنجد الصبر فيكم وهو مغلوب ... وأسأل النوم عنكم وهو مسلوبُ

وأبتغي عندكم قلباً سمحت به ، ... وكيف يرجع شيءٌ وهو موهوبُ ؟

ما كنت أعرف ما مقدار وصلكم ... حتى هجرتم ، وبعض الهجر تأديبُ

أستودع الله في أبياتكم قمراً ... تراه بالشوق عيني وهو محجوبُ

أرضى وأسخط أو أرضى تلوّنه ... وكلّ ما يفعل المحبوب محبوبُ

أمّا وواشيه مردودٌ بلا ظفر ... وهل يجاب وبذل النفس مطلوبُ ؟

لو كان ينصف ما قال : انتظر صلةً ... تأتي غداً ، وانتظار الشيء تعذيبُ

وكان في الحبّ إسعادٌ ومنعطفٌ ... منه ، كما فيه تعنيفٌ وتأنيبُ

يا للرّواتي بغضن الشّيب وهو الى ... خدودهنّ من الألوان منسوبُ

تأبى البياض وتأبى أن أسوّده ... بصبغةٍ وكلا اللونين غريبُ

ما أنكرت أمس منه ناصلاً يققاً ... ما تنكر اليوم منه وهو مخضوبُ

ليت الهوى صان قلبي عن مطامعه ... فلم يكن قطّ يستدنيه مرغوبُ

إني لأسغب زهداً والثرى عممٌ ... نبتاً ، وأظما وغرب الغيث مسكوبُ

ولا أرقّ لحرص خاب صاحبه ... سعياً ، ويعلم أن الرزق مكسوبُ

عقبى الطماعة في مال يمنّ به ... عصارةٌ لا يغطّي خبثها الطّيبُ

طهّر خلالك من خل تعاب به ... وسم وحيداً فما في الناس مصحوبُ

إني بليت بمضطرٍّ رفيقهم ... والماء يملح وقتاً وهو مشروبُ

كم يوعد الدهر آمالي ويخلفها ... أخا أبرّ به ، والدهر عرقوبُ

قال في امير المؤمنين عليه السلام :

هل بعد مفترق الاظعان مجتمع ... ام هل زمان بهم قد فات يرتجع

تحملوا تسع البيداء ركبهم ... ويحمل القلب فيهم فوق ما يسع

مغربين هم والشمس قد ألفوا ... ان لا تغيب مغيبا حيثما طلعوا

شاكين للبين اجفاناً وافئدة ... مفجعين بها امثال ما فجعوا

تخطو بهم فاترات في ازمتها ... اعناقها تحت إكراه النوى خضع

تشتاق نعمان لا ترضى بروضته ... دارا ولو طاب مصطاف ومرتبع

فداء وافين تمشي الوافيات بهم ... دمع دم وحشا في اثرهم قطع

الليل بعدهم كالفجر متصل ... ما شاء والنوم مثل الوصل منقطع

ليت الذين اصاخوا يوم صاح بهم ... داعي النوى ثوّروا صموا كما سمعوا

أوليت ما اخذ التوديع من جسدي ... قضى علي فللتعذيب ما يدع

وعاذل لج اعصيه ويأمرني ... فيهم واهرب منه وهو يتبع

يقول نفسك فاحفظها فأن لها ... حقا وان علاقات الهوى خدع

روّح حشاك ببرد اليأس تسل به ... ما قيل في الحب الا أنه طمع

والدهر لونان والدنيا مقلّبة ... الآن يعلم قلب كيف يرتدع

هذي قضايا رسول الله مهملة ... غدرا وشمل رسول الله منصدع

والناس للعهد ما لاقوا وما قربوا ... وللخيانة ما غابوا وما شسعوا

وآله وهم آل الاله وهم ... رعاة ذا الدين ضيموا بعده ورعوا

ميثاقه فيهم ملقى وأمته ... مع من بغاهم وعاداهم لهم شيع

تضاع بيعته يوم الغدير لهم ... بعد الرضا وتحاط الروم والبيع

مقسّمين بايمان هم جذبوا ... بيوعها وبأسياف هم طبعوا

ما بين ناشر حبل امس ابرمه ... تعد مسنونة من بعده البدع

وبين مقتنص بالمكر يخدعه ... عن آجل عاجل حلو فينخدع

وقائل لي (علي) كان وارثه ... بالنص منه فهل اعطوه أم منعوا

فقلت كانت هنات لست اذكرها ... يجزي بها الله اقواماً بما صنعوا

ابلغ رجالا اذا سميتهم عرفوا ... لهم وجوه من الشحناء تمتقع

توافقوا وقناة الدين مائلة ... فحين قامت تلاحوا فيه واقترعوا

قفوا على نظر في الحق نفرضه ... والعقل يفصل والمحجوج ينقطع

بأي حكم بنوه يتبعونكم ... وفخركم انكم صحب له تبع

وكيف ضاقت على الاهلين تربته ... وللاجانب من جنبيه مضطجع

وفيم صيرتم الاجماع حجتكم ... والناس ما اتفقوا طوعاً ولا اجتمعوا

امر (علي) بعيد من مشورته ... مستكره فيه والعباس يمتنع

وتدعيه قريش بالقرابة والأنصار لا رُفع فيه ولا وُضع

فأي خُلف كخلف كان بينكم ... لولا تلفق اخبار وتصطنع

واسألهم يوم خمّ بعدما عقدوا ... له الولاية لم خانوا ولم خلعوا

قول صحيح ونيات بها نغل … لا ينفع السيف صقل تحته طبع
انكارهم يا امير المؤمنين لها … بعد اعترافهم عاربه ادرعوا
ونكثهم بك ميلا عن وصيتهم … شرع لعمرك ثان بعده شرعوا
تركت امراً ولو طالبته لدرت … معاطس راغمته كيف تجتدع
صبرت تحفظ امر الله ما اطرحوا … ذبأ عن الدين فاستيقظت اذ هجعوا
ليشرقنّ بحلو/اليوم مرّ غد … اذا حصدت لهم في الحشر ما زرعوا
جاهدت فيك بقولي يوم تختصم الأبطال اذ فات سيفي حين تمتصع
ان اللسان لوصّال الى طرق … في القلب لا تهتديها الذبل الشرع
آباي في فارس والدين دينكم … حقا لقد طاب لي اسّ ومرتبع
ما زلت مذ يفعت سني ألوذ بكم … حتى محا حقكم شكي وانتجع
وقد مضت فرطات ان كفلت بها … فرقّت عن صحفي البأس الذي جمعوا
(سلمان) فيها شفيعي وهو منك اذا … الآباء عندك في ابنائهم شفعوا
فكن بها منقذي من هول مطّلعي … غدا وانت من الاعراف مطّلع
سولت نفسي غروراً ان ضمنت لها … اني بذخر سوى حبيك انتفع

وقال من قصيدة :

من عذيري يوم شرقيّ الحمى … من هوى جد بقلبي مزحا
نظرة عادت فعادت حسرة … قتل الرامي بها من جرحا
قلن يستطردن لي عين النقا … رجل جن وقد كان صحا
لا تعدان عدت حيا بعدها … طارحا عينيك فينا مطرحا
قد تذوقت الهوى من قبلها … وارى معذبه قد أملحا
سل طريق العيس من وادي الغضا … كيف اغسقت لنا رأد الضحى
ألشيء غير ما جيراننا … نفضوا نجدا وحلوا الابطحا
يا نسيم الصبح من كاظمة … شدّ ما هجت الجوى والبرحا
الصبا ان كان لا بد الصبا … انها كانت لقلبي اروحا
يا ندامايَ بسلع هل أرى … ذلك المغبق والمصطبحا
اذكروا مثل ذكرانا لكم … رب ذكرى قربت من نزحا
واذكروا صبا اذا غنى بكم … شرب الدمع وعاف القدحا
رجع العاذل عني آيسا … من فؤادي فيكم ان يفلحا
لو درى لا حملت ناجية … رحله فيمن لحاني مالحا
قد شربت الصبر عنكم مكرها … وتبعت السقم فيكم سمحا
وعرفت الهم من بعدكم … فكأني ما عرفت الفرحا
ما لساري اللهو في ليل الصبا … ضل في فجر برأسي وضحا
ما سمعنا بالسرى من قبله … بابن ليل ساءه ان يصبحا
طارق زار وما انذرنا … مرغيا بكرا ولا مستنبحا
صوحت ريحانة العيش به … فمن الراعي نباتا صوحا
انكرت تبديل احوالي ومن … صحب الدنيا على ما اقترحا
شد ما منّى غروراً نفسه … تاجر الآداب في ان يربحا
ابداً تبصر حظاً ناقصا … حيثما تبصر فضلا رجحا
والمنى والظن باب ابداً … تغلق الايدي اذا ما فتحا
قد خبرت الناس خبري شيمي … بخلاء وتسموا سمحا

وقال في امير المؤمنين وولده الحسين عليهما السلام من قصيدة :

جوى كلما استخفى ليخمد هاجه … سنا بارق من ارض كوفان خاطف
يذكرني امشوى (علي) كانني … سمعت بذاك الرزء صيحة هاتف
ركبت القوافي ردف شوقي مطية … تخب بجاري دمعي المترادف
الى غاية من مدحه ان بلغتها … هزأت بأذيال الرياح العواصف
بنفسي من كانت مع الله نفسه … اذا قلّ يوم الحق من لم يجازف
اذا ما عز وادينا فآخر عابد … وان قسموا دنيا فأول عائف
ابا حسن قد انكروا الحق واضحاً … على أنه والله انكار عارف
سلام على الإسلام بعدك انهم … يسومونه بالجور خطة خاسف
وجددها بالطف بابنك عصبة … اباحوا لذاك القرف حكة قارف
ايا عاطشا في مصرع لو شهدته … سقيتك فيه من دموعي الذوارف
سقى غلتي بحر بقبرك انني … على غير إلمام به غير آسف
واهدى إليه الزائرون تحيتي … لأشرف ان عيني له لم تشارف
وعادوا فذروا بين جنبي تربة … شفائي مما استحقبوا في المخاوف
أسر لمن والاك حب موافق … وابدي لمن عاداك سب مخالف
وكم حاسد لي ودّ لو لم يعش ولم … انابله في تأبينكم واسايف
تصرفت في مدحيكم فتركته … يعض عليّ الكف عض الصوارف
هواكم هو الدنيا واعلم أنه … يبيض يوم الحشر سود الصحائف

وقال في آل البيت عليهم السلام :

بآل علي صروف الزمان … بسطن لساني لذم الصروف
مصابي على بعد داري بهم … مصاب الأليف بفقد الأليف
وليس صديقي غير الحزين … ليوم الحسين وغير الأسوف
هو الغصن كان كمينا فهب … لدى كربلاء بريح عصوف
يعز على ارتقاء المنون … الى جبل منك عال منيف
ووجهك ذاك الأغر التريب … يشهّر وهو على الشمس موفي
وأنت وان دافعوك الامام … وكان ابوك برغم الأنوف
تفلل سيف به ضرجوك … لسوّد خزيا وجوه السيوف
أمر بفيّ عليك الزلال … وآلم جلدي وقع الشفوف
أتحمل فقدك ذاك العظيم … جوارح جسمي هذا الضعيف
ولهفي عليك مقال الخبير … انك تبرد حر اللهيف
انشرك ما حمل الزائرون … ام المسك خالط ترب الطفوف
كأن ضريحك زهر الربيع … هبت عليه نسيم الخريف
احبكم ما سعى طائف … وحنت مطوقة في الهتوف

وقال من قصيدة :

هل في الشموس التي تحدى بها العير … قلب الى غير هذا الدين مفطور
أم عند تلك العيون المتبلات لنا … دم على اسهم الرامين محظور
زموا المطايا فدمع مطلق أمن العدوى ودمع وراء الخوف محصور
وفي الخدور مواعيد مسوفة … لم يقض منهن منذور ومنظور
وماطلات ديون الحب تلزمها … ليـاوهن مليات مياسير
يجحدن ما سفكت اجفانهن دما … وقد اقر به خدوا ظفور
يا سائق البكرات استبق فضلتها … على الوريد فظهر العفر معقور
حبساً ولو ساعة تروى بها مقل … هيم وانت عليها الدهر مشكور
فالعيس طائعة والأرض واسعة … وانما هو تقديم وتأخير

تغلسوا من زرود وجـه يـومهـم ... وحـطهم في ظـلال البـان تهجير
وجاذبوا الجزع من وادي الاراك وقد ... تعصبت بـالغروب الأحمر القـور
وضمنوا الليل سلعـا ان رأوه وقد ... غنت عـلى قنتي سلع العصافـير
وكيف لا يستطيب العشب رائدهم ... وكـل واد لهم بـالـدمـع ممـطور
اطبقت جفني على ضوء الصباح لهم ... حفـظا فـما للنهـار فيهـما نـور

موسى الزين شرارة

توفي في بلدة بنت جبيل (جبل عامـل) سنة ١٤٠٦ (١٩٨٦) ودفن فيهـا ترجم نفسه بقلمه فقال فيما قال :

ولـدت سنة ١٩٠٢ م في بلدة بنت جبيـل وفي سنة ١٩٠٨ تـوفي المـرحـوم والـدي وهو في ريعـان شبابـه وبقيت مع الـوالدة التي كنت أغفـو وأستيقظ على نواحها وبكائها الأمر الذي أرهف حسي وجعلني أحس مع كل مصاب وأتألم مع كـل منكوب وأهب لمسـاعدة كـل مظلوم ولكني بـالرغم من هـذا كنت ولا أزال متفائلاً مرحاً أتلقى ضربات الأحداث مهما قست بالبسمة والصبر والثقة بالنفس منشداً :

ولمـا ان رأيـت الـدهـر بـغـيـاً ... إلى حـربي ، بـلا سبب ، تـطوع
لبست لـه متـين الـصبـر درعـاً ... وقلت لـه الا مـا شئت فـاصنـع
فـزد يـا دهـر بـالـنكبـات إني ... اقـابلـهـا بصـدر منـك أوسـع
وجـرد مـا استـطعت من الـرزايـا ... فخصمـك من عـرين الليث امنـع
عـجبت لمن يـطأطىء لـلرزايـا ... ومن يشكـو لـدهـر ليس يسمـع
ومن يخشى ويـرهـب مـسـتـبـداً ... ولمن السـوى الـذي سـواه يـركـع

الذي أذكره من العهد التركي هو ما كان في سنة ١٩١٤ السنة التي توفي بها الشيخ عبد الكريم شرارة ابن الشيخ موسى شرارة العالم الكبير المعروف من الجميع حيث بهذه المناسبة جاءت وفود كثيـرة لبنت جبيل من شتى القـرى والمدن العاملية وكذلك الفلسطينية المجاورة للمشاركة بتشييع الجنازة وتقديم التعزية وقد حضر بهذه المناسبة أيضاً ضابط تركي مع ثلة من الجنود للمحافظة على الأمن وهذا الضابط يدعى « عارف بك الحسن » وهو عربي من طرابلس الشام ـ كما كان يقال في ذلك الوقت ـ وبعد تشييع الجنازة استدعى جميع مخاتير القرى التي كانت موجودة وأمرهم بفض التحارير المغلقة التي كانوا تلقوها من الحكومة وطلبت أن لا تفض إلا بـأمر منهـا وقد تبـين أن مضمونها دعوة « لسفر برلك » أي التجنيد العام وأنه يجب على جميع الذكـور من سن ١٨ إلى سن ٤٠ أن يكونوا بتارخ عينه لهم في قاعدة القضاء ـ وقد كان جبل عامل بذاك الوقت ثلاثة أقضية . قضاء صيدا وصور ومرجعيون ـ لأجل المعاينة والاحصاء وإثبات الوجـود وقد لبى الجميـع الدعـوة وبعد المعاينة جندوا. منهم « الاسكيه » أي « المدربون » وساقوهم فـوراً وسمحوا للباقين بالعودة لقراهم وأن يكونوا تحت الطلب .

لقد وضعتني والدتي عند « الشيخ المحلي » سنة ١٩٠٨ وكنت في السـادسة من عمري فقرأت عليه الاحرف الهجائية وبعدها القرآن الكريم وبعدها الكتابة على « اللوح » واللوح هذا من تنك حيث كان السمكـري يجعل من تنكـة الكاز أربع الواح يبتاعها منه الطلبة ويكتبون عليها بقلم غزار . والمداد كـان من حجر كلسي يسمونه « الفرس » كنا نذيبه في الماء كالكلس ونكتب به وكان الاستاذ أي الشيـخ يكتب لنا سـطراً بأعـلى اللوح « يسميه القـاعدة » والتلميـذ يكتب مثلها فبعـد أن يملأ اللوح يحمله لـلاستاذ الـذي يعاينـه فإذا كـان الخط جيداً والنقـل صحيحاً يقول « عفـارم » وإلا فعلى كـل غلطة ضربة قضيب عـلى يده الصغـيرة والقاعدة هذه غالباً ما تكون بيت شعر .

بعدها انتقلت لمـدرسة شيـخ إيراني لاتعلم الخط الـذي يسمونـه « ديواني » وأكتبه بالخط الصغير وبالحبر .

ثم دخلت المدرسة الحكومية التي انشئت سنة ١٩١٣ . ولم يكن سوى هذه المدرسة بكل منطقة بنت جبيل والذي أذكره أن عدد الطلاب فيها لم يتجاوز المئة طالب أما عدد الاساتذة فهو واحد ، وكان عازباً وفي ذلك الوقت كان لا يوجـد مطعم في البلدة فيفرض كل يوم على عدد معين من التلامذة تأمين طعامه اليومي وبالطبع لم يكن هذا الطعام من نوع واحد فكان عنده طنجرة يضع فيها كل ما يأتيه من طبيخ ويخلطه ويضعه على النار ويأكله .

وبعد المدرسة كان على من يحب الثقافة أن يتابع تحصيله بنفسه وأن يقصـد مجالس رجال الدين حيث كان هؤلاء يتندرون بالشعر ويحفظونه ويروونه ويعنون بالاخبار ويمتحن بعضهم البعض الآخر بقواعد اللغة ويـتراسلون بالاشعـار وقد جذبتني هذه المجالس إليها خصوصاً مجلس الشيخ علي شراره الـذي كان يـرعى نشأتي الأدبية والقى لديه كل تشجيع .

وقد كانت أول قصيدة لي سنة ١٩٢٨ نشرتها في مجلة العرفان وكان عنـوانها « العلم » ومطلعها :

الـعـلم نـور يهـتـدى بسـنـائـه ... لـولاه تـاه الـكـون في ظـلماتـه

وقد ختمتها بعرض حالة الجهل التعيسة في الجنوب فقلت :

عـجـبـاً أراه وقـد تـلألأ نـوره ... وهـدى الأنـام إلى الهـدى بضيائـه
وأهـاب فيـهـم داعيـاً فتجنـدوا ... ومشـوا لحرب الجهـل تحت لوائـه
الّا بـنـو وطـني إذا انـشـاهـم ... في نـوره وثـبـوا إلى اطـفـائـه
والمـطفئـون لـه هـم كـبراؤه ... يـا ويـح هـذا الشعب من كبرائـه
قـد اوصـدوا بـاب العلوم بـوجهـه ... لـيـظل يخبط في ظـلام غـبـائـه
أرأيـت أسـوأ حالـة من موطـن ... أكـبراؤه والـدهـر مـن اعـدائـه
والعلم فـيـه مكـافـح ومـطارد ... كـالفقـر او كـالـداء من زعـمائـه

وقد قادني المشوار الطويل على هذا الطريق إلى مجابهات عديدة كـان أبرزهـا مع احد رجـال الدين الـذي حكم بكفري وسفـك دمي عام ١٩٣٣ أمـا السيد محسن الأمين الذي كان رائداً من رواد الاصلاح فقد رد عـلى الفتوى وصـاحبها رداً عنيفاً .

وقد قلت في هذا الحادث قصيدة منها .

قـالـوا كفـرت فقلت في افعـالكم ... وسخـرت من تضليـل كـل مـدجـل
ايغـري الأنـام بعمـة نسجت عـلى ... نـول الـريـاء لصيد كـل مفضـل
كـبرت قـماشـاً انمـا صغـرت حجى ... فبـدت كـبرج فـوق حبـة خـردل
قسـمـاً بقـدس تـرابهـا لـو انـطقت ... لـتـألمت مـن لمس تـلك الانمـل
قـد كنت اخشـع إن رأيت عـمـامة ... كخشـوع راهبـة أمـام الهيكـل
والآن إن لاحـت أفـرُّ أمـامـهـا ... ذعـراً فـرار طـريـدة من اجـدل

وقد قلت بعد ذلك في إحدى المناسبات الوطنية :

بـلادي يـا جنـان الخلد حسنـاً ... ويـا أرض الـنبـوغ والابـتـكـار
ويـا أم الألى جـلّوا وصـلوا ... بمـيـدان المـكـارم والـفـخـار

ويـا أم الـكـماة بـكـل روع   ويـا غـاب الضيـاغم والضـواري
فـديتـك لا تقـولي راض شعبي   وأسلس لـلهـوان ولـلصـغـار
انـذعـن لـلهـوان ونـرتـضيـه   وفي ايمـانـنـا بـيض الـشـفـار
اذن لـسـنـا الاباة ولا تمـتـنـا   لـيـوث الحـرب من عليـا نـزار
ولا نـحـن لـضيـغـم كـربـلاء   ولا نـحن لـصـاحب ذي الـفـقـار
ولا لأشـاوس يـعـزى الـيـهـم   اباء الـضيـم مـع حفظ الـذمـار

* * *

شـبـاب لـو يـقـاد بـالمـعـي   عـروبي الـشـمائـل والـنـجـار
لمـا زلـت بـه قـدم وبـيـعـت   كـرامـة شعبـه من كـل شـاري
ولـكـن الألى قـادوه كـانـوا   ذيـول الانـتـداب والاحـتـكـار
وعـبـدانـا أرقـاءً صـغـارا   لـكـرسي الـوظـيفـة والـنـضـار
لقـد نحـروه قـربـانـاً سميـنـاً   زكـاةً عـنهـم لـلمـسـتـشـار

وفي الختام قلت :

افـتيـان الحـمى وشـبـاب قـومي   .ومـن بـاتـت محبـتـهـم شـعـاري
أقـول لـكـم وقـول الحـروحـي   وهـا أنـا ذلـك الحـر « الشراري »
بـان العهـد ـ عهـد الجـور ـ امسى   عـلى درب الـزوال والانهـيـار
وإن ذيـولـه بـاتـت فـلولا   وأشـبـاحـاً بـرسـم الاحـتـضـار
الا أبـلغ طـغـمـة بـاعـت بـلادا   وضـحـت بـالـقـرابـة والجـوار
مشى ركـب الشـبـاب وجئت فيـه   احـاسبكـم عـلى ضـوء الـنهـار
فـويـل لـلعمـيـل إذا الـتـقـيـنـا   غـداً ومشى امـام الشعب عـاري

وقلت في احدى المناسبات الاخرى :

نـضـام ونقـذى منهم في ديـارنـا   وان نشتكي قـالـوا عصـوا وتمـردوا
لهم أن يبيـدونـا وأن يفتكـوا بنـا   لهم أن يقـولـوا ابعـدوهم فنبعـد
ولكنهـم لا يستـطيعـون أن نـرى   مـظالمهم تـترى عـلينـا ونـحمـد
فقـولـوا لهم مـنـا شئتم لا يضيرنـا   سـواءُ لـدينـا سخـطهم والتـودد
فـان الـردى اشهى لنـا من معيشـة   يـعـلُّ بهـا وغـد ويخفض سيـد
وقـولـوا لمن بـاعـوا البـلاد برتبـة   وشـادوا صغـاراً بَالـدخيـل ومجـدوا
لـكم دينـكـم فيـما تـرون فـانـي   بـه وبكم دوُن الـبريـة ملحـد .
أأعـطي يـدي للغـاصبين وثـائـر   انـادي وارضى بـالهـوان واخـلد
خـذيني عـزيـزاً يـا منـون ولا أرى   بـلادي عـلى ضيم تبيت وتـرقـد
يـنعـم فيهـا وغـدهـا ودخيلهـا   وكـل ابي عـن حمـاهـا مشرد
متى تنتضي اسـاد « عـامـل » بيضهـا   متى ينجـلي هـذا الـدجى المتلبـد
متى يـرجـع الحق الـسليب لاهله   متى « عـامل » يهنـا ويـرقى ويسعـد

وفي عـام ١٩٣٦ حضر إلى المنطقـة المطران المعـوشي الذي صـار فيـها بعـد كاردينالاً واتفقنا معه عـلى المطالبـة برفـع اسعار التبـغ واعطاء مسـاحات اوسـع للمزارعين وقـد كتبت مظبـطه بهذه المـطالب واودعت منزل الحـاج علي بيصـون ولكن المستشار الفرنسي علم بأمرها فاوعز للدرك في بنت جبيل بمصادرة المضبطة واعتقال الحاج علي وكانت ليلة عاشوراء ، والنـاس مجتمعة في الجـامع الكبـير . جاء من يقول لنا : اعتقلوا الحاج علي فهرع النـاس إلى السراي بتظاهـرة هادرة نهتف ضد الانتداب فأخلى رئيس المخفر سراح الحاج بانتظار وصـول تعزيـزات عسكرية وفعلاً وصل البلدة ليلاً ما يقارب المايتي جندي فطوقوا العدد الكبير من البيوت واعتقلوا ما يقارب الثلاثين من شباب ووجهاء البلدة وقد كـان رد الفعل الشعبي عنيفـاً فتجمهر النـاس أمـام السجن وكـانـوا من أهـالي البلدة والقـرى المجاورة خصوصاً من عيناثا وقد أخذ بعض الشباب ينقب جدار السجن ليخرج السجناء منه وما زالت صورة المرحوم حسن بسـام من عيناثـا أمام نـاظري وهـو يكسر باب السجن ويدعـونا للخـروج تحت وابل الـرصاص الـذي كان يـطلقه الجنود على الجمهور وقد استشهد في هذه الانتفاضة ثلاثة هم : مصطفى العشي .من بنت جبيـل ومحمد جمـال وعقيل دعبـول من عيناثـا وعند المسـاء جرى نقـل المساجين إلى صيـدا فتجمهر النـاس في صيدا تـأييداً لانتفـاضة بنت جبيـل وفي اليـوم الثاني عم الاضراب جميـع مدن وقـرى الجنوب . وخـوفـاً من أن يحـاصر سجن صيدا كما حوصر سجن بنت جبيل من قبل ارتأت سلطات الانتداب نقل المساجين إلى سجن الرمل في بيروت .

وقـد مكثنا في السجن مـدة شهر تقـريباً وقـد أفرج عن المسـاجين لايقـاف انتفاضة كبيرة كانت قـد أخذت تتفـاعل عـلى صعيد جبـل عامـل ولبنان ولـدى خـروجنا من السجن ذهبنـا جميعاً إلى النبـطية حيث جـرى لنا استقبـال حـافـل واحتفـال وطني كبير والقيت هنـاك قصيدة كنت كتبتهـا في سجن الرمـل عنوانها « أنى يكون الليث فهو الغاب » منها :

لا الـسجـن يثنينـا ولا الارهـاب   مـا شئت فاصنـع مـا عليك عتـاب
لا يـطعـمـن بـنـا عـمـيـل غـره   منـا السكـوت ومنكم الالـقـاب
نـحـن الـليـوث فـهـذه أثـارنـا   إمـا جـهـلت وهـذه الاحـسـاب
اسجن وشرد مـا عليك غضـاضة   أنىّ يـكـون الليث فـهـو الـغـاب

ومما قلته في إحدى المناسبات :

لـيس في قـولـك مـعـنى   ان مضى مـن غـير ضـجـه
ان صـوت الحـق يـبـقـى   في فـم الاجـيـال حـجـه
ورخـيص الـقـول يـبـقـى   مـثـل مـاء فـوق ثـلجـه
كـن عـلى الـظالم ذئـبـاً   ومـع المـظلوم نـعـجـه
واجـعـل الـصـدق سـفـيـنـا   ان رأيـت الـكـذب لجـه

وقلت بعد الاستقلال اللبناني :

يقـوَل رفـاقي مـا لصـوتـك خـافتـاً   وكـان بـعهـد الانـتـداب يـلعـلع
فـما خفت بـطش الانتـداب وعنـده   عـدا السجن اسطول وتنـك ومدفـع
وتـرهـب في عهـد لـنـا في بنـائـه   وحـرب اعـاديـه دمـاء وادمـع
وفي ثـورة التحريـر من كـل غـاصب   وطـاغ لـنـا بـاع وكـف واصبـع
سـل السجن تنبيك الغيـاهب كم به   جـرعنـا من الآلام مـا ليس يجرع
ألم يكف الاستئثـار بـالحكم دوننـا   الم يكف مـال كـدسـوه وجمّـعـوا
ألم يكفهم « ابطال تشرين[1] » عنهم   مـع الناس قلنـا وادعينـا كـما ادعـوا
وقلنـا بشـامون[2] عـرين وكلهم   هصـور ـ اذاريع العـرين ـ سميـدع
فلـولاهـم الجـزار لم يخـل ارضنـا   ولا هـي بـاستـقـلالهـا تـتـمـتـع
فما بالهم في عهدهم ـ ويح عهدهم ـ   عن البث حتى والـشكـايـة تمـنـع
فـايـن قـوافيـك الـتي هي ثـورة   تـدك الكـراسي تحتهم وتـزعـزع
رويـدك ان السيـل قـد بلغ الـزبى   ولم يبق في قـوس الـتصـبر منـزع

(١) لقب اطلقه على أنفسهم الذين اعتقلوا سنة ٤٣ في قلعة راشيا .

(٢) قرية في الشوف .

فقلت رفاقي داؤنا اليوم معضل ... فلا نظمنا يجدي ولا النثر ينفع
بنا داء خلق باحتياج لمبضع ... وما عندنا « للخلق » آس ومبضع
وحكام هذا العهد بالاذن منهم ... على عدم الاصغاء للقول اجمعوا
اصموا عن الشكوى الجريئة سمعهم ... فليس سوى المدح المزيف يسمع
فكم شاعر اطراهم لا لأنهم ... كرام وابطال وصيد كما ادعوا
ولا هو غر ليس يدري بأنهم ... هم دمروا أرض المعاد وضيعوا
ولكنه هر لرشح اكفهم ... يموء وفي وصل الوظيفة يطمع
ذليل إذا ما قيل في الصين ظالم ... يطأطيء في لبنان هاماً ويركع
له الويل من يطري أبا لقوم ثائر ... أبيٌ تغنيه القوافي فتبدع
فها هو لبنان الحبيب كما يرى ... على الصحب والانصار فيءٌ موزع
غدا ضرع شاة رغم أنف أباته ... واحراره فيه المحاسيب ترضع
تقاسمه الاقطاع فهو فريسة ... تمزقه ذئبانهم وتقطع
اذلوا بنيه بعد عز فكلهم ... اخو حاجة في بابهم يتسكع
لقد خدعونا والكريم بطبعه ... وأن كان أذكى الناس بالناس يخدع
فقلنا بهم ما لم يقله فرزدق ... ودعبل قدماً بالكرام ومربع
وسرنا وإياهم نعب من المنى ... كؤوساً كصهباء المدام ونكرع
ونبني علالات الأماني رفيعة ... ونغرس آمالاً كباراً ونزرع
غداة لنا « الابواق » قالوا بانهم ... على سحق اعداء التحرر اجمعوا
وان طبول الحرب منهم بقدسنا ... لتطهيرها من غاصبيها ستقرع
فهذي فلسطين ـ بفضل جهادهم ـ ... لاعدائها دار وربع ومرتع
تشرد اهلوها واخلوا مرابعاً ... تبللها منهم دماء وادمع
فللنار أكل دورها وقصورها ... فانى اجلت الطرف قفر وبلقع
« وللتائه المنبوذ » بعد حماتها ... ـ ربوع العلى ـ فيها مقيل ومربع
لقد نال منها فوق ما كان يشتهي ... ويبغي عدوٌ من عدوٍ ويطمع
شفى حقده منها وها هو نحونا ... بمقلة ذئب جائع يتطلع
ونحن ـ بحمد الله ـ ما زال شملنا ... تهدمه اهواؤنا وتصدع
وحكامنا بالرغم مما اصابنا ... وما مثل الاعداء فينا وفظعوا
وبالرغم من عارٍ على الدهر والمدى ... لبسناه برداً ضافياً ليس ينزع
تواصوا ولكن بالخصام فكلهم ... لصاحبه افعى تدب وتلسع
فلم تجمع الشمل المصيبة بينهم ... ولم يسمعوا أن المصيبة تجمع
ولم يذكروا تلك الوعود وقولهم ... لمن طوردوا منا وضيموا وروعوا
وزجوا باعماق السجون كأنهم ... جناة وعبوا كل صاب وجرعوا
غدا ينجلي هذا الظلام وشمسكم ... تلوح ـ كما يهوى الكرام ـ وتسطع
ويصبح كالفردوس لبنان بهجة ... ونحن بها الابرار نجني ونرتع
فراحت قوافينا تشيد بمدحهم ... وتهجو الذي يهجوهم وتقرع
ولكنهم لما دنا الحكم منهم ... وفوق الكراسي في القصور تربعوا
لووا دوننا جيداً وعن ما يسيئنا ... ويشمت اعدائنا بنا ما تورعوا
فعدنا لعهد الانتداب وأهله ... نحن وندعو لو يعود ونضرع
لئن ضاع حر الرأي والقول عنده ... فها هو في « عهد الكرامة » اضيع
وإن رفعت فيه الجواسيس للذرى ... فها هي في عهد « المجاهد » ارفع
وإن شفعت قدماً لديه بخائن ... فها هي في احرارنا اليوم تشفع
فلو دام فينا ما تكشف سترنا ... ولا كثر المهجو بنا والمقرع
ولا أبصر الشعب المغرر أوجهاً ... مشوهة كانت به تتقنع
بدونا لدن ولى بانت عيوبنا ... كوجه دميم كان يخفيه برقع

ومرت له قصيدة رثائية في الصفحة ٣٠١ من المجلد الخامس من هذا الكتاب .

أمير أمين

ولد في دهلي وتوفي في كلكتة سنة ١٢١٧ .

من ادباء الهند : اديب بارع وكاتب عظيم ، له على الأدب الهندي فضل خالد ، وكتابه (باغ وبهار) (١٢١٥) لا يزال يقرأ ويدرس ويطبع . منهجه خطابي وحديثي عام ، خال من الصناعات البديعية ، وهو قصة وفي ذيل القصة اشارات إلى حياة العامة وتقاليد الاسرة وآداب الشيعة ، وقد ترجم إلى عدة لغات اوربية .

ومن مؤلفاته الكثيرة كتاب (كنج خوبي) وهو ترجمة اخلاق محسني الفارسي .

(مير حسن) ، غلام حسن بن مير ضاحك

ولد في حدود سنة ١١٤٠ في دهلي وتوفي سنة ١٢٠١ في لكنو .

اشتهر بمير حسن لذلك ترجمناه في حرف الميم لانه لا يعرف بغير هذا اللقب .

من اشهر شعراء الهند ويعتبر شاعر الغزل والقصيدة والمثنوي ، ولكن لقصته المنظومة رواج خاص وهي مشهورة بسحر البيان ولا مثيل لها في اللغة الاردوية . وصناعة مير حسن هي في حسن لفظها ولطافة معناها وبداعة نسجها . انه حكاية عصره المترف ، انه يحرك صور ما حوله من المرايا الجميلة وحفلات الأمراء ومهرجانات الملوك وحياة قصور السلاطين ، فإذا تطلعت الى مثنويه رأيت الصور المتحركة الناطقة .

وإذا كان الشاعر مير تقي نسيج وحده في الغزل وميرزا (سودا) نسيج وحده في القصيدة فإن مير حسين نسيج وحده في المثنوي (راجع ترجمتي مير تقي ومير سودا في محلها من هذا المجلد) .

(مير) محمد تقي اكبر آبادي

ولد سنة ١١٣٦ وتوفي سنة ١٢٢٥ في لكنو (الهند) .

من الاصطلاحات اللغوية الهندية ما اطلق في فترة من الفترات على اللغة الهندية اسم (الريختة) اي المزيج ويعتبر المترجم شاعر الريختة ، وشعره من نوع السهل الممتنع ، يقرأ ويفهم ويستحسن ، وهو شاعر الغزل الرشيق الرقيق . في شعره انين المغرمين وحنين العشاق ومرارة العيش وألم الحياة ، يؤثر في النفس ويفعل في القلب فيشاركه القاريء اشجانه وآلامه ، ولذا يطلقون على هذا الشاعر لقب (شاعر الآه) اي شاعر التأوه .

في كلياته (اي مجموعة اشعاره) عدا الغزل ، مدائح الأئمة ومراثي الحسين عليه السلام وكل فنون الشعر .

وله كتاب في سيرته الذاتية (ذكر مير) . وكتاب الشعر والشعراء باسم (نكات الشعراء) وهما بالفارسية .

وقد ترجمناه في لقبه الذي اشتهر به (مير) ولا يعرف بغيره .

(ناسخ) ، امام بخش فيض ابادي

ولد حوالي سنة ١٢٠٢ ، وتوفي بلكنو سنة ١٢٥٤ .

من شعراء الهند ، اشتهر بلقبه (ناسخ) لذلك ترجمناه في حرف النون . هو ناسخ منهج المتقدمين ومؤسس اصول المتأخرين ، ناظم لقواعد النظم وقوانين النهجة .

تعمد التخلص من الكلمات الهندوكية والاعتماد على الكلمات العربية والفارسية ، له ديوان كبير مطبوع .

ناصر الدين الشيخ راشد

قال في (انوار البدرين) :

الامام اللغوي الفقيه المتكلم الاديب العالم ابن ابراهيم بن اسحاق البحراني بينه وبين الشيخ أبي جعفر الطوسي كما ذكره شيخنا الشهيد الاول في الاربعين حديثاً في الحديث الثالث ثلاث وسائط وهم السيد ابو الرضي فضل الله الراوندي الحسيني عن أبي الصمصام ذي الفقار الحسيني عن الشيخ الامام أبي علي بن الشيخ أبي جعفر الطوسي عن والده واثنى عليه كثيراً كما ذكرناه وبين شيخنا الشهيد وبينه اربع وسائط وهم السيد شمس الدين أبو عبدالله محمد بن احمد بن أبي المعالي عن الشيخ الصدوق كمال الدين أبي الحسين علي بن الحسين بن حماد الليثي عن الشيخ الفقيه الصالح شمس الدين أبي جعفر محمد بن محمد بن صالح الواسطي عن والده وجمال الدين احمد بن صالح . ولم أقف على تاريخ ولادته ولا شيء من مصنفاته ،قاله شيخنا الشيخ سليمان الماحوزي البحراني . وهو أول من ذكره من علمائهم في فضله وما لم يذكره أيضاً كثير ولا ينبئك مثل خبير ، وقال تلميذه الصالح الشيخ عبدالله بن صالح السماهيجي البحراني في اجازته الكبرى للعالم الفاخر التقي الشيخ ناصر بن محمد الجارودي الخطي التي ننقل عنها كثيراً في هذا الكتاب ، وعن محمد بن احمد عن أبيه عن الشيخ راشد البحراني وكان هذا الشيخ فقيهاً اديباً متكلماً لغوياً ديناً قرأ على العراق واقام بها مدة وقبره في جزيرة النبي صالح من اوال حرست من الوبال في الدار الجنوبية المقابلة للشمال من حضرة النبي صالح انتهى كلامه ، ومثله ما ذكره صاحب اللؤلؤة فيها وفي اجازته للسيد العلامة الطباطبائي بحر العلوم إلا انه زاد فيها ومعه في الدار العلامة ابن متوج البحراني .

قلت : وقد ذكر هذا الشيخ جملة من علماء الرجال في الاجازات وبلغوا في الثناء عليه علماً وعملاً ، وجزيرة النبي صالح التي ذكرها الشيخ عبدالله وصاحب اللؤلؤة هي قرية من قرى البحرين في وسط البحر ذات عيون وانهار ونخيل واشجار وفي طرفها الغربي مقام عظيم ينسب للنبي صالح عليه السلام وفيها جملة من قبور العلماء ولم نعرف وجه النسبة وتعرف هذه الجزيرة ايضاً في بعض الكتب (بجزيرة اكل) بضم الاولين ورأيت في هذه الجزيرة مدرسة كبيرة خرابا تسمى مدرسة الشيخ داوود وينقل اهل هذه الجزيرة انه قتل في بعض الوقائع في تلك المدرسة اربعون أو سبعون عالماً ومشتغلاً كلهم شهداء ولهذا يسمونها الآن بكربلاء .

شاعر في زمانه ورئيس هذه الصناعة في وقته واوانه اخذ عن الفضلاء ولازم الادباء حتى صار لأهل هذه الصناعة سيداً واماماً ولكن حوادث الأهوال الواقعة على (اوال) قد فرقت ما نظم واذهبت منه الجزء الاعظم واني وقت اشتغاله بالعلوم والآداب لم اخرج من الأصلاب فلما من الله عليّ بالابراز من العدم الى الوجود ، والهمني شيئاً من معرفة هذه الصناعة تتبعت اشعاره واستقفيت آثاره فلم اعثر بعد تتبع كثير إلا على شيء يسير فمنه قوله :

ضاق النطاق واحكمت حلقاتها ... فالنفس لا تختار طول حياتها
بلغ الرباسيل الهموم ولا أرى ... من يزجر الايام عن نكباتها
فلذاك خاطبت الزمان وأهله ... بشكاية الشعراء في ابياتها
قد قلت للزمن المضر بأهله ... ومقلب الدولات عن حالاتها
ان كان عندك يا زمان بقية ... مما تهين به الكرام فهاتها

أبو القاسم نصر بن أحمد بن نصر بن مأمون البصري ، المعروف بالخبز أرزي .

قال ابن خلكان أنه توفي سنة ٣١٧ ثم قال : في تاريخ وفاته نظر لأن الخطيب ذكر في تاريخه أن أحمد بن منصور النوشري سمع منه سنة ٣٢٥ .

مر شيء من شعره في الصفحة ٢٠٩ من المجلد العاشر .

كان أمياً لا يتهجى ولا يكتب وكان يخبز خبز الأرز بمربد البصرة في دكان ، وكان ينشد اشعاره المقصورة على الغزل والناس يزدحمون عليه ويتطرفون باستماع شعره ويتعجبون من حاله وأمره . وكان أبو الحسين محمد بن محمد المعروف بإبن لنكك البصري الشاعر المشهور ـ مع علو قدره عندهم ـ ينتاب دكانه ليسمع شعره ، واعتنى به وجمع له ديواناً ، وكان نصر المذكور قد وصل بغداد وأقام بها دهراً طويلاً .

ذكره الخطيب في تاريخه ، وقال قرأ عليه ديوانه ، وروى عنه مقطعات من شعره المعافى بن زكريا الجريري وأحمد بن منصور بن محمد بن حاتم النوشري ، وعد جماعة رووا عنه .

وذكره الثعالبي في كتاب اليتيمة ، وأورد له مقاطيع ، فمن ذلك قوله :

خليليّ هل أبصرتما أو سمعتما ... بأكرم من مولى تمشّى إلى عبد
أتى زائراً من غير وعد وقال لي : ... أجلُّك عن تعليق قلبك بالوجد
فما زال نجم الوصل بيني وبينه ... يدور بأفلاك السعادة والسعد
فطوراً على تقبيل نرجس ناظر ... وطوراً على تعضيض تفاحة الخد

وأورد له أيضاً :

ألم يكفني ما نالني من هواكم ... إلى أن طفقتم بين لاهٍ وضاحك
شماتُكُمُ بي فوق ماقد أصابني ... وما بي دخول النار في طرمالك

وله :

كم أناس وَفَوْا لنا حين غابوا ... وأناس جَفَوْا وهم حضّار
عرضوا ثم أعرضوا واستمالوا ... ثم مالوا وجاوروا ثم جاروا
لا تلمهم على التجني فلو لم ... يتجنبوا لم يحسن الاعتذار

وله :

وكان الصديق يزور الصديق ... لشرب المدام وعزف القيان
فصار الصديق يزور الصديق ... لبثّ الهموم وشكوى الزمان

وقال أحمد بن منصور بن محمد بن حاتم النوشري : أنشدنا أبو القاسم نصر بن أحمد الخبز أرزي لنفسه :

بات الحبيب منادمي ... والسكر يصبغ وجنتيه
ثم اغتدى وقد ابتدا ... صنع الخمار بمقلتيه
وهبت له عيني الكرى ... وتعوضت نظرا اليه

شكراً لإحسان الزما … ن كما يساعدني عليه

ومن شعره :

كم أقاسي لديك قالا وقيلا … وعدات تترى ومطلا طويلا
جمعة تنقضي وشهر يولي … وأمانيك بكرة وأصيلا
إن يفتني منك الجميل من الفعـ … ـل تعاطيت عنك صبراً جميلا
والهوى يستزيد حالا فحالا … وكذا ينسلي قليلا قليلا
ويك لا تأمنن صروف الليالي … إنها تترك العزيز ذليلا
فكأني بحسن وجهك قد صا … حت به اللحية الرحيل الرحيلا
فتبدلت حين بدلت بالنو … ر ظلاما ، وساء ذلك بديلا
فكأن لم تكن قضيبا رطيبا … وكأن لم تكن كثيبا مهيلا
عندها يشمت الذي لم تصله … ويكون الذي وصلت خليلا

وله :

رأيت الهلال ووجه الحبيب … فكانا هلالين عند النظر
فلم أدر من حيرتي فيهما … هلال الدجى من هلال البشر
ولولا التورد في الوجنتين … وما راعني من سواد الشعر
لكنت أظن الهلال الحبيب … وكنت أظن الحبيب القمر

وذكر الخطيب في تاريخ بغداد ، ما مثاله : حكى أبو محمد عبدالله بن محمد الأكفاني البصري ؛ قال : خرجت مع عمي أبي عبدالله الأكفاني الشاعر ، وأبي الحسين بن لنكك ، وأبي عبدالله المفجع ، وأبي الحسن السماك ، في بطالة عيد ، وأنا يومئذ صبي أصحبهم ، فمشوا حتى انتهوا الى نصر بن أحمد الخبز أرزي ، وهو جالس بخبز على طابقه ، فجلست الجماعة عنده يهنونه بالعيد ، ويتعرفون خبره ، وهو يوقد السعف تحت الطابق ، فزاد في الوقود ، فدخنهم ، فنهضت الجماعة عند تزايد الدخان ، فقال نصر بن أحمد لأبي الحسين بن لنكك : متى أراك يا أبا الحسن ؟ فقال له أبو الحسين : إذا اتسخت ثيابي ، وكانت ثيابه يومئذ جدداً على أنقى ما يكون من البياض للتجمل بها في العيد ، فمشينا في سكة بني سمرة ، حتى انتهينا الى دار أبي أحمد بن المثنى ، فجلس أبو الحسين ابن لنكك ، وقال : يا أصحابنا إن نصراً لا يخلي هذا المجلس الذي مضى لنا معه من شيء يقوله فيه ، ويجب أن نبدأه قبل أن يبدأنا ، واستدعى دواة وكتب :

لنصر في فؤادي فرط حب … أنيف به على كل الصحاب
أتيناه فبخرنا بخوراً … من السعف المدخن للثياب
فقمت مبادراً وظننت نصراً … أراد بذاك طردي أو ذهابي
فقال : متى أراك أبا حسين ؟ … فقلت له : إذا اتسخت ثيابي

وأنفذ الأبيات الى نصر ، فأملى جوابها ، فقرأناه فإذا هو قد أجاب :

منحت أبا الحسين صميم ودي … فداعبني بألفاظ عذاب
أتى وثيابه كقتير شيب … فعدن له كريعان الشباب
ظننت جلوسه عندي لعرس … فجدت له بتمسيك الثياب
فقلت : متى أراك أبا حسين ؟ … فجاوبني : إذا اتسخت ثيابي
فإن كان التقزز فيه خير … فلم يكنى الوصي أبا تراب[1]

وحكى الخالديان الشاعران المشهوران في كتاب « الهدايا والتحف » أن الخبزأرزي أهدى الى ابن بزداد والي البصرة فصا ، وكتب معه :

أهديت مالو أن أضعافه … مطَّرحٌ عندك ما بانا
كمثل بلقيس التي لم يَبِنْ … إهداؤها عند سليمانا
هذا امتحان لك إن ترضه … بانَ لنا أنك ترضانا

نصير الدين أبو الحسن ناصر بن مهدي العلوكي الحسني المازندراني الوزير

ذكره ابن الطقطقي في تاريخه قال : هو مازندراني المولود الأصل ، رازي المنشأ ، بغدادي التدبير والوفاة ، كان من كفاة الرجال وفضلائهم واعيانهم ، وذوي الميزة منهم ، اشتغل بالآداب في صباه فحصّل منها طرفاً صالحاً ثم تبصر بأمور الدواوين ففاق فيها .

وكان في ابتداء أمره ينوب عن النقيب عز الدين المرتضى[1] القمي نقيب بلاد العجم كلها ومنه استفاد قوانين الرئاسة . وكان عز الدين النقيب من أماجد العالم وعظماء السادات ، فلما قتل النقيب عز الدين ، قتله علاء الدين خوارزمشاه[2] هرب ولده النقيب شرف الدين محمد وقصد مدينة السلام مستجيراً بالخليفة الناصر ، وصحبته نائبه نصير الدين ابن مهدي . وكان (ابن مهدي) من عقلاء الرجال فاختبره الناصر فرآه عاقلاً لبيباً سديداً فصار يستشيره (كذا) سراً فيما يتعلق بملوك الأطراف فوجد عنده خبرة تامّة بأحوال السلاطين العجم ومعرفة بأمورهم وقواعدهم وأخلاق كل واحد منهم ، فكان الناصر كلما استشار به في شيء من ذلك يجده مصيباً عين الصواب فاستخلصه لنفسه ورتبه أولاً نقيب الطالبيين ثم فوّض إليه أمور الوزارة ، فمكث فيها مدة تجري أموره على أتم سداد ، وكان كريماً وصولاً عالي الهمة شريف النفس . حدث عنه أنه كان يوماً جالساً في دست الوزارة وفي يده قطعة عود كبيرة ، فرأى بعض الصدور الحاضرين وهو يلح بالنظر إليها . فقال : أتعجبك هذه ، فدعا له . فوهبه إياها . وقام الرجل ليخرج ، فلما بعد عن مجلس الوزير استدعاه بسرعة وقال له : أتريد أن تفضحنا وتصدق المثل فينا (بخّره عُرياناً) ؟ ! ثم أمر فخلع عليه ودفع إليه تخت ثياب وقال له : تبخّر في هذه الثياب . ومدحه الأبهري الشاعر الأعجمي بقصيدة مشهورة في العجم . . وأرسلها الأبهري صحبة بعض التجار مع بعض القفول وقال للتاجر : أوصلها إلى الوزير وإن قدرت أن لا تعلمه من قائلها فافعل فلما عرضت القصيدة على الوزير استحسنها وطلب التاجر ودفع إليه الف دينار ذهباً وقال : هذه تسلمها إلى الأبهري ولا تعلمه ممن هي .

وقبض الناصر عليه كارهاً لأمور اقتضت ذلك وكان القبض عليه في سنة أربع وستمائة ، ونقل إلى دار الخلافة فأقام بها تحت الاستظهار على حالة الإرام والمراعاة إلى أن مات تحت الاستظهار في سنة سبع عشرة وستمائة » . وذكره السيد ابن عنبة في عقب زيد بن الحسن ـ ع ـ قال : « ومنهم زيد بن حمزة بن محمد » . من ولده الوزير أبو الحسن ناصر بن مهدي بن حمزة بن محمد بن حمزة (بن) مهدي بن الناصر بن زيد المذكور ، الرازي المنشأ المازندراني المولد . ورد بغداد بعد قتل السيد النقيب عز الدين يحيى بن محمد الذي كان نقيب الريّ وقم وآمل ـ وهو من بني عبدالله الباهر ـ وكان محمد بن النقيب المذكور معه ، وكان الوزير ناصر[3] فاضلاً محتشماً حسن الصورة ، مهيباً فوضت إليه النقابة الطاهرية ثم فوضت إليه نيابة الوزارة فاستناب في النقابة محمد بن يحيى النقيب المذكور ثم كملت له الوزارة وهو الأربعة الذين كملت لهم الوزارة في زمن الخليفة الناصر لدين الله ، ولم يزل على جلالته في الوزارة ونفاذ أمره وتسلطه

---

(١) هو السيد ابو محمد يحيى بن محمد الحسين ذكره ابن الفوطي في الملقبين بعز الدين وقال : « هو النقيب بقم ومازندران وعراق العجم ، وكان كثير الجاه والمال والحشمة » « التلخيص » ٤ : القسم ١ ص ٣٨٤ ، ٣٨٥ » .

(٢) لا بد أن كان سبب قتله النزاع بين الناصر والملك الأحق الآخر وعلاء الدين خوارزم شاه على مدن الجبال ، والظاهر أن النقيب عز الدين كان من أعوان الناصر فتك به ذلك الملك الخارجي .

(٣) في طبعة بمبي « ناصر الدين » وهو خطأ فلقبه نصير الدين واسمه ناصر كما هو معلوم .

(١) [footnote for verse, see p. continuing]

على السادة بالعراق إى أن أحيط بداره ذات ليلة ، فجزع لذلك وكتب كتاباً ثبتاً يحتوي على جميع ما يملكه من جميع الأشياء حتى حلي ثيابه وكتب في ظهره : إن العبد ورد هذا البلد وليس له شيء يلبسه ويركبه وهذا المثبت في هذا الثبت إنما استفدته من الصدقات الإمامة والتمس أن يُصان في نفسه وأهله . فورد الجواب عليه : إننا لم ننقم عليك بما ستره وقد علمنا ما صار إليك من مالنا وتربيتنا وهو موفر عليك . وذكر له أمراً اقتضى له أن يعزل . فسأل أن ينقل إلى دار ليأمن من سعي الأعداء وتطرقهم إليه بشيء من الباطل ، فنقل إلى هناك وبقي في داره مصوناً إلى حين وفاته . وقد قيل في سبب عزله أقوال منها أن الخليفة الناصر القي إليه رقعة ولم يعلم صاحبها وفيها هذه الأبيات[1] :

ألا مبلغ عني الخليفة أحمداً   توقّ وقيت الشرّ ما أنت صانع
وزيرك هذا بين شيئين فيهما   فعالك يا خير البرية ضائع
فان كان حقاً من سلالة أحمد   فهذا وزير في الخلافة طامع
وإن كان فيما دّعي غير صادق   فأضيع ما كانت لديه الصنائع

ومنها أنه كان لا يوفي الملك صلاح الدين بن أيوب ما (له) من الألقاب .

وكان صلاح الدين هو الذي أزال الدولة العبيدية (الفاطمية) من مصر وخطب للخليفة الناصر بالخلافة هناك فيقال إن بعض رسله إلى دار الخلافة لما أنهى ما جاء لأجله قال : عندي رسالة أُمرت أن لا أؤديها إلا مشافهة في خلوة . فلما خلا به قال : العبد يوسف بن أيوب يقبل الأرض ويقول : تعزل الوزير ابن مهدي وإلّا فعندي باب مقفل خلفه قريب من أربعين رجلاً ، أخرج واحداً منهم وأدعو له بالخلافة في ديار مصر والشام . فكان هذا سبب عزل الوزير[2] .

وكان (نصير الدين) جباراً مهيباً وجد ذات يوم رقعة في دواته واستعبرها ولم يعلم من طرحها فإذا فيها شعر :

لا قاتل اللهُ يزيداً ولا   مدّت يد السوء إلى نعله
فانه قد كان ذا قدرة   على اجتثاث العود من أصله
لكنه أبقى لنا مثلكم   أحياء كي يعذر في فعله

فقامت عليه القيامة ، فاجتهد فلم يعرف من ألقاها »[3] .

وقال ابن الأثير في حوادث سنة ٥٩٢ : « وفي شوال منها أثبت نصير الدين ناصر بن مهدي العلوي الرازي في الوزارة » والصحيح نيابة الوزارة ألا تراه قال في حوادث سنة ٦٠٤ في خبر عزله : « كان هذا نصير الدين ناصر بن مهدي العلوي من أهل الريّ من بيت كبير فقدم بغداد لما ملك مؤيد الدين ابن القصّاب وزير الخليفة الريّ ولقي من الخليفة قبولاً فجعله نائب الوزارة ثم جعله وزيراً » . ثم إن هذا مخالف للتاريخ قال ابن الساعي في حوادث سنة ٥٩٧ : « وفي تاسع عشر صفر خلع على نصير الدين أبي الحسن ناصر بن مهدي العلوي الرازي وولي نيابة الوزارة وركب إلى الديوان العزيز وجلس[4] به ونفذ المراسم الشريفة الناصرية ووقع إلى الأطراف » وقال في حوادث السنة المذكورة : « وفي خامس ذي القعدة خرج نصير الدين ناصر بن مهدي المذكور وخرج معه الأمير طاشتكين لاستعراض العساكر وكان على عزم التوجه إلى اليمن لمحاربة إسماعيل ابن سيف الاسلام طغدكين لأنه ادعى أنه أموي وسمى نفسه خليفة فأغناهم الله عن قصده وقصمه وطهر البلاد منه » .

وقال في حوادث سنة ٦٠٢ : « وفي ثاني عشر جمادي الأولى منها أشهد الإمام الناصر لدين الله ـ رضي الله عنه ـ على نفسه الشريفة بالوكالة الجامعة للوزير نصير الدين ناصر بن مهدي ، العدلين أبا منصور ابن الرزاز وأبا نصر بن زهير » وقال : فيها : « وفي ثامن ذي الحجة من السنة خلع على نائب الوزارة نصير الدين ناصر بن مهدي بباب الحجرة الشريفة خلع الوزارة وخرج راكباً من هناك وجميع أرباب الدولة بين يديه رجالة وكذلك الأمراء إلى الديوان العزيز وجلس في دست الوزارة وكتب إنهاءاً وعرضه فبرز الجواب عنه على يد الأستاذ تاج الدين رشيق القادم الخاص فقرأه على الحاضرين وعاد إلى داره » ثم قال في سنة ٦٠٤ : « وفي يوم السبت ثاني عشري جمادي الآخرة من سنة أربع وستمائة المذكورة عزل الوزير نصير الدين أبو الحسن ناصر بن مهدي العلوي ، حضر عنده ليلاً من شافهه بالعزل وأغلق بابه وضرب له الطبل في تلك الليلة بالرحبة جرياً على عادته واحتيط على داره وأبوابه وكذلك دار ولده ركن الدين محمد المقدم ، ذكر عزله (عن صدرية المخزن) ثم نقل هو وأولاده إلى دار بالصاغة من دار الخلافة المعظمة ونقل معه أمواله وأسبابه جميعها وجعل معه غلمان من رجال الدار العزيزة يحفظونه » .

وقال ابن الأثير في حوادث سنة ٦٠٤ تحت عنوان (ذكر عزل الوزير نصير الدين وزير الخليفة) وقد نقلنا بعضه آنفاً : « فلما كان في الثاني والعشرين من جمادي الآخرة من هذه السنة عزل وأُغلق بابه وكان سبب عزله أنه أساء السيرة مع أكابر مماليك الخليفة فمنهم أمير الحاج مظفر الدين سنقر وجه السبع[5] فانه هرب من يديه إلى الشام سنة ثلاث وستمائة ، فارق الحاج بالمرجوم وأرسل يعتذر ويقول : إن الوزير يريد أن لا يبقى في خدمة الخليفة أحد من مماليكه ولا شك أنه يريد أن يدعي الخلافة . وقال الناس في ذلك فأكثروا وقالوا الشعر فمن ذلك قول بعضهم : ألا مبلغ عني الخليفة أحمداً[6] . . . فعزله ، وقيل في سبب ذلك غيره ولما عزل أرسل إلى الخليفة يقول : إنني قدمت إلى هاهنا وليس لي دينار ولا درهم ، وقد حصل لي من الأموال والاعلاق النفيسة وغير ذلك ما يزيد على خمسمائة ألف دينار[7] . ويسأل أن يؤخذ منه الجميع ويمكن من المقام بالمشهد أسوة ببعض العلويين ، فأجابه (الخليفة الناصر : إننا ما أنعمنا عليك بشيء فنوينا إعادته ولو كان ملء الأرض ذهباً ، ونفسك في أمان الله وأماننا ولم يبلغنا عنك ما يستوجب به ذلك ، غير أن الأعداء قد أكثروا فيك ، فاختر لنفسك موضعاً تنتقل إليه موقراً[8] محترماً . فاختار أن يكون تحت الاستظهار من

---

(١) في الكامل لابن الأثير في حوادث سنة ٦٠٤ « قول بعضهم » وفي نسخة ثالية من الكامل خطية « الشعر ليعقوب بن صابر » . وجاء في كتاب الحوادث « ص ١٠ » أنها ليعقوب بن صابر المنجنيقي . قال : « وكان كثير الدخول على الوزير ناصر بن مهدي ثم صار إذا جاء يجلس ظاهر الستر وذكر له أبياتاً وقال : ثم انقطع عنه مدة فلما دخل اليه أنكر عليه انقطاعه ، وذكر له بيتين ، قال : ثم هجاه فقال : « خليلي قولاً للخليفة أحمد » .

(٢) قال مصطفى جواد : لقد عجبت أشد العجب من نقل السيد ابن عنبة هذه القصة المزورة فالسلطان صلاح الدين توفي سنة « ٥٨٩ » باجماع المؤرخين الذين ذكروا سيرته ، وناب نصير الدين ناصر بن مهدي في الوزارة سنة ٥٩٧ كما في الجامع المختصر « ٩ : أي بعد وفاة صلاح الدين بثلاث سنين وكان قرض الدولة الفاطمية على عهد المستضيء والد الناصر لا على عهد الناصر ولم يكن لصلاح الدين من الجرأة أن يقول للناصر ذلك القول فضلاً عن أنه كان يعتقد قطع خطبة الفاطميين وخلافتهم من الأمور الواجبة لأنه كان شافعياً .

(٣) عمدة الطالب « ص ٦٢ ـ ٦٤ طبعة النجف والعجب كيف مرت هذه القصة على السيد محمد صادق آل بحر العلوم المشرف على تصحيح الكتاب ولم ينتبه إلى هذا الغلط التاريخي .

(٤) من العجيب أن عز الدين ابن الأثير ذكر في حوادث سنة ٥٩٢ تثبيته في الوزارة وذلك غير صحيح (الكامل في حوادث سنة ٥٩٢) .

(٥) ذكر ابن الأثير في حوادث سنة « ٦٠٣ » أنه « فيها فارق أمير الحاج مظفر الدين سنقر مملوك الخليفة المعروف بوجه السبع الحاج بموضع يقال له المرجوم ومضى في طائفة من أصحابه إلى الشام وسار الحاج ومعهم الجند فوصلوا سالمين ، ووصل هو إلى الملك العادل أبي بكر ابن أيوب فاقطعه إقطاعاً كثيراً بمصر وأقام عنده إلى أن عاد إلى بغداد سنة ثمان وستمائة في جمادي الأولى فإنه لما قبض على الوزير (ناصر بن مهدي) أمن على نفسه وارسل يطلب العودة فأجيب . . قلنا عزل الوزير بسنة ٦٠٤ فلماذا تأخر رجوعه ؟

(٦) ذكرنا الأبيات آنفاً من عمدة الطالب وأشرنا الى ورودها في كتاب الحوادث .

(٧) في نسخة الكامل المطبوعة المتداولة « خمسة آلاف دينار » وهو غير معقول ولا مقبول فرجعنا إلى النسخة الخطية الأولى فإذا المبلغ كما ذكرناه .

(٨) في النسخة الخطية « موفوراً » وهو الفصيح .

جانب الخليفة لئلا يتمكن منه العدو فتذهب نفسه ، ففعل به ذلك . وكان حسن السيرة قريباً إلى الناس حسن اللقاء لهم والانبساط معهم ، عفيفاً عن أموالهم ، غير ظالم لهم . فلما قبض عاد أمير الحاج سنقر[1] وعاد أيضاً قشتمر »[2] .

وقال سبط ابن الجوزي في حوادث سنة ٦٠٢ : « وفيها استوزر الخليفة نصير الدين ناصر بن مهدي العلوي الحسني وخلع عليه خلعة الوزارة : القميص والدراعة والعمامة وخرج من باب الحجرة فقدم له فرس من خيل الخليفة وبين يديه دواة فيها ألف مثقال ذهب ووراء المهد الأصفر وألوية الحمد وطبول النوبة والكوسات تخفق والعهد منشور بين يديه وجميع أرباب الدولة مشاة بين يديه وضربت الطبول والبوقات له بالرحبة في أوقات الصلوات الثلاث : المغرب والعشاء والفجر . فقال الناس : يا ليت شعرنا ماذا بقّى الخليفة لنفسه » .

وكانت صورة خطاب الوزير ابن المهدي الرسمية « المولى الوزير الأعظم ، الصاحب الكبير المعظم ، العادل المؤيد المظفر ، المجاهد نصير الدين صدر الاسلام ، غرس الامام ، شرف الأنام عضد الدولة مغيث الأمّة ، عماد الملك ، اختيار بالخلافة المعظمة ، مجتبى الأمة المكرمة ، تاج الملوك . سيد صدور العالمين ملك وزراء الشرق والغرب غياث الورى نصير الدين أبو الحسن نصر بن مهدي ، ظهير أمير المؤمنين ووليه المخلص في طاعته الموثوق به في صحة عقيدته » .

وقال أبو الفضائل محمد بن علي الحموي والعهدة عليه في تاريخه في حوادث سنة ٦١١ : « سنة »[2] حادي عشرة وستمائة كان قد تجهّز خوارزم شاه إلى العراق وفيها وصلت رسل خوارزم شاه يطلب الدار ببغداد والخطبة وأن يخاطب بمخاطبة السلجوقية ، ويقال له في الخطبة (قسيم أمير المؤمنين) فما أجيب إلى ذلك ، وأنكر عليه غاية الانكار ، سبب عزل الخليفة لوزيره نصير الدين العلوي أنه كان قد سيّر ثلاثمائة جمل عليها قواصر التمر وأودع كل جمل ألف دينار ، فتعرض لها بعض ولاة الخليفة وطلب شيئاً من ذلك التمر يأكله ، فامتنعُوا عليه من ذلك إلا أنه ألح عليهم ، فأخذ جملين وفتح قوصرة تمر ففرقها على الجماعة وجد الذهب ، ففتح الثانية فوجد كذلك فضبط الجميع وطالع به الخليفة ، فأنكر ذلك عليه وعزله ونقله إلى دار الخليفة هو وأولاده بعد أن أخذ جميع الذي كان له فما وجد إلا القليل لأنه كان قد نقله إلى العجم واستوفينا قصته في البيان » .

وهذا الخبر مضطرب عليه سيما الكذب ويدل على أن هذا المؤرخ كان غامياً بعيداً عن التعقل ، ثم ان الخبر اشبه باخبار العوام منه باخبار المؤرخين الاثبات .

ناصيف النصار

مرت ترجمته في المجلد العاشر الصفحة ٢٠٥ ونزيد عليها هنا ما يأتي :

محاولة محمد علي باشا قهر الدولة العثمانية واكتساح حكمها في بلاد الشام وإقامة حكم مصري عربي على أنقاضه . ونجاحه في ذلك أكثر مما كان يقصد ، إذ تعدى في انتصاراته بلاد الشام وتقدم إلى الأناضول حتى بدا كأن انهيار الدولة العثمانية انهياراً كاملاً بات ذا وقت محدود . لولاً تدخل الانكليز مع مجموعة من الدول الأوروبية وارغامهم محمد علي على التوقف . وعودة جيوشه المظفرة من حيث أتت .

هذه المحاولة سبقتها أخرى نجحت أول أمرها كل النجاح لولا أمر طارىء كما سنفصله :

دخل السلطان سليم القاهرة منهياً الحكم المملوكي الذي كان قائماً في مصر . وخطب باسمه في مساجد القاهرة في ٢٤ كانون الثاني سنة ١٥١٧ ، وخضعت مصر كلها للسيادة العثمانية ، وقام عهد جديد افتتح هو أيضاً بالمماليك ، فإن السلطان غادر مصر في شهر أيلول من العام نفسه واكلاً الحكم فيها إلى خير بك ، من مماليك السلطان الغوري ونائبه في حلب ، وكان تخلّى عن سلطانه وانضم إلى السلطان سليم .

وبعد وفاة خير بك سنة ١٥٢٢ كانت الدولة ترسل لحكم مصر (باشا) عثمانياً . لم يكن ينفرد بالحكم الفعلي بل كان يشاطره المماليك الكثير من شؤونه. إلى أن استطاع هؤلاء المماليك السيطرة سيطرة كاملة على البلاد في عهد علي بك الكبير الذي دخل في صراعات عنيفة مع غيره من المماليك إلى أن استطاع الانفراد بالحكم سنة ١٧٦٣ ولكنه غلب على أمره واضطر إلى الفرار إلى القدس ، ثم إلى عكا حيث توطدت الصلات بينه وبين ظاهر العمر الذي ساعده على العودة إلى مصر ، ثم انقلبت عليه الأمور ثانية واضطر إلى الفرار وملاقاة ظاهر العمر من جديد ، فالعودة إلى مصر سنة ١٧٦٦ .

وهنا حاول علي بك الاستقلال نهائياً في مصر وقطع صلاته بالاستانة والتخلص من السلطة الأسمية التي كانت للدولة على مصر . فطرد الباشا العثماني وامتنع عن دفع الجزية للباب العالي ، ثم ضرب النقود باسمه سنة ١٧٦٨ وأرسل الى صديقه ظاهر العمر يخبره بكل ذلك .

وكان ظاهر العمر في صراع دائم مع العثمانيين إلى أن استأثر بالحكم في عكا . وهكذا اجتمع للصديقين سيطرة كاملة على بلديهما فتحت لهما آفاق المطامع الواسعة .

وإلى جانب ظاهر العمر كان يقيم أمير جبل عامل ناصيف النصار ، وكان أول الأمر في خصام مع ظاهر ثم تحالفا على أعدائهما المشتركين . وناصيف نفسه يتمتع باستقلال في جبله لا يقل عن مثيليه في القاهرة وعكا .

وهنا تم التفاهم بين علي بك الكبير وظاهر العمر على توحيد قواهما بأن تزحف قوى مصر إلى بلاد الشام فتنضم إليها قوى عكا فتتألف مجموعة تستطيع اكتساح بلاد الشام جميعها . وتم التفاهم بين ظاهر العمر وحليفه ناصيف النصار على توحيد قواهما في هذا المعترك ومساهمة جبل عامل في قيام الدولة الجديدة .

الواقع أن نصوص هذه الأحداث قليلة ، والكثير من الموجود يشير إشارات عابرة إلى احداث ضخام . فنحن لا نعلم تفاصيل الخطة التي اعتزم تنفيذها الحلفاء الثلاثة ، ولا تفاصيل ترتيبات التدرج من الكلام إلى الثورة . ولكننا نعلم ، نحو سنة ١٧٦٨ ، ان جهر ظاهر العمر بمطالب صريحة لدى الباب العالي أن يكون له حكم عكا مدة حياته ، ثم لأولاده ، وزاد فطالب بحكم الناصرة وطبرية وصفد وبلاد الجليل .

وكان يطالب بذلك من مركز قوة بعد انتصاره على عثمان باشا والي دمشق ، وكان لهذا الانتصار صدى بالغ عند علي بك الكبير .

(١) ذكر المؤرخ نفسه أن عودته كانت سنة ٦٠٨ لا سنة ٦٠٤ .

(٢) ذكر ابن الأثير مفارقته لخدمة الخليفة سنة ٦٠٣ أيضاً .

ويبدو أن علي بك لما اطمأن إلى مناعة حليفه في بلاد الشام أراد أن ينطلق في ميدان آخر يضمن لـه بسطه في الملك وسعـة في الحكم فاتجهت أنـظاره إلى الحجـاز ، فوجـه إليه في شهـر صفر سنـة ١١٤٨هـ (١٧٧٠م) حملة ناجحـة استطاعت الاستيلاء على الحجاز وإقامة شريف في مكة يأتمر بأمر حاكم مصر هو الشريف عبدالله ، الذي اعطى بماله من سلطة روحية ـ لقب « سلطان مصر وخاقان البحرين » لعلي بك الكبير .

وبعد هذا النجاح أخذ علي بك يتهيأ لحملة بلاد الشام ، وجاء في مخطوط هذا النص : « وكان علي بك عزم على العصيـان للدولة وطمـع في تملك بلاد العرب » . مما يدل على ذيوع أهداف علي بك وانها عمل يؤدي بالاستقلال في البلاد العربية .

وفكر في الاستعانة على تحقيق أهدافه بالأمبراطورة كاترينا امبراطورة روسيا على أن ترسل إليه المهندسين لاستخدامهم في الحصار ، والضباط لتنظيم جيشه تنظيماً حديثاً ، ولكن هذه الفكرة لم تسفر عن شيء عملي .

وأراد علي بك أن يجد المبرر لحملته فأرسل في آذار سنة ١٧٦٧ إلى البـاب العالي يشكو من عثمان باشا والي دمشق محتجاً بأن بعض المصريـين المطرودين استقبلهم عثمان باشا وشجعهم . كما أراد أن يستغل عواطف الشعب الشامي الذي كان يشكو من مظالم عثمان باشا ، فأصدر منشوراً في كانون الأول سنـة ١٧٧٠ يبشر به الشاميين بسعيه لإنقاذهم من الظلم .

وتتشابك الروايات هنا فيبدو من المصادر القديمة المخطوطة أن عثمان باشا والي الشام هو الذي بادر الى تحدي ظاهر العمر ، وربمـا كان ذلـك اتفاقـاً مع الدولة رداً على مطالب ظاهر العمر التي ذكرناها ، وان عثمـان باشـا اتفق مع أمراء الشوف في لبنان وعزموا على غزو ظاهر ، وان هذا أرسل يستنجد بعلي بك وأنه انجده بحملة يقودها اسماعيل بك قوامهـا عشرة آلاف مقـاتل ، طليعـة للحملة الكبرى ، فأرسل ظاهر أولاده فقدموا مع اسماعيل بك إلى عكا ، لكن هذا تباطأ في انجاد ظاهر العمر وتعلل ببعض العلل وكان علي بك جهـز حملة يقودها محمد أبي الذهب زحفت على الشام عبر الصحراء ، كما أرسل سفناً لنقل الميرة من دمياط إلى عكا .

ويقول كتاب « الحملة الفرنسية » بأن عدد الجنـود المصريـين كان أربعـين ألفاً ، ويقول مصدر آخر : « خـرجت العساكـر المصريـة قاصـدة بلاد الشـام يقودها محمد بك أبو الذهب والتقى أولاً بالسناجق المرسلة (بقيادة اسمـاعيل بك) . وجاء أولاد ظاهر العمر ومشايـخ المتاولـة (العامليـين) وانضموا إليـه فصار جيشه ينيف على ستين ألفاً . وهذا المصدر لم يحدد عدد الجنود المصـريين فإذا أخذنا بما جـاء في المصدر الأول يكـون عدد المنضمـين من جنود فلسـطين وجنود جبل عامل عشرين ألفاً .

وتقدم محمد أبو الذهب بحملته المصرية العاملية الفلسطينية طالبـاً دمشق فـاشتبك بقـوى عثمان بـاشا فهـزمهـا ، ثم خيم حـول دمشق ، وأرسـل إلى الدمشقيين كتاباً احضره من علي بك يتضمن ذماً لعثمان باشا واستنصاراً بالدين عليه ، قائلاً أن المذاهب الأربعة افتت بقتالة وان الأمة لا تجتمع على الضلالة فـاستخرنـا الله وسـألنـاه أن ينصر دين محمـد بعـلي (يعني نفسـه) ، فخـرج الدمشقيون إلى أبي الذهب مستأمنين فأمنهم ودخل دمشق في نهاية تشرين الثاني سنة ١٧٧١ وتقدم إلى القلعة وكان جنوده يحاصـرونها فاستسلمت وفـر عثمان باشا إلى حمص .

كان النصر إلى حد ما حاسماً ، إذ استطاع أبو الذهب أن يهزم قوى الدولة متمثلة بعثمـان باشـا ، كما اجتـاز فلسطين ، وأصبـح الطريق مفتـوحاً أمـامه لاستصفاء بلاد الشام كلها .

وهنا حدثت المفـاجأة وكـانت وستظل لغـزاً من الألغاز ، فـإن محمد أبـو الذهب وهو في قمة انتصاره بدلاً من أن يواصل الزحف متوغلاً في سوريا ، إذا هو يعلن الانسحاب إلى مصر واهدار النصر إهداراً كاملاً .

واختلفت الأقوال في أسباب التراجع فنسبة بعضهم إلى تأثير اسماعيل بك قائد الحملة الأولى الذي رفض من أول الأمر القتال مع ظاهر العمر ، وأنه أخذ يخوف أبا الذهب عاقبة الأمر والخروج على السلطان ، وأنه كان يستغل بعض التصرفات ويحذره من ظاهر العمر قائلاً له : « انظر كيف يجلس علي الظاهر في مجلسك كأنه في مجلس بعض الصعاليك » .

ومهما يكن من أمر فإن محمد أبو الذهب انسحب من دمشق وعاد في طريقه التي جاء منها متجهاً إلى مصر .

وأسقط في أيدي الفلسطينيين والعامليين وعاد كل منهم إلى بلاده .

ولسنا الآن في صدد تدوين الأحداث التي وقعت من بعد بين علي بك وأبي الذهب وإنما نكتفي بالقول ، ان عودة أبي الذهب إلى مصر بمثل ما عاد به من الخيانة أدت إلى نشوب صراع بينـه وبين عـلي بك ، كـانت نهايته انهزام عـلي بك ولجوءه مع فريق من جنوده إلى حليفه ظاهر العمر وتعاونهما في فلسطين على قتال العثمانيين . ثم عودته إلى مصر مزود بنجدات من ظاهر العمر ، فتلقاه أبو الذهب وهزمه ، ثم لم يلبث أن مات في ١٥ صفـر سنة ١١٨٧ هـ (١٧٧٣) متأثراً بجراحه التي اصابته خلال المعركة .

أما أبو الذهب فيبدو أن أحلام علي بـك الكبير عـاودته هـو نفسه فـطمع بالاستيلاء على بلاد الشام ، ولكن لا تحالفا مع ظاهر العمر وناصيف النصار ، بل حرباً عليهما ـ فخرج في آذار سنة ١٧٧٥ وتقـدم إلى فلسطين وانتصر عـلى ظاهر العمر في يافا وتقدم نحو عكا فانسحب منها ظاهر متحاشياً الاصطدام بأبي الذهـب . ولم يجد ظاهر ملجأ له إلاّ عند حلفائه العامليين فقصد جبـل عامـل وحل في قلعة هونين ضيفاً على الشيخ قبلان .

وبعـد انتصار أبي الـذهب على الفلسـطينيين بقي أمـامه نـاصيف النصار حليف ظـاهر ، وفي روايـة عاملية ، ان ناصيف قصـد الى عكا متصـلاً بـأبي الذهب وأن أبا الذهب احتفى به وأكرمه . والواقع أنه بعد هزيمة ظاهر العمر لم يكن للعـامليين قبـل بمحاربـة أبي الذهب فكـان لا بد لهم من معـالجـة الأمـر بـالوسـائل السلمية ، ولا ندري حقيقـة ما حـدث في عكا بـين ناصيف وأبي الذهب ، فإن رواية أخرى تقول أن أبا الذهب منع ناصيف من الرجوع إلى أن يأتي جميع الزعماء العامليين .

على أن ما لا شك فيه أن أبا الذهب كان مصمماً عـلى الزحف عـلى جبل عامل سالكاً إليه طريق الحولة وكان لا بد من أعمال الروية والحكمة فـاجتمع كبار علماء الجبل كالسيد أبي الحسن جد آل الامين والسيد فخر الدين العيناتي ، هكذا اسماه المؤرخون ويبدو أنه جد آل فضل الله والشيخ محمد الحانيني والشيخ

الخاتوني والسيد حيدر نور الدين وتداولوا مع ناصيف النصار الأمر ويظهر أنهم رأوا أن يتظاهروا بالشدة وأن يتعاملوا باللين ، فأضرموا في الليل النيران في الجبل المطل على معسكر أبي الذهب في الحولة ، وامتدت النيران من هونين إلى ديشوم ، وأرادوا بإضرامها التظاهر بكثافة الجموع المحتشدة . ثم اعقبوا ذلك بأن توجه ناصيف النصار وحده لا يصحبه إلّا رجل واحد من بيت الحاج من قرية شحور إلى مخيم أبي الذهب ، وتقدم ناصيف إلى « كاخية » أبي الذهب ، وقال له : أنا ناصيف النصار ، وهذا سيفي في عنقي ولا نريد حرباً مع أبي الذهب ، فخذني إليه .

فقال له الكاخية : ان الباشا يموت فاذهب فليس عليك بأس ، فعاد ناصيف ، ومات أبو الذهب ، في ليلته تلك ، وحنطت جثته وأرسلت إلى القاهرة ودفنت في المدرسة التي أنشأها تجاه الأزهر .

وكان العامليون حين علموا بتوجه أبي الذهب إليهم خافوا خوفاً شديداً لضآلة قوتهم أمام قوى أبي الذهب ، وتحسبوا لكل شر وبلاء . وليس أكثر دلالة على ذلك من انهم ارخوا تلك السنة وهي سنة ١١٨٩ هجرية ، بهذه الكلمات : (سم ، هم ، غم) . كما ان احد مؤرخيهم قال يصف الواقع : « أبو الذهب تعب في بسطوته جميع العجم والعرب ، وما أحد إلّا ونزل به الهم والكرب ، وحل بالناس الويل والعطب ، وكل يقول : الهرب ثم الهرب ما دام أبو الذهب لنا بالطلب » .

نصر بن علي بن منصور النحوي الحلي

ابو الفتوح المعروف بالخازن ، كان حافظاً للقرآن المجيد عارفاً بالنحو واللغة . قدم بغداد واستوطنها مدة ، وقرأ على ابن عبيدة وغيره وسمع الحديث على ابي الفرج بن كليب وغيره ولم يبلغ اوان الرواية .

توفي شاباً في الحلة في ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ٦٠٠ ودفن في مشهد الحسين عليه السلام (١) .

نصير الدين بن أحمد بن علي المنازي

مرت ترجمته في الجزء العاشر الصفحة ٢٢١ ونزيد عليها هنا ما يأتي :

ومن شعره قوله :

ودار خراب قد نزلت بها	ولكن نزلت الى ا[illegible] سابعة
فلا فرق بين ان اكون	بها أو أكون على القا[illegible]ة
واخشى بأن اقيم الصلاة	فتسجد حيطانها الراكعة
اذا ما قرأت « اذا زلزلت »	خشيت بأن تقرأ « الواقعة »

(نظير) ، ولي محمد اكبر آبادي

اشتهر بلقبه (نظير) لذلك ترجمناه في حرف النون .

هو شاعر الحياة الشعبية ولسان العامة يصبور مواسمهم واسواقهم واشواقهم ، وشعره منتم إلى افكار الفقراء والمعوزين وطبقاتهم ، لذلك يحبه الناس في الهند وينشدونه في مهرجاناتهم واحتفالاتهم .

نواب صفوي

اسمه السيد مجتبى نواب صفوي

ولد سنة ١٣٤٣ في بلدة خاني آباد الواقعة قريباً من طهران واعدم سنة ١٣٧٥ في طهران . هذا ما قاله احد المصادر عن مكان ولادته ولكن مصدراً آخر قال انه ولد في محلة فقيرة من محلات طهران نفسها وكان ابوه من طلبة العلم ثم اصبح محامياً سجن ايام الشاه رضا بهلوي كما أن مصدراً آخر قال انه ولد في قرية من قرى اصفهان .

دخل مدرسة الصناعة بعد اكمال الدراسة الابتدائية ، وكان خلال دراسته هذه يتابع دراسة اللغة العربية والعلوم الدينية ، وكانت امنيته ان يدرس في النجف الأشرف ولكن أحواله المادية لم تسمح له بذلك ، فذهب إلى الأهواز واشتغل بما تخصص به في مدرسة الصناعة ، ولكن لم تطل اقامته هناك اذ ساهم بمظاهرات وخطب بالمتظاهرين فارادت السلطات القبض عليه فاستطاع الفرار حتى وصل النجف الأشرف وكان احمد كسروي قد جاهر بدعوته الالحادية الهدامة في ايران سواء باحاديثه أو بمطبوعاته ، ووصلت اخباره إلى النجف ، فقرر المترجم العودة إلى ايران لمناوأة كسروي والقضاء عليه فاعتقل واودع السجن ، ثم اطلق سراحه فدخل كلية الشريعة ، ولكنه لم يلبث أن تركها عائداً إلى النجف بعد أن كان قد دبر اغتيال رئيس الوزراء حسين امامي ولبث في النجف مدة يدرس على علمائها ثم عاد الى ايران .

ويبدو ان دعوة كسروي الالحادية هي التي انبتت في ذهنه وجوب ايجاد تنظيم اسلامي واع يرتكز على جماعات متكاتفة تقاوم الدعوات الهدامة وتدعو إلى الاسلام وتحارب الالحاد .

فاتصل أول الأمر بأحمد كسروي والتقى به في عدة جلسات يناقشه ويحاوره فلم يزد د كسروي الا عناداً واسترسالاً في دعايته وبثها في الناس . فصمم المترجم على القضاء عليه ، واستطاع الحصول على ثلثمائة تومان من أحد المؤمنين فاشترى بها مسدساً وترصد لكسروي في أحد المنعطفات حتى إذا مر اطلق عليه النار ولكن الرصاصة اصابت رجله ، ولما رأى المترجم أن كسروي لم يقتل انهال ضرباً بالمسدس على رأسه ووجهه فتجمع عليهما الناس وخلصوه منه ، فقبض على نواب صفوي ونقل كسروي إلى المستشفى . وصدف ان زار وفد حكومي إيراني بعض العلماء في النجف الأشرف فتوسطوا لاطلاق صفوي فنجحت الوساطة واطلق .

ومما يذكر أنه قبل أن يتطوع له متطوع بثمن المسدس لم يكن يملك هذا الثمن ، ولكنه كان مصمماً على اغتيال كسروي فاستطاع ايجاد سيف وترصد لكسروي ثلاثة أيام ولكن صدف أن مرض كسروي ، فكان بعد ذلك ان اشترى المسدس .

ويقول السيد اللواساني الذي كان عضواً في منظمة فدائيان اسلام في حديث له لرسالة الثورة الاسلامية نشرته في العدد السادس سنة ١٤٠٢ (١٩٨٢) ، وبعض معلوماتنا في هذه الترجمة تستند إلى ذلك الحديث ، يقول السيد اللواساني بعد أن ذكر الوقائع المتقدمة (من هنا بدأ هذا التنظيم) ثم ينقل عن لسان صفوي : (لقد فكرت عندما اصدرت أول منشور فتبادر إلى ذهني اسم (فدائيان اسلام) أي ـ فدائيو الإسلام ـ وقد كنت آنذاك وحيداً فريداً ، ولكن بعد ذلك التحق بي الاخوة الراغبون المؤمنون الثوريون وابدوا استعدادهم للتعاون معي في هذا المجال) .

(١) مختصر ابن الساعي .

وكان أول عمل قام به التنظيم أن نجح في اغتيال احمد كسروي ، واهتدت السلطة إلى الفاعلين فاعتقلت (امامي) المنفذ لـلاغتيال ورفـاقاً لـه وسجنتهم تمهيداً لمحاكمتهم والحكم عليهم ، وصدف ان الشاه محمد رضا ارسل وفدا إلى النجف الأشرف ليعزي الحوزة العلمية بـوفاة السيـد ابو الحسن الاصفهـاني ، فاسرع صفوي للاتصال بالسيد حسين القمي الذي كان شبه منفي في العراق ليحمل العلماء على التوسط لاطلاق المعتقلين ونجحت الوساطة فاطلقوا وساعد على اطلاقهم ان الشعب الايراني كان قـد ابدى ضـروب الابتهاج بقتـل احمد كسروي وابدى تضامنه مع منفذي هذا القتل . فرأت السلطات ان في اطلاقهم تقرباً بعلماء النجف ، وارضاء لعواطف الشعب .

ويبدو الغموض فيما يذكره السيد اللواساني هنا : اذ يقول :(وكان الشهيد نواب صفوي في تلك الفترة في النجف الأشرف سيداً شاباً عرف بـين الناس بقاتل كسروي ، وكانوا يعظمونه ويجلونه ويعتزون بصحبته ورفقته) في حين أنه لم يذكر من قبل أن صفوي انتقل إلى النجف بعد قتل كسروي ، وهنا موضع الغموض ، فهل تم القتل والمترجم في طهران ثم انتقل اثر ذلك إلى النجف ، أم تم القتل وصفوي في النجف ، جاءها بعد ترتيب امر الاغتيال .

وفي سنة ١٩٥٣م . وكان أمر التنظيم قد استقر وانتشـرت دعوتـه وعمت شهرته وبدأ يدعـو لمبادئـه الاسلاميـة وينشط في مختلف ميادين العمـل ويتصل بالدعوات خارج ايران ويعقد معها الصلات ، في هذه السنة زار نواب صفوي البلاد العربية لحضور مؤتمر القدس في مدينة القدس وزار سوريـا كما زار مصر بدعوة من الإخوان المسلمين ، وكانت الأمور قد تأزمت بين الاخوان وحكومة الثورة وأوشك الانفجـار بينهما ان يقـع ، وجاء يـوم ١٢ كانـون الثاني ١٩٥٤ فاحتشد الاخوان وطلابهم في حـرم جامعـة القاهـرة للاحتفـال بذكـرى بعض ضحاياهم ، كما حضرت جماعات امن خصـومهم ، واقبل جمهـور من طلاب الاخوان على الاجتماع حاملين نـواب صفوي عـلى الأكتاف ، ثم أوصلوه إلى المنصة حيث خطب في الجماهير وكان موضـوع فلسطين أهم مـا في خطابـه ، فكان جمهور الاخوان يقابـل فقرات خـطابه بهتـافهم التقليدي (الله اكبـر ولله الحمد) فيرد عليهم خصومهم بهتاف (الله أكبر والعزة لمصر) فهاجمهم جمهور الاخوان واشتبكوا معهم وعمت الفوضى وكان هذا الحادث مفتاح الواقعة التي وقعت بين حكومة الثورة والإخوان المسلمين ، إذ قبض عـلى زعمائهم وشـرد رجالهم ، واصبح نواب صفوي ضائعاً في القاهرة إلى أن تسنى له الخروج منها .

وكان قبل وصوله إلى مصر قد لقي كل الحفـاوة في سوريـا وفلسطين أهداف (فدائيان اسلام) فقد عبر عنها نواب صفوي نفسه في حديث له مـع مندوب وكالة (اسوشيتـد برس) الامـريكية حـين سألـه المندوب عن الهـدف الرئيسي للحركة . فأجابه قائلاً : (اننا نعتقد بوجوب نشر العقيدة الاسلاميـة الصحيحة في العالم كله ونعتقد بوجوب تطبيق شريعة الاسلام الكاملة في جميع الدول الاسلامية اننا نعتقد أن التعاليم الإسلامية الصحيحة هي وحدها يمكن أن تنقذ البشرية من الحروب والجرائم وفي سبيل هذه العقيدة بدأنا العمل لكي نجعل من ايران قدوة للعالم المتمدن) .

[illegible]
[illegible]
نعتقد أننا لا يمكن ان نخدم الإسلام إلا [illegible]

هذا الهدف المقدس . ان (فدائيو اسلام) هم اناس اقوياء وشجعان لا يخافون أي شيء في طريق الهدف المقـدس الذي يحملونـه واننا جميعـاً مستعدون للشهـادة . ونستقبلها بفارغ الصبـر إذا كانت من اجـل الله والأمة الاسـلامية . انكم في المستقبل سوف تعرفون صحة هذا الكلام) انتهى .

ويمكن اعتبار نواب صفـوي أول من كتب برنـامجاً مفصـلاً ومتكامـلاً عن الحكـومة الاسـلامية وكـان عمره اذ ذاك ستـة وعشـرين عـامـاً . ويبـدو من النصوص التي بين ايدينا ان التأسيس الفعلي للحركة كان سنة ١٩٤٥م ولم يكن في منهج صفوي الاستناد إلى الوسائل السلمية الكلاميـة في تحقيق اهداف حركته ، بل كان يرى التوسل بكل وسيلة مهما كانت نارية عنيفة ، ويعتقد أن اغتيال رموز النظام واحداً بعد واحد يوهن عـزائم هذا النـظام ويقضي في النهاية عليه . لذلك عمد إلى تدبير اغتيال (هجير) وزير البلاط الشاهاني . وقـد قال منفـذ الاغتيال (حسـين امامي) امـام المحكمة التي تحاكمه (لقد اصبح من الواضح لدينا ـ فدائيان اسلام ـ ان اعمال هجـير وزير البلاط هي اعمال خيانية ضد مصالح الوطن والشعب وضد المصالح الاسلامية وعلى هذا الأساس حكمنا عليه بالاعدام ونفذنا الحكم) .

ثم اغتالوا اللواء (رزم آرا) بعد تشكيله الوزارة لأنهم اعتقـدوا أنه ائتمر بمصـالح الأمـة بعقده اتفـاقية النفط مـع الشركـة البريـطانية (بي ـ بي) ، ولم يحالفهم الحظ في محاولة اغتيال رئيس الوزراء (حسين عـلاء) الذي وقـع على معاهدة السنتو (حلف بغداد) ولكنه حالفهم في اغتيال (حسين علي منصور) رئيس الوزارة التي اقرت الحصانة القضائية للامريكين في ايران .

وبفضـل اتفاقهم مـع الجبهة الـوطنية التي كـان يرئسهـا الدكتـور مصدق ودعمهم لها استطاع مصدق ان يأتي الى الحكم ويشكل حكومة وطنية برئاسته ويقدم على تأميم النفط في ايران . ولكن (الفدائيين) لم يقنعهم تـأميم النفط وحده ، فقد كان طموحهم أن يقيم الحكومة الاسلامية لذلك اختلفوا معه .

ويقول السيد اللواساني : ان الخلاف بين المنظمـة والدكتـور مصدق نشـأ نتيجة لخرق مصدق اتفاقية كانت بينه وبينهم بشأن تطبيق أحكام الإسلام ، إذ كانت المنظمة قد اخذت عهداً من الجبهة الوطنية على تطبيق احكام الإسلام ، وكان الوسيط بين الفريقين السيد ابو القاسم الكاشاني حيث لم تكن المنظمة على اتصال وثيق بالجبهة الوطنية . ثم تم لقاء بين المنظمة والجبهة وتعهد الجبهويون بالالتزام بوعدهم . وبعـد اغتيال (رزم آرا) آخـر رئيس حكومـة قبل مصـدق اضطرت السلطات للالتقاء بنواب صفوي والتشاور معه حول الحكومة الجديدة فأوكل ذلك الى الدكتور مصدق والجبهة الوطنية ، فقامت حكومة مصدق ولكن كـان أكثر وزرائهـا هم وزراء حكومـة (رزم آرا) انفسهم ، ومن هنـا بـدأت الخلافات بين نواب صفوي والدكتور مصدق ثم اشتدت هذه الخلافات برفض موافقة حكومة مصدق على تطبيق أحكام الاسلام وفقاً لما جرى عليه الاتفاق بين الطرفين .

وادى الأمر الى أن حكومة مصدق اعتقلت اعضاء في منظمة فدائيان اسلام ونفتهم إلى الأماكن النائية ثم اعتقلت نواب صفوي نفسه واودعته السجن [illegible]

ويقول اللواساني انه خلال وجود صفوي في السجن حاول الشيوعيون السجناء في السجن نفسه ، ان يقابلوه ويتحالفوا معه في محاربة العدو المشترك (حكومة مصدق) التي كان الشيوعيون في عداء معها ، ولكن صفوي رفض [illegible]

هذا اللقاء ورفض أي بحث في هذا الموضوع وقال (ليس لنا هدف مشترك مع احد ، اننا مسلمون وفي جهاد مستمر مع كل معاد للدين ونحارب على عشر جبهات لوحدنا ، نحن لا نعترف بالهدف المشترك) .

وكان يقول (قد تستفيد روسيا من جهادنا الفعلي في مقاومة اميركا لكن هذا لا يدل على اننا متفقون مع السوفييت نحن في جهادنا مع امريكا نسير وفقاً لاهدافنا ، ونحاول الا يستفيد اعداؤنا الآخرون من هذا الجهاد ، إلا أنه شئنا أم أبينا فإنهم يستفيدون ولو بعض الشيء) .

وكانت نهاية نواب صفوي ومنظمة (فدائيان اسلام) انه بعد انقلاب زاهدي وعودة الشاه إلى طهران ، اخذت السيطرة العسكرية تبسط سلطانها وأخذ الحكم يشدد قبضته على البلاد مدعوماً من القوى الامريكية ، وأخذت السجون تمتلىء بالناس والاعدامات تنفذ ، فقبض على صفوي فيمن قبض عليهم بتهمة الاعداد لاغتيال رئيس الوزراء (علاء) ، وتم القبض عليه بعد فشل عملية الاغتيال وقدم إلى المحاكمة هو وعدد من انصاره واستمرت المحاكمة شهرين حكم في نهايتها عليه وعليهم بالاعدام رمياً بالرصاص .

وصودف ان كان يوم اعدامه يوم ذكرى وفاة النبي صلى الله عليه وآله فاعتبرها الايرانيون مكرمة له .

وقالت جريدة التايمس البريطانية وهي تنشر خبر اعدامه واعدام رفاقه : (باعدام اعضاء فدائيان اسلام ابعد الغرب عن طريقه اخطر عدو عرض مصالح الغرب للخطر في السنين الأربعة الماضية) (انتهى)

اننا ونحن نستعرض حركة نواب صفوي (فدائيان اسلام) ليخطر في ذهننا حركة سبقتها هي حركة حسن البنا (الاخوان المسلمون) في مصر التي نشأت أول امرها صغيرة في مدينة الاسماعيلية سنة ١٩٢٨ ثم اتسعت وامتدت حتى انضم إليها في مصر وحدها مئات الألوف .

وإذا اعتبرنا أن التأسيس الفعلي لفدائيان اسلام يعود تاريخه إلى سنة ١٩٤٥ كانت المدة الفاصلة بين تأسيس الحركتين سبعة عشر عاماً وبالرغم من التشابه وشبه التطابق بين أهداف فدائيان اسلام والاخوان المسلمين ، فلا شك أن نواب صفوي لم يستوح احداً حين خطط لحركته واهدافها ، وان هذا التشابه بين الحركتين ناتج من طبيعة الأهداف التي هي واحدة لكل من يفكر بالدعوة للرجوع إلى الحكم الاسلامي .

ومن التطابق بين خطة كل من الحركتين انها توسلتا السلاح لتحقيق الأهداف ، وصممتا على استعمال القوة لتبديل الحكم . فاغتال الاخوان المسلمون رئيس الوزراء احمد ماهر ثم رئيس الوزراء الآخر محمود فهمي النقرشي كما اغتالوا مدير الشرطة سليم زكي والقاضي احمد الخزندار ، ولم ينجحوا في محاولة اغتيال جمال عبد الناصر .

كذلك فعل فدائيان اسلام فقد اغتالوا أحمد كسروي ، واغتالوا (هجير) وزير البلاط الشاهاني ورزم آرا رئيس الوزراء ولم ينجحوا في محاولة اغتيال رئيس الوزراء (علاء) .

ولكن الشيء الذي اختلفت فيه الحركتان كل الاختلاف هو ان حسن البنا لم يكن مستعجلاً في تحقيق اهدافه فهو لم يقدم على العمل الفعلي الا بعد مضي سنين على تأسيس الحركة وترسيخ قواعدها وانضمام مئات الألوف اليها .

اما نواب صفوي فقد كان مستعجلاً كل الاستعجال ، لذلك اقدم على ما أقدم عليه قبل أن يبلغ المنتمين إلى حركته الألوف لا مئات الألوف ، وقبل أن تنتشر جذورها في كل مكان .

ومن هنا رأينا أن حركة الاخوان إذا كانت تأثرت تأثراً كبيراً باغتيال مرشدها ، لكنها لم تمت لأنها استطاعت أن تجد للمرشد بديلاً ثم بديلاً ثم بديلاً وظلت تعيش شديدة صلبة وإن كانت قد فقدت وهجها السابق .

على العكس من حركة (فدائيان) فقد كان القضاء على رئيسها وبعض مساعديه كافيا للقضاء عليها إلى الأبد ، لأنها لم تكن مستطيعة في المدة القصيرة التي عاشتها ان تعد من يحلون مكان من يرحلون ، ولم تكن قد قدرت في تلك المدة ان تحتوي الجمهور الذي يظل متماسكاً عند الشدائد لقلة عدد ذلك الجمهور تبعاً لقلة عدد السنين التي عاشتها قبل الانقضاض عليها ، ولولا السرعة في ذلك الانقضاض والسرعة في الانهيار ، ولو تأنى نواب صفوي قبل أن يقدم على ما اقدم عليه ولم يتحرك الا بعد ان تكون الأرض قد غدت صلبة تحت قدميه لكان له شأن محلي وعالمي باهر الدوي .

النوار ابنة مالك بن عقرب زوجة خوليّ بن يزيد

بعدما قتل الحسين سرّح عمر بن سعد برأسه من يومه ذلك مع خوليّ بن يزيد وحميد بن مسلم الأزدي إلى عبيدالله بن زياد ، فأقبل به خوليّ فأراد القصر فوجد باب القصر مغلقاً فأتى منزله فوضع الرأس تحت أجانة في منزله .

وقد حدثت زوجته النوار ، قالت : أقبل خوليّ برأس الحسين فوضعه تحت اجانة في الدار ثم دخل البيت فأوى الى فراشه ، فقلت له : ما الخبر ، ما عندك ؟ قال : جئتك بغنى الدهر ، هذا رأس الحسين معك في الدار ، فقلت له : ويلك جاء الناس بالذهب والفضة وجئت برأس ابن رسول الله صلى الله عليه وآله لا والله لا يجمع رأسي ورأسك بيت أبداً . فلما اصبح غدا بالرأس الى عبيدالله بن زياد ، ونصبت له النوار العداوة من ذلك اليوم ، وكانت محبة لأهل البيت عليهم السلام . فلما سيطر المختار على الكوفة وتتبع قتلة الحسين عليه السلام ، أرسل من أحاط بدار خولي ، فاختبأ خولي في بيت الخلاء ووضع على رأسه قوصرة ـ وهي ما يصنع من ورق النخل ليوضع فيه التمر ـ فدخلوا الدار ليفتشوا عليه ، فخرجت امرأته النوار[1] فقالت ما تريدون ؟ فقالوا أين زوجك ؟ فقالت : لا أدري أين هو ، وأشارت بيدها الى بيت الخلاء ، فوجدوه وقد وضع على رأسه القوصرة فأخرجوه وقتلوه .

الشيخ هادي النحوي

مرت ترجمته في الجزء العاشر الصفحة ٢٣٠ ونزيد عليها هنا ما يلي :

ولد في الحلة وفيها تلقى مبادىء العلوم ، وتعاطى نظم الشعر منذ شبابه وله مع ابيه واخيه الرضا مطارحات . ولما توفي والده انتقل هو واخوه الرضا إلى النجف على عهد السيد بحر العلوم ، ثم رجع الى الحلة بعد وفاته وبقي فيها حتى وفاته على أثر مرض الزمه الفراش مدة طويلة وقال في مرضه :

مولاي يا سر الحقائق كم كشفت غطاءها

[illegible]

مـولاي يـا بـاب الـعلو ... م وارضـهـا وسـماءهـا
يـا قـطب دائـرة الـوجـو ... د فـكـم ادرت رحـاءهـا
ويـوم خيبـر قـد حملت ... مـن الالـه لـواءهـا
فكشفت عن وجـه النبي ... محـمـد غـماءهـا
للعبـد عنـدك حـاجـة ... يـرجـو لـديك قضـاءهـا
اودت بـجـسـمـي عـلة ... جـهـل الاسـاة دواءهـا
والـنفس قـد تـلفـت اسى ... واتـتـك تشكـو داءهـا

وله في رثاء الحسين من قصيدة تبلغ ٦٣ بيتاً :

لمن الـظعـائن في اليبـاب المقفـر ... واصلن بين سرى وطـول تهجري
من كـل وافرة الحجاب مصونـة ... للشمس من فـرط الحيـا لم تسفـر
تلك الـظعـائن من بنـات محمـد ... اضحت هـدايـا للدعي الأكبـر
يـا ارض من كيد الـزمان تـزلزلي ... وجـداً ويـا كبـد السماء تفـطري
سفهـا لـرأي اميـة هـلا درت ... مـاذا اتتـه من القبيـح المنكـر
اسـرت كـرائم أحمـد وامـاؤهـا ... قـد عف عنهـا احمـد لم يـأسر
مـا بـالهـا خفـرت ذمـام نبيهـا ... ونبيهـا لـذمـامهـا لم يخفـر
تبـا لهـا قـد صدعت دين الهـدى ... وإلى القيـامـة صـدعـه لم يجبـر
جعلت عـزيـز محمـد وحبيبـه ... نهب المـواضي والوشيـج السمهري
فكبت عن النهج القـويم ببغيهـا ... وتـورطـت في المـأزق المتـوعـر
قـد قـادهـا للشر خبث نجـارهـا ... وخسيس مغـرسهـا ولؤم العنصر
هـدمت قواعـد دين احمد وابتنت ... دين الضـلالـة والـردى والمنكـر
كم تـرب مجـد من سـلالة أحمـد ... في الـتـرب متلول الجبـين معفـر
لله نـسجـدتـه كآسـاد الـشـرى ... من كـل عبل السـاعـدين حـزور
كـل يـرى من عـزمـه في فيلق ... فكـأنـه فـردا يكـر بـعسكـر
بـذلـوا نفـوسهم بمشتجـر القنـا ... دون الامـام ابن الامـام الأطهـر
فتخال من فرط الـطعان نفـوسهم ... أرضا بها نبت الوشيج السمهـري

واليه تنمى الأسرة المعروفة في النجف بآل الشاعر .

السيد هاشم معروف الحسني

ولد سنة ١٩١٩م في قـرية جنـاثا (جبـل عامـل) وتوفي ودفن فيهـا سنة ١٩٨٤م . بـدأ دراسته الأولى في جبـل عامـل ثم انتقل إلى النجف الأشـرف فدرس على علمائه وعاد إلى وطنه . وبعد حين عين قاضياً شرعياً في مدينة صور ثم مستشاراً في المحكمة الشرعية الجعفرية العليا حتى وفاته . له من المؤلفات : ١ ـ عقيدة الشيعة الامامية . ٢ ـ الحديث والمحدثون . ٣ ـ سيرة المصـطفى . ٤ ـ سيرة الأئمة الاثني عشر . ٥ ـ تاريخ الفقه الجعفري . ٦ ـ المبادىء العامة للفقـه الجعفري . ٧ ـ نـظرية العقـد في الفقه الجعفـري . ٨ ـ المسؤوليـة الجزائية في الفقه الجعفري ٩ ـ الولاية والشفعة والاجارة في الفقه الاسلامي ١٠ ـ الوصية والوقف والارث من الاحوال الشخصية في الفقه الاسـلامي ١١ ـ الشيعة بين الاشاعرة والمعتـزلة . ١٢ ـ بـين التصوف والتشيـع ١٣ ـ دراسات في الصحيح للبخاري والكافي للكليني ١٤ ـ اصول التشيع ١٥ ـ من وحي الثورة الحسينية ١٦ ـ صور مشرقة من وحي الاسلام .

وعن كتابه (دراسات في الصحيح للبخاري والكافي للكليني) يقول بعض الباحثين : تعرض المؤلف للمقارنة بين الكتـابين وبـين أوجه الشبـه والافتراق والامتيازات التي يمتاز بها كل منهما عن الآخر ، في دراسة تتسم بالصراحة والتجرد والموضوعية .

وعن كتابه (الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة) يقول باحث آخر : دفاع عن استقلالية الشيعة عن كل من الأشاعرة والمعتزلة ، رداً على خطأ يسـاوي الشيعة بالمعتزلة .

مجد الدين الصاحب هبة الله بن علي

قال اليافعي في (مرآة الجنان) وهو يتحدث عن وفيات سنة ٥٨٣ : فيها توفي مجد الدين الصـاحب هبة الله بن عـلي، ولي استاد دار للمستضيء، ولمـا ولي الناصر رفع منزلته وبسط يده، وكان رافضياً سباباً لما تمكن احيا شعار الأمامية واشتهر بأشيـاء قبيحية فقتـل وأخـذت حـواصله من جملتهـا ألف ألف دينـار (انتهى).

بهذه اللغة يتكلم هذا المؤرخ ويفتري، وليس هو وحيداً في ذلك. وكان قد قال قبل ذلك وهو يتحدث عن أحداث سنة ٥٨٢ : قال محمد بن القادسي فرش الرماد في أسواق بغداد وعلقت المسوح يوم عاشوراء وناح أهل الكـرخ وتعدى الأمر إلى سب الصحابة، وكانوا يصيحون به ما بقي كتمان . وقال غيره: وقعت فتنة ببغداد بين الرافضة والسنية قتل فيها خلق كثير، وكان ذلـك منسوبـاً إلى الصاحب الملقب مجد الدين.

ثم يكمل الكلام عن أحداث السنة نفسها قائلاً: وفيها قتل ابن الصاحب ببغداد فذلت الرافضة.

فهل هما رجلان، أحدهما هو الصاحب، والثاني هو ابن الصاحب، مات الأول كما يدل عليـه ظـاهر كلام اليـافعي؟ أم هما رجـل واحد سمـاه تـارة بالصاحب وتارة بابن الصاحب كما قد يتبادر إلى الذهن؟

ولا يمنع من هـذا ذكره قتل ابن الصاحب، ثم قتل الصاحب، فله في هذا نظائر في أقـواله المتقـدمة، إذ أنـه اعتاد أن يـذكر أخبـار القتل ضمن الأخبـار المتابعة، ثم يذكر أسماء من ماتوا خلال ذكره الوفيات على أن الكتاب مشحون بالأغلاط المطبعية فربما كان هذا من تلك الأغلاط.

السيـد أبو السعـادات هبـة الله بن عـلي بن محمـد بن حمـزة الحسني ، المعروف بابن الشجري ، البغدادي

مرت ترجمته في الصفحة ٢٦٢ من المجلد العاشر ونضيف اليها هنا ما ذكره ابن خلكان :

كان إماماً في النحو واللغة وأشعار العرب وأيامها وأحوالها ، كامل الفضائل ، متضلعاً من الأدب ، صنف فيه عدة تصانيف ، فمن ذلك كتاب « الأمالي » ، وهو أكبر تآليفه وأكثرها إفادة ، أملاه في أربعة وثمانين مجلساً ، وهو يشتمل على فوائد جمة من فنون الأدب ، وختمه بمجلس قصره على أبيات من شعر أبي الطيب المتنبي تكلم عليها وذكر ما قاله الشراح فيها وزاد من عنده ما سنح له وهو من الكتب الممتعة ، ولما فرغ من إملائه حضر إليه أبو محمد عبدالله المعروف بإبن الخشاب المقدم ذكره ، والتمس منه سماعه عليه ، فلم يجبه إلى ذلك فعاداه وردّ عليه في مواضع من الكتاب ونسبه فيها الى الخطأ ، فوقف أبو السعادات المذكور على ذلك الرد ، فرد عليه في رده ، وبين وجوه غلطه ، وجمعه كتاباً وسماه « الانتصار » وهو على صغر حجمه

مفيد جداً ، وسمعه عليه الناسُ ، وجمع أيضاً كتاباً سماه « الحماسة » ضاهى به حماسَةَ أبي تمام الطائي ، وهو كتاب غريب مليح أحسن فيه ، وله في النحو عدة تصانيف « ما اتفق لفظه واختلف معناه » وشرح « اللمع » لإبن جني ، وشرح « التصريف الملوكي » .

وكان حسن الكلام ، حلو الألفاظ ، فصيحاً ، جيدَ البيان والتفهيم ، وقرأ الحديث بنفسه على جماعة من الشيوخ المتأخرين مثل أبي الحسن المبارك بن عبد الجبّار بن أحمد بن القاسم الصيرفي ، وأبي علي محمد بن سعيد بن شهاب الكاتب وغيرهما .

وذكره الحافظ أبو سعيد بن السمعاني في كتاب « الذيل » ، وقال : اجتمعنا في دار الوزير أبي القاسم علي بن طراد الزينبي وقت قراءتي عليه الحديث ، وعلقت عنه شيئاً من الشعر في المدرسة ، ثم مضيت إليه ، وقرأت عليه جزءاً من أمالي أبي العباس ثعلب النحوي .

وحكى أبو البركات عبد الرحمن بن الأنباري النحوي ، في كتابه الذي سماه « مناقب الأدباء » أن العلامة أبا القاسم محمود الزمخشري لما قدم بغداد قاصداً الحج في بعض أسفاره مضى إلى زيارة شيخنا أبي السعادات بن الشجري ، فمضينا معه إليه ، فلما اجتمع به أنشده قول المتنبي :

وأستكثر الأخبار قبل لقائه ... فلما التقينا صَغَّرَ الخبرَ الخُبْرُ

ثم أنشده بعد ذلك :

كانت مسامرة الركبان تخبرنا ... عن جعفر بن فلاح أحسن الخبر
ثم التقينا ، فلا والله ما سمعت ... أذني بأحسن مما قد رأى بصري

قال ابن الأنباري : فخرجنا من عنده ونحن نعجب ، كيف يستشهد الشريف بالشعر والزمخشري بالحديث وهو رجل أعجمي ؟ .

وله شعر حسن فمن ذلك قصيدة يمدح بها الوزير نظام الدين أبا نصر المظفر بن علي ابن محمد بن جهير ، وأولها :

هذي السديرة والغدير الطافح ... فاحفظ فؤادك إنني لك ناصح
يا سِدْرة الوادي الذي إن ضله السـ ... ـاري هداه نَشْره المتفاوح
أهل عائد قبل الممات لمغرم ... عيش تقضّى في ظلالك صالح
ما أنصف الرشأ الضنين بنظرة ... لما دعا مُضْنَى الصبابة طامح
شط المزار به وبُوِّىء منزلا ... بصميم قلبك فهو دانٍ نازح
غصن يعطفه النسيم وفوقه ... قمر يحف به ظلام جانح
وإذا العيون تساهمته لحاظها ... لم يرو منه الناظر المتراوح
ولقد مررنا بالعقيق فشاقنا ... فيه مراتع للمها ومسارح
ظلنا به نبكي فكم من مضمر ... وجداً أذاع هواه دمعٌ سافح
بَرَتِ السنونَ رسومها فكأنما ... تلك العراصُ المقفرات نواضح
يا صاحبيّ تأملا حييتما ... وسقى دياركما الملِثُّ الرائح
أدمى بدت لعيوننا أم ربرب ... أم خُرَّد أكفالهن رواجح
أم هذه مقل الصّوار رَنَتْ لنا ... خلل البراقع أم قنا وصفائح
لم يبق جارحة وقد واجهننا ... إلا وهن لها بهن جوارح
كيف ارتجاع القلب من أسْر الهوى ... ومن الشقاوة أن يراض القارح
لو بله من ماء ضارج شربة ... ما أثرت للوجد فيه لواقح

ومن ههنا يخرج الى المديح فأضربت عنه خوف الإطالة ، ولم يكن المقصود إلا إثبات شيء من نظمه ليستدل به على طريقته فيه .

ومن شعره أيضاً :

هل الوجد خاف والدموع شهودُ ... وهل مكذب قول الوشاة جحودُ
وحتى متى تُفْنى شئونك بالبكا ... وقد حد حَداً للبكاء لبيد
وإني وإن خَفّت قناتيَ كبرة ... لذو مرة في النائبات جليد

وكان بين أبي السعادات المذكور بين أبي محمد الحسن بن أحمد بن محمد ابن جكينا البغدادي الحريمي الشاعر المشهور تنافُسٌ جرت العادة بمثله بين أهل الفضائل ، فلما وقف على شعره عمل فيه قوله :

يا سيدي والذي يعيذك من ... نظم قريض يصدا به الفكر
ما لك من جدك النبي سوى ... أنك ما ينبغي لك الشعر

وشعره وماجرياته كثيرة وكانت ولادته في شهر رمضان سنة خمسين وأربعمائة .

ورام بن ابي فراس الحلي(1)

ابو الحسين ورام بن أبي فراس عيسى بن أبي النجم بن حمدان بن خولان .

وهو من بيت رفيع من الأكراد الجاوانيين الحليين المستعربين . والجد الأعلى لهذا البيت هو الأمير ورام الكردي الجاواني ، وقد انجب هذا البيت رجالاً تولوا اعمالاً عسكرية وادارية مثل الأمير ابي الهيج بدالله بن الحارث بن ورام(2) ممدوح ابن جيا الشاعر الحلي ، ومثل الأمير ابن مجير الدين جعفر أخي المترجم وابن اخيه حسام الدين بن جعفر .

ان للوراميين مصاهرة مع الأمراء المزيديين ومع بعض الأسر العلمية ، فقد كان أبو النجم جد المترجم ابن خال الأمير سيف الدولة المزيدي ، وكان الشيخ ابو جعفر الطوسي متزوجاً بنت مسعود بن ورام ، وكانت ام السيد رضي الدين بن طاووس بنت ورام ، وهي تنتهي بالنسب من جهة الأم إلى الشيخ أبي جعفر الطوسي من زوجته بنت مسعود بن ورام ، وكذلك ام ابن ادريس الحلي ينتهي نسبها من قبل الأم إلى الشيخ الطوسي من زوجته بنت مسعود بن ورام .

نشأ المترجم أول الأمر على طريقة أهل بيته فتربى تربية عسكرية ، وصار اميراً من الأمراء العسكريين ، ثم ترك سلك الجندية وزهد في الدنيا وانصرف إلى الدراسة والعلم .

قال ابن الساعي في المختصر : ابو الحسن ورام بن أبي فراس الحلي شيخ زاهد متعبد ، كان أولاً جندياً على طريقة سوية ، فهداه الله تعالى إلى التوبة والانابة فتحرك جميع ما كان فيه ولزم باب الله عز وجل وانعكف على الخير والعبادة وقراءة القرآن المجيد ومداومة الصوم وكثرة الصلاة نافلة ، معظم في اعين الناس وصار تقصده الأكابر للتبرك به ، توفي يوم الجمعة وحمل الى الكوفة فدفن في مشهد علي عليه السلام (3) .

(1) بقلم الشيخ يوسف كركوش في كتابه (تاريخ الحلة) .
(2) قال الدكتور مصطفى جواد في حاشيته على مختصر تاريخ ابن الديثي انه من الأمراء الوراميين الأكراد المستعربين النازلين في الحلة مع بني اسد .
(3) يوجد في الحلة بمحلة الأكراد قبر يعرف بقبر الشيخ ورام . وقد جدد بناءه الحاج عباس مرجان سنة

وقال فيه منتجب الدين : شاهدته بالحلة فوافق الخبر الخبر اهـ يروي الشهيد عن محمد بن جعفر المشهدي عنه . له من المؤلفات (تنبيه الخواطر ونزهة الناظر) قال عنه صاحب امل الآمل ان فيه الغث والسمين . وكتاب (المجموعة) وهو فى الاخلاقيات لطيف مشهور مشتمل على احاديث جمة وردت في مراتب الموعظة الحسنة والحكمة عن أهل بيت العلم والمعرفة لكنها في الاغلب من المقطوعات والمراسيل ، او من جملة كلمات من ليس عليهم التعويل [1] .

وقال ابن الأثير في الكامل : توفي سنة ٦٠٥ بالحلة العالم الزاهد ورام بن أبي فراس ، ولم يذكر ابن الأثير مكان دفنه .

يحيى بن محمد القرشي

قال اليافعي في الجزء الرابع من كتابه (مرآة الجنان) وهو يتحدث عن وفيات سنة ٦٦٨ :

فيها توفي قاضي القضاة أبو الفضل يحيىٰ ابن قاضي القضاة أبي المعالي محمد ابن قاضي القضاة أبي الحسن ابن قاضي القضاة منتجب الدين القرشي الدمشقي الشافعي، تفقه على الفخر ابن عساكر وولي قضاء دمشق مرتين وكان صدراً معظماً معروفاً بالفضائل.

وقال الذهبي له في ابن العربي عقيدة تجاوز حد الوصف. قال وكان يفضل علياً على عثمان ثم نسبه إلى التشيع، وجعل التفضيل المذكور كالعلة لتشيعه

قلت وهذا من الذهبي العجب العجاب، أما علم أن جماعة من أكابر أئمتنا المحققين ذهبوا إلى تفضيل علي على عثمان، منهم الأئمة الأجلة سفيان الثوري ومحمد بن إسحاق والحسين بن الفضل، بل هو منسوب إلى أهل الكوفة قاطبة، ولهذا قال الإمام سفيان الثوري لما سئل عن اعتقاده في ذلك: أنا رجل كوفي. وقد أوضحت رجحان الدليل على هذا في كتاب (المرهم) في الأصول وأن علياً رضي الله عنه اجتمع فيه من الفضائل في آخر عمره ما لم يكن في أوله، وقد قدمت قصيدة ذكرت فيها التفضيل المذكور والإشارة إلى فضائل الكل منهم رضي الله تعالى عنهم في ترجمة علي كرم الله وجهه. ولكن لو نسب إلى التشيع بسبب ما ذكر عنه في تاريخه من أنه هو القائل البيتين اللذين ذكرهما في كتابه ونسبهما إليه كان أنسب إذ في ذلك التصريح أن علياً رضي الله تعالى عنه هو الوصي حيث قال:

أدين بما دان الوصي ولا أرى ... سواه وإن كانت أمية محتدي
ولو شهدت صفين خيلي لأعذرت ... وساء بني حرب هنالك مشهدي

يزدن الأمير القائد التركي

قال ابن الجوزي في المنتظم : كان من كبار الأمراء وتحكم في هذه الدولة وتجرد للتعصب فانتشر بسببه الرفض وتأذى أهل السنة ، فمرض اياماً بقيام الدم وتوفي في ذي الحجة من هذه السنة (٥٦٨) ودفن في داره بباب العامة ثم نقل الى مقابر قريش .

وذكر ابن الأثير في حوادث سنة٥٦٢ وفاة قماج المسترشدي والد الأمير يزدن قال : وهو من اكابر الأمراء ببغداد ، كما ذكر وفاة يزدن ، قال : وفيها يعني سنة ٥٦٨ ـ توفي الأمير يزدن وهو من كبار امراء بعداد وكان يتشيع ، فوقع بسببه فتنة بين السنة والشيعة بواسط[1] لأن الشيعة جلسوا للعزاء واظهر السنة الشماتة به . فآل الأمر الى القتال ، فقتل بينهم جماعة ، ولما مات اقطع اخوه تنامش ما كان لاخيه وهي مدينة واسط ولقب علاء الدين .

وذكر ابن الأثير حوادث سنة٥٦٨ خروجه الى حرب بني حزن المفسدين بالعراق ، وكان له دار مشهورة . .

يزيد بن قيس

اقتتلت المجنبتان يوم الجمل حين تزاحفتا قتالاً شديداً يشبه ما فيه القلبان ، واقتتل أهل اليمن فقتل على راية أمير المؤمنين من أهل الكوفة عشرة كلما أخذ رجل قتل ، خمسة من همدان وخمسة من سائر اليمن ، فلما رأى ذلك يزيد بن قيس أخذها فثبتت في يده وهو يقول :

قد عشت يا نفس وقد غنيت ... دهراً فقطك اليوم ما بقيت
أطلب طول العمر ما حييت

وأنما تمثلها وهو قول الشاعر قبله .

وقال نمران ابن أبي نمران الهمداني :

جردت سيفي في رجال الأزد ... أضرب في كهولهم والمرد
كل طويل الساعدين نهد[1]

يزيد بن زياد أبو الشعثاء الكندي

حدثني فضيل بن خديج الكندي أن يزيد بن زياد وهو أبو الشعثاء الكندي من بني بهدلة جثى على ركبتيه بين يدي الحسين فرمى بمائة سهم ما سقط منها خمسة أسهم وكان رامياً فكان كلما رمى قال أنا ابن بهدله فرسان العرجلة ويقول حسين اللهم سدد رميته وأجعل ثوابه الجنة فلما رمى بها قام فقال ما سقط منها إلا خمسة أسهم ولقد تبين لي أني قد قتلت خمسة نفر وكان في أول من قتل وكان رجزه يومئذ :

أنا يزيد وأبي مهاصر ... أشجع من ليث بغيل خادر
يا رب إني للحسين ناصر ... ولإبن سعد تارك وهاجر

وكان يزيد بن زياد بن المهاصر ممن خرج مع عمر بن سعد الى الحسين فلما ردوا الشروط على الحسين مال إليه فقاتل معه حتى قتل[1] .

يزيد بن مفرّغ[2]

نعود ، في التاريخ العربي ، إلى أوائل النصف الثاني من القرن الأول للهجرة ، إلى عهد يزيد بن معاوية وقد استخلف على عرش بني أمية بعد أبيه ، مؤسس النظام الملكي الوراثي .

وها نحن اولاء ، نرى إلى جماهير الشعب العربي ، في الأمصار والعواصم والأقاليم ، يحسون ثقل هذا الحكم الجديد الرهيب ، وقد زاده يزيد بعد أبيه ، ثقلاً وارهاباً بما استهل به عهده من أفاعيل انكرتها هذه الجماهير في سرائرها ، ولم تستطع ان تظهر انكارها جهراً وعلانية من فرط ما تستشعر من عوامل الجزع

(١) ... ١٩٥٢ وكانت العرصة التي فيها القبر متروكة ... فاشتراها بالاشتراك مع الحاج ... احد تجار الحلة ووقفا العرصة على القبر .

(٢) روضات الجنات .

(١) هكذا وردت في النسخة الاصلية .

(٢) بقلم الدكتور حسين مروة . ويزيد بن مفرّغ هذا وقد يطلق عليه اسم يزيد بن ربيعة ، هو جد شاعر اهل البيت في عصره اسماعيل بن محمد المعروف باسم (السيد الحميري) ، فهو اسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ (ح . ا) .

والرهبة ، وعلى رأسها جلادون من هنا وسفاكون من هنا ، والعيون مبثوثة عليها في كل وجه تحبس، انفاسها وتسجل خفقات قلوبها ، وأسباب الوشاية والنميمة ترصد الطريق على كل رائح وغاد ومتحدث . وهذه البصرة يحكمها ، من قبل يزيد وال عرفه اهل هذا المصر بأنه شارك في مصرع الحسين بن علي يوم الطف بكربلاء ، وعرفوه عليهم والياً مستبداً طاغياً ظالماً يقيم الحكم فيهم بالارهاب والسعاية والوشاية وبالسجن والقتل والتعذيب ، ذلك هو عبيدالله بن زياد .

كان ذلك ولآل زياد في الأمصار كلها ، صيت يثير في نفوس الجماهير صوراً شتى يقترن بكل واحدة منها معنى أقل شأنه انه يبعث السخر والابتسام ، أو يبعث الحقد والسخط ، أو يبعث الذعر والهلع .

وكان آل زياد يعرفون هذا كله في الجماهير ، فيخشون نقمتها أو انفجار نقمتها ، إذ يكبتونها بالارهاب من كل نوع وكل اسلوب .

وكان اخشى ما يخشونه ، ألسنة الشعراء ، ولا سيما الهجائين منهم وذوي الخلاعة والمجانة ، فإن مثل هؤلاء يكشفون للناس من العيوب والمساوىء ما كان آل زياد يتحامون ان ينكشف ، أو أن تتحدث به الجماهير في حين يعلمون أن عند هذه الجماهير أنباء يتناقلونها عن آل زياد ، سواء اصدقت هذه الأنباء أم كانت من الأكاذيب والأراجيف . . .

وهنا يبرز في البصرة شاعر يعرف فيه عبيدالله بن زياد قسوة الهجاء ، وتعرف فيه جماهير البصريين حقده وسخطه على آل زياد لما شاركوا فيه من هاتيكم الأفاعيل في عهد يزيد ، نعني بهذا الشاعر يزيد بن ربيعة بن مفرغ .

وقد جاء لقب «مفرغ» هذا ، من أن جد الشاعر راهن على ظرف لبن ان يشربه كله ، فشربه حتى فرغ ، فلقب « مفرّغاً » .

وشاعرنا يزيد بن مفرغ يماني ينتمي إلى حمير ، ويحالف قريش ، ويبدو أنه كان علوي الهوى ، وأن مصرع الحسين بن علي كان له أثر في أسباب حقده على آل زياد ، وسنرى من شعره ما يدل على هذا .

ويبدو كذلك أن شاعرنا كان يتربص بآل زياد ، حتى تحين له الفرصة ان يكشف عوراتهم ، وأن يعبر عن سخط الجماهير عليهم بهذا الهجاء الفاضح الذي عرف به .

وقد واتته الفرصة المرتقبة ، حين ولي عباد بن زياد ، اخو عبيدالله بن زياد ، قيادة الجيش في خراسان ، وولي سعيد بن عثمان عهد الولاية من قبل يزيد بن معاوية على خراسان نفسها ، فطلب سعيد الى شاعرنا هذا يزيد بن مفرغ ، أن يصحبه ، إلى موضع ولايته ، فأبى ان يصحبه وآثر ان يصحب عباد بن زياد ، وإنك لتعجب أول الأمر كيف يؤثر الشاعر أن يصحب عباداً وهو لم يطلب إليه ذلك ، على حين يأبى ان يصحب سعيداً ، وسعيد هو الذي يطلب إلى الشاعر أن يصحبه ؟ . .

فهل تراه يكره صحبة سعيد بن عثمان ، ويهوى صحبة عباد بن زياد ؟ .

هذا ما نشك فيه كل الشك ، فإن الظاهر من حال سعيد مع الشاعر أنه يحبه ويخلص له الحب ، ثم ان الظاهر مما سيأتي من حال الشاعر مع عباد بن زياد أنه ليس محباً لعباد هذا ، وما كانت رغبته في صحبته إلى خراسان لأمر يعجبه فيه ، ولكن لأمر آخر يبيته في نفسه ، وسنعرف ، بعد ، هذا الأمر .

ويدلنا على ما بين يزيد ابن مفرغ وسعيد بن عثمان من صلة الود والصداقة ان سعيداً حين اعياه أن يقنع ابن مفرغ بصحبته ، قال له : أما إذ أبيت أن تصحبني وآثرت عباداً ، فاحفظ ما أوصيك به : ان عباداً رجل لئيم ، فإياك والدلالة[1] عليه ، وان دعاك إليها من نفسه ، فإنها خدعة منه لك عن نفسك ، واقلل زيارته فإنه طرف[2] ملول ، ولا تفاخره وإن فاخرك ، فإنه لا يحتمل لك ما كنت احتمله » .

ثم دعا سعيد بن عثمان بمال ـ كما يروى في الأغاني ـ فدفعه إلى ابن مفرغ ، وقال :

ـ « استعن بهذا المال على سفرك ، فإن طاب لك مكانك من عباد ، وإلا فمكانك عندي ممهد » .

وظاهر من هذا كله ، ان سعيداً بن عثمان كان خالص النصيحة والود لشاعرنا بن مفرغ ، وظاهر كذلك أن سعيداً ليس بالبخيل الشحيح حتى نقول ان لعل بن مفرغ إنما رغب عن صحبته ، طمعاً بأن ينال من عباد بن زياد ما لا يناله من سعيد بن عثمان من عطاء ، كلاهما راحل إلى خراسان وكلاهما مقبل فيها على منصب رفيع مضافاً إلى تحذير سعيد له من لؤم عباد وسرعة ملالته وتغيره على صاحبه ، فماذا الذي يدعو الشاعر إلى إيثار عباد على سعيد اذن ؟ .

نجد مفتاح الجواب عند عبيدالله بن زياد ، اخي عباد .

فإن عبيدالله هذا ، ما إن علم أن مفرغ سيصحب أخاه عبادا إلى خراسان ، حتى أحس الشر في قرارة نفسه ، وشق عليه ذلك ، ولم يستطع ان يمنع أخاه من صحبة هذا الشاعر ، واسر الأمر في صدره حتى ساعة السفر ، وخرج أخوه ومعه الناس يشيعونه إلى خارج البصرة ، وجعلوا يودعونه ، فلما أراد عبيدالله أن يودع أخاه ، دعا إليه الشاعر ابن مفرغ فقال له :

ـ انك سألت عباداً أن تصحبه ، وأجابك إلى ذلك ، وقد شق علي هذا .

فقال الشاعر : ولم ذاك ، أصلحك الله ؟ . .

فقال عبيدالله : « لأن الشاعر لا يقنعه من الناس ما يقنع بعضهم من بعض ، فهو ـ أي الشاعر ـ يظن ، فيجعل الظن يقيناً ، ولا يعذر في موضع العذر ، وأن عباداً ليقدم على أرض حرب ، فيشتغل بحروبه وخراجه عنك ، فلا تعذره أنت ، وتكسبنا شراً وعاراً » !

فقال الشاعر : لست كما ظن الأمير ، وأن لمعروفه عندي شكراً ، وان عندي ـ ان اغفل امري ـ عذراً ممهداً .

قال عبيدالله : « لا ، ولكن تضمن لي إن أبطأ عنك ما تحبه ان لا تعجل عليه حتى تكتب الي » .

قال الشاعر : نعم .

فقال عبيدالله : امض ـ اذن ـ على الطائر الميمون .

فهل ترى إلى قول عبيدالله : « فتكسبنا شراً وعاراً ؟ وهل ترى إلى عبيد الله كيف يبلغ به الذعر والهلع من صحبة هذا الشاعر لأخيه عباد ؟ . وهل تجد في ذلك كله سوى ذعر الطغاة المستبدين يحسون هول النقمة في نفوس الجماهير ، ويخشون لسان الشاعر ان يلقي « الفتيل » في مواطن النقمة من هذه النفوس ، فتشتعل وتنفجر ؟ .

الا ترى في هذا القلق يبديه عبيدالله من صحبة الشاعر لأخيه ، وفي هذا الاحتياط الشديد للأمر ، حتى يأخذ من الشاعر الضمانة بأن لا يعجل على أخيه ـ إن ابطأ عنه ـ قبل أن يكتب الشاعر إليه ، أي إلى عبيدالله في البصرة ليدبر هو الأمر ـ ألا ترى في هذا القلق وهذا الاحتياط الشديد ، ان عبيدالله كان يعرف كيف تنظر الجماهير ، في الأمصار إلى آل زياد ، وكي تنطوي صدورها على أسرار من أمورهم تنتظر لسان شاعر أن يثيرها في غضبة من غضباته وفي هجوة

---

(١) أي إظهار الدالة ورفع الكلفة .

(٢) الطرف (بفتح الطاء وكسر الراء) : من لا يثبت على رأي .

من أهـاجيـه الفـاضحـة ، فـي الاسرار تنتشر ، وإذا الشـاعـر « يكسبهم شـراً وعاراً » ؟ .

من هـذا كله ، يمكننا أن نقـول أن عبيـد الله كـان يعلم من أمـر الشـاعـر يـزيد بن مفـرغ أنه لم يؤثـر صحبة أخيـه عبـاد إلى خـراسـان ، لمجـرد عـطائـه وجوائزه ، ولكن ليطلع على أخبـاره واسوائـه ، ثـم يعود بهـا إلى النـاس أهـاجي وفضائح .

وكان الأمر كما توقع عبيدالله . ولم ينفعه الاحتياط شيئاً ، ولم تغنه الضمانة التي ضمنها له الشاعر ، فقد كان شاعرنا يزيد بن مفرغ ينتظر ابطاء عباد عنه في خراسان ، حتى يجـد في ذلك فـرصة لاصلات لسانـه فيه ، دون أن يكتب إلى عبيدالله يشكوه ، لأن العطاء والجائزة لم يكونا بغية هذا الشاعر .

فهذه رواية الأغاني تقول ان عباداً ما كـاد يصل إلى خـراسان ، حتى شغـل بحربه وخراجه ، فـاستبطأه الشـاعـر ، ولم يكتب إلى أخيـه عبيدالله في ذلـك كما ضمن له ساعة وداعه .

وهنا تقول الرواية : « . . ولكنـه ـ اي ابن مفرغ ـ بسط لسـانه في عبـاد ، فذمه وهجاه ، وكان عباد عظيم اللحية ، فسار يزيد ابن مفرغ مع عباد فدخلت الريح لحيته فنفشتها ، فضحـك ابن مفرغ ، وقـال لرجـل من بني لخم كان الى جنبه :

الا ليت الـلحـا كـانت حـشيـشـا فـنعـلفهـا خـيـول المسلمـيـنـا !

وتمضي الـرواية فتقـول ان اللخمي هذا ، وشى ابن مفـرغ إلى عبـاد ، وان عباداً اغتاظ غيظاً شديـداً ، ولكنه كـظم غيظه ، وأسرهـا في نفسه معـتزماً الشر لابن مفرغ ، وقال للواشي اللخمي :

ـ « لا تجمـل بي عقوبتـه بهذه السرعـة مع الصحبـة لي ، ومـا اؤخـرهـا الا لاشفي نفسي منه ، لأنه كان يشتم ابي في عدة مواطن » .

ويتبين لنا من هذا القول ، ان عباداً ما كـان ليجرؤ ان يعجـل على الشـاعر بالعقوبة ، خشية « الشر والعار » وطمعاً بـأن يداري الأمـر قبل ان يفلت زمـام الشاعر من يديه ، ويتبين لنا من هـذا القول ايضـاً أن ابن مفرغ كـان معـروفـاً بعدائه لآل زياد ، فقد كان « يشتم ابا عباد في مواطن كثيرة » . . . وهذا يؤيـد مـا قلناه في المقـال السابق من أن رغبـة الشاعـر في صحبة عبـاد ، وايثـاره عـلى سعيد بن عثمان ، ليسا حباً بعباد أو طمعاً فيه ، بل لتكون له الفـرصة ان يشفي نفسه منه « بذمه وهجائه » .

ويبلغ ابن مفـرغ ان اللخمي قد وشى بـه إلى عبـاد ، ويبلغـه وعيـد عبـاد واسراره الشر لـه ، فيداخله الخـوف ، ويستعجل الخـلاص ، فيستـأذن عبـاداً بالرجوع إلى العراق ، فيقول له عباد :

ـ « طلبت الاذن لترجع إلى قومك ، فتفضحني فيهم » ؟ . . .

وهذه كلمة اخرى تضج بالذعر والهلع ان يكسبه الشاعر « شراً وعاراً » .

ولعلك تتسـاءل الآن : تـرى ، كيف لم يكتب ابن مفـرغ إلى عبيـدالله بن زياد يشكو إليه اخاه عباداً حين ابطأ عنه وفاء بوعده ؟ .

ولكنـك عرفت الجـواب مما قـدمناه منـذ قليـل ، فـإن الشـاعـر قـد ضمن لعبيدالله ان يكتب إليه وهو معتزم أن لا يفي بضمانته ، وإنما كانت منـه حتى لا يعوقه عبيدالله عن صحبة أخيه ، ونيل الوطر الذي ينشده من صحبتـه ، أي ان يهجوه ويكسبه « شراً وعاراً » .

والمسـألـة الآن هي : كيف يصنـع عبـاد لكي يخنق شبـح « الشر والعـار » الذي يتراءى لـه من وراء لسان الشـاعر ، ويكـاد من خوفـه أن يراه منـطلقاً في الجماهير يكسب آل زياد « شراً وعاراً » ؟ .

هنا تبتدىء مأساة هذا الشاعر ، ومأساة آل زياد معاً . . انه لا بد لعباد من الانتقام ، ولكن آل زياد يخشون نقمة الجماهير ، إذا هم اساءوا إلى الشاعـر من غير ذنب ظاهر تسمع به الجماهير ، فتعذرهم على عقوبته .

وتربص عباد بالشاعر حتى جاءت فـرصة الانتقـام ، إذ علم عباد أن لقـوم ديناً على الشـاعـر ، فـدس إليهم من يدفعهم أن يشكـوا ابن مفـرغ إليـه ، فلما شكوه ، حبسه وأخذ يعذبه ، فلا يحتمـل الشاعـر التعذيب ، ويجتهـد في الحيلة على عباد حتى يطلقه من سجنه ، ثم يجتهد الشـاعر ـ وقـد استطاع الخـروج من السجن ـ ان يجد الحيلة في الهروب من خراسان إلى العراق .

وهنا تكبر مأساة آل زياد أنفسهم ، فإذا بالشاعر يبلغ منهم إربه ، وإذا هـو يشحذ لسانـه في ذمهم وهجائهم وهـو ما يـزال في الطريق إلى العـراق ، يرسـل البيت من الهجاء فيكتبه على حائط هذا الخان في أحد منازل الطريق ، ثم يرسل البيت الآخر فيكتبه على حائط آخر في هذه المـرحلة الأخرى من الـطريق ، وإذا الجماهير في مراحل الطريق كلها من خراسان إلى العراق ، تتناقل أهاجي الشاعر في آل زياد فتحفظها بسرعة الـبرق ، ثم تتناقلهـا بأكـثر سرعة من ذلـك ، حتى تصل هذه الأهاجي إلى جماهير البصرة قبل أن يصـل إليها الشـاعر ، وإذا أهـل البصرة كلهم يتغنون في اشعار ابن مفـرغ بآل زيـاد ، ينفسون بهـا عن كربهم ، ويمطون بها السنتهم يتلمظون بمساوىء آل زياد مستطيبـين هجاءهم ، لانـه جاء تمثيـلاً لمـا في صـدورهم من الضغينـة عليهم ومن الحقـد عـلى مـا يجـدون من استبدادهم وطغيان أمرهم فيهم .

ولكن الشاعر ما يكاد يصل البصرة ، ويرى أهلها قد سبقتـه أشعاره إليهم فحفظوها وتغنوا بها في اسمارهم ، وانطلقت بهـا السنتهم في هذا الحقـل ، وفي هذا البستان ، وفي هذا المصنع ، في طول المصر وعرضه ، حتى يتجسم له شبح مأساة جديدة . . . .

فقـد علم عبيـدالله بن زيـاد ، والي البصرة ، بمقـدم الشـاعـر إليهـا من خراسان ، وكان قد سمع بما تتغنى بـه أهل البصرة من أهـاجيه في أخيـه وآله ، فأخذ يبحث عنه بحثاً شديداً ، حتى كاد يقبض عليه ، فهرب إلى بلاد الشام .

وطفق الشاعر ابن مفرغ ينتقل في قـرى الشام ونـواحيها ـ كـما تقول روايـة الأغـاني ـ يهجو بني زيـاد ، وتنتقل أشعـاره فيهم من هناك إلى البصرة وتنتشر ، وتبلغ بني زياد على السنة الناس أينما اتجهوا في المدينة ، ويضيق عبيـدالله ذرعاً بهذا الأمر ، فكتب إلى يزيد بن معاوية يقول له :

ـ « ان ابن مفرغ هجا زيـاداً وبني زياد بمـا هتكه في قـبره وفضح بنيـه طول الدهر ، وتعدى ذلك إلى ابي سفيان ، فقذفه بـالـزنا ، وسب ولـده ، فهرب من خراسان إلى البصرة ، وطلبته حتى لفظته الأرض فلجأ إلى الشام يتمضغ لحـومنا بها ويهتك اعراضنا ، وقد بعثت إليك بما هجانا به لتنتصف لنا منه » .

وبعث عبيدالله إلى يزيـد بجميع مـا حفظتـه جماهـير البصرة من أشعار ابن مفرغ في بني زياد ، فأمر يزيد بطلب الشاعـر ، فجعل يفلت من أيـدي « رجال التحري » منتقلاً من بلدة إلى بلدة ، فإذا شاع خبره هنا انتقل إلى موضع آخر ، حتى خـرج من أرض الشـام وانتهى إلى البصرة ، ونـزل فيهـا عـلى الأحنف بن قيس مستجيراً فأبى أن يجيره رهبة من بني زياد ، فلجأ إلى عدد من وجوه القوم ، فلم يجره احـد منهم خشيـة ورهبـة كـذلـك ، حتى اجاره المنـذر بن الجـارود العبدي ، وكانت ابنة هذا زوجاً لعبيدالله بن زياد .

فلما علم عبيدالله ، بعث إلى حميه المنـذر أن يأتيـه ، فأتاه ، ومـا كـاد يخرج المنـذر من داره ، حتى كبسها الشرطـة ، وقبضوا عـلى ابن مفرغ وجـاءوا به إلى عبيدالله ، فلم يشعر المنذر الا وابن مفرغ قد اقيم على رأسـه ، فجزع المنـذر ،

وقال لعبيدالله :

ـ « اذكرّك الله أيها الأمير ، لا تخفر جواري ، فإني قد أجرته » .

فقال له عبيدالله : « يا منذر ، ليمدحن أباك ويمدحنك ، ولقد هجاني وهجا ابي ، ثم تجيره ؟ . . لاها الله لا يكون ذلك ابداً ولا اغفرها له »!.

ويقف الشاعر امام عبيدالله ، حين خلا به يعاتبه ، موقفاً جريئاً صريحاً لم يضطرب ، ولم يتخاذل ، ولم يستخذ استخذاء الذليل الجبان ، وقال لـه في آخر حديث طويل له معه :

ـ « . . . وقد صرت الآن في يدك ، فاصنع بي ما احببت » .

فحبسه عبيدالله ، ثم بعث إلى يزيد بن معاوية يسأله ان يأذن له في قتله ، فكتب إليه يزيد يقول :

ـ « إياك وقتله ، ولكن عاقبه بما ينكله ويشد سلطانك ، ولا تبلغ نفسه (أي لا تزهق روحه) » .

فلما ورد كتاب يزيد على عبيدالله ، امر بابن مفرغ ان يسقى نبيذاً حلواً قد خلط معه ما يسهل معدته ، فلما اسهلت ، أخذ الشرطة يطوفون به في شوارع البصرة ، وهو في اسهاله ، وقرن بهرة وخنزيرة ، وجعل الصبية يتبعونـه ، حتى اضعفه الاسهال ، فسقط ، واخبر الشرطة ابن زياد ان ابن مفرغ قد صار من الضعف بحيث لا نأمن أن يموت ، فأمر أن يغسل ، فلما اغتسل الشاعر قال يخاطب ابن زياد :

يغسل الماء ما فعلت ، وقولي راسخ منك في العظام البوالي .

فرده عبيدالله إلى الحبس ، واخذ يتفنن السجانون في تعذيبه ، ووصلت في هذه الأثناء من عباد بن زياد إلى أخيه عبيدالله جملة من اشعار ابن مفرغ في بني زياد ، فازداد غضبه ، وبعث إلى يزيد بن معاوية ثانية يستأذنـه في قتله ، فلم يأذن له ، وحذره أشد التحذير من ذلك ، وأمره أن يعذبه وينكل به ما شاء ولا يبلغ به ازهاق روحه .

ولكن عبيدالله لم يشف غيظه من الشاعر ، على رغم التعذيب والتنكيل ، فبعث به إلى أخيه عباد في سجستان من بلاد خراسان ، ليشفي هذا غيظه منه أيضاً ، فلما بلغه ، وكل به رجالاً أن يسيروا معه إلى كل مكان كتب على جداره شعراً في هجاء بني زياد ، فيجبروه على ان يمحوه بأظافيره ، فكانوا إذا دخلوا الخانات التي نزلها يوم هرب من خراسان إلى العراق ، ألزموه أن يمحو ما وجدوه مكتوباً من شعره ، فكان يفعل ذلك حتى ذهبت اظافره ، فأخذ يمحوه بعظام أصابعه ودمه ، حتى قطعوا الطريق كله على هذا مرحلة مرحلة ، ثم ردوه الى عباد فحبسه ، وزاد في تعذيبه ، إلى أن ضجت عشيرته ، وضجت قبائل اليمن وقريش ، وذهبت وفود إلى يزيد بن معاوية في الشام تنذره أن يطلق الشاعر من سجنه في خراسان .

فاضطر يزيد ، ان يستجيب لطلب القوم ، فبعث رجلاً من بني اسد يقال له خمخام ـ وقيل جهنام ـ إلى عباد ، وأمره ان يذهب الى الحبس ، فيخرج بابن مفرغ ويطلقه ، قبل ان يعلم عباد ، خشية أن يقتله في السجن اغتيالا ، فلما خرج الشاعر من سجنه قربت إليه بغلة من بغال البريد ، فركبها ، فلما استوى على ظهرها ، قال :

عدس[1] ، ما « لعباد » عليك إمارة	نجوت ، وهذا تحملين طليق
فإن الذي نجى من الكرب ، بعدما	تلاحم في درب عليك مضيق
أتاك بخمخام ، فانجاك ، فالحقي	بأرضك ، لا تحبس عليك طريق

ولكن القصة تنتهي بأن الدائرة تدور على بني زياد انفسهم ، فإن الشاعر يختار بعد خلاصه من السجن والتعذيب ، أن يقيم في الموصل ، ثم يحدوه الشوق والحنين إلى البصرة ، فيعود إليها ، ولكنه لا يأمن على نفسه فيها أن يدبر له عبيدالله بن زياد مؤامرة ليبطش به ، فيرتحل إلى كرمان يستجير شريكا ابن الأعور ، وكان عاملاً عليها ، ويبقى الشاعر هناك حتى تقوم ثورة العراق بقيادة عبدالله بن الزبير ، وتجمع الجماهير في البصرة على قتل عبيدالله بن زياد ، فيهرب هذا ، ويغلب امر ابن الزبير ، فيرجع الشاعر الى البصرة ، ويعود إلى هجاء بني زياد ، وترى فيه الجماهير مناضلاً شارك في هيج الثورة على الاستبداد والطغيان ؛ فتزداد اقبالاً على التغني بهجائه السياسي ، وان كان لا يخلو من الهجاء من فاحش القول ، وها هوذا يصف هرب عبيدالله من البصرة وتركه امه فيها ويشمت بمصيره :

اعبيد ، هلا كنت اول فارس	يوم الهياج دعا بحتفك داع
أسلمت امك للرماح تنوشها	يا ليتني لك ليلة الافزاع
هلا عجوز اذ تمد بثديها	وتصيح ان : لا تنزعن قناعي
انقذت من أيدي العلوج كأنها	رمداء مجفلة ببطن القاع
فركبت رأسك ، ثم قلت : ارى العدا	كثروا ، واخلف موعد الاشياع
ليس الكريم بمن يخلف امه	وفتاته في المنزل الجعجاع

وها هوذا الشاعر يذكّر عبيدالله ايضاً باستبداده ومظالمه :

بما قدمت كفاك ، لا لك مهرب	الى اي قوم ، والدماء تصيب
فكم من كريم قد جررت جريرة	عليه ، فمقبور ، وعان[2] يعذب
ومن حرة زهراء قامت بسحرة	لتبكي قتيلاً ، او فتى يتأوب
فصبر ، عبيد ابن العبيد ، فانما	يقاسي الأمور المستعد المجرب
وذق كالذي قد ذاق منك معاشر	لعبت بهم اذ انت بالناس تلعب

وها هوذا أيضاً لا ينفك يستعرض طغيان عبيدالله وجرائمه :

كم يا عبيدالله عندك من دم	يسعى ليدركه بقتلك ساع
ومعاشر انف[3] ، ابحت حريمهم	فرقتهم من بعد طول جماع
واذكر حسيناً[4] وابن عروة هانيا	وبني عقيل فارس المرباع

وكان يوم آخر في التاريخ . . فإذا عبيدالله بن زياد في معركة الزاب بالعراق ، وقد ثار اصحاب المختار بن أبي عبيد يثأرون من قتلة الحسين بن علي ، وإذا ابراهيم بن الأشتر يحمل في المعركة على كتيبة عبيدالله ، فتنهزم الكتيبة ، ويتخلف عبيدالله ، فيضربه ابراهيم فيقتله ويرجع الى أصحابه فيقول :

ـ اني ضربت رجلاً ، فقددته نصفين ، فشرّقت يداه ، وغرّبت رجلاه ، وفاح منه المسك واظنه ابن مرجانة .

وأومأ ابراهيم للقوم إلى موضعه ، فذهبوا إليه ، فوجدوه كما ذكر ابراهيم ، وإذا هو ابن زياد ، وإذا شاعرنا ابن مفرغ يظهر هنا ايضاً ويلاحق عبيدالله حتى مصرعه يهجوه .

(١) عدس : حكاية لصوت البغلة .

(٢) العاني : الأسير .

(٣) اي ذو انفة وإباء .

(٤) يقصد الحسين بن علي بن ابي طالب (عليه السلام) ، وكان عبيدالله هو المنفذ الفعلي لقتله ، اذ كان مباشرو القتل ينفذون اوامره ، اما هاني فهو هاني بن عروة الذي نزل مسلم بن عقيل رسول الحسين الى الكوفة في بيته فقتله عبيدالله ، والمقصود ببني عقيل مسلم واخوته ، اما مسلم فقد قتله عبيدالله في الكوفة ، وأما أخوته فقد قتلوا مع الحسين في كربلاء (ح . أ)

ان الـذي عـاش ختـاراً بـذمتـه ... وعـاش عبـدا قتيـل الله بـالـزاب
العبد للعبد ، لا اصـل ولا طرف ... ألـوت بـه ذات اظفـار وانيـاب
ان المنـايـا اذا مـا زرن طـاغيـة ... هتكن عنـه ستـوراً بـين ابـواب
هـلا جمـوع نـزار اذ لـقيتـهـم ... كنت امـرأ من نـزار غـير مـرتـاب
لا انـت عـن مـلك فتـمـنـعـه ... ولا مـددت الى قـوم بـأسبـاب
مـا شق جيب ولا ناحتـك نائحة ... ولا بكتـك جيـاد عنـد اسـلاب
لا يـترك الله انفـاً تعـطسـون بهـا ... بـين العبيـد شهـوداً غـير غيـاب
اقول له بعداً وسحقاً عند مصرعه ... لابن الخبيثة وابن الكودن الكابي[1]

وجاء في كتاب الأغاني للأصفهاني :

حين سجن عباد بن زياد يزيـد بن مفرغ أرسـل الشاعـر الى يمانية الشام رسـولا بأبيـات يستـثير فيها حميتهم ويـدعوهم الى نصـرته ، فلما تليت عليهم هاجوا ودخلوا على يزيد يهددون ويتوعدون أن لم يطلق سراح شاعرهم فاضطر يزيد الى أرضائهم وأمر باطلاق سراح ابن مفرغ .

وكان عبيدالله بن زياد حين ظفر بابن مفرغ هم أن يقتله وكتب الى يزيـد يستأذنه بالامر فكتب اليه يزيد يحذره من الاقدام على ذلك وكان مما قالـه له : « اياك وقتله ، ولكن عاقبه بما ينكله ويشد سلطانك . ولا تبلغ نفسـه فان لـه عشيـرة هي جندي وبـطانتي ولا تـرضى بقتله مني ولا تقنـع الا بـالقـود منك فاحذر .

يحيى بن البطريق

مرت ترجمته في الجزء العاشر الصفحة ٢٨٩ ونزيد عليها هنا ما يلي :

قـال ابن حجر في لسـان الميزان : « يحيى بن الحسن بن الحسـين بن علي الأسدي الحلي الربعي المعروف بابن البطريق ، قرأ على الحمصي الرازي الفقه والكـلام على مـذهب الاماميـة وسكن بغداد مـدة ثم واسط ، وكـان يتـزهـد ويتنسك ، وكانت وفاته بالحلة في شعبان سنة ٦٠٠ وله سبع وسبعون سنة ذكره ابن النجار » .

وولده نجم الدين ابو الحسن علي بن يحيى كان فقيهاً فاضلاً شـاعراً وكـاتباً هـاجر إلى مصر وكتب في أحـد الدواوين المصريـة ايام الـدولة الكـامليـة ، ولما اختلت حاله عاد إلى العراق ، توفي سنة ٥٤٢ .

قال عنه في الفـوات : وكان فـاضلاً اصـولياً ، قـال القوصي انشـدنا ابن البطريق لنفسه بدمشق وكتب بها الى ابن عنين ، وكان به جرب انقطع بسببه في داره :

مـولاي لابت في همي ولا نصبي ... ولا لقيت الـذي القى من الجرب
هـذا زماني ابو جهـل وذا جـربي ... ابـو مـعيط وذا قـلبي ابـو لهـب

وانشدني لنفسه وقد بلغه ان الملك الأشرف اعطى الحلي (راجحاً) سيفاً محلى فتقلد به وتشبه بالخيص بيص :

تـقـلد راجـح الحـلي سـيـفـا ... محـلى واقـتنى سـمـر الـرمـاح
فقـال النـاس فيـه وقلت كفـوا ... فـليس عليـه في ذا مـن جنـاح
ايقـدر ان يغـير عـلى القـوافي ... وامـوال المـلوك بـلا سـلاح

وله قوله :

لي عـلى الـريق كـل يـوم ركـوب ... في غبـار أغص منـه بـريـقي
اقصـد القلعـة السحـوق كـأني ... حجـر من حجـارة المنجنيق
فـدوا بي تخفى وجسمي يضنى ... هـذه قـلعـة عـلى التحقيق

« انتهى الفوات » .

وفي سنة ٦٣١ رجع الحاج الى الحلة من بعض المنازل إذ بلغهم أن العرب الأجاودة طموا الآبار في منزل السلمان وعزموا على أخذ الحاج ، فاشير على امير الحاج بالـرجوع فـاستفتى بعض من كان معـه من الفقهاء فـافتوه بـالرجـوع ، واصيب الحاج بخسائر فادحـة في الأرواح والأموال . فـنظم علي بن البـطريق قصيدة وسيرها الى الخليفة يحرضه على قتال العرب الذين يتعرضون للحاج منها هذه الأبيات :

الكفر في الترك دون الكفر في العرب ... اليس منهم اذا عـدوا ابـو لهب
اليس منهم ابـو جهـل وبـنتـهم ... عـدوة المصـطفى حمـالـة الحـطب
فيـا امـام الهـدى يـا من نـظمت ... له المدائح يا ابن السـادة النجب
يـا ايهـا القـائم المنصـور انت اذا ... حضـرت وجه رسـول الله لم يغب
فـاغز الأعـاريب بالأتـراك منتقـما ... منهم ولا ترع فيهم حرمـة النسب
فقـد غزاهم رسـول الله في حـرم ... الله المنيـع بـإذن الله وهـو نـبي
ومـا رعـى فيـهم الا ولا نـسبـا ... ولم يـقـل ان امي مـنـهـم وابي
ان ادعوا انهم قد أسلمـوا فقد ار ... تـدوا بمنعهم لـلحـج عن كثب

وقـال عبد الله بن يعقـوب بن داود : أخبرني ابي أن المهـدي حبسـه في بئـر وبنى عليه قبة ، فمكث فيهـا خمس عشرة سنة ، وكـان يدلى لـه فيها كـل يوم . رغيف خبز وكوز ماء ، ويؤذن بأوقات الصلاة .

وقد قال له الرشيد بعد افراجه عنه : يا يعقـوب بن داود والله ماشفع فيـك الي احـد ، غير اني حملت الليلة صبيـة لي على عنقي فـذكرت حملك ايـاي عـلى عنقك فرثيت لـك من المحل الـذي كنت به فـأخرجتـك . وكان يعقـوب يحمل الرشيد وهو صغير ويلاعبه .

يعقوب بن داود

توفي في مكة سنة ١٨٧ وقيل ١٨٢ .

كـان ابوه داود بن طهـمان واخوتـه كتابـا لنصر بن سيـار عـامـل خـراسـان لـلامويـين . وقد نشـأ ولده يعقـوب كما يقـول ابن خلكان : أهـل ادب وفضل وافتنـان في صنوف العلم . وأول مـا عـرف من تشيعـه انـه كـاتب ابـراهيم بن عبد الله بن الحسن حين خرج على المنصور ، ثم انتهى الأمر بمقتل ابراهيم وفوز المنصـور . وكان قـد بلغ المنصور مكـاتبة يعقـوب لابراهيم فقبض عـلى يعقوب واودعه سجن المطبق . ولا يذكر ابن خلكان شيئاً عن مصير يعقوب طيلة حيـاة المنصور سوى قوله : ولما مات المنصـور وقام بـالأمر ولـده المهدي جعـل يعقوب يتقرب إليه حتى ادناه واعتمد عليه وعلت منزلته عنده وعظم شأنـه ، حتى خرج كتـابه إلى الـدواوين أن أمير المؤمنـين المهدي قـد آخى يعقوب بن داود فقـال في ذلك سلم الخاسر :

قـل للامـام الـذي جـاءت خـلافتـه ... تهـدى إلـيـه بـحـق غـير مـردود
نعم القـرين عـلى التقـوى اعنت بـه ... اخـوك في الله يـعـقـوب بـن دواد

ومن ذلك فاننا لا نعلم هل أن المنصور كان قد اطلقه بعد سجنه أم أنه بقي :

(١) الكودن : البرذون الهجين ، اي الدابة المعدة لـلاحمال الثقيلة . والكـابي : من كبا يكبـو ، اي عثر .

سجينا حتى تولى المهدي فاطلقه ثم قربه .

ولما حج المهـدي ١٦٠ اصطحب معـه يعقوب ويقـول ابن خلكان : « وفي سنـة احدى وستـين تقدم إليـه بتوجيـه الامناء إلى العـمال في جميع الآفـاق ففعل ذلك ، فلم يكن ينفذ شيء من الكتب للمهـدي حتى يرد كتـاب من يعقوب إلى امينه بانفاذه » .

ولم تأت سنة ١٦٣ حتى كان يعقوب قد أصبح وزيراً للمهدي مسيـطراً على شؤون الدولة سيطرة كاملة . وعلى حد قول ابن خلكان : « وغلب يعقوب على امور المهدي كلها » .

وفي ذلك يقول بشار بن برد :

بني اميـة هـبـوا طـال نـومـكـم ... ان الخـليفـة يـعـقـوب بـن داود
ضـاعت خلافتكم يـا قوم فـالتمسوا ... خـليفـة الله بـين الـزق والـعـود

ويبدو مما ذكـره ابن خلكان أن بشاراً لم يكن مبالغـاً في هذا القـول . فابن خلكان يقول عن المهدي ، مشيراً إلى أن يعقـوب كان مغـرياً للمهـدي فيما هـو فيه : « ولما عزل ـ أي الوزير السابق ـ وولي يعقوب زين له هواه فأنفق الامـوال وأكب على اللذات والشراب وسماع الغناء ، واشتغل يعقوب بالتدبير » .

على أن ابن خلكان يناقض نفسه في هذا الموضوع ، ويذكر كلاماً يدل عـلى أن يعقوب كان يحاول أن يكبح جماح المهدي في تصرفاته ، فهـو يقول : « وأراد المهدي امراً فقال له يعقوب : هذا يا أمير المؤمنين السرف ، فقال : ويلك وهل يحسن السرف الا بأهل الشرف » .

ثم يذكر ما يدل على أن يعقوب كان متبرماً من تلك الأحوال وأنه كان يؤثـر التخلي عن منصبه : « وكـان يعقوب قـد ضجر مما كان فيـه ، وسـأل المهـدي الاقالة ، وهو يمتنع » .

وروي أن المهـدي حج في بعض السنـين فمر بميـل وعليه كتـاب ، فـوقف وقرأه فإذا هو :

لله درك يـا مـهـدي مـن رجـل ... لـولا اتخـاذك يـعـقـوب بـن داود

فقال لمن معه : اكتب تحته : على رغم أنف الكاتب لهذا وتعساً لجده .

على أنه لم يمض غير قليل حتى أوقع بيعقوب ونكبـه كما يـأتي . وكما يحـدث لكل نافذ مسيطر من حسـد الناس لـه ووقيعتهم فيه ، حـدث ذلك ليعقـوب ، فقـد اكثر اعـداؤه القول فيـه وذكّروا المهـدي بتأييـده لثورة ابراهيم عـلى ابيه المنصور ، فأراد المهدي أن يختبر حقيقة ما في نفس يعقوب من الميول الشيعيـة . وندع هنا لابن خلكان أن يصف لنا ما جرى . قال ابن خلكان : « فـدعا ـ اي المهدي ـ به ـ أي يعقوب ـ يومـاً وهو في مجلس فُرُشه مـوردة وعليه ثيـاب موردة وعلى رأسه جارية على رأسها ثيـاب موردة وهـو مشرف على بستـان فيه صنـوف الأوراد ، فقال له : يا يعقوب كيف ترى مجلسنا هذا ؟ قال : على غايـة الحسن فمتع الله امير المؤمنين به . فقال له : جميع ما فيه لك ، وهـذه الجاريـة لك ليتم سرورك وقد أمرت لـك بمائة الف درهم ، فدعـا له . فقـال له المهـدي : ولي إليك حاجة ، فقام يعقوب قائماً وقال : يا أمير المؤمنين ما هذا القول الا لموجدة وأنا استيعذ بالله من سخطك ، فقـال : أحب أن تضمن لي قضاءهـا ، فقال : السمع والطاعة ، فقال له : والله ، فقال له : والله فقال له : والله ، فقال له : والله ، ثلاثاً ، فقال له : ضـع يدك عـلى رأسي واحلف به ، ففعـل ذلك ، فلما استوثق منه قال له : هـذا فلان بن فـلان ، رجل من العلويـة أحب أن تكفيني مؤنتـه وتريحني منـه فخذه إليـك ، فحولـه إليه وحـول إليه الجـارية ومـا كان في المجلس والمـال ، فلشدة سروره بـالجاريـة جعلهـا في مجلس يقـرب منـه ليصـل إليها ، ووجه فأحضر العلوي فوجده لبيبا فهما ،فقال له: ويحك يـا يعقوب تلقى الله بدمي ، وأنا رجل من ولد فاطمة بنت محمد !فقال له يعقوب: يا هذا أفيك خير؟ فقال : أن فعلت معي خيراً شكرت ودعـوت لك ، فقـال له : خـذ هذا المـال وخذ أي طـريق شئت ، فقال : طـريق كذا وكـذا آمن لي . فقـال لـه : امض مصاحباً . وسمعت الجارية الكلام كله ، فوجهت مع بعض خدمها به ، وقالت : قل له : هذا فعل الذي آثرته على نفسك بي وهذا جزاؤك منه ، فوجه المهـدي فشحن الـطريق حتى ظفـر بـالعلوي وبـالمـال ، ثم وجـه إلى يعقـوب فأحضره ، فلما رآه قال : ما حال الرجل ؟ قال : قد اراحـك الله منه ، قـال : مات ؟ قال : نعم ، والله ؟ قال : والله . قال : فضع يدك على رأسي ، فوضع يده على رأسه وحلف به ، فقال : يا غلام اخرج إلينا من في هذا البيت ، ففتح بابه عن العلوي والمال بعينه ، فبقي يعقـوب متحيراً ، وامتنـع الكلام عليـه فما درى ما يقول ، فقال له المهـدي : لقد حـل دمك ، ولـو آثرت اراقته لأرقتـه ، ولكن احبسـوه في المطبق ، فحبسـوه ، وأمـر بـان يـطوى عنـه خـبره وعن كـل أحـد . وبقي محبوساً طيلة حياة المهـدي وجميع ايـام الهادي مـوسى بن المهدي وخمس سنين وشهوراً من أيام هارون الرشيد . ثم ذكر يحيى بن خالـد البرمكي أمـره وشفع فيـه ، فأمـر باخراجـه فـأخـرج وقـد ذهب بصره ، فـأحسن إليه الرشيد ، ورد إليه ماله وخيره المقام حيث يريد فاختـار مكة فـأذن له في ذلـك ، فأقام بها حتى مات . »

الشيخ يوسف بن المطهر الحلي والد العلامة الحلي

هو الشيخ سديد الـدين يوسف بن الشيـخ شرف الدين عـلي بن المطهـر . كان فاضلاً فقيهاً متبحراً في العلوم العقلية والنقليـة . قال ابن داود في رجـاله : كان فقيهاً محققاً مدرساً عظيم الشأن . ا هـ وقال صاحب امل الآمـل : فاضـل فقيه متبحر، نقل ولده العلامة اقواله في كتبه . ا هـ .

يوسف رُجَيْب

ولد في النجف سنة ١٩٠٠ م ودرس فيهـا واتجه اتجاهاً أدبيـاً كاتبـاً وناقـداً بصيراً وواكب الحركات الوطنية في العراق وساهم فيها بقسط وافـر وأصدر سنة ١٩٢٥ م في النجف الأشرف جـريـدة اسبـوعيـة بـاسـم (النجف) وفي سنة ١٩٢٧ م استوطن بغداد وتولى تحرير جريدة النهضة لسان حال حـزب النهضة ، ثم عمل في الوظائف الحكومية . توفي سنة ١٩٤٧ م

السيد يونس الاردبيلي ابن فتح علي

ولد سنة ١٢٩٣ في اردبيل وتوفي سنة ١٣٧٧ في مشهد الرضا

درس المقـدمـات في اردبيـل ثم في زنجـان ثم سـافـر إلى النجف الأشرف فحضر عـلى اليزدي والخـراساني وغيرهما . وفي سنة ١٣٤٦ سافـر إلى مـدينتـه اردبيل ولكنه لم يطل الاقامة فيها فغادرها إلى مشهد الرضا وبعد احداث المشهد في عهد الشاه رضا بهلوي التي سجن المترجم بسببها ، عاد إلى اردبيل وظل فيها حـوالي ثماني سنـوات حيث سقط البهلوي فعاد إلى المشهـد فبقي هناك مـرجعـاً من مراجعه حتى وفاته .

ملحق بالمستدركات

هـذه مقـالات لا تـدخـل في بـاب الـتراجم الـذي هـو مـوضـوع (اعيـان الشيعة) ومستدركاته ، ولكن لهـا صلة وثقى بهذا المـوضوع لـذلك جعلناها ملحقاً للمستدركات :

الامويون والاسلام والعروبة

في الكلمة التي كتبها كاتب في جريدة النهار حرص كل الحرص على التنويه بعروبة الدولة الاموية واغرق في ذلك ما شاء له الاغراق .

وليست هذه هي المرة الاولى التي يبدى فيها الكاتب هـذا الرأي فقد سبق له ان ابداه اكثر من مرة ، وعاد هنا يكرره ويشيد به . . . وليس هو وحده الذي يقول هذا القول ، بـل هناك غيـره ممن سبقوه اليـه ونادوا بـه مجاهـرين مفاخرين . . . فما هي الحقيقة في ذلك ؟

نحن نريد أولا ان نسلم ـ جدلا ـ بصحة هـذا القول ، ولكننا نريـد ان نسأل هذه الجماعة هل ان النبي محمدا صلى الله عليه وآله المؤسس الاول للدولة انما قصد بتأسيسها ان يحل محل الحكمين البيزنـطي والساساني الاستبداديـين الظالمين المتحكمـين بشعبيهـما تحكـما فـرديا لا يبـالي بـان يستبيـح الـدمـاء والامـوال والكرامات ، ولا يهمه استفحال الفقر بالفقراء واستشراء الغني بالاغنياء ، وتميز فئة محدودة بكل الخيرات ، وتميز جمهور الشعب بالبؤس والفاقـة والذل ، هـل كان قصد النبي محمـد صلى الله عليه وآله ان يحل محـل هذين الحكمـين حكم عربي فيـه المفاسد نفسها ، ولا يبرره الا انه حكم عربي ؟ .

ام ان مقصـد النبي محمد صلى الله عليه وآله بـرسالتـه الاسلاميـة وتأسيسـه للدولة الجديدة ان تكون ثورة عالية على فساد الحكام والتمييز بين الطبقات ، وتطبيق القانون على الناس جميعا ، واحلال الكفاءة والاخلاص محل الانساب ، وتوزيع الثروات على الناس توزيعـا عادلا ، واحـلال الشورى محـل الاستبداد والغـاء التمييز العنصري الى غير ذلك مما ليس هذا مجـال تعداده . ان كـانت رسالـة محمد صلى الله عليه وآله تستهدف الامـر الاول ، فيحق لنا حينئـذ ان نباهي بـالعروبـة المزعومة للدولة الاموية . . . واما إذا كانت تستهدف الامر الثاني ، فان علينا ان نخجل كل الخجل من المصير الذي صارت اليه الشعوب كلها بما فيها الشعب العربي من الانقلاب على الحكم الذي هدفت اليه رسالة محمد صلى الله عليه وآله .

ولكن مـا هي حقيقة عروبة الدولـة الامويـة ؟ أصحيـح انها استهـدفت مصلحة العرب ؟

الاحداث تجيب

لنترك الاحداث تجيبنا على ذلك فنحن نعلم ان العرب قبل الاسلام كانوا منقسمـين على انفسهم قبـائل ، لا يـرى الواحـد منهم من فخر لـه الا بقبيلته وحدها ، ولا شأن له ببقيـة العرب ، وان انتهاءه انما هـو لهذه القبيلة ، وانـه يستبيح دماء أي فرد من قبيلة اخرى إذا حاولت منافسة قبيلته ، انهم لا يهمهم الا اعـزاز قبـائلهم لا اعـزازامتهم . ان عمـرو بن كلثـوم صـاحب النـونيـة الافتخارية الشهيرة كان يباهي القبائل الاخرى ويتحداها بقبيلتـه ، فهو حـين يقول مثلاً :

اذا بـلـغ الفـطـام لنـا صـبـي   تخـر لـه الجـبـابـر سـاجـديـنـا

أو يقول :

مـلأنـا الـبر حـتى ضـاق عـنـا   وظـهـر الـبـحـر نملؤه سـفـيـنـا

انما يقصد بني تغلب وحدهم ولا علاقة له بـالعرب ، وهـو يريـد ان تخر جبابرة العرب ساجدة امام الصبي التغلبي المفطوم ؟

وهو يريد ان يملأ البر والبحر لا ليقاتل به اعداء العـرب ، بل ليقـاتل بـه العرب . . .

هذه هي الذهنية الجاهليـة التي جاء الاسـلام ليقضي عليها ، واستـطاع ذلك ، وصهر العرب كلهم في امة واحدة أرادها ان تحمل الاسلام الى العالم كله مطبقة فيه مفهومه الجديد للحكم ، لا ان يطبق على الشعوب حكم القيـاصرة والاكاسرة نفسه ، وان يحل محل ذلك الحكم بكل شروره ومفاسده . . .

فماذا كانت نتيجة الحكم الذي يسميه من يسميه بالحكم العربي ويشيدون بتعصبه للعرب وحدهم ؟ . . .

كانـت النتيجة ان هذا الحكم عاد بالعرب الى جاهليتهم الاولى من اثارة النعرات القبلية وتحريش القبائل بعضها ببعض لتنشغل بصراعاتها فيما بينها عن التبصر فيما يمارسه الحكم من اضطهاد وبما يتحكم فيـه من فساد ، وقـد نجح الحكم في ذلك الى أبعد الحدود .

لقد كان يصنف الناس الى قبائل فيقدم احدها ويغـدق عليها نعمـه ليثير احقـاد القبيلة الاخرى لتنسى كـل شيء ولا تفكر الا كيف تتقـرب من الحكم لتغيظ القبيلة المنافسة .

وقـد استعمل الحكم في ذلـك مختلف الوسـائل فكـان يحرّش بـين رؤساء القبائل ويحرّش بين شعراء القبائل ، فيثير بذلك الفتن بـين القبائـل وتعود الى ماضيها الجاهلي البغيض .

وكان الحكام يستغلون التقاء وفود القبائل في مجالسهم فيحرضونها بعضها على بعض ، ويدعون خطباء كل قبيلة الى التفـاخر والتبـاهي حين تفـد اليهم وفودهم . لـذلـك كانت كـل قبيلة تحرص عـلى ان يكون في وفـدها من يجيـد المقارعة والمفاخرة .

فقـد التقى وفد نـزار ووفد اليمن في مجلس معـاوية فـما زال بهم حتى قام خطباء نزار وذهبوا في خطبهم في التفاخر كل مذهب فقام صبرة بن شيمان سيد الازد واختصر الامر بان قال : (انّا حيّ فعال ولسنا حيّ مقـال ونحن نبلغ بفعالنا أكثر من مقال غيرنا) .

وانفض المجلس بعد ان بلغ الحكم غايته من اثارة الاحقاد بين القبيلتـين الكبيرتين .

وفي يوم آخر كانت عنده مجموعة من رجال القبائل فاراد ان يثير المنافسـة بينها جميعها دفعة واحدة فقال :

إذا جـاءت بنو هـاشم بقديمهـا وحديثهـا ، وجاءت بنـو امية بـاحـلامهـا وسياستها وبنو أسد بن عبد العزى برفادتها ودياتها ، وبنو عبـد الدار بحجـابها ولوائها وبنو مخزوم بافعالها وأموالها ، وبنو تيم بصـديّقها وجـوادها وبنـو عدي بفاروقها ومتفكرها وبنو سهم بأرائها ودهائها ، وبنو جمح بشرفها وبنو عامر بن لؤى بفارسها وقريعها ، فمن ذا يجلي في مضمارها ويجري الى غايتها ؟ . . .

ولم يكن شيء أكثر تحريشا بين القبائل واثارة أحقادها ودعوتها الى التفاخـر والتنابذ أكثر من هذا القول ينطق به رأس الحكم . . .

وكذلك فعل عبد الملك بن مروان حين دخل عليه عياش بن الزبرقان وعنده روح بن زنباع فقال عبد الملك : يا عياش ، أما ترى هذا اليماني يفخر بملوك اليمن ؟ . . .

وكان هذا القول كافيا لان يثير ما اثار في القبيلتين .

وكذلك فعل هشام بن عبد الملك حين حرش بين الابرش الكلبي وخالد بن صفوان . .

وفيها ذكر في هذا الموضوع ان معاوية وابنه يزيد بذلوا لقضاعة اموالا جسيمة لتنتفي من اليمن وتنتسب الى معد فاستجاب نفر من رؤسائها لذلك ، ولكن آخرين رفضوا هذا الانتساب وقاموا بمظاهرة صاخبة كان رجالها يرتجزون وهم يقتحمون المسجد :

يا ايها الداعي ادعنا وبشّر وكن قضاعيا ولا تنزّر
نحن بنو الشيخ الهجان الازهر قضاعة بن مالك بن حمير
النسب المعروف غير المنكر من قال قولا غير ذا يبصّر

وهكذا وقعت الفتنة في القبيلة الواحدة ، ثم امتدت الى أوسع من ذلك ، بين القبيلتين ، ثم الى العبث باحاديث الرسول فوضعت نزار حديثا ينسب فيه الرسول قضاعة الى معدّ ، بل يجعله بكر ولده ووضع اهل اليمن أحاديث تنقض هذا القول وتؤيد نسبة قضاعة الى حمير[1] .

ارأيت كيف نجحت اللعبة وبماذا انشغل الشعب ؟ . . .

وهناك قصيدة الوليد بن يزيد التي قالها في تحدي اليمن ، مما أثار الفتنة بين النزاريين واليمنيين . . وهذا الذي نذكره غيض من فيض ، وليس هو كل ما جرى ، بل هو نقطة من بحر ما جرى حتى لقد ادى الامر الى ان تكون النزاعات القبلية هي شغل الناس الشاغل اليومي ، ولعل ما يصور الامر على حقيقته ما رواه الجاحظ في (البيان والتبيان) من أنه : ما كان رجلان من قبيلتين يلتقيان حتى يتذكرا ايام قبيلتيهما في الجاهلية ويتفاخرا . وهذا ما رمت اليه دولة (القومية العربية) من أشغال الناس عنها بنزاعتهم .

القتال الدموي

على ان الامر تعدى التشاحن باللسان واستثارة الضغائن في النفوس ، الى القتال الدموي بين القبائل ، وهو النتيجة الطبيعية لشحن العقول بكل ما شحنت به ، فرأينا مثلا الوقائع الدامية بين قبيلتي قيس وتغلب في بلاد الجزيرة . وبعد ان كان المسجد مكان تلاقي الناس على المحبة والوئام أصبح مكان تلاقيهم على البغضاء والقتال كهذا الذي جرى في مسجد البصرة بين مضر وربيعة ، وبعد ان كان الهتاف فيه : حي على الفلاح ، صار يا لتميم . . . واقتحم بنو تميم في احدى المرات مسجد البصرة على مسعود بن عمر وأنزلوه عن المنبر وقتلوه .

وعمت الفتن القبلية جميع الارجاء وحملها ولاة دولة (القومية العربية) معهم الى ما تولوه من بلاد خارج الارض العربية ، لمن نزلها هناك من القبائل فكان والي خراسان[3] الجراح الحكمي يصرخ على منبر المسجد[2] : والله لرجل من (قومي)[3] احب اليّ من مئة غيرهم ، يقول هذا القول على مسمع من ليسوا قومه فتثور حزازاتهم وأضغانهم .

وعمر بن هبيرة والي العراق كان من دواعي فخره انه لم يعرض له أمر رأى فيه منفعة (لقومه) الا فعله[4] .

وخالد بن عبدالله القسري كان اشد خلق الله عصبية على نزار[4] وقد اتهمته المضرية بتعمد ايذاء شعراء مضر وحبسهم[5] وأخوه اسد بن عبدالله والي خراسان كان ينافس أخاه خالدا في عصبيته على النزارية[6] وجاء بعده واليا عليها نصر بن سيار فعمد الى فعل عكس ما فعله سلفه فاظهر العصبية لمضر ، لتزداد الفتنة تأججا فالحكم تارة مع هؤلاء وتارة مع خصومهم[7] .

وعبيدة بن عبدالرحمان السلمي والي افريقيا أضرّ بمن هناك من الكلبيين وتعصب عليهم[8] .

وكما قلنا فقد ادى ذلك الى الاقتتال الدموي حتى بين القبائل العربية خارج الارض العربية كهذا القتال الطويل في خراسان الذي قاده عبدالله بن خازم السلمي في الحرب بين قبيلته وبين قبائل ربيعة والازد والذي استطاع بعده ان يستأثر بالامور في خراسان الى حين[9] فتساءلت قبيلة بكر : علام يأكل هؤلاء خراسان دوننا ؟ وهكذا فالتزاحم لا على المآثر والمكارم ، ولا على نشر العدل ، بل على (الاكل)[10] .

ولم تقتصر فتنة خراسان هذه على عرب خراسان بل تردد صداها وامتد اثرها الى العراق حيث حرّق مالك بن مسمع دور تميم في البصرة ردا على مذابح ابن خازم في قبيلة ربيعة في هرات[11] وعبدالله بن خازم نفسه لم يقصر في خراسان بالايقاع في بني تميم حين حصرهم في حصن (فرتنا) وقتل فرسانهم وابطالهم مما تردد صداه في تميم في العراق[12] .

وكذلك لما هاجت العصبية بخراسان بين اليمنية والمضرية ارسلت يمانية الشام الى خراسان نجدة عسكرية لنصرة قومهم[13] وفي (بلخ)[14] وقعت معركة البرقان بين المضرية وعلى راسهم نصر بن سيار وبين الازد وبكر وعليهما عمرو بن مسلم[15] ولما ثارت الفتنة القبلية في خراسان بين نصر بن سيار والكرماني اجتمعت اليمانية تحت لواء الكرماني واجتمعت مضر الى نصر .

---

(١) ليس هذا الحادث وحده الذي وضعت فيه الاحاديث النبوية ، فان احد كبار رواة الحديث المشهورين جعل أحاديث الرسول طرفاً في النزاع القبلي ، فاخذ يروي : الايمان يمان ، آل لخم وجذام صلوات الله على جذام يقاتلون الكفار على رؤوس الشعاف وينصرون الله ورسوله (الانباه ص ١٠٤).

(٢) الطبري .
(٣) سنرى ما يقصد بكلمة (قومي) .
(٤) الاغاني .
(٤) الطبري .
(٥) طبقات ابن اسلام .
(٦) الطبري .
(٧) الطبري .
(٨) انساب الاشراف .
(٩) فتوح البلدان .
(١٠) ن . م .
(١١) الطبري .
(١٢) ن . م .
(١٣) ن . م .
(١٤) هي اليوم تتبع افغانستان .
(١٥) الطبري

الوحشية والفظائع

على ان اخطر ما انتجته سياسة دولة (القومية العربية) في اثارتها النزاع بين قبائل العرب الى حد الحروب الدامية ، هو ان هذه الحروب فاقت بشراستها وفظائعها حروب القبائل في الجاهلية بل ادت هذه الحروب الى ما يصم التاريخ العربي بوصمة العار . فقد كانت الحروب القبلية في الجاهلية انما يثيرها الفقر وطلب المغانم ، لذلك كان الظافرون فيها يحرصون على استبقاء الاسرى لفاداتهم بالمال . اما في حروب دولة (القومية العربية) فقد عادت الحروب القبلية حروب افناء وابادة لا حروب حصول على الاسرى ، وارتكب فيها من الفظائع ما يخجل الانسانية كلها لا العرب وحدهم ، ففضلا عن قتل الاسرى وما فيه من شناعة وعار ، فقد جاءت هذه الحروب بما لم يعرفه العرب في تاريخهم من وحشية وفظاعة ، لقد كانت حروب القبائل الجاهلية تتسم دائما بطابع من المروأة العربية الاصيلة التي كانت هي ميزة العربي الاولى لا سيما مع النساء .

اما الحروب القبلية التي اثارتها دولة (القومية العربية) فقد كان بعض افعالها بقر بطون النساء الحوامل . ففي وقعة (ماكسين) وحدها بقرت قبيلة قيس بطون الفين من بطون نساء تغلب[١] وافتخر بذلك شاعرهم نفيع بن صفار المحاربي فقال :

بقرنا منهم الفي بقير فلم نترك لحاملة جنينا

وفي معركة الثرثار[٢] الاولى بين جموع بني سليم وجموع ربيعة التي انهزم فيها بنو سليم ، بقرت ربيعة بطون ثلاثين امرأة من بني سليم .

ولما التقت تغلب وقيس يوم الكحيل وانهزمت تغلب وراحت فلولها تحاول عبور دجلة ، غرّق القيسيون من التغلبيين بشراً عظيماً في النهر وقتلوا من وقع في ايديهم اسيرا وبقروا بطون نسائهم ، وفي معارك ابن خازم مع ربيعة في خراسان التي مرت الاشارة اليها وانتصر فيها ابن خازم ، ظل ابن خازم يقتل كل من وقع في يده من الاسرى حتى غابت الشمس .

والظاهرة الملفتة للنظر انه في المدن المتأثرة بسياسة دولة (القومية العربية) كانت الفتن تعظم وتشتد وتمتد ففي البصرة مثلا حيث كان التجمع القبلي الكبير : مضر وربيعة والازد كانت الفتن بين القبائل متواصلة لا تهدأ ولا تستقر ، في حين ان الكوفة غير المتأثرة بسياسة دولة (القومية العربية) ، كانت قبائلها على كثرتها وتنوع أصولها متماسكة فلم يظهر فيها نزعات قبلية ذات شأن كالتي شهدتها البصرة . والعجيب في أمر هذه القبائل المتنازعة المتقاتلة انها في أعماق نفوسها كانت تحس ان الدولة هي التي تؤرث البغضاء بينها فتدفعها الى الاحتراب والتعادي . وبدافع من هذا الأحساس رأينا هذه القبائل عندما كانت تلوح لها أول فرصة للثورة على هذه الدولة تنسى كل ما كان بينها من اشتجار وتهاجي واقتتال ، وتهب كلها يمنيها ومضريها وربيعيها وتجتمع على الثورة على دولة (القومية العربية) كما حدث في الثورة على ممثل السلطة الحجاج بن يوسف التي فرضت الظروف ان يقودها عبدالرحمان بن الاشعث سنة ٨١ . فسمعنا شاعر تلك الثورة اعشى همدان ينطق باسم العرب جميعا ، باسم القبائل الثائرة كلها معددا لها قبيلة قبيلة قائلا :

سار بجمع كالدبى من قحطان ومن معد قد أتى ابن عدنان
بجحفل شديد الارنان فقل لحجاج ولي الشيطان
يثبت لجمعي مذحج وهمدان والحي من بكر وقيس عيلان

وكذلك في ثورة الحارث بن سريج في خراسان سنة ١١٦ حيث اجتمعت تحت قيادته مضر واليمن والازد وتميم وهي القبائل المتنافرة المتنازعة ، ولم يكن أعجب من أن تمشي اليمن وراء زعيم مضري .

السياسة التطبيقية

وكانت السياسة التطبيقية بتأريث العداوة بين القبائل هي خطة الحكم فعبد الملك بن مروان مثلا بعد ان قرب اليمانية واغدق عليهم ما اغدق ، فاثار العداء بينهم وبين القيسية وتحققت اهدافه ، عاد يقرب القيسية ويحلهم محل اليمانية لتزداد الاحقاد ويتأصل النزاع .

ومثل هذا فعل من تقدموه ومن تأخروا عنه . فمنهج الحكم قبلي بحت لا عربي قومي ، فلا يقدّم العربي لانه عربي ، بل تقدم القبيلة كلها او تجفى كلها ليظل الصراع مشتعلا بين القبائل .

وهكذا تقسمت الامة العربية من جديد الى قبائل متنازعة متخاصمة ، بعد ان صهرها الحكم العربي الصحيح حكم محمد بن عبدا صلى الله عليه وآله في وحدة متراصة متكاتفة تبرز العربي عربيا لا يعلن انتماءه الا للعرب ، لا الى قبيلة من القبائل ، الى العرب الذين عوّل عليهم محمد صلى الله عليه وآله في حمل رسالته العالمية الى الكون كله .

وكان اعظم ادوات الحكم (العربي) الذي يباهي به الكاتب لتمزيق الصف العربي هم الشعراء الذين كان يغريهم الحكام بالعودة الى التفاخر بالقبيلة لعلمهم باثر الشعر في ذلك . وكان الرسول العربي يعرف ما يفعله شعر الشعراء في اضرام التعادى القبلي لذلك قال في بعض ما قاله : (من قال في الاسلام هجاء مقذعا فلسانه هد) . وعماد الهجاء المقذع تفضيل الشاعر احدى القبائل على القبيلة المهجوة .

وهكذا انفصمت عروة القومية العربية ، وعاد (قوم) الفرد لا امته ، بل قبيلته فسمعنا مثلا الفرزدق يقول :

تميم هم (قومي) فلا تعدلنهم بحي اذا اعتزّ الامور كبيرها

وسمعنا عبدالله بن خليفة الطائي يقول :

فلا يبعدن (قومي) وان كنت غائبا وكنت المضاع فيهم والمكفرا

وسمعنا الفرزدق يكرر القول :

انا الضامن الراعي عليهم وانما يدافع عن احسابهم انا او مثلي
اذا ما رضوا مني اذا كنت ضامنا باحساب (قومي) في الجبال وفي السهل

وسمعنا جريرا يقول ، وهو وان لم يذكر كلمة (قومي) ، فيكفي انه يعلن ان (الاعداء) في نظره هم اعداء قبيلته لا اعداء العرب :

ألم اك نارا يصطليها (عدوكم) وحرزا لما الجأتم من ورائيا

كما اعلن الفرزدق بأن الاحساب التي يدافع عنها هي احساب القبيلة لا احساب العرب .

واذا كان جرير لم يذكر في البيت المتقدم كلمة (قومي) فقد ذكرها في بيت آخر هو :

---

(١) انساب الاشراف والاغاني وماكسين أو ماكس من قرى الخابور قرب رأس العين .
(٢) الثرثار : نهر ينتزع من هرماس نصيبين ويفرغ في دجلة بين الكحيل ورأس العين .

واني لمن (قـوم) بهم تتقى العـدى ورأب الشأى والجانب المتخوف

وهكذا استحالت الرابطة بين العرب من الرابطة القومية التي تعني (بالقوم) العرب جميعهم ، الى الرابطة القبلية التي تعني (بالقوم) القبيلة وكثر ذلك في الشعر العربي . فقال الطرماح :

لم يفتنا بالوتر (قوم) وللضيم رجال يرضون بالاغماض

وقال ايضا مفتخرا بمحاماة مذحج والازد عن اهل العراق ومشاركتهم في قتل قتيبة بن مسلم :

(قوم) هم قتلوا قتيبة عنوة والخيل جانحة عليها العثير
بالمرج مرج الصين حيث تبينت مضر العراق من الاعز الاكبر

وقال عبدالله بن عمر العبلي :

اؤلئك (قومي) تداعت بهم نوائب من زمن متعس

وقال عبدالله بن قيس الرقيات :

حبذا العيش حين (قومي) جميع لم تفرق امورها الأهواء

وهكذا نسي العرب انهم عرب تربطهم امة واحدة .

الهوان

وقد ادى تحريش السلطة بين القبائل الى ان يستهين العرب بعروبتهم وان يلجأوا الى الامم الاخرى ليفاخروا بانتسابهم اليها ، فلما فاخرت القحطانية بملوكها القدامى وبما كان لهم من سلطان على القبائل المعدّية ، ادعت العدنانية ان الفرس الذين دانت لهم بلاد اليمن قديماً يرجعون في نسبهم الى جدهم الذي ينتمون اليه اذ هم من ولد إسحاق بن إبراهيم . فقال إسحاق بن سويد العدوي :

إذا افتخرت قحطان يوما بسؤدد اتى فخرنا اعلى عليها واسودا
ملكناهم هم بدأ بإسحاق عمنا وكانوا لنا عونا على الدهر اعبدا
ويجمعنا والغرّ ابناء فارس اب لا نبالي بعده من تفردا

وهكذا عاد العرب في ظل دولة (القومية العربية) يفاخرون بأن العرب كانوا عبيدا لغيرهم ، ويتباهون لا بالعروبة وانسابها ، بل بصلة النسب التي زعموا بانها تربطهم بالفرس (الغرّ) . والدولة مرتاحة لذلك ما دام فيه شاغل للشعب عن التفكير في تدبر أموره ، وما دامت هي المسبب لكل ذلك .

وقد بلغ الهوان العربي اقصاه ، اذ تعدى الامر الافتخار بالفرس (الغرّ) الى التفاخر باليهود (الغرّ) . في طل دولة (القومية العربية) فسمعنا جريراً يقول :

ابونا أبو اسحاق يجمع بيننا أب كان مهديا نبيا مطهرا
ومنا سليمان النبي الذي دعا فأعطي بنيانا وملكا مبخرا
وموسى وعيسى والذي خر ساجدا فانبت زرعا دمع عينيه اخضرا
ويعقوب منا زاده الله حكمة وكان ابن يعقوب أمينا مصورا
فيجمعنا و(الغرّ) ابناء سارة اب لا نبالي بعده من تعذرا

ثم عاد الامر مهزلة من المهازل كانت تضحك لها الدولة بملء اشداقها ، ان العدنانية ارادوا ان يزيدوا الى فخارهم بالفرس فخارا بامم اخرى فجمعوا الى ارتباط نسبهم بالفرس ارتباطه بالاكراد والهنود والبربر والديلم[1] ولما

(١) العقد الفريد ٤٠٧/٣ .

رأى القحطانية ذلك جاروهم في التنصل من النسب العربي فادعوا اتصال نسبهم باليونان ، واختصوا اليونان ، لأن العدنانية انتسبوا إلى الفرس اعداء اليونان ، فزعموا ان يونان بن عابر هو أخو قحطان بن عابر[٢] . ولا دعاء النزارية قرابتهم بالديلم ادعى القحطانية قرابتهم بالترك[٣] .

وقد ادى هذا الحال الى ان يصبح العرب في ظل دولة (القومية العربية) مهزأة الامم ومضحكتها فقال أحد شعراء الاعاجم يخاطب العرب ساخرا منهم :

زعمتم بأن الهند أولاد خندف وبينكم قربى وبين البرابر
وديلم من نسل ابن ضبة باسل وبرجان من أولاد عمرو بن عامر
فقد صار كل الناس أولاد واحد وصاروا سواء في أصول العناصر[١]

لمن السيادة

يقول الكاتب فيما يقول : (حيث العرب من كل قبيلة وفخذ ودين هم السادة وغير العرب ولو هم مسلمون من الموالي) .

ونقول له : كلا لم يكن الامر كذلك فالسيادة والسلطة والحكم لفئة نفعية تحسن استعباد الناس وسفك دمائهم ونهب أموالهم ، اما بقية العرب فللهوان والذل والقتل والنهب ولا تشفع لهم عروبتهم ولا نسبهم العدناني أو القحطاني العريق .

ونعرض له واحدا ممن كانت لهم السيادة . فقد كان سمرة بن جندب واليا على البصرة بالوكالة ، فلما جاء الوالي الاصيل كان سمرة قد قتل في غيابه ثمانية آلاف رجل ، وكان لا بد له من أن يقدم (تقريرا) شفهيا للوالي الاصيل فذكر له فيما ذكر انه قتل في هذه المدة القصيرة ثمانية آلاف رجل ، فكان كل ما علق به الاصيل ـ وهو زياد بن سميّة ـ ان سأله هل تخاف ان تكون قد قتلت احدا بريئا ؟ فأجاب سمرة : لو قتلت اليهم مثلهم ما خشيت . . . . وانتهى التحقيق واقفل المحضر بهذا الجواب الموجز .

ثمانية آلاف عربي يقتلهم هذا الوالي الذي كانت له (السيادة) في دولة (القومية العربية) ، يقتلهم بكلمة واحدة يقولها . . .

فأين (سيادة) هؤلاء الالاف الثمانية الذين هم من (كل قبيلة وفخذ) على حد تعبير الكاتب ؟ . . .

وإذا كان هذا ما فعله وال واحد كان واليا (بالوكالة) لمدة قصيرة فلك ان تقدر ما فعله الولاة الاصلاء في المدد الطويلة وهذا الوالي بالوكالة خرج يوما من بيته الى (مكتبه) بموكبه الرهيب ، فلما كان عند دور بني اسد خرج رجل من بعض ازقتهم ففجأ اوائل الخيل فحمل عليه رجل من القوم فأوجره الحربة ثم مضت الخيل ، فأتى عليه سمرة بن جندب وهو متشحط بدمه ، فقال ما هذا ؟ قيل : اصابته اوائل خيل الامير ، قال : إذا سمعتم بنا قد ركبنا فاتقوا اسنتنا . . .

العرب سكان البصرة (من كل قبيلة وفخذ) وفيهم بنو اسد : عليهم إذا

(٢) التنبيه والاشراف ص ١٠٠ .

(٣) مروج الذهب .

(١) العقد الفريد ٤٠٧/٣ .

سمعوا ان سمرة بن جندب قد ركب وسار بموكبه - عليهم ان يخلوا الشوارع ويتخذلوا في بيوتهم حتى يمر الموكب ، والا أوجرتهم الحراب .

ومن سوء حظ العرب سكان البصرة (من كل قبيلة وفخذ)، انه لم يكن في البصرة يومذاك (اذاعة) تعلن ساعة الصفر لموكب الامير ليتقي اهلها الاسنة .

هذه هي (السيادة) التي كانت للعرب (من كل قبيلة وفخذ) في حكم دولة (القومية العربية). ونحن نسأل الكاتب - وهو اليساري العتيق - هل جعلت روسيا الشيوعية السيادة للروس وحدهم في الاتحاد السيوفييتي ، ام جعلتها - وهي صاحبة الدعوة العالمية - لكل من آمن بالدعوة من سكان الاتحاد ؟

ألم يتول اعلى منصب فيها في وقت من الاوقات رجل ارمني كان مؤهله انه مؤمن بالدعوة مخلص لها ؟

فلماذا اذن تتبجح بما تتبجح به ، في حين ان الاصل في قيام الدولة العربية كان الدعوة الاسلامية العالمية ؟

ان رسول الدعوة ومنشيء الدولة محمد بن عبدالله ﷺ قد جعل في قمم السلطة ثلاثة من غير العرب ، كانت مؤهلاتهم هي إيمانهم بالدعوة واخلاصهم لها . لقد كان سلمان الفارسي وبلال الحبشي وصهيب الرومي من اركان الدولة حاملة الرسالة الاسلامية ، هذا والدولة لم تكن تعدت بعد حدود الجزيرة العربية ، فكيف بها لو تعدتها فالى أي حد كان يمكن أن يكون عدد المشاركين من غير العرب في بناء الدولة والمساهمين في تسيير دفتها ؟؟ يتبجح الكاتب بما صار اليه امر الموالي . . . ونحن نريد ان نعرض للقراء بعض ما كان عليه امر الموالي الذين آمنوا بالدعوة العالمية الاسلامية ، لنرى ان كان القراء يشاركون الكاتب تبجحه .

كان من خلفاء دولة (القومية العربية) خليفة واحد يستحق بان يحمل لقب (القومي العربي) بكل ما تحمله هذه القومية من حب وتسامح وعدل وتكفل بالتزام الدعوة الاسلامية العالمية . ذاك هو عمر بن عبد العزيز ، ففي أول عهده بالحكم ارسل اليه والي خراسان الجراح بن عبدالله وفدا من قبله تملقا له ، وكان الوفد مؤلفا من عربيين ومن مولى يصفه الطبري بانه كان فاضلا في دينه ، فتكلم العربيان عند عمر والمولى ساكت ، فقال له عمر : اما انت من الوفد ؟ قال : بلى . قال فما يمنعك من الكلام ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، عشرون الفا من الموالي يغزون بلا عطاء ولا رزق . . الى ان يقول : أميرنا عصبي جاف يقوم على منبرنا فيقول : والله لرجل من قومي احب اليّ من مائة من غيرهم ، وهو بعد سيف من سيوف الحجاج قد عمل بالظلم والعدوان . . .

هال عمر بن عبد العزيز ما سمع ، واكبر هذا المولى (عضو الوفد) على صراحته وجرأته وتقريره الحقيقة الفظيعة ، فقال له : إذن مثلك فليوفّد . . .

ماذا يعني هذا القول ؟ انه يعني ان عشرين الف رجل من الموالي يجندون في الجيش ويساقون الى الغزو دون ان تدفع لهم دولة (القومية العربية) درهما واحدا ، وفوق ذلك فانها لا تقدم لهم الطعام ، بل ان عليهم ان يقاتلوا ، وعليهم في الوقت نفسه ان يتكلفوا تدبير امر طعامهم . . .

عشرون الفاً في منطقة وال واحد ، فاذا حسبت عدد الولاة فكم من عشرين الف آخرين ستجد ؟ . . .

هذا مثال واحد عن معاملة دولة (القومية العربية) لغير العرب الذين تحكمهم وهذه هي المعاملة التي يتبجح بها الكاتب .

ولن نتعرض الى ذكر المهانة اليومية التي كان يعيش فيها الموالي ، مثل انهم كانوا ينادونهم بالقابهم لا باسمائهم كما ينادون الرقيق ، وإذا ارادوا الزواج فلم يكن بدّ من الرجوع الى (السادة) الذين كان لهم حق المعارضة في تلك العقود ، وكان مفروضا عليهم وحدهم ضريبة الرؤوس . ويفهم مما ذكره الطبري انهم في حال الحرب لم يكن مسموحا لهم ان يكون منهم احد في صفوف الفرسان ، بل كانوا دائما من المشاة . . .

ما رأى الكاتب - وهو اليساري العتيق كما قلنا - ما رأيه لو ان الروس في حروبهم للنازية ساقوا شبان القوميات التابعة لهم الى حرب الالمان دون ان يدفعوا لهم (روبلًا) واحداً وأجبروهم على ان يتكلفوا بانفسهم اطعام انفسهم خلال القتال ؟؟

ثم ما رأيه لو ان الروس اعتبروا ابناء تلك القوميات من (الموالي) مهما اخلصوا في شيوعيتهم ، واعتبروا انفسهم وحدهم السادة ؟؟ .

وما رأيه حين فعلوا العكس فاعتبروا كل شيوعي من ال ، ولو كان غير روسي ، فسلموا حكم القوميات الاخرى للشيوعين منها ؟ .

ثم ما رأيه لو ان الذي خلف لينين في حكم الاتحاد السوفيتي كان من اعنف من قاوموا ثورة اكتوبر وقاوموا لينين بالذات ثم لم يترك من ثورة اكتوبر الا اسمها وعمد الى تهديم كل ما اقامته الثورة من قواعد ومنها اعتبار كل الشيوعين من (السادة) لا من (الموالي) مهما اختلفت جنسياتهم ؟ . . .

المتعصبون الحرفيون

يسمي الكاتب الذين قاوموا الانقلاب على شعارات وتشريعات الدولة العربية حاملة الدعوة الاسلامية العالمية ، يسميهم (رجال الدين المتعصبين والحرفيين والجامدين) .

ونحن نسأله وهو - كما قلنا ونكرر القول للمرة الثالثة اليساري العتيق - ألم يكن من اهدافه هو نفسه ان يثور على النظام القائم ، مع ان هذا النظام له دستوره وقوانينه وانظمته التي يتساوى فيها الناس جميعا ، ولم يكن فيه (المحافظ بالوكالة) يأمر بقتل ثمانية آلاف رجل بلا محاكمة ولم يكن هذا النظام يسوق الى الجندية والحرب عشرات الالوف دون ان يدفع لهم ليرة واحدة ودون ان يقدم لهم الطعام ، وكل عيوب هذا النظام انه يختلف مع الكاتب في النظرة الاقتصادية . ومع ذلك كان الكاتب يدعو للثورة على هذا النظام ويعمل لهذه الثورة ولا يرى نفسه (من رجال الدين المتعصبين والحرفيين والجامدين).

وهل من هؤلاء حتى الشعراء المداحون المتملقون الذين لم يستطيعوا مع ذلك ان يسكتوا على ما ينال الشعب من حرمان واهتضام ، فنرى مثلا الراعي النميري - وهو ممن لا يتهمون في ولائهم لدولة (القومية العربية)، نراه يضطر للخروج على التملق ، ليشكوا ما ينال الرعية من جباة الضرائب الذين ينزلون بها كل صنوف الجور :

قوم اصابوا ظالمين قتيلا ... قطعوا اليمامة يطردون كأنهم
عقدا يراه المسلمون ثقيلا ... واتاهم يحيى فشد عليهم
بعد الغنى وفقيرهم مهزولا ... كتبا تركن غنيهم ذا عيلة

ثم يكرر وصف ما ينزل بالشعب في قصيدة اخرى :

اما الفقير الذي كانت حلوبته … رفق العيال فلم يترك له سبد
واختل ذو المال والمثرون قد بقيت … على التلاتل من اموالهم عقد(١)

فهل هذا الشاعر الذي يعطينا صورة عن حال الشعب الهضيم في ظل دولة (القومية العربية) هو الاخر من (رجال الدين المتعصبين والحرفيين والجامدين) .

وهل بلغت الحال بالشعب في عصر الكاتب الى حال الشعب في عهد الراعي النميري التي رأينا بعض وصفها في شعره حين كان يدعو الاول الى الثورة على النظام ؟؟.

الشيعة يحمون العالم الاسلامي
يردون البيزنطيين عن بلاد الشام
ويذودونهم عن القدس

اذا كان العاهل البيزنطي (هرقل) قد وقف بعد معركة اليرموك وما تلاها ـ اذا كان قد وقف فوق جبال طوروس وتطلع الى سوريا التي تمزقت فيها جيوشه ، وتنهد تنهد الاسيف وقال : وداعا يا سوريا ، وداعاً لا لقاء بعده . . .

اذا كان هرقل قد ايس من العودة الى سوريا فان الذين تلوه بعد ذلك بقرون لم ييأسوا منها وظلوا متشبثين بها لا سيما بعد ان انفرط نظام الدولة الكبرى ، دولة اعدائهم ، وعادت دولا مقسمة تتنازع وتتقاتل ، في حين كانوا هم قد تقووا واستفحل امر بعضهم استفحالا يرى فيه نفسه جديرا بالعودة الى سوريا تحت رايات الظفر المؤزر .

فقد جاء قسطنطين ليكابينوس ، ثم تلاه الاخوان برداس فوكاس اولا ثم نقفور فوكاس ، وكل من هؤلاء الثلاثة كان يجمع الى المطامح البعيدة ، القوة التي يرتكز عليها لتحقيق هذه المطامح ، وفي رأس هذه المطامح : اعظمها وهو العودة الى بلاد الشام (سوريا ولبنان وفلسطين والاردن) واسترداد السيادة البيزنطية عليها .

ولكن تشاء المقادير ان تخلق من ذلك التمزق العربي تكتلين ، يتماسك كل منها تماسكا محكما ، ويقود كلا منها قائد يجمع الى الاخلاص ، الكفاءة التي تعوز مواجهة المطامح البيزنطية .

فقد قامت في شمال افريقيا دولة الفاطميين ، وقضت هناك على الكيانات الانفصالية وجمعتها كلها في كيان واحد متلاحم . كما قامت في الوقت نفسه في شمال بلاد الشام دولة الحمدانيين(٢) ، وضمت اليها ما استطاعت ضمه من الاشلاء ومضت تشق طريقها شجاعة طماحة .

فوقت كان يتعاقب على حكم بيزنطية من عددناهم من قبل ، ووقت كان قسطنطين ليكابينوس يعربد مهدداً متوعداً ، كان يقوم على رأس الدولة الحمدانية : سيف الدولة فلا ينتظر تقدم عدوه اليه ، بل يتحداه في عقر داره .

ثم يأتي برداس فوكاس ويقود الجيوش مقتحما الارض العربية على سيف الدولة ، ويصمد له سيف الدولة فلا ينال برداس منه منالا ، بل يفقد في كل معركة العدد الخطير من جيشه وقواده ، حتى يحيق به المصير الرهيب في معركة مرعش سنة ٣٣٢ هـ (٩٥٣م) فيجرح في وجهه ويقع ابنه قسطنطين اسيرا فيمن يقع من الاسرى .

ويكبر الامر على برداس ويبلغ به الحزن مداه على اسر ولده ، فلا يجد ملاذا لخيبته واحزانه الا الترهب ودخول الدير .

ويأتي شقيقه نقفور فوكاس الثاني وهو اشرس الثلاثة واعتاهم ، وقد كانت مطامحه متوازية مع شراسته وعتوه . وقد سبق له قبل توليه الملك ان قهر العرب حين كان قائداً عاما للقوات البيزنطية البرية والبحرية في الجبهة الغربية ، فانتزع منهم جزيرة كريت سنة ٣٥٠ هـ (٩٦١ م) .

ثم ازداد طموحا وثقة بالنفس بعد ان تولى الملك سنة ٣٥٢ هـ (٩٦٣ م) بتزوجه ثيوفانو ارملة الامبرطور رومانوس واعلان نفسه امبراطورا . وكان شعاره الوصول الى القدس ، وحين تقدم ففتح طرسوس خطب على منبرها قائلا ان هذه البلدة هي التي كات تعوقه عن الوصول الى القدس .

ألاسطول الفاطمي

وفي هذا الوقت كان على رأس الدولة الفاطمية خليفة خليق بالمهمة التي اعدتها له المقادير هو المعز لدين الله . واذا كانت مهمة سيف الدولة الحمداني مقصورة على مقاتلة البيزنطيين برا فاكتفى باعداد الجيوش البرية ، فأن مهمة المعز الفاطمي كانت مزدوجة اذ كان عليه ان يقاتل برا وبحرا ، لذلك انصرف اول ما انصرف الى اعداد اسطول ضخم جعل منه سيد البحر المتوسط ، حتى لقد وصف احد المؤرخين الوضع قائلاً : « استطاع المعز بفضل اسطوله القوي ان يجعل غربي البحر الابيض المتوسط بحيرة فاطمية » . وقد خص هذا المؤرخ غربي البحر ، لأن الفاطميين لم يتقدموا بعد الى الشرق ولم يصلوا الى مصر وبلاد الشام . اما بعد ان وصلوا اليها فقد اصبح هذا البحر كله بغربيه وشرقيه بحيرة فاطمية . كما امتد اسطولهم الى البحر الاحمر ، فكما كانت الاسكندرية ودمياط في مصر وعسقلان وعكا وصور وصيدا في الشام اهم المرافىء تتجمع فيها قطع هذا الاسطول في البحر الابيض ، كانت عيذاب اهم مرافىء البحر الاحمر .

وقد أثار هذا الاسطول شاعرية شاعر المعز ، محمد بن هاني الاندلسي فانطقها بقصيدة من عيون الشعر العربي الخالد ، تحسب وانت تقرأها انك امام وصف اسطول حربي معاصر ، يقول فيها مخاطبا المعز بعد انتصار الاسطول في احدى معاركه الكبرى مع اسطول البيزنطيين :

لك البر والبحر العظيم عبابه … فسيّان اغمار تخاض وبيد
وما راع ملك الروم الا اطلاعها … تنشر اعلام لها وبنود
عليها غمام مكفهر صبيره … له بارقات جمة ورعود
مواخر في طامي العباب كأنه … لعزمك بأس او لكفك جود
انافت بها اعلامها وسما لها … بناء على غير العراء مشيد
من الراسيات الشم لولا انتقالها … فمنها قنان شمخ وريود
من القادحات النار تضرم للصلى … فليس لها يوم اللقاء خمود
اذا زفرت غيظا ترامت بمارج … كما شب من نار الجحيم وقود
فأنفاسهن الحاميات صواعق … وافواههن الزافرات حديد
لها شعل فوق الغمار كأنها … دماء تلقتها ملاحف سود

ولابن هاني في وصف معارك هذا الاسطول الخالدات من القصائد التي

(١) الحلوبة . الناقة . رفق العيال : أي بها لبن على قدر حاجتهم لا يفيض عنهم . اختل : افتقر . التلاتل : الشدائد . العقد : البقايا القليلة .
(٢) راجع ترجمة سيف الدولة الحمداني علي بن حمدان في موضعها من (اعيان الشيعة) .

تعتبر من اروع ما خلف الشعراء العرب من تراث شعري ملحمي ، ولا يتسع المجال هنا للافاضة في الحديث عنها ولكننا نكتفي بهذه الابيات من قصيدة يخاطب فيها ابن هاني نقفور فوكاس بعد هزيمة اسطوله امام الاسطول الفاطمي :

وبعثت بالاسطول يحمل عدة ... فأثابنا بالعدة الاسطول
ادى الينا ما جمعت موفرا ... ثم انثنى باليم وهو جفول
ومضى يخف على الجنائب حمله ... ولقد يرى بالجيش وهو ثقيل

ثم يموت بطل الحمدانيين بل بطل العرب في عصره سيف الدولة ، فيموت بموته عنفوان الدولة ، ولا يكون في خلفائه من له شيء من صفاته ، وتنهار الجبهة الشرقية امام البيزنطيين ، في حين ظلت الجبهة الغربية ، جبهة الفاطميين قوية عنيفة بتوالي الخلفاء الاقوياء ، وكانت قد بلغت في ذلك كل مبلغ بوصول الفاطميين الى مصر والجزيرة العربية وبلاد الشام .

الشعر في معارك الظفر

من حسن حظ الادب العربي ان قد رافق معارك الظفر التي قادها سيف الدولة الحمداني والمعز لدين الله الفاطمي شاعران عبقريان ، ولن نقول عن المتنبي شاعر سيف الدولة شيئاً ، فهو مالىء الدنيا وشاغل الناس في عصره وفي كل العصور حتى هذا العصر . ولكن لا بد لنا من كلمات قصار عن الشاعر الآخر شاعر المعز : محمد بن هاني الاندلسي الذي بلغ من تفاخر مواطنيه به سواء في منبته بالاندلس او في مهجره بشمال افريقية ، ان سموه متنبي المغرب ، كما سموا بعد ذلك ابن زيدون : بحتري المغرب ، على عادتهم في محاولة مماشاة المشرق في كل شيء .

ولقد رأينا فيما تقدم نموذجا من شعر ابن هاني في وصف الاسطول ، وكل قصائده في وصف المعارك لا سيما البحرية منها على هذا النسق المتألق المتوثب ، حتى لقد كان جديرا بان يحمل اسم (منبي المغرب) ، والموضوع الذي حلق فيه متنبي المشرق هو الموضوع الذي حلق فيه متنبي المغرب ، وهو المعارك الظافرة والبطولة العربية الهادرة .

وكانت شهرة ابن هاني قد امتدت الى المشرق حتى وصلت الى المتنبي نفسه ، وقيل ان المتنبي كان عازما بعد فراق سيف الدولة على التوجه الى المغرب فلما بلغته قصيدة لابن هاني مطلعها :

تقدم خطى او تأخر خطى ... فأن الشباب مشى القهقرى

عدل عن عزمه وقال : لقد سد علينا ابن هاني طريق المغرب . ولم يحدد المؤرخون الذين رووا هذا القول زمن هذا العزم ، ولم يوضحوا هل كان قبل ذهابه الى كافور او بعد مفارقته له .

ومهما كان من امر فان القصة تدل على تهيب المتنبي من مجاورة ابن هاني . ومن المؤسف ان الحياة لم تطل بابن هاني . فقد اغتيل وهو لم يتجاوز السادسة والثلاثين ، وكان اغتياله وهو يهم باللحاق بالمعز الى القاهرة . ولقد خسر الشعر العربي خسارة كبرى بموت ابن هاني قبل ان يصل الى مصر ، فلو وصلها ورافق المعز في حياته المصرية وما حفلت به من امجاد لترك تراثا شعريا رائعا .

ولقد تألبت على ابن هاني قوى شتى عملت جاهدة على طمس اسمه وتشويه امره واخمال ذكره ، ولقد نجحت في ذلك الى حد بعيد ، ولست الآن في صدد الاشارة الى هذه القوى .

بعد المتنبي وابن هاني

رأينا فيما تقدم انهيار الدولة الحمدانية بعد سيف الدولة فتمهد الطريق امام البيزنطيين ليتقدموا في شمال بلاد الشام ويحتلوا فيه المدن ويبسطوا سيادتهم على اجزاء منه كما سيطروا على كيليكيا ، بل لقد غزوا شمال العراق وعبروا نهر دجلة . ولم يكن باستطاعة الفاطميين الاقوياء ان يعملوا شيئاً على الجبهة المشرقية ، لان بينهم وبينها أمادا واسعة لا سلطة لهم عليها . ثم اذا بهم على ابواب المشرق ثم في صميم مصر . ثم جاءت الخطوات التالية فإذا بهم يوغلون في المشرق ثم يصبحون جزءا منه ، واذا بهم وجها لوجه مع البيزنطيين في المشرق كما هم معهم في المغرب ، فجعلوا همهم الاول استرجاع ما استولى عليه البيزنطيون من المدن الشامية . وحاولوا اول الامر اجلاء البيزنطيين عن انطاكية التي كان قد استولى عليها نقفور فوكاس سنة ٣٥٨ هـ (٢٩٦٩ م) ، ولكن القوى البيزنطية كانت اكثر كثافة مما قدرت مخابرات الفاطميين وكانت تفوق قواتهم عددا واعدادا ، فان البيزنطيين عرفوا خطورة سقوط انطاكية فضلا عن انها مدينة البطاركة والقديسين ، لذلك اعتبرت منافسة بيزنطية من الناحية الدينية لهذا حشدوا للدفاع عنها قوى لم تكن في تقدير الفاطميين ، ففشل الجيش الفاطمي في استردادها ، واغتنم الامبراطور البيزنطي حنازيمسكس هذا الفشل وتقدم بجيوشه سنة ٩٧٥ من انطاكية الى حمص ومنها الى بعلبك ، وخافت دمشق مغبة مقاومته فخضعت ودفعت له الجزية ، ثم سلمت له طبريا وقيسارية ، وكان مصمما على الوصول الى القدس ، وهكذا يكون هذا الامبراطور البيزنطي ثاني من يفكر من اباطرة بيزنطية ، في استرجاع القدس من المسلمين ، بعد المفكر الاول نقفور فوكاس الثاني ، وهكذا تكون بيزنطية قد سبقت الصليبيين في التخطيط للنفاذ الى القدس .

ويبدو جليا من استعراض الاحداث ان الفاطميين ادركوا نية حنازيمسكس وصمدوا له فتراجع عن محاولة الوصول الى القدس وحول هدفه فاتجه الى الساحل اللبناني مغتنماً فرصة حشد الجيوش الفاطمية في طريق القدس ، فاستطاع الاستيلاء على صيدا وبيروت ، ثم اتجه الى طرابلس . وهكذا نرانا ونحن نقص هذا القصص ، قد صرنا في صميم التاريخ اللبناني ، وان ما نقصه هو جزء من تاريخ هذا البلد الجريح .

لم يغفل الفاطميون عن نيات الامبراطور البيزنطي فاسرعوا لصده عن طرابلس والوقوف في طريق زحفه اليها ، وعضدوا جيشهم البري المدافع عنها بأسطولهم الحربي ، واستطاعوا الحاق الهزيمة بالبيزنطيين ورد حنازيمسكس عن طرابلس وملاحقته حتى اخلى بيروت وصيدا وكل ما استولى عليه من مدن الساحل اللبناني . وظلت الضربات الفاطمية تلاحقه حتى ردته الى انطاكية .

ولما حاق به الفشل عاد آيبا الى القسطنطينية مقهورا حيث توفي في اوائل سنة ٩٧٦ .

هنا نفتقد المتنبي ونفتقد ابن هاني ، هنا نفتقد الشاعر العربي الذي يتغنى بالظفر العربي ، ونتلفت فلا نجد في الساحة من يقول في حنازيمسكس المهزوم المقهور اللائذ من بطولات الفاطميين بعاصمته ما قاله المتنبي في برداس فوكاس حين فر من المعركة جريحا في وجهه وترك ابنه اسيرا فيها ثم لاذ بالدير :

نجوت باحدى مهجتيك جريحة ... وخلفت احدى مهجتيك تسيل
اتسلم للخطية ابنك هاربا ... ويسكن في الدنيا اليك خليل
بوجهك ما انساكه من مرشة ... نصيرك منها رنة وعويل

او ما قاله ابن هاني في نقفور فوكاس بعد معركة المجاز البرية البحرية :

يـوم عـريض في الفخـار طـويـل ... لا تـنقضي غـرر لـه وحـجـول
مسحت ثغـور الشـام ادمعهـا بـه ... ولقـد تبـل الـترب وهـو همـول
قـل للدمستق مورد الجمـع الـذي ... مـا اصـدرتـه لـه قنـا ونصـول
سـل رهط (منويـل) وانت غـررتـه ... في اي معـركـة ثـوى منـويـل[1]
منـع الجنـود من القفـول رواجعـا ... تـبـا لـه بـالـمنـديـات قـفـول
لم يتـركـوا فيهـا بجعجـاع الـردى ... الا النجيـع عـلى النجيع يسيـل
نحـرت بهـا العـرب الاعـاجم انها ... رمـح امـق ولهـذم مـصـقـول

قلت انـا افتقدنا الشاعـر العربي الـذي يعيش بشعـره المعارك العربيـة الظافرة ، فلم نره بعد المتنبي وابن هاني ، فهل كانت الساحة العربية خالية من عباقرة الشعر ؟

الواقع انها لم تكن خالية ، فقد كان فيها ايام تلك الاحداث شاعر العرب الفريد (ابو العلاء المعري) ، ولكن هل كان باستطاعة ابي العلاء ان يسد فراغ الشاعرين الحماسيين ؟

انـه رهين المحبسـين ، سجين في سجنـين رهيبين ، ومـاذا عسى الشاعـر الحبيس ان يفعل ؟

انه لم يكن مستطيعاً ان يمتطي الجواد ويجرد السيف ويمشي الى جنب القائد فيشارك في المعركة ويراها عن كثب فينفعل برهجها ، كما كان يحدث للمتنبي مع سيف الدولة . . . ولا كان مستطيعاً ان يواكبها في احداثها متتبعا لها ساعة فساعة فيضطرم بأنبائها ، كما كان يحدث لابن هاني مع المعز .

انه كان في محبسه . . . ولكن المعري الذي عاش هموم شعبه ، فأنطقتـه هذه الهموم بالشعر الثائر المثير ، هل كان يمكن ان يكون بعيداً عما يجري على حدود الوطن ، او في قلب الوطن من صراع بين حرية الوطن واستعباده . . . بين الاجنبي المنقض على الوطن ، وبين المواطن المنقض على هذا المنقض ؟

لم يكن هذا من طبعه ، لهذا كان وهـو في محبسه يعيش مـع المناضلين في ميادين الحرب ، يعيش معهم بحسه وعواطفه ووطنيته ، ان لم يستطع ان يعيش معهم بجسمه وعينيه .

لذلك كان المعري شاعر النضال العربي المسلح في تلك الفترة الحرجة من حياة الوطن العربي .

كان الصوت الذي تغنى ببطولات المقاتلين ، وتحمس لوقائعهم ، وحرض على اعدائهم .

المعري الهادىء الرقيق القلب الذي يشفق على الحيوان المذبوح فلا يأكل اللحم ، هو نفسه الذي يقول وقـد سمع بجـولات فرسـان العرب ذيـادا عن وطنهم :

فـوارس قـوالـون للخيـل اقـدمي ... وليس عـلى غـير الـرؤوس مجـال
لهم اسف يـزداد اثـر الـذي مضى ... من الـدهـر سلما ليس فيـه قتـال
بـأيـديهم السمـر العـوالي كـأنمـا ... يـشب عـلى اطـرافـهـن ذبـال

ها هو المعري ينقلب بعد الرفق واللين اسدا هصورا يستطيب مرأى الدم الفـوار ، ويستعذب تخيـل الفوارس جـوالة فـوق الرؤوس المضـرجة بـالنجيع الاحمر !

ويأسف على ايام السلم الوادعة التي انطوت بلا قتال تـزهق فيه النفـوس وتطيح الهامات !

هـل المعري هـو الذي يتكلم ؟ اجـل هو المعـري بلسانـه الطلق وبيانـه الفياض !

اذا كـانت الانسانيـة هي التي اوحت للمعري ان يقـول للذين ذبحوا لـه (الفروج) وانضجوه وقدموه له ليأكله في مرضه الـذي انحله : « استضعفوك فوصفوك . . . هلا وصفوا شبـل الاسد . . . » ثم يمتنـع عن اكله استفظاعـا لتخيل دمه المراق !

اذا كانت الانسانية هي التي رققت قلب المعري ، فـان الوطنيـة هي التي قست ذلـك القلب الرحيم ، فجعلت الـدم المراق عنـده اجمل منـظر وأعذب مرأى !

دم الاعداء الذين لم يتورعوا عن اقتحام وطنه واستباحة ارضه وترويع اهله وتشريد سكانه !

ثم يشتد في القول فيخاطب الغزاة مهددا متوعدا بمواصلة الحرب :

بني الغـدر هـل الفيتم الحـرب مـرة ... وهـل كـف طعـن عنـكم ونضـال
وهـل اطلعت سحم الليـالي عليكم ... ومـا حـان من شمس النهـار زوال
وهل طـلعت شعث النواصي عـوابسا ... رعـال تـرامـى خلفـهـن رعـال
لهـا عدد كـالرمـل المبـد عـلى الحصا ... ولـكنهـا عـنـد الـلقـاء جـبـال
فـأن تسلموا من سـورة الحـرب مـرة ... وتعصمكـم شم الانـوف طـوال[2]
خـذوا الآن مـا يـأتيكم بعـد هـذه ... ولا تحسبـوا ذا العـام فهـو مثـال

ثم يعود الى ذكر الدماء بعد ان يصف الخيل العربية واثبة بفرسان العرب ، وان تلك الخيول الظامئات لن يكون الماء موردها ، ولن يرويها الا دماء الروم :

يـردن دمـاء الـروم وهي غـريضـة ... ويـتـركـن ورد المـاء وهـو زلال

وفي قصيدة اخرى يندد بالانهزاميين الذين يخوفون المـواطنين بـأس الروم ويحث قومه على الثبات :

ايـوعـدنـا بـالـروم نـاس وانمـا ... هم النبت والبيض الـرقـاق مـوام

ويـذكر مـواطنيه بـانتصاراتهم السـابقة عـلى الروم وان مـا يـوعـدهم بـه الانهزاميون لن يكون مصيره بأفضل :

كأن لم يكن بين « المخاض » و « حارم » ... كـتـائب يـشجـين الـفـلا وخيـام
ولم يجلبـوهـا من وراء « مـلطيـة » ... تـصـدع اجـبـال بهـا واكـام
كتـائب من شـرق وغـرب تـألبت ... فـرادى اتـاهـا المـوت وهي تـوام
بيـوم كـأن الشمس فيـه خـريـدة ... عـليهـا مـن النقـع الاحم لـثـام
كـأنهم سكـرى اريـق عـليهـم ... بـقـايـا كـؤوس مـلؤهـن مـدام
فـاضحوا حـديثا كـالمنام ومـا انقضى ... فـسيـان مـنـه يـقـظة ومـنـام

ويبدو ان البيزنـطيين (الـروم) قد ارسلوا يفـاوضون عـلى الصلح وانهاء الحرب مما لم يعجب المعري لانه يريد اهداف امته كاملة ولو ادى الامر الى ما يمكن ان يؤدي اليه من الضحايا الكثيرة : قتلى وجرحى . وهنـا نرى المعـري داعية حرب لا هوادة فيها ، حرب تسيل فيهـا الدمـاء اي مسيل فهـو يخاطب المفاوض العربي بهذا القول الصريح ويحدد له الموقف المطلوب :

---

(١) بلغ من اهتمام الامبراطور نقفور فوكاس بمحاربة الفاطميين ، انه اعد اسـطولاً ضخماً مـلأه بالمؤن والذخيرة ، واعد جيشاً يقرب من خمسين الف رجل مجهزين بأحسن آلات الحرب وامر عليه رجلين احدهما (منويل) وكان يمت اليه بصلة القرابة ، فانهزم الجيش والاسطول هزيمة كاسحة .

(٢) يقصدها بها الجبال .

وردوا اليك الرسل ، والصلح ممكن … وقالوا على غير القتال سلام
فلا قول الا الضرب والطعن عندنا … ولا رسل الا ذابل وحسام
فأن عدت ، فالمجروح توسى جراحه … وان لم تعد متنا ونحن كرام
فلسنا وان كان البقاء محببا … بأول من اخنى عليه حمام

هذه صفحات من تاريخنا النضالي كان فيها الشعراء مع الفرسان جنبا الى جنب في كفاح الغزاة ، تاريخنا النضالي الذي اطلق شاعراً وديعاً رقيق القلب عطوف النفس من محبسيه واعاده من الدعوة الى الهدوء والحنان والتعاطف ، الى الصخب والقسوة والعنف ، من داعية سلام الى داعية حرب عنيف الدعوة صارمها .

واذا كان اعجابنا بالمعري المسالم الهادىء العطوف عظيما ، فأن اعجابنا بالمعري المحارب الثائر الحاقد الدموي اعظم .

الحجاج بن يوسف

قال كاتب يصف الحجاج بن يوسف : « نشر الأمن والأمان والأمانة والايمان » .

ثم قال : « وكان الحجاج عادلا في الحكم بالفعل » .

والكاتب في هذا الكلام يرد ـ بدون ان يسمي كلامه رداً ـ على تطرقنا عرضا لذكر الحجاج ومظالمه في مقال لنا سابق .

ولقد كان شيئاً رهيباً ان يخالف كاتب في هذا العصر ما اجمع عليه خيار الأمة في عصر الحجاج وبعد عصر الحجاج فيتكلم بهذا الكلام عن رجل يقول عنه خير الدين الزركلي في كتابه (الاعلام) : « وكان سفاكاً سفاحاً باتفاق معظم المؤرخين » .

لقد اتفق على ذلك معظم المؤرخين بنص المؤرخ المعاصر صاحب الأعلام . وطبيعي ان يوجد من له مثل ذهنية كاتب المقال فيشذ عن هؤلاء المؤرخين ويخرج على اجماعهم .

ومن العجيب ان الكاتب ممن يرون الاجماع حجة في الشؤون الكبرى والصغرى ويغمزون بمن لا يأخذ بهذا الاجماع ، ولكنه هنا لا يبالي ان يكون شاذا عن هذا الاجماع ما دام هذا الشذوذ يوافق هوى في نفسه !

ان الحسن البصري ، وهو من هو في التاريخ الاسلامي ، والكاتب اعرف الناس به . ان الحسن البصري هذا يسجد لله شكراً لما مات الحجاج ، ويقول : « اللهم كما امته فامت عنا سنته » .

وان عمر بن عبد العزيز يقول : « الوليد بالشام والحجاج بالعراق وقرة بمصر ، وعثمان بن حيان بالحجاز ، امتلأت والله الأرض جوراً » .

لا يتمالك الحسن البصري وهو الشيخ الوقور الرزين ، الذي يزن القول والفعل ـ لا يتمالك نفسه أن يخر ساجداً لله معفراً جبينه بالأرض شكراً لله تعالى على أن أراح الأمة من السفاح السفاك الطاغية ، وأنقذها من المجازر البشرية التي كانت تحدث في كل يوم ، ومن الجور الفادح الذي كان يحل بها في كل ساعة . ثم يخشى هذا الامام الجليل أن يخلف الحجاج من يسير على سنته ، فلا ينسى أن يدعو الله أن يميت سنته كما أماته هو نفسه .

يفعل الحسن البصري هذا الفعل ويقول هذا القول عن الحجاج ، وهو المعاصر له الشاهد على افاعيله ، ثم يأتينا في هذا العصر من يقول : « كان الحجاج عادلاً في الحكم فعلاً » .

ونقول لهذا القائل : ان الحسن البصري اوثق عندنا وعند غيرنا منك ، وهذا اضعف ما يمكن ان نقوله !

ويرى عمر بن عبد العزيز ـ وهو ايضاً الشاهد المعاصر ـ ان الأرض امتلأت جوراً في حكم الحجاج وزملاء الحجاج ، ويقسم بالله على ذلك ، ثم نعيش لنرى من لا يتورع عن القول في الحجاج : « انه نشر الأمانة والايمان » . ونكرر القول لهذا القائل : ان عمر عبد العزيز اوثق عندنا وعند غيرنا منك !

ولو اردنا نقل ما قاله خيار المسلمين في الحجاج لكان علينا ان نملأ مجلدا ضخما ، ولضاقت بأنقالنا الصفحات ، فهذا مثلا (اليافعي) في كتابه (مرآة الجنان) يذكر موت الحجاج بهذا النص : « اراح الله المسلمين من الحجاج بن يوسف الثقفي في ليلة مباركة » .

ثم عندما يضطر لذكره في مكان آخر يقول : « فقصته السم القاتل والشؤم العاجل » . ثم يقول : « فأراح الله العباد والبلاد من الحجاج وما كان فيه من الافساد » .

ويقول في مكان آخر « أراد الحجاج ان يتشبه بزياد فأهلكه الله ودمره » .

ولا يمر اليافعي في كتابه (مرآة الجنان) بذكر الحجاج الا ويصفه بما هو فيه ، ثم يقول : « يخبر عن نفسه ان اكبر لذته سفك الدماء » .

وقد اخترنا من بين المؤرخين مؤرخاً واحداً ليكون نموذجاً لما اتفق عليه المؤرخون في وصف الحجاج .

وهذا الامام احمد بن حنبل يقول : « قتل الحجاج سعيد بن جبير وما على وجه الأرض احد الا وهو مفتقر إلى علمه ولم يسلطه الله به[illegible] على قتل احد » . ذلك ان الحجاج لم يعش الا قليلاً بعد قتله سعيد ب[illegible]ير .

وكان تفجع الامام ابن حنبل على قتل سعيد هذا [illegible]ثر ما هو منصب على علم هذا الشهيد . فالفاجعة بقتل العلماء اعظم الف[illegible]

ويزيد في فظاعة هذا الجرم ان المقتول كان في التاسعه و[illegible]تسعين من عمره .

ونحن لا ندري انصدق اليافعي والامام احمد بن حنبل ، ام نصدق كاتب المقال ؟

ولكن الحقيقة اننا ندري !

نحن لا نريد ان نحدث الكاتب عن عشرات الألوف البريئة التي قتلها الحجاج صبرا ، ولا عن عشرات الألوف من النساء والرجال التي وجدت في سجنه بعد موته .

لا نريد ان نحدثه عن ذلك ، لأن هذا امر انساني ، ويبدو جليا ان الانسانية لا تهم الكاتب ، لذلك سننصرف عن الحديث الانساني الى الحديث الاسلامي :

قال ابن سعد في كتاب الطبقات : « قال الحجاج هممت ان اضرب عنق ابن عمر » .

ثم لما استدعاه إليه خاطبه شاتماً له :

« اسكت فانك شيخ قد خرفت وذهب عقلك ، يوشك شيخ ان يؤخذ فتضرب عنقه » .

ثم يذكر ابن سعد ان الحجاج ارسل اليه من اغتاله ، ثم منع ان يدفن حيث أوصى .

عبدالله بن عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين . عبدالله بقية صحابة رسول الله : الهادىء الوديع الورع ، ينحدر به الزمن إلى أن يقف بين يدي الحجاج ضارعاً ذليلاً يتلقى الشتيمة صابراً محتسباً .

والحجاج في ذلك عند الكاتب « رجل الأمن والأمان والأمانة والإيمان » .

ولو وجد الكاتب مشتقات اخرى لكلمة (امن) لأضافها إلى هذه الصفات الرائعة التي أضفاها على الحجاج جزاء ما لقي ابن عمر بن الخطاب منه ، ولقاء ما ابداه من احتقار لذكرى الخليفة الراشدي الثاني !

وحقد الحجاج على أصحاب رسول الله لم يقتصر على عبدالله بن عمر ، فقد امتدت الحياة بثلاثة من الصحابة الى أن ادركت عصر الحجاج . وعوضاً عن أن يكون هؤلاء الثلاثة في شيخوختهم الواهنة موضع الإجلال والتكريم ، وان يرى الناس فيهم بقية ذلك السلف الصالح الذي رأى النبي وعاشره وتعلم منه فيتبركون بهم ويرفعون من شأنهم ، عوضاً عن ذلك ، لم ير فيهم الحجاج إلا موضعاً للإذلال ، فقد قال في (اسد الغابة) ما يلي بنصه : « ختم الحجاج في عنق سهل الساعدي وانس بن مالك وفي يد جابر بن عبدالله يريد اذلالهم » ، وهؤلاء الثلاثة كانوا آخر من بقي من أصحاب رسول الله .

فإذا كانت الناحية الإنسانية لا تهم (الكاتب) فلا تروعه مجازر عشرات الألوف ، أفما كان يقتضي ان تهمه الناحية الإسلامية فيغضب لإهانة عمر بن الخطاب في شخص ابنه عبدالله ، وقبل ذلك لإهانة الرسول في اشخاص اصحابه ؟

ونريد ان نسأل الكاتب عن « الأمن والايمان والأمانة والأمان » فيما سنقصه عليه ، وهو صورة عما كان يعانيه الشعب في ظل الحاكم الذي يعجب به هذا الكاتب .

احدث الحكام الذين تولوا حكم العرب والمسلمين منذ السنة (٤١) هجرية وظيفة جديدة لتثبيت حكمهم هي وظيفة (صاحب العذاب) . ويغني ذكر اسم الوظيفة لمعرفة مهمة متولي امرها .

ولقد كان لعبيدالله بن زياد بن سمية (صاحب عذاب) ، ومن قصصه ما رواه ابن عبد البر في كتاب (الاستيعاب) وهو يتحدث عن الصحابي قيس بن خرشة القيسي : « أراد عبيدالله بن زياد تعذيبه لأنه كان قوالاً بالحق ، فلما اعد له العذاب مات قبل ان يصيبه شيء » .

وصاحب السيرة الحلبية يقول وهو يروي القصة : « ان عبيدالله بن زياد قال : اؤتوني بصاحب العذاب ، فمال عند ذلك قيس فمات » .

لقد كان مجرد ذكر (صاحب العذاب) كافياً لأن يحدث صدمة في نفس الصحابي قيس بن خرشة فيموت في الحال .

وفي عهد الحجاج كان اسم (صاحب العذاب) (معدّ) . ويروي صاحب كتاب (النجوم الزاهرة) ما جرى لحطيط الزيات الكوفي مع الحجاج : وبعد ان يعدد المؤلف بعض صفات حطيط الزيات بقوله : « كان عابداً زاهداً يصدع بالحق » ، يروي حواراً جرى بينه وبين الحجاج ، كان فيه حطيط شجاعاً صريحاً لم يحد عن خطه المستقيم . فقال معدّ (صاحب العذاب) : اني أريد أن تدفعه إليّ فوالله لأسمعنّك صياحه ، فسلمه إليه فجعل يعذبه ليلته كلها وهو ساكت . فلما كان وقت الصبح كسر ساق حطيط ، ثم دخل عليه الحجاج فقال له : ما فعلت بأسيرك ، فقال : إن رأى الأمير ان يأخذه مني فقد أفسد عليّ أهل سجني ، فقال الحجاج عليّ به ، فعذبه بأنواع العذاب وهو صابر ، فكان يأتي بالمسال فيغرزها في جسمه وهو صابر ، ثم لفه في بارية والقاه حتى مات .

اهذا هو (الأمن والأمان والأمانة والإيمان) التي يصف بها الكاتب صاحبه الحجاج ؟

وإذا كان الكاتب لا تعنيه الناحية الإنسانية ، ولا يؤثر فيه ذبح عشرات الألوف ، افلا تؤثر فيه الناحية الإسلامية فيرثي لحال المسلم الذي وصف بأنه « عابد زاهد يصدع بالحق » ويتورع عن الثناء على من هذه افعاله مع المسلمين الزاهدين العابدين الصادعين بالحق .

ومن الطريف العجيب المحزن في الوقت نفسه ان يذكر الكاتب قصة يعلم هو قبل غيره أنها خرافة من الخرافات ، لذلك يقرن روايته لها بقوله : (كما تقول الرواية) وبقوله : (ويقال) .

والقصة تكذب نفسها بنفسها ، وخلاصتها ان قائد الحجاج طلب من ملك الهند أن يملأ له قاعة القصر ذهباً ليكون ذلك الذهب غرامة حربية وان الملك استجاب لذلك فملأ القاعة ذهباً !

ان الكاتب نفسه يعلم ان احداً ذا عقل سليم لا يمكن ان يصدق هذه الرواية ، لذلك قرنها ـ كما ذكرنا من قبل ـ بقوله (كما تقول الرواية) و (يقال) . ومع ذلك فقد انهى القصة بجعله لها حقيقة مسلمة فقال : « أرسل القائد الشاب ذلك الذهب كله إلى الحجاج حاكم العراق ، وانفق الحجاج هذا المال في إصلاح العراق وفي حاجات البلاد المفتوحة ! » .

ليتصور القارىء قاعة قصر امبراطور الهند ، وليتصور سعتها ومساحتها بالأمتار المكعبة . إنها ليست كوخا ، بل قاعة قصر امبراطور الهند ، وكفى ذلك وصفاً لطولها وعرضها وارتفاعها ، ليتصور القارىء ذلك ، فإذا تصوره فهل يتصور ان انساناً ذا عقل سليم يمكن ان يصدق ان احداً يمكنه ان يملأها ذهباً ، ولو كان امبراطور الهند ، لا سيما اذا كان هذا الأمر قد تم في طرفة عين !

بمثل هذه الخرافات الساذجة المفضوحة يريدون ان يغطوا فظائع جلادي الشعوب .

كلمة الختام

كما قلت في مقدمة الكتاب : إذا بقيت في الحياة بقية ـ وانا الآن عند تحرير هذه الكلمات في السابع من جمادى الثانية سنة ١٤٠٧ والسادس من شباط سنة ١٩٨٧ على ابواب الثمانين ـ إذا بقيت في الحياة بقية ، فاني سأتابع تدوين ما يجب تدوينه واستدراك ما فات وإذا شاءت ارادة الله غير ذلك فلعل وراء الغيب من سيوفقه الله للسير بموسوعة (اعيان الشيعة) مع الزمن جيلاً بعد جيل لتظل مؤدية رسالتها ، ناهضة بمهمتها ، وليس ذلك على الله بعزيز .

والآن ـ وانا اخط آخر سطر في هذه المستدركات ـ اودع القراء الكرام وداع المشوق اليهم ، المعتز بهم ، الشاكر عطفهم . اودعهم وانا لا ادري ان كان سيقدر لي بعد ان القاهم ام لا . فإذا شاء الله ان القاهم مرة ثانية فسيطول الحديث بيننا ، وإذا لم يشأ ذلك فليذكروا ابداً هذا الذي حرص كل الحرص وجهد كل الجهد على أن يقدم لهم الحقائق ناصعة ، وان يحفظ تاريخ فئة من الناس كان يخشى عليها الضياع .

اقول هذا وانا اعرف ان الكمال لله وحده ، وتتم يكون متفضلاً عليّ من يرشدني إلى خطأ وقعت فيه ، او يدلني على حقيقة جهلتها .

هذه كلمتي إلى الجيل الذي يعاصرني واعاصره ، أما الأجيال الآتية التي ستقرأ ما دونته لها في هذه الأوراق ، ستقرأ ذلك في ازمان غير زمننا واحوال غير حالنا ، فلعلها ستجد فيما ستقرؤه بعض الصورة عنا : أدباً وعلماً وفكراً ونضالاً . فاذا وجدت ذلك فحسبي به تعزية عن كل عناء كابدته في سبيل ايصال هذه الصورة إليها .

وسلام عليكم ايها القارؤون في هذا الربع الأخير من القرن العشرين ، وأيها القارؤون فيما بعده من قرون .

حسن الأمين

ابن السيد محسن الأمين

تنبيه هام

نظام الملك ابو علي الحسن.

وردت ترجمته في المجلد الخامس الصفحة ١٦٥ وفي مقدمتها ما يلي :

ذكرناه في ج ١ من هذا الكتاب في عداد وزراء الدولة السلجوقية الشيعة ، ولسنا نعلم الآن مأخذه ، ولا بد أن نكون اخذناه من مصدر معتمد مع اننا فتشنا الآن على مأخذه فلم نجده .

هذا ما ذكره المؤلف في الطبعة الأولى ، وحين كنت اعد الكتاب لطبعته الجديدة واقرأ ما علقه المؤلف على بعض تراجمها وما استدرك عليها ، وجدت أنه علق على ترجمة نظام الملك بما يلي : « بعد التحري تبين لنا أن صاحب هذه الترجمة ليس من موضوع كتابنا وان ذكره فيه كان خطأ »(انتهى) .

ولقد ترددت فيما افعله في هذه الترجمة هل اسقطها من الكتاب بعد ان ثبت للمؤلف انه ليس شيعيا ، أم افعل شيئاً آخر ؟

وبعد التردد الطويل قررت أنه ما دام المؤلف قد تعب في اعداد هذه الترجمة ، وان ذكرها ليس الا عملاً تاريخياً يفيد منه القارىء في دراسة حياة رجل مسلم كان له شأن كبير في التاريخ الاسلامي ، وإن لم يكن شيعياً ، وأن في اسقاطها من الكتاب هدر لجهد قام به المؤلف في اعدادها ، قررت ابقاءها في الكتاب مع الاشارة الى ما علقه المؤلف على طبعتها الأولى ، وهكذا كان ، ولكن هذه الاشارة سقطت خلال الطبع ، لذلك فإنني اذكرها هنا .

وكذلك القول في ولده أبو عبدالله الحسين المنشورة ترجمته في الصفحة ٤٨٠ من المجلد الخامس .

الفارابي محمد بن أحمد

مرت ترجمته في الصفحة ١٠٣ من المجلد التاسع . وفي الصفحة ١٠٨ تبدأ بحوث عن فلسفته ، أولها (مع الفارابي الفيلسوف الروحي) ثم (مع الفارابي في المدينة الفاضلة) . ثم (مع اهل المدينة الفاضلة) .

وهذه البحوث مكتوبة بقلم : الدكتور محمد مصطفى حلمي . وقد سقط توقيعه خلال الطباعة مما اسفنا له ، ونشير إليه هنا .



الشيخ محمد علي خاتون وزير الملوك القطبشاهية في الهند وجدت هذه الصورة في المتحف البريطاني بلندن وقد مرت ترجمته في الصفحة ١٠ من المجلد العاشر

الفهرس

